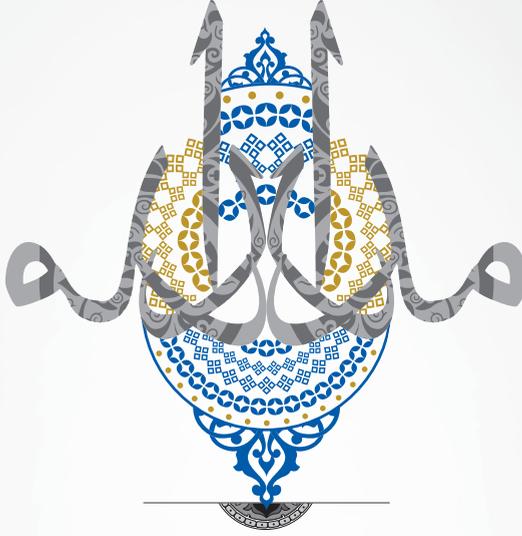


مشروع مدار الوقف



سلسلة الرسائل الجامعية (٢٧)
(دكتوراه)

العناصر الوقفية لنساء القصر العثماني
بمدينة إستانبول
خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م)
«دراسة آثارية معمارية وفنية»

د. محمد أحمد بهاء الدين عوض السيد ملكه



سلسلة الرسائل الجامعية (٢٧)
(دكتوراه)

**العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني
بمدينة إستانبول
خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م)
«دراسة أثرية معمارية وفنية»**

د. محمد أحمد بهاء الدين عوض السيد ملكه

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

رسالة الأمانة العامة للأوقاف هي نشر الثقافة الوقفية،
لذا فكل إصداراتها غير مخصصة للبيع

سلسلة الرسائل الجامعية (٢٧)
جميع الحقوق محفوظة
ح) الأمانة العامة للأوقاف ٢٠٢٢ م
دولة الكويت
الدمسة- قطعة ٦- شارع حمود عبدالله الرقبة
ص. ب ٤٨٢ الصفاة ١٣٠٠٥
هاتف ١٨٠٤٧٧٧ - فاكس ٢٢٥٤٢٥٢٦
www.awqaf.org.kw
البريد الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف
amana@awqaf.org
البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية
serd@awqaf.org

الطبعة الأولى ١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

أودع بإدارة المعلومات والتوثيق بالأمانة العامة للأوقاف
تحت رقم (٣١) بتاريخ (٣ / ١٠ / ٢٠٢٢ م)

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر مؤلفها، ولا
تعبر بالضرورة عن اتجاهات تبناها الأمانة العامة للأوقاف.

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

رقم الإيداع: ٢٠٢٢ - ٢٥١١

ردمك (ISBN): ٩٧٨-٩٩٢١-٧٤٥-٢٤-٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٥	شكر وتقدير للأمانة العامة للأوقاف
١٧	تصدير الأمانة العامة للأوقاف
١٩	المقدمة
٣٣	التمهيد
٣٥	أولاً: تعريف الوقف ومشروعيته
٣٩	ثانياً: مكانة النساء وأوقافهن قبل العهد العثماني
٦١	ثالثاً: أهمية مدينة إستانبول جغرافياً وتاريخياً
٦٩	■ الباب الأول: الدراسة الوصفية
٧٢	المقدمة (وتتناول أهم المصطلحات الأساسية والألقاب)
٧٢	أولاً: الكلية المعمارية (Küllüye) وتطورها
٨٠	ثانياً: أهم نساء القصر العثماني وألقابهن
٨٤	ثالثاً: أهم مصطلحات الدراسة ودلالاتها
٨٧	الفصل الأول: الأوقاف المعمارية لزوجات السلاطين
٨٧	المبحث الأول: كلية (كلفم) جُلفم خاتون
٨٧	أولاً: الواقعة وأهم أوقافها المعمارية
٨٩	ثانياً: الموقع وتاريخ الإنشاء
٩٠	ثالثاً: التكوين المعماري للكلية الوقفية لجُلفم سلطان

الصفحة	الموضوع
١٠٠	المبحث الثاني: كلية خاصكي خرّم سلطان في إستانبول
١٠٠	أولاً: الموقع
١٠٢	ثانياً: الواقعة
١٠٤	ثالثاً: أهم الأوقاف المعمارية الخيرية لخاصكي سلطان
١٠٥	رابعاً: تاريخ الإنشاء ومهندس البناء
١٠٦	خامساً: وثيقة أوقاف خاصكي خرّم سلطان
١٠٧	سادساً: الوصف المعماري للمجمع الوقفي لخاصكي خرّم سلطان
١٤٣	الفصل الثاني: العمائر الوقفية لبنات السلاطين
١٤٣	المبحث الأول: كلية مهرماه سلطان ياسكُدار
١٤٣	أولاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء
١٤٧	ثانياً: الموقع
١٤٧	ثالثاً: التكوين المعماري للكلية الوقفية لمهرماه سلطان ياسكُدار
١٥١	أ) الجامع
١٦٧	ب) المدرسة (MERDESE)
١٧١	ج) مكتب الصبيان (الكتاب)
١٧٢	د) العمارت (İMARET)
١٧٥	هـ) التُّرب
١٧٦	و) العِشمة

الصفحة	الموضوع
١٧٨	المبحث الثاني: كلية مهرماه سلطان بأدرنة قابي
١٧٨	أولاً: الموقع
١٧٨	ثانياً: دور الوقف في إنشاء الكلية المعمارية
١٨٠	ثالثاً: تاريخ الإنشاء
١٨١	رابعاً: تاريخ الكلية العام
١٨٢	خامساً: التكوين المعماري للكلية
١٨٣	أ) الواجهات الخارجية للكلية
١٨٤	ب) الجامع
١٩٤	ج) الحرم المكشوف (الصحن) والمدرسة
١٩٧	د) التربة ومكتب الصبيان
٢٠٠	هـ) حمّام مهرماه سلطان بأدرنة قابي (٩٧٣هـ / ١٥٦٥-١٥٦٦م)
٢٠٧	الفصل الثالث: العماثر الوقفية لوالدات السلاطين
٢٠٧	المبحث الأول: كلية نوربانو سلطان بإسكدار (كلية الوالدة العتيقة)
٢٠٧	أولاً: الموقع
٢٠٨	ثانياً: تاريخ بناء الكلية وتكوينها المعماري
٢٠٩	ثالثاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء
٢١٢	رابعاً: مفردات الكلية المعمارية
٢١٢	أ) الجامع (Cami)

الصفحة	الموضوع
٢٣٠	ب) المدرسة
٢٣٣	ج) الكتلة الثانية الرئيسة بكلية نوربانو سلطان
٢٤٠	د) التكية (Tekke)
٢٤٢	هـ) مكتب الصبيان
٢٤٤	و) حمّام كلية نوربانو سلطان بإسكدار
٢٤٩	ز) حمّام تشمبرلي تاش (Çemberlitaş Hamamı)
٢٥٦	المبحث الثاني: كلية ماهبيكر كوسم سلطان [١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م]
٢٥٦	أولاً: الواقفة وتاريخ الإنشاء
٢٦٠	ثانياً: الموقع
٢٦٠	ثالثاً: تسميات المسجد
٢٦١	رابعاً: مهندس المسجد
٢٦١	خامساً: التكوين المعماري للكلية
٢٦٣	أ) المسجد
٢٧٢	ب) مدرسة دار الحديث (MEDRESE)
٢٧٥	ج) الشاذروان (النافورة)
٢٧٥	د) السبيل
٢٧٧	سادساً: مباني الكتلة الثانية من الكلية (الشمالية الغربية)
٢٨٢	سابعاً: العمائر الوقفية المندرسة لماهبيكر كوسم سلطان ضمن كليتها المعمارية بإسكدار

الصفحة	الموضوع
٢٨٣	ثامنًا: خان الوالدة الكبير (Büyük Valide Han)
٢٩٠	المبحث الثالث: كلية خديجة تورخان سلطان بإمينونو (كلية الوالدة الجديدة)
٢٩٠	أولاً: الواقفة وتاريخ الإنشاء
٢٩٣	ثانيًا: الموقع
٢٩٤	ثالثًا: سبب إنشاء المجمع بالمنطقة
٢٩٥	رابعًا: تاريخ بناء المجمع، والمهندسون الذين أشرفوا على البناء
٢٩٧	خامسًا: التغييرات والتعديلات على الكلية المعمارية
٢٩٨	سادسًا: التكوين المعماري للكلية المعمارية الوقفية
٣٠١	أ) الجامع
٣٢٢	ب) تربة خديجة تورخان سلطان
٣٢٧	ج) السبيل والجشمة
٣٣١	د) سوق الوالدة الجديد (البازار المصري)
٣٤٥	هـ) العمائر الوقفية الأخرى لخديجة تورخان سلطان
٣٤٦	و) المؤقت خانه
٣٤٩	■ الباب الثاني: الدراسة التحليلية
٣٥٢	الفصل الأول: الوقف وعلاقته بالتطور العمراني والمعماري للمدن العثمانية، وإبراز دور أوقاف النساء
٣٥٦	أولاً: الأوقاف العثمانية ونشأة المدن وتطورها
٣٦٣	ثانيًا: نساء القصر العثماني والوقف

الصفحة	الموضوع
٣٦٥	ثالثاً: دور الوقف في التطور العمراني والمعماري لإستانبول
٣٧٦	رابعاً: وقف المساجد
٣٨٣	خامساً: وقف المدارس والمكتبات
٣٩١	سادساً: وقف مكاتب الصبيان
٣٩٤	سابعاً: وقف الكتب والمكتبات
٣٩٥	ثامناً: وقف التكايا والزوايا والخوانق
٣٩٨	تاسعاً: وقف الأسبلة والعيون
٤٠٦	عاشراً: وقف العمارت (المطاعم ودور المرق)
٤١٦	حادي عشر: وقف المستشفيات ودور الشفاء
٤٢٣	ثاني عشر: وقف الخانات والفنادق وبيوت الإقامة المجانية ووقف النقود
٤٣٢	ثالث عشر: وقف المقابر والتُّرب
٤٣٤	رابع عشر: الأوقاف الأخرى
٤٣٨	الفصل الثاني: التخطيط
٤٤١	المبحث الأول: العمائر والمنشآت الدينية
٤٤١	أولاً: المساجد
٤٦٤	ثانياً: المدارس
٤٧٥	ثالثاً: التكايا (الخانقاوات)
٤٧٨	المبحث الثاني: العمائر المدنية

الصفحة	الموضوع
٤٧٨	أولاً: العمائر الخيرية أو عمائر الخدمة المجانية
٤٧٨	أ) مكاتب الصبيان
٤٨١	ب) الأسبلة والعشيم
٤٨٧	ج) المطاعم الخيرية (العمارت أو العمارة)، والتابخانات (المسافر خانه)
٤٩٠	ثانياً: العمائر التجارية
٤٩١	أ) الأريستا
٤٩٧	ب) الخانات
٥٠٦	ثالثاً: العمائر الصحية (دور الشفاء) أو البيمارستانات
٥١٠	رابعاً: عمائر النظافة العامة (الحمامات)
٥٢٠	المبحث الثالث: العمائر الجنائزية (الترب)
٥٢٨	الفصل الثالث: مواد البناء والعناصر المعمارية
٥٢٨	المبحث الأول: مواد البناء
٥٣٨	المبحث الثاني: العناصر المعمارية العامة
٥٣٨	أولاً: الواجهات
٥٥٢	ثانياً: الروافع والعقود
٥٦٧	ثالثاً: التغطيات
٥٧٨	المبحث الثالث: العناصر المعمارية والوظيفية الخاصة
٥٧٨	أولاً: المحافل

الصفحة	الموضوع
٥٨١	ثانياً: المحاريب
٥٨٥	ثالثاً: المنابر
٥٩١	رابعاً: كراسي الوعظ أو دكك المؤذنين
٥٩٣	خامساً: المآذن
٥٩٨	الفصل الرابع: النقوش
٥٩٨	المبحث الأول: النقوش الكتابية
٦٠٢	أولاً: الكتابات من حيث الصورة
٦٠٢	(١) خط الثلث الجلي
٦٠٦	(٢) خط نستعليق
٦٠٩	ثانياً: الكتابات من حيث المضمون وأماكن وجودها بالعمائر (أهم النماذج)
٦٢٢	المبحث الثاني: النقوش والزخارف النباتية والهندسية
٦٢٢	أولاً: النقوش والزخارف النباتية
٦٣٣	ثانياً: النقوش والزخارف الهندسية
٦٣٩	■ ملحق الدراسة
٦٤١	الجزء الأول: الوظائف
٦٤١	أولاً: الوظائف الإدارية العامة
٦٤٤	ثانياً: الوظائف الدينية
٦٤٧	ثالثاً: الوظائف أو المهن التعليمية

الصفحة	الموضوع
٦٤٩	رابعاً: الوظائف والحرف الخدمية
٦٥٦	خامساً: المهن الطبية
٦٥٨	الجزء الثاني: رواتب أرباب الوظائف والمهن والحرف طبقاً لوثائق الوقف لنساء القصر العثماني بإستانبول أثناء القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م)
٦٥٨	أولاً: مرتبات أرباب الوظائف بوقف خاصكي سلطان
٦٦٩	ثانياً: أرباب الوظائف بمجمع وقف مهراه سلطان بإسكدار
٦٨١	ثالثاً: مرتبات أرباب الوظائف والمهن والحرف بوقف نوربانو سلطان
٦٩٢	رابعاً: أرباب الوظائف بالوقف العظيم لخديجة تورخان سلطان
٧١٧	خاتمة الدراسة
٧٢٩	قائمة المصادر والمراجع
٧٦٥	قائمة الكتب والدراسات الصادرة عن الأمانة العامة للأوقاف في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي
٧٧٧	مشروعات علمية تحت إشراف إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية

شكر وتقدير للأمانة العامة للأوقاف

انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»*؛ أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأمانة العامة للأوقاف، على دعمها لي لإنجاز رسالتي الجامعية، ضمن مشروع «دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف»، سائلاً المولى عَزَّوَجَلَّ أن يشيها وجميع الواقفين خير الجزاء.

الباحث

* الأدب المفرد للبخاري، باب «من لم يشكر للناس»، حديث رقم ٢١٨.

تصدير الأمانة العامة للأوقاف

تعمل الأمانة العامة للأوقاف على إنجاز مشروع «مداد الوقف»، المدرج بدوره ضمن مشروعات «الدولة المنسقة لجهود الدول الإسلامية في مجال الوقف» على مستوى العالم الإسلامي، حيث أُختيرت دولة الكويت لتكون «الدولة المنسقة»؛ بموجب قرار المؤتمر السادس لوزراء أوقاف الدول الإسلامية، المنعقد بالعاصمة الإندونيسية «جاكرتا» في أكتوبر سنة ١٩٩٧ م.

وهذه المشروعات هي:

١. مشروع «مداد» لنشر الكتب والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية في مجال الوقف وترجمتها وتوزيعها.
٢. مشروع دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف.
٣. مشروع مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف.
٤. مشروع «مجلة أوقاف».
٥. مشروع منتدى قضايا الوقف الفقهية.
٦. مشروع مدونة أحكام الوقف الفقهية.
٧. مشروع «نماء» لتنمية المؤسسات الوقفية.
٨. مشروع «قطاف» لنقل التجارب الوقفية وتبادلها.
٩. مشروع القانون الاسترشادي للوقف.
١٠. مشروع بنك المعلومات الوقفية.
١١. مشروع كشافات أدبيات الأوقاف.
١٢. مشروع مكنز علوم الوقف.
١٣. مشروع قاموس مصطلحات الوقف.
١٤. مشروع معجم تراجم أعلام الوقف.
١٥. مشروع أطلس الأوقاف في العالم الإسلامي.
١٦. مشروع مسابقة الكويت الدولية لتأليف قصص الأطفال.

وتقوم الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت بالتنسيق في تنفيذ العديد من هذه المشروعات مع كل من: المجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية.

وتندرج «سلسلة الرسائل الجامعية» ضمن مشروع «مداد» لنشر الكتب والأبحاث والدراسات والرسائل الجامعية في مجال الوقف وترجمتها وتوزيعها الهادف إلى بث الوعي الوقفي في مختلف أرجاء المجتمع. وتهدف هذه السلسلة إلى نشر الرسائل الجامعية (ماجستير أو دكتوراه) في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي؛ لتعريف عموم القراء بالمسائل المتعلقة بقضايا الوقف والعمل الخيري التطوعي، وتشجيع البحث العلمي الجاد والتميز في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، والسعي لتعميم الفائدة المرجوة.

ويسر الأمانة العامة للأوقاف أن تقوم بنشر هذه السلسلة من الرسائل الجامعية، وأن تضعها بين أيدي الباحثين والمهتمين والمعنيين بشؤون الوقف والعمل الخيري، أفراداً ومؤسسات وهيئات.

وننوه إلى أنه سبق تحكيم أصل هذه الرسالة، حيث عُرِضت على التحكيم العلمي بغرض النشر، وفق اللوائح المعمول بها في الأمانة العامة للأوقاف، وقد أُجيزت للنشر بعد قيام الباحث بالتعديلات المطلوبة، ومراجعتها لغويًا وتحريرها علميًا. وتهدف هذه الرسالة التي بين أيدينا إلى تناول العمائر التي شُيِّدت في مدينة إستانبول برعاية نساء القصر العثماني من أمهات وزوجات وبنات السلاطين خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م) اللذين شهدا تأثير المرأة العثمانية في الحياة السياسية والاجتماعية، وذلك بإسهام الوقف في إنشاء هذه العمائر وإيجادها ابتداءً، والمحافظة عليها واستدامة وجودها ونفعها انتهاءً، وقد قام الباحث بدراسة هذه العمائر ووصفها وتسجيلها مع تحليل أنماط هذه العمائر الوقفية وطرزها، من حيث التخطيط المعماري، والعناصر المعمارية، والوحدات الزخرفية، والكتابات التاريخية والدينية، وإبراز دور الوقف في نشأة المدن، والعمائر الخدمية والدينية وغيرها مما يأتي في ثنايا الدراسة.

وقد حصل أصل هذه الرسالة على درجة (الدكتوراه) في الآثار الإسلامية من قسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار بجامعة القاهرة سنة ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م. سائلين المولى -عز وجل- أن يبارك في هذا العمل، ويجعل فيه النفع الجليل والفائدة العظيمة.

الأمانة العامة للأوقاف



المقدمة

المقدمة

قامت الدولة العثمانية في أول أمرها كإمارة صغيرة غرب الأناضول سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، ثم أخذت في الازدياد والانتشار، وتوسعت الفتوحات العثمانية في عهد أورخان غازي بن عثمان، فتم فتح مدينة بورصة «بروسا» واتخاذها عاصمة للدولة الناشئة سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، ثم إزنيق (١٣٣١م)، ومن ثم احتل العثمانيون موقعاً مهماً في آسيا الصغرى، وظلت الفتوحات العثمانية طوال عهد السلطان أورخان (٧٢٥-٧٦٤هـ/ ١٣٢٤-١٣٦٢م) ومن بعده من السلاطين، وكان من حسن سياسة العثمانيين أنهم اتجهوا بفتوحاتهم غرباً نحو الدولة البيزنطية لبطونهم في أوروبا، واستغلوا الحادث الذي دمر أسوار مدينة غاليلولي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م فدخلها العثمانيون بسهولة، وكانت هذه باكورة فتوحاتهم في أوروبا، ثم توالى عملية التغلغل العثماني في أوروبا حتى فُتحت مدينة أدرنة على يد السلطان مراد الأول سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م، وبعدها توغل العثمانيون في أوروبا، فتمكنوا من خلال التنظيم الجيد وقوة الجيش وزيادة عدد جنوده بالأسرى الأوروبيين من بسط نفوذهم على الإمارات الأناضولية الواحدة تلو الأخرى، حتى جاء عهد السلطان محمد الثاني الملقب «بالفاتح» (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م)، وكانت القسطنطينية - التي حاول معظم السلاطين العثمانيين فتحها لكنها استعصت عليهم - محاصرة من الشرق والغرب من جانب القوات العثمانية، ونتيجة لبراعة السلطان محمد الفاتح وحسن تدبيره تم الفتح بحمد الله ليشرف هو وجنوده بفتحها ودخولها في الإسلام، فكانت فاتحة خير على العثمانيين، حيث جذب صدق فتحها كل ملوك أوروبا، بل العالم، مما أضفى الهيبة على العثمانيين.

وقد اعتمدت الدولة العثمانية كثيراً على الوقف في تعمير المدن من خلال الأوقاف المعمارية، وشاركت المرأة العثمانية في هذا الأمر مشاركة عظيمة. ولما رتب السلطان الفاتح الأمور داخل قصر طوبقابي قسّمه إلى ثلاثة أقسام أو تشكيلات رئيسة؛ هي «البيرون» و«الأندرون» و«الحريم أو الحرملك»، بما يبرز مكانة المرأة في الدولة

العثمانية، وخاصة في عاصمة دولتهم، وكانت تقيم في قسم الحرم ملك بالقصر كل من: والدة السلطان، والخاصكية؛ وهم زوجاته، والأمراء الصغار والأميرات إلى جانب الجواري كل في موضعه، وقد بدأ نفوذ نساء القصر العثماني (الأمهات والزوجات) يزداد منذ منتصف القرن ١٠هـ/ ١٦م، وخاصة خلال عهد السلطان سليمان القانوني، حينما ازداد نفوذ زوجته المحبوبة خرم سلطان (Hürrem Sultan) «روكسلانه»، والتي تدخلت في أمور الدولة السياسية، وأوعزت إلى رستم باشا الصدر الأعظم لقتل الأمير مصطفى ولي العهد بصفته أكبر أبناء السلطان سليمان، ونجحت في ذلك حيث زوجت رستم باشا من ابنتها مهرماه سلطان، وغيّرت بذلك مجرى السياسة العثمانية ليتولى ابنها سليم الثاني السلطنة خلفاً لأبيه، ومنذ هذه اللحظة بدأ نساء القصر العثماني في التدخل في شؤون الدولة، وقد ازداد شأن والدة السلطان (والدة سلطان) فيما بعد، وكانت نوربانو سلطان والدة السلطان مراد الثالث أشهر أمهات السلاطين نفوذاً في الدولة العثمانية خلال القرن ١٠هـ/ ١٦م، ثم تلتها «صفية سلطان» والدة السلطان محمد الثالث، فيما اشتهرت كل من «ماهيكور كوسم سلطان» والدة السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم الأول، و«خديجة تورخان سلطان» والدة السلطان محمد الرابع خلال القرن ١١هـ/ ١٧م، ثم ظهر خلال الفترات اللاحقة العديد من النساء البارزات في المجال السياسي والعمري الوقفي، ومن أشهرهن «جلنوش رابعة سلطان» و«مهرشاه سلطان» و«براتولاند سلطان» وغيرهن من نساء القرنين ١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م، وقد تبارى هؤلاء النسوة في إنشاء الأوقاف المعمارية بمدينة إستانبول باعتبارها عاصمة الدولة العثمانية، مما جعل المدينة بهيئة شبكة تقوم أساساً على الوقف الإسلامي عمرانياً واقتصادياً واجتماعياً.

أولاً: أهمية موضوع الدراسة:

كان لنساء القصر العثماني دور كبير في تعمير المدن العثمانية، وخاصة مدينة إستانبول، وإنشاء العمائر والمباني الإسلامية التي تدخل ضمن إطار الوقف المعماري العثماني، وجاءت بعض عمائرهن مفردة في بنائها مع ارتباطها بحجة وقف مع بعض المباني الأخرى، كما جاءت بعضها في هيئة مجمعات معمارية كبيرة تُعرف باسم

«الكليات»، وترتبط هي الأخرى مع بعضها بوثيقة أو حجة وقف تحكم العمل داخل هذه المنشآت، وهو تطبيق تاريخي لمفهوم الحوكمة الحديث، وقد انقسمت أنواع العماير الوقفية لنساء القصر العثماني في مدينة إستانبول إلى: عماير خيرية مجانية بغرض التقرب إلى الله ﷻ من خلال قيامها بأداء المناسك الدينية والشريعة، أو تقديم خدماتها بالمجان مثل: المساجد والمدارس والأسبلة ودُور الشفاء ودُور المرق «المطاعم الخيرية»؛ وعماير ربحية كان الغرض منها توفير ريع ثابت يُصرف منه على أنواع العماير الأولى التي لا تدر دخلاً يغطي نفقاتها، ومن أشهر هذه العماير الربحية في عماير النساء بمدينة إستانبول كلٌّ من: الخانات والأراستا التجارية، إلى جانب بعض المحلات الأخرى، وكذلك الحَمَامات العامة، حيث ملكن ثروات طائلة أنفقن معظمها على إنشاء الأوقاف المختلفة، وقد كان يتولى النظارة على هذه الأوقاف المعمارية والعمل بداخلها لنساء القصر العثماني -ولا سيما زوجات وأمّهات السلاطين- «أغا دار السعادة»، وهو رأس العاملين داخل تشكيل الحريم الهمايوني. ومن أهم العماير الوقفية وأشهرها لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول عماير كل من: خرّم خاصكي سلطان، ومهرماه سلطان، ونوربانو سلطان، وصفية سلطان، وماهبيكر كوسم سلطان، وخديجة تورخان سلطان، وغيرهنّ من بنات السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وأمّهاتهم، وتمثّلت عمايرهن المشتملة ضمن دراستنا هذه خلال القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م بمدينة إستانبول في:

- ١- كلية «مجمع العمارة الخيري» جُلفم خاتون (Gülfem Hatun) زوجة السلطان سليمان القانوني بإسكُدار (Üsküdar) (ق ١٠هـ/١٦م).
- ٢- كلية خاصكي خرّم سلطان (Hürrem) بمنطقة أورته بازار (Avratpazarı) (ق ١٠هـ/١٦م).
- ٣- حَمَام خرّم سلطان (Hürrem) بمنطقة السلطان أحمد (Sultanahmet)، والخان الخاص بها في إمينونو (ق ١٠هـ/١٦م).
- ٤- كلية لمهرماه سلطان (Mihrimah) ابنة السلطان سليمان بأدرنة قابي (Edirnekapi) (ق ١٠هـ/١٦م).

- ٥- كلية لمهرماه سلطان (Mihrimah Sultan) بمنطقة إسكُدار (Üsküdar) (ق ١٠هـ/ ١٦م).
- ٦- كلية لنوربانو سلطان (Nurbanu Sultan) زوجة السلطان سليم الثاني ووالدة السلطان مراد الثالث بمنطقة إسكُدار (ق ١١هـ/ ١٧م).
- ٧- كلية ماهبيكر كوسم سلطان (Kösem Sultan) زوجة السلطان عثمان الثاني ووالدة السلطان مراد الرابع بإسكُدار (ق ١١هـ/ ١٧م).
- ٨- خان الوالدة لماهبيكر كوسم سلطان (Kösem Sultan) بمنطقة إمينونو (ق ١١هـ/ ١٧م).
- ٩- كلية أو مجمع الوالدة الجديد لصفية سلطان (Safiye) زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد الثالث، ثم لخديجة تورخان سلطان (Hadice Turhan Sultan) والدة السلطان محمد الرابع بإمينونو (ق ١١هـ/ ١٧م).

ثانيًا: أهم أهداف الدراسة:

- ١- التعرف على مدى الازدهار الاقتصادي والعمراني الذي نعمت به الدولة العثمانية، وإبراز دور الأوقاف الإسلامية، وخاصة النسائية منها في هذا النشاط، خاصة في مدينة إستانبول.
- ٢- تناول طرز هذه المنشآت المعمارية الوقفية المهمة وتنوعها بين الأنماط المختلفة، والتعمق في وصفها وتحليلها ومعرفة أصولها اللغوية والمعمارية، ومقارنتها بالنماذج الأخرى المعاصرة لها، سواء في مدينة إستانبول أم غيرها من المدن العثمانية؛ وذلك للوقوف على أهم ما تميزت به عمارة الوقف في العهد العثماني.
- ٣- تحليل العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني ومقارنتها بما سبقها من عمائر وما تلاها على نحوٍ سواء؛ لمعرفة التطور وأنماط العمائر المتلفة وموقع العمائر الوقفية - موضوع الدراسة- من العمائر الأخرى، وهل كانت لها أصول أم لا؟

- ٤- تناول النقوش الكتابية والزخرفية الموجودة على عوائل النساء الوقفية بإستانبول، والمقارنة فيما بينها من حيث الشكل، والمضمون (ما تحوي عليه الكتابات والزخارف).
- ٥- التعرف على العديد من المصطلحات المعمارية الأثرية والتاريخية الخاصة بالحريم، والعمارة والفنون في العهد العثماني، إضافة إلى مصطلحات الأوقاف والأحباس وحجج الوقف.
- ٦- دراسة ما يخص دراستنا من الوثائق الوقفية لبعض هذه المنشآت، والوقوف على مدى التزام نظار الوقف بشروط الواقفين، وإشراف الدولة على الأوقاف المعمارية والعمل بداخلها في إطار الالتزام بشروط كل وقفية من الوقفيات، إلى جانب الكشف عن مستوى العمل وتقديم الخدمات بهذه العوائل الوقفية، والوقوف على مدى تنظيم الوقفيات والوثائق الوقفية للعمل الوقفي داخل المنشآت، وتحديد عدد الموظفين والعاملين بكل مبنى من المباني الوقفية، وكيفية توزيع الأعباء عليهم، وكيفية تقاضي أجورهم ومرتباتهم... إلخ.
- ٧- التفرقة بين المنشآت والعوائل الوقفية لنساء القصر العثماني من حيث الانتماء إلى منظومة الوقف الإسلامي؛ إذ تنقسم إلى قسمين: أحدهما ربحي يدر دخلاً للمجموعة الوقفية التي ينتمي إليها، مثل: الحمامات العامة، والمنشآت التجارية كالحانات التجارية والأراستا والمحلات وغيرها؛ والثاني خدمي يقدم خدماته بالمجان عن طريق تمويله من مال الوقف، مثل: المساجد والمدارس، والأسبلة، والچشم، ودور المرق، أو المطاعم (العمارات)، وخانات الضيافة الدينية، والتكايا، ودور الشفاء «البيمارستانات».
- ٨- إبراز أثر الوظيفة على تخطيط كل نوع من هذه العوائل الوقفية وعمارته تلبية لاحتياجاته ومكوناته، والربط بين مقاصد الواقفين والوظيفة والتخطيط المعماري وبنية العوائل نفسها؛ للوقوف على مدى ملاءمة التخطيطات المعمارية للمباني لأداء وظائفها، ولا سيما أنها تُدار طبقاً لحجة وقف كل منشأة على حدة.

٩- تناول أنواع العمائر الوقفية وأنشطتها المختلفة خلال عهد الدولة العثمانية، لا سيما تلك التي أنشئت برعاية نساء القصر العثماني على مستوى إجمالي؛ لإدراك أهمية الوقف في العمارة والعمران خلال العهد العثماني.

ثالثاً: الإطار الزمني للدراسة:

تدور الدراسة حول أشهر العمائر الوقفية وأهمها لنساء القصر العثماني خلال القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م، وهي فترة من الأهمية بمكان عُرفت باسم عصر سلطنة الحريم، إذ مثلت المرأة العامل المؤثر في الحياة العمرانية والسياسية في الدولة العثمانية.

رابعاً: الإطار الجغرافي أو المكاني للدراسة:

ترتبط الدراسة ارتباطاً وثيقاً بمدينة إستانبول كونها عاصمة الدولة العثمانية وأهم مدنها السياسية والاقتصادية والعمرانية، ومن ثم فقد مثلت الإطار الجغرافي للدراسة، وقد تطرقت الدراسة إلى نماذج متعددة في مواقع مختلفة، إما لتأصيل العناصر والتخطيطات المعمارية وتطورها، وإما للمقارنة؛ وكلاهما يرتبط بالدراسة بشكل قوي.

خامساً: صعوبات البحث وإشكالياته:

ترجع صعوبات البحث وإشكالياته إلى ضرورة الإطلاع على كل ما كُتب حول الموضوع من قريب أو من بعيد، خاصة المراجع والدراسات المكتوبة باللغة الإنجليزية أو باللغة التركية، وهو ما يشكل صعوبة في جمع المادة العلمية؛ نظراً لصعوبة ترجمة اللغة التركية واختلافها أو تنوعها ما بين التركية العثمانية والتركية الحديثة، إضافة إلى كتابة معظم وثائق الوقف بالتركية العثمانية التي تتخللها بعض المفردات الفارسية القديمة بما يشكل صعوبة مزدوجة في ترجمتها، مما شكّل تكاليف باهظة للحصول أولاً على نسخ من هذه الوثائق ثم في دراستها وترجمتها وتحليلها ومقارنتها.

سادساً: أهم الدراسات السابقة للموضوع:

وأما عن الدراسات السابقة، فإن أهمها في تناول تخطيطات نماذج من تلك العمائر باللغة العربية تمثل في كتابات:

- ١- أ. د. محمد حمزة إسماعيل الحداد، لا سيما في مؤلفه بعنوان «العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية» طبع جامعة الكويت ٢٠٠٢م، وقد طبع مؤخراً بمكتبة زهراء الشرق ٢٠١٩م، وهو يفيد في التحليل والمقارنات.
- ٢- محمد أحمد بهاء الدين ملكه، المنشآت التجارية العثمانية الباقية بمدينة إستانبول حتى أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م (دراسة أثرية معمارية وفنية)، رسالة ماجستير، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، وقد تطرقت إلى المنشآت التجارية فقط خلال الفترة التي تقع فيها الدراسة مع ربطها بالوقف نشأة ورعاية.
- ٣- محمود السيد محمد، المساجد العثمانية الباقية في ضاحية إسكدار بإستانبول في الفترة (٧٥٢-١٢٢٣هـ/ ١٣٥٢-١٨٠٨م) «دراسة أثرية معمارية»، رسالة ماجستير، بكلية الآثار- جامعة سوهاج، ٢٠١٨م، وهي دراسة مهمة تناول فيها الباحث المساجد الباقية في الجزء الآسيوي بإستانبول، ومن ضمنها بعض مساجد نساء القصر العثماني الواقعة في الدراسة.
- ٤- ريهام يحيى عبد العال، عمائر المرأة الدينية بإستانبول في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي «دراسة أثرية معمارية»، رسالة ماجستير بكلية الآداب- جامعة أسيوط، ٢٠١٦م، وقد بذلت الباحثة جهداً كبيراً في تناول عمائر دراستها، غير أن الباحثة قد جانبها الصواب في جميع الاتجاهات الواردة في الرسالة، فبدلت فيما بين واجهة القبلة وباقي الواجهات، ومن ثم فإنه لا يسلم للدراسة في الوصف كله، وقد درجت الباحثة على هذا الأمر؛ لاعتمادها على بعض دراسات المستشرقين والأجانب ممن يجهلون اتجاه القبلة لدى المسلمين كجون فريلي مثلاً، إلى جانب أن الباحثة قد ركزت على الدراسة الفنية أكثر من تركيزها على الجانب المعماري ومواقع المساجد، واختصت رسالتها بالعمائر الدينية فقط في القرن ١٠هـ/ ١٦م، في حين أن دراستنا تشمل أنواع العمائر كافة وربطها بمنظومة الوقف وتحليل مخططاتها وتناول دور الوقف في تطور عمارة وعمران المدن العثمانية عامة، وإستانبول خاصة، إضافة إلى تناول أرباب الوظائف المختلفة والمقارنة فيما بين نصوصها والمرتببات وإسقاط ذلك على واقع المنشآت الوقفية.

وفيما عدا ذلك فقد جاءت مجموعة دراسات أخرى عن أوقاف نساء القصر العثماني، عبارة عن عدد من الأبحاث المنشورة على شبكة الإنترنت، أو حتى بعض الكتب والمراجع التي تقوم بدراسة هذا الموضوع من جهة حضارية تركز غالبيتها على منطقة مكة المكرمة، وإبراز مساهمة النساء في منظومة الوقف العثماني من دون التطرق إلى عمارتها ودورها العمراني في تخطيط المدن، أو مقارنة نأذجها بالمدن الأخرى؛ ومن أهم هذه الأبحاث:

١- فاروق بيليجي، أوقاف النساء في مدينة إستانبول في النصف الأول من القرن السادس عشر، بحث بمجلة أوقاف، السنة العاشرة، العدد ١٩، ذو الحجة ١٤٣١هـ/ نوفمبر ٢٠١٠م.

٢- ماجدة مخلوف (تحقيق وتقديم)، أوقاف نساء السلاطين العثمانيين، وقفية زوجة السلطان سليمان القانوني على الحرمين الشريفين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

وفي الدراسة التحليلية والمقارنات وتأصيل التخطيطات والعناصر المعمارية والفنية، استفاد الباحث من مؤلفات أ. د. محمد حمزة إسماعيل الحداد استفادات جمة، وكتابات الأستاذة العلماء: حسن الباشا، سعاد ماهر، محمد عبد العزيز مرزوق، فريد شافعي، وغيرهم الكثير، ومن أهم الرسائل العلمية التي استفاد منها الباحث كثيراً، رسالة الدكتوراة للأستاذ الدكتور جمال صفوت، وغيرها نحو:

- جمال صفوت سيد، العمائر الدينية في غرب الأناضول إبان عهد الإمارات «دراسة آثارية معمارية وفنية»، رسالة دكتوراة بكلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م
- أميرة فتحي السباعي، الجامع المدرسة في إستانبول خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م

وأما الدراسات الأجنبية عامة، والتركية خاصة فهي دراسات مهمة للغاية، لا سيما المؤلفات العامة حول العمارة العثمانية أو عمائر المعمار سنان بصفة خاصة، ومن أهم الدراسات القيمة دراسات كل من: عبد الله كوران، أصلان أبا، ماتين سوزان،

دوجان كوبان، جودفري جودوين، سعود كمال ياتكين، تحسين أوز، جون فريلي، محمد نرمي خاصكان، أحمد رفيق، جورلو نجيباًوغلو، إيفردي، يوكسل آيدن، وغيرهم.

إلا أن أهم هذه الدراسات؛ دراسة: LESLIE P. PEIRCE عن الحريم السلطاني في العهد العثماني باللغة الإنجليزية، وهي دراسة عن حياة الحريم العثماني، ومراحل حياتهنّ في قصر طوبقاي سراي، ودراسة: FIRUZAN MELİKE SÜMERTAS عن دور المرأة العثمانية ورعايتها للفنون والعمارة، وعلى أهمية هذه الدراسة إلا أنها تقتصر على ذكر توصيف لبعض عمائر النساء، خاصة في القرن ١٠هـ/١٦م، وقد جاءت الدراسة مجملة من دون وصف وتحليل أو مقارنة للعناصر المعمارية والفنية وإبراز الدور المعماري والعمراني لهذه الأوقاف المعمارية الكبرى، وربط العمائر بمنظومة الوقف العثماني وأثر ذلك في تعمير المدينة، إلى جانب عدم دراسة ونشر وقفيات ووثائق هذه المنشآت والاستفادة بها، أو حتى ذكرها من قريب أو من بعيد بما يتعلق بمنظومة الوقف المعماري في العهد العثماني.

أما وثائق الوقف التي قام الباحث بدراستها والاستفادة منها في الرسالة:

- ١- وثيقة وقف السلطان محمد الفاتح لمجمعه بإستانبول.
 - ٢- صورة وقفية خاصكي خرم سلطان لمجمعها بمنطقة أورتا بازار (عورت بازار).
 - ٣- صورة وقفية مهرماه سلطان لمجمعها الوقفي بإسكدار.
 - ٤- وقفية نوربانو سلطان لمجمعها بإسكدار.
 - ٥- وقفية خديجة تورخان سلطان لمجمعها الوقفي بإمينونو.
- ومن أهم الدراسات الأجنبية التي استفاد منها الباحث:

- 1) Bekir Yilmazörnek, Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi, Yüksek Lisans Tezi, T. C. İstanbul Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 2010.
- 2) Nemlioğlu (Candan):Üsküdar, Atik Valide Camii Özgün Kalem İşleri Ve Turk-Islam Bezeme Sanatındaki Yeri, Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmalı Merkezi, Part 1, Cilt 1, İstanbul, 2004,

- 3) Kuran (Aptullah): Üsküdar Atik Valide Külliyesinin Yerleşim Düzeni Ve Yapım Tarihi- Zerine, Suat Kemal Yetkin Armağani, Ankara, 1984.
- 4) _____: Mimar Sinan, Hürriyet Vakfi Yayinlari, Istanbul, 1986.
- 5) _____, Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture, Ada press publishers, 1987.
- 6) Goodwin (Godfrey): A History Of Ottoman Architecture, London, 1997.
- 7) Freely (John): A History Of The Ottoman Architecture, Wit Press, USA, 2011.
- 8) Sumner- Boyd (Hillary)& Freely (John): Strolling Through Istanbul, The Classic Guide To The City, Revised And Updated Edition, Republished By Tauris Parke Paperbacks, London, 2010.
- 9) Thys- Şenocak (Lucienne): Ottoman Women Builders: The Architectural Patronage Of Hadice Turhan Sultan, Ashgate Publishing Company, Usa, 2006.
- 10) Ünsal (Bahçet): Turkish Islamic Architecture In Seljuk And Ottoman Times 1071- 1923, London, Alic Tiranti, 1970.
- 11) Kaplan (Gülcan), Üsküdar Atik Valide Sultan Camii Çinileri, Yüksek Lisans Tezi, T. C. Fatih Sultan Mehmet Vakif Üniversitesi, Güzel Sanatlar Enstitüsü, Istanbul, 2015.
- 12) Kuban (Doğan): Ottoman Architecture, Translated By Adair Mill, Antique Collectors' Club, Istanbul, 2007.
- 13) Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi <http://www.islamansiklopedisi.info/>
- 14) Özen (Özlem), The Atik Valide Complex In Üsküdar, Istanbul, Tez Yüksek Lisans, Boğaziçi University Institute Of Social Sciences, 2002.
- 15) Kayaalp- Aktan (Pinar), The Atik Valide Mosque Complex: A Testament Of Nurbanu, Prestige, Power And Piety, The Center For Middle Eastern Studies, Harvard University, 2005.
- 16) Hakky (Rafee), The Ottoman Külliye Between The 14th And 17th Centuries, Its Urban Setting And Spatial Composition, Ph.D , Virginia Polytechnic Institute And State University, 1992.

وأما بقية المصادر والمراجع فتأتي في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة.

سابعاً: منهج الدراسة وتقسيمها:

اتبع الباحث في دراسته المنهج العلمي التاريخي والأثري الذي يشتمل على المنهجين (الوصفي والتحليلي)، فأما الوصفي فقد قام الباحث بوصف المنشآت الوقفية وصفاً شاملاً معمارياً وفنياً، وقام بالتركيز على عمارة المساجد باعتبارها بنية الوقف الأولى والأساسية، ومن ثم فقد اهتم بتناول نموذج أو اثنين من كل نوع من أنواع العمائر الوقفية التي تدخل في إطار الدراسة بشكل مفصل، ثم أجمل في نهايتها المتكررة، وقام بتناول مصطلحاتها ودراستها، وأما المنهج التحليلي فقد اتبعه الباحث في تحليل علاقة الوقف بإنشاء العمائر من ناحية، وعلاقته بتطور عمران المدن، بل ونشأة مدن جديدة من ناحية ثانية، ثم تحليل طرز العمائر الوقفية وأنماطها الموجودة داخل الدراسة، وأهم عناصرها المعمارية والزخرفية، وقام الباحث بعمل ملحق تناول فيه أرباب الوظائف العاملة داخل المباني الوقفية (قيد الدراسة) ومرتباتهم وشروط تولي كل وظيفة ومهامها، فضلاً عن لائحة الترقيات وأسلوب التدرج الوظيفي، واللائحة المالية ونظام المحاسبات، مع الكشف عن مصطلحات جديدة ينبغي تعميمها على العمائر الإسلامية من واقع النصوص الوقفية.

وقد جاءت الرسالة في مقدمة وتمهيد وبابين رئيسين، ينقسم كل منهما إلى عدد من الفصول تبعاً لما يلائمهما، وتُختتم الرسالة بملحق يليه خاتمة الرسالة وأهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع التي استفاد منها الباحث.

The background features a large, light gray circle in the center, surrounded by a decorative border. The border consists of a vertical gray bar on the left and right sides, and a top and bottom section with intricate, symmetrical floral and scrollwork patterns in a light gray color. The central circle is empty, serving as a focal point for the text.

التمهيد

التمهيد

أولاً: تعريف الوقف ومشروعيته:

الوقف في اللغة يعني الحبس، ويقال وقف وقفاً أي حبس حبساً^(١)، والوقف مصدر وقف يقف، ووقفته، ووقفت الدار حبستها في سبيل الله، وشيء موقوف ووقف تسميةً بالمصدر، والجمع أوقاف، مثل ثوب وأثواب^(٢)، وفي الشرع هو حبس الأصل وتسبيل الثمرة أو المنفعة^(٣)، ومعنى تحييس الأصل أي المنع من الإرث والتصرف في العين الموقوفة بالبيع أو الهبة أو الرهن أو الإجارة أو الإعارة ونحو ذلك، وأما تسبيل المنفعة فهو صرفها في سبيل الله على الجهة التي عينها الواقف من دون عوض، فالوقف حبس مؤبد ومؤقت لمالٍ للانتفاع المتكرر والدائم به أو بثمرته في وجه من وجوه البر التي يحددها الواقف^(٤)، قال النووي في تهذيب الأسماء والصفات: «الوقف والتحييس والتسبيل بمعنى واحد وهي الصدقة المعروفة، وهذه ألفاظ صريحة فيها، والوقف - في اصطلاح العلماء - عطية مؤبدة بشروط معروفة وهي مما اختص به المسلمون»^(٥)، وقد عرفه البابرقي^(٦) أحد فقهاء الحنفية بقوله: «هو حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة»^(٧)، كما عرفه محمد بن عرفة

(١) ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، دار المعارف، القاهرة، طبعة بدون تاريخ، ج٩، ص٣٥٩.

(٢) ينظر: كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، محمد نجيب المطيعي، ج١٦، وهو الجزء الخامس من تكملة هذا الشرح، مكتبة الإرشاد، جدة، المملكة العربية السعودية، طبعة بدون تاريخ، ج١٦، ص٢٤٣.

(٣) ينظر: فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٣م، ج٣، ص٣٠٧.

(٤) ينظر: الوقف الإسلامي: تطوره وإدارته وتنميته، منذر قحف، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٦٢؛ وقيم الوقف والنظرية المعاصرة - صياغة معاصرة، نوبي محمد حسن، مجلة أوقاف، السنة الخامسة، العدد ٨، مايو ٢٠٠٥م، ص١٦.

(٥) كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، محمد نجيب المطيعي، ج١٦، ص٢٤٣.

(٦) هو أكمل الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمود (٧١٤-٧٨٦هـ/١٣١٤-١٣٨٤م)، علامة بفقهاء الحنفية وعارف بالأدب، ونسبته إلى بابرقي ببغداد أو بابرقي بتركيا، رحل إلى حلب لتلقي العلم ومنها إلى القاهرة إلى أن توفي فيها. ينظر: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، مج٧، ص٤٢.

(٧) العناية شرح الهداية، أكمل الدين البابرقي، طبعة بدون تاريخ، ج٨، ص٣١٩.

المالكي^(١) بأنه: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاءه في ملك معطيه^(٢)، وعرف فقهاء الشافعية الوقف على أنه: «حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، بقطع التصرف في رقبته وتصرف منافعه إلى البر تقرباً إلى الله تعالى»^(٣).

والوقف كيان إسلامي يضمن استمرارية الإنفاق والنفع، وهو مظهر للحب والشفقة والرحمة من الخالق ﷻ إلى المخلوقات بتشريعه في الإسلام، ويعبر عنه أيضاً بأنه: «إنفاق المال في سبيل الله ﷻ واستخدامه من أجل غاية معنوية أبدية تمنع التملك والتملك»، وقد بدأ الوقف أول ما بدأ في التاريخ في الأماكن التي يتعبد فيها الناس، ثم توسع بعد ذلك ليدخل فيه العديد من الساحات الاجتماعية الأخرى، ويُذكر أن «إبراهيم عليه السلام» كان قد خشع أمام جبريل عليه السلام لما ذكر لفظ الجلالة أمامه ثلاث مرات متتالية، فقام إبراهيم عليه السلام بوهب جميع قطعانه لله، فباعها كلها، واشترى أرضاً فسيحة قدمها لخدمة المسلمين (أتباع الحنيفة)، وبذلك يكون الوقف قد بدأ بسيدنا إبراهيم عليه السلام^(٤).

وقد شرع النبي ﷺ الوقف وكان أول من وقف، وكان أول ما وقفه الرسول ﷺ أراضٍ «مخريق»، لما أوصى بها إلى النبي ﷺ فجعلها وقفاً^(٥)، وذلك حينما قُتل مخريق على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان قد أوصى:

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عرفة المالكي (٧١٦-٨٠٣هـ/١٣١٦-١٤٠٠م) إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، مج ٧، ص ٤٣.

(٢) ينظر: شرح الخرشي «وهو شرح على المختصر الجليل لأبي ضياء سيدي الخليل»، أبو عبد الله محمد الخرشي، مطبعة بولاق، القاهرة، ط ٢، ١٣١٧هـ، ج ٧، ص ٧٨.

(٣) تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، عبد الرؤوف المناوي، مخطوط محفوظ في مكتبة الأزهر الشريف تحت رقم ٥٥٨١/٧٠٩، ص ٣؛ والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٢٦؛ والوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، عكرمة سعيد صبري، دار النفائس، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٣٦؛ وروائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، شركة نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٣٢-٣٣.

(٤) ينظر: العثمانيون - رجالهم العظام ومؤسستهم الشاخنة، عثمان نوري طوباش، ترجمة: د. محمد حرب، مراجعة وتصحيح: محمد أوقومش، دار الأرقم للطباعة والنشر، إستانبول، ٢٠١٦م، ص ٥٩٠.

(٥) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، مج ١٨، ص ٧؛ والأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، عبد الله محمد سعد الحجيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١١م، ص ٢٨-٢٩، ص ٤١.

إن أصيب فأمواله لرسول الله ﷺ، فقبضها النبي ﷺ وتصدق بها^(١)، وبأشرف النبي ﷺ النظر في شؤون صدقاته، وجعل مولاه أبا رافع والياً عليها، فكان يأخذ منها كفايته وكفاية أهل بيته لمدة عام، ويصرف الباقي صدقات في مصالح المسلمين، كما ثبت أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى نظارة بعض أموال النبي ﷺ^(٢)، ثم وقف النبي ﷺ سبع حدائق نخيل في المدينة المنورة، ووقف بعدها حصته من مزارع نخيل خيبر وفدك^(٣)، وقد ورد عند نزول قول الله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ نُنْفِقُوا مِمَّا مَحْبُورٌ﴾^(٤) كما جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو طلحة الأنصاري أكثر الأنصار بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه «بیرحاء» وكانت مستقبلة المسجد، فلما نزلت الآية قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن أحب أموالي إليّ بیرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال النبي ﷺ: «بخ بخ، ذاك مال رابح، ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه^(٥).

ووقف من استطاع من الصحابة رضوان الله عليهم، فعمد زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى فرس يقال له «سبل»، وقال: «اللهم إنك تعلم أنه ليس لي مال أحب إليّ من فرسي هذه، فجاء بها إلى النبي ﷺ فقال: هذه في سبيل الله»^(٦).
وتصدق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمالٍ على عهد رسول الله ﷺ، وكان يقال له: «ثمغ» وكان نخلاً، فقال عمر: يا رسول الله، إني استفدت مالا وهو عندي نفيس، فأردت أن أتصدق به، فقال النبي ﷺ: «تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن يُنفق ثمره»، فتصدق به عمر^(٧)، ووقف أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داراً له بالمدينة، فكان إذا قدم

(١) ينظر: أحكام الأوقاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني الخفاف، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢ هـ، ص ١.

(٢) ينظر: الأوقاف النبوية، عبد الله محمد سعد الحجيلي، ص ٥٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٠-٣٢.

(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٩٢.

(٥) ينظر: صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م، حديث رقم ٢٧٥٨.

(٦) صحيح البخاري، الإمام البخاري، حديث رقم ٢٧٦٤.

(٧) ينظر: المرجع السابق، حديث رقم ٢٧٥٦.

المدينة نزلها، فجعل لنفسه فيها منفعة كواحد من المسلمين، ووقفَ الزبير دورًا له على أولاده، وقال للمطلقة من بناته أن تسكن غير مضرّة ولا مضرّ بها، فإن استغنت بزوج فليس لها حق فيها^(١)، ووقفَ غيرهم من الصحابة مما لا يتسع المقام لذكره، فالشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى، حتى ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قوله: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ذو مقدرة إلا وقف»^(٢).

ويدخل في باب الوقف خصال الخير جميعًا، وقد أنشد الإمام السيوطي أبياتًا للدلالة على ذلك قائلاً:

إذا مات ابن آدم ليس يجري	عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل	وغرس النخل والصدقات تجري
وراثه مصحف ورباط ثغر	وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي	إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم	فخذها من أحاديث بحصر ^(٣)

ومعلوم أن الأوقاف الإسلامية تتضمن أشكال البر كافة، مثل: التعليم وتحفيظ القرآن وبناء المدارس والكتاتيب ونسخ الكتب وإنشاء المساجد، وإطعام الطعام وبناء السقايات والأسبلة وحفر القنوات وبناء الفنادق والخانات داخل المدن وعلى الطرق لضيافة الغرباء والمسافرين والفقراء، إضافة إلى إنشاء التُّرب والمدافن، والنفقة على المجاهدين في سبيل الله وإنشاء الأربطة على الثغور، والوقف على افتكالك الأسرى وعتق العبيد، وصولاً إلى الوقف على الحيوان والطيور، وغير ذلك مما أبدعت فيه - ولا تزال - الأوقاف الإسلامية عبر تاريخها الطويل.

وليس من حاكم أو قائد مسلم مقتدر إلا وحرص على المساهمة في الوقف، وظل

(١) ينظر: الوقف الثقافي والعلمي - أهيمته وأنواعه، أحمد بن عبد العزيز الحداد، ضمن أبحاث ندوة «الوقف الإسلامي» التي نظمتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة من ٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م، فندق إنتركونيننتال العين، الإمارات العربية المتحدة، ص ٥.

(٢) المغني، موفق الدين أبو محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٩٨١م، ج ٥، ص ٥٩٨؛ والأوقاف النبوية، عبد الله الحجيلي، ص ٦١-٦٢.

(٣) ينظر: الوقف في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بنعبد الله، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٠٦-١٠٧.

المسلمون عبر تاريخهم المجيد يعطون الأوقاف المكانة اللائقة بها، وذلك لما يؤملونه من الحصول على الأجر ورضى الله عَزَّوَجَلَّ، بل اعتبروها باباً عظيماً من أبواب الإنفاق المشروعة في الإسلام، إذ لعب الوقف طوال عصور التاريخ الإسلامي دوراً كبيراً في التكافل الاجتماعي وسد ثغرات جليلة من إنشاء المساجد والمدارس والمستشفيات، ونسخ القرآن الكريم وكتب العلم، وغير ذلك^(١).

ثانياً: مكانة النساء وأوقافهن قبل العهد العثماني:

١ - مكانة المرأة في الإسلام:

رفع الإسلام من شأن المرأة، واعترف بمكانتها وكرامتها الإنسانية، وأعطاهما وكفل لها حقوقها كافة، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم بذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٢)، ومنحها الله عَزَّوَجَلَّ الحق في التعليم، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَأذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(٣)، فتمتعت المرأة بمكانة متميزة في العصر الإسلامي^(٤)، وإذا أمعنا النظر فيما كتبه المؤرخون في مصنفاتهم التاريخية وكتب التراجم لوجدنا طائفة كبيرة من العالمات والمحدثات الشهيرات ممن تبوأن مكانة علمية رفيعة، ومنزلة اجتماعية مرموقة، وكانت المرأة عالية الهمة والشرف، جليلة المقام، ذاكرة لعلم الحلال والحرام، متمكنة في مقام الورع والوعظ والإرشاد، مجتهدة في الطاعات والعبادات، منقطعة لسبيل الأعمال الصالحات، مواظبة على تعليم كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وتمتعت المرأة بمكانتها في الإسلام منذ بيعة العقبة الثانية التي مهدت لهجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبادرت المرأة بالهجرة كما بادر الرجل، بل وشاركت في صنع الحدث قدر استطاعتها، فكانت أهلاً لتؤتمن على سر هجرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كعائشة وأسماء

(١) ينظر: المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية، محمد الصادق عفيفي، نشر: المؤلف، ١٩٨٠م، ص ٧٠.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية رقم ٣٤.

(٤) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، القاهرة، (١٩١٣-١٩١٩م)، ج ٧، ص ١٦٦؛ وبدايع الزهور في وقائع الدهور، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٢-١٩٨٤م، ج ١، ص ٢٠٩.

بنتي أبي بكر رضي الله عنه جميعاً، وكان إسهام المرأة على قدر إمكاناتها وطاقتها وقدراتها^(١)، وساهمت المرأة في الجهاد ونشر لواء الإسلام وكان لها دور عظيم في خدمة المجاهدين وتمريضهم، وأحياناً حملت السيف دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما فعلت أم عمارة رضي الله عنها. اختلطت المرأة بالجمهور في عهد الخلفاء الراشدين (١١-٤١هـ/ ٦٣٢-٦٦١م) وحضرت خطب الخلفاء ومحاضراتهم، واشتهر من النساء في هذا العصر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي ضربت بسهم وافر في الفقه والرواية والأدب، وقادت جند المسلمين يوم الجمل، واشتهرت عكرشة بنت الأطرش باشتراكها في الحرب الأهلية التي أوقعها المنافقون بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، إذ كانت تحرض الجند على معاوية^(٢)، وفي الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٩٤م) اشتهرت أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك بفصاحتها وبلاغتها وقوة حجتها، وكان الوليد يستشيرها في أمور الدولة، وكانت سكينه بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما سيدة نساء عصرها ومن أظفهرهن وأحسنهن أخلاقاً، وقد اجتمع إليها يوماً فحول الشعراء كجريد والفرزدق وكثير وجميل ونصيب، فانتقدت شعر كل منهم، ثم أجازت كلاً بألف دينار^(٣).

وقد تبوأَت المرأة في الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٩٤-١٢٥٨م) مكانة كبيرة في الشؤون السياسية، ولا سيما في بغداد باعتبارها عاصمة الخلافة العباسية^(٤)، واعتمد الخليفة المنصور على النساء في جمع الأخبار عن أعدائه وخصومه، وشغلت المرأة مناصب عالية، منها القضاء؛ إذ تولت أم الخليفة العباسي المقتدر رئاسة محكمة استئناف بغداد^(٥)، وفي عهد الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٩م) زاد إقبال الناس على الجوارى وتعليمهن بما أثر على مختلف جوانب الحياة، مما أدى إلى زيادة تحرر المرأة واندفاعها للمشاركة في شؤون الحياة المختلفة، وكان لتدخل زبيدة في عهده دور كبير

(١) ينظر: الحضارة العربية الإسلامية، علي حسن الخربوطلي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص١٢٩.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٤٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ج١، ص٤٤٥؛ وإسهام المرأة في المجال العمراني والثقافي في العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ/ ١١٧٤-١٢٦٠م)، أحمد رضا أحمد عمر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، العدد الأول، ٢٠١٦م، ص٦.

(٤) ينظر: الدور العلمي للمرأة في التراث البغدادي (العهد العباسي أنموذجاً)، رشا عيسى فارس، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الرابع، ٢٠١٧م، ص٤٠٠.

(٥) ينظر: تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ج٢، ص٦٠١.

في جعله من أزهى عهود الخلافة العباسية، واعتمد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) على العنصر النسائي في تسيير الأعمال ولا سيما في نزاعه مع أخيه الأمين، حيث كان يرسل البريد داخل أعواد منقورة مع النساء^(١)، ولما عرفت المرأة مكانتها التي جباها الله لها في الإسلام تجرأت على المطالبة بحقوقها والدفاع عن قضاياها، بل وتدخلت حتى في أمور الدولة من سياسة واقتصاد وعمران وغير ذلك، وتشهد أحداث تاريخية عدة بمواقفها وأدوارها، ففي عهد الدولة الفاطمية دافعت المرأة عن حريتها، ومن ذلك ما قامت به النساء الفاطميات من تقديم رقاع بأنفسهن للحاكم الفاطمي «الحاكم بأمر الله» (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) يشرن فيها إلى عدم وجود من يقوم بخدمتهن، وأن فيهن من لا زوج لها، وكان ذلك ردًا عليه، حينما منع النساء من الخروج من منازلهن^(٢).

لم يقتصر دور النساء على البيوت والخدمة، بل برزت منهن سيدات لعبن أدوارًا بارزة في الحياة السياسية والاقتصادية والحياة العامة بمختلف جوانبها، ومن أمثلتهن «ست الملك» شقيقة الحاكم الفاطمي «الحاكم بأمر الله»، والسيدة «رصد» أم الحاكم الفاطمي «المستنصر»^(٣)، وقد تزعمت المرأة أحداثًا فارقة في التاريخ، منها: تزعمها لبعض المظاهرات في أثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧١م)، وانتقادها سياسة الدولة بسخرية، مما جعل الحاكم الفاطمي «المستنصر» يعيد النظر في الأمور التي كانت مسار اعتراض منهن^(٤).

أما في الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) فقد وصلت المرأة إلى

(١) ينظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٠١.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤م، ج ١٢، ص ٩؛ والمواظ والاعتبار بذكر الخط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، طبعة بولاق، ١٢٠٧هـ، ج ٢، ص ٢٨٧-٢٨٨؛ والمرأة في مصر في العصر الفاطمي، نريان عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٩٠.

(٣) ينظر: سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢-١١٧١م)، نهلة أحمد عبد الباقي؛ عليان عبد الفتاح الجالودي، بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٧، العددان (٢)، (٣)، ٢٠١٣م، ص ٣٠-٥٠.

(٤) ينظر: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيبان، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٥-٢٦؛ وامرأة مصرية تتزعم مظاهرة، عبد المنعم ماجد، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧٧م، العدد ٢٤، ص ٣٧.

مكانة مرموقة وخاصة في نهاية عهد الدولة، وتمثل ذلك في اعتلاء شجرة الدر حكم مصر، وبرزت أسماء لامعة مثل «ست الملك بنت أيوب بن شادي»، وكانت كثيرة النفقة في الخير^(١) يقصدها الناس فتعطيهم، ولما ماتت دفنت بجوار مدفن الإمام الشافعي^(٢)، ولما علت مكانة المرأة بدأت تُنعت بألقاب فخرية، مثل لقب خاتون^(٣) الذي تلقت به أكثر من امرأة (مثل: غازية خاتون، وفاطمة خاتون ابنة الملك الكامل بن العادل).

٢- أوقاف النساء منذ عهد الرسول ﷺ حتى الخلافة العباسية:

من الثابت أن الرسول ﷺ شرع الوقف، وكان أول من وقَّفَ (كما سبق القول)، ثم وقَّفَ مَنْ استطاع من الصحابة رضوان عليهم أجمعين، ولم يكن أمر الوقف قصرًا على الرجال من أصحاب النبي ﷺ، بل هناك من نساء المسلمات الأوائل ممن وقَّفن أموالًا أو عقارات أو غيرها، وكانت أمهات المؤمنين أزواج الرسول ﷺ من أوليات من وقَّفن، فمنهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ إذ روى ابن أبي مليكة أنها اشترت دارًا وكتبت في شرائها: «إني اشتريت دارًا، وجعلتها لما اشتريتها له، فمنها مسكن لفلان ولعقبه ما بقي بعده إنسان، ومسكن لفلان (وليس فيه: ولعقبه)^(٤)، ثم يردُّ ذلك إلى آل أبي بكر»^(٥)، وتصدقت أم سلمة رضي الله عنها صدقة حبسًا لا تباع ولا توهب، ووقَّفت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها؛ إذ تصدقت على مواليتها وعلى أعقابهم وعلى أعقاب أعقابهم حبسًا لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدقت صفية بنت حيي بن أخطب بدارها لبني عبدان صدقة حبسًا لا تباع ولا تورث حتى يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، وشهد على صدقتها نفر من أصحاب الرسول ﷺ^(٦).

(١) ينظر: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أحمد بن إبراهيم أبو البركات الحنبلي (ت: ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٤١.

(٢) ينظر: شفاء القلوب، أحمد أبو البركات، ص ٣٤١.

(٣) وهو لفظ تركي معناه: السيدة، وهو يشير إلى الجليلات من النساء، خصوصًا أميرات الأسر الحاكمة. ينظر: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٤) أي: وقفته على هؤلاء فقط من دون ذريتهم.

(٥) أحكام الأوقاف، أبو بكر أحمد الخصاف، ص ١٣.

(٦) ينظر: أحكام الأوقاف، أبو بكر أحمد الخصاف، ص ١٣.

وَوَقَّتْ أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها حلياً ابتاعتها بعشرين ألفاً على نساء آل الخطاب للبسه وإعارته، فكانت لا تُخرج زكاته^(١)، ولم يقتصر دور حفصة رضي الله عنها على المساهمة في الوقف بل قامت بإدارة وقف أبيها عمر بن الخطاب t (لتصبح أول ناظرة على الأوقاف في الإسلام)، بناءً على وصية أبيها (وهي أول حجة وقف في الإسلام)، إذ ذكر فيها: «هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين إن حدث به حدث الموت؛ أن تمغا، وصرمة بن الأكوع، والعبد الذي فيه، والمائة سهم بخير ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمه النبي صلى الله عليه وسلم بالوادي؛ تليه حفصة ما عاشت، ثم إلى ذوي الرأي من أهلها، أن لا يباع ولا يشتري، ينفقه حيث يرى من السائل والمحروم وذوي القربى، ولا حرج عليه إن أكل أو أكل واشترى رقيقاً منه»^(٢).

ومع اتساع الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام في بقاع كثيرة زادت الحاجة إلى الوقف باعتباره راعياً حياً لكثير من القضايا التي تعجز الدولة عن مواجهتها؛ فزادت الأوقاف خلال العهدين «الأموي والعباسي» زيادة كبيرة أسهم فيها الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيين، وأقبلت المرأة على الوقف إقبالاً مشهوداً، فقد وقفت أم موسى الحميرية - زوجة الخليفة أبي جعفر المنصور - الضيعة المعروفة باسم «الرحبة» التي أقطعها لها المنصور، ووقفتها قبل موتها على المولِّدات؛ الإناث من دون الذكور^(٣)، وأنشأت البهاء بنت عبد الرحمن الثاني (حكم: ٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢-٨٥٢م) - زمن الإمارة الأموية في الأندلس - مسجداً في الرصافة^(٤).

وقد تميزت الخلافة العباسية بانتشار الأوقاف وشموليتها لجميع مناحي الحياة، فشملت الأوقاف الصحية والاجتماعية والعلمية وغيرها، وكان حضور المرأة قوياً وبارزاً في الوقف، ولا يزال - إلى اليوم - وقفُ عين زبيدة بنت جعفر المنصور وزوجة

(١) ينظر: المغني، موفق الدين ابن قدامة، مج ٦، ص ٣٥.

(٢) الأوقاف النبوية، عبد الله محمد الحجيلي، ص ١٠٦؛ ومساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي (نماذج عبر التاريخ)، عفاف عبد الغفور حميد، بحث مقدم إلى مؤتمر «أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية»، تنظيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، في الفترة من ٦-٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ / ٩-١٠ مايو ٢٠١١م، ص ٧؛ والمرأة والوقف.. العلاقة التبادلية (المرأة الكويتية أنموذجاً)، إيمان محمد الحميدان، الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠١٦م، ص ٣٥.

(٣) ينظر: المرأة والوقف، إيمان الحميدان، ص ٣٧.

(٤) ينظر: وقف المرأة في عالم الإسلام (مقاربة جديدة لمكانة المرأة في الإسلام)، محمد الأرنؤوط، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤م، ص ١٢-١٣.

هارون الرشيد شاهداً على ذلك، وهي عين ماء في مكة، جلبت لها الماء من أقصى وادي نعمان شرقي مكة وأقامت له الأفنية حتى أبلغته مكة^(١)، إضافة إلى درب زبيدة الشهير للحج، وكانت بدايته من الكوفة وصولاً إلى مكة المكرمة؛ والذي أنفقت في سبيله آلاف الآلاف من الدراهم والدنانير^(٢).

٣- أوقاف النساء خلال العهد الفاطمي:

اهتمت الدولة الفاطمية بإنشاء الأوقاف والعمائر الخيرية، لا سيما أنه كانت للأوقاف مقاصد سياسية تهدف إلى كسب تعاطف الناس وولائهم، ومن ثم إضفاء شرعية على حكمهم للمناطق التي حكموها، وأقامت نساء الدولة الفاطمية كثيراً من الأوقاف المعمارية والخيرية، ويُنسب لهن عدد من المنشآت العمرانية، فقد قدّمت السيدة تغريد زوجة الحاكم الفاطمي «المعز» والدة «العزیز بالله» الكثير من هذه الأوقاف، حيث شيّدت جامع القرافة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م^(٣)، وهو ثاني مسجد أنشئ بالقاهرة في الدولة الفاطمية بعد الجامع الأزهر، ولكنه خرب مع حريق الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م^(٤)، كما شيّدت منازل العز قبل وفاتها سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، وكانت من أحسن متزهات مصر بإطلالتها على نهر النيل، كما أنشأت السيدة عَلم الأمرية زوجة الحاكم الفاطمي «الأمير بأحكام الله» عددًا من المساجد والمشاهد من بينها مسجد النارج^(٥) سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، ومشهد السيدة رقية سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م^(٦)، ويتضح من أعمالها أنها كانت امرأة خيرة، وكانت تبعث بالصدقات إلى البيوت الفقيرة، وكذلك اهتمامها بالعجائز والأرامل إذ قامت

(١) ينظر: المرأة والوقف، إيمان الحميدان، ص ٣٨.

(٢) ينظر: درب زبيدة أبرز طرق الحج في التاريخ، سامي الصفار، مجلة هدي الإسلام، الأردن، المجلد ٥٠، العدد ٩، ٢٠٠٦م، ص ٩٣-١٠٢.

(٣) ويعرف بجامع الأولياء، وهو بالقرافة الكبرى، ينظر: نصوص من أخبار مصر، الأمير جمال الدين أبو علي موسى المأمون البطائحي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، طبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، طبعة بدون تاريخ، ص ٦٣، حاشية رقم (٤) كتعليق للمحقق؛ المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٣١٨-٣٢٠؛ وسيدات القصور ودورهن، نهلة عبد الباقي، عليان الجالودي، ص ٥١، وحاشية رقم ١٩٠ بالصفحة نفسها.

(٤) ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٥) يقع بجانب القرافة الكبرى مطلاً على بركة الحيش، سمي بذلك لأن نارنجه (برتقاله) لا ينقطع أبداً، ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٦) ينظر: سيدات القصور ودورهن، نهلة عبد الباقي، عليان الجالودي، ص ٥١.

ببناء رباط لإقامتهنّ، ولكون هذه المرأة تنفق الكثير على منشآتها وأعمالها الخيرية فقد كانت تتحين الفرصة للحصول على الأموال من الحاكم الفاطمي «الأمر بأحكام الله» الذي ما كان ليرد لها طلباً^(١).

وشيّدت إحدى زوجات الحاكم الفاطمي «الحافظ» مسجد جهة ريجان، وريجان هذا كان أستاذًا يقوم بخدمتها، وقام -بناءً على أوامرها- بتجديد المسجد سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م^(٢)، ومسجد جهة بيان الذي شيّدته إحدى جواري القصر الفاطمي وكانت زوجة الحاكم الفاطمي «الحافظ» أيضاً، وقد شيّد رجل يعرف باسم ابن الموفق، ولم يقتصر إسهام المرأة الفاطمية في مجال الوقف وبناء المساجد على زوجات السلاطين فقط، بل وُجد العديد من نماذج المساجد التي بنيت بعد ذلك من قبل نساء أخريات كزوجات الوزراء، ومن أمثلة ذلك: مسجد أم عباس الذي أنشأته امرأة مغربية الأصل تدعى «بلارة»، تزوجت من ابن السلار (الذي كان وزيراً في عهد الحاكم الفاطمي «الفائز»)، وهي أيضاً أم عباس الذي نافس ابن السلار وأخذ منه الوزارة سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م بعد أن قتله، وقد أقامت المسجد غربي المقابر في القرافة الكبرى سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م^(٣)، وقد تنوعت أوقاف النساء في العهد الفاطمي بمصر ولم تقتصر على أوقاف المساجد، فشيّدت الأربطة والمصليات الصغيرة إلى جانب الأحواض كنوع من الأوقاف الخيرية لماء الشرب، وذلك لتغذية الأماكن البعيدة عن نهر النيل بالماء اللازم لحياة الناس والدواب على حد سواء، ومن أحواض الماء الوقفية التي أنشأها المرأة الفاطمية حوض القرافة، الذي أنشأته ست الملك عمّة الحاكم الفاطمي «الحاكم» وابنة «المعز» سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٢م، وحوض داخل قصر أبي المعلوم للسيدة تغريد أم الحاكم الفاطمي «العزیز بالله» سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، فيما ذكرت آراء أخرى أنه بني من قبل الحاكم الفاطمي «العزیز» نفسه^(٤).

(١) ينظر: المرأة في العصر الفاطمي، نريان عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٤١-٤٢.

(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٣) ينظر: المرأة في العصر الفاطمي، نريان عبد الكريم، ص ٦٤.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٦٧-٦٨.

٤ - أوقاف النساء في الدولتين «الزنكية والأيوبية»:

زادت الأوقاف في ظل الخلافة العباسية زيادة كبيرة، لا سيما في الدول المستقلة عنها اسمياً، سواء في الشام ومصر أم في بلاد المغرب العربي، فمن أمثلة الأوقاف النسائية في الدولة الزنكية وقَفُ المدرسة الخاتونية البرانية، الذي أقامته صفوة الملك زمرد خاتون ابنة الأمير جاوي وأخت الأمير دقاق لأمه سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م، ووقَفُ الخانقاة الخاتونية الذي أقامته الخاتون عصمة الدين ابنة معين الدين أنر حاكم دمشق قبل ضمّ صلاح الدين الأيوبي لها، وهي زوجة نور الدين محمود بن زنكي، وتزوجها بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي، وكانت من أعفّ النساء وأجلهنّ، وكان لها أمر نافذ في الخير، وصاحبة برّ وصدقات، حيث خصصت من أموالها رواتب للفقراء والمحتاجين، وظلت طيلة حياتها محبة للعلم والأدب حتى توفيت سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، كما بنت مدرسة للمذهب الحنفي بقلب دمشق بمحلة حجر الذهب، عُرفت باسم «المدرسة الخاتونية الجوانية» سنة ٥٧٠-٥٧٣هـ/ ١١٧٤-١١٧٧م^(١)، وقد اهتمت بالمدرسة وتكفلت بتمويلها عن طريق الوقف وتسخير إيراده للمدرسين والطلبة^(٢).

وقد وقِف خلال الدولة الأيوبية العديد من المدارس والمنشآت الدينية الخيرية، ومنها المدرسة الفرخشاهية الموجودة في زقاق الصخر عند مدخل دمشق الغربي، وتُعرف هذه المدرسة بمدرسة عز الدين فرخشاه، وقد وقَفَتها الست حظ الخير خاتون ابنة إبراهيم عبد الله ووالدة عز الدين فرخشاه، وهي زوجة شاهنشاه أيوب أخي صلاح الدين الأيوبي، وقد وقَفَتها على المذهب الحنفي قبل وفاتها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م^(٣)، ووقَفَت السيدة خطيلسي خاتون بنت الأمير كوكجا

(١) ينظر: تبيين الطالب وإرشاد الدارس، مختصر الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي، عمار محمد النهار، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٤م، ص ١٠٦؛ ووقف المرأة في عالم الإسلام، محمد الأرنؤوط، ص ٦٢-٦٥.

(٢) ينظر: إسهام المرأة في المجال العمراني، أحمد رضا عمر، ص ١٧.

(٣) ينظر: دور الوقف النسائي في نشأة المدارس العلمية في دمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين، كرم حلمي فرحات أحمد، بحث مقدم لمؤتمر «أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية»، أقامته كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ٩-١٠ مايو ٢٠١١م، ص ١١.

(وقيل: اسمها فاطمة) على المدرسة القضاية بحارة القضاة بدمشق سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، وخصصتها للمذهب الحنفي واشترطت أن يقوم بالتدريس فيها أعلم الحنفية بدمشق^(١)، ومن المدارس الوقفية المدرسة الشامية البرانية التي أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب وأخت صلاح الدين، وكانت من أكبر المدارس الموقوفة للمذهب الشافعي وأعظمها وأكثرها فقهاء وأغناها أوقافاً^(٢)، وعُرفت أيضاً باسم المدرسة الحسامية نسبة لابنها حسام الدين بن محمد بن لاجين، وقد عينت فيها ست الشام خيرة علماء عصرها، واشترطت عليهم ألا يدرّسوا في مدارس أخرى لضمان تفرغهم وتلبية حاجة الطلبة من الاهتمام الكافي والمناسب، وكان أول من درّس بها من العلماء العلامة الشافعي ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، والقاضي شرف الدين بن زين القضاة وهو من أشهر قضاة عصره^(٣).

وقد وَقَّفت ست الشام على المدرسة أوقافاً ضخمة ضمت إيراد بعض قرى مدينة دمشق، وتنازلت عنها للمدرسة والتربة الملحقة بها أمام قاضي قضاة دمشق زكي الدين، بحضور ٤٠ شاهداً من أعيان دمشق على أنها وَقَّفت أملاكها كلها للمدرسة، وبفضل هذه الأوقاف استمرت المدرسة في العطاء طيلة عهد الدولتين «الأيوبية والمملوكية» فخرّجت خيرة العلماء والطلبة، ونظراً لما قامت به هذه المرأة من عمارة للمدارس واهتمام بالعلم والأدب وأهله، وجهدها في تحفيظ القرآن وإنشاء الأوقاف الخيرية؛ فقد خرج أهل دمشق لتشييعها بالآلاف وهم يرددون الأدعية لها بجزالة فريدة يوم الجمعة الموافق ١٦ من ذي القعدة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، إذ لم تُشيع امرأة بمثل ما شُيِّعت به ست الشام فاطمة خاتون^(٤).

وأنشأت خديجة خاتون بنت الملك شرف الدين عيسى بن الملك العادل المدرسة

(١) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٥٦٥.

(٢) ينظر: خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط ٢، ١٩٨٢م، ج ٦، ص ٧٩.

(٣) ينظر: إسهام المرأة في المجال العمراني، أحمد رضا عمر، ص ١٦-١٧؛ ويلاحظ أن الباحث قد جانبه الصواب فاختلف عليه الأمر فذكر أن منشئة المدرسة هي ست الشام بنت أيوب، وعند الحديث عن وفتها ذكر بأنها ست الشام زمرد خاتون، والصواب أنها فاطمة خاتون.

(٤) ينظر: إسهام المرأة في المجال العمراني، أحمد رضا عمر، ص ١٦-١٧.

المرشدية في دمشق، ووقفت الملكة شجرة الدر على مدرسة عُرفت باسمها^(١). وقد حدثت تطورات جديدة لأوقاف النساء في الدولة الأيوبية، تمثلت في وقف البيوت لسكنى الضعفاء كظاهرة إنسانية، إذ اعتُبرت تلك البيوت بمنزلة ملاذ ومقام للسيدات والأرامل والمطلقات والمسنات ممن لا عائل لهن، وكانت توفر فيها حياة كريمة شريفة من إقامة ومأكل وملبس ومشرب، وصيانة لهن من الانحراف، مع مواظبتهن على العبادة وتوافر الرعاية والإشراف الدائم، فقد وقفت عتيقة الملك الأيوبي آراغون الحافظية دارها على خدمها^(٢)، وشيّدت فاطمة الأيوبية سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م في مدينة دمشق دورًا للنساء الفقيرات وكتبت فوق الباب «ووقفت هذه الخانكاة الرباط فاطمة بنت الملك العادل محمد بن الكامل بن أبي بكر بن أيوب على المقيّمات بها، وإظهارًا للصلوات الخمس والميّت فيها»^(٣).

وقد اتسع نطاق الأوقاف خلال الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام اتساعًا كبيرًا لا سيما بعد الحملات الصليبية التي كانت قد غزت الشرق، فلمّا دنس الصليبيون أرض الشام ومصر وقف في وجههم كثير من فئات المجتمع ومنها النساء، فأنشأن عديدًا من المؤسسات الدينية والاجتماعية من أموالهن الخاصة، وقد كان لهذه المؤسسات دور ريادي و متميز في الإعداد الديني والعلمي للطلاب من مختلف المدن الشامية والمصرية، وإلى جانب المدارس السابقة فقد ساهمت المرأة في بناء العديد من الأربطة، ومنها ما أنشأته السيدة عذراء خاتون بنت شاهنشاه بن أيوب من رباط عذراء خاتون داخل باب النصر بمدينة القاهرة، وهي أيضًا صاحبة المدرسة العذراوية، وقد اندثر الرباط الذي شيّدته، وأنشأت فاطمة بنت السلار رباط بنت السلار داخل باب السلامة لكنه اندثر أيضًا، وفي سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م تم إنشاء رباط صفية القلعية بالقرب من دار العقيقي التي أصبحت في العهد المملوكي المدرسة

(١) ينظر: وقف المرأة في دمشق في العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ/ ١١٧٤-١٢٦٠م)، عودة رافع عودة الشرعة، رسالة (ماجستير)، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٦٢.

(٢) ينظر: المرأة والوقف، إيمان الحميدان، ص ٤٦.

(٣) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٩٨٩م، ج ٤، ص ٤١٧؛ وإسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الإسلامية، أحمد عثمان البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١٧١.

الظاهرية، وقد ذكره البرازلي في حوادث سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م وقد اندثر^(١)، وأنشأت تركان خاتون صاحبة المدرسة الأتابكية رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل، لكن لا يُعرف مكانه اليوم، كما شيّدت زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر الأيوبي رباطاً بقرب القلعة من الطرف الشرقي عُرف باسمها، لكنه اندثر أيضاً^(٢)، واشتركت أميرتان أيويتان هما بابا خاتون بنت شيركوه بن أيوب، وزهرة خاتون بنت العادل في بناء المدرسة العادلية الصغرى، وكانت المدرسة داراً للأمير الأيوبي عبدان الفلكي فاشترتها زهرة خاتون مع حَمّام ابن موسك، ثم ملكت الدار والحَمّام لبابا خاتون مع عدة قرى من أعمال حلب، وبعد ذلك أعادت بابا خاتون هذه المنشآت إلى زهرة خاتون وقفاً، شريطة أن يتم تحويل الدار إلى مدرسة تُوقَف عليها إيرادات القرى إضافة إلى إيراد الحَمّام، وأن تضم المدرسة مدفناً خاصاً، وسكناً للطلبة، مع تعيين معلمين ومعيدين وإمام ومؤذّن وبوابٍ وقيّمٍ وعشرين فقيهاً، وكان ذلك سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م، ومما جاء في نقش تحويلها إلى مدرسة أعلى باب المدرسة: «ووقفت على فقهاء الشافعية، وإقامة الصلوات الخمس بها، وعلى من يقرأ القرآن الكريم، ورباطاً لسكن خدامها وعتقائها ومن بعدهم على الفقراء والمساكين، وكان الفراغ من بنائها عام ستمائة وستة وخمسين للهجرة، ويتولّى أمرها الحاج عزيز الدين بن عبد الله»^(٣).

وأنشأت المرأة الأيوبية مؤسسات خدمية عامة، ومنها الحَمّامات العامة والفنادق والخانات، بالرغم من أن بناء هذه المنشآت من قِبَل المرأة في تلك العصور لم يكن منتشرًا، وجاءت أمثلتها بالشام مع اندثار غالبيتها، ومن أمثلة هذه المنشآت: حَمّام عذراء الذي شيّده عذراء بنت شاهنشاه (المذكورة سابقاً)، وكان لصيقاً للمدرسة العذراوية من الغرب لكنه اندثر، وحَمّام ست الشام الذي شيّده ست الملك أخت صلاح الدين الأيوبي بجوار البيمارستان النوري من الجهة الجنوبية الغربية، وأما

(١) ينظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، بدران عبد القادر، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ١٣٧، ص ٢٩٦.

(٢) ينظر: إسهام المرأة في المجال العمراني، أحمد رضا عمر، ص ١٣-١٤.

(٣) ينظر: تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذليل على الروضتين)، أبو شامة شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجليل، بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م، ص ٨١.

الخانات والفنادق فمن أمثلتها: الفندق الذي شيّدته زوجة صلاح الدين الأيوبي عصمة الدين بنت معين الدين أنر قبل وفاتها سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م، ولم يعد هذا الفندق موجوداً^(١).

وبهذا يتضح التنوع في الأوقاف المعمارية التي أنشأتها المرأة في الدولة الأيوبية من ناحية وظيفتها الخدمية، وكذلك تنوعت من ناحية أغراضها الوظيفية ما بين منشآت وقفية مجانية وأخرى تجارية ربحية؛ لتدر دخلاً يغطي نفقات المنشآت الأولى، نضيف إلى ذلك ما أسهمت به في المجال العمراني وتعمير المدن والأماكن النائية، بما أسهم في النمو الأفقي للمدن.

٥- أوقاف النساء خلال الدولة السلجوقية بالأناضول:

وأما في دولة سلاجقة الروم بالأناضول التابعة للخلافة العباسية فقد ازدهر الوقف وانتشر بشكل كبير، وكان من أكثر أنواع الوقف حضوراً وقّف المساجد والمدارس، إذ شيّد العديد من المساجد والمدارس في منطقة الأناضول، وزاد إقبال طلاب العلم على المدارس بشكل مبالغ فيه، وتطورت الأوقاف وأنشئ العديد من المباني الخيرية الطبية بما عرف باسم البيمارستانات، وقامت المرأة بدور جليل وبارز في تقديم الرعاية الطبية الخدمية كنوع من البر والصدقة والخير، ومن ذلك ما أنشأته الملكة گوهر نسيبة خاتوني من بيهارستان طبي خيري، أقامته في مدينة قيصر سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م، ووقّفت عليه أوقافاً عظيمة^(٢).

وقد أشارت إحدى وقفيات المدارس في دولة سلاجقة الأناضول - وهي وقفية المدرسة الزرقاء في سيواس سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م - إلى اشتراطات معينة في تولي المدرس لمهنة التدريس، وتضمنت أن هذه المدرسة وقّفت على الفقهاء والمتفقهين المشتغلين بتدريس العلوم الشرعية، وعلى الطلاب المتزوجين والعزّاب المقيمين ليل نهار ممن

(١) ينظر: إسهام المرأة في المجال العمراني، أحمد رضا عمر، ص ١٤.

(٢) ينظر: البيهارستان السلجوقي في الأناضول، فهيم فتحي إبراهيم، المؤتمر العالمي للتاريخ والحضارة الإسلامية الذي عقد في جامعة مالايا في كوالالمبور، ماليزيا، ١٠-١١/١٠/٢٠١١م، ص ٥٥٤؛ وعمارة الوقف في العصر السلجوقي في بلاد الأناضول، فهيم فتحي إبراهيم، مجلة التسويق الإسلامي، تصدرها الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، المملكة المتحدة، لندن، المجلد الخامس، العدد ٢، مايو ٢٠١٦م، ص ١١٩.

يتطلعون إلى تحصيل العلوم الأدبية التي تحتاجها العلوم الدينية، كما اشترطت إحدى الوقفيات أن يكون المدرس الذي يلقي العلوم ذا أهلية ولباقة في العلوم الشرعية وفي الحديث وفي الأصول والفروع وفي المسائل الخلافية^(١).

٦- أوقاف النساء خلال الدولة المملوكية:

انتشر نمطان رئيسان من أنماط الأوقاف في أثناء الدولة المملوكية بمصر والشام والحجاز، وهما المدارس والخوانق، إذ كانت الخوانق تُبنى للصوفية -وهي الأربطة قبل الدولة المملوكية- وتؤدى فيها أغراض دينية وتعليمية في الوقت نفسه، حتى إن هناك تداخلاً بين مصطلح المدرسة ومصطلح الخانقاة، وإن لم يكن هناك اختلاف جوهري في التصميم المعماري، وكان للأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم في الدولة المملوكية في المدارس والخانقاوات ومكاتب السبيل، فالأوقاف هي التي تثبت أركان المنشأة التعليمية، وتقوم بتدعيم نظامها، وكان الربع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المنشآت هو ضمان استمرار العمل بها، حيث تُدفع منه رواتب أرباب الوظائف^(٢)، ويرجع انتشار هذين النمطين خلال الدولة المملوكية إلى عدة أسباب سياسية، منها: (أ) زيادة الوقف على المدارس وانتشاره في مصر، بعد أن غدت مركزاً سياسياً ودينيّاً للعالم الإسلامي ومحور النشاط العلمي بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على يد التتار؛ إذ تحولت الخلافة العباسية إليها بعد إعادة إحيائها في مصر سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، وهاجر إليها كثير من العلماء من مختلف الأقطار شرقياً وغربياً، وخير دليل على ذلك ما خلفه الحكم المملوكي من تراث ضخم في مختلف العلوم والفنون^(٣)، بالإضافة إلى أن الملوك والسلاطين في الدولة المملوكية كانوا قد اقتدوا بأسلافهم الأيوبيين في الوقف على المدارس السننية، لأغراض سياسية على حد تعبير المقرئزي: «حذا ملوك الترك وأمرؤهم وأتباعهم حذو صلاح الدين حتى يومنا

(١) ينظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم)، مركز إرسبكا للأبحاث بإستانبول، ترجمة: صالح سعداوي، طباعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٢، ٢٠١١م، ج ٢، ص ٤٥٢-٤٥٥.

(٢) ينظر: السلطان المنصور قلاوون (تاريخ-أحوال مصر في عهده-منشأته المعمارية)، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤٦-٤٧.

(٣) ينظر: السلطان المنصور قلاوون، محمد حمزة الحداد، ص ٤٦.

هذا...»^(١)، وتنافسوا مثل سابقهم في تأسيس المدارس في الشام ومصر، فكثرت وازدادت زيادة كبيرة حتى إن ابن بطوطة عجب من كثرتها ووفرته وقال: إنه لا يحظى أحد بحصرها^(٢).

ب) انتشر الوقف على الخوانق والأربطة والزوايا التي كانت تنشأ للمتصوفة؛ حيث لم يكن لسلطين المماليك جذور محلية تؤهلهم لقيادة الدولة المصرية والشامية، ولم يكن لهم نظام للحكم بل كان حكمهم أقرب للانقلابات العسكرية المتتالية، وذلك ما دفعهم للإقبال على إنشاء الأوقاف التي تخدم أغراضاً دينية واجتماعية لتدعيم حكمهم وإكسابه صبغة شرعية، إضافة إلى التودد للشعب المصري الذي يعشق كل ما هو متصل بالنبي ﷺ وآل بيته، ومن ثم فقد كان اهتمامهم بالمتصوفة كبيراً لأجل ذلك الغرض، ولذلك شهدت الدولة المملوكية إقبالاً على الوقف بشكل منقطع النظير^(٣).

وقد أقبلت المرأة من سيدات الأسر الحاكمة أو الأخريات من الطبقات العليا على البناء والوقف مثلها في ذلك مثل الرجال، ومن أشهرهن السيدة طغاي زوجة الناصر محمد بن قلاوون التي وقفت على المدرسة الناصرية، وأمرت أن يُفَرَّقَ فيها الخبز على الفقراء^(٤)، والسيدة بركة خاتون أم السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون حيث أنشأت مدرسة أم السلطان الأشرف سنة ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م، وكانت من المدارس الجلييلة، وقال عنها ابن إياس: «رتبت بها دروساً للمذاهب الأربعة، وحضوراً في كل يوم للصوفية، ومكتباً للأيتام، ووقفت على المدرسة قيسارية يباع بها الجلود ويعلوها رُبْعٌ جليل لسكن العامة يشتمل على عدة طباق، ويتبع هذه المدرسة سبيل ومكتب يحمّلان اسم أم عباس»^(٥)، ووقفت أرغون خاتون على

(١) المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، طبعة دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٣١٨-٣٢٠.

(٢) ينظر: تطور المدارس في العالم الإسلامي منذ نشأتها حتى الفتح العثماني، صلاح السيد رمضان، رسالة (ماجستير)، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٩٠م، ص ١١٣.

(٣) ينظر: أوقاف النساء: المرأة، المعرفة، السلطة، زينب أبو المجد، دورية المرأة والحضارة، جمعية دراسات المرأة والحضارة، ٢٠٠٠م، ص ٢٢-٢٣.

(٤) ينظر: دور المرأة في مصر خلال العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م): دراسة تحليلية، سجي محمد لطيف التميمي، رسالة ماجستير بجامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٦، ص ٩١.

(٥) المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٧٩، ص ٤٠٠.

إنشاء المدرسة الخاتونية بالاشتراك مع معتقها وزوجها عز الدين أيدير الأشرفي والي طرابلس الشام، وكان الفراغ من بنائها سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م (كما هو مذكور في نص الوقف المحفوظ عند مدخل المدرسة)^(١)، وأنشأت كذلك خوند تتر بنت محمد بن قلاوون الحجازية المدرسة الحجازية، وجعلت بها درسًا للشافعية ودرسًا للمالكية، وجعلت بها خزانة كتب، وجعلت بجوار مدرستها مكتبًا لعدد من أيتام المسلمين، وعيّنت لهم مؤدبًا يعلمهم القرآن الكريم، وأجرت عليهم الطعام والكساء، ووقفت على كل ذلك أوقافًا جليلة^(٢)، كما أنشأت أم الملك الصالح علاء الدين بن المنصور قلاوون مدرسة تُربة أم الصالح سنة ٦٨٢هـ، ووقفت للمدرسة وقفًا حسنًا على القراء والفقهاء وغير ذلك^(٣).

وغرب الحرم القدسي إلى الشمال من باب القطنين وجنوبي المدرسة الأرغوانية شيّدت أغل خاتون بنت شمس الدين محمد بن سيف الدين القازانية البغدادية المدرسة الخاتونية سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الجمل، ثم أكملت عمارتها أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه ووقفت عليها سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م، ودفنت فيها السيدة خاتون القازانية البغدادية^(٤).

ومن نساء الطبقة العليا اللائي أنشأت أوقافًا تتمثل في إقامة المدارس الخيرية «خديجة بنت درهم»، التي وقفت على مدرسة ذكرها ابن إياس في يومياته سنة ٩٢٠هـ بعد أن ورثت موضعها من أبيها، وكانت قاعة ثم بدا لها أن تحولها إلى مدرسة فأنشأت بها محرابًا ومئذنة، وجعلت بها خلوي للصوفية، وأضافت لها منبرًا، ثم وَقَفَتْ عليها جميع ما ورثته عن أبيها فجاءت من محاسن الزمان^(٥)، وأنشأت الست

(١) ينظر: دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، ثامر نعمان مصطفى، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، العدد ٢٣، ٢٠١٣م، ص ٢٨٦.

(٢) ينظر: أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ج ١، ص ٣٨٧.

(٣) ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٤) ينظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي (ت: ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، جزء ١، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، نشر: مكتبة دنيس، عمان، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٣٦؛ والأوقاف في فلسطين في عهد المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، فايز إبراهيم الزملي، رسالة (ماجستير) بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م، ص ١٠٨.

(٥) ينظر: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك (ت: ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م)، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، ١٩٩٨م، ط ٢، ج ٣، ص ٢٦٨؛ وأوقاف النساء، زينب أبو المجد، ص ٢٣.

عاشوراء بنت ساروح الأسدي زوجة الأمير أياذكوج الأسدي المدرسة العاشورية ووقفتها على الحنيفة^(١)، ومن نماذج الأربطة الوقفية النسائية المملوكية بمكة المكرمة رباط الخوزي، الذي بنته خوند شيرين (ت: ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م) بنت عبد الله الرومية أم الناصر فرج بن برقوق ووقفت عليه أوقافاً^(٢).

وبالجملة يمكن القول: إن أوقاف المرأة في العهد المملوكي كانت قد انتشرت واتسعت بشكل فاق العصور الإسلامية السابقة، وإذا ما رجعنا إلى بعض الإحصائيات التي وردت بها أوقاف النساء في العهد المملوكي البحري (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م) بالقاهرة على سبيل المثال، نجد أن المرأة قد قامت بدور عمراني ومعماري كبير، إذ شيّدت النساء خلال تلك الفترة ما يلي: زاوية، و٨ خانقوات، ورباطين للنساء^(٣)، و٢٥ مدرسة ووقفية بخلاف المدارس الأخرى غير الوقفية مع إضافة أوقاف لثلاث مدارس أخريات، و٣٣ مسجداً ووقفياً مع إضافات لخمسة مساجد وترميم ثلاثة منها، و٤٧ وقفاً جنازياً للدفن^(٤).

٧- نماذج لأوقاف النساء في اليمن:

من المعروف أن اليمن قام به دويلات مستقلة عن الخلافة الإسلامية، ومن ثم كان شبه منعزل سياسياً مع تبعيته الدينية للخلافة، وكان للمرأة دور كبير في اليمن أيضاً ولا سيما في بناء الأوقاف الخيرية وإنشاءها على مدى تاريخها الطويل، ومن نماذج أوقاف النساء في اليمن أواخر الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ / ١٠٤٧-١١٣٧م) ما وقفته الملكة أروى بنت أحمد الصليحي من أراضٍ واسعة ومرعى في مدينة إب بمساحة مئات الأفدنة، وذلك لشدة اهتمامها بالثروة الحيوانية، ووقفت أموالاً لإقامة الكثير من المساجد، منها جامع ذو جلة الكبير الذي أقامت فيه مدفناً دُفنت فيه بعد وفاتها^(٥)، وفي أواخر القرن (٧هـ / ١٣م) عُرفت السيدة الدار الشمسي

(١) ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج٢، ص٣٦٨؛ وأوقاف النساء، زينب أبو المجد، ص٢٣.

(٢) ينظر: دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية، ثامر نعيان مصطفى، ص٩٢.

(٣) لمعرفة أصل اشتقاق مصطلح الزاوية والرباط والخانقاة ودلالاتها، ينظر: مقدمة الفصل الأول.

(4) Instigators In Doing Good, Power, Piety, Patriarchy, And Royal Women'S Charitable Endowments In Bahri Mamluk Cairo (From The Reign Of Shaagar Al-Durr To The Reign Of Sultan Al-Ashraf Sha'Ban, 648-778 A.H/1250-1377 CE), (Alexis Anne Lefort), A Thesis Of Master At Department Of Anthropology, College Of Liberal And Fine Arts At The University Of Texas At San Antonio, 2013, P. 110.

(٥) ينظر: مساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي، عفاف عبد الغفور حميد، ص١٣.

(ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) ابنة الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول، وهي سيدة اشتهرت بحب الخير وكثرة الصدقات، ومن أوقافها المدرسة المعروفة باسم المدرسة الشمسية بذي عدينة من مدينة تعز، ووقفت عليها أوقافاً تدر دخلاً يغطي رواتب القائمين عليها من الإمام والمؤذن والقيم والمدرس والطلبة ومعلم الأيتام، وشيّدت مدرسة أخرى في مدينة زبيد معروفة بالشمسية أيضًا^(١).

ومن الواقفات خلال تلك الفترة السيدة مريم (ت: ٧١٣هـ/ ١٣١٣م) ابنة الشيخ الشمس بن العفيف، وزوجة السلطان الملك المظفر من ملوك الدولة الرسولية في اليمن؛ إذ شيّدت مدرسة في زبيد تُعرف بالسابقة كانت من أحسن المدارس وُضعاً، وقد رتبت فيها إماماً ومأذوناً وقيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن، ومدرساً للفقهِ الشافعي ومعيّداً وطلبة، ووقفت عليهم أوقافاً عظيمة، وبنّت مدرسة أخرى في تعز خصصت لها أوقافاً غير مدرسة زبيد^(٢)، ووقفت نبيلة (ت: ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) ابنة الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر الرسولي مدرسة في زبيد عرفت بالأشرفية، وفتت عليها أوقافاً مغلّة^(٣).

٨- نماذج لأوقاف غير المسلمات وأعمالهن الخيرية إبان العصور الوسطى:

لم يقتصر إسهام المرأة في الوقف والعمل الخيري خلال العصور الإسلامية على المسلمات من دون غيرهن، بل عرفت المرأة من غير المسلمات العمل الخيري والوقفى^(٤)، وقامت بإنشائه وتسجيله في صكوك أو وثائق وافية تضمنت بعض اشتراطاتهن لتسيير المنشآت الوقفية، وربما كان ذلك بسبب اختلاطهن بالحضارة الإسلامية والتأثر بها أو بغية أهداف أخرى سياسية، ومن أشهر ما عُرف من

(١) ينظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، محمد بن الحسن الخزرجي، تحقيق: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١م، ج ١، ص ٢٩٣؛ ومساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي، عفاف عبد الغفور حميد، ص ١٧.

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، محمد بن الحسن الخزرجي، ج ٨، ص ٤٠٨.

(٣) ينظر: مساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي، عفاف عبد الغفور حميد، ص ١٨.

(٤) لا يقصد الباحث هنا أن الهدف من وراء الوقف كان ابتغاء مرضاة الله من عدم ذلك، فالله ﷻ أعلم بسيرة عبادة سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن غير المسلم عموماً لو قدّم خيراً - ولو كان قصده التقرب به إلى الله ﷻ - فمعلوم أن الله لا يقبل هذا العمل؛ لقوله ﷻ: «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، وإنما يقصد هنا: أن العمل سار على ضوابط العمل الخيري ومفهومه وأن المال الذي أودع لإنشاء هذا الوقف حُسب أصله وشُبلت ثمرته في جهات البر والخير على حسب ما اشترطت الواقفات.

أوقاف غير المسلمين على المسلمين ما قامت به الخاتون المغولية سرقويتى بيگي^(١)؛ إذ تتحدث المصادر التاريخية عن سياسة هذه الخاتون حيال المسلمين، وأشارت المصادر التاريخية إلى أنه على الرغم من اعتناقها للمسيحية فإنها لم تُبد أيّ تعصب ديني لأيّ ملة أخرى خاصة الإسلام^(٢)، بل كانت حريصة باستمرار على الاهتمام بالمسلمين^(٣)، وكانت تغدق الهدايا والعطايا على الأئمة المسلمين ومشايخهم، ومن أجل أعمالها الخيرية على المسلمين تبرعها بما قيمته «ألف بالش»^(٤) من الفضة بغرض

(١) ورد لها عدة أسماء في المصادر والمراجع التاريخية تكتب بحروف مختلفة، منها: سرقويتى بيگي، وسرقويتى بيگي، وسبورقويتى بيگي، وسور تونسي بيگي (2)، وسرقوتنى بيگي (2)، وسورجگتاني (Sorgagtani)، وسورغاغاتانى بيگه، وهي زوجة تولوي أصغر أبناء جنكيز خان (ت: ٦٢٧هـ/١٢٢٩م)؛ وهي تعدّ أكبر سيدة في المغول وأكثرهن حكمة، وكانت تدين بالمسيحية النسطورية، كما كانت أكبر زوجات تولوي خان وأجبهن وأقرهن إليه وأعظمهن قدرًا، وهي أم أولاده الأربعة: منكو خان (٦٤٩-٦٥٨هـ/١٢٥١-١٢٥٩م)، وقوبيلاي خان (٦٥٨-٦٩٣هـ/١٢٥٩-١٢٩٣م)، وهولاكو خان (٦٥٤-٦٦٣هـ/١٢٥٦-١٢٦٤م)، وأريق بوغا أو أريغ بوغا (ت: ٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، وأشارت بعض المصادر إلى وجود ابن خامس لها يدعى موكا إلى جانب بنت واحدة، وتوفيت في سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م. ينظر: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، علاء الدين عطا ملك الجويني، تحقيق وتصحيح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، مج ٣، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م، مج ٣، ص ٢٥؛ وتاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، عباس إقبال، ترجمة: د. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م، ص ١٧٦؛ والدور السياسي والإداري لزوجات خانات المغول خلال العهد العباسي (٦٢٦-٦٥٠هـ/١٢٢٨-١٢٥٢م) «سيورقويتى بيگي، وأوغول غايميش أنموذجًا»، سعد هادي حسن الطائي، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، العدد الرابع، ٢٠١٢م، ص ٣٧٠؛ وتلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قران وبلغار وملوك التتار، محمد مكي الرمزي، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٤٠٢، حاشية رقم (١)؛ وتاريخ مختصر الدول، غريغوريوس المظني، ابن العربي (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، وقف على طبعه ووضع حواشيه: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ٢، ١٩٥٨م، ص ٤٥١؛ والمغول، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٤؛ وعصر المغول، سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ، جورج لاين، ترجمة: تغريد الغضبان، مدارك بدبي، وكلمة بأبو ظبي للطبع والنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، ط ١، ٢٠١٢م، ص ٣١١؛ وتاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م)، عباس إقبال، ترجمة وتعليق: د. محمد علاء الدين منصور، مراجعة: أ. د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٤١٥-٤١٦؛ والمرأة ودورها في المجتمع المغولي طبقًا لمصادر المغول وقوانين الياسا، صلاح الدين محمد نوار، منشأة المعارف بالإسكندرية للنشر، مصر، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان، عباس إقبال، ص ١٧٦.

(٣) ينظر: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، علاء الدين الجويني، م ٢، ج ٢، ص ١٨٨؛ وتاريخ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، مير محمد بن سيد برهان ميرخواند، شيوه شرو نكشارش كم نظير در أدبيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩هـ، ج ٥، ص ١٦٧.

(٤) البالش، جمعها بالشات، ووردت عدة آراء في قيمة البالش نقلها الباحثون عن الجويني في كتابه: تاريخ فاتح العالم، وبالرجوع إلى هذا المصدر فإن صاحبه لم يورد للبالش تعريفًا ولا تقييماً، وإنما ورد في الجزء الثالث كتعليق للمحقق محمد بن عبد الوهاب القزويني: أن البالش من الفضة، يعادل ثمانية دراهم ومثقالين ويساوي مائتي دينار. ينظر: تاريخ فاتح العالم، علاء الدين الجويني، ج ٣، ص ٣٠، حاشية رقم (١).

إقامة مدرسة وقفية للمسلمين في مدينة بخارى، وأمرت أن يتولى إدارتها والإشراف عليها شيخ الإسلام سيف الدين البخارزي^(١)، وقد عرفت تلك المدرسة الوقفية لها باسم المدرسة الخانية، ولم يتوقف إسهامها على بناء المدرسة فقط؛ بل حرصت على ضمان ريع يتدفق إليها لاستمرار تأدية وظيفتها، فأمرت سرقويتي بيگي بشراء الضياع والقرى وجعلتها وقفاً لهذه المدرسة ينفق عليها وعلى مرافقها من ريع تلك الأوقاف^(٢)، ولم تجعل أمرها بشكل عشوائي بل اشترطت أن يتم اختيار المدرسين وطلاب العلم للدراسة فيها بعناية^(٣).

٩- أوقاف النساء في بلاد المغرب العربي:

من المعلوم أن بلاد المغرب العربي لم تكن بمعزل عن الأوقاف، بل اشتهرت على مر التاريخ الإسلامي بكثرة خيراتها وأوقافها على المساجد والمدارس والسقايات وغيرها، إضافة إلى أوقاف الحرمين الشريفين، وعرفت بلاد المغرب العربي الأوقاف منذ إنشاء مسجد عقبة بن نافع في مدينة القيروان بتونس سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م وتجديد حسان بن النعمان له سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م^(٤)، ومما حُبس في العهد الحفصي على يد أبي زكريا الثاني ابن أبي إسحاق أوقاف على مدرسة المعرض، وتضم ريعاً كثيراً اشتراه من ماله مع كتب نفيسة من كل فنون العلم^(٥).

(١) هو الإمام سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد البخارزي، كان إماماً محدثاً فصيحاً ورعاً تقياً ثرياً، من علماء مدينة بخارى، ويذكر بأنه سبب إسلام بركة خان الذي سمع منه قولاً حبيب إليه الإسلام، فأسلم من ورائه مغول القبيلة الذهبية. للمزيد ينظر: الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ود. محي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص٣٦٣-٣٦٨. وهو الشيخ الذي تولى أمر المدرسة الوقفية لسرقويتي بيگي بمدينة بخارى بأمر منها، وأما لقبه بشيخ الإسلام أو شيخ العالم فإنه يستحقه؛ لما كان سبباً في إخراج مثل السلطان بركة خان من الظلمات إلى النور، وتشرف بسببه عالم كثير بشرف الإسلام وصار شيخاً مثل هذا السلطان وجميع رعاياه. ينظر: تليق الأخبار، محمد مكي الرمزي، ج١، ص٣٠٢-٤٠٣.

(٢) ينظر: تاريخ فاتح العالم، علاء الدين الجويني، ج٢، ص١٨٨.

(٣) ينظر: الدور السياسي والإداري، سعد الطائي، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤) ينظر: تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، ابن الخوجة محمد، المطبعة التونسية، تونس، ١٩٣٩م، ص٦٦-٧٦؛ والوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع، محمد أبو الأجنان، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، تونس، بحث منشور ضمن كتاب على موقع: www.Islamonline.Net، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٥) ينظر: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي السراج الوزير، (ت: ١١٤٩هـ/ ١٧٣٧م)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٠٤٠.

وتعددت الأوقاف الدينية بتونس خلال الفترات اللاحقة، وساهمت المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل في الوقف هناك، ولا سيما في بناء جامع التوفيق (المسمى أيضاً جامع الهواء)، الذي شيّدته الأميرة عطفة أم المستنصر وزوجة أبي زكريا المتوفاة سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٧م^(١).

وانتشرت الأوقاف الإسلامية في الجزائر منذ دخول الإسلام إليها، ومع تطور وتعدد الدول الإسلامية والفترات التاريخية التي مرت بها الجزائر تعددت وتنوعت الأوقاف ومواردها ومخصصاتها، حتى عرفت خلال الدولة العثمانية أنواعاً كثيرة ومخصصات متنوعة، منها: مخصصات الحرمين الشريفين، وأسهم الرجال والنساء من فئات المجتمع كافة، بدءاً من الولاة وحتى التجار والأغنياء وعمامة النساء في الوقف على الحرمين الشريفين؛ لما لذلك من أهمية كبيرة ومكانة لدى المسلمين، وكان من نماذج إسهام المرأة في الوقف على الحرمين الشريفين ما وَقَفَتْه فاطمة بنت محمد الشنشوني سنة ١٠٣١هـ/١٦٢٢م، وعائشة بنت حسن رئيس سنة ١٠٦٨هـ/١٦٥٨م، والتي أسست وقفاً خيراً لصالح الحرمين الشريفين اشتمل على نصيبها من الميراث وغيره مما كان تحت تصرفها وملكها^(٢)، وقد برز الوقف جلياً في بلاد المغرب العربي وساهمت فيه المرأة بشكل قوي منذ بناء فاطمة أم البنين بنت أبي عبد الله محمد عبد الله الفهري القيرواني لجامع القرويين بعدوة القرويين بمدينة فاس سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، ووقفت على المسجد أوقافاً كثيرة، وأضيفت إليه أحباس أخرى فيما بعد، وأنشأت في السنة نفسها أختها مريم جامع الأندلسيين بعدوة الأندلس بفاس تقريباً وتعبداً لله عَزَّوَجَلَّ^(٣)، ولم تقتصر أوقاف النساء في المغرب على المساجد وإنما وَقَفَت المرأة على المدارس والمكتبات وغيرها، ومن ذلك المكتبة التي وَقَفَتْها المرأة الصالحة مسعودة الوزكيتية أم السلطان أحمد المنصوري السعدي على جامع الحرة بمراكش سنة ٩٩٥هـ/١٥٨٧م^(٤)، واتسع نطاق الوقف النسائي حتى شمل

(١) ينظر: الوقف على المسجد في المغرب والأندلس، محمد أبو الأجنان، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) ينظر: الأوقاف خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، أحلام نعيمي، مذكرة مكملة لنيل درجة (الماجستير) كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر (بسكرة)، الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣م، ص ٣١.

(٣) ينظر: الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بهال الوقف في المغرب، محمد الحجوي، مجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، السنة الرابعة، العدد ٧، نوفمبر ٢٠٠٤م، ص ٩٦.

(٤) ينظر: الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات، محمد الحجوي، ص ١٠٥.

طرق الحج ومحطات استراحات الحجيج، ومن ذلك محطات الحجيج الخدمية التي وَقَفَتْها أم قاسم المرادية السفينانية في القرن ٨هـ / ١٤م، إذ وَقَفَتْ ثروتها لبناء محطات التزود بالزاد والماء واستراحات الدواب في كل بلد من مدينة آسفي وصولاً إلى مكة المكرمة، وتكونت كل دار من طابقين أحدهما لإقامة الحجيج وخدمتهم والآخر للدواب، وأقامت هذه الاستراحات على بعد كل بريد (أي حوالي ٥٠ كلم) عبر الطرق الآتية^(١):

□ المغرب: محطات آسفي - وفاء - وجدة.

□ الجزائر: عبر تلمسان - وهران - العاصمة قسطنطينية.

□ تونس: القيروان.

□ ليبيا: طرابلس - بنغازي.

□ مصر: الإسكندرية - الفسطاط - العريش.

□ فلسطين: غزة - القدس.

□ سوريا: اليرموك.

□ الجزيرة العربية: المدينة المنورة - مكة المكرمة^(٢).

وظل الوقف منتشرًا في المغرب حتى الفترات المتأخرة، ولا سيما خلال القرن (١٣هـ / ١٩م)، حتى صار لكل رجل مقدر أو امرأة مقتدرة وقف، وشهدت دولة المغرب خاصة - ولا تزال - طفرة رائدة في مجال الوقف الإسلامي بعموم مجالاته، منذ دخوله في الإسلام حتى الوقت الحالي، وشاركت المرأة في بلاد المغرب في إنشاء الأوقاف، ومن أروع نماذجها التي ترونها الحوالات الحبسية خلال القرن (١٣هـ / ١٩م) هذا الوقف على البيهارستان الخيري، وقد قامت به إحدى النسوة اللاتي مررن بظروف قاسية، إذ أسرت ثم أُعتقت من قبل بعض الواقفين، فما كان منها بعد أن أُعتقت وعملت حتى كوّنت ثروة كبيرة أوصت بها للمؤسسات الوقفية الاجتماعية التي سبق أن احتضنتها واستفادت منها قبل عتقها، وتذكر إحدى

(١) ينظر: المرأة والوقف - التجربة المغربية، خديجة مفيد، مقال بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، السنة السادسة، العدد ١٠، مايو ٢٠٠٦م، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) ينظر: المرأة والوقف - التجربة المغربية، خديجة مفيد، ص ١٦٦.

الحوالات الحبسية ما نصه: «الحمد لله وحده؛ عهدت وأوصت الوصيفة تكم معتقة المرحوم الحاج الهاشمي ابن عبود وهي تشهد لله بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالنبوة وعموم الرسالة، أنه إن قضى الله بموتها وأدبرت من الدنيا أيام حياتها فإنه يخرج من جميع متخلفاتها من قليل الأشياء وكثيرها، جليلها وحقيرها، سواء في ذلك الأصل وغيره جميع الثلث الواحد وتجهز منه لقبرها، والقدوم على سيدها ومولاها بسبعين.... مثقالاً تصرف في حفر القبر واللحد والغسل والكفن والحنوط وقراءة القرآن العظيم، وتفريق الخبز على العادة الجارية بهذه الحضرة، وما فضل من الثلث إن كان غير أصل تأخذ ثلثه الشريفة الست السعدية بنت ابن عبود على سبيل الملك، وإن كان أصل تنتفع به مدة حياتها فإن قضى الله بوفاتها يرجع حبساً على المارستان من هذه الحضرة التطوانية ينتفع بخراجه من به من الضعفاء والمرضى حبساً مؤبداً ووقفاً مخلداً لا يبدل عن حاله ولا يغير عن سبيله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، عهداً وإيصاءً صحيحاً نافذاً بعد الموت، عرفت قدره، شهد عليها بما فيه عنها في حال مرض ألزمها الفراش وهي معه صحيحة العقل، تامة الميز والإدراك، وبحال الطوع والجواز، وعرفها في رابع وعشرين رمضان المعظم عام سبعة وتسعين وماتين وألف (١٢٦٧هـ / ١٨٥١م)، وفيه الواقف على ذلك المكرم السيد الحاج محمد الرزيني»^(١).

ومن ثم فقد ألقى هذا الجزء الضوء على أشهر الأوقاف النسائية وأهمها، التي سبقت قيام الدولة العثمانية خلال العصور الإسلامية المختلفة في معظم البلدان الإسلامية، وتطرق أيضاً للحديث عن الوقف عند غير المسلمين، وتناول الحديث أشهر وقف نسائي على المسلمين وقفته امرأة غير مسلمة في سابقة يقل أو ربما ينذر وجودها في التاريخ، ولا سيما إذا قلنا إنه وقف على المسلمين إبان حكم الدولة المغولية الكبرى، التي اشتهر عنها القتل وتخريب المدن والعمران وحرق الكتب وغير ذلك مما أفاضت بذكره المصادر العربية، وقبيل حتى إن ينقسم المغول على

(١) الأوقاف والتوازن المجتمعي بمدينة تطوان، خالد الرامي، ضمن أعمال الندوتين، المجتمع التطواني والتطور العمراني والمعماري من القرن ١٦ إلى القرن ٢٠، أعمال الندوتين أيام ٩-١٠ ديسمبر ٢٠٠٥م، ١٤-١٦ ديسمبر ٢٠٠٦م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٩٠-٩١.

أنفسهم بين مغول فارس ومغول القبيلة الذهبية، إضافة إلى نماذج لأوقافٍ لإسهام المرأة في الوقف بمختلف جوانبه ونواحيه في بلاد المغرب العربي، منذ فتحها وحتى العصور المتأخرة.

وقد كان لهذا التمهيد أهميته من جانبين: أولهما: التأكيد على الامتداد التاريخي لتطور الوقف الإسلامي، ودور النساء فيه وإبراز مكانتهن الرائدة في المجتمعات الإسلامية، وثانيهما: تأصيل الوقف العثماني بما قبله كامتداد وتطور عن العرب لا عن الأصول التركية، ففي الوقت الذي يؤصل فيه أغلبية الباحثين في التاريخ والحضارة والآثار العثمانية أمرها إلى العهد السلجوقي، فإننا نؤكد أن الفكرة كلها إنما أخذت عن العرب المسلمين، وكان منبعها من الجزيرة العربية موطن الرسالة المحمدية وبعدها مصر وبلاد الشام، ومن ثم فإن امتداد الترك العثمانيين في الوقف إنما يرجع أصله إلى أصول الإسلام ومنابعه، لا إلى مواطن الترك من آسيا ولا غيرها والتاريخ شاهد، فإن كان اقتباس العثمانيين لغالبية مظاهر العمارة والفنون والنظم عن السلاجقة، فإن السلاجقة أنفسهم إنما طوروا جميع أجزاء حضارتهم وجوانبها عن العرب المسلمين.

ثالثاً: أهمية مدينة إستانبول جغرافياً وتاريخياً:

يُعدّ الإطار الجغرافي، والإطار التاريخي من أهم أسباب ازدهار مدينة إستانبول، فمدينة إستانبول أشهر من أن تُعرّف^(١)، ومنذ أن اتخذ السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤٥١-١٤٨١م) قراره بنقل العاصمة إليها سنة (٨٦٢هـ / ١٤٥٧م)، فقد لعبت المدينة دوراً مهماً وبارزاً في التجارة العثمانية برّاً وبحراً^(٢)، وفي الوقت نفسه صارت إيالة^(٣) مستقلة لا ترتبط بإيالة الروملي التي تشكلت في أوروبا، وعندما

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، منشورات جامعة الكويت، ٢٠٠٢م، مج ١، ص ١٠٥.

(٢) ينظر: إستانبول: عقب التاريخ.. روعة الحضارة، الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٥٨-٥٩.

(٣) الإيالة تعنى الولاية، وهي أكبر الوحدات الإدارية والعسكرية في العهد العثماني، كان يتولى حكمها حاكم برتبة بكربكي «تنطق بيلربي»، أي: أمير أمراء، وهي في الوقت نفسه رتبة عسكرية بمقام فريق أول، حيث كانت الدولة مقسمة إلى إيالات، والإيالات إلى سناجق أو صناجق (والسنجق في اللغة يعني العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم اتسعت الدلالة

قامت الدولة بإعادة تنظيم ولاياتها وتشكيلها من جديد عقب معاهدة برلين عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م كانت إستانبول أهم الولايات العشر التي تشكلت بالرومي^(١)، وهي مدينة كبرى بالغة التحصين تقع على مضيق البوسفور^(٢)، وتأسست بادئ الأمر على يد الإمبراطور قسطنطين ولذا سميت باسمه، وأطلق عليها اسم القسطنطينية في العصر البيزنطي، وكان البيزنطيون يكتفون بإطلاق لفظة هيبوليا (Hepolia) أي: «إلى المدينة» عليها، وهي اللفظة التي ظهرت في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين المسلمين في القرن ٤هـ/ ١٠م^(٣).

والقسطنطينية كما قال ياقوت: «بضم القاف وزيادة ياء مشددة، وقد تضم الطاء الأولى منها، وكان اسمها بيزنطة فنزلها قسطنطين الأكبر وبنى عليها سوراً وسمها باسمه وصارت دار ملك الروم»، وقال غيره: واسمها إصطنبول أيضاً، والحكايات عن كبرها وعظمتها وحسنها كثيرة، ولها خليج من البحر يطوف بها من جهين مما يلي المشرق والشمال، وجانبها الغربي والجنوبي في البر، وسمك سورها الكبير واحد وعشرون ذراعاً، وبينها وبين البحر فرجة خمسين ذراعاً^(٤)، ويحكى عنها وعن حسننها

فصارت عبارة عن قسم إداري من أقسام الدولة يتكون من «٥-١٠» أفضية، ومن ثم تنقسم السناجق إلى أفضية، والأفضية إلى نواح، والنواحي إلى قرى، ثم في القرن السابع عشر الميلادي أصبح يشرف عليها الوزراء، حيث كانت الإيالة الواحدة تنقسم إلى من «٢-٤٠» سنجقاً، وأصبحت الإيالة في عهد التنظيمات أصغر من الإيالات القديمة. ينظر: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشوات، أحمد شلبي بن عبد الغني، ط ٢، دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٤م، ص ٦٤، حاشية رقم (٢)؛ وتاريخ المشرق العربي «١٥١٦-١٩٣٣م»، عبد العزيز عمر عمر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، ودار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٥٠-٥٧.

- (١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، محمد حمزة الحداد، ص ١٠٦.
- (٢) مضيق البوسفور أو البسفور أو (İstanbul Boğazi) عبارة عن مضيق مائي يربط بين البحر الأسود شمالاً وبحر مرمرة جنوباً، وهو يفصل بين الطرفين الأوروبي والآسيوي، ويبلغ طول المضيق ١٩ ميلاً (٣٠ كم)، كما يبلغ أقصى اتساع له ٣، ٢ ميلاً (٧، ٣) في المدخل الشمالي، وأقل اتساع له ٧٥٠م في ما بين قلعتي الرومي والأنصولي، فيما يتراوح عمقه ما بين ٥، ٦٣ و ١٢٤ متراً. ينظر: أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني، الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، محمود سيد الدغيم، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب، ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣م، القاهرة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٢٤، حاشية رقم (٢).
- (٣) ينظر: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، برنارد لويس، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٩٨٢م، ص ١١.
- (٤) ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، مج ٤، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٩٥-٩٨؛ قاموس الأمكنة والباق الوارفة في كتاب فتوح البلدان، علي هجعت، القاهرة، ١٩٠٦م، ص ١٩٦-١٩٧.

الكثير، وذكر أن لها أبوابًا كثيرة، منها: باب الذهب وهو حديد حموه بالذهب^(١)، وتشغل جانبًا من شبه جزيرة في بحر مرمرة، وقد أُسست على سبع هضاب تبدأ من الجنوب الشرقي للمدينة^(٢).

وتُعدّ إستانبول من أحسن مدائن الأرض وأغربها عمرانًا وبنياً^(٣)، ومن الملاحظ أن اسم «إستانبول» لم يحظ بالاستعمال الرسمي العثماني كثيرًا، وأن تغيرًا قد طرأ عليه حوله إلى إسلامبول بمعنى: أرض الإسلام أو العامرة بالإسلام، وهو ما سُجّل على المسكوكات والوثائق العثمانية في بعض الفترات، إلا أن اسم «قسطنطينية» مع تنويعاته بأسماء مستعارة، مثل: الأستانة أو دار السعادة ظل مفضلًا في الاستعمال الرسمي (كما يبدو من الوثائق الرسمية الصادرة عن دوائر الدولة الرسمية منذ الفتح وحتى نهاية الدولة العثمانية)، ولم يحدث تغيير اسم «قسطنطينية» أو الأسماء الأخرى المستعارة بصورة نهائية إلى «إستانبول» المعروفة حاليًا لها من دون غيرها من التسميات إلا في سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م، أي: في أعقاب إنهاء الخلافة العثمانية وبداية العهد الجمهوري^(٤).

وقد كان تأسيس المدينة على سبع هضاب مقتبسًا من إنشاء مدينة روما عاصمة الدولة الرومانية القديمة التي أُسست سنة ١٠٠٠ ق. م^(٥)، ولذا فقد أنشئت مدينة بيزنطة سنة ٧٠٠ ق. م. في موقع وسط بين أوروبا وآسيا، وعُرفت المدينة عقب

(١) ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٦٠٣-٦٠٦.

(٢) ينظر: السلطان محمد الفاتح «فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح، محمد مصطفى صفوت، منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣١؛ وتاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٦٢٩.

The Seven Hills Of Istanbul, A Study Of The Byzantine And Turkish Monuments Of The City, (Sumner-Boyd Hilary), Unpublished Manuscript, Bosphorus University Library, 1976, P. 24.

(٣) ينظر: كتاب الجغرافيا، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة بدون تاريخ، ص ٧٣؛ وتقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، أبو الفداء، دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ، ص ٣٢؛ والعبارة الحربية لمدينة إستانبول في العهد العثماني، شيباء عطا حمدان، مخطوط رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، مج ١، ص ٢.

(٤) ينظر: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، برنارد لويس، ص ١١-١٢.

(5) [Http://www.Britannica.Com/Place/Ancient-Rome](http://www.Britannica.Com/Place/Ancient-Rome).

إنشائها باسم استامبول (ويقصد بهذا اللفظ منطقة شبه الجزيرة التاريخية)، وبعد زيارة الإمبراطور قسطنطين لها سنة ٣٢٤م أعجب بموقعها وتخطيطها فقام بنقل العاصمة إليها، وأصبحت عاصمة الدولة الرومانية بعد توحيدها مرة أخرى على يد قسطنطين، وأطلق عليها اسم روما الجديدة، ثم قام بتغيير اسمها سنة ٣٣٠م لتسمى بالاسم الذي اشتهرت به وهو القسطنطينية نسبة إليه، وقد تعرضت المدينة إلى الغزو عدة مرات منذ إنشائها، فدخلها الفرس بقيادة داريوس سنة ٥١٢ (ق.م) وظلت تحت أيديهم حتى سنة ٤٧٩ (ق.م). بعد أن طردهم الرومانيون، ومن ثم دخلت المدينة تحت حماية الدولة الرومانية^(١)، ثم دخل المدينة الآثينيون أو اليونانيون عدة مرات سنة ٤١١ (ق.م) ثم ٣٥٦ (ق.م)، وقد حاصرها فيليب المقدوني سنة ٣٤٠ (ق.م) من دون جدوى حتى تمكن ابنه الإسكندر الأكبر من دخول المدينة سنة ٣٣٤ (ق.م)، وظل أمر المدينة بعد ذلك سجلاً بين الدولة الرومانية واللاتين، حتى استطاع الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفي روس دخولها سنة ١٩٦م، فأعاد بناء المدينة بعد تدميرها وأنشأ بها منارة كبيرة، وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية ظلت الحرب بين قسميها الشرقي والغربي دائرة على بيزنطة حتى انتصرت الدولة الغربية بقيادة الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٤م، ومن ثم دخل المدينة وأطلق عليها اسم روما الجديدة ثم القسطنطينية بعد ذلك سنة ٣٣٠م^(٢)، وبعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيوس الأول سنة ٣٩٥م تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية مرة أخرى إلى: غربية بقيادة هونوريوس (التي تم غزوها من قبل البربر وإنهاء الإمبراطورية الغربية سنة ٤٧٦م)، وشرقية بقيادة أركاديوس وعاصمتها القسطنطينية، وظلت حتى فتح المدينة على يد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م)^(٣).

ومنذ القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر الميلاديين مرت المدينة بكثير من العواصف الغربية والشرقية على حد سواء، وكانت البداية من الفرس الذين

(1) Strolling Through Istanbul, The Classic Guide To The City, (Hillary Sumner-Boyd) & (John Freely), Revised And Updated Edition, Republished By Tauris Parke Paperbacks, London, 2010, Pp. 2-3.

(2) Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd) & (John Freely), P. 4.

(3) The Ottoman Empire, The Sultans, The Territory, And The People, The Religious Tract Society, (Miss Maria Gilman Nutting), London, 1839, P. 55-64.

سيطروا على المدينة حتى استردها منهم الإمبراطور هرقل (الذي حكم في الفترة من ٦١٠-٦٤١م)، وكان له دور كبير في تقوية الدولة وبدأ غزوها للمناطق المجاورة لها^(١)، وظلت الدولة البيزنطية قوية ترعى في أمجادها حتى جاءت بعثة النبي ﷺ، وبدأت محاولات^(٢) فتح المدينة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فكانت المحاولة الأولى لفتح المدينة سنة ٣٢٢هـ/ ٦٥٣م بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^(٣)، ثم كانت المحاولة الثانية خلال عهد الخليفة معاوية سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م، والذي أعاد الكرة للمرة الثالثة لفتح المدينة سنة ٤٩هـ/ ٦٦٩م^(٤)، وكان على رأس هذا الجيش الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي توفي قرب أسوار المدينة، ودفن فيها في المنطقة التي تُعرف باسمه إلى اليوم، وكانت المحاولة الرابعة خلال عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م، وكانت المحاولة الخامسة خلال العهد العباسي حيث أرسل الخليفة المهدي ولده هارون الرشيد سنة ١٦٥هـ/ ٧٨٣م، إلا أن تلك المحاولات كلها لم تنجح في فتح المدينة^(٥).

توقفت الفتوحات العربية للقسطنطينية بعد ذلك، وحمل لواء الجهاد ضد الدولة البيزنطية السلاجقة منذ معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، ففقدت الإمبراطورية البيزنطية جزءاً كبيراً من أراضيها الشرقية، ثم كانت الطامة الكبرى لها قيام اللاتينيين بالحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية في ١٣ أبريل سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م^(٦)، ودخلوا المدينة على الرغم من إخفاقهم في العام السابق، لذلك عاشوا في المدينة فساداً^(٧)، وظلوا بها حتى سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، بعد أن استطاع الإمبراطور باليولوجوس من طردهم^(٨)، وظلت المدينة مستقرة بعد علاقتها

(1) Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd) & (John Freely), P. 5.

(٢) ينظر: المدن التراثية في العالم الإسلامي، خالد عزب، كتاب إلكتروني عن: www.Kotobarabia.Com، ص ٦٩-٨٨.

(3) The Ottoman Empire (op. cit), (Miss Maria Gilman Nutting), P. 61.

(٤) ينظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، راغب السرجاني (تقديم)، مراجعة وإشراف: قاسم عبد الله إبراهيم ومحمد عبد الله صالح، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ج ٢، ط ٧، أبريل ٢٠٠٧م، ص ١٤٧.

(٥) ينظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، راغب السرجاني، ص ١٤٧-١٤٨.

(٦) ينظر: ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، سلسلة عالم المعرفة، ١٤٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص ١٢٢.

(7) The Conquest Of Constantinople, (Geoffrey of Villehardouin) In "Jonesville And Villehardouin, Chronicles Of The Crusades", (Translated With An Introduction By, M. R. B. Shaw; Penguin Books, 1975, Pp. 29-160

(8) The Ottoman Empire (op. cit), (Miss Maria Gilman Nutting), Pp. 56-57.

التجارية مع المدن والبلدان الأوروبية حتى قامت الدولة العثمانية كإمارة حدودية صغيرة غرب الأناضول؛ فأخذت في التوسع على حساب ما تبقى من الأراضي البيزنطية في الأناضول، ثم حاول العثمانيون فتح القسطنطينية نفسها عبر محاولات متكررة، وكانت أولى محاولاتهم سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م بقيادة بايزيد الأول إلا أن ظهور تيمورلنك حال دون فتحهم إياها، وظلت القسطنطينية مستعصية على العثمانيين رغم تعدد مرات حصارها، حتى أذن الله بالفرج ففتحت المدينة في عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤٥١-١٤٨١م)، ليصدق فيه قول النبي ﷺ: «لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»، وتحول اسمها من القسطنطينية إلى إسلامبول أو إستانبول التي تعني: مدينة الإسلام^(١)، تكتب الكلمة بالعربية إستانبول، فيما في اللغة التركية (İstanbul) وفي الإنجليزية (Istanbul)، وهي واحدة من أشهر المراكز التجارية في العالم^(٢)، والمدينة الوحيدة في العالم التي تقع في قارتين (آسيا وأوروبا)، ويقدر أن ثلثي سكان إستانبول عاشوا في الجانب الأوروبي، في حين عاش الثلث الأخير في الجانب الآسيوي، ويمثل الجزء الغربي من المضيق البوسفور إستانبول أوروبا (الروملي)، في حين يمثل الساحل الشرقي من المضيق إستانبول آسيا (أناضولي)، وعلى ذلك تشكل إسكندار النواة في الجانب الآسيوي، وتشكل الجانب الأوروبي المدينة الأصلية التي تسمى (نفس إستانبول) وتقع في جنوب الخليج^(٣)، ويطلق على القسم الشمالي من الخليج اسم جلطة أو غلطة وبك أو غلغو، وأيوب على السواحل الغربية من الخليج^(٤).

وهذا فقد كانت إستانبول تقسم إدارياً خلال العهد العثماني إلى أربع وحدات:

- (١) ينظر: موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، محمود شاكر، مج ٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٨٧.
- (٢) ينظر: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ٤٦.
- (٣) هو خليج القرن الذهبي الواقع بالجزء الأوروبي بمدينة إستانبول، حيث يقسمه إلى جزأين: جنوبي (وهو المدينة الأصلية) وجزء شمالي، وكان لهذا القرن أهمية كبرى عندما فتحت المدينة، حيث أغلق البيزنطيون مدخله الشرقي في وجه السفن العثمانية مما دفع الفاتح لإيجاد حيلة استطاع بها إدخال سفنه إلى القرن الذهبي وتدمير السفن البيزنطية، وهي تمهيد طريق خلف الساحل الشمالي (ضاحية أيوب) زُججت عليه السفن العثمانية حتى وصلت القرن الذهبي، وكانت مفاجأة للبيزنطيين لم يتوقعوها مما أثار الرعب في قلوبهم، وكان ذلك عاملاً مهماً في انتصار العثمانيين عليهم والسيطرة على الخليج.
- (٤) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، مج ٢، ص ٦٢٨؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٠٦-١٠٧.

هي غلطة وإسكدار وأيوب وإستانبول. يقع قسم غلطة شمال خليج القرن الذهبي بمواجهة استامبول القديمة، وكانت هذه المنطقة في العهد البيزنطي مستوطنة من قبيل التجار الأوروبيين لا سيما تجار «جنوة»، وظلت هكذا خلال العهد العثماني وحتى العصور الحديثة، كما كان غالبية سكانها من الأجانب غير المسلمين، ويطلق على هذا الجزء حالياً بيوغلو (Beyoğlu)، وهو بمعنى الدوق ابن الأمير حيث كان يقطنها ابن دوق البندقية؛ أما إسكدار فهي الجزء الآسيوي من المدينة، ولم تكن ضمن المدينة قبل الفتح العثماني لها فصارت جزءاً أو قسمًا إداريًا من أقسام المدينة، وقد اشتق اسمها من (Scutari) أو من كلمة (As Itander) الفارسية لأنها كانت مقرًا للترسانات البحرية^(١)، ولها بلدية حالياً تُعرف باسم بلدية إسكدار الكبرى؛ في حين يقع قسم أيوب في الطرف الشمالي الغربي للخليج خلف أسوار المدينة للخارج، وقد نشأت هذه الضاحية وعمرت بعد الفتح العثماني، لا سيما بعد كشف الشيخ (آق شمس الدين) بحضور السلطان الفاتح عن موقع قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي استشهد خلال المحاولة العربية لفتح القسطنطينية سنة ٥٢٢هـ / ٦٧٢م^(٢).

وأما الجزء القديم نفسه فهو الذي كان يعرف باستامبول ويقصد بها المدينة القديمة، وهي تأخذ شكل المثلث، ويحدها من الشمال خليج القرن الذهبي، ومن الشرق مضيق البوسفور، ومن الجنوب بحر مرمرة، وتُعرف الآن تلك المنطقة باسم بلدية الفاتح الكبرى، وهي منطقة شبه الجزيرة التاريخية التي تقوم على سبعة تلال تبدأ من الشرق إلى الغرب، حيث يبدأ التل الأول من شاطئ البوسفور ويمتد حتى منطقة آيا صوفيا والسلطان أحمد وقد أقيم عليه قصر طوبقابو، أما التلال (الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس) فيمكن رؤيتهم من خليج القرن الذهبي، إذ تمتد التلال إلى جانب بعضها البعض (بدءاً من التلين الثاني والثالث) بموقع خان

(١) ينظر: كوجوك آسيا، شارل تركسيه، ترجمة: سعاد على، برنجي جلد، توركييا بيوك ملت مجلسي حكومتي، معارف وكالتي نشر غيدن، إستانبول مطبعة عامرة، ١٣٣٩هـ، ص ١٤١؛ ونماذج من منشآت ولاية مصر العثمانية في إستانبول، عبد الله عطية عبد الحافظ، في؛ دراسات في الفن التركي، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٧م، ص ٢٨١، حاشية رقم (٢٩٥).

(٢) ينظر: إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، لويس برنارد، ص ١٣٣-١٣٤.

الوزير وجامع نورعثمانية، وقد أقيمت أعلاهما الخانات المشهورة كخان الوالدة وغيره ومجمع السلليمانية، ويتنهي التل الثالث إلى الجنوب الغربي بمجمع بايزيد الثاني، ثم يأتي التل الرابع ويقوم عليه مجمع السلطان الفاتح، ثم التل الخامس الذي يقوم عليه جامع السلطان سليم الأول أعلى القرن الذهبي، ثم التل السادس حيث يشاهد أعلاه مآذن جامع مهرماه سلطان بنت سليمان القانوني، ويتنهي التل عند أسوار المدينة التي بنيت خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس، في حين يمتد التل السابع إلى الجنوب على ساحل بحر مرمره، بدءاً بموازة التلين (الخامس والسادس) وما تلاهما جهة الجنوب^(١).

كانت إستانبول الميناء الرئيس للدولة العثمانية، وكان لا يُسمح للتجار غير العثمانيين بدخول بضائعهم إلى أي مكان سوى إلى ميناء إستانبول، ثم تنقل بعد ذلك عبر التجار العثمانيين إلى الأراضي العثمانية الأخرى^(٢).

(١) بتصرف واختصار عن:

Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), pp. 4-14.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلباز أوزتونا، ص ٥٩٦.



الباب الأول
الدراسة الوصفية

تمهيد:

يتناول الباب الأول من الدراسة وصف العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م)، وذلك لتسجيل العمائر تسجيلاً وافياً من حيث التخطيط المعماري والملامح الفنية والعناصر الزخرفية، وتم الاعتماد بشكل أساسي في هذا الباب على الدراسة الميدانية إلى جانب الاستعانة بالدراسات التي تطرقت للموضوع من قريب أو بعيد للوقوف على مدى إسهام كل دراسة في موضعها، وتأييد ما يرجح الباحث صوابه اعتماداً على الأدلة الأثرية وما ورد في الوثائق الوقفية من ناحية، والمصادر التاريخية من ناحية أخرى، وتصحيح الآراء التي جانبت الصواب رغم اجتهاد أصحابها اجتهادات ملموسة ومفيدة للغاية، وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول: تناول كل منها عمائر فئة من نساء القصر العثماني بإستانبول، ممثلة في زوجات السلاطين وبناتهم ووالداتهم، مع انتقاء أفضل النماذج وأبرزها التي تفيد بحق في دراسة عمارة الوقف خلال تلك الفترة ومساهمتها في الحياة العامة للناس، وما توافر لدى الباحث من وثائقها الوقفية.

المقدمة

(وتتناول أهم المصطلحات الأساسية والألقاب التي تخص موضوع الرسالة)

أولاً: الكلية المعمارية (Külliyeye) ونطورها:

الكلية: مصطلح تركي يعبر عنه في الإنجليزية (Complex)، وتكتب في التركية كليه (Külliyeye)، وكلية⁽¹⁾ (Külliyot)، وفي العربية مجمع أو مجموعة معمارية، وهي مؤسسة معمارية تضم بداخلها عددًا من الوحدات المعمارية مختلفة الوظائف، منها ما هو ديني كالمسجد والمدرسة والكتّاب، ومنها ما هو خدمي كالسبيل ودار الشفاء والمطعم الخيري، ومنها ما هو مدني كالمشآت التجارية، وتشكل الكلية المعمارية حول وحدة أساسية تمثل أصل بنائها وتشبيدها، وهي في غالب الأحيان المسجد، وانتشر بناء هذه المنشآت خلال الدولة العثمانية، بوصفها عمائر وقفية تنشأ برعاية كبار رجال الدولة والأغنياء كعمل خيري وقفي يتم تسجيله وضبطه وفقًا لقواعد الشرع الإسلامي الخفيف ومراعاة القواعد القانونية العرفية، وما يميز الكلية المعمارية في سميتها وحجمها وزخارفها إنما مردّه إمكانيات الواقف نفسه اقتصاديًا وأهميته السياسية أو الدينية، وتمكّن المهندس المصمم لهذه العمائر.

وعرّف «باشك أبك أو غلو» الكلية المعمارية على أنها مجموعة من الأبنية ذات الأغراض المختلفة التي تتجمع حول المسجد، والتي يمكن أن تُشيد في وقت واحد أو على مدار عدة سنوات ما دام يشترط أن يكون مخططًا لها منذ البداية أن تبنى ككلية معمارية، كما يمكن أن تتكون الكلية المعمارية من خلال تجمع المباني حول مسجد أو مبنى آخر على مدار سنوات ما دام جمعها روابط مشتركة مع اختلاف وظيفة كل مبنى عن الآخر⁽²⁾.

وقد بدأ إنشاء الكليات المعمارية في مدينة إستانبول منذ فتحها على يد السلطان محمد الفاتح، وكانت باكورة هذه الكليات بالمدينة كلية السلطان محمد الفاتح نفسه سنة ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م، وشيّد الوزراء والسلاطين وبعض نساء القصر العثماني كليات

(١) ينظر: القاموس العثماني التركي، متاح في موقع: Osmanice.com

(2) Buildings with combined functions in Anatolian Seljuk Architecture (an evaluation of design principles, past and present functions), (B. A. İpekoğlu), Ph.D. -Doctoral Program, Middle East Technical University, 1993, p. 54.

معمارية على امتداد التاريخ العثماني في المدينة، وقد سبق إنشاء الكليات المعمارية في إستانبول إنشاء مثيلاتها من قبل سلاطين العثمانيين في المدن الأناضولية، لا سيما بورصة وإزنيق والمدن الأوروبية أيضًا مثل أدرنة، وكان أقدمها مجمع أورخان بك (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) خارج مدينة إزنيق، إذ كان يضم جامعًا وحمّامًا ومطعمًا خيريًا^(١)، ويُعدّ أول مجمع معماري خيري (Küllüye) في العارة العثمانية لمجموعة تضم عدة منشآت معًا ولكنها متهدمة الآن، ولم يتدع العثمانيون هذا التأليف أو التجميع المعماري، وإنما ورثوه عن السلاجقة الذين انتشرت مجتمعاتهم المعمارية في الأناضول، وقد اعتمد السلاجقة في بناء مجتمعاتهم المعمارية على تشكيلها حول المدارس، وفي هذا انعكاس لمدى التأثير بالجو العام للدولة، فانتشرت مدارسهم في مختلف مدن الأناضول، إضافة إلى قيامها بوظيفة المساجد الجامعة إذ كانت تحتوي على منابر ومآذن، وينطبق الأمر نفسه على العهد المملوكي في مصر والشام إذ انتشرت فيه المجمعات المعمارية أيضًا، اعتمادًا على المدرسة، مع تعدد التسميات وتنوعها ما بين مسجد ومدرسة و خانقاة تماشيًا مع الموروث السائد في المجتمع.

أما لبنة المجمعات المعمارية من حيث التعدد الوظيفي لا الإنشائي فيمكن اعتبار المسجد النبوي أول نموذج لها؛ إذ قام بوظيفة المسجد والمدرسة ودار الإمارة إضافة إلى ضمّه لقبر الرسول ﷺ بعد توسعته، وتلي المسجد النبوي كثير من المنشآت متعددة الوظائف رغم وحدة المبنى، وظهرت نوعيات مختلفة من العمارات تلبيةً للحاجات الضرورية الملحة التي ظهرت على الساحة الإسلامية، فظهر مصطلح المدرسة بمفهومه الذي لم يتحدد ويتشكل إلا في القرن ٤هـ / ١٠م، ومن ثم بدأ الفصل تدريجيًا بين المسجد كوحدة تعبدية تقام فيها الصلوات الخمس، والمدرسة كوحدة تعليمية، لما طرأ من تغيرات أوجدت شروطًا ومعايير خاصة لا بد من استدراكها في المنشأة التعليمية، ومن هذه الأمور ضرورة وجود الخلاوي وغرف إقامة للطلاب لضمان تفرغهم لتحصيل العلم، كما كان لتعدد المذاهب الفقهية تأثير آخر إذ أدت إلى ضرورة الفصل بين المذاهب لاجتناب تبعات الاختلاف في بعض المسائل

(١) ينظر: الطراز العثماني في عائر القاهرة الدينية، علي المليجي، رسالة (دكتوراة) بكلية الآداب جامعة أسوط، ١٩٨٠م،

الشرعية، والحاجة إلى السكنينة والهدوء ومراعاة الخصوصية التي لم تكن متوافرة في الطراز التقليدي للمساجد من حيث التخطيط، لا سيما أنه قد ظهر مصطلح الإيوان بمفهومه العام الذي شكّل عنصراً معمارياً له خصوصية وظيفية، وأخذ شكله يتطور من موضع لآخر حتى وصل للعمارة المملوكية؛ كعنصر معماري يفتح من جانب واحد على الفناء الذي يتوسط المنشأة فيما يغلق من الجهات الثلاث الأخرى، وترتفع أرضيته قليلاً عن أرضية الفناء، وتميز الإيوان باختلاف حجمه وارتفاعه واتساعه من مدرسة لأخرى ومن منشأ لآخر؛ تبعاً لاختلاف الإمكانيات المادية والحدود والمساحات المتاحة للبناء والتشييد.

ومع ازدياد التصوف وشدة الإقبال عليه زادت الحاجة إلى تخصيص أوقاف لأصحاب التصوف، مما مثل لهذه الفئة شعبية كبيرة لدى القادة، ومن ثم ضرورة استرضائهم ورعايتهم، وانتشرت مصطلحات تدل على وحدات معمارية حُصّصت لهؤلاء نظير تفرغهم للعبادة وانقطاعهم فيها، فظهر في مصر والشرق الإسلامي مصطلح الخانقاة^(١) الذي يرادفه في العمارة العثمانية مصطلح التكية، وهي لفظة مشتقة من فعل «توكأ»، يقال توكأ على الشيء واتكأ؛ أي تحمّل واعتمد، فهو متكئ، ورجل تكاة: كثير الإتكاء، والتوكؤ: التحامل على العصا في المشي^(٢). وهي مصطلحات تدل على الوظيفة أكثر مما توحى بتخطيط معماري معين؛ إذ إن وحداتها المعمارية مطابقة للمدارس التي عرفت خلال تلك الفترات، ويرادف التكية مصطلح الرباط والزاوية مع الفارق بينها.

وفي سياق تفصيل اشتقاق الألفاظ؛ فإن الرباط لغة: قد اشتق من المرابطة أي: ملازمة ثغر العدو، وأصلها أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ومن هنا صار الثغر رباطاً، وربما سميت الخيل أنفسها رباطاً^(٣)، وقد قرن السمهري بين المعنى اللغوي للرباط والمعنى الصوفي فقال: «وأصل الرباط ما يربط فيه الخيول، ثم قيل

(١) ينظر: نشأة الكلية المعمارية ووظائفها خلال العهد العثماني، محمود السيد محمد، بحث منشور بمجلة كلية الآثار-جامعة القاهرة، العدد ٢٤، ٢٠٢١م، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج ١، ص ٢٠.

(٣) ينظر: المغرب في تشكيل العرب، ناصر بن عبد السيد المطرزي (ت: ١٢١٠هـ/١٢١٣م)، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، حلب، سوريا، ١٩٧٩م، ص ٣١٦؛ ولسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج ٧، ص ٣٠٢.

لكل ثغر يدفع أهله عمّن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمّن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله ﷻ يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد^(١)، ولم يكن على عهد النبي ﷺ غزو يربط فيه الخيل، وأما مصطلح الرباط وجمعها رباطات أي: المدن التي يربط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله لحماية حدود الدولة الإسلامية وحماية الدعوة في ديار الإسلام، وتحولت اللفظة في العصور الإسلامية المتأخرة عن مفهومها العسكري حتى أصبحت تعني نفس ما تعنيه كلمة الزاوية والخانقاة والتكية^(٢)، وإنما كان الرباط حينئذ يعني انتظار الصلاة بعد الصلاة، فكانت المرابطة تعني جهاد النفس، وأصبح الرباط يشير إلى بيت الصوفية ومنزلهم، وتم تشبيهه حالهم بحال أهل الصفة^(٣).

أما الزاوية فهي -لغة- من زوى وانزوى، بمعنى تنحّى وابتعد وانعزل^(٤)، وتعني أيضاً ركن البناء لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناصيتين^(٥)، وقد أطلق مصطلح الزاوية على الحلقات العلمية بالجوامع الكبرى، ومنها زوايا العلم بجامع عمرو بن العاص: كزاوية الإمام الشافعي والزاوية المجدية والزاوية الصاحبية وغيرها، وقد وقفت على هذه الزوايا بعض الأوقاف مما كان له أثره الكبير في استمرارها في أداء رسالتها العلمية على خير وجه^(٦)، ثم أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي تتسع لأشخاص قليلين يقيمون فيها لأجل العبادة، وهي أصغر من الرباط وربما كانت جزءاً منه^(٧)، ويرى بعض الباحثين أن اسم الزاوية جاء لأن الذين أقاموا فيها اختاروا

- (١) عوارف المعارف، عمر بن محمد السمهري (ت: ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٦٦.
- (٢) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية المعربة، ديلافوس ماوريس، مادة الرباط، ج ١٠، ص ١٩-٢٤؛ والمؤسسات الصوفية في مصر في العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م) ودورها في الحياة العامة، محمود سعود مبارك الحسيني، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٧م، ص ٥٨.
- (٣) ينظر: المؤسسات الصوفية في مصر في العصر المملوكي الأول، محمود سعود مبارك الحسيني، ص ٥٨.
- (٤) ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، ج ١٤، ص ٣٦٣.
- (٥) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية المعربة، مادة زاوية؛ والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ج ١، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤١٠.
- (٦) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ والأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية، محمد محمد أمين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٢٦٠-٢٦١.
- (٧) ينظر: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٠٥.

الانزواء والابتعاد عن البشر^(١)، وقد استخدمت بعض الزوايا كمسجد تؤدي فيه الصلوات الخمس المفروضة، ومنها زاوية الخدام التي كانت منزلاً للخدام الأبحاش وأصبحت مسجدًا له إمام ومؤذن، ومنها أيضًا زاوية البراشمة التي كانت توجد بخط المصنع بالقلعة^(٢).

والخانقاة لفظ فارسي مكون من مقطعين خان، كاه، وتعني في الأصل موضع المائدة، وهو المكان الذي يأكل فيه الملك^(٣)، كما أنها أصبحت محلاً للتعبد والزهد والبعد عن الناس، ودخلت اللفظة إلى العربية منذ أن انتشر التصوف في الإسلام، وقيل: إن لها أصلًا في اللغة العربية من الخنق، وذلك لتضييق الصوفية على أنفسهم^(٤)، وكان أول ظهور لمصطلح الخانقاة في النصف الأول من القرن ٣هـ/٩م فقد كانت الخوانق جزءًا من النظام الديني للفرقة الكرامية، وقد شاهد المقدسي لهم بيت المقدس خوانق ومجالس حول قبر أبي عبد الله محمد بن كرام (ت: ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وقد أقامت هذه الفرقة خوانق لهم في خراسان وما وراء النهر وفي جرجان وطبرستان كانت بمنزلة مراكز للتعليم والدعوة والتبشير وحياة التقشف^(٥).

ومع ضرورة إطعام هذا العنصر المنقطع عن العمل ظهرت فكرة إنشاء المطاعم الخيرية التي عُرفت في الأناضول باسم دور المرق أو الإطعام، واستمرت خلال الدولة العثمانية تحت اسم «العمارت» أو المطاعم الخيرية التي تميزت بتخطيط معماري يشبه إلى حد كبير تخطيط المدارس.

ومع ظهور الأمراض وتفشيها بزغ نجم مصطلح «البيمارستان» الذي يقابله في التركية دار الشفاء، وفي العربية المشفى أو المستشفى، ومعلوم أن توفير الأطباء والمعالجين في الإسلام معروف منذ عهد النبي ﷺ، إذ كان يصطحب في غزواته عددًا من النسوة اللاتي يضمذن الجرحى ويعالجنهم ويعتنين بهم، ومن أشهر من قامت بهذا الوظيفة أم عمارة رضي الله عنها في غزوة أحد، ورفيدة الأسلمية في غزوة الخندق، على

(١) ينظر: المؤسسات الصوفية في مصر في العصر المملوكي الأول، محمود سعود الحسيني، ص ٥٩.

(٢) ينظر: معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، دولت عبد الله، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٥٦-٥٧.

(٣) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط، تقي الدين المقرئ، ج ٤، ص ٧٢٤.

(٤) لمزيد من التفاصيل، ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم حنفي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.

(٥) ينظر: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، أيمن فؤاد سيد، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩٨-٩٩.

أن تشييد وحدة معمارية ثابتة لهذا الغرض بمعناه الشامل كان في الدولة الأموية، وذكر «المقريزي» أن أول من بنى البيمارستانات في الإسلام الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨هـ/ ٧٠٧م، وجعل فيها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين في المشفى لئلا يخرجوا ويُعدى بهم الناس، وهذا بمعنى الحجر الصحي، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وأنشأ هو ومن جاء بعده دوراً لعلاج المجانين^(١)، ومن بعده الخليفة هارون الرشيد في بغداد سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م، وبنى أحمد بن طولون أول بيمارستان في مصر بمدينة القطائع سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م وجعل فيه حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وإذا جاء مريض؛ تنزع ثيابه وتوضع عند أمين المارستان، ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويعالج... وكان يذهب بنفسه لتفقد المرضى^(٢)، وانتشرت فيما بعد هذه العمارات؛ ومن أشهرها البيمارستان النوري لنور الدين محمود، والبيمارستان القلاووني، والبيمارستان المؤيدي، وأما في الأناضول فقد كانت أول منشأة طبية ووقف طبي لدى سلاجقة الأناضول هو ما أنشأته السيدة جوهر نسيه خاتون بمدينة قيصري سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م^(٣).

وانتشرت كذلك الأسبلة للحاجة الملحة للهاء، لا سيما أنه من أفضل القربات التي يُبتغى بها وجه الله تعالى، كما انتشرت عمارات النظافة العامة ممثلة في الحمامات وقد كانت معروفة من قبل لا سيما أنها مثلت مصدرًا من مصادر الدخل للمنشئ، ومن ثم أصبح لدى الواقفين عدة عمارات مهمة حال تفكيرهم في إنشاء كليات معمارية، وأصبحت لديهم قاعدة كبيرة يمكن تصنيف العمارات فيها من حيث الوظيفة إلى عدد من الأنواع:

١- المنشآت الدينية: كالمساجد.

٢- المنشآت التعليمية: كالمدارس ومكاتب الصبيان أو الكتاتيب.

(١) ينظر: المجتمع الإسلامي في واحة الأوقاف، محمود الزين، ضمن أبحاث ندوة «الوقف الإسلامي» التي نظمتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة (٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م)، فندق إنتركونتيننتال العين، الإمارات العربية المتحدة، ص ١١.

(٢) ينظر: المجتمع الإسلامي في واحة الأوقاف، محمود الزين، ص ١١.

(٣) ينظر: البيمارستان السلجوقي في الأناضول، فهيم فتحي إبراهيم، ص ٥٥٤؛ وعارة الوقف في العصر السلجوقي، فهيم فتحي إبراهيم، ص ١١٩.

٣- المنشآت الخدمية المجانية: كالأسبلة والبيمارستانات.

٤- المنشآت الربحية: كالمنشآت التجارية والحمامات، وقد كانت مهمة وضرورية إذ إنها توفر دخلاً يغطي نفقات المنشآت السابقة أو تساعد المسبلات والموقوفات الأخرى في تغطية تلك النفقات، مع العناية بأصل الموقوفات والمباني الوقفية وإجراء المرمات لها وإصلاحها كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وقد نصت وثائق الوقف على هذه الشروط إذ إن هلاك العين الموقوفة يؤدي بالضرورة إلى هلاك الوقف نفسه.

وأما من حيث التأصيل لظهور فكرة الكلية أو المجمع المعماري من حيث احتواء المنشأة على عدد من الوحدات المعمارية مختلفة الوظيفة فإنها قامت على يد نساء الأسر الحاكمة، وعُرفت في بادئ الأمر في عمائر سلاجقة الأناضول، وكان أول المجمعات المعمارية عندهم مجمع خواند خاتون زوجة السلطان كيقباد الأول (٦٣٦هـ/ ١٢١٨م)، الذي شيّده خلال عهد ولدها كيخسرو الثاني (٦٣٤-٦٤٤هـ/ ١٢٣٦-١٢٤٦م)، وكان يشتمل على مسجد ومدرسة وقبة وحمام، وانتقل نظام المجمعات المعمارية من السلاجقة في الأناضول إلى دولة المماليك البحرية، وكان أول ظهوره في مجمع قلاوون (٦٨٣-٦٨٤هـ/ ١٢٨٤-١٢٨٥م) بشارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة، إذ يضم مسجداً ومدرسة وقبة ضريحية وبيمارستاناً وسبيل ماء، وغلب اسم البيمارستان على هذه المجموعة المعمارية إذ كان السبب في إنشائها حتى عرف الجامع باسم جامع المارستان^(١)، ثم ظهرت فكرة المجمعات على يد أورخان غازي مع بداية ظهور الطراز العثماني في مدن إزنيق وبروسة بعد سنة (٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م)، ولكن الجديد في الكليات العثمانية أنها صارت تضم بالإضافة إلى الجامع والمدرسة والتربة والحمام عمائر أخرى، مثل: التاب خانة^(٢) (المضيفة)، والعمارت (دار المرق أو المطبخ العام)،

(١) ينظر: السلطان المنصور قلاوون، محمد حمزة الحداد، ص ١١٢.

(٢) التابخانة؛ أطلق البعض عليها حجرة ذات مدفأة أو حجرة شتوية أو مستشفى مجانية أو حجرة ضيافة، وفي المصطلح الفارسي؛ تعني المنزل الشتوي أو المنزل المشغول بالمرابا، وتعني أيضًا حمامًا أو مهجعًا، وسأها البعض الرواق المسقوف إذ تستخدم للمرضى كموضع يقيمون فيه أثناء فترة النقاهة، وأما في التركية العثمانية فتكتب (تاو خانة، تافخانة، تابخانة) وتتكون من مقطعين: تاب أو تاو؛ بمعنى الحرارة أو القوة أو القدرة، وখানে بمعنى نزل أو موضع. ينظر: المعجم الفارسي الكبير، إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٦٧٦؛ والواعد (معجم فارسي)، عبد الوهاب علوب، ١٩٩٦م، ص ١١٦.

وعدة مدارس، وبهارستان، وبازارات توقف للمجمع^(١).

وحينما نتبع تخطيطات المجمعات أو الكليات المعمارية في مختلف العصور الإسلامية نجد أن أمرها قد اختلف في الدولة العثمانية، إذ كان المعتاد في العمارة السلجوقية والعمارة المملوكية أن تكوين المجمع المعماري يعتمد على وجود وحداته المعمارية في موضع واحدٍ وملتصقة دائماً، ولكن الأمر اختلف في العمارة العثمانية، وصار بإمكان المنشئ أن يشيّد كليته المعمارية بحيث تأتي الوحدات المعمارية مجتمعة أو منفصلة يربطها مع بعضها وثيقة الوقف، أو تقع متقاربة بحيث تأتي كل وحدة منفصلة عن الوحدات الأخرى ويربطها معاً سور يلتف حول هذه الوحدات جميعها، أو تقع على جانبي شارع أو ممر يقسم هذه الوحدات إلى قسمين، أو غير ذلك مما يظهر تبايناً في فكرة إنشاء الكلية المعمارية عن المبدأ الذي كان معروفاً قبل العثمانيين، ومن ثم فإن الرابط الأقوى في إنشاء وحدات المجمع أو الكلية المعمارية العثمانية هو إنشاؤها ضمن منظومة الوقف الإسلامي من قبل مؤسس أو واقف واحد، يسجل أوقافه ومسبباتها لدى الجهات الرسمية (القاضي)، ويجدد أطر وقفه ومواقع أوقافه، منفصلة كانت أو مجتمعة، وأرباب الوظائف بها، وقد أثرت عدة عوامل في تكوين الكليات المعمارية العثمانية الكبرى، مثل:

١- موقع الكلية؛ إذ ينبغي إما أن يكون في وسط النسيج العمراني لخدمة الناس والعوائر الموجودة، وإما في طرف المدينة لإضفاء الصبغة الإسلامية وتأكيد الهوية، وإما خارج المدن لتكون نواة قسبة أو مدينة جديدة.

٢- تصميم الكلية؛ يأتي على أساس نظام هندسي متطور، وفي الأغلب يكون هذا النظام على شكل مربع أو مستدير.

٣- اختيار موقع الجامع؛ يكون في مركز التكوين المعماري للكلية أو في أعلى نقطة منه ليكون العلامة البارزة في الكلية الوقفية، وإحاطته بحيز فراغي متسع يعرف

(١) ينظر: طراز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول، علي الطائش، بحث في كتاب ندوة «الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي»، دار طيبة، ١٩٩٨م، ص ٢٢٩-٢٣١؛ والمنشآت العثمانية الدينية في أعمال المعمار سنان، أحمد محمد زكي، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ٩٣؛ والطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، علي المليجي، ص ١٧٦؛ ودراسة مقارنة لأساليب التخطيط في العائر الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي، فهمي فتحى إبراهيم، رسالة (دكتوراة) منشورة، كلية الآداب-جامعة سوهاج، ٢٠٠٠م، ص ٦٣.

بالفراغ المركزي، وهو في واقع الأمر مركز اجتماعي للمجتمع القريب منه.
 ٤- اختيار موقع مداخل الكلية؛ يتم الاختيار بعناية حيث تتصل الكلية بالنسيج الحضري مباشرة^(١).

ثانياً: أهم نساء القصر العثماني وألقابهن: ١- السلطانة الأم:

تسمى بالتركية العثمانية «والده سلطان»، وهي أم السلطان القائم، وعُدَّت في البروتوكول العثماني الشخص الثاني في الدولة العثمانية؛ إذا تولى ابنها السلطان وهي على قيد الحياة، وكانت رئيسة الحريم السلطاني؛ إذ يخصص لها أكبر جناح في سراي ابنها السلطان بمدينة إستانبول في قصر طوبقابي ثم في قصر ضوالة باعجة، ولم تسكن منهن خارج سراي ابنها في مكان منفصل سوى «بيرستو سلطان» زوجة السلطان عبد الحميد خان الثاني^(٢)، ويعرف الموقع الذي تشغله والدة السلطان ب«مقام مهد عليا»، وهي تسبق حتى ولي العهد في البروتوكول العثماني، وفي حالة وفاة ابنها السلطان أو خلعه فإن الأمر ينطبق عليها أيضاً فتفقد بذلك تسلسلها في التشريفات لتتولى الأمر والدة السلطان الجديد، ويبلغ عدد من اتصفن بهذه الصفة ٢١ والده سلطان فقط، وذلك بسبب وفاة كثير من أمهات السلاطين قبل أن يعتلي أولادهن الحكم^(٣).

وقد اتصفت من بينهن اثنتان تلقبتا باللقب مرتين لاعتلاء اثنتين من أبنائهن السلطنة وهنّ على قيد الحياة، وهما ماهبيكر كوسم سلطان والدة السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم الأول، والأخرى رابعة جلنوش سلطان والدة السلطان مصطفى الثاني والسلطان أحمد الثالث، وأما مدة مكوث السلطانة الوالدة في مكانتها فقد اختلفت من إحداهن للأخرى، فمنهن من شغلت مقام والده سلطان لمدة قصيرة جداً مثل «دولت خاتون» والدة السلطان محمد الأول التي بقيت فقط مدة ٦ أشهر، و«خندان سلطان» والدة السلطان أحمد الأول فبقيت سنة و ١١ شهراً و ٦

(1) The Ottoman Külliye Between The 14th And 17th Centuries, Its Urban Setting And Spatial Composition, (Rafee Hakky), Ph.D Thesis, Virginia Polytechnic Institute And State University, 1992, pp. 15-18.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلباز أوزتونا، ج٢، ص٢٨٣، ص٢٨٥.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج١، ص١٥٥-١٥٦.

أيام، و«صاحبة دلاشوب سلطان» والدة السلطان سليمان الثالث فبقيت سنة و ١١ شهراً و ٢٧ يوماً، و«شهسوار سلطان» والدة السلطان عثمان الثالث فبقيت سنة و ٤ أشهر و ١٥ يوماً، و«شوق- إفضاء سلطان» والدة السلطان مراد الخامس فقد بقيت فقط ٣ أشهر ويومين. وأما بعضهن فقد مكثن فترات طويلة في مقام والده سلطان، ومنهن «خديجة تورخان سلطان» والدة السلطان محمد الرابع فمكثت ٣٤ سنة و ١٠ أشهر و ٢٨ يوماً، و«ماهيكر كوسم سلطان» والدة السلطانين مراد الرابع وإبراهيم الأول فبقيت ٢٤ سنة و ١٠ أشهر و ٢٨ يوماً، و«أمة الله رابعة جلنوش سلطان» والدة السلطان مصطفى الثاني والسلطان أحمد الثالث فمكثت ٢٠ سنة و ٨ أشهر و ٢٨ يوماً، وبقيت «مهرشاه سلطان» والدة السلطان سليم الثالث ١٦ سنة و ٦ أشهر و ٩ أيام، و«برتونيال سلطان» والدة السلطان عبد العزيز خان بقيت ١٤ سنة و ١١ شهراً و ٥ أيام^(١).

وقد كان للسلطانة الأم إيرادات تأتيها من شتى الأماكن في أنحاء الدولة العثمانية من ريع أراضي الخاصة السلطانية باسم «باشمقلق»، ومخصصات أخرى كثيرة صيفية وشتوية، والغالب أن هذه الأموال ينفق منها على الأوقاف التي أقمنها في إستانبول والمدن المقدسة، وكان يشرف على جميع أوقافهن وأعمالهن خارج السراي أغاباب السعادة^(٢).

وقد توفيت والدادات السلطانيات جميعهن ممن شغلن مقام والده سلطان، وغيرهن من نساء القصر العثماني بأجلهن، إلا ماهيكر كوسم سلطان فهي الوحيدة التي خرجت عن القاعدة فقتلت خنقاً^(٣).

٢- السلطانات بنات السلاطين:

لقبت بالعثمانية «سلطان»، وقد أطلق هذا اللقب منذ فتح مدينة إستانبول سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م على ابنة السلطان أو ابنة الأمير «الشهزادة»، أي: يشمل الأميرات الملكيات المنحدرات من جهة الأب لغازي عثمان خان مؤسس الدولة العثمانية، فيما

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، ييلياز أوزتونا، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(2) "Valide Sultan", J. Deny, Islam Ansiklopedesi, XIII, stanbul, 1986, s. 178-187.

(٣) ينظر: نعيمة تاريخي، مصطفى نعيمة، إستانبول، ١٢٨٠هـ، ص ١١٢؛

Üsküdar-dakı Valide Sultan Külliyesi, (Can Alpgüvenç), Akademik Araştırmalar Dergisi, Sayı 48, 2011, S. 317.

كان يطلق عليهنّ قبل فتح إستانبول لقب «خاتون»^(١).

كانت العادة عند ولادة أمير في القصر العثماني أن تطلق المدفعية خمس دفعات من الطلقات النارية المتتابعة من ساحل سراي طوبقابو (Topkapi) وقلعة يديكوله (Yedikule)، أما عند مولود سلطنة فتطلق فقط ثلاث دفعات من الطلقات المدفعية، وعند حدوث الولادة سواء لقادين أفندي (زوجة السلطان)، أم خانم أفندي (زوجة من زوجات الأمراء) فإن ذلك كان يحدث وسط جمع غفير من النساء، ويحتم القانون عرض المولود عند ولادته فوراً على رجال الدولة الذين ينتظرونه أمام الباب^(٢).

وكان يطلق عليهن بوجه عام لقب «سلطان»، أي: سلطنة، وكان يأتي بعد أسمائهن مباشرة، وكانت الأميرة من بنات السلاطين تقضي حياتها داخل دائرة الحريم السلطاني بالقصر حتى تبلغ سن الزواج، ويقوم على خدمتها عدد كبير من الجوّاري^(٣).

وعندما تبلغ السلطانات سن البلوغ يلبسن الرداء الطويل ويغطين الرأس فيما لم يكن يُستعمل حجاب الوجه، بل كانت السيدة منهن ترتدي الغطاء الشفاف (الياشاق)، ولم تكن تخفي وجهها عن الشعب على أساس قاعدة عدم نظر أي رجل بنظرة سوء إلى بنات آل عثمان، وكان يُصرف لكل امرأة من نساء القصر ما دامت لم تتزوج راتب ومخصصات مالية تبلغ ٥٠٠٠ ليرة أو دينار ذهبي، وعند زواجها كانت تُهدى تاجاً تلبسه لإتمام المراسم إضافة إلى مكافأة تبلغ قيمتها (٩٠٠, ٠٠٠) دينار ذهبي، وترتفع مخصصاتها لتبلغ (٤٠, ٠٠٠) دينار ذهبي إلى جانب منحها قصرًا (سراي) خاصًا بها، وكان يقوم بعقد قران السلطانات (كريمات السلطان) شيخ الإسلام نفسه، فيما يعقد قران بنات كريمات السلطان (خانم سلطان) قاضي عسكر الرومي طبقًا للقانون العثماني، وكانت السلطانات من بنات السلطان، وبنات أولاده وبنات بناته يتمتعن بلقب رسمي هو «دولتلو عصمتلو»، بمعنى صاحبة الدولة

(1) Padişahların Kadınları Ve Kızları, (M. Çağatay Uluçay), Ötüken Neşriyat, İstanbul, 2011., s. 30-50.

(٢) ينظر: سلطنة الحريم في الدولة العثمانية، حسن أحمد حافظ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٧-٨.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ١، ص ١٥٦-١٥٧.

والعصمة، ويضاف إلى نهايات أسمائهن عبارة «عليّة الشأن»^(١).

٣- زوجات السلطان والشهزادة (أبناء السلطان):

كان السلطان وأبناؤه الأمراء حتى عهد السلطان سليمان القانوني ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م يتزوجون بأميرات الإمارات الأناضولية التركمانية، أو بأميرات مسيحيات من البلقان، ثم جرت العادة بعد ذلك أن كثرت الجوارى اللاتي كن يترقين في القصر تبعاً لجمالهن ومواهبهن وكفاءتهن أيضاً حتى يُعرضن أمام السلطان فيختار من يشاء منهن لتصبح زوجة له، ولم يكن السلاطين والأمراء العثمانيون يتزوجون من عامة الشعب لعدم الرغبة في تأسيس روابط قرابة مع عائلات من الرعية، ولهذا فضّلوا الزواج من الجوارى اللاتي لا يعرف لهن نسب واضح من الرعية، وقد انتشر هذا الأمر خلال القرنين ١٠-١١هـ/ ١٦-١٧م، فكان يُجلبن صغاراً حيث تعلمهن الجاريات القديمات اللغة التركية، والديانة، والقراءة والكتابة، ويعطون دروساً في الأدب والموسيقى والنقش والرقص وغير ذلك من آداب وأصول السراي، وبعد ذلك يتم توزيعهن على أجنحة الجوارى ذوات الرتب ليخدمن السلطانات، وهؤلاء بدورهن كن يرشحن الجوارى المتميزات للأمراء وأحياناً للسلاطين للزواج منهن^(٢).

عُرفت زوجات السلطان بلقب «خاصكي» [Haseki] لا سيما المحبوبة والمقربة منهن للسلطان^(٣)، وينبغي القول: إنه لم يقتصر استعمال لقب خاصكي على النساء فقط، فقد ورد هذا اللقب ضمن ألقاب المهندس الكبير قوجه سنان باشا، فيذكر بعض الباحثين أن من ضمن ألقاب ووظائف سنان لقب صوباشي^(٤)، ولقب خاصكي، وهي تعني الخاصكية الذين يلازمون السلطان في خلوته ويسوقون المحمل الشريف ويتعينون بكوامل الكفال ويجهزونه في المهام الشريفة، كما كان يطلق اسم

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) Osmanli Devletini Saray Teşkilatı, (Ismail Hakkı Uzunçarşılı), Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1988, s. 158-166.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين أوغلي، مج ١، ص ١٥٦.

(٤) الصوباشي، هو لقب ذو معنى عسكري يطلق على من يقوم بحفظ الأمن والنظام في المدينة أو القصة، ومن الواضح أنه من ألقاب الانكشارية، ويُذكر أن السلطان الفاتح عقب فتحه لمدينة إستانبول قام بتفويض سليمان بك لوظيفة الصوباشي من أجل تعمير المدينة، وتضمنت وظيفة الصوباشي مهام عدة أخرى، منها: أنه كان يعهد إلى صاحبها إدارة سجن «باباجعفر» الواقع قرب «بمشي اسكله سي». ينظر: معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٨٣؛ والمنشآت العثمانية الدينية، أحمد زكي، ص ٧٠، هامش رقم ٢.

الخاصكية على النساء اللاتي يمثلن الجوارى في القصر العثماني^(١)، وقد استبدل هذا اللقب منذ القرن (١٢هـ/ ١٨م) بقادين أفندي، وباشقادين أفندي، أما زوجات الأمراء من أبناء السلطان فكان يطلق عليهن (خانم أفندي) بصورة رسمية^(٢).

ثالثاً: أهم مصطلحات الدراسة ودلالاتها:

تعددت المصطلحات الواردة داخل الدراسة تبعاً لتعدد أنواع العمائر الوقفية ودلالاتها، ومن ثم رأيت أنه من الضروري ذكر مقدمة موجزة للمصطلحات المتشابهة التي ترد داخل الدراسة لتجنب الخلط فيها، وقد أورد الباحث المصطلحات المختلفة داخل الدراسة، منها ما جاء مفرداً ومنها ما جاء مزدوجاً.

ومن أهم مصطلحات الدراسة بالنسبة لنوعية المنشآت الوقفية ووظائفها لفظ المسجد والجامع، وكلاهما يدل على جميع المساجد التي تدخل ضمن إطار الدراسة كونها مساجد جامعة، ومن ثم فأياً لفظ ذكر كانت دلالاته على الآخر، وهو الحال بالنسبة لعنصر الميضأة الذي ألحق بالعمائر الدينية -موضوع الدراسة- فهي عنصر يستخدم للوضوء، ومن ثم فقد تعددت المصطلحات الدالة عليه، وقد استخدم الباحث هذه المصطلحات لاعتماد البعض على مصطلحات محددة من دون غيرها، ومن ثم قصد الباحث إلى التدريل على كونها جميعاً تؤدي المفاد نفسه، فجاء مصطلح الشاذرون، أو الفسقية، أو النافورة أو الميضأة بمعنى واحد، فإذا ذكر أحدها فإن دلالتها تكون على هذا العنصر الذي يستخدم للوضوء.

وإذا تطرقنا إلى المنشآت الدينية الأخرى؛ فإن مصطلح التكية كمبنى خُصص من قبَل الواقفات من أجل المتصوفة ورعايتهم، قد رادفه مصطلح آخر يدل عليه هو مصطلح الخانقاة، وسيأتي بيان الاشتقاق لكل منهما في الدراسة.

وأما في العمائر الخيرية، فإن مصطلح مكتب الصبيان الذي نصت بعض وثائق الوقف عليه، يعرف عند البعض باسم الكتّاب، وعند الآخرين باسم مكتب السبيل، أو دار الصبيان، أو المكتب (مختصراً)، ومن ثم فجميعها تدل على ذلك المبنى

(١) ينظر: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، أحمد سعيد سليمان، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٧؛ Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture, (Aptullah Kuran), Ada press publishers, 1987, P. 24.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يılmaz أوزتونا، ج ٢، ص ٢٩٣-٢٩٤.

الذي خُصَّص من قِبَل الواقفات لتعليم الصبية من فقراء المسلمين وغيرهم القرآن والكتابة ومبادئ علم الحساب؛ كما تعددت مصطلحات المباني الخيرية المائية، فعرف منها الجشمة «وهي بمعنى النبع المائي أو ينبوع»، وعرف لفظ السبيل «وهو المبنى المائي الموقوف في سبيل الله»، وكلاهما يدل على وظيفة واحدة مع اختلاف الشكل المعماري وطريقة تقديم الخدمة الخيرية؛ إذ إن الجشمة تعتمد على البساطة في البناء؛ فأساسها من صنابير الماء، أما السبيل فهو وحدة معمارية تتكون من مساحة مربعة أو متعددة الأضلاع تطل على الخارج بشبابيك التسييل، وخلف كل شباك حوض رخامي مملوء بالماء يؤخذ الماء منه بواسطة الآنية المخصصة لذلك من خارج السبيل. وجاءت العمارت الخيرية بتسميات عدة، فعُرفت العمارت بدار المرق، وأحياناً يذكرها الباحثون بلفظ العمارة (بالتاء المربوطة)، وقد وردت بهذا اللفظ في بعض وثائق الوقف داخل دراستنا مثل وثيقة وقف نوربانو سلطان، ومنهم من يذكرها بالمطعم الخيري أو المطبخ العام، ومن ثم استخدم الباحث جميع المصطلحات داخل الدراسة؛ فحيثما وجدت فتمت الدلالة، وأما العمارت الصحية فتعددت تسمياتها أيضاً، فمنها المشفى، والبيمارستان، ودار الشفاء، والمستشفى، وهي كلها تدل على ذلك النوع من المباني ذات الأغراض الطبية والعلاجية، ومن ثم استخدم الباحث مختلف الألفاظ، وقد يوجد داخل الوحدة المعمارية الواحدة بعض من العناصر متعددة التسميات، منها مثلاً الحجرة الباردة داخل الحمام العام، فهي تُعرف بالحجرة الباردة، أو المشلح⁽¹⁾، أو المسلخ، أو غرفة تغيير الملابس. وأما الحجرة الساخنة فتُعرف بيت الحرارة أيضاً، ومن ثم فقد ذكر الباحث داخل سطور الدراسة مختلف هذه التسميات.

وعند اجتماع أنواع العمارت الوقفية معاً تُعرف مجتمعة باسم المجمع المعماري، أو الكلية، أو بالتركية العثمانية «كليت»، ومن ثم فقد استخدم الباحث بعض هذه الألفاظ للدلالة على اجتماع العمارت معاً من قبل مؤسس واحد أو في موضع واحد، أو إذا كان هناك رابط يربطها معاً كوثيقة وقف، ومن ثم فإذا وجد مصطلح فإنه

(1) المشلح أو المسلخ: مصطلح أثري يعني الحجرة الباردة أو حجرة تغيير الملابس.

يدل على الآخر من دون أي تناقض أو الحاجة إلى تكرار التسميات مجتمعة، أو الاعتماد على اسم واحد وإهمال غيره.

وأما في الأماكن والمواضع فقد تعددت المصطلحات العربية التي تدل على مكان واحد تبعاً لنقل الباحثين للأصل التركي، فمثلاً؛ الجزء الآسيوي من إستانبول وهو ضاحية إسكدار، تكتب عند بعض الباحثين بشكلها السابق، وعند البعض بصيغة أسكودار، وإسكدار، وأسكدار، وأما تسميات الأشخاص أيضاً فتختلف تبعاً للنطق أو الرسم العربي والتركي العثماني، فجلغم خاتون، هي جولغم، وگلغم. وهذه هي أهم المصطلحات التي توجد داخل الدراسة بأشكال مختلفة تؤدي المعنى والدلالة أنفسهما، ومن ثم رأيت أن أبدأ بها لتجنب حدوث إشكال حول الأمر.

أما المصطلحات الجديدة التي أضافتها الدراسة أو التي تدل على أرباب الوظائف داخل العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، فإن الباحث قد تناولها في ملحق الدراسة أمام كل وظيفة، غير أنه هناك مصطلح جديد ومهم أردت أن أبرزه في مقدمة الدراسة، فقد شاع أن لفظ الحرم في المساجد العثمانية يدل فقط على الصحن المكشوف، فيما يدل مصطلح بيت الصلاة أو المسجد على المكان المقبول الذي يخصص للصلاة وتغطيه القبة المركزية، ولكن الأصوب أن لفظ الحرم يطلق على قسمة المسجد في الطراز الكلاسيكي للعمارة العثمانية، وقد جاء نصاً في وثيقة وقف خديجة تورخان سلطان إطلاق مصطلح الحرم على بيت الصلاة المغطى، ومن ثم فإن مصطلح الحرم ينقسم إلى جزأين؛ حرم مغطى أو حرم داخلي وهو بيت الصلاة، وحرم مكشوف أو حرم خارجي وهو الصحن الخارجي^(١).

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥١، الوجه الأيمن، س ٢-٥.

الفصل الأول

الأوقاف المعمارية لزوجات السلاطين

تمهيد:

إنّ زوجات السلاطين حظين بمكانة كبيرة في القرن ١٠هـ/١٦م من دون غيره من القرون الأخرى في الدولة العثمانية، لا سيما خلال عهد السلطان سليمان القانوني، إذ تمتعت زوجته خاصكي خرم سلطان بمكانة مرموقة أدت لبروزها على الساحة السياسية والعمرانية في الدولة العثمانية، وإلى جانبها حظيت جُلفم خاتون (وهي زوجة السلطان سليمان) أيضًا بمكانة كبيرة، وقد توفّر لكليتيهما أموال طائلة من مخصصاتهما من الخزينة السلطانية، إلى جانب العطايا والهدايا من السلطان، وقد دفع ذلك زوجات السلاطين إلى وقف الأوقاف، وتشديد العمائر بما ساهم في عمران المدن العثمانية ومن أهمها العاصمة إستانبول، ومن ثم يتناول هذا الفصل أوقافهن المعمارية بالمدينة.

المبحث الأول

كلية (كُلفم) جُلفم خاتون

(Gülfem Hatun Külliyesi)

أولاً: الواقعة وأهم أوقافها المعمارية:

هي جُلفم خاتون (كُلفم) إحدى جواري السلطان العظيم سليمان القانوني، وأصبحت من زوجاته المقربين قبل خرم سلطان، وتذكر المصادر التاريخية أن اسمها الأصلي هو (Rosaline) ثم أطلق عليها كُلفم بعد دخولها إلى القصر العثماني وتعني الوردة ذات الشفافة، ولدت سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م وعاشت جُلفم خاتون مع السلطان حياة مستقرة في ولاية مانيسا (مغنيسيا)، كعادة زوجات السلاطين في بقائهن في السناجق الخارجة عن العاصمة إستانبول، وكانت امرأة عاشقة للعمارة والعمران،

محبة لعمل الخيرات والإحسان، مستغلة لأي فرصة لعمل الخير والبر، فأنشأت مسجداً وسيلاً أو عيناً لتسييل الماء سنة ٩٣٦هـ/ ١٥٢٢م بمنتصف الوادي للتركيان عرف باسم جامع السوق (Çarşı Cami)، وساهمت بهذا الأمر في حركة العمران العثماني، إذ كان مسجدها وسيلها سبباً في تحول الوادي إلى قسبة عمرانية امتدت المباني حولها لتنشأ قسبة (قرا حصار) Karahisar بولاية ديزلي Denizli، وظلت عمائرهما موجودة حتى قام رئيس بلدية Denizli سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م بهدم الجامع والسبيل وأعاد بناءهما مرة أخرى^(١)، ولا تقتصر إسهاماتها الخيرية المعمارية والعمرانية على ذلك؛ بل أنشأت في الأناضول عدداً من الأوقاف الخيرية، منها: سيلان أو نبعان للماء، ومدرسة تعليمية وقفية بشارعي Çaprazlar، وGöktaşlar بمحلة Göktaşli بولاية مانيسا (مغنيسيا) بالأناضول سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م، إلا أن النبع المائي بشارع Göktaşlar قد تهدم، وقد ضمنت استمرار تأدية هذه العمائر الخيرية لوظيفتها من خلال وقفها عدة أوقاف ضمت عدداً من الدكاكين باستانبول إلى جانب ٣٠ دكاناً بمانيسا^(٢)، ولها مسجد في مدينة «إبيك» بكوسوفو في صربيا وبنت ضريحاً بجوار المسجد، وقد لحق بهما ضرر بالغ أثناء معركة كوسوفا الأخيرة سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ولكن من الجيد أنه تم ترميم هذه الأوقاف، وافتتح المسجد للعبادة مرة أخرى، وقد بنت جُلُفم خاتون المسجد من مالها الخاص، ولم تقبل مساعدة السلطان سليمان في ذلك^(٣).

أما السلطان سليمان القانوني فقد قام بإنشاء بعض العمائر ووقفها باسم زوجته جُلُفم خاتون داخل دولة المجر، ومنها مسجد تم ترميمه سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م ليسع نحو ١٥٠ من المصلين لتقام فيه الصلوات الخمس، ويتم فيه إلقاء الخطب والدروس الدينية باللغة الأرناؤوطية^(٤)، كما كان لها في مدينة مانيسا نزل (خان إقامة) مجانيٌّ للغرباء كان موجوداً حتى شهر رمضان ١١٧٩هـ/ أغسطس ١٧٦٥م^(٥).

(1) Manisa Tarihinde Vakıflar ve Hayırlar, (Ibrahim Gokcen), Marifet Basımevi, 1946, C. 2, S. 95-98.

(2) Manisa Tarihinde Vakıflar ve Hayırlar (op. cit), (Ibrahim Gokcen), c. 2, S. 94-98.

(٣) ينظر: عمائر المرأة الدينية بإسطنبول في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي «دراسة آثارية معمارية»، ريهام يحيى عبد العال، رسالة (ماجستير) بقسم الآثار، كلية الآداب-جامعة أسيوط، ٢٠١٦م، ص ٤٥-٤٨.

(٤) ينظر: عمائر المرأة الدينية بإسطنبول، ريهام يحيى عبد العال، ص ٤٥-٤٨.

(5) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (Mehmet Nermi Haskan), Cilt,1,2,3, Üsküdar Belediyesi, Üsküdar Araştırmaları

ظلت جُلُفم خاتون مشهورة بالعمل الخيري إلى أن توفيت؛ وقد اختلفت الروايات حول وفاتها، فقيل إنها ماتت، وقيل بإنها قتلت بإيعاز من السلطان سليمان نفسه سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م نظرًا لمساندتها لابنه بايزيد على أخيه سليم (رغم أنهما من أبناء خرّم سلطان ولكنها كانت تعلم بمساوئ سليم المدلل) الذي كان محببًا للسلطان، لا سيما أنه الولد المقرب لوالدته «خرّم سلطان» زوجة السلطان سليمان، وبعدهما استعان بايزيد بالفرس ما كان من السلطان سليمان إلا أن أمر بقتله، وقتل من كانت له يد في الوقوف إلى جانبه، ومن ثم ورث السلطان سليمان أوقاف زوجته جُلُفم خاتون^(١).
ثانيًا: الموقع وتاريخ الإنشاء:

يقع المسجد قرب ميدان إسكُدار بالجزء الآسيوي من مدينة إستانبول، في زاوية تقاطع الشارع الخلفي لمحكمة إسكُدار (محكمة أركاسي) مع شارع جُلُفم المنسوب للواقفة، وقد اختارت جُلُفم خاتون هذا الموقع رغبة منها في مجاورة مرقد الشيخ قراجا أحمد Karacaahmet^(٢) الذي اعتادت زيارته، فقررت إنشاء كليتها بقربه حتى عُرف المسجد باسمه، فقد أُطلق عليه في البداية جامع Karacaahmet، وكان يجاوره قبر ينسب لهذه السيدة نُقشت عليه بعض الكتابات العربية^(٣) التي تؤرخ لوفاتها سنة ٩٦٩هـ، نصها: «صاحبة الخيرات السعيدة الشهيدة كُفم خاتون في سنة تسع وستين وتسعمائة (١٥٦١-١٥٦٢م)»^(٤).

وأما تاريخ الإنشاء، فيرجح أن الواقعة أنشأت أول ما أنشأت في هذا الموضع قبرها سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٧م^(٥)، ثم أنشأت مسجدها سنة ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م، طبقًا لنصوص سجلات الأوقاف الخاصة بها^(٦)، والشيء المؤكد أن الانتهاء من بناء المسجد كان قبل وفاتها سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م.

Merkezi, Istanbul, 2001, c.1, S. 203-205; Manisa Tarihinde Vakıflar ve Hayırlar (op. cit), (Ibrahim Gokcen, C. 2, s. 94-98, Vesika, 31-35

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية بإسطنبول، ريهام مجيما عبدالعال، ص ٤٥-٤٨.
(٢) وهو أحد الشيوخ المتصوفة له مقام في قرية هوروز (Horoz)، ومرقد في إسكُدار قرب الجامع الشريف المذكور. ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين بن إسماعيل إيوانسراي، مطبعة عامرة، إستانبول، ١٢٨١هـ، جلد ٢، ص ٢٠٥.
(٣) ينظر: عثمانلي مؤلفلري، محمد بروسه لي طاهر، إيكنجي جلد، معارف عمومية نظارت جليله سي طرفندن طبعنه همت بيورلمشدر، مطبعة عامره، إستانبول، ١٣٣٣هـ، ص ٣٦٩.

(4) Tarihi Eserleriyle Üsküdar, Sanat Yönetimi Ve Fotoğraf, (Ayten Altıntaş), in "Abdullah Kılıç, Üsküdar Belediyesi'nin Kültür Hizmetidir", İstanbul, Mart 2017., 181.

(5) Mimar Sinan Hayati ve Eserleri, (Rıfık Melül Meric), Ankara, 1965, s. 35-99

(6) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 1, S. 202-203.

ثالثاً: التكوين المعماري للكلية الوقفية لجُلُفم سلطان: ١- العمائر الأصلية:

كانت الكلية الوقفية لجُلُفم خاتون تتكون من مسجد ومدرسة وعمارت (دار مرق) وثُربة، إلى جانب بعضٍ من المنشآت الأخرى، رغم عدم ذكرها في تذكرة البنيان للمعمار سنان، إذ كان الجامع أول مبانيها، ثم تلتها المدرسة بعد سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١-١٥٦٢م^(١)، وفي كتاباته سجل حسين أفندي إيوانسرايي أن المدرسة كانت حاضرة وشاهدها بنفسه، لكنها ربما تهدمت إثر الزلزال الكبير الذي ضرب المنطقة يوم ١٢ ذي الحجة ١١٧٩هـ/ ٢٢ مايو ١٧٦٦م^(٢)، ومما زاد الطين بلة نشوب حريق سنة ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، والذي أدى إلى حدوث أضرار جسيمة بالجامع وبقيايا المدرسة والنزل والثُربة، وتم ترميمها بعد ذلك بجهود المحبين للخير.

وأما العمارت فقد كانت توجد إلى عهد قريب لوحة معلقة بموضع قريب من مسجد جُلُفم خاتون في إسكُدار بالمنطقة التي عرفت باسمها (وكانت اللافتة تضم كتابات تعني: لدينا مؤسسة وقف باسم عمارة الفليح -وهو متولي الوقف- أنشأتها جُلُفم خاتون بنت عبد الرحمن^(٣) في منتصف جمادى الآخرة ٩٤٩هـ/ منتصف سبتمبر ١٥٤٢م)^(٤)، وقد تضمنت بعض الإشارات حول وجود وقفية لها احتوت على أسلوب العمل داخل العمارت وردت أخبارها ضمن دفاتر التحرير لسنة ٩٥٣هـ/١٥٤٦م، وتضمنت أصناف الطعام المقدم وغير ذلك، ومن ذلك أنها شرطت أن يُعطى الفقراء: «من حسناء القمح كل يوم، ومن الخبز الطازج، والملح والحمص، والبقدونس والبرني والزبادي والكمون، ويقدم اللحم كل يوم في رمضان

(1) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1240.

(٢) ورغم أن كتابات إيوانسرايي نشرت سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م، فإنه ربما سجل مشاهداته للمدرسة وأخبارها عنها، ولكن عمله العلمي لم ينشر إلا بعد سنوات من مشاهداته لها. ينظر:

Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1240.

(٣) وُجد على شاهد قبر حجري آخر (كما نقل ذلك إيوانسرايي) أن اسمها جُلُفم بنت عبد الله، وقد يكون هذا الخطأ قد وقع من الناقل أو من الكاتب إذ إنه سجل بعد وفاة جُلُفم خاتون بنحو ١٠٠ عام، وإلا فإن الثابت أن والدها دعي عبد الرحمن. ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسرايي، جلد ٢، ص ٢٠٥.

(٤) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسرايي، جلد ٢، ص ٢٠٥.

وأيام الأعياد وغير ذلك»، ووقَّعت جُلغم خاتون على مسجدها نحو ٣٠ متجرًا في مانيسا، وعددًا من المتاجر في إسكدار وغيرها^(١).

٢- التكوين الحالي:

تتكون المنشأة حاليًا من مسجد وروضة (رحبة) دفن تتقدم المسجد، وتضم ثلاثة شواهد للدفن، منها شاهد يخص الواقعة، ويضم كتابات منقوشة بخط الثلث (صورة: ١) في ثمانية أسطر كتابية نصها:

كل من عليها فان	س ١
قد انتقلت إلى رحمة الله	س ٢
تعالى المرحومة	س ٣
المغفورة السعيدة	س ٤
الشهيدة المحتاجة مرحومة	س ٥
گلغم خاتون	س ٦
بنت عبد الله	س ٧
سنة ١٠٦٩ هـ ^(٢)	س ٨

(1) Istanbul vakıfları tahrir defteri : 953, 1546, târihi/nesredenler, (Ömer Lutfî Barkan) & (Ekrem Hakki Ayverdi), Istanbul, Baha matbaasi, 1970, S. 435.

(٢) هذا التاريخ هو تاريخ تسجيل النقش على الشاهد وليس تاريخ وفاتها؛ إذ إنه سجل بعد وفاة جُلغم خاتون بنحو قرن من الزمان، وبه أيضًا خطأ اسم الوالد (عبد الله) بدلًا من (عبد الرحمن).



صورة (١): شاهد قبر جُلُفم خاتون، نقلاً عن:
(<https://islamansiklopedisi.org.tr/gulfem-hatun-camii>)

لم يكن هذا الأصل الذي أنشأته الواقفة، فقد ورد في وثيقة الوقف الخاصة بجُلُفم خاتون أنها أنشأت كلية معمارية كبيرة تضم مسجداً ومدرسة وعبارة (دار الإطعام) وخاناً (نزلاً للغرباء) وقبراً بإسكُدار، ووقَّفت على كليتها المعمارية عدداً من الموقوفات بولاية مغنيسيا، منها؛ مبلغاً نقدياً من المال قدره ٣٦٠ ألف درهم فضي، أُسْتثمر منها ١٦٠ ألفاً في شراء عقارات تؤجر لمصالح أوقافها، والباقي يُسْتثمر بريعه^(١)، ولكن تهدمت غالبية هذه المنشآت نظراً لما مرت به المنطقة من حرائق متتالية بسبب الموقع وقربه من منطقة السوق، وإلى جانب الحرائق فقد تأثرت عمارة المنشآت بفعل الزلازل، وللأسف لم يتبقَّ سوى المسجد نظراً للاهتمام المتزايد بترميمه

(١) سجل الأوقاف رقم ٢٥٠ المؤرخ بمنتصف عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م بأرشفيف رئاسة الوزراء بإستانبول، وفي وثيقة مؤرخة بسنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٤م، ما يدل على إنفاق نحو ٥٥٠ ألف درهم فضي لمصلحة مرمات الوقف، وذلك بتكليف من المتولي لأموال الأوقاف.

للمزيد ينظر:

Istanbul vakıfları tahrîr defteri (op. Cit), (Ömer Lutfî Barkan) & (Ekrem Hakki Ayverdi), S. 435, No. 2498.

عمائر المرأة الدينية بإسطنبول، ريهام عبد العال، ص ١١٨.

كلما مرّ عليه حادث من الحوادث، وهنا يظهر أثر العمل الخيري والوقفي على بقاء هذا المسجد وحفظه من الاندثار، ومن أمثلة ذلك الحريق الذي نشب في السوق المجاور للمسجد والذي أثار بالسلب على المنطقة بكاملها بما فيها مسجد جُلُفم خاتون سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م، فتم جمع التبرعات الخيرية لأن مال الوقف ما كان يكفي لإجراء الإصلاحات والممرات اللازمة، وبالفعل تم ترميم المسجد بالتبرعات الخيرية التي جمعها أهالي الحي سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨-١٨٦٩م، وقد نُقش تاريخ هذا الترميم والإصلاح في نقش من ثلاثة أبيات شعرية^(١) على باب المسجد؛ مما أعاد للمسجد دوره وازدهاره واستمراره في أداء وظيفته.

٣- الوصف المعماري للمسجد:

يتكون المسجد حاليًا من الخارج من مساحة غير منتظمة الشكل، يتقدمه فناء مثلث الشكل من الناحية الشمالية الغربية، ويحدها سور يبلغ ارتفاعه نصف ارتفاع جدران المسجد مبني بالحجر الذي يعلوه سياج معدني، ويضم الفناء شاذروان أو فسقية الجامع الرخامية ملتصقة بمنتصف الضلع الجنوبي الغربي.

الشاذروان: عبارة عن حوض رخامي مربع الشكل يتوسطه نافورة رخامية، تتميز بهيئة قائم يستدق كلما اتجه للأعلى، يتخلله دوائر وأشكال زخرفية، لينتهي بما يشبه هيئة الحوض نصف الدائري الذي حفرت عليه زخارف بارزة بهيئة أوراق نباتية متعددة، وترتكز النافورة على قاعدة مربعة الشكل، وللفسقية شاذروان عبارة عن لوح رخامي يوجد أعلاه حوض صغير نصف دائري الشكل تزخرفه أشكال حلزونية من الخارج ويعلوه صنبور معدني، وأما من داخل الحوض فيتقدم الشاذروان قاعدة مربعة ملتصقة بالحوض.

وللفناء مدخل رئيس وحيد عبارة عن كتلة من الطوب الأحمر ترتفع وتبرز عن سور الفناء يتوسطها فتحة باب الدخول المعقودة بعقد موتور^(٢) باتساع ٤٣, ١م

(1) Tarihi Eserleriyle Üsküdar (op. cit), (Ayten Altıntaş), S. 181.

(٢) العقد موتور، أحد العقود الهندسية المعروفة التي تعلق غالبًا فتحات الشبابيك والأبواب، إذ يكون اتساع فتحته قليل لا يتجاوز الربع دائرة وذلك لكل يتم توزيع الحمل الناتج عن ضغط الجدران على طرفي العقد أعلى الجدران وليس على مركزه في المنتصف كتقوية له. وكلمة موتور نسبة إلى التور، وهو حوض العقد أو ارتفاعه، ولما كان هذا العقد ذا ارتفاع طفيف من منتصفه فقط وليس له مراكز أخرى يقاس منها الارتفاع نظرًا لانخفاضه عرف بالعقد موتور.

وارتفاع ٣٧, ٢ متر، ويُغلق عليه مصراعان من الحديد يتوجها عقدان نصف دائريين أيضاً، ويعلو فتحة باب الدخول دروة آجرية صماء ذات سقف مسطح^(١).

٤- المسجد من الخارج (صورة: ٢، ٣):



صورة (٣): تبين المنطقة المحيطة بالجامع من الركن الغربي

صورة (٢): صورة قديمة لجامع جُلُفم خاتون، نقلاً عن: (Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar.)

للمسجد أربع واجهات رئيسة، أهمها الواجهة الرئيسية وهي الواجهة الشمالية الغربية والتي تضم مدخلين: أحدهما المدخل الرئيس للمسجد بمنتصف السقفية بحيث يتم الدخول منه إلى السقيفة التي تتقدم المسجد من هذه الواجهة، والمدخل عبارة عن كتلة تبرز عن سمت الواجهة، وبصدها فتحة باب الدخول بهيئة مستطيلة الشكل يبلغ اتساعها ١, ٨٥ مترًا وارتفاعها ٣, ٢٥ أمتار يُغلق عليها مصراعان: أحدهما خارجي من الحديد والآخر داخلي من الخشب، بحيث ينقسم الباب الخشبي إلى حشوات مستطيلة الشكل، وأما الباب الحديدي فلزيادة تأمين المسجد، وبأعلى الباب حشوة مستطيلة الشكل داخل تجويف رخامي بداخلها حشوة أصغر بارزة من الرخام، عليها كتابات منقذة باللون الأسود من ثلاثة أسطر تضم:

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية بإسطنبول، ريهام عبد العال، ص ١٢١.

س ١: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١)

س ٢: Gulfem Hatun Cami

س ٣: MILADI, 1562

وأما المدخل الثاني بالواجهة فهو صغير يتكون من فتحة باب مستطيلة تتقدمه درجتان، ويقع الباب في تجويف بسيط يُغلق عليه مصراعان: الخارجي منها حديدي والداخلي خشبي، ويؤدي هذا المدخل إلى المساحة المضافة لبيت الصلاة.

ويزين الواجهة عددٌ من فتحات النوافذ من مستويين يبلغ عددها أربع نوافذ، بواقع نافذتين أعلى بعضهما بحيث تقع كل نافذة في دخلة مستطيلة الشكل مغشاة بالمصبغات المعدنية، في حين تمتد مئذنة المسجد المشيئة من الحجر الجيري أعلى الواجهة بالركن الغربي للجدار الشمالي الغربي للمسجد، وتتصف المئذنة بتصميم مختلف عن المآذن العثمانية، فهي عبارة عن بدن أسطواني به شرفة واحدة وتنتهي بقمة على هيئة نصف دائرية وليس مديبة، ويعلو قمة المئذنة قائم نحاسي ذو انتفاخات ينتهي بهلال.

أما الواجهات الأخرى فأقل أهمية لا تحتوي على فتحات أبواب، وإنما بها عدد من النوافذ المستطيلة ويتخللها بعض التجاويف المحفورة، وتبين بعض أجزاءها مواد بناء أصلية وبعضها الآخر مواد بناء مستخدمة في التجديد الأخير للمسجد، وخاصة في الواجهتين (الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية).

وتلتصق بجدار الواجهة جشمت مائة أضيفت للجامع في وقت لاحق، وهي تدخل ضمن إطار الوقف الخيري، كما تضمنت إحداها كتابات رائعة منقوشة في ستة أسطر كتابية، ترجمتها:

س ١	عمر الدنيا ساعة واحدة عمر الدنيا ساعة واحدة
س ٢	هلم فاقض الساعة في الطاعة
س ٣	الفاتحة إلى أرواح كافة أهل الإيمان الأولين والآخرين
س ٤	وإلى أرواح جميع الشهداء إرضاء الله
س ٥	٣ رجب سنة ١٢٩٠هـ / ٢٧ أغسطس ١٨٧٣م
س ٦	كتبه عبد الله ^(٢)

(١) سورة الرعد، الآية رقم ٢٤.

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية بإسطنبول، ريهام عبد العال، ص ١٣٤-١٣٥.

المثدنة: تبدأ من أعلى سطح الجامع، وهي عبارة عن بدن أسطواني ينتهي بشرفة، ولها قمة مخرصة الشكل يخرج منها سفود مذهب يعلوه هلال؛ وذلك بشكل نادر للمآذن العثمانية عامة إذ يأخذ شكل نصف قبة مغطاة بطبقة من الرصاص.

٥- التخطيط المعماري من الداخل:

يندرج الجامع ضمن النمط البسيط لعماره المساجد العثمانية، ويتكون من مساحة مستطيلة يتقدمها رواق، إذ يتم الدخول من المدخل الرئيس للمسجد بالواجهة الشمالية الشرقية إلى رواق يتقدم بيت الصلاة من الخارج، ويشغل هذا الرواق مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٥, ١١ مترًا وعرضها ٤٨, ٤٤ أمتار وارتفاعها ٤٠, ٣ أمتار بحيث يغطيه سقف مسطح، ويؤدي الرواق إلى داخل المسجد عبر فتحة باب مستطيلة الشكل يبلغ ارتفاعها مترين واتساعها ١٠, ١ مترًا، ويتوجها عقد موتور من صنجات^(١) رخامية معشقة مشيدة بنظام الأبلق^(٢) (صورة: ٤)



صورة (٤): فتحة باب الدخول لمسجد جُلُفم خاتون ويعلوها نص التجديد، نقلًا عن: (Turkiyenintarihieserleri.com)

(١) مفردتها: صنجة، وهي الوزرة ذات الحواف التي تتشابه مع وزرة أو صنجة أخرى بحيث تلتحم كل صنجتين متجاورتين، وغالبًا ما استخدمت الصنجات في عمل العقود بطريقة التركيب، وتكون إما من الحجر أو من الرخام.
(٢) الأبلق: نظام في البناء يُطلق عند تشكيل العقد أو الواجهة أو الجدار أو أيٍّ من أجزاء المبنى عمومًا بالحجر أو الرخام متعدد الألوان، لا سيما اللونين الأبيض والأسود.

ويتوسط العقد صرة نحاسية بارزة تأخذ هيئة متعددة البتلات تزينها أشكال وزخارف قشور السمك منفذة بالحفر البارز، وبداخلها فتحة باب الدخول يغلق عليها مصراعان من الخشب، قسم كل منهما إلى ثلاث حشوات بارزة ومستطيلة، ويؤطر فتحة باب الدخول عتب^(١) مستقيم يعلوه نص كتابي مذهب على أرضية خضراء، يضم تأريخ تجديد المسجد وترميمه من مال التبرعات التي جمعها أهالي الحي، منفذ بخط النستعليق المذهب على أرضية خضراء (صورة: ٥)



صورة (٥): نص تأريخ التجديد لجامع جلفم خاتون، نقلاً عن:
(<https://islamansiklopedisi.org.tr/gulfem-hatun-camii>)

ونصها:

س ١	بحمد الله معمر اولوب اولدي عبادتگاه	بو گلفم جامعي يانميش ايدي برخيلي سال اقدم
س ٢	نيجه اصحاب خير وهمت عرض اشتراك ايتدي	نقود وافره صرف ايليوب انشايه چوق آدم
س ٣	پنيحا كل كبي تاريخ اجلدي باغ طعمده	كلتانه شبيه اولدي ياييلدي جامع گلفم
س ٤		١٢٨٥

(١) العتب: هو العقد المستقيم الذي يعلو فتحات الأبواب أو الشبابيك.

وتعني:

س ١	تم بحمد الله تعالى إعادة تعمير جامع جُلغم بعد الحريق الذي أصابه منذ أعوام كثيرة
س ٢	وقد اشترك أصحاب الخير والهمة وصرف العديد من الرجال نقوداً وفيرة على إنشائه
س ٣	وسطعت الدنيا كحديقة غناء بهذا وصار جامع جُلغم يشبه حديقة الزهور
س ٤	سنة ١٢٨٥ هـ

ويفضي هذا المدخل إلى داخل المسجد، وهو عبارة عن بيت للصلاة مغطى بسقف مسطح على غير عادة المساجد العثمانية التي تُعدّ تغطيتها بالقباب سمة أولية وطابعاً بديهيّاً، وهو ذو مسقط أفقي مستطيل ومنتظم الشكل، يبلغ طوله ٣٧, ٩م، وعرضه ٧٩, ٧م، لتبلغ مساحة المسجد نحو ٣٤, ٧٠م، وارتفاعه ٤٠, ٣م، بحيث تكسو الجزء السفلي منه وزرة رخامية منفذة بطريقة التليس، وفي غالب الأمر أنه كانت تغطي مساحة المسجد قبة لكنها تهدمت من جراء الحوادث المتكررة من زلازل وحرائق.

المحراب: يقع في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي من بيت الصلاة (صورة: ٦)، وهو محراب رخامي بسيط يقع داخل تجويف مستطيل الشكل متوج بصف من الشرفات^(١) المسننة، وأما حنية المحراب فيبلغ اتساعها ١١, ١م وارتفاعها ٥٢, ٢م، فيما يبلغ عمق الحنية ٧٣ سم، وهي حنية مضلعة وغائرة تتقدمها طاقة مشعة تأخذ هيئة مثلثة، ويزخرف زوايا المثلث جامتان مستديرتان بواقع جامة في كل زاوية تزيناها زخارف مذهبة منفذة بالحفر البارز على أرضية سوداء، وقوام الزخرفة من سرّة في المركز حولها زخرفة لوريدة ثمانية البتلات يحيط بها رسم لأوراق نباتية محورة، وتعلو

(١) الشرفات: عبارة عن صف أفقي من الخليات الزخرفية توضع بجوار بعضها البعض على الشيء أو حافته، وهي عادة ما تتوج واجهات المباني المختلفة، ويكون بعضها مدرّجاً، وبعضها الآخر بأشكال متنوعة مثل الورقة النباتية الثلاثية أو الخماسية وغير ذلك، ثم أخذت كشكل زخرفي يوطر بعض الزخارف.

حنية المحراب حشوة مستطيلة من الرخام الأسود نفذ عليها اقتباس قرآني باللون الأصفر، نصه: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١).

المنبر (صورة: ٦): يقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد وليس بمنتصف جدار القبلة، مجاورًا للمحراب على غير عادة المساجد عمومًا، وهو منبر رخامي بسيط يخلو من الزخرفة يتكون من باب المقدم يبلغ اتساعه ٦٢ سم وارتفاعه ٩٩, ١م، يؤدي إلى درج يحده درابزين رخامي من الجهتين ملتصقًا بريشتي المنبر بشكل مثلث يحدده إطار مجوف، ويؤدي السلم عبر ١٠ درجات إلى جلسة الخطيب التي يعلوها أربعة قوائم تحمل جوسق المنبر، والجوسق عبارة عن عنق مضلع من ثمانية أضلاع تعلوه خوذة مضلعة مخروطية الشكل، تنتهي بقمة مدببة على هيئة القلم الرصاص لتشبه المآذن العثمانية.



صورة (٦): داخل جامع جُلُفم خاتون بإسكندار ويظهر البساطة في الزخرفة إلى جانب المحراب والمنبر الرخامين، نقلًا عن: (www.tarihi.ist)

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١٤٤.

المبحث الثاني

كلية خاصكي خرم سلطان في إستانبول
(Haseki Hürrem Sultan Külliyesi)

أولاً: الموقع:

يقع مجمع خاصكي خرم^(١) في مدينة إستانبول بمنطقة عورت بازاري^(٢) أو أورطه بازار أو أورته بازار^(٣) (Avrat Pazarı) والتي تعني سوق النساء؛ إذ كانت المنطقة تشتهر بوجود سوق للإماء إضافة إلى تخصيص منطقة قريبة منه للنساء ليقتنن بالبيع والشراء فيه، وفي هذا إشارة إلى أصلها إذ كانت من الإماء الرقيق، وجاء موضع المجمع الوقفي لخاصكي خرم سلطان أعلى التل السابع للمدينة، وقرب المتدى الإمبراطوري لأركاديوس البيزنطي وسط المدينة^(٤)، فمعلوم أن مدينة إستانبول قد قامت على سبعة تلال، تبدأ من البسفور شرقاً وتمتد حتى أواخر المدينة بالتل السابع في الجنوب الغربي للمدينة، وقد اختارت خاصكي سلطان هذه المنطقة لتشيء أول أوقافها وأعمالها المعمارية بإستانبول، إذ إن التلال الستة الأولى من المدينة تأتي متجاورة بشكل متتابعي من الشرق للغرب وعلى طول امتداد خليج القرن الذهبي، أما التل السابع فيأتي خلفها جنوباً بامتداد كبير ناحية الغرب مع انحدار بحر مرمرية ليغطي الجزء الأكبر من الجنوب الغربي لمدينة إستانبول، ومن ثم فإنه يمتد بموازاة التلال

(١) «خرم»، معناه السعيد، وقد أطلق على زوجة السلطان سليمان القانوني التي تُعرف في الأصل باسم «روسلانا». ينظر: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧، ١١٨)، كانون الثاني (يناير) - حزيران (يونيو)، ٢٠١٢م، ص ٣٧٢.

(٢) وتعني: سوق النساء، وقد أورد هذا النص صراحة أوليا جلبي في رحلته، في المجلد الأول؛ وقد عرف هذا الموقع بعد ذلك باسم «أورطه بازار»، أي: السوق الأوسط، وتكتب أيضاً «أورته بازار». لمزيد من ذلك راجع: القاموس العثماني في: (Osmanice.com). وسأني ذكر بعض المدن في وقفية مهرماه سلطان تؤكد هذا المسمى، مثل: بلدة عورت حصار، وغيرها. ينظر: ملحق الدراسة، موقوفات ومسبلات وجهات الإيراد لوقف مهرماه سلطان بإسكدار.

(٣) ويعني طبقاً لموسوعة إستانبول: الجزء أو المربع القديم الذي حُصص لأسواق الطعام التي تقام مرة كل أسبوع، حيث كان أغلب الباعة والمتسوقين من النساء. ينظر:

Istanbul Ansiklopedisi, Türkiye Ekonomik Ve Toplumsal Tarih Vakfı, İstanbul, 1994, Vol.1, P. 340

(4) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture: Five Case Studies In Istanbul, (Firūzan Melike Sümertaş), A Thesis Submitted To The Graduate School Of Social Sciences Of Middle East Technical University, 2006, P. 82.

(الرابع والخامس والسادس) جنوباً^(١)، وحالياً يمتد من منطقة أقسراي بوسط المدينة مروراً بمناطق خاصكي وأورتابازار ثم الاتجاه جنوباً وغرباً، وعلى هذا التل تقع عدة مجمعات معمارية للعمارة الوقفية الخيرية، مثل: جامع مراد باشا (أحد وزراء السلطان محمد الفاتح ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، وجامع جراح محمد باشا الذي شيده المعمار داود أغا^(٢) خليفة المعمار سنان سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م، ومجمع الصدر الأعظم بإيرام باشا ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م، ومجمع خاصكي سلطان ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م، وجامع داود باشا ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م وكان وزير السلطان بايزيد الثاني، وجامع حكيم أوغلو علي باشا ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤-١٧٣٥م، ومدرسة نشانجي محمد بيك قبل سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، ومسجد عيسى كابي الذي شيده بموضع مدرسة أنوج إبراهيم باشا ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م، وقد كان هذا الموضع في الأصل كنيسة بينزطية متهدمة^(٣).

ولما كانت الواقفة حريصة على تحصيل أكبر قدر من العطاء والخدمة لأوقافها فقد اختارت تشييد مجمعها الوقفي بعيداً عن مركز المدينة، وربما كانت ترمي من ذلك إلى أن يكون مسجدها مسجداً جامعاً فريداً في موقعه، وحيداً في منطقته، ليكون مقصد قاطني تلك النواحي فيُنظر إلى منشأتها كأنها منشأة ضخمة بغض النظر عن مساحة المسجد الصغيرة، وهو الأمر نفسه بالنسبة لباقي المنشآت الخيرية بمجمعها الوقفي، وربما يفسر هذا الأمر أنه من الضروري وجود مساحات خالية في مركز المدينة قرب قصر طوبقابي والجوامع الكبرى بدليل تشييدها للخان التجاري بمنطقة إمينونو والحمام بمنطقة السلطان أحمد، وإنشاء السلاطين اللاحقين لمنشآت ضخمة

(1) Strollings Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd) & (John Freely), P. 315.

(٢) تتلمذ داود أغا على يد المهندس الكبير قوجه معمار سنان، وتم اختياره معمار باشي أو رئيساً للمعماريين عقب موت سنان عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م، باعتباره أكبر من تتلمذ على يديه، وكان قد أشرف خلال تولي المعمار سنان رئاسة مهندسي القصر السلطاني (٩٨٢-٩٩٠هـ/ ١٥٧٥-١٥٨٢م) على العديد من أعمال توصيل المياه للقصور العثمانية، وخاصة قصر طوبقابي وغير ذلك من أعمال بناء المساجد والقصور وتشييدها، وكان أهم ما أشرف على بنائه: أراستا مجمع السليمية والمدرسة الابتدائية بمدينة أدرنة، وكذلك وضع أساسات كلية بني جامع بمدينة إستانبول منذ ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م إلى أن توفي سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨-١٥٩٩م، وتولى الإشراف على استكمال أعماله المهندس الرقيب أحمد أغا الغواص الذي كان تابعاً لسلاح البحرية وظل في رئاسة مهندسي القصر حتى سنة ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م. ينظر: المنشآت التجارية العثمانية الباقية بمدينة إستانبول حتى أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م (دراسة آثارية معمارية وفنية)، محمد أحمد بهاء الدين ملكه، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠١٦م، ص ١١٠؛

Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), pp. 351-352.

(3) Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd) & (John Freely), Pp.316-327.

بمركز المدينة، ولكنها أرادت أن تساهم بأوقافها في تطوير عمران المدينة واتساعه جهة الجنوب الغربي من ناحية، ولتكون عمائرها في منطقة لا يجاورها عمائر أخرى تقوم بالأدوار نفسها بما يضيفي الأهمية الكبرى عليها ولتخليد ذكراها كأول منشأة لمجمع خيري وقفي نسائي بالعاصمة إستانبول، إضافة إلى الرمزية في كونها في الأصل قد رُقت وبيعت في الأسواق، ومن ثم لم تنس هذا الأصل الذي ربما أثر في اختيارها لموقع منشأتها قرب سوق النساء^(١)، ومما يعضد ذلك القول أيضًا ما ذكرته (نجيب أوغلو NECİPOĞLU) حول وصيتها للعناية بالأطفال والنساء، ومن ذلك ما أوردته لتأكيدتها على الوصاية بتحرير الإماء من المال المتوفر من إيرادات مؤسستها الوقفية^(٢).

ثانيًا: الواقعة^(٣):

هي السلطانة خاصكي خرم (روكسلانا) طبقًا لوثيقة الوقف الخاصة بالمجمع، تُعدّ أكثر الشهيرات في الحريم بالدولة العثمانية، ويرجع سبب شهرتها إلى مدى عشق السلطان سليمان القانوني لها إلى حد أنه ألّف قصائد غزل فيها، وإلى الحد الذي جعلها تتدخل في شؤون الدولة والحكم والسياسة، يطلق على هذه السيدة في الدولة العثمانية «خرم سلطان»، واختلفت الآراء حول نشأتها، فذكر بعض الباحثين أنها ولدت سنة ١٥٠٠م^(٤)، والبعض ١٥٠٤م^(٥) لرجل دين كاثوليكي فقير يُدعى «مارسجلي» بمنطقة روجاتينو (روهاتين) على ضفاف نهر ليبيا، وقد وقعت في الأسر على يد تاتار القرم

(١) وفي هذا دليل آخر على أنها صاحبة التفكير والتدبير والتمويل لعمارتها الوقفية.

(2) The Age Of Sinan, Architectural Culture In The Ottoman Empire, (Gülru Necipoğlu), Princeton University And Oxford, 2005, P. 273.

(٣) وقد أحيكت أقاويل عدة حول إنشاء السلطان سليمان لهذه العمائر وإهدائها لزوجته المحبوبة، فمن هذه الروايات واحدة تقول: إن السلطان سليمان قدمها لها هدية في يوم ميلادها وقد فاجأها بذلك، ويدلل أصحاب هذا الرأي بالنقش الموجود أعلى المدخل والمؤرخ بسنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م، ومفاده بأن السلطان شيد الكلية المعمارية دلالة على حبه الكبير ورغبته في إرضاء زوجته. ينظر: العمائر الدينية، ريهام عبد العال، ص ٩٩؛

Sinan The Architect Of Suleyman The Magnificent And The Ottoman Golden Age, (John Freely), Photos By Ara Guler, Dünya Sirketler Gurbu, Istanbul, 1996, P. 218; Ottoman Architecture (op. cit), Dogan Kuban, P. 263.

ولكن وثيقة الوقف تدل دلالة قاطعة على إنشاء خاصكي خرم سلطان لأوقافها.

(4) Female Patronage In Classical Ottoman Architecture, Five Case Studies In Istanbul, (Firuzan Melike Sümertaş), A Thesis Submitted To The Graduate School Of Social Sciences Of Middle East Technical University, Degree Of Master Of Arts, 2006, P. 78.

(5) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (Çağatay M. Uluçay), S. 60.

في إحدى غاراتهم، فقدموها هدية إلى القصر السلطاني خلال عهد السلطان سليم الأول^(١)، وعمرها وقتئذ ما بين ١٤ و١٧ عامًا^(٢)، فانضمت إلى الحريم بداية أمرها كجارية^(٣)، وعلى عادة السلاطين العثمانيين تفقد السلطان القانوني جواريه فأعجب بها، لا سيما أنها اشتهرت بجمالها، ثم تزوجها السلطان سليمان القانوني^(٤).

تُعرف هذه المرأة بعدد من التسميات؛ منها: شهرتها في المصادر التركية باسم «خرّم» وهي تعني «السعيدة»^(٥)، أما مؤرخو العرب والأوروبيين فيسمونها روكسلان أو رسلان أو روكسولينا بمعنى فتاة بتول روثينية^(٦).

ومن صفاتها أنها قصيرة القامة مقبولة المنظر، مرحة الطباع، وقد كانت ماهرة إلى حد كبير حتى إنها تملك قلب السلطان العظيم سليمان القانوني، فصارت محبوبته المقربة^(٧)، وتدخلت في أمور الدولة والسياسة لمعرفة مقدار حب السلطان لها، فأوقعت بينه وبين إبراهيم باشا صدره الأعظم وصديقه الحميم بالاشتراك مع رستم باشا زوج ابنتها مهرماه فقتله السلطان، وكذلك يرى البعض أنها اشتركت في اغتيال مصطفى بن السلطان سليمان، وكذلك تدخلت في الصراع الذي دار بين ابنيها بايزيد وسليم الثاني، فاشتركت لمصلحة سليم ليتولى خلفاً لأبيه. ولقد شيّد لها المعمار سنان كلية معمارية خاصة بها لا تزال قائمة في إستانبول لتخليد ذكراها، ولم يكتف السلطان سليمان بذلك فقام بتخليد ذكراها بشكل أكبر حيث شيّد لها تربةً دفنت

(١) ينظر: السلطانتان خرم ومهرماه (قرينة سليمان القانوني وسليته)، جان ألجونج، ترجمة: د. وليد عبد الله القط، تحرير:

إساعيل كابار، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٦.

(2) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (Çağatay M. Uluçay.), s. 60.

(3) Roxolana In European Literature History And Culture, (Galina I. Yermolenko), Ashgate E-Book, 2010, P. 2; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), p. 255.

(٤) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤٧؛ وأوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٣؛ وسلطنة الحريم، حسن أحمد حافظ، ص ٢٧.

(٥) ينظر: سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، نزار قازان، دار الفكر اللبناني، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٥١؛ وأوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمة في مكة المكرمة (٩٢٥هـ-١٥٢٠م/٩٧٤هـ-١٥٦٦م)، فاطمة الزهراء عسوس؛ صليحة عدواس، مذكرة مكتملة لنيل درجة (الماجستير) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ٨ ماي (مايو) ١٩٤٥م، قالمة، الجزائر، ٢٠١٧م، ص ٦٣.

(6) The Imperial Harem Women And Sovereignty In The Ottoman Empire, (Leslie P. Peirce), New York, Oxford University Press, 1993, P. 59.

(٧) ينظر: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ثريا فارقي، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م، ٩٨.

فيها إلى جوار تربته بمجمعه الكبير (السليمانية) بإستانبول^(١)، ومما يعضد الرأي أنها صاحبة البناء والتشييد والمشورة ما ورد في عدد من المصادر التاريخية أنها ابتنت المسجد من مهرها الذي فرضه لها زوجها السلطان سليمان احتفاء بمكانتها الجديدة في المجتمع العثماني^(٢)، وهناك آراء تاريخية ذكرت أنها صاحبة البناء والتشييد^(٣)، وأما عن سبب بنائها لهذا المجمع الخيري بمنطقة سوق النساء، فيل جانب كونه مجمعا للعمارة الخيرية، وعملا وقفيا يُحسب لها لتجري لها صدقتها، ولتحسين صورتها أمام الناس بعدما أحيكت الأقاويل حول تورطها في مقتل مصطفى بن السلطان سليمان، فقد شيدت هذا المجمع أيضا لتحسين ظروف النساء والعناية بالمرأة، لا سيما أنها ألحقت به مستشفى لرعاية النساء المرضى من أي أصل عرقي وديني، وتوفيت خاصكي خرم سلطان سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧-١٥٥٨م^(٤).

ثالثا: أهم الأوقاف المعمارية الخيرية لخاصكي خرم سلطان:

كانت السلطانة خرم محبة للبناء والتشييد، عاشقة للعمارة والعمران، وساعدها في ذلك مكانتها وحظوتها لدى السلطان وكثرة أرزاقها، فأقامت عدداً من المشروعات الدينية والاجتماعية والإنسانية، وشيدت العديد من الأوقاف والمنشآت المعمارية الخيرية في العاصمة إستانبول إلى جانب مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، ومدن عثمانية أخرى، مستعينة في ذلك بموقعها النافذ ودعم السلطان لها، وخضوع الدولة لأمرها، وكان من حسن حظها وجود المعماري الفذ قوجه سنان، ووصوله لمرحلة متقدمة جداً في فكره المعماري وهندسته البنائية.

تعددت الآراء والدوافع حول مساهمة هذه السلطانة في الأعمال الخيرية والإكثار منها لتضاهي عظمة أوقاف السلاطين بل -وبلا مبالغة- قد فاقت منشآتها وأوقافها كثيراً من أوقاف سلاطين العثمانيين، إذ أورد البعض أنها أرادت أن تكفر عن سيئاتها، ورغبة منها في التقرب إلى الله ﷻ فوقفت الأوقاف العظيمة، إلى جانب جبهها وعشقتها

(١) ينظر: المنشآت العثمانية الدينية، أحمد محمد زكي، ص ٩٦.

(2) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), pp. 273.

(3) Strollings Through Istanbul (op.cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), pp. 321-323.

(4) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Melike Sümertaş), p. 82.

للعمران فأرادت أن تسهم في التطور العمراني لأهم المدن العثمانية في ذلك الوقت، ومما يعضد ذلك ويؤكد انتشار منشآتها المعمارية في أماكن عدة ومواقع مهمة متباعدة عن بعضها والربط فيما بينها لتوسيع رقعة العمران، كما يبدو أنها أرادت أن تكسب عاطفة الناس وولاءهم وحبهم من خلال أوقافها العظيمة، فشيدت مجتمعات معمارية خيرية ضمن أوقافها وخيراتها في مدن مثل: إستانبول، أدرنة، المدينة، مكة، والقدس الشريف^(١).

ويذكر باحثون آخرون أنها أرادت تحقيق رغبتها في بناء شخصيتها الشعبية، فكرست حياتها للرعايا العثمانيين وخدمتهم، وقد دعمت مكانتها بفعل إنشائها للأوقاف والأعمال الخيرية المتميزة، حتى لقبت بزبدة العصر بعد وفاتها بستين ٩٦٧-٩٦٨هـ / ١٥٦٠م^(٢).

رابعاً: تاريخ الإنشاء ومهندس البناء:

وأما تاريخ الإنشاء ومهندس البناء فقد ذكرت فيهما عدة آراء من حيث تاريخ البدء والانتهاء؛ أولها سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م، وقد استغرق البناء ٥ سنوات تنتهي بإشراف المعمار سنان سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م، والرأي الثاني يستبعد أصحابه أن الذي قام بإنشاء المسجد هو المعمار قوجه سنان الذي تولى رئاسة معماري القصر سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م^(٣)، نظراً لأن افتتاح المسجد للعبادة رسمياً كان سنة ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م، ومن الضروري في نظرهم أن بناء المسجد قد استغرق أكثر من عام، ويذكر أصحاب هذا الرأي أن سنان قد أشرف على إكمال البناء الذي بدأ في

(1) Gender And Sexual Propriety In Ottoman Royal Women's Patronage" (Leslie Peirce), In "Women, Patronage, And Self-Representation In Islamic Societies", Ed. D. Fairchild Ruggles, New York, State University Of New York Press, 2000, p. 58-59.

(2) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), pp. 268-269.

لا تؤيد الباحثة «ريهام يميا» لقب خرم سلطان بهذا اللقب بعد وفاتها، وإنما يجب أن تكون قد لُقبَت به في حياتها ولا سيما بعد أن قامت بإصلاح أعمال السيدة زبيدة العباسية في مكة المكرمة من الحصون والقلاع وقنوات نقل الماء المعروفة بعين زبيدة. ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يميا عبد العال، ص ٢٦-٤٤. ولكن الصواب أن من قام بترميمات وإصلاحات أعمال السيدة العباسية في مكة المكرمة هي مهرماه سلطان ابنة خرم سلطان، وقد أورد ذلك عديد من المؤرخين. ينظر: السلطانتان خرم ومهرماه، جان ألبجونج، ص ٢٣٥-٢٣٧؛ وأوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمة، فاطمة الزهراء عسوس، صليحة عدواس، ص ٧٣-٧٤.

(3) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), pp. 271-275.

عهد سلفه^(١)، وأما الرأي الثالث فمفاده أن سنان هو الذي شيّد المسجد وفقاً لتعاليم السلطنة خاصكي حرّم بعد توليه رئاسة المعماريين بسنة واحدة، أي: إن تاريخ البدء في البناء هو سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م^(٢)، وهو أيضاً تاريخ الانتهاء، ومن ثمّ يكون بناء المسجد قد استغرق سنة واحدة، ويُعدّ هذا العمل أول أعمال المعمار سنان بإستانبول^(٣)، وعند التسليم بهذا الرأي فإنه يتم رفض الرواية التاريخية التي ذكرت افتتاح المسجد للصلاة والعبادة في هذا التاريخ، ويمكن القول -إجمالاً- أن المجمع الوقفي لخاصكي حرّم سلطان قد بني على عدة مراحل على حد تقسيم (عبد الله كوران)، فأما العمائر الدينية الخدمية -ويمثلها المسجد والمدرسة ومكتب الصبيان (الكتاب) - فهى أولى العمائر إنشاءً بين عامي (٩٤٥، ٩٤٦هـ/ ١٥٣٨، ١٥٣٩م)، وأما الأوقاف الخدمية -ويمثلها دار المرق أو العمارت- فقد شيّدت سنة ٩٥٥-٩٥٦هـ/ ١٥٤٨-١٥٤٩م، وأما العمائر الوقفية الصحية -ويمثلها دار الشفاء (بيمارستان/ مشفى) - فقد استغرقت عدة سنوات (٩٥٧-٩٦٥هـ/ ١٥٥٠-١٥٥٨م)^(٤)، ويرجح الباحث أن إنشاء المستشفى انتهى سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، لأن وثيقة الوقف الخاصة بالمنشآت جميعها سجلت في هذا التاريخ رسمياً.

خامساً: وثيقة أوقاف خاصكي حرّم سلطان:

توجد نسختان من وثيقة وقف خاصكي حرّم سلطان محفوظتان بمكتبة السليمانية بمدينة إستانبول، إحداهما صورة من حجة الوقف الأصلية، والأخرى صورة منقولة عنها ولكنها غير مطابقة للأصل تماماً، فنظراً لاختلاف حجم الخط وغيره تم ترحيل عدد من كتابات كل صفحة، إلا أن النص واحد فيهما، وقد تم

(1) A History Of Ottoman Architecture, (Godfrey Goodwin), London, 1997, p. 205.

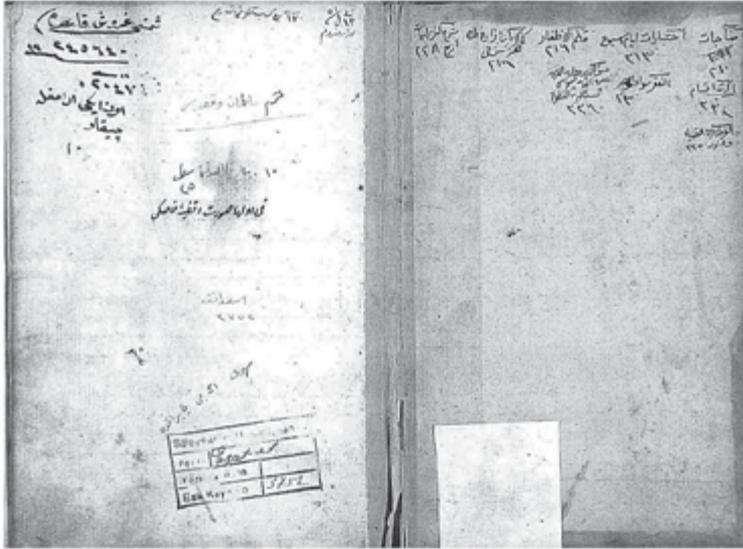
(٢) ينظر: العناصر الزخرفية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العهد العثماني، طه يوسف عمارة، رسالة (دكتوراة) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٧.

(٣) ينظر: فنون الترك وعمايرهم، أوقطاي أصلان أبا، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسیکا)، إستانبول، ١٩٨٧م، ص ١٩٦؛ ورسوم عمائر إستانبول الدينية في تصاوير المخطوطات العثمانية، منى السيد عثمان، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٨.

Sinan, Architect of Suleyman the Magnificent and the Ottoman Golden Age, (John Freely), Thames and Hudson LTD, London and New York, 1992, p. 18.

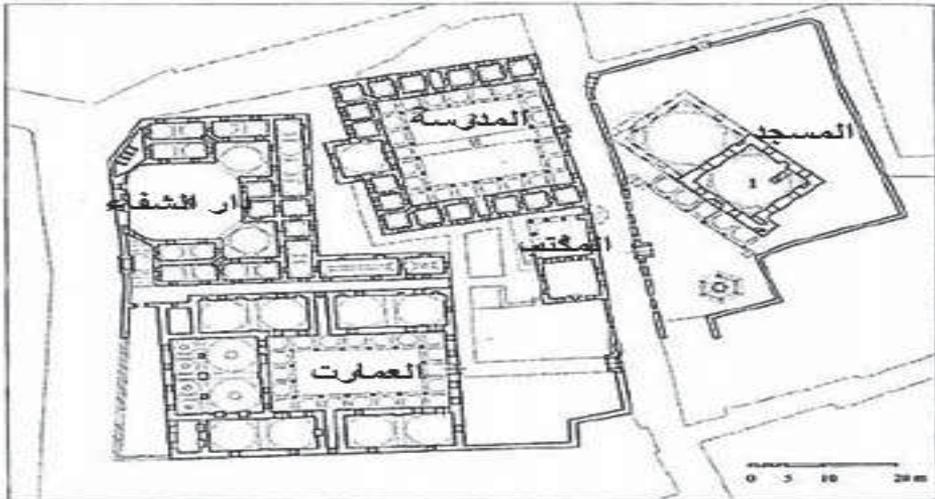
(4) A History Of The Ottoman Architecture, (John Freely), Wit Press, USA, 2011, P. 218.

تسجيل الوقفية وانتهاء كتابتها في غرة شهر المحرم سنة ٩٥٨هـ/ ٨ يناير ١٥٥١م،
فبينما تقع حجة الوقف في مجموعة بغدادلي بمكتبة السليمانية، نجد النسخة المصورة
محفوظة بمجموعة أسعد أفندي بالمكتبة نفسها (صورة:٧).



صورة (٧): مقدمة مجموعة مخطوطات أسعد أفندي بمكتبة السليمانية

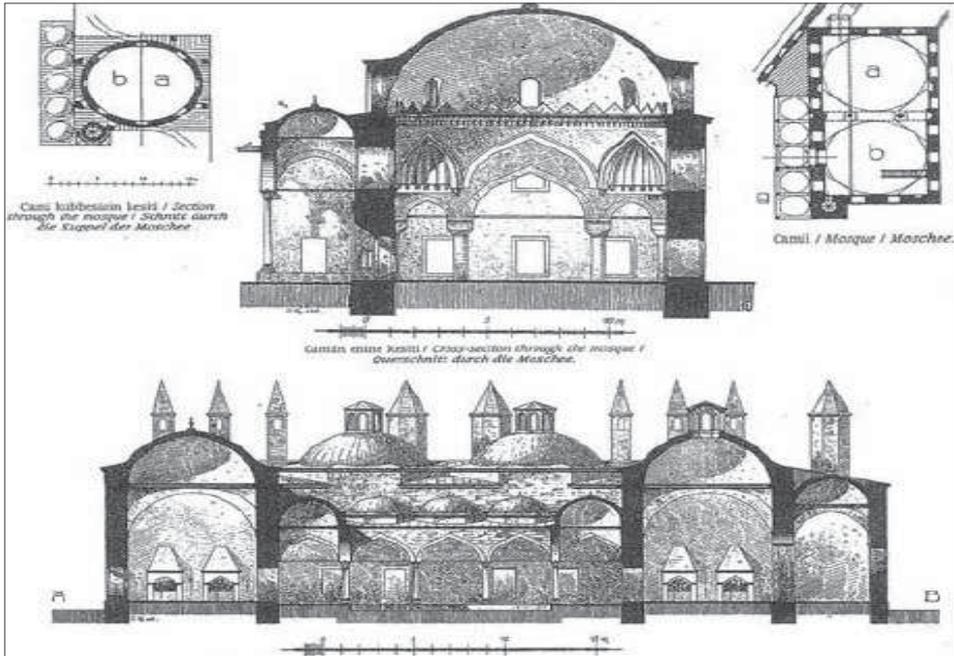
سادسًا: الوصف المعماري للمجمع الوقفي لخاصكي خرم سلطان (صورة ٨):



صورة (٨): مسقط أفقي لمجمع خاصكي خرم سلطان، بتصريف الباحث، نقلًا عن:
(Necipoğlu: The Age of Sinan, 2005)

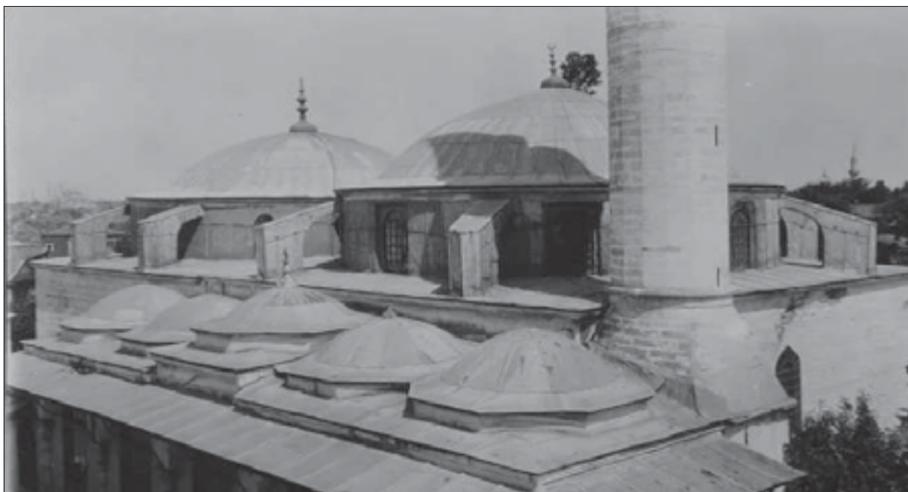
يتكون مجمع العمارة الخيرية لخاصكي خرم سلطان من جامع يقع منفردًا ويفصله عن الوحدات الأخرى شارع، أما الكتلة الكبيرة من أوقاف خاصكي خرم ضمن كليتها فتضم الجشمة ومكتب الصبيان والعمارات والمدرس ودار الشفاء، وتقع المنشآت المذكورة إلى جانب بعضها في منطقة أورتابازار بمدينة إستانبول، وقد وَقَّعت خاصكي سلطان ضمن مسبلاتها الوقفية على هذه الأوقاف الخيرية عددًا كبيرًا من الموقوفات؛ من ضمنها خان تجاريّ يقع بمنطقة إمينونو داخل المربع التجاري المهم في مدينة إستانبول، وحمّام يقع بأشهر جزء في إستانبول بميدان آيا صوفيا ليطل من جهةٍ على جامع آيا صوفيا ويتقدمه من الأخرى (جهة بحر مرمرية) مجمع السلطان أحمد الأول، ويمكن تناول ووصف هذه الأوقاف المعمارية لها على النحو الآتي:

(أ) الجامع (صورة: ٩، ١٠):



صورة (٩): مسقط أفقي وقطاعات لجامع خاصكي خرم سلطان، نقلًا عن:
(Freely, A History of Ottoman Architecture, p. 219)

يرجح الباحث أن مهندس هذا المسجد هو المعمار سنان اعتمادًا على ما ذكر في المصادر التاريخية وأيضًا اعتمادًا على تخطيط المسجد، ومن ثم يُعدّ جامع خاصكي سلطان أول أبنية المهندس سنان الكبرى منفردًا، ولأنه كان في مرحلة الإعداد والتلمذة فإن تكوين الجامع وتخطيطه يتبعان نموذجًا نمطيًا تقليديًا يُعدّ نسخة مطابقة لجامع جوبان مصطفى باشا بضاحية جبزة (٩٢٩هـ / ١٥٢٣م)، الذي ذكر «جودوين» أنه من إشراف: المهندس المصري شهاب الدين أحمد الذي حضر من مصر ليلحق بأبيه بعد اصطحاب السلطان سليم الأول له، وليس من أعمال سنان^(١)، لأن هناك آراء ذكرت بأن المهندس سنان هو من أنشأ مسجد جوبان مصطفى باشا وكان باكورة أعماله، ومما يعضد ذلك القول أن الوقت ما زال مبكرًا على سنان لينشئ مثل هذا المجمع رغم وجود وثائق رسمية تنسب إنشاء هذا الجامع إلى سنان، ولكن نظرًا لكثرة الزخارف التي تشبه زخارف العمارة المملوكية، وأهمها التطعيمات من الحجر متعدد الألوان مع الرخام المستجلب من مصر، فإن ذلك يؤكد عدم إنشاء سنان للمسجد، وهناك احتمال بأن يكون سنان قد أكمل بناءه وقت أن كان مساعدًا لمهندسه عند بداية العمل فيه، حيث لم يكن ممكنًا أن يصمم سنان أو يبتكر مثل هذا المجمع المعماري الكبير وحده في مثل ذلك الوقت المبكر من عمره^(٢).



صورة (١٠): قبتا المسجد وقباب السقيفة الخارجية لمسجد خاصكي خرم سلطان منتصف القرن الماضي، نقلًا عن: (Turkishculture.org)

(1) A history of Ottoman Architecture (op. cit), Godfrey Goodwin, P. 203.

(٢) ينظر: فنون الترك، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٩٦.

ومما يرجح رأي جودوين (Goodwin) أن المهندس المصري شهاب الدين أحمد أو غيره من المهندسين المصريين قد أشرف على بناء مجمع جوبان مصطفى باشا؛ هو كثرة التقاليد المعمارية المملوكية بالمجمع، لا سيما أنها جاءت متقنة بدرجة لا يمكن تخيل إنشائها إلا من قبل مهندس متمرس على هذا النوع من الزخارف المملوكية، ومن ذلك الحنية الركنية للقبة التي تظهر بها المقرنصات^(١) في خمس حطات بشكل يشبه المحارة^(٢)، إلى جانب طاقة المدخل أيضاً فهي طاقة محارية تركز على عدد من المقرنصات ذات الدلايات (صورة: ١١).



صورة (١١): مدخل مسجد خاصكي سلطان وتعلوه طاقة محارية مقرنصة، نقلاً عن: (Archnet)

ينفصل الجامع عن باقي المنشآت الوقفية الملحقه به؛ إذ يحيط به سور من الآجر المكسو بطبقة من الجير تفصله عن الشارع، وقد اقتطعت أجزاء من النواحي الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، أما الجهة الشمالية الغربية (الرئيسية) من السور فهي مبنية

(١) المقرنصات: هي عبارة عن حلقات معمارية وزخرفية في آن واحد استحدثها المسلمون إذ لم تكن تُعرف قبلهم، وهي تشبه خلية النحل، ويتم تشكيلها بالتتابع وبأسفل كل صف منها، وأحياناً توجد لها امتدادات تُعرف باسم الدلايات تبرز أكثر ما تبرز في الصف السفلي من المقرنصات.

(٢) ينظر: العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية، ربيع حامد خليفة، بحث في مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة، العدد السادس، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٩٦.

بالحجر، ويتخللها عدد من فتحات النوافذ المستطيلة المغشاة بمصبغات معدنية، ويقع بوسط هذه الجهة المدخل الرئيس للحديقة التي تتقدم المسجد، والمدخل عبارة عن كتلة حجرية ترتفع عن مستوى السور قليلاً، وبصدرها فتحة باب الدخول الرخامية بارتفاع يبلغ نحو ٩٠, ٣ أمتار ومعقودة بعقد موتور من صنجات معشقة، ويغلق على فتحة الباب مصراعان حديديان، وهناك مدخل آخر مكسو بالرخام يقع في نهاية الواجهة الشمالية الشرقية شمالاً.

ويتقدم المسجد من الخارج حديقة يقع بصدرها شاذروان أو نافورة المسجد (Şadirvan)، وهي خشبية حديثة البناء ذات شكل سداسي تقوم على قاعدة رخامية، ويلتف حول بدن النافورة حاجز سداسي رخامي.

للمسجد واجهتان خارجيتان هما: الشمالية الغربية وبنهايتها الغربية تظهر مئذنة الجامع ملتصقة بجدار المسجد أمام السقيفة، وهي مئذنة ذات بدن أسطواني يقوم على قاعدة مربعة، ويحمل البدن شرفة وحيدة تعلوها قمة مخروطية أو مدببة الشكل يخرج منها سفود مذهب يعلوه هلال، وأما الواجهة الشمالية الشرقية فشيّدت من الحجر والأجر بالتناوب بين المداميك وتمتد الواجهة للأعلى، وبها نافدتان إحداهما معقودة بعقد مدبب والأخرى كبيرة معقودة بعقد موتور.

١ - التخطيط المعماري الداخلي:

يتبع التخطيط المعماري لمسجد خاصكي خرّم سلطان النمط التقليدي لطراز الجوامع العثمانية المعروف بطراز بروسة الأول أو طراز المسجد القبة في نمطه البسيط، وهو عبارة عن بيت صلاة تتقدمه سقيفة خارجية، إذ يأخذ المسجد من الداخل تخطيطاً مستطيلاً يمتدّ من الشمال الشرقي للجنوب الغربي بطول ٥٠, ٢٠م، فيما يبلغ عرض المسجد ١٥م تقريباً، فيما تبلغ أبعاده الخارجية ٤٠, ٢٤ x ١٥, ٧م، ويتميز المسجد بكثرة عناصره المعمارية والزخرفية التي تجعله مقروناً بمسجد جوبان مصطفى باشا بجبزة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٢-١٥٢٣م، وكان المسجد وقت إنشائه يتكون من مساحة مستطيلة تغطيها قبة واحدة ضخمة، فيما يغطي السقيفة التي تتقدمه خمس قباب، وقد استخدم المعمار سنان العقد الركني الحامل ذا الفصوص الذي يشبه

الصدفة أو المحارة، والذي سبق ظهوره في مسجد جوبان مصطفى باشا بجبزة، وفي عهد السلطان أحمد الأول سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢-١٦١٣م أضيفت مساحة أخرى لمسجد خاصكي بإضافة قبة جانبية عن طريق إزالة الحائط الشرقي للمسجد^(١)، وذلك بسبب ضيق المسجد على جماعة المصلين وعدم استيعابه لهم^(٢)، وتم ذلك بإشراف متولي الوقف حينئذ (حسن بيك)^(٣)، وتم الوصل بين المساحة المضافة والمساحة الأصلية للمسجد بعقدين وعمودين، وأقيمت غير بعيد من المسجد مدرسة وكتاب وسبيل ودار للمرق ومستشفى يجمع بينها تناسق محدود، ويفصلها عن المسجد شارع^(٤).



صورة (١٢): باطن القبة التي تغطي الجامع الأصلي لخاصكي سلطان وتظهر مناطق الانتقال من الحنايا المحارية أو الصدفة، نقلاً عن: (Turkishculture.org)

- (1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), John Freely, P. 219.
 (2) İstanbulun 550. Fetih Yılı İçin, Osmanlı Mimarısında Kanüni Sultan Süleyman Devri (926-974/1520-1566), (I. Aydın Yüksel), İstanbul, Cilt. VI, İstanbul Bakı, 2004, S. 158.
 (3) Kent Ve Mimarlık Uzerine İstanbul Yazıları, (Dogan Kuban), Bahar Dermirhan (Editor), İstanbul, 2010, S. 107.
 (٤) ينظر: فنون الترك، أوقطاي أصلان أبأ، ص ١٩٦.

يتكون المسقط الأفقي للمسجد حالياً من مستطيل منتظم الشكل ينقسم إلى مساحتين متساويتين تغطي كل واحدة منهما قبة يبلغ ارتفاعها ١٤ م وقطرها ١١,٣٠ م، وتقوم كل قبة منهما على منطقة انتقال عبارة عن نصف قبة بهيئة الصدفية أو المحارة بشكل يشبه نصف القبة ذات الفصوص تُعدّ تكراراً لما جاء في جامع جوبان مصطفى باشا^(١) (صورة: ١٢)، وبمنتصف بيت الصلاة بائكة تقسم بين المساحة الأصلية والإضافية للمسجد، وتتكون من ثلاثة عقود عمودية على جدار المحراب تقوم على عمودين ضخمين من البازلت الأسود ذوي تيجان كورنثية ضخمة من الحجر الجيري، وأكثرها اتساعاً وارتفاعاً العقد الأوسط، ويزين بواطن العقود أشرطة متفاوتة من الزخارف، أما باطن القبة فتزينه أشرطة متتالية تبدأ من الأسفل بشريط من زخارف الخورنق متجاورة منفذة باللون الأحمر على أرضية بيضاء وتملؤها الزخارف النباتية، ويليه شريط من زخارف الأوراق النباتية الصغيرة، ثم شريط آخر من بخاريات^(٢) كبيرة نفذت باللون الأزرق على أرضية بيضاء تملؤها أيضاً الزخارف النباتية، ويليه شريط من زخارف نجمية. أما مركز القبة فتزينه جامات مستديرة بواقع ثلاث جامات تملؤها الزخارف الزرقاء والحمراء أصغرهما الجامة الداخلية، أما الجامة الخارجية فيؤطرها شريط مذهب من أشكال نجمية لها طرف مدبب في المنتصف، وقوام الزخارف النباتية التي تملأ باطن القبة في مختلف الأشرطة من زخرفة الرومي^(٣) والهاتاي وأوراق نباتية متعددة البتلات إلى جانب أزهار اللالا والقرنفل.

وتزين رقبة القبة فيما بين كل نافذتين زخرفة البخارية الزرقاء، وبأركانها جهة النوافذ أرباع البخارية، وقد نفذت الزخارف بالتبادل ما بين بخارية ونافذة، وتملأ

(١) ينظر: فنون الترك، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٩٦.

(٢) البخاريات: نوع من الوحدات الزخرفية عبارة عن صرر أو جامات دائرية أو نصف دائرية، وقد تكون منبعجة الجانبين وممتدة الطرفين على هيئة ورقة نباتية ثلاثية.

(٣) زخرفة الرومي: هو المصطلح الذي تم إطلاقه على الزخارف النباتية، لا سيما في الفنون العثمانية، وتُعرف أيضاً بزخرفة التوريق العثماني أو الأرابيسك العثماني، ودلالة كلمة الرومي لأن العثمانيين ورثوا مملكة البيزنطيين، والذين كانوا يعرفون بالروم لدى العرب والمسلمين، قال الله تعالى في سورة الروم آية ١-٣: (لم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد عليهم سيغلبون).

البخاريات زخارف نباتية باللون الأزرق على أرضية بيضاء من زخارف الرومي النباتية.

المحراب: يقع المحراب في منتصف جدار القبلة الجنوبي الشرقي، إذ تم إغلاق المحراب القديم وطمست معالمه نتيجة تزويد المساحة الإضافية الشرقية للمسجد، ومن ثم فقد أضيف محرابٌ آخر جديد بمنتصف الجدار أمام عمود البائكة، وهو محراب بسيط من الجص عبارة عن حنية نصف دائرية يعلوها طاقية مقرنصة من سبعة صفوف متتالية يتدلى من قمته شمعدان، ويؤطر الحنية جفتان بارزان مذهبان ملئت المساحة بينهما بزخارف نباتية بالحفر البارز، وتقع حنية المحراب داخل كتلة المحراب التي تأخذ هيئة مستطيلة الشكل يزخرفها من الجانبين شريط من زخارف نباتية متشابكة منفذة باللون الأخضر الغامق واللون الأبيض على أرضية ذهبية اللون.

المنبر: يقع بصدر المساحة الأصلية، وهو منبر خشبي من الخشب النقي بسيط يخلو من الزخارف ويتبع الشكل التقليدي للمنابر العثمانية؛ إذ يتكون من باب المقدم مستطيل الشكل يغلق عليه ستارة من القטיפنة تزدان بزخارف من كتابات دينية ورسوم الكعبة، ويعلو الباب حلية مذهبة على شكل عقد مدبب نفذت عليها زخارف نباتية بارزة تتوسطها جامة يخرج من أعلاها جامة أخرى أصغر حجماً، وبها كتابات دينية منها (محمد رسول الله)، وتوجد أعلى قمة الحلية فتايح تعلق كل منها حلية بصلية الشكل نفذت بها كتابات دينية بأسلوب التفرغ، مضمونها: (بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، وملتصق باب المقدم درابزين عبارة عن قاطوع مائل مصمت تلتصق به ريشتا المنبر وبأسفلها بابي الروضة، وأما الدرج فيؤدي إلى جلسة الخطيب التي يعلوها أربعة قوائم تشكل فيما بينها أربع فتحات يتوجها حلية تشبه زهرة اللوتس المقلوبة^(١)، وأما الجوسق فينتهي بهيئة مخروطية زخرفت بزخارف متعرجة تشبه قمة مئذنة الجامع.

وللمسجد طابق ثان من خشب الخرط يقوم بوظيفة المصلى النسائي يتم الوصول

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجا عبد العال، ص ٩٣-٩٦.

إليه عبر درج داخل المسجد، ويحتوي هذا المصلى على ما يشبه مقصورة (مخفل) السلطان، وهي عبارة عن حجرة مربعة تبرز عن سمت الجدار للدخل، وهي بسيطة ليس بها زخارف أو تفاصيل مميزة.

٢- السقيفة والمدخل:

تتقدم السقيفة المسجد من الجهة الشمالية الغربية ويقع بمنتصفها المدخل الرئيس الذي يفضي إلى داخل بيت الصلاة، وهي سقيفة من رواقٍ واحدٍ مستطيل الشكل يبلغ طوله نحو ٦٠، ١٨م وعرضه ٦٠، ٣م، وينقسم هذا الرواق إلى خمسة مربعات تعلو كلاً منها قبة ضحلة تخلو من أي زخارف، وقد أخذ جزء من آخر السقيفة في الجهة الغربية ليدخل ضمن مصلى النساء، ويقع المدخل بمنتصف السقيفة وهو يتكون من كتلة حجرية ضخمة تتقدمها مصطبة، وتقع بصدر الكتلة دخلة عميقة مستطيلة مشطوفة الأركان نُظِّمَت بعمود رخامي ذي قاعدة وتاج حلزوني الشكل بكل شطف، ويتوج الدخلة نصف قبة مشعة تشبه مناطق انتقال القبة يتدلى منها حطة مقرنصة ذات دلايات (صورة: ١٢)، ويقع بصدر الدخلة دخلة أخرى رخامية أصغر حجماً يتوجها عقد من صنجات معشقة بنظام الأبلق، وتعلو المدخل ثلاث حشوات مستطيلة، تضم الوسطى منها كتابات تاريخية تعود إلى تاريخ التجديد والإضافة للمسجد سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م، بحيث نُظِّمَت الكتابات في ثلاثة أسطر كتابية منفذة بخط الثلث الجلي، تضم نصاً يعني:

(أنشأت السلطنة المرحومة هذا الجامع ووقفته كعمل خيري وأثر حسن

سنة تسعمائة وخمس وأربعين هجرياً، بُني بيت الدين والأخيار هذا

إذ لم يسع الجماعة من كثرتها

الوصي عليه هو الحارس حسن بك وقال أثاري على تاريخ إتمامه

زهي عالي وبيت الله للأبرار ١٠٢١هـ)^(١)

(1) Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman) (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 158;

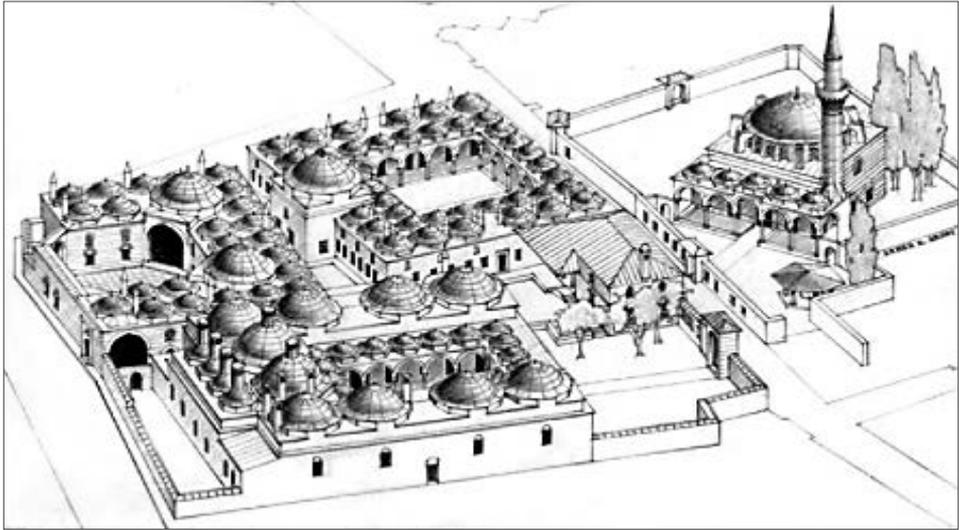
وعماثر المرأة الدينية ريهام نجيا عبد العال، ص ١٠٢-١٠٣.

وعند حساب التاريخ بجميع الأحرف الموجودة فإنه ١٠٨١هـ، وهو ما لا يتفق مع تاريخ التجديد والإضافة ١٠٢١هـ، ومن ثم فقد لا يحتسب قيمة حرفي اللام في كلمة للأبرار، ويكون الصواب أبرار.

٣- أهم الإصلاحات والترميمات بالجامع:

ظل المسجد يقدم رسالته التي وُقِف من أجلها طيلة وجوده إلى الآن، على الرغم من أنه قد طرأت عليه عدة تعديلات وأحداث، منها إضافات، ومنها ترميمات وتجديدات، وهنا تظهر أهمية مرمة الوقف وإصلاحه إذ إن من أولويات الوقف الحفاظ على الأعيان الموقوفة، فلما ضاق المسجد بالمصلين تمت زيادة مساحة مائة لبيت الصلاة في الجهة الشرقية سنة ١٠٢١هـ/ ١٦١٢م على يد متولي الوقف حسن بيك، ثم تعرض المسجد للتدمير من جراء حرائق وأحداث، وتمّ ترميم المسجد بعدها بشكل فوري، ومنها حريق سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م، وحريق سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وزلزال سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، فقامت إدارة الأوقاف بإعادة ترميم المسجد طبقاً لأصوله المعمارية فيما بين سنتي (١٣٨٠-١٣٩٠هـ/ ١٩٦٠-١٩٧٠م)^(١).

(ب) العمائر الوقفية الأخرى بمجمع خاصكي خرم سلطان:



صورة (١٣): منظور لمجمع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار، نقلًا عن: (Archnet.org).

(1) Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman) (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 159.

تقع العمائر الوقفية الأخرى بالمجمع في الجهة المقابلة للجهة الشمالية الغربية من الجامع (صورة: ١٣)، إذ يفصل بين الجامع وباقي العمائر الوقفية في المجمع شارع، ويحيط بهذه العمائر الأخرى سور (صورة: ١٤) على غرار السور الذي يحيط بالجامع، وتضم هذه المنشآت كلاً من (المدرسة، المطعم الخيري، مكتب الصبيان، الجشمة، المستشفى)، وقد تعرضت بعض أجزاء السور الخارجي الحجري لعمليات الترميم، فيما عدا الجزء المقابل للمسجد، الذي يحتوي على كتلة المدخل الرئيس التي تفضي إلى باقي منشآت الكلية المعمارية، فهو من عصر الإنشاء.



صورة (١٤): السور الذي يحيط بالعمائر الوقفية لخاصكي سلطان، وبها المدخل الذي يفصل بين المدرسة ومكتب الصبيان، نقلاً عن: (en.wikipedia.org)

ج) المداخل:

تقع كتلة المدخل الرئيس في أقصى السور من الجهة الجنوبية الشرقية، ويؤدي المدخل إلى فناء يحتوي على ممشى يؤدي إلى داخل العمارات الوقفية (دار المرق) التي أنشأتها الواقفة لإطعام المساكين، وكتلة مدخل كبيرة عبارة عن دخلة معقودة بعقد مدبب من صنجات معشقة يبلغ ارتفاعها حوالي ٣٠، ٦م، ويضم باطن العقد نصاً كتابياً من أربعة أسطر داخل بحور كتابية سجلت بخط الثلث، تضم عبارات دعائية

للواقفة ومدى عظم العمارت الخيرية وفيرة النعم، ويشير هذا النص بشكل صريح إلى أهمية العمارت في أوقاف خاصكي سلطان، كما أنها الوحدة الوقفية التي تقع في مواجهة المسجد مباشرة دلالة على أن أهميتها من الدرجة الأولى، إضافة إلى وقوعها خلف المدخل مباشرة.

وأما فتحة الباب فتقع في منتصف الدخلة السابقة، وهي عبارة عن دخلة أخرى رخامية أصغر من الدخلة السابقة يبلغ ارتفاعها ٤م تقريباً، ويتوجها عقد موتور من صنجات معشقة بالتناوب بين الحجر والرخام، ويغلق على فتحة الباب المعقودة بعقد موتور مصراعان خشبيان كبيران.

المدخل الأخرى: يوجد بالواجهة الجنوبية الشرقية لهذه الكتلة المعمارية الوقفية - التي تضم الجشمة ومكتب الصبيان والعمارت ودار الشفاء والمدرسة - مدخل آخر يقع في منتصف الواجهة في مقابلة المسجد، وهو عبارة عن دخلة يبلغ ارتفاعها نحو ٣م يتوجها عقد موتور من صنجات معشقة، ويغلق عليها مصراعان من الخشب، وتؤدي إلى دركاة^(١) المدخل مربعة الشكل التي يغطيها قيو حجري، وتفضي الدركاة إلى داخل الكلية عبر ممر ضيق، ويفصل الممر في الوقت نفسه بين مكتب الصبيان والمدرسة.

ويوجد مدخل فرعي آخر يقع بأقصى شرق الواجهة يفضي إلى مدرسة خاصكي خرّم سلطان، وهو يتوسط كتلة حجرية كبيرة يصل ارتفاعها إلى حوالي ٧,٥م تبرز قليلاً عن سمت الواجهة، ويتوسطها فتحة باب الدخول معقودة بعقد موتور من صنجات معشقة يغلق عليها مصراعان من الخشب، ويفضي هذا المدخل مباشرة إلى الرواق الجنوبي الشرقي ومنه إلى صحن المدرسة.

(د) الجشمة (نوع الماء):

تقع الجشمة مجاورة لكتلة المدخل، وهي جشمة رخامية تتكون من تجويف غير عميق يأخذ هيئة العقد المدبب من صنجات معشقة، ويتوسطها صنبور الماء داخل

(١) «الدركاة» لفظ فارسي مكون من مقطعين؛ در بمعنى باب، وگاه، بمعنى محل، وتعني محل الباب، وهي المساحة الصغيرة التي تلي فتحة باب الدخول داخل المبنى مباشرة. ينظر: الوثائق في خدمة الآثار، دراسات في الآثار الإسلامية، عبد اللطيف إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٩٥.

حشوة رخامية مربعة، نُقِشت عليها زخارف من عقد حدوي^(١) يرتكز على عمودين لهما بدن أسطواني الشكل، وتحيط بالجدار زخارف زجاجية (دالات)، وتوجد أعلى عقد الجحشمة حشوة نُقِش عليها اقتباس قرآني يعلو نصًّا تاريخيًّا لإنشاء الجحشمة، بما يدل على أنها لاحقة على البناء وليست أصلية، وإنما أضيفت كوقف مائي خيري على روح خاصكي حرّم سلطان، وقد سُجِّل النص بخط الثلث في أربعة أسطر كتابية، ترجمتها:

س ١	﴿ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ^(٢) .
س ٢	قد أحيا روح زوجة السلطان الطاهرة، وجعل الآفاق تلتفت لشرب الماء العذب.
س ٣	قد سالت عين ماء الحياة مثل ماء زمزم، شربت جميع الكائنات ماء الحياة من يد خضر.
س ٤	عام ١١٨٠ هـ.

هـ) المدرسة:

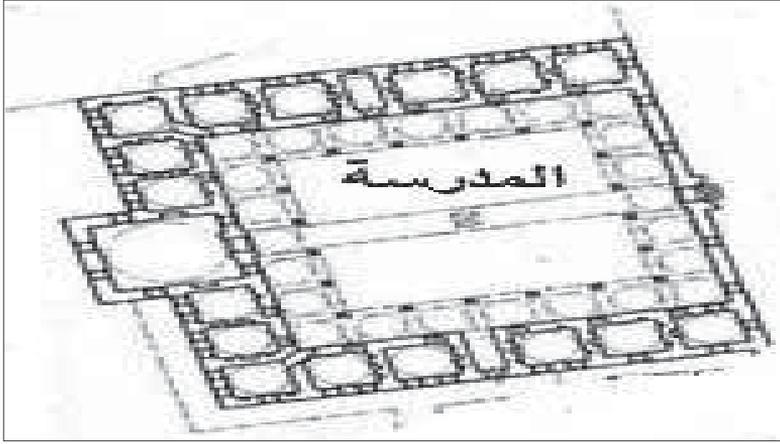
أنشئت المدرسة سنة ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ - ١٥٤٠ م^(٣) على يد المعمار سنان، وهي تُعدّ من أهم الوحدات الإنشائية الوقفية التي يحرص على رعايتها ودعمها الواقفون؛ لما فيها من طلب العلم وتحصيل الثواب وغيره، ومن ثم فلا تكاد كلية معمارية بمدينة إستانبول تخلو من مدرسة، إذ صارت المدرسة تلازم المسجد غالبًا.

(١) يشبه حدوة الفرس.

(٢) سورة الإنسان، جزء من الآية رقم ٢١.

(3) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), P. 47. Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman) (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 160; İstanbul Medreseleri, (Mubahat.S. Kutukoğlu), Asra Erisen, Türk Tarih Kurumu Basimevi Ankra, 2000., S. 289.

١ - التخطيط المعماري للمدرسة:



صورة (١٥): المسقط الأفقي لمدرسة خاصكي خرم سلطان.

تتبع المدرسة الطراز التقليدي لتخطيط المدارس العثمانية (صورة: ١٥)، وهي تشبه إلى حد التطابق مدرسة مهرماه سلطان بإسكندار، وتتكون من مسقط أفقي مستطيل الشكل يتوسطها صحن مكشوف مربع^(١) تتوسطه فسقية أو شاذروان، ويحيط بالصحن رواق من الجهات الأربع، وينقسم الرواق إلى عدد من المربعات يغطي كلاً منها قبلة ضحلة تقوم على مثلثات كروية بواقع ٢٤ قبة، ويطل هذا الرواق على الصحن ببائكة معقودة من ٢٠ عقداً مديباً بواقع خمسة عقود مديبة في كل جهة، تقوم على أعمدة رخامية وجرانيتية لها تيجان على شكل زهرة اللوتس^(٢)، ويتم الدخول من مدخل المدرسة إلى الرواق الجنوبي الشرقي للمدرسة مباشرة^(٣)، ومن ثم فإن الرواق من هذه الجهة يبدأ من الجدار الخارجي للمدرسة، ومن ثم فإن حجرات الدراسة تأتي حول هذا الرواق من ثلاثة جوانب فقط، هي: الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية، والشمالية الشرقية لتشكل حول الصحن والرواق هيئة حرف (U)، ويبلغ عدد خلاوي الطلاب (أو حجراتهم) ١٦ خلوة^(٤)، تأتي كل منها من تخطيط مربع أو مستطيل أقرب إلى مربع، وتغطي كلاً منها قبة تقوم على مناطق

(1) A History Of Ottoman Architecture (op.cit), Godfrey Goodwin, P. 204.

(2) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), p. 49

(3) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), p. 49.

(4) A History Of Ottoman Architecture (op.cit), (Godfrey Goodwin), p. 204.

انتقال من مثلثات كروية، وتتوسط الحجرات الواقعة في الجهتين الجانبيتين مداخل فرعية، وتُعدّ قباب الحجرات أكبر من قباب الرواق.

٢- قاعة الدرس (درس خانه):

تقع في منتصف الضلع الشمالي الغربي على محور المدخل، ويتم الدخول إليها عبر فتحة باب على جانبها نافذة، وتطل كلتا فتحتي الباب والنافذة على الرواق الشمالي الغربي، ويقع على جانبي الدرس خانه ٦ خلوات بواقع ٣ خلوات في كل جهة، وهي أكبر حجرات المدرسة وقاعاتها حجماً؛ إذ تأخذ تخطيطاً مربعاً يبلغ طول ضلعه ٤٠, ٨م، وتبرز الدرسخانه عن سمت الجدار الخارجي بمقدار ١٠, ٤م، وتغطيها قبة كبيرة يبلغ قطرها ٦, ٨٠م وارتفاعها ٤٠, ١١م^(١)، وقد فُتح بجدران الحجرة عدد من النوافذ في عدة مستويات أفقية يعلو بعضها بعضاً؛ لإدخال الضوء والتهوية إلى داخل الحجرة.

٣- مراحل الترميم:

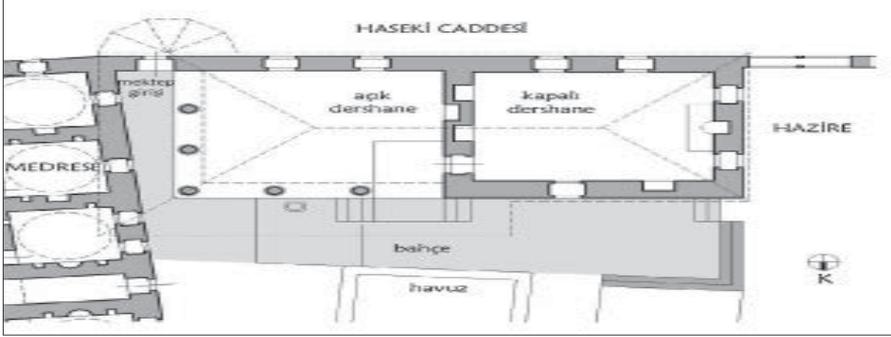
مرّت المدرسة بعدد من الأحداث الطبيعية أدت إلى تهدم بعض أجزائها، وقد كانت تتم أعمال الترميم تباعاً على حسب توافر مدخولات من الأوقاف أو من رعاة المباني الخيرية، وقد أورد صاحب مدارس إستانبول أن هذه المدرسة أُجري لها العديد من المرمّات في القرن ١٣هـ/ ١٩م، جرت إحداها على يد مدير رعاية الفقراء حافظ علي أفندي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٤٨م، وأجريت ترميمات أخرى أكبر من السابقة بعدها بعدة أعوام سنة ١٨٦٤م، أجراها القلغه حاجي أرتن (Artin Haci) بتكليف من مسؤولي الترميم، ثم تم ترميمها مرة أخرى سنة ١٨٧٣م برعاية مديرية الإنشاءات التي كلفت الأسطى «أو المعلم» (Yamandi) بإجرائها، وظلت المدرسة مدة بحالة جيدة حتى ضرب المنطقة زلزال كبير سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، تم ترميم المدرسة على إثره سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م^(٢).

وبعد عشرين عاماً ذكرت هيئة التفتيش على المباني سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م أن المدرسة بحاجة إلى الصيانة والمرمّات، فتم ترميمها على نفقة ميزانية الجيش العثماني

(1) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), p. 49.

(2) Istanbul Medreseleri (op. cit), (Mubahat.S. Kutukoğlu), s. 289-291.

سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وظلت الترميمات تتوالى تباعاً حتى قامت المديرية العامة للأوقاف بترميمها ترميمًا شاملاً سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ومن ثم استخدمت المدرسة كمركز تعليمي تابع لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية^(١).
(و مكتب الصبيان (الصور: ١٦، ١٧):



صورة (١٦): مسقط أفقي لمكتب صبيان خاصكي سلطان، نقلاً عن:
(Baican & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s. 103)

يقع المكتب إلى الجنوب من المدرسة - وليس الغرب كما ذكر بعض الباحثين^(٢) - على الجهة الأخرى من الممر الذي يفصل بين المدرسة والمكتب، وقد بني مع بناء المدرسة نظراً لتشابه العناصر المعمارية بكل منهما^(٣).



صورة (١٧): منظور لمكتب صبيان خاصكي سلطان، نقلاً عن:
(Baican & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s. 117)

(1) Istanbul Medreseleri (op. cit), (Mubahat.S. Kutukoğlu), s. 290-291.

وعمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ١٠٩.

(2) A history Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), p. 220.

وعمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ١١٠.

(3) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), p. 47.

التخطيط المعماري للمكتب: يتكون مكتب الصبيان من تخطيط بسيط، عبارة عن مسقط أفقي مستطيل الشكل يمتد من الشمال الشرقي للجنوب الغربي تقدمه ردهة مفتوحة وضعت بها نافورة رخامية حديثة (صورة: ١٦)، وينقسم المكتب إلى قاعتين مربعتين كانت تغطي كلاً منهما قبة^(١)، وتطل الشمالية الشرقية منهما على جهة المدرسة ببائكة في اتجاهين على هيئة حرف (L)، وتتكون كل بائكة من ثلاثة عقود مدببة تقوم على أعمدة جرانيتية صغيرة لها تيجان على شكل زهرة اللوتس، أما الحجرة الأخرى فمغلقة، ويتكون المكتب حالياً من طابق واحد يغطي كلتا مساحتيه سقف خشبي مسطح حديث، وكان قبل ذلك من طابقين يسقفهما سقف خشبي تتوسطه شخشيخة^(٢).

(ز) دار الشفاء (المستشفى):

يُعدّ المستشفى (أو دار الشفاء) الذي شيّدته خاصكي خرم سلطان من أجمل نماذج دور الشفاء الباقية بمدينة إستانبول سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م^(٣)، أو سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م^(٤)، ومن خلال الوثيقة التي تؤرخ وتضم دستور العمل بأوقاف خاصكي خرم سلطان فإن البناء انتهى سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، وقد اختارت السلطنة في وقفيتها للإشراف على هذا المستشفى طبيبين «يارسان الطب العام»، وطبيين متخصصين في العيون «كحّالين»، وجراحين اثنين، وصيادلة، وأربعة مرضيين، وموظفين اثنين يعملان في المختبر، وعدداً من الأشخاص للإدارة، وبلغ مجموع العاملين في المستشفى حوالي ٢٨ موظفاً، وقد نصت وقفيتها على معالجة الفقراء والمحتاجين فيه، كما ذكرت أنه من جملة مَنْ يُقدّم لهم الطعام بالمستشفى - إلى جانب الأطباء والموظفين - ٢٤ فقيراً ومسكيناً، سواء من الرجال أم النساء، «وإذا

(1) Ottoman Architecture (op. cit), Dogan Kuban, p. 263.

(٢) الشخشيخة: هي ملفف الهواء، أو فتحة التهوية، وعُرفت بهذا الاسم لأن صوت الهواء بها يكون قوياً فيصدر صوت صفير يشبه صوت الشخشيخة، وهي في الوحدات المعمارية عبارة عن قبة مرتفعة مثمثة أو مضلعة بها عدد من شبابيك التهوية.

(3) Kent Ve Mimarlik Uzerine Istanbul Yazilari (op. cit), (Dogan Kuban), s. 107.

ربطت عدة آراء أخرى بين تاريخ إنشاء دار الشفاء وبين المدرسة، ليؤرخها الباحثون بسنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م؛ اعتماداً على النقش الحديث المعلق على ردهة الدخول لها، ويوجد نص آخر يؤرخ لإنشاء المشفى وترميمه، وهو نص حديث أضيف عقب إجراء الترميم سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وقد أشار هذا النص إلى أن دار الشفاء أنشئت سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م.

(4) Ottoman Architecture (op. cit), Dogan Kuban, p. 263

تُوِّفِّي أحدهم يُعَيَّن طعامه لواحد من فقراء العلماء والسادات، المضطرين في سدِّ الرمتق وتحصيل الأوقات بالمنشور السلطاني^(١)، وبلغت نفقات هذا المستشفى سنة ١٥٥٨م حوالي ١١٤٥٥٠ آقجة^(٢) (درهم فضي)^(٣)، وبهذا يمكن القول إن خاصكي سلطان تُعدُّ المرأة التي بدأت في حركة إنشاء المؤسسات الوقفية الكبرى من طرف النساء والتي استمرت حتى القرن ١٣هـ/١٩م، مع بناء جامع ومستشفى للغرباء وغير ذلك من الأعمال الخيرية من قِبَل والدات السلاطين قبل سنة ١٨٥٣م^(٤)، ومن أهمية هذا المشفى أنه لا يزال يؤدي وظيفته الأولى حتى الآن، ومن ثم استمر النشاط الطبي يزاول فيه بعد إعادة ترميم البناء وتأهيله ليناسب وضع المعدات الطبية الحديثة ووصلات الكهرباء وما إلى ذلك.

الموقع والتخطيط المعماري: تقع دار الشفاء إلى الشمال الغربي من المدرسة مباشرة يفصلها عنها ممر ضيق^(٥)، ومن تخطيطها المعماري يمكن القول: إنه لا شك في أن مصممها هو المعمار سنان نظراً للتفرد المعماري الموجود بها^(٦)، وذكرت بعض الآراء أنّ الذي شيدها هو السلطان سليمان بإشراف من سنان أو أحد تلاميذه بعد وضع

(١) صورة وبقية خاصكي خرم سلطان بمجموعة أسعد أفندي بمكتبة السليمانية، برقم ٣٧٥٢، الصفحة اليسرى من الورقة رقم ١٠.

(٢) «الآقجة» كلمة مغولية، معناها نقد أبيض، وهي أصغر وحدات النقود الفضية العثمانية، ضربت في الدولة العثمانية لأول مرة عام ٧٣٩هـ/١٣٢٨م في عهد السلطان أورخان غازي بن عثمان (٧٢٤-٧٦٣هـ/١٣٢٤-١٣٦٢م)، وكانت تستخدم في الأوساط الشعبية للدلالة على الدراهم أو النقود بشكل عام، كان وزنها يبلغ في بداية سكها ١٥٤ جم، كما استحدثت الآقجة تسميتها التي تعني المبيضة أو البيضاء في البداية لغلبة الفضة على معدنها حيث كان عيارها يبلغ نحو ٩٠٪، إلا أن الوزن والحجم تناقصا تدريجياً مع تدهور الدولة إلى أن اختفى ضربها بعد سنة ١٢٣٤هـ/١٨٢٠م، وهي السنة الثانية عشرة لجلوس السلطان محمود الثاني على العرش، وكانت تلك النقود تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة وعلى وجهها الآخر اسم السلطان العثماني، ووردت في المصادر التاريخية المصرية بصيغة إخشا. ينظر: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي، أحمد السعيد سليمان، ص ٢٣؛ والمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٢٠؛ والنقود المتداولة في مصر العثمانية، أحمد السيد الصاوي، ط ١، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٩.

(3) Haseki Daruşşifasi, (Belgin Demisar), Dünden Bugüne İstanbul Ansiklopedisi, Türkiye Ekonomik Ve Toplumsal Tarih Vakfı, İstanbul, 1993, Cilt 4, pp. 2-4

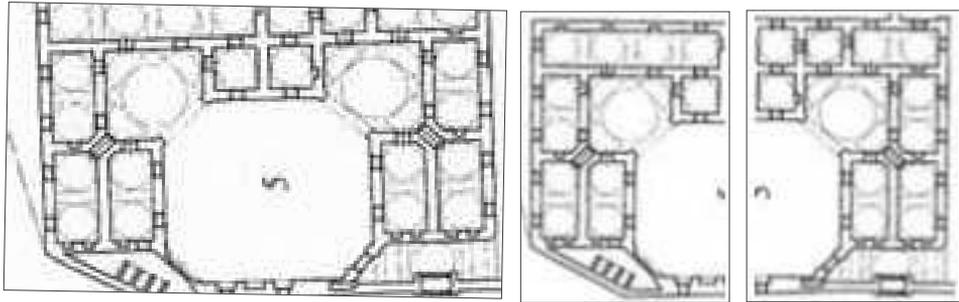
وينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول في النصف الأول من القرن السادس عشر، فاروق بيليجي، مجلة أوقاف، السنة العاشرة، العدد ١٩، ذو الحجة ١٤٣١هـ/نوفمبر ٢٠١٠م، ص ٩٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٨.

(5) A History Of Ottman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), p. 205.

(6) Sinan The Grand Old Master (op. cit), (Aptullah Kuran), p. 48.

سنان لتصميمها^(١)، ويُعدّ هذا المشفى بتخطيطه من أكثر دُور الشفاء تفرّدًا وغرابة بين التخطيطات العثمانية^(٢) (صورة: ١٩)، وذلك لأن تخطيطها غير منتظم الشكل أقرب إلى مستطيل شطف أحد أركانه الخارجية وهو الركن الشمالي مراعاة لخط تنظيم الطريق، ويتوسط دار الشفاء صحن مكشوف يأخذ شكلًا مثنمًا تقع حوله وحدات المشفى في خمس جهات من المثنم تشكل هيئة تشبه حرف (U)، تقع فيها الحجرات في مستويين أحدهما جهة الجدران والآخر جهة الصحن، وإذا ما تم تقسيم المشفى فإننا نلاحظ مدى التماثل في بنائه بمعنى أنه لو تم تقسيم دار الشفاء بخط من منتصف الصحن لتماثل جزأها تمامًا في المساحة والتخطيط وعدد الحجرات (الصورتان: ١٨، ١٩)، ولن يختلفا في ذلك إلا أقصى غرب المشفى إذ يقع بهذا الموضع فتحة باب الدخول جهة العمارت.



صورة (١٩): المسقط الأفقي لدار الشفاء.

صورة (١٨): تصوّر لانفصال جزأي دار الشفاء بما يؤكد تطابقها تمامًا.

ويضم صف الحجرات الأول جهة الصحن عددًا من الحجرات المربعة، بواقع حجرتين خلف كل ضلع من أضلاع الصحن الثلاثة الرئيسة، ضمن الخمسة أضلاع التي تقع خلفها الحجرات، أما الضلعان الآخران الفرعيان فيفتح كل منهما بعقد مدبب كبير على الصحن يؤدي إلى حجرة كبيرة تأخذ التخطيط المربع غير الكامل من جهة الصحن، وتُعدّ هاتان الحجرتان أكبر قاعات المشفى، تغطي كل واحدة منهما قبة كبيرة تقوم على مثلثات كروية، وهي بمنزلة حجرات الاستقبال كانت

(1) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 263; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), John Freely, p. 218-219.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), John Freely, p. 220.

تستخدم للاستقبال والكشف السريع لحين أخذ التدابير في تحويل المريض إلى القسم الذي يَخَصُّه.

وأما صف الحجرات الخلفية فهي تتوزع على امتداد الجدران الثلاثة لدار الشفاء في توزيع ثنائي أو منفرد، بحيث تقع بعض الحجرات منفردة بين حجرات أخرى أو مزدوجة بواقع حجرتين داخل حيز واحد مستطيل من الخارج، في حين تنقسم داخلياً إلى حجرتين تغطي كلاً منهما قبة ضحلة، وقد فُتِحَ بهذه الحجرات الخارجية فتحات نوافذ بواقع نافذة في كل حجرة تطل على الخارج، وقد أُسْتُخِذَ الجزء الجنوبي الغربي من دار الشفاء بمنزلة موضع تيمار خانه (دار المجانين/ الأمراض العقلية)^(١).

ح) العمارت (المطعم الخيري):

١- الموقع والأهمية والتاريخ:

تقع العمارت إلى الجنوب الغربي من دار الشفاء وبطل مدخلها على شارع جودت باشا^(٢) الذي يفصل بين كتلة الكلية والمسجد، وهي منشأة رئيسة تأتي في وقف خاصكي خرّم سلطان بعد المسجد، وتتميز بكبر مساحتها وضخامتها؛ إذ إنها أكبر وحدات الكلية المعمارية، وتغطيها قباب كبيرة^(٣) تلي في الحجم قباب الجامع، أما من حيث أهميتها في التخطيط المعماري للمعمار سنان؛ فتعدّ أولى منشآته لهذا النوع من العمائر بمدينة إستانبول والتي جمع فيها بين الجمال والعظمة، وقد أعلت إسهاماته في تخطيطها من مكاتته لدى السلطان سليمان القانوني^(٤) وجميع رجال الدولة العثمانية ونساءها، بما مهّد له بعد ذلك لأن يصبح مهندس معماري في تاريخ العمارة الإسلامية بل والعالمية.

أنشئت العمارت سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م طبقاً للنقش الموجود على السور الخارجي للكلية وهو تاريخ الانتهاء من التشييد^(٥)، وظلت خدماتها الوقفية كدار إطعام تُقدم حتى قبل سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م^(٦)، وجرى بعدها عدد من التهدمات بسبب

(1) Kent Ve Mimarlık (op. cit), (Dogan Kuban),S. 107.

(2) Istanbul Medreseleri (op. cit), (Mubahat.S. Kutukoğlu), S. 289

(3) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), P. 275.

(4) Mimar Sinan, (Turgut Cansever), Albaraka Türk, Istanbul, 2005, S. 114

(5) Sinan The Grand Master (op. cit), Aptullah Kuran, P. 47.

(6) Strollings Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), P. 321.

الحرائق والزلازل فتم إغلاق واجهاتها^(١)، ومن ثم تحولت بعدها إلى مكتب إداري^(٢).
٢- التخطيط المعماري (راجع: صورة: ٨):

تأخذ العمارت تخطيطاً يظهر رونقه وجماله الخارجي من خلال تدرج القباب إلى الداخل وتوزيع الحجرات حول الصحن والرواق، وهي عبارة عن تخطيط خارجي مستطيل الشكل يتوسطه صحن مكشوف مستطيل يحيط به رواق من الجهات الأربع، ينقسم إلى عدد من المناطق المربعة يبلغ عددها ٢٠ منطقة، يغطي كل منطقة منها قبة ضحلة عدا مربع المدخل فيغطيه قبو، ويطل الرواق على الصحن ببائكة معقودة بعقود مدببة تقوم على أعمدة رخامية بواقع خمسة عقود بكل من الجهتين (الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية)، وثلاثة عقود بكل من الجهتين الأخرين، ويتم الدخول عبر المدخل الرئيس الخارجي إلى ممر طولي يؤدي إلى فتحة باب العمارت، التي تفضي بدورها إلى الرواق الجنوبي الشرقي للعمارت مباشرة، ومن ثم فإن الحجرات والوحدات المكوّنة للعمارة تلتف حول الصحن والرواق في ثلاث جهات فقط لتشكّل معاً حول الرواق هيئة حرف (U)، وتقع ثماني حجرات في الجهتين الجانبيتين بواقع أربع حجرات في كل جهة، وهي حجرات كبيرة تأخذ التخطيط المربع، وتشرف كل حجرة على الرواق بمدخل وفتحة نافذة مستطيلة الشكل، ويتوسط حجرات كل ضلع ممر يؤدي إلى الجدار الخارجي للعمارت لا يؤدي إلى أي مكان^(٣)، أما من الجهة الجنوبية الشرقية فيؤدي الممر إلى فتحة باب يتم الوصول منها إلى دار الشفاء.

وأما الجهة الثالثة وهي الشمالية فيقع بها مطبخ العمارت، وهو أشبه ما يكون بتخطيط الحمامات التي تتابع وحدتها على محور طولي؛ إذ يتكون من قسمين متماثلين تفصل بينهما بائكة معقودة بعقدين مدبيين أحدهما كبير يفصل بين القاعتين الكبيرتين، وتقع القاعتان الكبيرتان جهة الرواق وتُفتح في كل منهما فتحة باب ونافذتان تطلان على الرواق، وأما العقد الآخر فصغير على جانبيه حجرتان متتابعتان، وبذلك

(1) Kent Ve Mimarlik (op.cit), (Dogan Kuban), S. 107

(2) Strollings Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), P. 321.

(3) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 205

يتكون المطبخ من ٦ قاعات؛ أربع منها صغيرة^(١) تقع إلى الخارج في صف واحد، تأخذ جميعها التخطيط المربع وتعلو كلاً منها قبة ضحلة، وتطل هذه الحجرات على الحجرتين الكبيرتين ببائكة من أربعة عقود تقوم على دعائم وليس أعمدة، وقد أُستُخدمت بعض الحجرات الصغيرة كأبنار (مخازن) يتم فيها حفظ البضائع التي تشتري للعمارت، فيما استخدمت إحداها كمخبز^(٢).

وتشبه العمارت في تكوينها الثنائي المزدوج دار الشفاء؛ إذ إنها تتكون من قسمين متطابقين طولياً، ومن ثم فإن ذلك يدل على مدى التماثل الذي حرص على وجوده المعمار سنان داخل المنشأة.

(ط) لبلبيجي خان [Leblebici Han] (خان الحمص):

١- تاريخ الإنشاء:

أنشئ هذا الخان بأمر من السلطانة خاصكي خرم^(٣) ضمن موقوفاتها على كليتها المعمارية التي أنشأتها بالمدينة منتصف القرن ١٠هـ/١٦م، إذ يقع جامعها - كما سبق القول - أسفل التل السابع من المدينة قرب ساحل بحر مرمره^(٤)، وقد شيّدت خرم سلطان العديد من المنشآت المعمارية بمدينة إستانبول وغيرها، حيث أنشأت مجمعات معمارية في كل من إستانبول وأدرنة ومكة والمدينة المنورة إلى جانب مجمع معماري في القدس^(٥).

٢- الموقع:

يقع الخان بمنطقة إمينونو في موضع يبعد كثيراً عن موضع المجمع الذي وُقف عليه الخان، بما يؤكد اختلاف الدلالة للفظ المجمع المعماري في العهد العثماني عنه في العصور الأخرى، حيث يقع إلى الجنوب من السوق المصري وعلى محور الشارع نفسه الذي يتقدم بوابة بائعي الكتان مباشرة، وعلى بعد حوالي ١٥٠ متراً جنوب البازار.

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 221

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), p. 221.

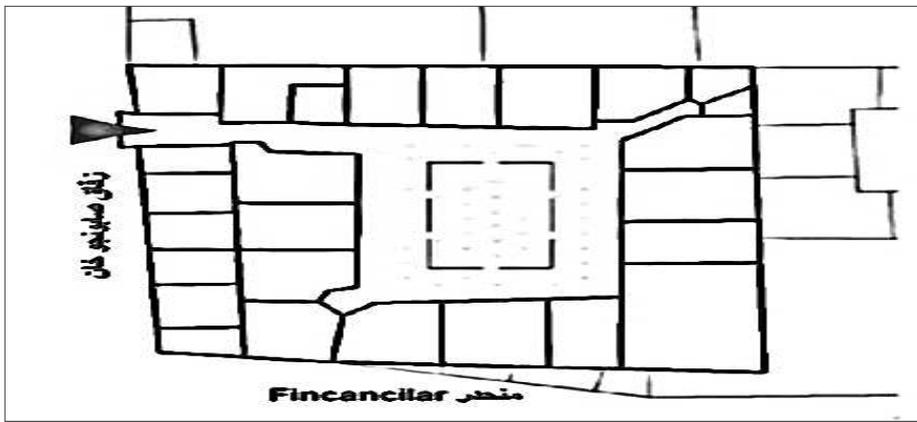
(3) Istanbul Ansiklopedisi, "Leblebici Han", Cilt, 5, s. 199-200.

(4) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), pp. 29, 32, 218.

(5) Beyond Harem Walls (op. cit), (Leslie P. Peirce), pp. 40-55.

٣- الوصف المعماري:

يأخذ الخان هيئة المسقط الأقرب إلى مربع (صورة: ٢٠)، وله واجهتان رئيستان تطلان على شوارع خارجية، ويتوسط الخان صحن مكشوف مستطيل الشكل تشغل معظم أجزائه حالياً محلات ومخازن حديثة، ويطل على الصحن الواجهات الداخلية لطابقي البناء، ويطل الطابق السفلي بواجهات المحلات الحديثة التي تخفي جدران الخان الأصلية، في حين يطل الطابق العلوي على الصحن ببائكة تمثل واجهة الرواق الذي يتقدم حجرات الطابق العلوي.



صورة (٢٠): المسقط الأفقي لخان ليبيبيجي بإمينونو. نقلاً عن:

(Benli (Gülhan): Istanbul Tarihi Yarımında'da Bulunan Han Yapıları ve Avlulu Hanların Koruma Sorunları, Doktora. Tez, Yıldız Teknik Üniversitesi, Fen Bilimleri Enstitüsü, İstanbul, 2007, s. 343.)

تطل الجهة الشرقية للخان على الصحن ببائكة من سبعة عقود نصف دائرية تقوم على دعائم مربعة يبلغ سمكها ٤٠ سم تنتهي بوسائد حجرية تركز عليها أرجل العقود المبنية بالآجر والمغطاة بطلاء جير يخي مداميك الآجر، ويلاحظ في تلك الجهة بروز العقد الجنوبي عن باقي العقود، وقد غُطي الرواق -الذي يبلغ اتساعه ١٧٠ سم- بقبو طولي، إلا أن هذا الرواق تملؤه البضائع العشوائية حالياً، وتقع خلف الرواق الحجرات العلوية، وقد فتح بكل حجرة فتحة باب تؤدي إليها، ويظهر من أعلى تلك الجهة مبنى يلتصق بالخان من الخارج ويرتفع عن مستوى واجهة الخان.

أما الجهة الجنوبية فقد جُددت تمامًا وتوجد فيها حاليًا المباني ولا يظهر منها سوى إحدى كوشات العقود بأقصى الجنوب منها، في حين تطل الجهة الشمالية على الصحن من الطابق الأرضي بالأكشاك والمحلات الحديثة التي تحفي معظم أجزاء الواجهة، ويظهر من الطابق العلوي ثلاثة عقود نصف دائرية تركز على الدعامات الحجرية المربعة يليها الرواق الذي يتقدم الحجرات والذي يبلغ اتساعه ١٧٠ سم، وتُفتح على الرواق مداخل معقودة بعقود نصف دائرية تؤدي إلى الحجرات العلوية^(١).

يقع مدخل الخان بالجهة الغربية، وهي تطل على الصحن من الأسفل بواجهة ممر المدخل وبعض المحلات الحديثة، فيما يطل الطابق العلوي بالرواق الذي يتقدم الحجرات، والرواق بحالة جيدة يطل ببائكة معقودة بعقود نصف دائرية تقوم على دعامات مربعة يبلغ سمكها ٤٠ سم، وتقوم الدعامات في تلك الجهة على قواعد حجرية يبلغ سمكها ٨٠ سم، فيما تقع الحجرات خلف الرواق.

٤- كتلة المدخل:

يتم الدخول إلى الخان عبر مدخل يقع في الطرف الشمالي من الواجهة الغربية، والكتلة عبارة عن دخلة ذات عتب مستقيم يبلغ اتساعها ٢,٥٠ م، وتنقسم الدخلة إلى جزأين حيث شغل الجزء الشمالي منها محل حديث من الزجاج، في حين يمثل الجزء الجنوبي ممر الدخول الذي يلي المدخل عبر النزول بواسطة درجتي سلم، نظرًا لارتفاع أرضية الشارع عن الخان، وهو عبارة عن ممر طولي مغطى بقبو برميلي نصف دائري تتخلله بعض العقود الساندة، ويفتح الممر من نهايته على الصحن مباشرة عبر عقد نصف دائري، ويقع بالطرف الشمالي للممر درج صاعد يؤدي إلى الرواق الذي يتقدم حجرات الطابق العلوي^(٢).

٥- واجهات الخان:

للخان واجهتان خارجيتان هما الواجهتان (الغربية والجنوبية)، فيما تلتصق المباني بالواجهات الأخرى، حيث تطل الواجهة الرئيسة -وهي الغربية- على زقاق صابونجو خان (Sabuncu han Sok.) والتي يقع بها مدخل الخان، حيث تبرز كتلة المدخل عن سمت الواجهة، وتطل واجهة الطابق الأرضي وقد غطيت بكاملها

(١) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد بهاء الدين ملكه، ص ١٩٧-١٩٩.

(٢) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد بهاء الدين ملكه، ص ١٩٧-١٩٩.

بالبضائع المعلقة فيما عدا فتحة الدخول للخان، ويعلوها واجهة الطابق العلوي حيث فُتحت أعلى كتلة المدخل فتحة شبك مستطيلة ٨٠ x ١٠٠ سم، وأهم ما يميز واجهة الطابق العلوي هو أسلوب بنائها بالحجر والآجر بنسبة (١:٢)، وتمتد إلى الجنوب من كتلة المدخل واجهة الطابق السفلي ويعلوها بعض الحجرات التي بنيت حديثاً محل حجرات التخزين الأصلية، وهو الأمر الذي يُفقد الواجهة أصالتها تماماً. أما الواجهة الجنوبية فهي تطل على منحدر (Fincancılar)، ولا يظهر بها أي جزء من جدران الخان الأصلية، حيث شُغلت الواجهة بالمحلات الحديثة في الطابقين^(١).

(ي) حمام خاصكي خرم سلطان (٩٦٤هـ/١٥٥٦م):

١- الموقع:

يقع الحمام في منطقة السلطان أحمد في الجهة الشرقية منه بين جامعي السلطان أحمد وآيا صوفيا، واشتهرت هذه المنطقة في العهد العثماني باسم (At Meydanı) والتي تعني: ميدان الخيل^(٢)، وقد أقيم أعلى موضع حمام بيزنطي قديم كان يعرف باسم حمام زيوكسيبوس (Zeuxippus)^(٣).

٢- أهمية الحمام وتاريخه:

يُعدّ الحمام من أهم أجزاء مؤسسة الوقف التي شيّدها خاصكي خرم سلطان نظراً لكونه من أهم موارد التمويل لأوقافها المعمارية، وهو من أجمل الحمامات وأفخمها وأكبرها، التي شيّدت بمدينة إستانبول في القرن ١٠هـ/١٦م، على حد تعبير أوليا جلبي^(٤)، وقد أقام هذا الحمام المهندس قوجة سنان فيما بين سنتي

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٢) وكانت شهرتها في العصر البيزنطي باسم (Hippodrome)، وتعني: سباق الخيل أو ميدان الخيل أيضاً، وكان يستخدم الميدان في السباقات والاحتفالات في العصر البيزنطي ومن بعده العهد العثماني نظراً لقربه من قصر طوبقاي، ومن ثم فقد صُوّر كثير في تصاوير المخطوطات، إذ أقيمت فيه الاحتفالات العثمانية بالمناسبات الدينية والدنيوية كالأعياد والاحتفالات الخاصة بختان الأمراء الصغار وغيرهم.

Constantinople, (Edwin Grosvenor), Roberts Brothers, Boston, 1895, Vol.1, PP. 296,297; Istanbul Imparatorluklar Başkenti", (Stefanos Yerasimos), Tarihi Vakfi Yurt Yayınları 103, Istanbul, 2000, P. 326.

(3) Istanbul'un 100 Hamamı, (Akif Kuruçay), Istanbul'un Yüzleri 46, Bu Kitap Istanbul 2010 Avrupa Kültür Başkenti Ajansı'nın Katkılarıyla Hazırlanmış Ve Basılmıştır, Istanbul, 2011, S. 97; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), Godfrey Goodwin, P. 248.

(٤) ينظر: سياحتنامه سي، أوليا جلبي، برنجلي جلد، ص ٣٣٠-٣٣٣، وأشار إلى أنه استخدم في القرن ١١هـ/١٧م من قبل الشيوخ الكرام والأعيان والوجهاء؛ فنون الترك وعمايرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣١.

٩٦٠-٩٦٤هـ/١٥٥٣-١٥٥٦م، ويوجد نص تأسيسي أعلى مدخل حَمَّام الرجال من ثلاثة أبيات شعرية بالتركي العثماني، كل منها في بحرین شعريين منفذة بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء (صورة: ٢١)، ويعلو هذه الأبيات كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وتقرأ الأبيات كالآتي:

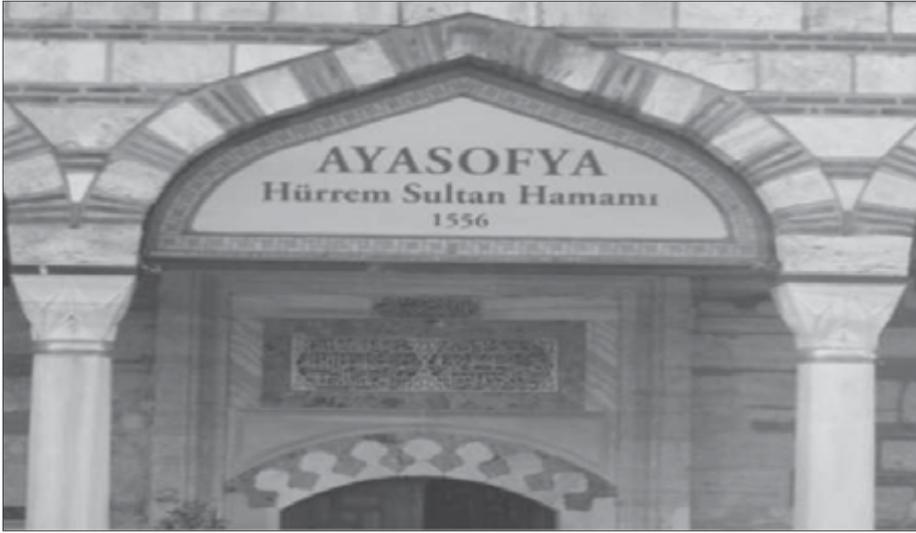
١س	اكر كورمك دلرسك روضة فردوس رضواني	كلوب حَمَّام سلطانه صفا بول ايله سيراني
٢س	روان اولمش اچنده سلسبيل وكوثر ارماغي	سقيهم رهم در ايچه اول ابك الحاني
٣س	هدايي كيردي كوردي باغ عدنك عيني دراني	ددي تاريخ حَمَّام بهشت آباد سلطاني ٩٦٠ ^(١)

وتترجم هذه الأبيات كالآتي:

١س	إذا أردت أن ترى روضة فردوس الرضوان	تعال إلى حَمَّام السلطانة وجد الصفاء والمتعة
٢س	جری بداخله نهر الكوثر وسلسبيله	سقاهم رهم بداخله ألحان هذا الماء
٣س	دخل هدايي فرأى جمال عين جنة عدن	وأرّخه حَمَّام اللجنة السلطانية المعمورة ٩٦٠هـ ^(٢)

(١) تفرغ النص عن: الحمامات العامة في مدينة إستانبول خلال العهد العثماني في ضوء نماذج منتقاة من حمامات السلاطين والصدور العظام (دراسة آثارية معمارية مقارنة)، إيمان إسماعيل علي محمد، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآداب-جامعة سوهاج، ٢٠١٩م، ص ٢١١.

(٢) نُقلت الترجمة عن: المرجع السابق، ص ٢١١.



صورة (٢١): مدخل حَمَام الرجال ويعلوه النص الإنشائي للمسجد (تصوير الباحث)

وعند حساب تأريخ الحَمَام بحساب الجُمَّل^(١) - كما ورد في النص التأسيسي (حَمَام بهشت آباد سلطاني) - نجده يعطي تاريخ سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، بما يشير إلى أنه تاريخ الانتهاء من البناء، وإنما تاريخ البدء تم تدوينه بالأرقام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، وقد رجَّح ذلك بعض الباحثين أيضًا^(٢)، وظل الحَمَام يؤدي وظيفته حتى سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ثم تم تغيير نشاطه إلى مستودع لبلدية المدينة، ثم تحول بعدها إلى مخزن لمطابع الدولة سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م، مما أدى إلى إهماله وتخريبه فأجريت له الترميمات اللازمة حتى أعيد إلى حالته الأولى سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، وتم تغيير نشاطه الاستثماري بنمط استثمار تراثي فاستخدمته وزارة الثقافة والسياحة التركية كعرض لبيع السجاد والأبسطة، ثم لم يلبث أن تم تأجيرهِ وعاد لنشاطه الأول ولا يزال حَمَامًا عامًا بعد إعادة تأهيله مرة أخرى سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م^(٣).

(١) حِسَاب الجُمَّل هي طريقة عربية لتسجيل التاريخ والأرقام باستخدام الحروف الأبجدية بترتيب: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، إذ يُعطى كل حرف رقماً معيناً يدل عليه بمثل قيمة عددية له، فحرف الألف قيمته بواحد، والباء باثنين، حتى نصل إلى رقم ١٠، وبعدها تحسب قيمة الأحرف على ترتيبها من ٢٠ وحتى ٩٠، ثم من ١٠٠، ٢٠٠، إلى ١٠٠٠، فكانوا يصلون من تشكيل هذه الحروف ومجموعها إلى ما تعنيه من تاريخ مقصود.

(2) Osmanlı Mimarisinde, Kanuni Sultan Süleyman Devri (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt Vi, S. 175.

(3) Istanbul Hamamları, (Mehmet Nermi Haskan), Türkiye Turing Ve Otomobil Kurumu Yayınları, İstanbul, 1995, S. 172,173; Osmanlı Mimarisinde, Kanuni Sultan Süleyman (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt Vi, S. 175; İstanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), ss. 100-101.

والحَمَامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل علي محمد، ص ٢١٢.

٣- التخطيط العام للحمام:

يعتبر حمامًا مستقلًا إنشائيًا إذ جاء منفردًا بعيدًا عن الكلية لكنه ملحق بها وقفًا، ومن حيث تخطيطه المعماري فهو يمثل تصميمًا استثنائيًا مزدوجًا بحيث ينقسم إلى جزأين أو حمامين متماثلين، أحدهما للرجال والآخر للنساء يقعان في محور متتابع طولي، وكلاهما من حيث تتابع العناصر الإنشائية المكونة للحمامات العامة يتبع الطراز التقليدي الذي يبدأ من الحجرة الباردة (أو حجرة تغيير الملابس، ولها تسميات أخرى أثرية وردت في الوثائق هي: المشلح أو المسلخ)، وتؤدي الحجرة الباردة إلى القاعة الدافئة ومن بعدها إلى القاعة الساخنة أو حجرة الاستحمام، ويقع على امتداد القاعتين الساختين كلٌّ من: خزان المياه (وهو مصدر تزويد الحمام بالماء) والمستوقد (أو السخان) الذي يتم عبره تسخين الماء.

ويتميز الحمام بتشبيده من الحجر والآجر، إذ استخدم الحجر والآجر في بناء الجدران بالتناوب ما بين مدماك من الحجر ومداكين من الآجر (١: ٢)، وفي بناء العقود بوقع مدماك من الحجر يتناوب مع ثلاثة مدايك من الآجر (١: ٣)، أما الآجر فقد استخدم منفردًا في بناء التغطيات، وتتميز أرضية الحمام بتكسيته بالرخام إلى جانب كسوة الأجزاء السفلية من الجدران، كما استخدمت الأخشاب في مقاصير خلع الملابس بكل من الحجرة الباردة (حجرتي تغيير الملابس) وأبواب الحمام ونوافذه، ويتميز الحمام بوجود عدة عناصر إنشائية فريدة منها السقيفة أو الرواق الذي يتقدم مدخل حمام الرجال، كما صُممت خلوات القاعة الساخنة بزواوية ميل تبلغ ٤٥°، وبجدران كل خلوة ثلاث دخلات كبيرة^(١).

٤- الوصف الخارجي للحمام:

يتميز الحمام حاليًا بأربع واجهات خارجية حرة أخفت المقاهي والمحلات الحديثة جزءًا كبيرًا من المستوى السفلي للواجهة الشرقية. الواجهة الشمالية: وهي الواجهة الرئيسة للحمام (صورة: ٢٢)، وهي تُمثل واجهة حمام الرجال التي تقع بمواجهة جامع آيا صوفيا، وتتميز الواجهة بالسقيفة التي

(١) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل علي محمد، ص ٢١٣.

تتقدمها، وهي تطل ببائكة من خمسة عقود مدببة تقوم على ستة أعمدة رخامية ذات تيجان تتميز بزخارف المعينات، وقد بنيت العقود بالتناوب ما بين مدماك حجري وثلاثة مداميك من الآجر، ويغطي السقيفة خمس قباب ضحلة تقوم على مثلثات كروية مقلوبة أكثرها ارتفاعاً القبة الوسطى التي تعلو مدخل حمام الرجال، ويبلغ طول الواجهة ١٥,٧٠م تقريباً يتوسطها مدخل حمام الرجال وعلى جانبيه نافذتان مستطيلتان تغشيهما مصبغات معدنية وتؤطر كلاً منهما هيئة العقد المدبب، وبالقسم العلوي من الواجهة مستويان من النوافذ بواقع ثلاث نوافذ تعلو الوسطى منها نافذة أخرى علوية، وتتميز النوافذ بأنها تأخذ هيئة العقد المدبب المبني بمدماك من الحجر يتناوب مع مدماكين من الآجر (٢:١)، إضافة إلى تغشية النوافذ بالجنس المفرغ هيئة هندسية ليعطي شكل الدوائر المتكررة أشبه ما تكون بخلايا النحل، وتأتي رقبة القبة المثلثة بعد ذلك وتنتهي بصنوف المقرنصات، وتظهر من خلفها خوذة القبة وقد غُطيت بألواح الرصاص.



صورة (٢٢): الواجهة الشمالية للحمام خاصكي سلطان وتظهر السقيفة يتوسطها مدخل الرجال (تصوير الباحث)

مدخل حَمَام الرجال (راجع، صورة: ٢١): يتوسط الواجهة الشمالية، وهو عبارة عن مدخل بسيط من الرخام يقع في كتلة رخامية يبلغ ارتفاعها ٥٠, ٤م واتساعها ٣, ٥٠م، تتوسطها فتحة باب الدخول معقودة بعقد موتور من صنجات رخامية معشقة بأسلوب الأبلق يبلغ اتساعها ٦٠, ١م وارتفاعها ٢, ٧٠م، يعلوها النص الإنشائي الذي يؤرخ لبناء الحَمَام بحساب الجُمَّل سنة ٩٦٤هـ، ويغلق على فتحة الباب مصراعان خشبيان نفذت عليهما زخارف المعقلي^(١).

الواجهتان (الشرقية والغربية): رغم اختفاء الجزء السفلي من الواجهة الشرقية بسبب المقاهي والمحلات الحديثة إلا أن الواجهة تتشابه مع الواجهة الغربية، وكلتاهما عبارة عن واجهة مستعرضة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ٧٥م، حيث تبدأ الواجهة من أقصى الشمال بواجهة الحجر الباردة لحَمَام الرجال يليه الحجر الدافئة ثم الحجر الساخنة التي تغطيها قبة أصغر من قبة الحجر الباردة، وتمتد الواجهة جنوباً بعكس هذا الترتيب لتنتهي بواجهة الحجر الباردة لحَمَام النساء، أما النوافذ فقد فُتحت بالمستوى السفلي عدة نوافذ مستطيلة في الواجهة الشرقية للحجر الباردة لحَمَام الرجال تظهرها الصور القديمة قبل تغطيتها بالمحلات، أما المستوى العلوي فقد فُتحت بكل حجرة باردة عدة فتحات نوافذ تبلغ في الحجر الباردة للرجال ثلاث نوافذ، بهيئة العقد المدبب يعلو الوسطى منها نافذة أخرى علوية تأتي في منطقة انتقال قبة الحجر الباردة وتأخذ الشكل نفسه، أما الحجر الباردة للنساء فهنا نافذتان فقط تعلوهما في المنتصف نافذة أخرى، وتتميز الواجهة الغربية (الصورتان: ٢٣، ٢٤) باحتوائها على چشمة أضيفت كوقف مائي في أثناء القرن ١٢هـ/ ١٨م، وبنيت على طراز الباروك^(٢)، وهي عبارة عن چشمة رخامية غاية في الإبداع يقع

(١) عبارة عن زخارف هندسية اشتهرت في العهد العثماني وتكررت نازجها على المشغولات الخشبية أكثر من غيرها من المواد الخام الأخرى، ومن ثم وُجدت على مصاريع الأبواب الخشبية بكثرة وأحياناً على المنابر الخشبية. أما من ناحية شكلها وتكوينها فهي عبارة عن حشوات خشبية على هيئة حرف «T»، تنفذ في مجموعات متداخلة على هيئة حشوات مستطيلة رأسية وأفقية تحصر فيما بينها حشوات مربعة في وضع قائم أو مائل، ومن ثم يمكن أن يطلق عليها: المعقلي القائم والمعقلي المائل.

(٢) الباروك: طراز فني أوروبي شاع بأوروبا بعد عصر النهضة، ثم انتقل إلى الفن العثماني في مرحلة التغريب منتصف القرن ١١هـ/ ١٧م، ومعنى كلمة الباروك لغوياً: اللؤلؤة غير المنتظمة، وهو ما يعكس رؤية هذا الطراز الفني بالخروج عن التناسق والنظام الذي كان يميز الفن الكلاسيكي إلى نوع من الفن المبهج الذي لا يتقيد بشكل معين من الزخرفة. ويتميز

حوض التسبيل أسفل منها، وهو عبارة عن حوض من الرخام الأبيض يأخذ هيئة مفصصة تشبه الشرافات أقرب إلى هيئة زجاجية أو دالات.



صورة (٢٣): الواجهة الغربية وبأقصى الجنوب الحجر الباردة لحمام النساء (تصوير الباحث)

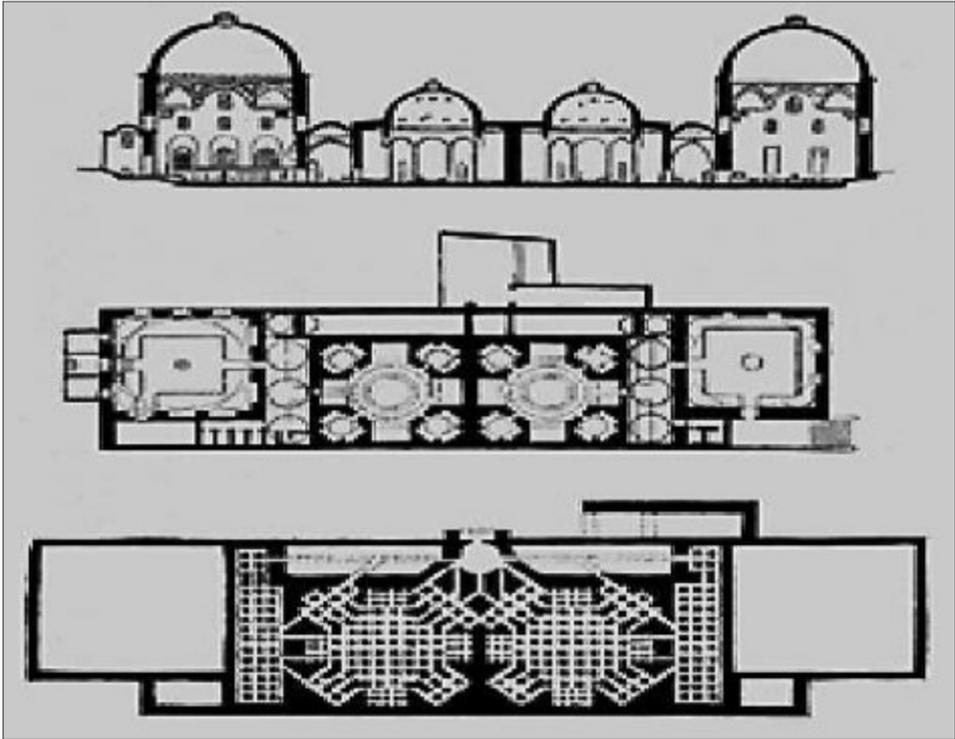


صورة (٢٤): الجشمة الملحقة بالواجهة الغربية للحمام (تصوير الباحث)

طراز الباروك بالثراء المعماري والفني والبهجة، وتكرار الشكل الزخرفي، والجمع بين التماثل والزخارف والحليات في تكوين متكامل مع كثرة تشابك الزخارف، ومن أهم سماته استعمال وحدة المحارة بكثرة إلى جانب الأوراق النباتية مع كثرة وجود اللون الذهبي والفضي.

مدخل حَمَّام النساء: يقع المدخل بأقصى جنوب الواجهة الشمالية، وهو مدخل منخفض يتم النزول إليه عبر سلم من ١٢ درجة يفضي إلى المنطقة التي تتقدم المدخل، وهو مدخل بسيط من الرخام ذو فتحة باب معقودة بعقد موتور من صنجات معشقة باتساع ٢,٥ م وارتفاع ١,٥ م، يغلق عليها مصراعان من الخشب نفذت عليهما بالحفر البارز زخارف المعقلي.

الواجهة الجنوبية: وهي تُمثّل واجهة الحجر الباردة لحَمَّام النساء، وهي واجهة بسيطة بنيت بالحجر والآجر بالتناوب المذكور، وبها في المستوى العلوي نافذتان تعلو منتصفهما نافذة ثالثة بهيئة العقود المدببة، ويغشيها الجص المفرغ بهيئة دوائر متكررة أشبه ما تكون بخلايا النحل، وتظهر من أعلى الواجهة منطقة الانتقال المثمنة وهي تنتهي بصفوف المقرنصات، وتعلوها خوذة القبة المغطاة بألواح الرصاص.



صورة (٢٥): المسقط الأفقي وقطاع رأسي للواجهة الغربية لحَمَّام خاصكي سلطان. نقلاً عن: (Kuruçay, istanbul'un 100 Hamamı, s. 97)

٥- التخطيط الداخلي للحمام:

يتكون الحمام -من الداخل من حيث تكوينه المعماري- من حمامين منفصلين، وتبدأ وحداتهما من الخارج للداخل بالتتابع والتوازي أنفسهما وبالتخطيط والمساحة أنفسهما أيضًا (صورة: ٢٥)، ويمكن التطبيق على حمام الرجال كالاتي:

يبدأ حمام الرجال بالمدخل الذي يؤدي مباشرة إلى الحجرة الباردة، وتشغل الحجرة الباردة مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ١٢, ٥٠م، تعلوه قبة بارتفاع ١٤م تقوم على حنايا ركنية تنتهي من أسفلها بذيل من صفيين من المقرنصات، ويتوسط خوذة القبة شخصيشخة أو فانوس زجاجي شفاف للإضاءة متوج بقبيبة صغيرة، أما أرضية الحجرة الباردة فمكسوة بالرخام، وتتكون الحجرة الباردة من دورقاعة^(١) وسطي يتوسطها فسقية صغيرة رخامية مثمثة الشكل، ويحيط بالدورقاعة رحبة ترتفع أرضيتها عن الدورقاعة ويتم الوصول إليها عبر سلام كل منها من ٥ درجات، ويلتف حول الرحبة جهة الدورقاعة درابزين خشبي، وأستُخدمت الرحبة كقاعدة ترتكز عليها مجموعة من المقاصير الخشبية المخصصة لخلع الملابس بارتفاع ثلاثة طوابق يصل بينها مجموعة من السلالم الخشبية الصاعدة، وتتوسط الجدار الجنوبي للحجرة الباردة للحمام فتحة باب معقودة بعقد مدبب، يغلق عليها بابان خشبيان متتاليان أحدهما جهة الحجرة الباردة، والآخر جهة الحجرة الدافئة.

وتجدر الإشارة إلى أنه يتقدم هذا المدخل في الأعلى طاقة مخروطة مجوفة من الداخل، تتخللها فتحة ممتدة إلى الأعلى تتخلل الجدار الجنوبي للحجرة الباردة للحمام، وتصل إلى أعلى سقف الحمام لتستخدم كملقف هوائي^(٢).

القاعة الدافئة: عبارة عن قاعة مستعرضة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول ١٤, ٩٠م وعرض ٤, ٤٠م، تغطيها ثلاث قباب تقوم على مثلثات كروية، ويتخلل

(١) وهي المنطقة الوسطى التي تتوسط البناء وتمثل العنصر المركزي أو الرئيس الذي تتشكل من حوله بقية العناصر المعمارية، واشتهر هذا المصطلح على المناطق الصغيرة المركزية لا سيما إذا كانت مغطاة، فيها شاع مصطلح الصحن على المناطق المفتوحة كالتي في الجوامع، والحق أن كليهما واحد، فمن الدورقاعات ما تركت مكشوفة وزاد حجمها على بعض صحن المساجد، ووردت بمسماها في وثائق الوقف، وأصلها كلمة فارسية دخلت العربية بدلالاتها نفسها، وأصلها من الدراكة، وتعني: مدخل البناء.

(٢) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل علي محمد، ص ٢١٦.

كل قبة عدد من المضايي مغطاة بالزجاج الشفاف، وقد كسيت أرضيتها والمستوى السفلي من الجدران أيضًا بالرخام الأبيض، وقد كشف عن جزء من أرضية الحمام القديمة ليبدو من خلال ذلك نظام الهيبوكست (Hipocaust System)، والمعروف في العمارة العثمانية باسم الجهنملك (Cehennemlik) الذي استخدم منذ القدم في تسخين الحمامات عبر القصاب الفخارية^(١)، وتمتد بموازية الجدار المستعرض الشمالي مسطبة رخامية لجلوس المستحمين، وبالطرف الغربي منه فتحة تؤدي إلى أربعة مراحيض تتقدم الحجر الباردة من الجهة الغربية، وبمنتصف الجدار الجنوبي للقاعة الدافئة دخلت رأسية تتوسطها فتحة باب معقودة بعقد مدبب تفضي إلى الحجر الساخنة.

الحجرة الساخنة: وهي تقع إلى الجنوب من الحجرتين (الباردة والدافئة) ولكن ليس على المحور نفسه، إذ إنها تميل إلى الغرب من الحجر الباردة؛ حيث أُسْتُغِل الجزء الشرقي من الحمام الذي يتقدم كلتا الحجرتين الساخنتين بحمام الرجال والنساء لعمل المستوقد، ويتبع تصميم الحجر الساخنة التخطيط التقليدي في عمارة الحمامات العامة، إذ تكون من دورقاعة وسطى مثمثة المسقط يبلغ طول ضلعها ٦٠، ٣م، تتوسطها فسقية رخامية مثمثة أيضًا وتغطيها قبة من الآجر، ويتعامد على الدورقاعة أربعة إيوانات بواقع إيوان في كل جهة من الجهات الأصلية، تفتح بكامل اتساعها على الدورقاعة بعقد بورصة، ويغطي كل إيوان منها سقف مسطح مشيد من الآجر، وأُسْتُغِلت الأضلاع الأربعة الباقية للمثمن بأن فُتِحَتْ بكل ضلع فتحة باب صغيرة معقودة بعقد مدبب تتوسط دخلة كبيرة يؤطرها هيئة العقد المتدرج يشبه العقود التي زينت سجاجيد موجور وطوزلا^(٢)، وهو عقد كان في الأصل يستخدم في تشكيل المحاريب ثم لم يلبث أن أصبح عنصرًا معماريًا وزخرفيًا مهمًا، وتؤدي فتحة الباب إلى غرفة استحمام أو خلوة ذات تخطيط على هيئة حرف (T)، تتكون من دورقاعة صغرى تغطيها قبة وثلاثة إيوانات صغيرة.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٢) ويعزو الباحث هندسة هذا الشكل من أجل إظهار الخطوط المتدرجة التي تظهر وكأنها قطاع رأسي للمقرنصات التي تزخرف طاقة بعض محاريب المساجد. ينظر: سجاجيد الصلاة التركية، محمد مصطفى، مجموعات متحف الفن الإسلامي (١)، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٨.

ك) تربة خاصكي سلطان:

١- الموقع وتاريخ الإنشاء:

تقع هذه التربة داخل الحديقة الجنائزية الملحققة بمجمع السليمانية بالجهة الجنوبية الشرقية، خلف جدار القبلة بمنطقة إيمينونو (Eminönü) بحي الفاتح بإستانبول سنة ٩٦٥هـ / ١٥٥٨م.

٢- الوصف المعماري للتربة:

تتكون التربة من مسقط أفقي بسيط ذي شكل مثنى من الحجر، ويتقدمها جهة الضلع الرئيس رواق خارجي أو سقيفة تنقسم إلى ثلاث مناطق مستطيلة، يتم الوصول منها إلى مدخل التربة الذي يتكون من فتحة باب مستطيلة الشكل، يغلق عليها مصراعان من الخشب تزينهما الزخارف الهندسية من الأطباق النجمية وأجزائها، ونقوش كتابية تتضمن كلمة التوحيد، وزخارف ونقوش نباتية، مثل: الهاتاي والرومي والسيقان المتماوجة والأوراق النباتية.

يؤدي المدخل إلى ممر مغطى بقبو مدبب تكسوه والجدران بلاطات خزفية، تزدان بزخارف نباتية محورة وسيقان متماوجة تخرج منها أزهار الخرشوف المحورة وأزهار القرنفل والرمان والمراوح النخيلية باللون الأزرق والأحمر على أرضية بيضاء، وتؤطرها زخارف الرومي والأوراق النباتية، ويفضي الممر إلى داخل التربة المثمنة، وتتوسطها ثلاث تراكيب خشبية منشورية، تعود إحداها إلى خاصكي سلطان وهي تركيبة بشاهد قبر يحيط بها سياج خشبي تزينه الزخارف الهندسية، والتركيب الثانية لشهزاده محمد بن السلطان سليم الثاني (ت: ٩٨٠هـ / ١٥٧٢م)، وشاهدها على هيئة عمامة بيضاء متعددة الطيات لها زخارف مطعمة بالعاج والصدف والأطباق النجمية، والتركيب الثالثة لهانم سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني (ت: ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) وليس لها شاهد^(١).

وتزدان جدران القبة بالبلاطات الخزفية التي نُفذت زخارفها فوق الطلاء الزجاجي الشفاف، قوامها زخارف نباتية تتبع طراز الهاتاي والرومي من سيقان

(1) Osmanlı Haneden Türbeleri, (Hakkı Önkal), – Kültür Bakanlığı Yayınları – Sanat Tarihi Dergisi 22, Ankara, 1992, S. 145.

نباتية متماوجة تخرج منها أزهار الخرشوف والرمان ومراروح نخيلية تفصل بين هاتين الزهرتين، وذلك باللون الأزرق الداكن والأزرق السماوي والأحمر على أرضية باللون الأبيض، ويعلو شبابيك المستوى الأول المستطيلة تجميعات خزفية معقودة بعقود مدببة، وبداخلها زخارف نباتية من طراز الهاتاي قوامها رسم لأزهار الرمان واللوتس والخرشوف بحجم كبير وورقتين من أوراق الساز، وذلك باللون الأزرق الداكن والسماوي والأحمر الطماطي والأسود على أرضية باللون الأبيض، وأما الإطار المعقود فتزينه زخارف نباتية قوامها رسم لأزهار القرنفل المتفتحة وأوراق الساز باللون الأبيض والأحمر والأزرق السماوي على أرضية باللون الأبيض، فيما تملأ كوشتي العقد تجميعات خزفية قوام زخارفها من الأزهار والورود والثمار، مثل: ثمار الرمان وزهرة اللوتس وأوراق الساز الرمحية وذلك باللون الأحمر والأسود على أرضية باللون الأزرق الداكن^(١).

ويتخلل الجدران مستويان من النوافذ بسيطة الشكل، تعلو النوافذ السفلية منها نقوش كتابية داخل عقود مدببة من داخل التربة، وقد نفذت هذه الكتابات على البلاطات الخزفية بخط الثلث الجلي باللون الأبيض على أرضية باللون الأزرق الداكن، وهي نقوش تتضمن أدعية للمتوفاة بالرحمة واللجوء إلى الله ﷻ. القبة: يغطي التربة قبة يبلغ قطرها ٢٠، ٩م^(٢) ترتكز على رقبة القبة المثمنة التي تقوم على أكتاف مقرنصة، ويزين صرة القبة أو باطنها جامة مستديرة مكسوة بالملاط، رُسمت بها وردة متعددة البتلات باللون الأسود.

ويتبين من هذا الفصل أهمية عمائر كلٍّ من: جُلُفم خاتون، وخاصكي سلطان، إذ جاء موقع هذه العمائر في مواضع مهمة في المدينة، لتُمثّل عمائر الرعاية الاجتماعية وأداء الفرائض الشرعية بشقي المدينة (الآسيوي والأوروبي)، وقد تميزت العمائر بالتنوع في الوظيفة المستخدمة والسماط المعمارية والعناصر الزخرفية، وغير ذلك.

(١) ينظر: عمارة التُّبّ الباقية بمدينة إستانبول خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين «دراسة أثرية معمارية فنية مقارنة»، محمد عبد الشكور أبو زيد، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار - جامعة القاهرة،

مج ١، ص ٨٠-٨١.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op.cit),(John Freely), P . 255.

الفصل الثاني

العمائر الوقفية لبنات السلاطين

تمهيد:

تمتعت بنت السلطان بمكانة كبيرة في الدولة العثمانية عامة منذ نشأتها حتى إسقاطها، وتميزت فترات من التاريخ العثماني ببروز ملحوظ لبنات السلاطين، وكانت أشهرهن على الإطلاق مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني، إذ بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً، ونالت الاحترام والتقدير من مختلف طوائف المجتمع العثماني لثلاثة اعتبارات: أولها: كونها ابنة السلطان العظيم سليمان القانوني، وثانيها: أنها زوجة الوزير أو الصدر الأعظم رستم باشا أحد أشهر الصدور العظام في الدولة العثمانية، وثالثها: وهو الباقي أثراً، والأطول عمراً، والأكثر ذكراً، ويتمثل في كثرة أوقافها وأعمالها الخيرية التي بلغت مدناً عثمانية كثيرة أهمها إستانبول ومكة والمدينة، وتُعدّ من نماذج النساء اللاتي تفرّدن بإنشاء أكثر من مجمع معماري وقفي داخل العاصمة إستانبول، ومن ثم يتناول هذا الفصل وصف مجموعتها وتوثيقها بكل من جانبي المدينة (الآسيوي والأوروبي).

المبحث الأول

كلية مهرماه سلطان بإسكدار

(Üsküdar Mihrimah Sultân Külliyesi)

أولاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء:

أنشأت هذه الكلية المعمارية الوقفية الحسنة مهرماه^(١) سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني من زوجته حرم سلطان (روكسلانه)، وزوجة الصدر الأعظم^(٢) رستم باشا،

(١) «مهرماه»: لفظة فارسية تتكون من مقطعين، مهر بمعنى شمس، وماه بمعنى قمر. ينظر: قاموس اللغة العثمانية المسمى:

الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، محمد علي الأنسي، طبعة بدون تاريخ، ص ٥٠١، ٥١٣.

(٢) الصدر الأعظم: كلمة عربية فارسية، تعني: تولي شؤون الدولة، أو فرع من فروعها تحت قيادة السلطان، وهو الموظف الأول والأعلى ويمتازة رئيس الوزراء، ولم يكن حتى سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م يوجد إلا وزير واحد، وبدءاً من هذا التاريخ

ولما كانت الابنة الوحيدة والمدللة للسلطان سليمان القانوني من زوجته خرم فقد اشتهرت بالثراء الكبير، وعاشت مهرماه سلطان منعمة في القصر حتى ماتت أمها خرم سلطان فتراجعت أهميتها ودورها، وقد تزوجت وهي ابنة ١٧ عامًا، وتوفي عنها زوجها الصدر رستم باشا وهي في الأربعين من عمرها سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م، ليترك لها ثروة طائلة حتى ذُكر بأنها المرأة الأغنى في التاريخ للميراث العظيم الذي ورثته عن زوجها وأبيها وأمها، وبناءً على ما سبق يمكن القول: إن مهرماه سلطان ولدت سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م.

وأما تاريخ وفاتها فقد اختلفت فيه المصادر التاريخية اختلافًا بيّنًا، فذكر البعض أنها توفيت سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م^(١)، اعتمادًا على ما ورد من أن مهرماه سلطان قد توفيت عندما ماتت والدتها خرم في السنة نفسها^(٢)، وذُكر أنها توفيت بعد وفاة والدتها بثلاث سنوات أي: سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م، وذكر البعض أنها توفيت سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٨م^(٣)، إلا أن الأرجح والأصوب أن وفاتها كانت سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧ - ١٥٧٨م^(٤)، وتحديدًا يوم ١٧ من ذي القعدة سنة ٩٨٥هـ/ ٢٥ يناير ١٥٧٨م وفقًا للرحالة والمؤرخ الألماني^(٥) ستيفان غيرلاخ (Stephan Gerlach) الذي كان موجودًا في إستانبول وقتئذٍ وسجل ذلك في مذكراته، ودُفنت إلى جوار أبيها سليمان القانوني في مجمعه الشهير بإستانبول^(٦).

صار هناك وزيران ثم ازداد عددهم بعد ذلك، وكان يرأسهم الوزير الأول أو أعلى الوزراء، وتخصص له مخصصات عظيمة. ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، علي سلطان، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، المؤسسة العربية للتوزيع، ليبيا، ٢٠٠٧م، ص ١٤٥-١٤٧؛ وتاريخ الدولة العثمانية، روبرت مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٢٧٧-٢٧٩؛ وتاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، مج ٢، ص ٣٣٤-٣٣٦.

(١) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسرايي، ص ١٨٦.

(٢) ولكن الصواب أن المقصود بوفاتها بعد موت والدتها أنها فقدت الداعم الأكبر لها وفقدت نفوذها وبريقها اللامع، وليس الموت المعروف لا سيما أن إشارات تاريخية عدة تأتي فيما بعد تدل على أنها كانت موجودة. ينظر: رسوم عمائر إستانبول الدينية، منى عثمان، ص ١٩٢، حاشية رقم (٢).

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ١، ص ٣٤٩؛ والحجّامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل محمد، ص ٢٢٢. والملاحظ هنا هو خطأ التاريخ الهجري لأن وفاتها ثابتة بالتأريخ الميلادي ومن ثم فإن ما يقابل سنة ١٥٧٨م في التاريخ الهجري هو سنتا ٩٨٥-٩٨٦هـ.

(4) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan, S. 263.

(5) "Mihrimah Sultan", (Mustafa Kaçar), Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, Cilt 30, S.39

(6) Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi, (Bekir Yılmazörnek, Yüksek Lisans Tezi, T. C. İstanbul Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 2010, S. 3.

وأما تاريخ الإنشاء فقد حدثت حوله سجلات كثيرة، فمن الآراء ما ذكرت أن إنشاء مجمع مهرماه بدأ سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م^(١)، ومنها ما حدد غير ذلك، وأما التسجيل العملي والتأريخي فيحدده النص الإنشائي المسجل أعلى فتحة باب الدخول للمسجد والذي يؤرخ لنهاية بناء المسجد بسنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م، كما أن وقفيتهما مؤرخة بسنة ٩٥٦هـ/ ١٥٥٠م^(٢) ومن ثم فقد اكتملت جميع عمائرها الوقفية بإسكدار قبل تدوين الوقفية، وهي كتابات تذكارية منفذة بخط الثلث الجليّ باللغة العربية، وسجلت الكتابات بالتذهيب على أرضية خضراء في خمسة أسطر كتابية، وهذا نصها:

١ س	أسس ببيان هذا المسجد الجامع المشيّد الأركان صاحبة الخيرات والحسنات درة تاج السلطنة
٢ س	العظيمة الشأن عصمة الملك والدنيا والدين خانم سلطان خصها الله بمزيد الإحسان بنت
٣ س	خاقان الخواقين في الخافقين سلطان السلاطين في المشرقين عامر معمورة الأرض بالعدل والإحسان مؤسس
٤ س	بيان الأمن والأمان لأهل الإيماة السلطنة ابنة السلطان سليمان خان ابن سلطان سليم
٥ س	خان خلد الله خلافته خلود الزمان وتم بمنة المّان في شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة أربع وخمسين وتسعمائة من الهجرة النبوية ٩٥٤هـ.

ولما كان تسجيل تاريخ الإنشاء بالشهر والسنة الهجرية ٩٥٤هـ، فإن ما يقابله بالتقويم الميلادي شهرا ديسمبر سنة ١٥٤٧م، يناير ١٥٤٨م، وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين يؤرخ لإنشاء المسجد بسنة ١٥٤٧م^(٣)، والبعض بسنة ١٥٤٨م^(٤)، وكلا الرأيان صائب.

(1) Ottoman Turkey, (Godfrey Goodwin), Scorpion Publication Limited, London, 1977, P. 96.

(٢) ينظر: صورة وقفية مهرماه سلطان، ص ١٢ من الوقفية الخاصة بها، وص ٢٧ من المجموعة المحفوظة بها، إذ تسبقها صورة وقفية والدتها خاصكي خرم سلطان.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، ص ١٩٢، حاشية (٢).

A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 231; Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (Mehmet Nermi Haskan,) S. 262.

(4) "Mihrimah Sultan" (op. cit), (Mustafa Kaçar), S. 30.

ونظراً لأن التاريخ المسجل هو تاريخ افتتاح المسجد للصلاة ومن ثم فهو تاريخ الانتهاء من البناء فقد وردت عدة آراء حول تاريخ البدء في إنشاء المسجد، فقد ورد في الموسوعة الإسلامية أن تاريخ البدء كان سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٤٠م^(١)، في حين ذكر باحثون آخرون أن بداية التشييد في المجمع كانت سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٤م، وهو أقرب للصواب لأن إنشاء هذا المجمع المعماري على يد المعمار سنان لا يتطلب كل هذا الوقت، وإنما فترة ٤ سنوات كفيلاً بإتمام إنشائه على الوجه المطلوب تماماً، لا سيما أن زوجها رستم باشا تولى منصب الصدارة العظمى في هذه السنة^(٢)، وقد سجلت الواقفة وثيقتها الرسمية في المحكمة الشرعية بمدينة إستانبول بالتركية العثمانية، وشهد عليها قاضي دمشق المحمية بعد أن اطلع عليها ووجدها على النسق المشروع، وهي محفوظة بعدة مواضع، منها نسخة عن صورة وقيمتها في مجموعة أسعد أفندي بمكتبة السليمانية في إستانبول بشهادة قاضي دمشق من آل محمد بن عبد الأول، وتحرير الفقير سعدي بن عيسى في دار الإفتاء (صورة رقم ٢٦).



صورة (٢٦): الصفحة رقم ١ من صورة وقفية مهرماه سلطانة مجموعة أسعد أفندي

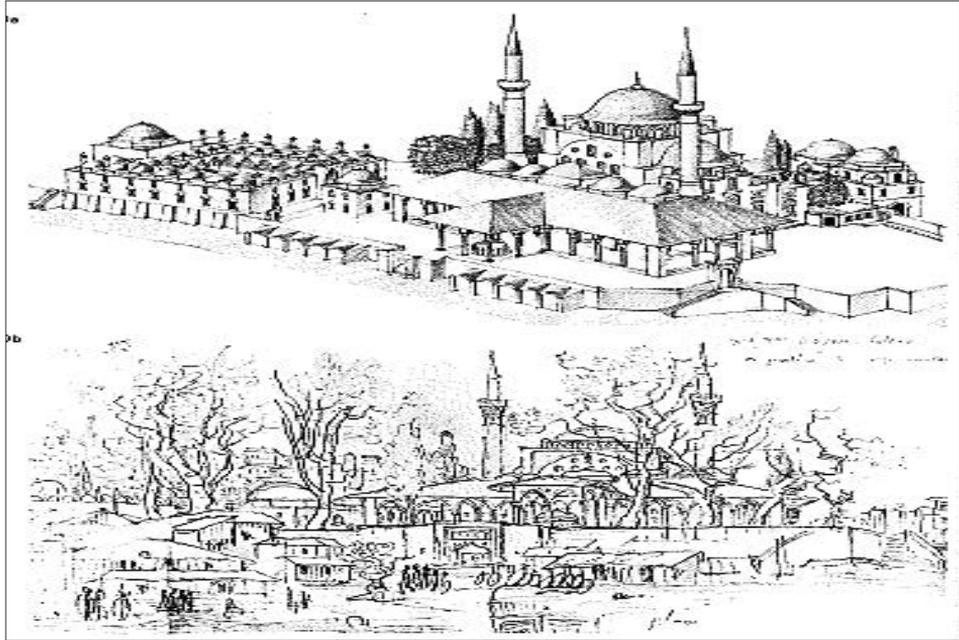
(1) Ibid, S. 30.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 266.

ثانياً: الموقع:

يقع مجمع أو كلية مهرماه سلطان للعمارة الوقفية على ربوة تشرف على مرفأ السفن (Iskele) بضاحية إسكدار على الجانب الآسيوي لمدينة إستانبول^(١)، ومن ثم يعرف المسجد باسم (Iskele Cami)^(٢)، وبمواجهته على الجزء الأوروبي ميناء بشكطاش، ويقع المسجد في أعلى نقطة من المجمع إذ يحيط به سور من الجوانب الأربعة يشرف على شارع سليمان أغا في الجنوب الشرقي، وميدان إسكلي وشارع الحاكمية في الجنوب الغربي، وشارع ليهان باشا في الشمال الغربي^(٣)، وقد اختار المعمار سنان موضع المسجد بعناية فائقة، إذ قصد أن يكون قريباً من البسفور، حتى إن السلطان سليمان القانوني عندما جاء للاحتفال بافتتاح المسجد حضره بمركبه من البحر^(٤).

ثالثاً: التكوين المعماري للكلية الوقفية لمهرماه سلطان بإسكدار:



صورة (٢٧): منظور لمجمع مهرماه سلطان، نقلاً عن: (Archnet.org)

(١) ينظر: فنون الترك، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٩٨.

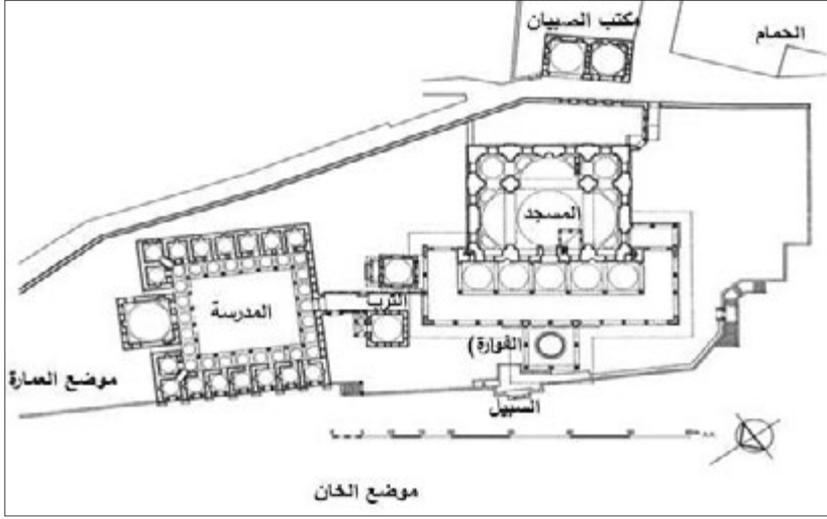
(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 231.

(3) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 261.

(4) Ibid, S. 263

المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٢٩-١٣٠.

تعددت الوحدات المعمارية الوقفية بكلية مهرماه سلطان بإسكُدار (الصورتان: ٢٧، ٢٨)، نظرًا لإضافة عدد من المنشآت لها تبعًا ومن ثم تهدم بعضها على فترات متعاقبة، ولكن عند بداية إنشاء هذه الكلية المعمارية كوقف خيري من مهرماه سلطان فقد قام المعمار سنان بتشيد المسجد ذي المئذنتين والنافورة والمدرسة والعمارت ومكتب الصبيان والخان^(١).



صورة (٢٨): المسقط الأفقي لكلية مهرماه سلطان بإسكُدار، نقلًا عن:
(Kilic, Tarihi Eserleriyle Üsküdar, s. 98)

وبالاعتماد على الوثائق التاريخية كوثيقة وقف مهرماه سلطان الخاصة بهذه الكلية المعمارية والمحفوظة بالمديرية العامة للأوقاف في الدفتر رقم (٢-٦٣٥)، وصورة وقفيته بمكتبة السلمانية بإستانبول بمجموعة أسعد أفندي برقم ٥٤ / ٩٦٥؛ نجد أنها تضمنت فقط العناصر الأساسية التي أقامتها الواقفة وضمنتها في الوثيقة، وهي المسجد والمدرسة والخان والعمارة، وذلك في وثيقتها المسجلة والمؤرخة بآخر شهر رمضان سنة ٩٥٦هـ / ١٥٥٠م^(٢)، وبعد الزيادات والإضافات -منها ما تم على يد

(1) Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op. cit), (Bekir Yilmazörnek), S. 3.

(٢) نقل بعض الباحثين أن تاريخ تسجيل الوقفية بشهر ربيع الأول سنة ٩٥٧هـ / مارس ١٥٥٠م؛ اعتمادًا على ما ورد في بعض الدراسات التركية التي قامت بالنقل عن مديرية الأوقاف العامة، ولكن هذا التاريخ إنما يخص أحد الدفاتر التي وردت فيها حسابات الوقف وليس تاريخ التسجيل، لأن تاريخ التسجيل مدون في آخر وقفيته صراحة بآخر شهر رمضان المبارك من شهور سنة ست وخمسين وتسعمائة من هجرة سيد الأنبياء وخاتمهم.

Vakıflar Genel Müdürlüğü, Defter No, 635-2, 8 No'lu Vakfiye, S.49.

الواقفة نفسها وشملها الوقف - صارت كلية مهرماه سلطان تتكون من: مسجد، وفوارة، ومدرسة، ومكتب للصبيان، وعمارت (دار مرق)، وخان، وسبيل، وچشمة، وصهريج ماء، وحمّام، وتمت إضافة تربتين للكلية وعدة حمّامات أخرى وقصر خشبي (استراحة لمهرماه سلطان) ومزولة (مؤقتخانه)، وتم نقل هذه الوحدات فيما بعد إلى موضع آخر لتصبح وحدات الكلية الأساسية هي: المسجد والمدرسة ومكتب الصبيان والسبيل والترب، ومن ثم فإن الكلية قد مرت في إنشائها بعدد من المراحل^(١)، والمهم من هذا أن الكلية يحيط بها سور خارجي غير منتظم الشكل وغير متساوي الارتفاع، ويمتد السور ليضم بداخله منشآت الكلية الأصلية، ما عدا مكتب الصبيان أو الكتّاب^(٢)، وكالعادة فقد اقتطعت منه أجزاء استغلت لبناء المساكن الحديثة.

وأما النص الذي يدل على ذلك من الوقفية فإنه ورد بعد دياجة الوقف ما يأتي...: «حسبة لله الحسيب الحكيم... بنية صافية وافية موجبة لأجر عظيم، وطوية خالصة كافية موصلة إلى دار النعيم، محروسة إسكدار عمرها الله إلى يوم القرار، وحفظها عن البوايق والبوار، ما دار الفلك الدوار وتوالت الأدوار بتوالي الليل والنهار،... بر عمارت رفيعة المباني... مشتمل على (بر جامع شريفى كه جامع جميع شرايف محسنات وحاوي لطايف مزينات... بر مدرسة... بر مسافر خانه^(٣)... اصطبيل... بر معلم خانه وكتب خانه... عمارت)»^(٤).

(1) Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op. cit), (Bekir Yilmazörnek), S. 5.

Ottoman Women Builders, The Architectural Patronage Of Hadice Turhan Sultan, (Lucienne Thys-Şenocak), Ashgate Publishing Company, USA, 2006, P.83.

A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 212.

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ١٨٣.

(٣) هي كلمة من أصل عربي فارسي، وهي عبارة عن نزل للمسافرين وعابري السبيل كان لهم الحق في الإقامة بها لمدة ثلاثة أيام، وكان يتوفر بها أيضاً إسطبيل للدواب، وكان يتم تقديم الطعام والشراب لهم ولدواهم من دون مقابل. ينظر: الثقافة الإسلامية والعربية في البوسنة والهرسك من سنة ٨٦٩-١٢٩٥ هـ/ ١٤٦٣-١٨٧٨ م، صالح أحمد صالح جولاقوفيتش، موبستار، ٢٠١٥م، ص ٢١٩.

(٤) صورة وقفية مهرماه سلطان، ص ١٨، س ٢٠-٢٨، وما بعد ذلك.



صورة (٢٩): رسم رحالة لجامع مهرماه سلطان بإسكُدار وأمامه سبيل السلطان أحمد الثالث، نقلًا عن: (Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar)

وشيدّ فيما بعد السلطان أحمد الثالث أشهر نماذج الأسبلة العثمانية وأبدعها أمام مسجد مهرماه سلطان من الخارج (صورة: ٢٩)، وهو سبيل ذو مسقط مثنى نتج عن طريق شطف أركان المربع، وله عدة واجهات رائعة مزدانة بزخارف بدیعة، ويرجع تاريخ إنشائه إلى سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨م، وأضيف منزل أو بيت إقامة لإمام ووصي المسجد سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٤٨م إلى الجانب الأيمن من الفناء الذي يلف حول سقيفة المسجد من الخارج، وكان يتكون المنزل من ٤ غرف إلا أنه أزيل في أثناء الترميم الذي حدث سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م، كما تمت إضافة بناء حديث من الخشب إلى جوار غرفة التوقيت ولكن التهمته نيران الحريق الذي نشب في الرابع عشر من شهر ربيع الآخر ١٣٧٥هـ/ نوفمبر ١٩٥٥م^(١)، ومن ثمّ فإن كثيرًا من المباني التي أضيفت إلى الكلية المعمارية الوقفية لمهرماه سلطان بإسكُدار قد دمرت، ولم يصلنا إلا بعض العمائر الأصيلة في الوقف وهي المسجد والمدرسة ومكتب الصبيان والتربّتان، أما الخان فقد تهدم هو الآخر مثله في ذلك مثل العمارت.

(1) Üsküdar Mihrimah Sultan (op.cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 11-13.

يتم الدخول إلى حرم الكلية من البوابة الموجودة في الركن الغربي من السور، وهي عبارة عن كتلة من الحجر ترتفع حوالي ١٥, ١م وبارزة أيضًا عنه قليلاً، وبصدرها فتحة باب يؤطرها عقد مفصص تؤدي إلى داخل حرم الكلية. وقد تضمنت وقيمة مهرماه سلطان جميع ما يتعلق بعمارتها التي شيّدها، وقد سُجّلت سنة ٩٥٦هـ / ١٥٥٠م بعد اكتمال تشييد المسجد.

(أ) الجامع:

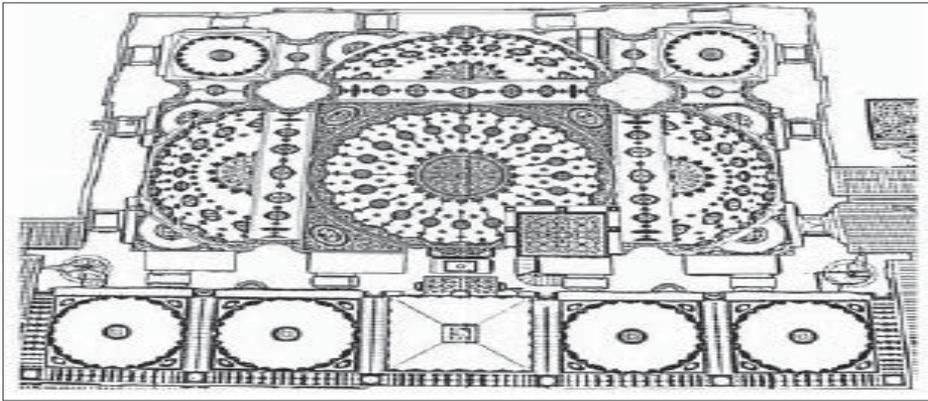
١. التخطيط المعماري:



صورة (٣٠): سقيفتا الجامع وتغطياته، وتظهر الأعمدة ذات التيجان المنقوشة بأشكال المعينات (تصوير الباحث)

يندرج جامع مهرماه سلطان بإسكدار ضمن طراز المسجد القبة، ويتكون من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٣, ٥٠م، وهو عبارة عن بيت للصلاة تتقدمه سقيفة مزدوجة (صورة: ٣٠)، وتظهر مآذن المسجد والقباب من الخارج نظراً لإطلالة المسجد المهمة على مضيق البوسفور، وتعلو منتصف بيت الصلاة فية قبة يبلغ قطرها ١١, ٦٠م وارتفاعها ٢٤, ٣٠م، ويدعم القبة من الجهات الجنوبية والشرقية والغربية أنصاف قباب لتُمثّل مع القبة شكل القلب والجناحين كما يسميها العلامة أ.د. محمد حمزة الحداد (صورة: ٣١)، وتتقدم المسجد سقيفة مزدوجة جهة

الشمال الغربي تُعدّ الاستخدام الثاني لها بعد مسجد إبراهيم باشا بإستانبول الذي شُيّد سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، ولكن تفرّد المعمار سنان في اختلاف التغطيات إذ قسّمت السقيفة الأولى الداخلية الملتصقة بجدار المسجد إلى خمس مناطق مربعة تغطيها خمس قباب تنفرد الوسطى بأنها أكبر قليلاً ومضلعة، وتطل على السقيفة الخارجية ببائكة من ٥ عقود مدببة ترتكز على ٦ أعمدة رخامية، وتزين بواطن هذه القباب بصرة عبارة عن طبقٍ نجمي^(١) تحيط به زخرفة الرومي باللون الأبيض والبنّي على أرضية زرقاء، ويحيط بها إطار تخرج منه شرافات بشكل الورقة النباتية ثلاثية البتلات باللون البنّي، وذلك إلى جانب وجود زهرة اللالا بمواضع مختلفة، أما السقيفة الخارجية فهي تأخذ هيئة حرف (U) لتمتد بطول الجهة الشمالية الغربية وتزيد عليه لتمتد قليلاً بمحاذاة الجهات الجانبية للسقيفة الداخلية، وهي سقيفة يغطيها سقف أو رفرف مائل أو منحدر تزينه من الداخل مستطيلات صغيرة متجاورة تملأ مساحة السقف كافة باللون الأحمر، على عكس سقيفتي مسجد إبراهيم باشا فيغطي كليهما سقف منحدر، ويتقدم السقيفة الخارجية من الشمال الغربي فوارة أو نافورة المسجد.



صورة (٣١): قطاع أفقي لتغطية مسجد مهماه سلطان والسقيفة الداخلية، ويظهر القطاع أسلوب التغطيات وأهم الزخارف الداخلية للأسقف (نقلًا عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول).

(١) عبارة عن زخرفة هندسية من أجل الابتكارات الإسلامية في مجال الزخرفة، ظهر منذ القرن الـ٦هـ/ ١٢م، ويتكون من: ترس: وهو قلب الطبق النجمي المركزي؛ ولوزات: وهي أشكال من أربعة أضلاع لوزية الشكل ترتب بشكل إشعاعي حول النجمة المركزية «الترس»؛ وكندات: وهي أشكال سداسية الأضلاع إلا أنها غير متساوية الأضلاع أو الزوايا، وتوزع بعدد يتطابق مع اللوزات في توزيع إشعاعي مستمد من النجمة المركزية يعطي شكلاً دائرياً. وينتج من هذا التكوين الهندسي طبق نجمي متكامل. ينظر: فن الصدفكاري في ضوء مجموعة متحف قصر المنيل بالقاهرة، شادية الدسوقي كشك، مقالة منشورة بمجلة كلية الآداب-جامعة حلوان، العدد ١٢، ٢٠٠٢م، ص ٨٧٢-٨٧٣.

وقد وردت عدة صفات لهذا المسجد الطيب في وثيقة الوقف تذكر بأنه مسجد مشرق لم ير أحد مثله من قبل، إذ تحترق الشموع الملونة فيه ليلاً لتذكر بالنجوم في السماء، وقلماً يوجد مثل له في المدن، فهو مغطى بالرخام اللامع الذي يشبه الزجاج المذهب، يتدفق الضوء من محرابه وينسكب من منبره⁽¹⁾، وأما الرحالة العظيم أوليا جلبي فيصفه بقوله: «هو مسجد قرب الشاطئ بني سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م»، ويذكر أوليا جلبي أن المسجد شيّد من قبل السلطان سليمان القانوني إهداءً لابنته المحبوبة⁽²⁾، وربما أراد «قوجه سنان» أن تنطبق مواصفات المسجد بمعنى اسم الواقعة، لتتخلل نوافذه أشعة الشمس نهاراً وضوء القمر ليلاً فيجمع بذلك بين ضوئي الشمس والقمر باستمرار، واللذين يشكلان مجتمعين معنى اسم مهرماه.

٢. الوصف الخارجي:

تتميز واجهات المسجد بالضخامة والتناسق، وهي أربع واجهات حرة لا تلتصق بها أيّ مبانٍ أخرى:

الواجهة الجنوبية الشرقية: تُعدّ هي واجهة القبلة وتطل على الخارج بواجهة متدرجة يبلغ طولها ٥٠, ٢٧م، ويتقدمها روضة دفن بها عدد من شواهد القبور، وقد قسمت الواجهة رأسياً إلى ثلاثة أقسام؛ الجانبيان منها متماثلان، ينقسم كل قسم إلى مستويين أفقيين، الأول به نافذة مستطيلة يؤطرها جفت أو إطار من الرخام الأبيض، وبالمستوى العلوي كوة غير نافذة بعمق ٣٠, ١م بها قمرية مستديرة يغطيها الجص المعشق بالزجاج الملون الذي يكون هيئة هندسية عبارة عن دوائر متكررة، أما القسم الأوسط من الواجهة فعبارة عن مستطيل يرتفع منه الجزء الذي يعلو المحراب إذ تم فتح نافذة فيه، وينقسم الجزء الأوسط من الواجهة إلى ثلاثة مستويات أفقية، فتحت بالسفلي منها نافذتان مستطيلتان يؤطر كلاً منهما إطار من الرخام الأبيض، ويعلو كل نافذة نفيس⁽³⁾ مغشى بالجص المعشق بالزجاج الملون الذي يعطي أشكال الدوائر المتكررة، ويعلو هذا المستوى مستوى أوسط من الواجهة فتحت به نافذتان تعلوان

(1) VGM, Deftir No, 635-2, 12 No'lu Vakfiye, S.94.

(2) Evliya Çelebi Seyahatnamesi, (Mehmet Zilli Oğlu Evliya Çelebi (, Sadeleşiren, Tevfik Temelkuran, Necati Akbaş, Üçdal Neşriyat, İstanbul 1976, C.1, S.327

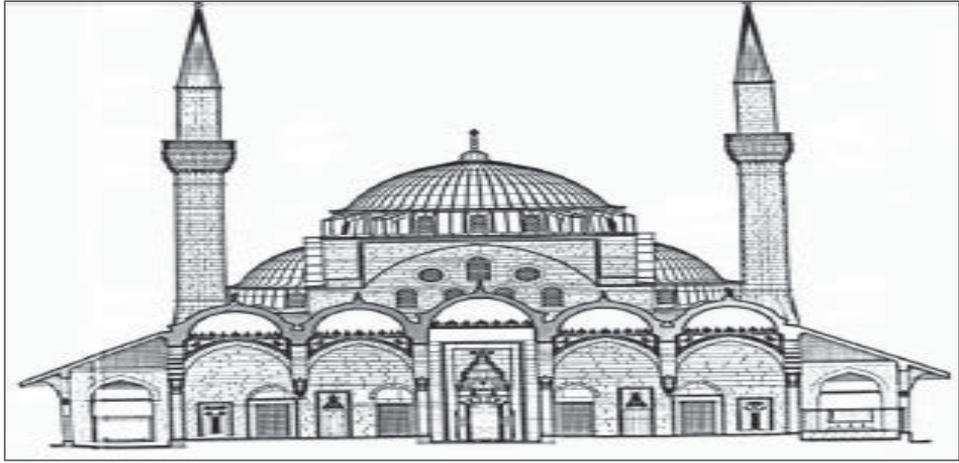
(3) النفيس: هو الفراغ أو المساحة الصغيرة المحصورة بين العتب المستقيم والعقد العاتق، سواء أعلى فتحات الأبواب أم الشبابيك.

النافذتين الأوليين، أما المستوى الثالث العلوي فيحتوي على نافذة مستطيلة تتوسط النوافذ السفلية ويغشيها الجص المعشق بالزجاج الملون.



صورة (٣٢): المسجد من الخارج في الجهتين الجنوبية الغربية والشمالية الغربية (تصوير الباحث)

الواجهة الشمالية الغربية (صورة: ٣٢): تُعدّ من أهم الواجهات وهي تمثّل واجهة المسجد على السقائف التي تتقدمه، وتضم المدخل الرئيس للمسجد (صورة: ٣٣)، وهي تشبه إلى حد ما الواجهة الجنوبية الشرقية في أهمية القسم السفلي الأوسط منها، حيث يمثل كتلة المدخل مستطيلة الشكل، فتحت بها فتحة باب مستطيلة تبلغ أبعادها ٤٠، ٣، ٦٠ x ٢ م، ومعقودة بعقد موتور من الصنجات المعشقة بأسلوب الأبلق، ويغلق على الباب مصراعان خشبيان فيما يعلو العقد العاتق النص الإنشائي للمسجد. أما من خارج سور الكلية المعمارية فتظهر واجهة السقيفة الخارجية ويخرج من منتصفها كتلة الفوارة، إذ تشرف هذه الواجهة على الخارج ببائكة من عشرة عقود من صنجات معشقة ذات قطاع مدبب بنيت بنظام المشهر، أما الفوارة فبدن هندسي الشكل من ١٨ ضلعًا من الرخام يتقدمها جلسات للمتوضئين وبينهما حوض أو مجرى لتصريف المياه (صورة: ٣٤)، وقد زُخرف الجزء السفلي من الفوارة بزخارف بارزة قوامها دخلات مستطيلة بها هيئة العقد المدبب الذي يخرج من منتصفه



صورة (٣٣): قطاع رأسي للمواجهة الشمالية الغربية من مسجد مهرماه سلطان والسقيفة الداخلية التي تتقدمه (نقلًا عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول).

صنبور الماء، أما الجزء العلوي فيزخرف معظمه بزخارف هندسية قوامها مثلثات متشابكة منفذة بالتفريغ والتخريم، يعلوها شريط من الزخارف النباتية المتشابكة أهمها الأوراق النباتية المسننة، ويغطي بدن الفوارة بناء مربع يعلوه سقف مسطح يعلوه رفرف مائل يمتد ليصل إلى بائكة السقيفة.



صورة (٣٤): النافورة المضلعة التي تتقدم مسجد مهرماه سلطان وواجهة السقيفة الخارجية ببوائك معقودة بعقود مدببة (تصوير الباحث)

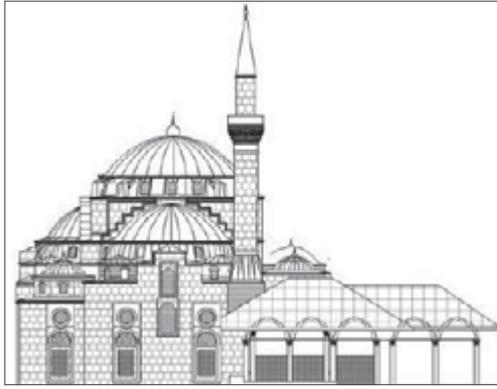
مئذنتا المسجد: وهما متماثلتان وتقعان على طرفي الجدار الشمالي الغربي للمسجد، بحيث تحتل كل منهما ركنًا من أركان المسجد مع التقاء هذا الجدار مع الجدران الجانبية، وتأتي المئذنتان داخل المسجد وليس في السقيفة الخارجية، وذلك يُعدّ ميزة تميزت بها مآذن المساجد العثمانية في مدينة إستانبول في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م^(١)، ويُعدّ هذا الجامع أول جامع لسيدة عثمانية يضم مئذنتين؛ وفي هذا دلالة على مدى المكانة الكبيرة لمهرماه سلطان في الدولة العثمانية وعند أبيها السلطان سليمان.

يبلغ ارتفاع كل مئذنة حوالي ٧, ٣٢م، وتتكون كل منهما من قاعدة مربعة سفلية يبلغ ارتفاعها ١٠م (تنقسم لجزء سفلي مستطيل ٧م يعلوه منطقة مشطوفة على هيئة مخروطية ٣م)، وبها مدخل المئذنة ويفتح بها نافذة ضيقة (مزغلية) للإضاءة والتهوية، ويؤدي المدخل إلى درج حلزوني يُصعد منه إلى شرفة المئذنة، ويعلو القاعدة بدن المئذنة الأسطواني بحيث سُطفت أركان المربع السفلي بهيئة مثلثات تركية، ويمتد البدن الأسطواني بارتفاع ٧٠, ١١م، وقد فُتحت به عدد من الفتحات الضيقة للإضاءة والتهوية، ويعلو البدن شرفة المئذنة المحمولة على حطات من المقرنصات ذات الدلايات، ويحدد الشرفة درابزين حجري، ويعلو الشرفة الطابق الثاني من البدن الأسطواني بارتفاع ٤م، ويتميز بأنه أقل في القطر والارتفاع من البدن السفلي، وينتهي من الأعلى بكورنيش حجري يحمل قمة المئذنة المخروطية بهيئة القلم الرصاص، وهي قمة مصفحة بألواح الرصاص لمقاومة العوامل الجوية بارتفاع يبلغ ٧م، ويعلو القمة المخروطية قائم معدني ذو انتفاخات ثلاثة يليها الهلال الذي تتجه فتحته إلى السماء.

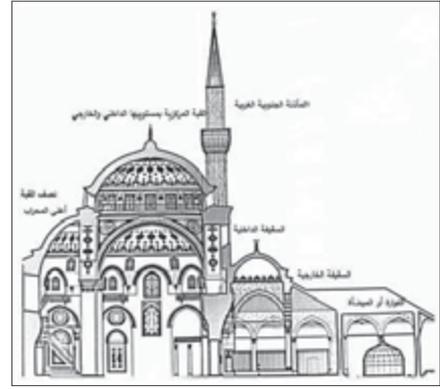
الواجهتان: الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية (الصورتان: ٣٥، ٣٦):

تتماثل الواجهتان تمامًا، حيث يبلغ طول كل منهما ٧٠, ١٩م، وقد فُتحت بكل مستوى أفقي عدة فتحات نوافذ، بعضها مستطيل وبعضها على شكل قمريات مستديرة، ومما يميز الواجهة الجنوبية الغربية أنها تحتوي على مدخل المسجد الذي يتقدمه سلم مزدوج.

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٤٦.



صورة (٣٦): قطاع للواجهة الشمالية الشرقية (نقلاً عن: المساجد العثمانية الباقية بإسكدار، محمود السيد محمد، مج ٢، ص ٥٤).

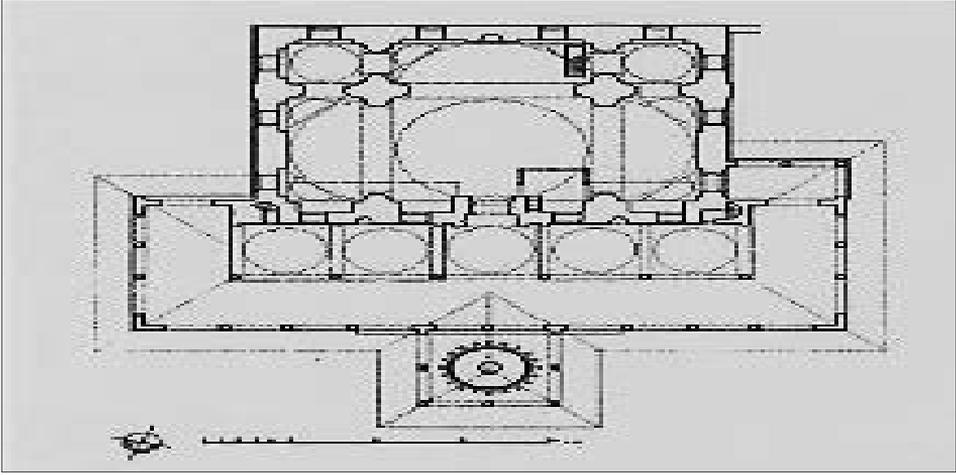


صورة (٣٥): قطاع للواجهة الشمالية الشرقية، بتصريف وإضافة (نقلاً عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول).

والمدخل عبارة عن دخلة مستطيلة يتوجها عقد مدبب من صنجات معشقة نفذت على النظام الأبلق، ورُخرف باطن العقد بزخارف نباتية مذهبة على أرضية سوداء قوامها الهاتاي والأفرع المورقة، وبصدر الدخلة فتحة باب يتوجها عتب مستقيم ويعلوها عقد موتور من صنجات معشقة بنظام المشهر، ويغلق على فتحة الباب مصراعان من الخشب النقي تزينه كتابات دينية تضم كلمة التوحيد (لا اله الا الله، محمد رسول الله)، وأطباق نجمية وأرباعها بطريقة التطعيم بالعاج.

٣. الوصف الداخلي للمسجد:

يتبع المسجد طراز المسجد القبلة (صورة: ٣٧)، إذ تتوسط مساحة المسجد منطقة مربعة تغطيها قبة مركزية تقوم على دعائم حجرية سميقة، وعلى ثلاثة جوانب منها أنصاف قباب، فيما عدا الجهة الشمالية الغربية فيها سقيفتا المسجد، وقد لجأ المعمار إلى أنصاف القباب لزيادة المساحة الداخلية المتاحة للصلاة، في حين تقع على جانبي المحراب قبتان صغيرتان تغطيان المساحة المتبقية من هذه الجهة، إذ إن امتداد جدار المحراب شرقاً وغرباً أدى إلى زيادة طول الجدار عن نصف القبة أعلى المحراب، مما استدعى ضرورة إضافة قبتين لتغطية هذه الأجزاء.



صورة (٣٧): مسقط أفقي لجامع مهرماه سلطان ياسكُدار. نقلاً عن:
(KURAN, Mimar Sinan, s.62)

جدار القبلة: وهو الجدار الجنوبي الشرقي، وهو أهم جدار في المسجد كونه يحتوي على المحراب والمنبر، ويتكون هذا الجدار من ثلاثة أقسام رأسية: الأول والثالث منها متماثلان إذ فتح فيهما فتحات النوافذ التي تطل على الخارج في الواجهة الجنوبية الشرقية، أما القسم الأوسط فهو أهم جزء في المسجد عموماً، ويمكن تقسيمه منفرداً إلى ثلاثة مستويات رأسية؛ يتشابه المستويان الجانبيان ويشتمل كل منهما على نافذة مستطيلة يوطرها إطار من الرخام، ويغلق عليها مصراعان من الخشب كباقي نوافذ المسجد السفلية، ويعلو هذه الفتحة نفيس معقود بعقد مدب مغشى بالحص المعشق بالزجاج الملون يكوّن هيئة الشعلة وتخرج منها أفرع نباتية وورود مختلفة الألوان، ويعلو هذه النافذة قمرية مستديرة مغطاة بالحص المعشق بالزجاج الملون المزخرف بأوراق نباتية مثل الأكاتس باللون الأحمر وزخرفة الرومي باللون الأخضر.

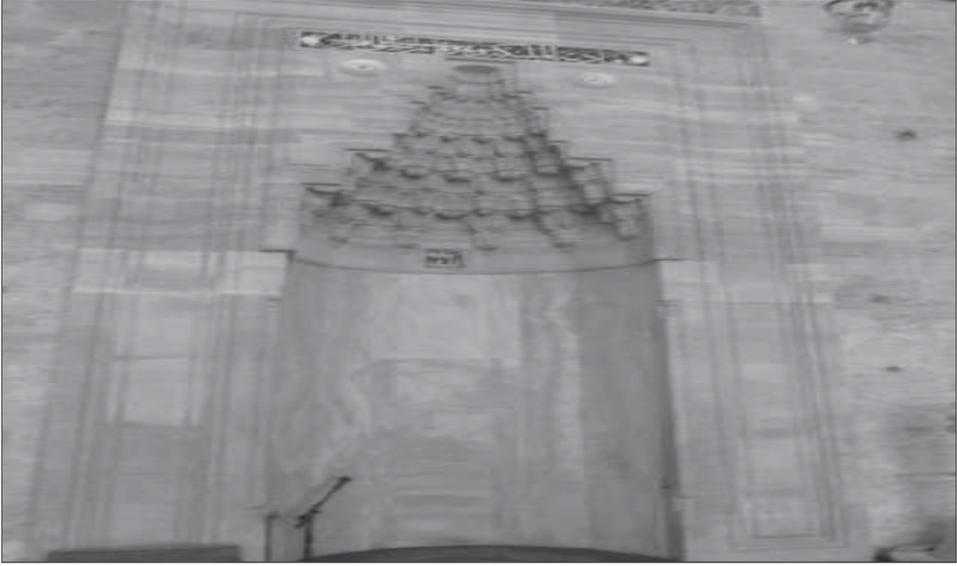
أما المستوى الأوسط من القسم الأوسط لجدار القبلة (صورة: ٣٨) فتمثله كتلة المحراب الرخامية ٩٠، ٩٠ x ٥، ٥م، وتقع على جانبيها جامتان مستديرتان كتب على اليمنى بخط الثلث على أسلوب التذهيب لفظ الجلالة بصيغة (الله جل جلاله)، وعلى اليسرى (محمد عليه السلام)، وتعلوها نافذة مستطيلة معقودة بعقد مدب يغشيها الحص المعشق بالزجاج الملون يشكل زخارف قوامها زهرية زرقاء تخرج منها أفرع نباتية وورود وزهور اللوتس، إلى جانب زخرفة الهاتاي المحورة باللون الأحمر.



صورة (٣٨): جدار القبلة وبه المحراب والمنبر، وتغطية المحراب بنصف القبة، نقلاً عن:
(www.mustafacambaz.com)

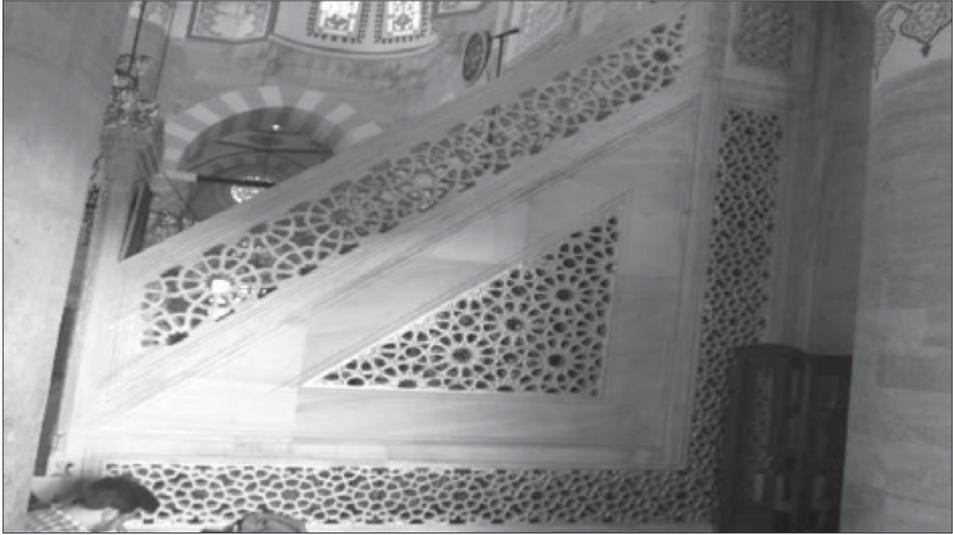
المحراب: يتوسط كتلة رخامية (صورة: ٣٩)، وهو عبارة عن دخلة أو تجويف رخامي ذي صدر مضع من خمسة أضلاع مستطيلة ويكتنفه عمودان مدحجان من الرخام، ويبلغ اتساع المحراب ١,٥٩ م وعمقه ٧٥ سم، فيما يبلغ ارتفاعه حوالي ٤,٩٦ م، وهو محراب خالٍ من الزخرفة، فيما عدا طاقية المحراب فتحتوي على لوحة سجل عليها لفظ الجلالة بصيغة (الله جل جلاله)، ويعلو طاقية المحراب نص منفذ بالحفر البارز بخط الثلث بأسلوب التذهيب، يمثل اقتباساً قرآنياً نصه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٣٩.



صورة (٣٩): محراب جامع مهرماه بإسكندار (تصوير الباحث)

المنبر (صورة: ٤٠): عبارة عن منبر رخامي يقع إلى يسار المحراب بجدار القبلة، ويتكون كغيره من المنابر العثمانية من صدر يشتمل على باب المقدم يؤدي عبر درج إلى جلسة الخطيب، وعلى جانبيه تقع ريشتا المنبر تزينهما أشكال دوائر مفرغة وملونة بالتذهيب، وأما جلسة الخطيب فيعلوها جوستق مقام على أربعة قوائم رخامية،



صورة (٤٠): إحدى ريشتي المنبر ويعلوها الدرابزين الرخامي (تصوير الباحث)

وتعلو الجوسق قمة مخروطية خشبية مقامة على قاعدة مربعة وتزين القمة أشكال البخاريات، وتنتهي القمة بهيئة القلم الرصاص مثل المآذن يعلوها قائم معدني ذو انتفاخات ثلاثة تحمل الهلال.

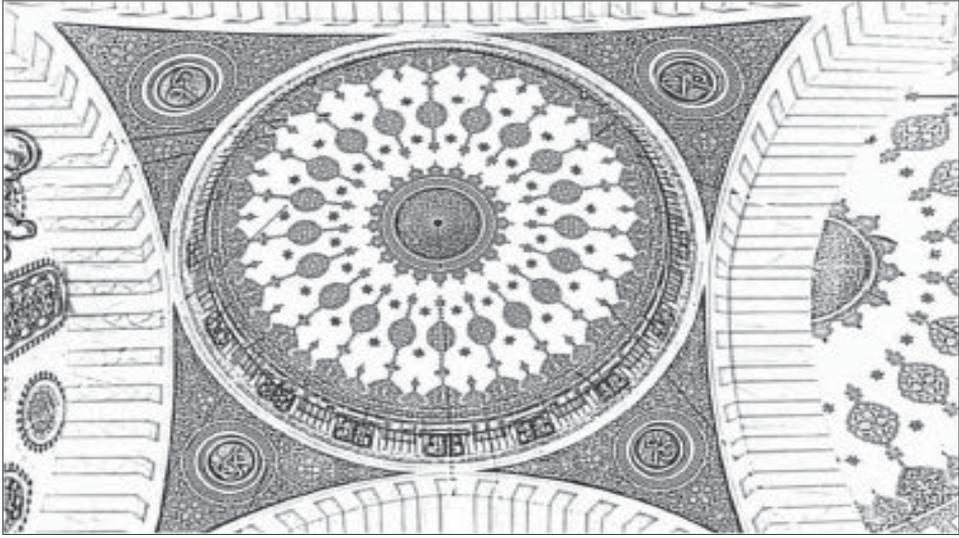
وبالمسجد عدة قطع فنية أثرية لها وظائفها المعلومة، مثل: دكة المقرئ أو كرسي الوعظ، وهي دكة خشبية تقع إلى جانب الدعامة الشرقية في المسجد، وهي تأخذ هيئة مربعة تركز على ٤ أرجل خشبية يعلوها الجزء السفلي لكرسي الوعظ وتزينه في كل جهة بأكفة بعقود ثلاثية منفذة بالتخريم أو التفرغ، ويعلوها الجزء الأوسط وتزخره الأطباق النجمية، أما الجزء العلوي فيمثلته درابزين الدكة.

الجدران الأخرى للمسجد:

وهي تقل في أهميتها عن جدار القبلة، حيث ينقسم كل منها إلى مستويات أفقية تتخللها فتحات النوافذ وعدد من الزخارف المتنوعة، ويتمثل الجدران الجانبية، أما الجدار الشمالي الغربي فيحتوي في المستوى السفلي على المدخل وعلى كل جانب منه نافذة، وينتهي هذا المستوى بأشكال شرافات بها زخارف الرومي وأوراق الأكانتس وأفرع نباتية بيضاء على أرضية خضراء، وتعلو صف الشرافات جامتان مستديرة على جانبي المدخل بإحدهما نص «حسين رضي الله عنه» وبالأخرى «حسن رضي الله عنه»، والمستوى العلوي أو الثاني من الجدار الشمالي الغربي به عدد من النوافذ في مستويين بواقع ثلاثة نوافذ معقودة بعقود نصف دائرية مغطاة بالحصص المعشق بالزجاج الملون تعلوها ثلاث نوافذ أخرى؛ الوسطى منها مستطيلة معقودة بعقد نصف دائري، أما الجانبية فقمريتان مستديرتان، ويغشيهما جميعاً الحصص المعشق بالزجاج الملون الذي يشكّل زخارف الرومي وأوراق الأكانتس.

محفل السيدات: وهو محفل خشبي يقع على جانبي المدخل ومن ثم ينقسم إلى قسمين، ويتم الصعود إليه من خلال درج بكل جهة.

دكة المبلغ: تقوم على أربعة أعمدة رخامية على جانب المدخل، وهي بارزة عن المحفل المذكور سابقاً بمقدار ٤٠، ١م، وهي عبارة عن دكة مستطيلة عبارة عن ألواح مجمعة من الخشب مزخرفة بزخارف البخارية وزهور القرنفل والرمال والوريدات النباتية، ونظراً لكبر حجمها الذي يبلغ ٥ x ٨٠، ٣م فربما كانت تقوم بوظيفة مصلى النساء.



صورة (٤١): القبة المركزية (نقلًا عن: المساجد العثمانية الباقية بإسكدار، محمود السيد محمد، مج ٢، ص ٥٧).

زخارف بواطن القباب: ذكرنا أن المسجد الداخلي مغطى بقبة مركزية (صورة: ٤١) يدعمها ثلاثة أنصاف قباب في (الجهات الجنوبية الشرقية، والشمالية الشرقية، والجنوبية الغربية)، وعلى جانبي نصف القبة القبلي قبتان صغيرتان، وتزينها جميعًا زخارف متنوعة تتوزع بأسلوب هندسي حول مركز القبة، حيث يزخرف صرة القبة المركزية زخارف كتابية عبارة عن اقتباسات قرآنية منقذة بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء، ونصها: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾^(١)، ويحيط بها إطار به أفرع نباتية، ويزخرف باطن القبة عشرون نجمة سداسية حول الصرة تليها عشرون بخارية كبيرة مملوءة بالزخارف النباتية من أوراق الأكانتس وزخرفة الرومي باللون الأبيض على أرضية زرقاء، وتليها عشرون نجمة سداسية سوداء، إضافة إلى إطار يوطر باطن القبة من شرافات صغيرة وكبيرة بالتبادل على هيئة أوراق نباتية ثلاثية البتلات بكل منها زهرية يخرج منها زخرفة الرومي وورقة أكانتس وأفرع نباتية، أما رقبة القبة فقد فتح بها ١٦ نافذة معقودة بعقود نصف دائرية مغطاة

(١) سورة النور، جزء من الآية رقم ٣٥.

بالجص المعشق بالزجاج الملون، وتحمل القبة مناطق الانتقال وهي عبارة عن مثلثات كروية تحتوي على جامات مستديرة بكل ركن، وتحمل كل منها اسم أحد الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر رضي الله عنه) (عمر رضي الله عنه) (عثمان رضي الله عنه) (علي رضي الله عنه)، فيما يملأ أرضية مناطق الانتقال زخارف نباتية ليس لها حدود، قوامها الأفرع والأوراق النباتية وزخرفة الرومي، وقد سُكلت الزخارف بلون أحمر على أرضية بيضاء.

وتزين بواطن العقود الحاملة للقبة المركزية زخارف بخاريات بالتبادل بين بخارية خضراء وأخرى حمراء على أرضية بيضاء، أما الدعامات الحاملة لعقود القبة فتؤطرها من الأعلى أشكال الشرافات التي تأخذ هيئة الورقة النباتية الثلاثية بشكل مقلوب، وذلك باللون الأخضر مع تحديد إطارها الخارجي باللون الأحمر، فيما يعلو بدن الدعامة تاج مقرنص يقوم مقام أرجل العقود (أو الوسائد) التي تحمل العقود. أنصاف القباب: يبلغ اتساع كل نصف منها (نصف القطر) ٢٠, ٤م بارتفاع يصل إلى ١٦, ٧م، وهي تتركز على حنيتين ركنيتين بكل منها ثلاث نوافذ مستطيلة معقودة بعقود نصف دائرية يغطيها الجص المعشق بالزجاج الملون بهيئة زهور الرمان بألوان زرقاء وحمراء يعلوها أوراق الأكانتس الزرقاء والصفراء، فيما تزين طاوية الحنية زخرفة الرومي وأزهار الرمان، ويحيط بها إطار من الأوراق النباتية الثلاثية باللون الأحمر.

أما زخارف أنصاف القباب نفسها (صورة: ٤٢) فتزين صرة كل نصف قبة منها نصف دائرة تملؤها الزخارف الكتابية المذهبة بخط الثلث، وهي عبارة عن اقتباس قرآني نصه: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾^(١)، داخل إطار تزيينه أشكال الشرافات المذكورة سابقاً، فيما يزين كل نصف قبة منها سبع بخاريات تتوسط نصفها بخاريات في الجانبين تملؤها جميعاً الزخارف النباتية كالرومي وزهور الرمان وأوراق الأكانتس بلون أبيض على أرضية زرقاء، ويؤطر النصف قبة إطار من شرافات صغيرة وكبيرة بالتبادل بهيئة الورقة النباتية الثلاثية وبداخل كل منها مزهريه يخرج منها زخارف نباتية متنوعة كالرومي والأفرع النباتية، وقد فتح

(١) قرآن كريم، سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٩٣.

بكل رقبة من رقاب أنصاف القباب ٤ فتحات نوافذ، كل منها معقودة بعقد نصف دائري يغشيها الجص المعشق بالزجاج الملون، الذي يشكّل أزهار الرمان بلون أزرق وأحمر يعلوها أوراق نباتية حمراء.



صورة (٤٢): أحد أنصاف القباب وحتيته الركنتين فضلاً عن الزخارف (تصوير الباحث)

القباب الركنية الصغيرة (صورة: ٤٣): هما قبتان تقعان على جانبي جدار المحراب محمولتان على مثلثات كروية مقلوبة، وتزخرف مركز كل صرةٍ منهما زخارف نباتية تشبه الزخارف الموجودة بالقبّة الكبيرة، ويفتح في رقبة كل قبة ٣ نوافذ مستطيلة يؤطرها هيئة العقد نصف الدائري مغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون الذي يشكل زخارف أوراق الأكانتس بالألوان الزرقاء والحمراء والصفراء وذلك في الجهة الخارجية، أما جهة القبّة المركزية فقد وُجدت مضاھيات تشبه فتحات النوافذ تماماً وهي تخلو من الزخرفة، ويزين رقبة القبّة أسفل النوافذ إطار به عدد من البخاريات وتملؤها زخارف الرومي البيضاء على أرضية بنية اللون، أما مناطق الانتقال فبكل منها جامة تزينها زهور اللوتس وزخارف الرومي باللون الأبيض على أرضية بنية اللون.



صورة (٤٣): إحدى القباب الركنية (تصوير الباحث)

٤ . أهم التقنيات الإنشائية في مسجد مهرماه سلطان:

أبداع المعمار سنان في تشييده لمسجد مهرماه سلطان ونجح في زيادة الفراغ المركزي المتاح للصلاة على جوانب القبة المركزية، وذلك بإضافة ثلاثة أنصاف قباب متعامدة، على الرغم من أن موضع المسجد أعلى ربوة أو مدرج مرتفع بضاحية إسكدار، ويلاحظ في تصميمه أن الفراغ المركزي أسفل القبة يمتد نحو المحاور الثلاثة التي تعلوها أنصاف القباب أسفل كل نصف قبة، حيث عمل سنان على زيادته من خلال وضع حنيتين إحداهما عن يمين نصف القبة والأخرى عن يسارها، ومن ثم أصبح جناح القبلة في جامع مهرماه سلطان يتشكل من قبة مركزية تفتح على ثلاثة إيوانات يغطي كل إيوان منها نصف قبة، وتقع على جانبي نصف القبة القبلي الذي يعلو المحراب قبتان صغيرتان تغطيان باقي المساحة الموجودة على جانبي المحراب، وربما لجأ سنان إلى هذا الأمر كعادته التي عرفت عنه في حبه للتمييز والتغيير من ناحية، ولأجل زيادة مساحة البقعة المخصصة للصلاة واستيعابها لعدد أكبر من المصلين من ناحية ثانية^(١)، وهذا الإبداع في تغطية المسجد دفع بعض الباحثين إلى القول: إن المسجد يتبع في تخطيطه طراز المساجد المعروف بطراز بورصة على شكل

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٣٥.

حرف (T) مقلوب^(١) (وقد جانبهم الصواب)، وإذا تتبعنا تطور التصميم العام للمساجد العثمانية من حيث اعتمادها على القباب المركزية والإضافات التي تمت لها بمدينة إستانبول، فإنه يمكن القول: إن مسجد مهرماه سلطان يُعدّ المرحلة الثالثة لهذا التطور من حيث زيادة الفراغ الداخلي الذي طبقه المعمار سنان بإضافة ثلاثة أنصاف قباب حول القبة المركزية، فقد كانت المرحلة الأولى مبكرة منذ عهد السلطان الفاتح نفسه عقب فتح المدينة، ويمثلها مسجد كليته المعمارية الكبيرة سنة ٨٦٧-٨٧٥هـ/١٤٦٢-١٤٧٠م، إذ تمت إضافة نصف قبة في الجهة القبليّة من القبة المركزية التي عُدّت أكبر قبة مركزية في المساجد العثمانية في هذا الوقت، وذلك لزيادة المساحة التي تلي المحراب من الداخل، وذلك قبل الترميم، أما بعد الترميم الذي حدث سنة ١١٨١-١١٨٥هـ/١٧٦٧-١٧٧١م فقد تغير مخطط بيت الصلاة فيه ليندرج ضمن المرحلة الرابعة التي يتميز بيت الصلاة فيها بالتغطية بقبة مركزية على جوانبها أربعة أنصاف قباب^(٢)، وأما المرحلة الثانية فيمثلها مسجد السلطان بايزيد الثاني بإستانبول (٩٠٧هـ/١٥٠١م)، وذلك بإضافة نصف قبة إلى جانب القبة المركزية وذلك جهة المحراب والجهة المقابلة له، وأما التطور الثالث فتم بإضافة ثلاثة أنصاف قباب إلى القبة المركزية، وذلك في جميع الجهات عدا الجهة المقابلة للمحراب، ونتجت عن ذلك مساحات إضافية صغيرة تمت تغطيتها بقباب ضحلة أو صغيرة، كما هو الحال في مسجد مهرماه سلطان ٩٥٤هـ/١٥٤٧-١٥٤٨م^(٣).

٥. أهم الترميمات والإضافات والإزالات:

تعرض مسجد مهرماه سلطان مع باقي عمائر الكلية إلى عدة إصلاحات تبعاً للأحداث التي مرت بها المنطقة من زلازل وحرائق، وقد حافظت الترميمات

(١) ينظر: تطور مساحة الفراغ المركزي في المساجد العثمانية بإستانبول، أحمد محمد زكي، مجلة مشكاة، المجلة المصرية للأثار الإسلامية، المجلد الرابع، ٢٠٠٩م، ص ٩١.

(٢) يمكن مراجعة جميع التفاصيل وأنماط المساجد العثمانية وطرزها؛ للوقوف على تطور المعمار سنان في: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٧٠-٢١٩؛ وبحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، محمد حمزة الحداد، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٤٢١، شكل ٩١، ٩٢، ص ٤٢٢، شكل ٩٣، ٩٤، ص ٤٢٦، شكل ١٠١، ١٠٢، ص ٤٢٧، شكل ١٠٣، ١٠٤.

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٣٦.

والإصلاحات على تخطيط المسجد لما للعمائر الدينية من حرمة؛ ففي سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م قام السلطان أحمد الثالث بإجراء عدة إصلاحات وترميمات للمسجد وعمائر الكلية، ثم أقام سبيله المشهور في ميدان إسكلي ليتقدم مسجد مهرماه سلطان^(١)، وفي أثناء الأعوام المتتابعة تم إلحاق عدة مبانٍ أخرى إضافية للكلية سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م^(٢).

ب) المدرسة (MERDESE):

تُعدّ المدرسة من أهم وحدات الكلية المعمارية الوقفية لمهرماه سلطان، وهي تقع إلى الشمال الشرقي من المسجد على مستوى منخفضٍ من الأرضية، إذ إن أرضية المسجد أكثر المواضع ارتفاعاً في المنشأة، وشيّدت المدرسة سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧ - ١٥٤٨م بإشراف المعمار سنان، وأما عن مادتها الخام فقد أنشئت المدرسة من الحجارة المقطوعة المنتظمة، وتُعرف بعدة تسميات أخرى منها (كورشونلو) أو مدرسة الرصاص (Kurşunlu Medrese)^(٣).

١. المدرسة من الخارج:

للمدرسة أربع واجهات خارجية حرة، الرئيسة منها هي الواجهة الجنوبية الغربية التي تطل على المسجد، وبها المدخل الرئيس للمدرسة وهو عبارة عن مدخل تذكاري يبرز عن سمت الواجهة ويرتفع فوقها (صورة: ٤٤)، وهو عبارة عن كتلة حجرية بداخلها فتحة باب مستطيلة الشكل يتوجها عقد موتور من صنجات معشقة يعلوها طاقية مقرنصة تتدلى منها المقرنصات على هيئة هرمية، وعلى جانبي المدخل ٧ فتحات نوافذ مستطيلة، كل منها داخل إطار حجري معقود بعقد مدبب، ويغشي فتحات النوافذ مصبغات معدنية.

والواجهتان (الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية) متماثلتان، إذ إنهما مُثلّان واجهة خلاوي الطلاب إلى الخارج، وبكل منهما سبع خلاوي يمتد من الشرق للغرب، وتأتي

(1) Üsküdar Mihrimah Sultan (op. cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 34.

(2) Edirne ve Pasa Livasi, vakıflar -mukler -mukataalar, (M. Tayyib Gokbilgin), Published online by Cambridge, 1952, s. 500.

(3) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), op. cit, C. 3, S. 1241.



صورة (٤٤): مدخل مدرسة مهرماه سلطان ياسكُدار (تصوير الباحث)

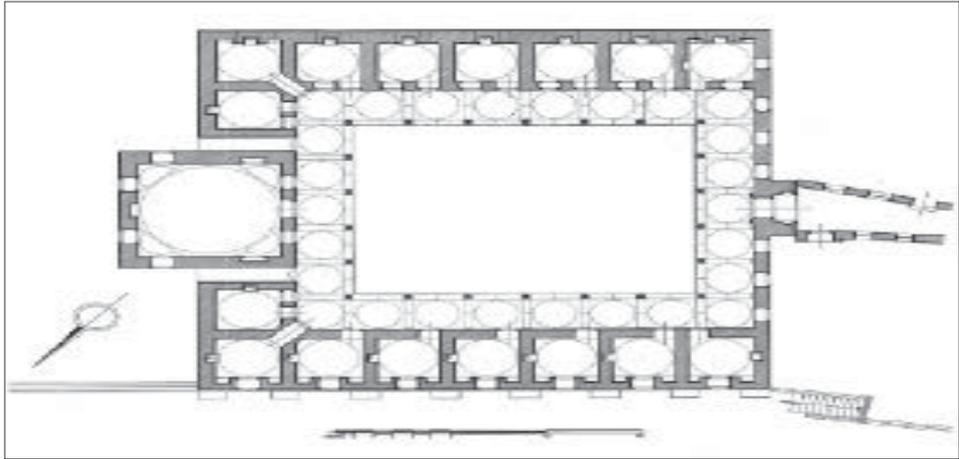
الواجهة في مستويين أفقيين؛ فتح بالسفلي منهما سبع فتحات نوافذ مستطيلة يعلو كلاً منها نفيس معقود بعقد مدبب، والمستوى العلوي به أيضاً سبع نوافذ بحيث تعلو كل نافذة منها نافذة من المستوى السفلي، ولكنها تتميز بالثراء الزخرفي من حيث تغشيتها بالجص المعشق بالزجاج الملون، وكل نافذة منها داخل فتحة معقودة بعقد مدبب.

أما الواجهة الشمالية الشرقية فهي تتميز ب بروز كتلة الدرسخانة (قاعة الدراسة) في مركز الواجهة، وعلى كل جانب من جانبيها واجهة حجرتين من خلاوي الطلاب، وهي واجهة تخلو من النوافذ، فيما عدا واجهة الدرسخانة فيها نافذتان، يعلو كلاً منهما نفيس معقود بعقد مدبب.

ونظراً لأن كل حجرة من حجرات الطلاب بالمدرسة تحتوي على مدفأة خاصة لبرودة الجو القاسية، فإنه يعلو كل مدفأة منها مدخنة عبارة عن برج حجري

مستطيل البدن، فتحت به أربع فتحات بواقع فتحة معقودة في كل ضلع، ويتوج البدن قمة مخروطية.

٢. المدرسة من الداخل (صورة: ٤٥):



صورة (٤٥): المسقط الأفقي لمدرسة مهرماه سلطان بإسكدار. نقلًا عن:
(Yilmazörnek: Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi, s. 45)

تتبع المدرسة التخطيط التقليدي للمدارس الإسلامية عامة، والعثمانية خاصة، فهي عبارة عن مساحة مربعة يتوسطها صحن أو فناء أوسط مكشوف تتوسطه نافورة رخامية تأخذ شكل شبه دائري مفصصًا يقوم على قاعدة بارزة، ويزين النافورة إزار بارز يأخذ هيئتها وقد امتلأ بالزهور والورود الجميلة، ويلتف حول بدن الفوارة تجويف سفلي كمجرى لتصريف الماء، وهي غير مستخدمة حاليًا. يحيط بالصحن رواق من كل جانب يطل عليه ببائكة معقودة، بحيث تتكون كل من البائكتين (الشرقية والغربية) من خمسة عقود مدببة ترتكز على أعمدة، في حين تطل الواجهتان (الشمالية والجنوبية) ببائكتين كل منهما من ستة عقود مدببة ترتكز على أعمدة أيضًا، وقد قُسم هذا الرواق من كل جانب إلى عدد من المربعات الصغيرة التي تعلو كلاً منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات ركنية مقلوبة. وتقع خلاوي الطلاب خلف ثلاثة أروقة فقط من الأروقة التي تحيط بالصحن، وذلك من الجهات (الجنوبية والشمالية والشرقية) بواقع ١٦ خلوة؛ بكل من الجهتين

(الشمالية والجنوبية) ٧ خلوات، ومن الجهة الشرقية خلوتان إلى جانب قاعة الدرس (الدرس خانه) لتبلغ عدد حجرات المدرسة جميعها الواقعة خلف الرواق ١٧ حجرة يعلوها ١٧ قبة أكبرها الدرس خانه، وليس ١٦ قبة كما ذكر بعض الباحثين^(١)، أما الرواق الغربي فيقع خلفه سور المدرسة الخارجي، ومن ثم فإن حجرات الطلاب والدرس خانه تشكل حول صحن المدرسة هيئة حرف (U)، أما من حيث تخطيط المدرسة بكامل عناصرها فهي تقليدية الطراز من صحن أو وسط مكشوف يحيط به رواق، وتقع الحجرات خلف ثلاثة أروقة فقط، أما ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن تخطيط المدرسة قد جاء على هيئة حرف (U) حول الصحن^(٢) فهو رأي جانبيه الصواب على النحو الذي بيناه، وتشترك قاعة الدرس وخلاوي الطلاب جميعها في أنها ذات مسقط أفقي مربع الشكل تعلو كلاً منها قبة تقوم على مثلثات ركنية، وتتماثل مساحات وقباب حجرات الطلاب، أما قاعة الدرس فهي أكبر القاعات الموجودة في المدرسة مساحة، وقيتها أكثر القباب قطرًا وارتفاعًا.

٣. الإصلاحات التي تمت للمدرسة:

مرّت المدرسة بعدد من مراحل الترميم والإصلاح، إذ إنها رُمّمت سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م، وجرى بعد ذلك عدة أحداث أدت إلى تساقط أجزاء منها تبعاً مما أدى إلى إحداث عدد من المرمات لصيانة عمارة المدرسة (في السنوات ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، وبعدها أضيفت أجزاء أخرى تتقدم المدرسة جهة الشرق، حيث تم تحويلها إلى مستشفى أو دار للشفاء أضيف لها باب آخر جهة الميدان ليصبح لها مدخلان^(٣)، وقد غطي الصحن بسقف جمالوني تتوسطه شخصيخة.

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٦٧.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٦٧.

(3) Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman) (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 343; A history Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 234 .

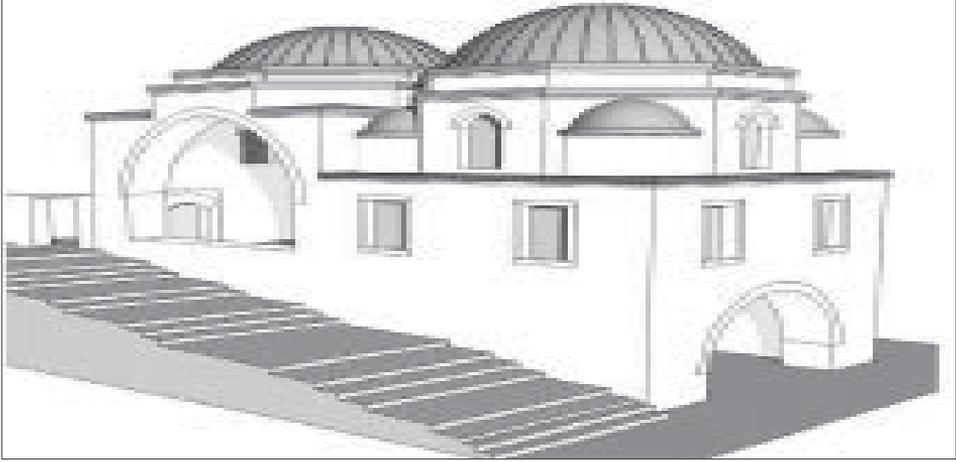
ج) مكتب الصبيان (الكتاب):



صورة (٤٦): المسقط الأفقي لمكتب صبيان مهرماه سلطان بإسكدار. نقلاً عن:
(Baican & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s. 110)

يقع مكتب الصبيان إلى الجنوب الشرقي من المسجد وخارج السور الذي يجمع منشآت الكلية المعمارية الباقية لمهرماه سلطان، وهو عبارة عن مسقط أفقي مستطيل الصورة (الصورتان: ٤٦، ٤٧) يطل على الخارج بثلاث واجهات شُيّدت من الحجر المنحوت، وأهمها الواجهة الشمالية الغربية وهي الواجهة الرئيسة للمكتب؛ إذ تنقسم إلى ثلاثة أجزاء يفصل بينها إزار حجري بارز، تشغل الجزء السفلي فتحة باب الدخول يتوجها عقد موتور من صنجات معشقة بحيث تؤدي الدخلة إلى دركاة، ويعلو الجزء السفلي مستوى آخر أوسط تتخلله نافذتان كل منهما داخل تجويف متوج بعقد موتور، أما الجزء العلوي من الواجهة فتمثله خوذتا القبتين اللتين تغطيان مساحة المكتب، وتشبه الواجهتان الأخريان الواجهة السابقة فيما عدا احتواء الجنوبية الشرقية منهما على مدخل المكتب.

والمدخل عبارة عن تجويف رخامي مستطيل بصدرة فتحة باب معقودة بعقد موتور يغلق عليها مصراعان خشبيان، ويفضي المدخل إلى دركاة مستطيلة الشكلة



صورة (٤٧): منظور لمكتب سبيل مهرماه سلطان بإسكدار. نقلًا عن:
(Baican & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s.117)

يغطيها سقف مسطح تؤدي إلى داخل المكتب الذي تحولت بعض أجزائه إلى محلات تجارية مما أفقده طابعه الأثري والتاريخي، وينقسم إلى مربعين متماثلين تغطي كلاً منهما قبة تركز على مناطق انتقال من مثلثات كروية مقلوبة بواقع قبة أعلى كل مربع سفلي.

ومن أهم ما يميز المكتب وجود چشمة ملحقة به كوقف مائي خيري على الطلاب الموجودين بالمكتب ولمن مرّ قرب المكتب أيضًا، وقد ورد على هذه چشمة تاريخ الإلحاق أو التجديد لها على يد السلطان محمود الثاني سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣٢م، وهو ما يحمل افتراضية أن المكتب كان به في الأصل چشمة ولكنها تهدمت فقام السلطان محمود الثاني بإعادة إنشائها^(١).

(د) العمارت (İMARET):

بادئ ذي بدء فإن عمارت - أو عمارة - مهرماه سلطان قد تهدمت ولم تصل إلى يومنا الحاضر، غير أنه يُستدل من وقفيتها أنها شيّدت مطعمًا خيريًا لإطعام الفقراء والعاملين بمؤسستها الوقفية، وقد كانت العمارت تتكون من ٨ غرف، ومطبخ، ومخبز، وغير ذلك، وأورد عدد من الباحثين كعبد الله كوران أن العمارت قد اندثرت

(1) Üsküdar Merkez Mahalleleri Osmanlı Dönemi Su Uygurlığı Eserleri, (H. Besim Çeçener), Üsküdar Belediyesi, İstanbul, 2007, S. 83.

سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م عقب حريق كبير نشب في المنطقة^(١).

وقد أورد أوليا جلبي في رحلته (في القرن ١١هـ/ ١٧م) أخبارًا عن هذه العمارات الوقفية قبل الاندثار في ١١٣٤هـ/ ١٧٢٢م، فيشير إلى هؤلاء الذين يذهبون بأنيتهم النحاسية وصحونهم إلى عمارة مهرماه سلطان الواقعة قرب الشاطئ مرتين يوميًا، فيأخذون حساء القمح وقطع الخبز وشمعة كل ليلة، أما الضيوف والمسافرون فقد كانوا يضيّقون لمدة ثلاثة أيام بالعمارات حال التوقف، وكانت دوابهم تطعم أيضًا في إصطبل العمارات، إذ تأخذ كل دابة حصتها من العلف بالتساوي مع الدواب الأخرى^(٢).

ومن سياق حديث أوليا جلبي يُفهم أن العمارات تمتعت بموضع محوري، ومن ثم فإنه بعد ترميم العمارات -طبقًا لما ورد في الأرشيف العثماني لرئاسة الوزراء بعد زلزال سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م^(٣) - تمت استعادة أنشطتها الخيرية مرة أخرى، ولكنها ما لبثت أن هُدمت فيما بعد وأستُغل موقعا لتوسعة الشارع الرئيس الذي يمر من أمام المجمع، ومما يعضد رأينا أن أحد المؤرخين -وهو إبراهيم حقي القونبالي^(٤)- أشار إلى أن حاكم إسكُدار لم يعطِ أوامره بترميم العمارات بحجة توسعة الطريق، ومن ثم فقد أدت عملية توسعة الطريق إلى طمس عدد من المعالم والعمائر الأخرى التي تضمنها وقف مهرماه سلطان، ومنها الخان أو النزل، وذكر أن حاكم إسكُدار كان يستأنف أعمال توسعة الطريق وهدم العمارات بالليل عمدًا، وكان آخر ما ورد لها صور فوتوغرافية في الربع الثاني من القرن العشرين الميلادي (الصورتان: ٤٨، ٤٩)، ونظرًا لكثرة الشكاوى وتذمر الناس فقد تم عزله من منصبه كحاكم لإسكُدار لتهدئة الجو العام ولكن من دون جدوى للعمارات التي لم يتم إعادة بنائها، وأورد بعض الباحثين أن بقاياها ظلت حتى سنة ١٩٣٠م، ثم اختفت نهائيًا بعد عدة سنوات^(٥).

(1) Mimar Sinan, (Aptullah Kuran), Hürriyet Vakfı Yayınları, İstanbul 1986., S.52

(2) Seyahatnamesi (op. cit), (Evliya Çelebi), C1, S.328

(3) Üsküdar Mihrimah Sultan (op. cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 39.

(4) Abideleri Ve Kitabeleri İle Üsküdar Tarihi, (İbrahim Hakkı Konyalı), Türkiye Yeşilay Cemiyeti Yayınları, İstanbul 1976, C.2, S 290, S. 386

(5) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 986-987.



الصورتان (٤٨، ٤٩): صور فوتوغرافية التقطت للعمارة سنة ١٩٣٣ م تبين مدى الوضع السيء لها، وقد تدمرت فيما بعد، نقلاً: عن (fotoğraf: Kudeb Arşivi)

وربّ ضارة نافعة، فبعد أن رأى الناس ما حدث للعمارت والخان، وخوفاً من تكرار المأساة مع مباني أخرى وقفية، فقد وردت استغاثات المهندس المعماري الكبير قونياي؛ قبل الحرب العالمية الثانية في الجريدة اليومية المؤرخة بالسابع عشر من مارس سنة ١٩٥٦ م في مقالته عن سنان ومنشآته في إسكُدار، ومفاد استغاثته أنه لو لم يتم التدخل فإن حاكم إسكُدار سوف يقوم بهدم مدرسة مهرماه هي الأخرى بحجة توسعة الطريق^(١)، وهو ما يُظهر استباحة الأوقاف أحياناً والتعدي عليها بحجة توسعة الطرق، وهو أمر اعتاد الباحث على رؤيته من خلال مشاهداته الحية

(1) Usküdar Mihrimah Sultan (op. cit), (Bekir Yılmazörnek), op. cit, S. 38.

ودراسته لتاريخ العمائر الوقفية بمدينة إستانبول^(١).

هـ) التُّرب:

أُلحق بمجمع مهمرمه سلطان الخيري عدد من التُّرب أو المقابر العثمانية، إلى جانب رحبة أو روضة^(٢) وضع بها عدد من شواهد القبور التي تدل على أصحابها، وأما التُّرب فمتعددة، أهمها ما يقع بين المسجد والمدرسة.

١- التُّربة الأولى: تقع عند الطرف الأيمن (الجهة الجنوبية الغربية) من المسجد بجوار المئذنة، وتضم تركيبة رخامية مستطيلة الشكل تنتهي من أعلاها بشكل الشرافات، ويعلو التركيبة شاهدا قبر رخاميان يحتوي أحدهما على نص دفن لعثمان بك بن رستم باشا^(٣) المتوفى سنة ٩٨٣هـ/ ١٥٧٦م.

٢، ٣- وهناك تربتان أخريان تقعان بين المسجد والمدرسة؛ وكلتاهما عبارة عن تخطيط مربع الشكل تقوم على كل منهما قبة تركز على المثلثات التركية المقلوبة بأماكن الانتقال، وقد أنشئت التُّربتان بعد فترة من إنشاء مجمع مهمرمه، وذكر بأن إحداها وهي الجنوبية تخص (سنان الدين يوسف) وهو أخورستم باشا زوج الواقفة، وكان قد شغل منصب والي البوسنة وشارك في حروب بربروسا ضد الأسبان في معركة حلق الوادي بتونس سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م^(٤)، وقد زُيِّلت التُّربة

(١) وقد سبق للباحث أثناء إعداد له رسالة (الماجستير) الخاصة به بعنوان: المنشآت التجارية العثمانية، أن أشار إلى الانتهاكات المتتالية للأوقاف بحجة توسعة الطرق، وهو الأمر الذي حدث في كل من خان حسن باشا وسيمشكخانه والذين تم هدم ما يربو على نصفها الشمالي لتوسعة الطريق الذي يمر من أمامها، وهو (Ordu Caddes) ليصل ما بين أجزاء المدينة، وكذلك أراستا داماد إبراهيم باشا التي هدم أكثر من نصفها أيضًا، علماً بأن كليهما من مؤسسات الأوقاف الإسلامية التي كانت تدر دخلاً لتغطية نفقات المنشآت المجانية الملحقة بها، فأرساتا داماد إبراهيم باشا مثلاً كانت موقوفة على مجمعه بالمنطقة نفسها. ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٣٩، ص ٢٢٦.

(٢) تتقدم جدار القبلة من الشرق وتعدّ مزارًا تاريخيًا، تأخذ هيئة التخطيط غير منتظم الشكل أقرب إلى مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب، وترجع هذه الرحبة لسنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٤م، وتخص (سنان باشا) صهر مهمرمه سلطان. ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسراي، ص ١٨٦-١٨٧؛

Istanbul Camileri I-II, (Tahsin Öz), Ankara, 1962, S. 47.

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٦٩؛

Uskudar Mihrimah Sultan (op. cit), (Bekir Yilmazörnek), S. 61.

(4) Osmanlı Tarihi III. (Ismail Hakkı Uzunçarşılı), Cilt, 2. Kısım, Xvi. Yüzyıl Ortalarından Xvii. Yüzyıl Sonuna Kadar Türk Tarih Kurumu, Altıncı Baskı, Ankara 1954, S. 363; The Age Of Sinan (op. cit), (Gürü Necipoğlu), P. 418; A History Of Ottoman (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 214;

ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، مج ١، ص ٣٠٩-٣١٧؛ والتاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج ٨، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ط ٢، ص ٥١٠-٥١٥؛ وعمارة التُّرب العثمانية، محمد عبد الشكور أبو زيد، ص ٦٩.

وألحقت ضمن وقف مهرماه سلطان سنة ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م، ويذكر أن الأميرة (كايا أسمهان) ابنة السلطان مراد الرابع المتوفاة سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م^(١) قد دفنت في هذه التربة أيضًا.

٤- وأما التربة الأخرى (صورة: ٥٠) فتقع إلى الشمال من التربة السابقة، وهي تخص الصدر الأعظم (إبراهيم أدهم باشا) المتوفى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، ودفن بها ثلاثة أشخاص من أفراد عائلته^(٢).



صورة (٥٠): تربة الصدر الأعظم إبراهيم أدهم باشا (تصوير الباحث)

(و) العجشة:

تقع عجشة (ÇEŞME) أو عين ماء رخامية (صورة: ٥١) بالضلع الشمالي الغربي من السور الخارجي وعلى محور قريب من محور المحراب يتوجها صف من الشرافات المسننة، وليست العجشة الحالية من الإنشاءات الأصلية بالكلية، إذ إن الأصلية شيّدها مهرماه سلطان سنة ٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م^(٣) ولكنها تهدمت، فأعيد بناؤها بعد ١٣٨ عامًا من إنشاء الكلية الوقفية في سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م^(٤)، وأنشئت العجشة بكاملها من الرخام الأبيض تزيينها زخارف نباتية محفورة بأسلوب الحفر البارز،

(1) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan) S. 263.

(2) Üsküdar Mihrimah Sultan (op. cit), (Bekir Yılmazörnek), op. cit, S. 7.

(3) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), Cilt 3, S. 1117.

(4) Osmanlı Mimarisinde (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 328.

ويقع أسفلها حوض رخامي مستطيل الشكل يعلوه صنبور داخل رسم زخرفي على هيئة عقد مفصص، وسُجلت على هذه الجشمة بعض الكتابات المنفذة بخط الثلث الجلي في ثلاثة أسطر، وترجمتها:

س ١	حبذا منبع ماء الحياة... لتشرب الألسنة الظمّانة ماءه في كل نفس
س ٢	مهرماه سلطان شيّدت مشرب بلقيس هذا... فليكن مجرى الماء
س ٣	وهبه الحق أيضًا في هذا التاريخ (سنة ١٠٩٢هـ ^(١))، فلتجرّ عين ماء الحياة.



الصورتان (٥١، ٥٢): جشمة مهرماه سلطان ياسكُدار، نقلًا عن:
(Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar)

(١) يقع التاريخ داخل صرة بشكل أقرب إلى الشكل البيضاوي بين شطري السطر الأخير، ويؤكد إيوانسراي أن تاريخ البناء سنة ١٠٩٢هـ كان موجودًا أسفل النص الكتابي على الجشمة. ينظر:
Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), Cilt 3, S. 1118; Abideleri Ve Kitabeleri Ile Üsküdar Tarihi (op. cit), (Ibrahim Hakkı Konyalı), cilt 2, S. 72

المبحث الثاني

كلية مهرماه سلطان بأدرنة قابي

(Edirne Kapı Mihrimah Sultan Külliyesi)

أولاً: الموقع:

شيّد المعمار سنان هذه الكلية المعمارية بمنطقة الفاتح بالجزء الأوروبي من مدينة إستانبول في محلة أدرنة قابي (باب أدرنة)^(١)، وعلى يسار الطريق المؤدي إلى بوابة أدرنة من بوابات المدينة المحروسة، وقد بنيت أعلى التل السادس للمدينة^(٢) بعد أخذ الأرض التي بنيت عليها من ملك أصحابها؛ إذ تم تعويضهم عنها بمواضع أخرى في المدينة طبقاً لفرمان سلطاني صدر بتاريخ شهر رمضان ٩٧٣هـ/ مارس ١٥٦٦م، ونص على أنه جرى تعويض كل من: قوجا علي باشا، والسيدة فاطمة زوجة قرا أحمد باشا^(٣) بدلاً من المحال التي كانت تقع في ملكهم موضع جامع مهرماه سلطان، وفي هذا إظهار لاحترام الواقفات للعرائر الخاصة؛ إذ لم يجز انتزاع ملكيتها وإنما تم تعويض أصحابها بما يناسبها، ونظراً لموقع الكلية فقد أبدع المعمار سنان في تذليل الصعاب الموجودة لتخرج العمارة بهيئتها التي طلّت بها في الموضع^(٤).

ثانياً: دور الوقف في إنشاء الكلية المعمارية:

أنشئت الكلية المعمارية لمهرماه سلطان بأدرنة قابي برعاية منظومة الوقف التي تولتها الواقفة، وهو مجمع أو كلية للعمارة الوقفية ضمت نوعين من العمائر من حيث

(١) ينظر: العناصر الزخرفية طه عمارة، ص ٦٩-٧٠؛ تذاكر المعمار سنان «دراسة وترجمة إلى العربية»، محمد السيد جاد، رسالة (ماجستير) بقسم اللغات الشرقية، كلية الآداب-جامعة عين شمس، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٨؛ والجامع المدرسة في إستانبول خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أميرة فتحي عماد السباعي، رسالة (ماجستير)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص ٧٦.

Mimarî (Hazine -I Evrak Vesikalarına Gore), (Ahmet Refik Altınay), Sander Yayınları, İstanbul, 2013, S 40; Mimar Sinan (op. cit), (Turgut Cansever), S 225; Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI, S. 348; İstanbul Gateway To Splendour A Journey Through Turkish Architecture, (Ahmet Ertuğ), Bosphorus Books, İstanbul, Turkey, 1986, P. 30.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 269.

(٣) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام عبد العال، ص ١٨٧.

(4) İstanbul Gateway (op. cit), (Ahmet Ertuğ), P. 30.

الخدمة التي تقدمها، فإما وظيفة مجانية خيرية ابتغاء وجه الله ﷻ وكعمل للخير تضم الجامع والمدرسة ومكتب الصبيان، أو وظيفة ربحية تدر دخلاً يسهم مع الموقوفات الأخرى في سد احتياجات المباني الأولى كالحمام المزدوج والمحلات التجارية، ومن ثم فقد ارتبط إنشاء هذه الكلية بالوقف الإسلامي جملةً وتفصيلاً، ليس في التمويل فقط، وإنما في الإدارة والتخطيط والتنظيم، إذ تمت محاولة إبرام اتفاق أوّلاً قبل الإنشاء بين مهرماه سلطان باعتبارها الواقفة، ومتولي أوقاف قرا أحمد باشا الذي كانت له بعض المحال الموقوفة على جامع بالمنطقة التي أرادت مهرماه سلطان بناء جامعها فيها، ومن ثم فقد وقع خلاف قانوني بينهما انتهى بصدر فتوى المفتي الشرعي أبو السعود أفندي بالسماح باستبدال أوقاف قرا أحمد باشا وتعويضها بما يناسبها، وتخصيص الموضع لبناء الكلية الوقفية لمهرماه سلطان⁽¹⁾، ومن ثم فقد أخذت إذن والدها السلطان سليمان في مباشرة أعمال البناء لمجموعتها المعمارية الوقفية بأدرنة قابي على غرار تلك التي أنشأتها بإسكدار.

وفي واقع الأمر فإن مواقع الكليتين الوقفتين لمهرماه سلطان بمدينة إستانبول أهمية لا تكاد تضاهي، وهذا دليل على قوة هذه السيدة ودورها في المجتمع والحياة العامة بمدينة إستانبول، وعلى مدى مكانة الوقف الإسلامي بالنسبة للمدينة، إذ تقع إحدهما في مدخل المدينة على الجانب الآسيوي بإسكدار لتلبية احتياجات أهل المنطقة إلى جانب القادمين إلى العاصمة من تلك الجهة، والأخرى ملتصقة بسور المدينة الغربي قرب بوابة أدرنة لرعاية أهل المنطقة والقادمين إلى العاصمة من جهة مدينة أدرنة وأوروبا، ورغم قوة التعبير للواقفة باعتبارها بنت أعظم سلاطين الدولة العثمانية بلا منازع من ناحية، وقوة تذليل الصعاب لإخراج المباني غاية في الدقة والروعة المعمارية والمهارة من قبل المعمار سنان، فإن في ثنايا كلتا الكليتين تعبيراً رمزياً آخر عن الشعور الداخلي للواقفة، ويمكن ملاحظة ذلك في وجود زوج من المآذن بجامع كلية إسكدار، وكأن سنان يعبر عن قوة الواقفة بمساندتها من والدها خاصكي حرّم، وفي وحدة مؤذنة جامع كلية أدرنة قابي لكون الواقفة وحيدة بعد

(1) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 106.

وفاة أمها ومساندتها الأولى، فجمعت العمارة الوقفية تعبيراً عن القوة في العموم، وعن الفراغ الداخلي للواقفة داخل عمارة المنشأة ذاتها، وقد لَمَّح بعض الباحثين حول هذا الأمر^(١).

لم يقتصر إسهام الأوقاف على المؤسسات والوحدات التي تنطوي داخلها فقط، إنما كانت بمنزلة إحياء لجميع المناطق المحيطة إلى جانب المنطقة الواقعة بها، وينطبق الأمر على هذه الكلية المعمارية من حيث تزويد الموقع كله وما يحيط به باحتياجاته من الماء كتسبيلٍ وقفيٍ خيري^(٢)، ومن ثم يظهر مدى الدور المهم الذي قامت به العمائر الوقفية في إحياء المناطق وسد احتياجات الناس الأساسية، وعزا بعض الباحثين أهمية إنشاء الكلية المعمارية في هذا الموضوع لاستضافة المسافرين والرحالة القادمين من أدرنة^(٣).

ثالثاً: تاريخ الإنشاء:

على غرار مجمع إسكدار ونظراً لعدم وجود نص إنشائي فقد اختلفت الآراء حول تاريخ إنشائه مجمع أدرنة قايي، وبطبيعة الحال لما كان المسجد هو أهم أجزاء الوقف المعماري بهذه الكلية فإن الآراء تتناول تاريخ إنشائه، ومن ثم فقد ذُكرت في تاريخ إنشاء المسجد عدة آراء، فيذكر أصحاب الرأي الأول أن إنشاء الجامع بدأ سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م^(٤)، ويظن أصحاب الرأي الثاني هذه الفرضية ليجعلوا الإنشاء قد تم في الفترة من ٩٤٧-٩٥٧هـ/ ١٥٤٠-١٥٥٠م^(٥)، في حين يعزو أصحاب الرأي الثالث تاريخ الإنشاء لفترة متأخرة في سنة ٩٧٠-٩٧٣هـ/ ١٥٦٢-١٥٦٥م^(٦)، وأما القول الرابع في هذا الأمر فإن أصحابه لا ينسبون حياة مهرماه سلطان دوراً في الإنشاء والتي توفيت في رأيهم سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م، إذ تم البدء في البناء بعد موتها

(1) Ibid, P. 116-117.

(2) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), P. 308.

(3) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 107.

(4) Sinan As Anti – Classicist, (Jale Erzen), In Muqarnas V, An Annual On Islamic Art And Architecture, Edited By, Oleg Grabar, Leiden, E.J Brill, 1988, P3.

(5) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 252.

(6) Ibid, P. 252.

لينتهي في الفترة من ٩٦٩-٩٧٢هـ/ ١٥٦٢-١٥٦٥م^(١)، وتفاوتت عدة آراء أخرى تحصر إنشاء المسجد ضمن السنوات المذكورة^(٢).

وعلى أيّ؛ فكل رأي مما سبق ليس له دليل قطعي الإثبات، وإنما من هذه الأدلة ما لا يُقبل جملة وتفصيلاً، ومنها الرأي الأخير الذي افترض وفاة مهرماه سلطان سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م، والذي ذهب إليه بعض الباحثين الأتراك كخليل أدهم، وتبعه في ذلك كثيرون بتكرار القول نفسه، وأكدت الباحثة ريهام يحيا أنها طبقاً للتسليم بهذا القول فإنه لا بد من أن يكون الجامع قد شيّد قبل هذه السنة^(٣)، ولكن بالنظر في الفرمان السابق إلى جانب حكم قاضي إستانبول يمكن القول: إن إنشاء الكلية بدأ سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م وانتهى بناء المسجد سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م، ثم تم البدء في تشييد باقي وحدات الكلية المعمارية الخاصة بها تبعاً.

ومن الباحثين من رجّح بناءً على مصادر رسمية أرشيفية مسجلة -من دون أن يذكرها- أن الانتهاء من بناء الجامع وبعض وحدات المجمع الوقفي لمهرماه سلطان بأدرنة قايي لم يكن في عهد والدها السلطان سليمان، وإنما كان في عهد أخيها السلطان سليم الثاني^(٤).

رابعاً: تاريخ الكلية العام:

مرت عمائر الكلية الوقفية بعدد من الأحداث والكوارث الطبيعية التي أثرت عليها بالسلب، منها زلزال الخامس من رجب ١١٣١هـ/ ٢٥ مارس ١٩١٧م والذي أثر على الجامع وقبته^(٥)، وزلزال سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٦م^(٦)، وزلزال خليج إزميت الكبير الذي ضرب بحر مرمرة ومدينة إستانبول أيضاً في السابع من شهر المحرم

(1) Turkey From Seljuks To The Ottomans, (Henri Stierlin), Koln, Lisboa, London, Newyork, Paris, Tokyo, 1998, P. 150.

(٢) فمنهم من يورّخه لبدء البناء في الجامع سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦٢م، ومنهم من آخره لبعد ذلك. ينظر: تذاكر المعمار سنان، محمد السيد جاد، ص ٦٠؛ ورسوم عمائر إستانبول الدينية، منى عثمان، ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيا عبد العال، ص ١٨٧-١٨٨.

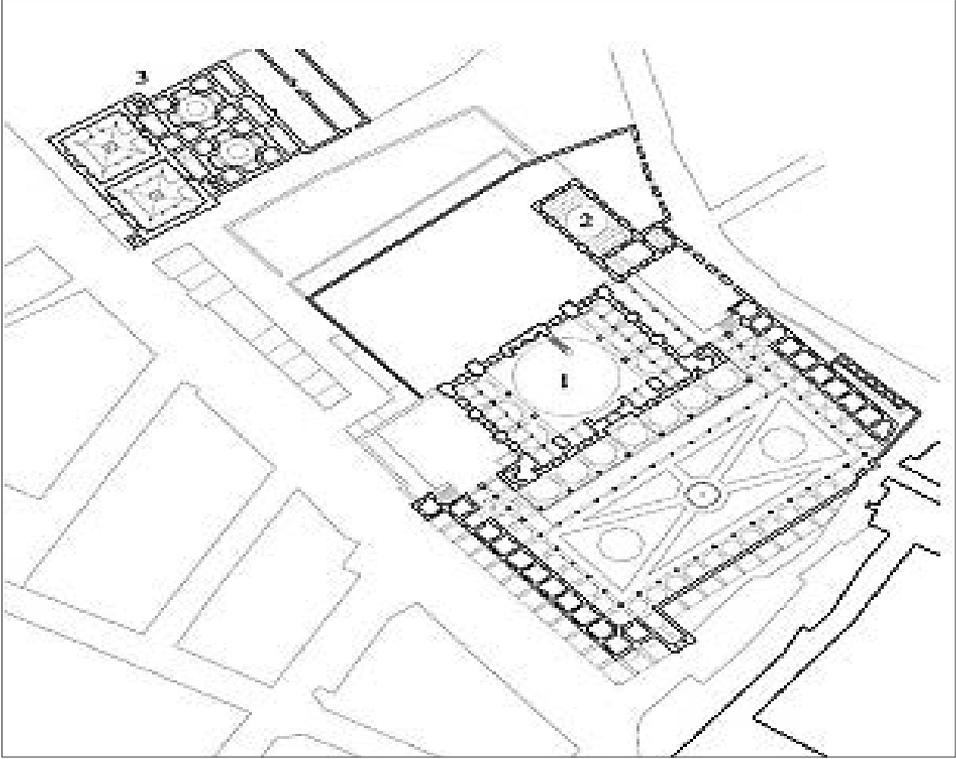
(4) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülrü Necipoğlu), P. 307.

(٥) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيا عبد العال، ص ١٨٩.

(6) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 269.

١٣١٢هـ/ ١٠ يوليو ١٨٩٤م^(١)، فجرى بعدها ترميم الجامع^(٢)، وبعد عدة سنوات رُمّت المدرسة والتُّربة ومكتب الصبيان والحمام.

خامسًا: التكوين المعماري للكلية (الصورتان: ٥٣، ٥٤):

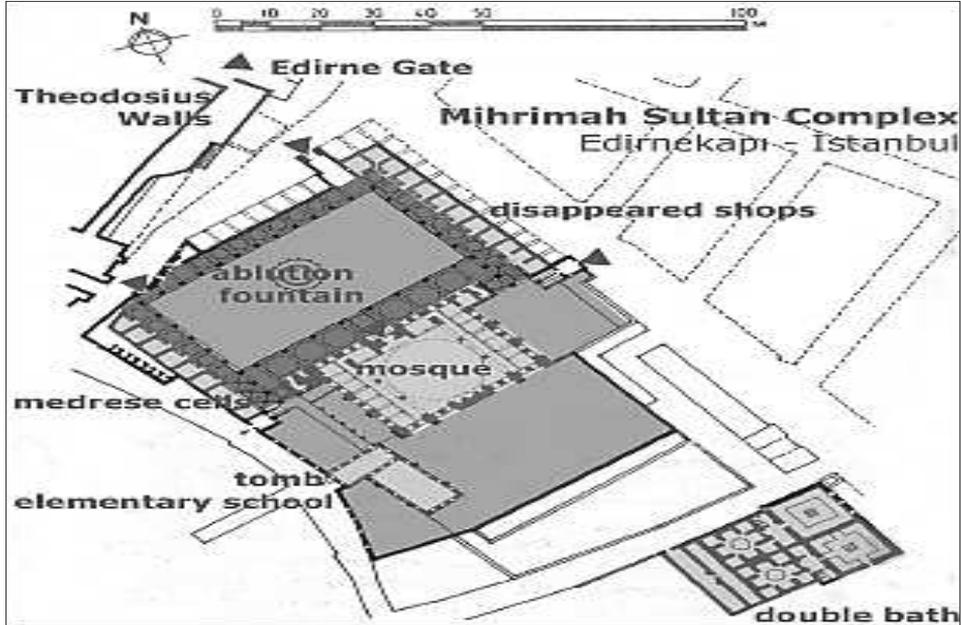


صورة (٥٣): جامع ومدرسة وحمام مهرماه سلطان بأدرنة قاي قرب بوابة أدرنة. نقلًا عن: (Archnet.org)

تشتمل الكلية المعمارية لمهرماه سلطان بأدرنة قاي على عدد من العمائر الوقفية، منها الخيرية المجانية؛ كالجامع والمدرسة ومكتب الصبيان، والتُّربة، ومنها الربحي النفعي؛ كالحمام المزدوج، والخان، وقد تم استغلال الأجزاء السفلية من واجهات الجامع لعمل مجموعة من المحلات التجارية.

(1) The Earthquake Of 10 July 1894 In The Gulf Of Izmit (Turkey) And Its Relations To The Earthquake Of 17 August 1999, (A. Ambraseys), Journal Of Seismology, 5 (1), January, 2001, P. 117-128.

(2) Osmanlı Mimarisinde (Kanuni Sultan Süleyman) (op. cit), (I. Aydın Yüksel), v Cilt VI., S. 348



صورة (٥٤): المسقط الأفقي لكلية مهرماه سلطان بأدرنة قاي عمل نجيب أوغلو. نقلًا عن: (Archnet.org)

أ) الواجهات الخارجية للكلية:

يقع الجامع والمدرسة والمحلات وتُربة حديثة ملحقة بالمجمع إلى جانب المحلات في كتلة معمارية واحدة، في حين يقع الحَمَّام إلى الجنوب الشرقي من الجامع، وللكلية حاليًا واجهة رئيسة واحدة تظهر من الخارج وهي الواجهة الشمالية الشرقية، فيما اختفت بقية الواجهات خلف المباني الحديثة، أما الواجهة الشمالية الغربية فتُمثّل واجهة عدد من خلاوي المدرسة، فيما يلتصق جزء منها بسور المدينة، وأما الواجهة الشمالية الشرقية فهي واجهة مشيّد من الحجر والآجر بالتناوب بين المداميك بنسبة مدامك حجري إلى مدامك من الآجر، وتختلف النسبة في بعض المناطق.

تنقسم الواجهة الشمالية الشرقية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الشمالي: ويمثّل واجهة المدرسة، وهي واجهة مصممة تخلو من الفتحات والزخرفة فيما عدا بعض العناصر الزخرفية البسيطة كالإزار الحجري الذي يتوج الواجهة، وبعض العقود نصف الدائرية وبعض مضاهيات النوافذ أو الكوّات المصممة غير النافذة أو المجوفة.

القسم الأوسط: وتمثله كتلة المدخل الرئيس للكلية بأقصى الشرق من المدرسة، وهو عبارة عن كتلة بارزة عن سمت جدار الواجهة يبلغ ارتفاعها ٨٠, ٧م، شُيّدت الكتلة في المستوى السفلي من الحجر يعلوه مستوى علوي من الحجر والآجر بالتبادل، وتقع فتحة باب الدخول في منتصف كتلة المدخل داخل تجويف مستطيل بسيط، ويبلغ ارتفاعها ٣٠, ٣م يتوجها عقد موتور من صنجات معشقة، ويغلق على المدخل مصراعان من الحديد، وتزخرف المستوى العلوي بكتلة المدخل ثلاثة، تجاويف متوجة بعقود مدببة من صنجات معشقة بالحجر والآجر بصدر كل منها نافذة مستطيلة تغشيها المصبعات المعدنية، ويعلو كل نافذة هيئة عقد مدبب آخر يشبه العقد السفلي الذي يُوَطر التجويف.

القسم الشرقي: وهو يمثل امتداد سور الكلية بمحاذاة بيت الصلاة بالجامع، ومن ثمَّ يقل ارتفاعه عن باقي الأجزاء، ويشغله حاليًا عدد من الدكاكين التي يتم استئجارها من الباعة، وتظهر من خلف هذا السور داخل الكلية واجهة الطابق العلوي من الواجهة الشمالية الشرقية من الجامع.

ب) الجامع:

يُعدّ الجامع من أجمل عمائر المعمار سنان الدينية وأبدعها، وواحدًا من أجمل جوامع إستانبول^(١)، سواء من حيث التخطيط المعماري رغم بساطته أم من حيث الزخارف الجصية الموجودة في الجامع، ويتميز تخطيط الجامع بتداخله مع المدرسة إذ يكملان معًا هيئة حرف (T) مقلوب، علمًا بأن المسجد في ذاته يندرج ضمن نمط المسجد القبة يتقدمه في الشمال الغربي الحرم أو الصحن، ومن ثمَّ يمكن إدراج هذا الشكل ضمن التخطيط العثماني الجامع بين التخطيط التقليدي للمسجد والمدرسة في العمارة العثمانية، بحيث استغل المعمار حرم المسجد (الصحن) لعمل خلاوي الطلاب يتقدمها رواق جهة الصحن، وتقع الخلاوي خلف الرواقين الجانبيين.

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 272.

١. الوصف الخارجي (الصورتان: ٥٥، ٥٦):



صورة (٥٥): جامع ومدرسة مهرماه بأدرنة قايي، نقلاً عن: (www.istanbul.net.tr)

للجامع واجهة خارجية بارزة هي الواجهة الشمالية الشرقية والتي تم تناولها ضمن واجهة الكلية المعمارية، فهي تقع بأقصى الشرق من الواجهة، وتتكون واجهة الجامع من عدة أجزاء أو أقسام رأسية في مستويين أفقيين، بحيث تطل واجهة القسم السفلي منها بثلاثة تجاويف كبيرة معقودة بعقود مدببة، وبكل تجويف في الجزء السفلي نافذتان مستطيلتان تغشيها المصبعات المعدنية، وتعلو كل نافذتين منها ثلاث نوافذ أخرى علوية تأخذ هيئة العقود المدببة، أو سعتها وأكثرها ارتفاعاً النافذة الوسطى، وتتميز هذه النوافذ بتغشيتها بالحص المفرغ هيئة هندسية تمثل الدوائر المتكررة وأنصافها أشبه بخلايا النحل، أما المستوى العلوي فتزينه دخلة هيئة عقد مدبب كبير فتحت فيه ثلاثة مستويات من النوافذ يعلو بعضها بعضاً، وقد فتحت بالمستوى السفلي ٧ نوافذ كل منها هيئة العقد المدبب (مطاوله)، وتعلوها ٥ نوافذ مطاولات معقودة بعقود مدببة على جانبيها قمرتان مستديرتان، وتعلوها ٥ فتحات نوافذ أخرى منها قمرتان مستديرتان في الجانبين تحصران ثلاث نوافذ مطاولات معقودة بعقود مدببة أكثرها ارتفاعاً الوسطى أيضاً، ويغشي كل هذه النوافذ العلوية الحص المفرغ الذي يشبه خلايا النحل، وعلى جانبي التجويف كتفان تعلو كلاً منهما واجهة القبة الصغيرة وتتوسطها واجهة القبة الكبيرة التي تغطي مركز بيت

الصلاة، وتحملها رقبة مستديرة فتحت بها نوافذ بهيئة العقود المدببة يغطي جميعها الجص المفرغ بهيئة خلايا النحل، ويبلغ عددها ٢٤ نافذة، وتتشابه جميع واجهات الجامع فيما عدا وجود المدخل والسقيفة التي تتقدمه جهة الصحن في الشمال الغربي.



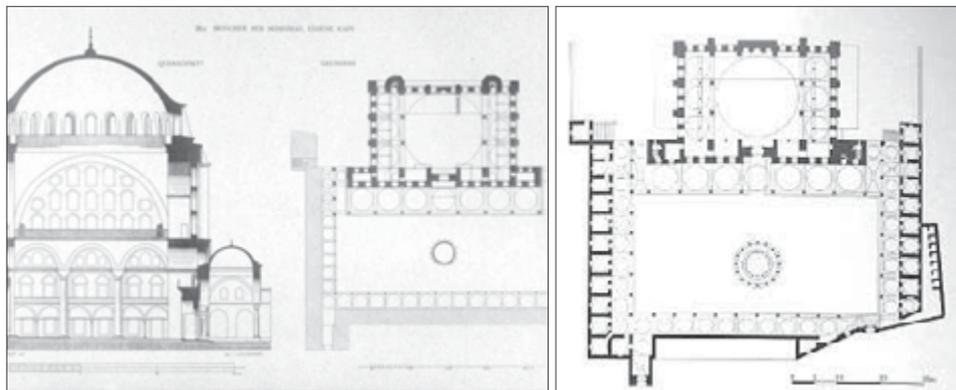
صورة (٥٦): جامع ومدرسة مهراه بأدرنة قاي قبل الترميم، نقلاً عن: (https://tr.pinterest.com)

المئذنة: للجامع مئذنة وحيدة تقع في الركن الغربي من المسجد، وهي مئذنة رشيقة على الطراز العثماني، تتكون من بدن مربع ينتهي بمنطقة انتقال من مثلثات مقلوبة مشطوفة في الأركان قمتها للأسفل وقاعدتها للأعلى، بحيث يستدق بدن المئذنة ويتحول إلى الشكل الأسطواني، وبها شرفة واحدة مقرنصة تحمل الطابق الأسطواني الثاني القصير الذي يحمل بدوره قمة المئذنة المخروطية.

الواجهة الجنوبية الشرقية: وهي واجهة القبلة، ولا تختلف عن الشكل السابق فيما عدا أنها أكبر من باقي الواجهات، ومن ثم فإنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام رأسية، يشبه القسم الأوسط منها الواجهات السابقة، فيما عدا أن المستوى السفلي به أربع نوافذ بدلاً من الـ٦ نوافذ وذلك لوقوع المحراب والمنبر بالقسم الأوسط منها، وعلى جانبي القسم الأوسط قسمان جانبيين متشابهان بكل منهما تجويف بهيئة العقد المدبب فتحت بأسفله نافذتان مستطيلتان، تعلوهما نافذتان مستطيلتان أيضاً تغشيهما المصعبات المعدنية، وتعلوهما داخل التجويف ثلاث فتحات نوافذ معقودة بعقود مدببة، أوسعها وأكثرها ارتفاعاً النافذة الوسطى، ويغشيهما الجص المفرغ

هيئة خلايا النحل، وتعلو كل قسم من المستويين الجانبيين واجهة درج يؤدي لأعلى القبة المركزية، كل منهما من ٩ درجات صاعدة تبدأ من الطرف الخارجي وتنتهي إلى الداخل، وقد أُستغل امتداد هذا الدرج لعمل نافذة مفتوحة بهيئة العقد المدبب.

٢. التخطيط الداخلي للجامع (الصورتان: ٥٧، ٥٨):

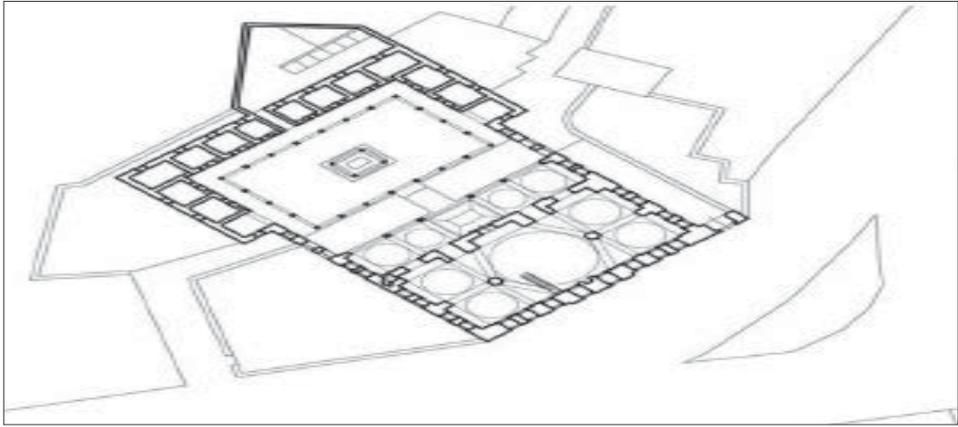


صورة (٥٨): مسجد ومدرسة مهرداد بأدرنة قاي، عمل (Gurlitt) سنة ١٩١٢ م. نقلاً عن: (Archnet. org)

صورة (٥٧): المسقط لجامع مهرداد سلطان ومدرستها بأدرنة قاي. نقلاً عن: (Kuban, Ottoman Architecture, p. 276)

يتكون الجامع من بيت الصلاة (الحرم المغطى) يتقدمه في الشمال الغربي الحرم المكشوف الذي قام بوظيفة المدرسة، ومن ثم فإن الجامع الفريد بين منشآت نساء القصر العثماني يتميز بأنه يندرج ضمن التخطيط الجامع بين التخطيط التقليدي للمسجد والمدرسة، وبيت الصلاة يتكون من مسقط أفقي مستطيل الشكل يبلغ طول ضلعه ٣٤,٣٠ م وعرضه ٢١,٧٠ م، وينقسم إلى ثلاث مناطق بحيث تتوسطه منطقة مركزية تعلوها قبة الجامع، وعلى جانبيها رواقان يطلان على المنطقة الوسطى ببائكة في كل جهة من ثلاثة عقود مدببة، وينقسم كل رواق إلى ثلاث مناطق مربعة يغطي كلاً منها قبة صغيرة، ومن ثم فهو يندرج ضمن نمط القلب والجناحان من أنماط المسجد القبة، وهو يشبه في التخطيط جامع سنان باشا في بشكطاش بإستانبول ٩٦٣-٩٦١ هـ/١٥٥٣-١٥٥٥ م (صورة: ٥٩)، غير أنه توجد بكل رواق جانبي من الجناحين قبتان فقط، أما في جامع مهرداد سلطان فتوجد ثلاث قباب بك جناح. وقد أبدع المعمار سنان في التخطيط الداخلي لبيت الصلاة عن طريق الامتداد

الجانب المتساوي من دون استعمال أنصاف القباب، أو اللجوء إلى أووين بوسط الأضلاع، ومن ثم لم يهدر المساحة الموجودة بأركان بيت الصلاة لتدخل في حيز بيت الصلاة، ويتقدم المسجد من الشمال الغربي سقيفة أو رواق خارجي ينقسم إلى سبع مناطق مربعة يغطي كلاً منها قبة، ويقع مدخل الجامع الوحيد بمتصف السقيفة، وإلى الشمال الغربي من السقيفة تقع المدرسة، ومن ثم يكون المعمار سنان قد ألحق ببيت الصلاة في المسجد ثلاثة أروقة؛ اثنان جانبيان في الداخل، وسقيفة أو رواق يتقدمه في الشمال الغربي من الخارج.



صورة (٥٩): المسقط الأفقي لجامع ومدرسة سنان باشا في بشكطاش. نقلاً عن: (Necipoglu, The age of Sinan, p. 417)

جدار القبلة (صورة: ٦٠): يمتد بطول ٦٠, ٢٠م وتقع بمتصفه كتلة المحراب إلى جانبها الجنوبي المنبر، وينقسم الجدار بواسطة أربع دعائم حجرية إلى أجزاء أهمها وأكبرها الجزء الأوسط، أما الجانبان فيمثلان الجهة الداخلية لفتحات النوافذ. المحراب: يقع في كتلة رخامية مستطيلة بيضاء، وهو عبارة عن تجويف أو حنية متعددة الأضلاع تخلو من أي زخارف أو كتابات يتوجها طاقة مخروطية تملؤها صفوف المقرنصات في حطات ذات دلالات، وتعلو المحراب لوحة رخامية كتب عليها بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء الاقتباس القرآني: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيًّا الْمِحْرَابَ﴾^(١)، وعلى جانبي المحراب شمعدانان من النحاس تشد كلاً منهما إلى

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٣٧.



صورة (٦٠): جدار القبلة بجامع مهران بأدرنة قاي، نقلاً عن: (Fwww.talhaelektronik.com)

الجدار حبالاً لتشيتهما، وعلى جانب كل شمعدان فتحة باب بواقع فتحة في كل جانب تأخذ الشكل المستطيل، ويغلق عليها باب خشبي من مصراعين تزينهما زخارف المعقلي تستخدم كخزانة حائطية، وتعلو فتحة الباب هيئة العقد المدبب تملؤها الاقتباسات القرآنية، على إحداهما: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾^(١)، والأخرى ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ فَثَمَّ وَجَّهَ اللَّهُ﴾^(٢)، وهي منفذة بخط ثلث أبيض على أرضية زرقاء.

المنبر: وهو منبر رخامي تقليدي يتكون من صدر مقرنص يتوسطه باب المقدم يؤدي إلى الدرج ويحفه الدرابزين الرخامي المفرغ على هيئة قاطوع مائل يشكل زخارف هندسية متشابكة من: الدوائر وأنصاف الدوائر، والمعينات والنجوم السداسية، وبأسفل الدرابزين تقع ريشتا المنبر وقد قسمت كل منها إلى حشوات مثلثة تشغل أغلب مساحة الريشة، يحددها أطر مذهبة وتملؤها الزخارف النباتية، إلى جانب الزخارف الهندسية الأخرى من مضلعات ونجوم سداسية، ويؤدي الدرج إلى جلسة الخطيب التي تعلوها أربعة قوائم رخامية ذات تيجان كورنثية تشكل

(١) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١١٥.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ١١٥.

بينها عقودٌ مدببة، ويعلو الجلسة جوسق مذهب ينتهي بقمة مدببة على هيئة المآذن العثمانية يعلوها قائم نحاسي ذو انتفاخات ينتهي بهلال.

كرسي المقرئ: يقع على جانب المحراب في الجهة الأخرى عكس اتجاه المنبر، وهو ذو شكل مكعب من الخشب النقي مكون من حشوات معشقة بهيئة المعقلي القائم وأشكال هندسية.

الجدار الشمالي الغربي: يقابل جدار القبلة، ويشرف على المنطقة المركزية لبيت الصلاة ببائكة من ثلاثة عقود مدببة تقوم على أربع دعائم حجرية ملتصقة بالجدار، والعقد الأوسط أكثرها اتساعاً، ويزين كل عقد شريط زخرفي على هيئة أوراق نباتية ثلاثية تحتوي على زخارف نباتية مفرغة، وتزين كوشات العقود مثلثات رخامية بها كتابات مذهبة على أرضية حمراء تضم اسمي الخليفين الراشدين (عثمان، علي)، ويتوسط هذا الجدار فتحة باب الدخول للجامع، وتشابه محتويات العقدین الجانبيين إذ إن كلاً منهما من مستويين أو طابقين، بالطابق السفلي عقدان مدبان صغيران يرتكزان على عمود رخامي، ويعلو العقدین عقد آخر كبير يمثل واجهة المحفل، أما العقد الأوسط فتتوسطه فتحة باب الدخول بمنتصف الجامع ويؤطرها حلية بهيئة العقد المفصص.

الجهتان الجانبيتان: وهما الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وتطل كل منهما ببائكة معقودة بثلاثة عقود مدببة ترتكز على عمودين من الجرانيت الوردی لها تيجان مقرنصة، وزينت كوشات العقود أيضاً بأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر، عمر، عثمان، علي)، ويحتوي كل رواق من الجناحين على مستويين، بالمستوى السفلي ٦ عقود مدببة ترتكز على أعمدة رخامية تحمل سقف المحفل العلوي الذي يأخذ نصف مساحة الرواق جهة الخارج، والتي تفتح فيها النوافذ الخارجية، وهي نوافذ تأخذ هيئة مستطيلة تغلق عليها أبواب خشبية، وتعلو كل نافذة دخلة بهيئة العقد المدبب تملؤها الزخارف النباتية المتداخلة كالرومي والهاتاي منفذة بلون أبيض على أرضية زرقاء يتوسطها زهرة العنب بلون أحمر، ويؤطر هيئة العقد شريط من الزخارف في شكل متتابع أشبه ما يكون بالبائكة الملتفة بعقود مفصصة تأخذ هيئة الورقة النباتية الثلاثية أو متعددة الفصوص.

المحفل: وهو المحفل الرئيس ويقع بالطابق العلوي من المسجد على امتداد الجدران المحيطة بالقبة المركزية في هيئة تشبه حرف (U)، إذ يمتد بطول الجدار الشمالي الغربي وينقسم فيه إلى جزأين يفصلهما باب الدخول، ويمتد في الطابق الثاني من الرواقين الجانبيين (جناحي المسجد) ليحتل نصف مساحة الجناحين في الجهات الخارجية، وقد استُخدمت بعض أجزاءه، خاصة في الجهة الشمالية الشرقية كمصلى نسائي؛ إذ يحيط به سياج خشبي بمنزلة المقصورة الخشبية ليستر النساء المصليات، كما استُخدمت الأجزاء السفلية بالرواقين الجانبيين جهة الشمال الغربي كمصليات نسائية ذات سياج خشبي.

وأما عن الوظيفة الأساسية للمحفل فإن وثائق الوقف تذكرها من دون شك في ذلك، فبدلاً من تحبُّط الباحثين وكلُّ يُدلي بدلوه، فمنهم من يرى أنها مصليات نسائية (وقد تكون بالفعل استغلَّت لذلك أحياناً)، أو للأذان أحياناً، فإنَّ وثائق الوقف تثبت أن المحفل إنما كانت للذكر والتلاوة، وكما رأينا في هذه الدراسة أن وثائق الوقف تشترط على القراء الذين يتم تعيينهم لقراءة الختمات على حسب نصوص الوقفية، فإنها كانت تشترط أن تتمَّ قراءتهم في المحفل الكبير أو الرئيس، وعلى اختلاف أوقات الختمات فيما بعد صلاة الفجر والظهر والعصر، واختلاف وقت الختمات الأخرى، ووقت أذكار الموحدين فقد كانت تتم جميعها في المحفل، وربما أعدَّ هذا الأمر لعدم شغل الساحة المخصصة للصلاة في غير الصلاة ولو كانت للذكر وقراءة القرآن، وهو ما يظهر حرص الواقفات التي تتناوهند الدراسة على إقامة الشعائر الإسلامية على أكمل وجه.

القبة المركزية (صورة: ٦١): تشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦٠, ٢٠م وتنخفض عن أرضية الأروقة المحيطة بها، وهي بمنزلة القلب تغطيها قبة يبلغ ارتفاعها ٣٧م، وقطرها ١٩, ٢٠م تقوم على مناطق انتقال من مثلثات كروية مقلوبة، وتقوم مناطق الانتقال بتحويل المربع السفلي إلى رقبة مستديرة فتحت بها عدة نوافذ تبلغ ٢٤ نافذة معقودة، يغشي جميعها الجص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون ليعطي أشكالاً زخرفية نباتية غاية في الإبداع والروعة تجعل الناظر إليها يستشعر أنه في

مملكة نباتية عثمانية أو حديقة غناء، ويزين فتحات النوافذ شريط زخرفي، أما باطن القبة من الأسفل فيزينه شريط من أشكال هندسية مسننة الثمانية الأضلاع تملؤها الزخارف اللوزية والبيضاوية والأوراق النباتية وغيرها منفذة بالألوان الصفراء والحمراء والبيضاء والسوداء، وأما مركز القبة من الداخل فتزينه ثلاث جامات أو دوائر أصغرهما الداخلية وأكبرها الخارجية، ويجدها شريط من الزخرفة مماثل للشريط السابق، وتحتوي الدائرة الخارجية على زخارف نباتية محورة كالهاتاي، في حين تملأ النقوش الكتابية الدائرة الوسطى والمنفذة بشكل متداخل بخط الثلث في هيئة هندسية؛ تمثل الاقتباس القرآني من سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوذٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وأما الدائرة الداخلية فتملؤها الزخارف الهندسية من نجوم وأشكال سداسية متشابكة بخطوط تشكل في مركز الدائرة زخرفة نجمية متعددة الأضلاع، ونفذت الزخارف بألوان متعددة.



صورة (٦١): القبة المركزية وأماكن انتقالها بجامع مهرماه بأرنة قاي، نقلاً عن (<https://www.alamy.com/>)

(١) سورة النور، الآية رقم ٣٥.

٣. السمات المعمارية بالجامع:

يُعدّ الجامع - ولأول وهلة - إبداعاً معمارياً فنياً فريداً من المعمار سنان أنشأه برعاية الوقف الإسلامي لمهرماه سلطان، وهو قمة التجلي العثماني في الزخارف والتغشيات الجصية المعشقة بالزجاج الملون، وفي تداخل الزخارف النباتية جنباً إلى جنب مع الزخارف الهندسية.

وتمثل زيادة الفراغ الموجود بالمنطقة المركزية والقبة التي تغطيها مرحلة انتقالية تطوراً إنشائياً جديداً للمعمار سنان في زيادة قطر القبة وارتفاعها مع عدم وجود أنصاف القباب المتعامدة على القبة المركزية، وإنما استعاض عن ذلك بالجناحين لزيادة مساحة الفراغ المتاح للصلاة في المسجد، مع تقسيم كل جناح منهما إلى ثلاث قباب تقع أسفلها عدة مستويات مختلفة تبعاً للوحدات والعناصر الإنشائية الموجودة بها. وقد أبدع سنان في زيادة حجم المحفل الرئيس الذي شغل الطابق العلوي^(١) من المسجد، والذي كان يستخدم لقراءة الختمات والدعوات من قبل القراء والذاكرين. تُعدّ وحدة المئذنة في الجامع - كونها أتت منفردة على عكس جامعها في إسكندار والذي يشتمل على مئذنتين - ميزة في المجمع لا عيباً، إذ إنها ربما تحمل في طياتها رمزية عن مدى تأثر مهرماه سلطان وفقدها لكثير من السلطة والهيمنة عقب موت والدتها خاصكي خرم سلطان، فكأن المعمار سنان أراد أن يعبر بوحدة المئذنة عن الفراغ الذي شعرت به مهرماه سلطان وكونها وحيدة بلا مساند لها فأتى جامعها بمئذنة وحيدة^(٢)، لا سيما أن ثمة علاقة وطيدة بين العمارة والتعبير عن صاحب العمارة إذ تأتي مصورة لوجدانه وشعوره.

(١) أفادت وثائق الوقف كثيراً في فهم طبيعة الطوابق العليا من المساجد العثمانية، إذ كان الواقف يخصص لها مسؤولين يهتمون بتنظيفها ورعايتها غير الموظفين المسؤولين عن العناية بأرضية المساجد، ويُعدّ هذا المثل أكبر نموذج للدلالة على العلاقة بين النص الوقفي والوحدات والعناصر المعمارية؛ إذ إن أحدهما ينظم مسؤولية الآخر وعمله، والثاني يكشف الغموض عن الأول، فقد أورد الواقفون في نصوص الوقف حول الفراشين والقيمين الذين يتم تعيينهم لحراسة المسجد والعناية بنظافة المسجد وكنسه ومسحه نصوصاً خاصة مهمة، وقد ورد في بعضها النص التالي في توظيف القيمين (كمسنه لري إيكيسي طبقه لرده)، وتعني (وموظفين يعملان بالطوابق - أي الطوابق العليا من المسجد - وهي غالباً المحافل)، وأما في نص توظيف الفراشين (كمسنه لرفراش اولوب، درت نفري جامع شريفني، وإيكيني نفري طبقه لري). ينظر: قفبة خديجة تورخان، ص ٣٩، س ١، ١٣-١٤.

(2) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firuzan Sümertas), P. 116.

٤. دور الوقف في ترميم المسجد:

سبق أن أشرنا إلى بعض الحوادث التي مرت بالجامع والمنطقة عمومًا كالزلازل وغيرها مما ترتب عليه تهدم بعض العناصر والأجزاء المعمارية من المسجد، وقد كان يقوم الوقف بالعناية بما تهدم وإصلاحه، وكان آخرها زلزال سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م إذ تهدمت بعض أجزاء المسجد فتم ترميمه وإصلاحه من قبل الأوقاف^(١)، وقد زيدت بعض المساحات وأدخلت ضمن المسجد على يد السلطان أحمد الأول في الرواق الشمالي الغربي الخارجي وذلك سنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م^(٢).

ج) الحرم المكشوف (الصحن) والمدرسة:

تمثل المدرسة حرم الجامع الخارجي، وتقع إلى الشمال الغربي منه، ويتكون حرم الجامع أساسًا من مساحة شبه مستطيلة يتوسطها صحن أو وسط مكشوف يتوسطه شاذروان أو نافورة المسجد، ويحيط بالصحن رواق من الجهات الأربع، وينقسم كل رواق منها إلى عدد من المربعات تغطيها قباب ضحلة وصغيرة أصغر من قباب السقيفة التي تتقدم المسجد، ومن ثم فإن المعمار سنان قد بيّن بوضوح حدّ الجامع من المدرسة.

١- الشاذروان: وهو النافورة أو الميضأة أو الفسقية، وهو عبارة عن كتلة رخامية تتكون من ١٦ ضلعًا أقرب ما تكون في هيئة مستديرة، بحيث يأخذ كل ضلع من أضلاعها هيئة عقد مدبب يرتكز على عمودين من الرخام، ويتوسط كتلة الشاذروان بدن النافورة المضلع الرخامي بحيث يوجد صنبور بكل ضلع، وتتقدمها مصطبة لجلوس المتوضئين، ويغطي النافورة من الأسفل سقف خشبي مسطح يعلوه رفرف خشبي مائل، وتنتهي من الخارج بقبة مضلعة يخرج من منتصفها قائم أو سفود معدني مذهب ذو ثلاثة انتفاخات، وتغطي القبة والرفرف من الخارج ألواح الرصاص لمقاومة العوامل الجوية (صورة: ٦٢).

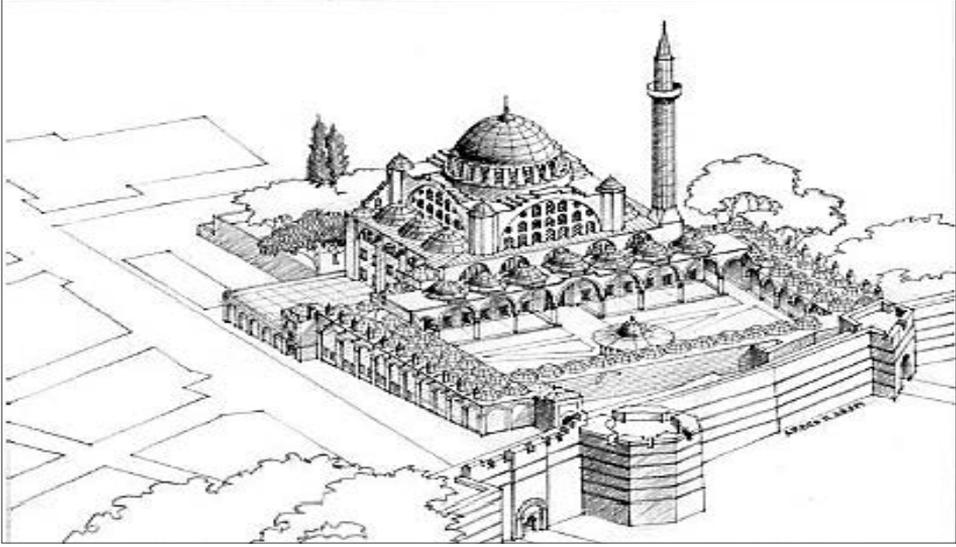
(1) Osmanlı Mimarısında Kanüni Sultan Süleyman, (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 349.

(٢) ينظر: رسوم العمائر الدينية، منى عثمان، ص ١٩٤؛ وعمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ٢٠٨.



صورة (٦٢): صحن وشاذروان وبائكة السقيفة الخارجية لمسجد مهرماه بأدرنة قاي، نقلاً عن: (istanbuldagez.ne)

٢- الأروقة: يحيط بالصحن ثلاثة أروقة إلى جانب سقيفة المسجد في الجنوب الشرقي من الصحن (يتقدمها حالياً رواق آخر جهة الصحن يطل على الصحن ببائكة من ١٣ عقداً نصف دائري ليمثل الرواق المواجه له، ولكن يغطي هذا الرواق سقف جمالوني وليس قباب بما يشير إلى أنه ليس أصيلاً في الإنشاء)، وترتفع أرضية الأروقة عن أرضية الصحن قليلاً، وينقسم كل رواق إلى عدد من المربعات تغطيها قباب ضحلة، فيما يطل على الصحن ببائكة من عقود مدببة تركز على أعمدة من الحجر الجيري لها تيجان مقرنصة، وذلك بواقع ٥ عقود في الجهات الجانبية بدلاً من ٦ قبل زيادة الرواق الذي يتقدم السقيفة، و١٣ عقداً في الجهة الشمالية الغربية، أما سقيفة الجامع فكانت تطل على الصحن بواسطة ٩ عقود، منها ٧ عقود مدببة كبيرة وعقدان جانبيان صغيران، وحالياً تطل على الرواق المضاف وليس الصحن ببائكة من عقود نصف دائرية (صورة: ٦٣).



صورة (٦٣): منظور لجامع مهرماه سلطان ومدرستها بأدرنة قاي، عمل (نجيب أوغلو). نقلاً عن: (Archnet)

٣- خلاوي الطلاب: تقع خلاوي الطلاب خلف الجدران الجانبية في الجنوب الغربي والشمال الشرقي، وذلك بواقع ثماني حجرات بكل جانب تأخذ جميعها التخطيط المربع عدا الحجرة الواقعة في الركن الغربي فهي غير منتظمة التخطيط لوقوع سور المدينة قرب هذه الجهة من الكلية الوقفية لمهرماه سلطان، وتبلغ بذلك خلاوي الطلاب ١٦ خلوة، إلى جانب خلوة تقع بأقصى شمال الرواق الشمالي الشرقي مجاورة لمدخل الكلية الفرعي من هذه الجهة لتقع على امتداد الرواق وليس الخلاوي الأخرى لتشكل الحجرات في هذا الضلع هيئة حرف (L)، ويبلغ بذلك عدد الحجرات ١٧ حجرة كما ذكرت الوقفية الخاصة بمهرماه سلطان، وذلك لأن الخلاوي تنتهي بانتهاء الصحن جهة السقيفة، أما بعض الباحثين فيجعل عدد الخلاوي ١٩ بدلاً من ١٧ اعتماداً على وجود ٨ خلوات بالجهة الجنوبية الغربية، و١١ خلوة بالجهة الشمالية الشرقية^(١)، وقد نتجت هذه الزيادة عن إدخال الحجرات الزائدة بمحاذاة سقيفة الجامع ضمن خلاوي المدرسة، وهو أمر لا أظنه صائباً، لا

(1) Osmanlı Mimarısında Kanüni Sultan Süleyman, (op. cit), (I. Aydın Yüksel), Cilt VI., S. 350.

سيما في اختلاف التخطيط الداخلي وفتحات الأبواب، إذ تقع بكل جهة مجموعة من الحجرات على امتداد سقيفة الجامع الخارجية والجدار الشمالي الغربي، وهي ٣ حجرات بكل جهة بحيث تفتح الحجرة الوسطى منها على الرواق بكامل اتساعها، في حين تفتح الحجرات الجانبية عليها من جهة، وعلى الرواق الخارجي من جهة، وتوجد حجرة أخرى بأقصى جنوب الخلاوي الجنوبية الغربية، ومن ثم يمكن أن تكون حجرات الإقامة للحراس أو البوابين.

وتفتح بكل خلوة فتحتين تطلان على الرواق: إحداهما فتحة باب الدخول وهي ترتفع عن أرضية الرواق ويغلق عليها مصراع خشبي، والأخرى نافذة داخل تجويف رخامي مستطيل الشكل تغطيها مصبغات معدنية ويغلق عليها مصراعان خشبيان.

وما يميز المدرسة عدم وجود قاعة للدرس (درس خانة)، وهي تشبه في ذلك مدرسة سنان باشا في بشكطاش (٩٦١-٩٦٣هـ/ ١٥٥٣-١٥٥٥م)، مثلها مثل الجامع^(١).

(د) التربة ومكتب الصبيان:

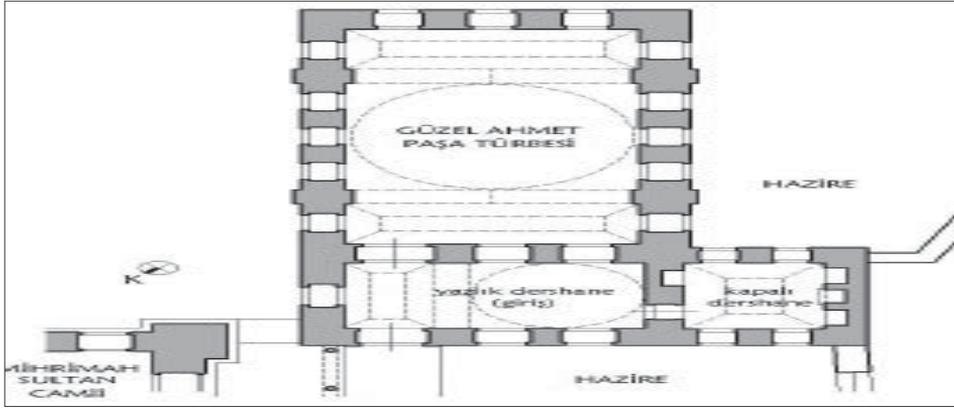
١. مكتب الصبيان:

أنشئ مكتب الصبيان في سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م^(٢)، ويرى كوران أن إنشاء مكتب الصبيان لم يكن في المرحلة الأولى التي شُيِّد فيها الجامع، أو الجامع والحمام، وإنما أتى بعدهما لأهمية المنشآت السابقة الأولى^(٣)، ومن حيث تخطيطه المعماري فإن المكتب صغير الحجم، عبارة عن مساحة من تخطيط مستطيل تمتد من الشرق إلى الغرب بطول حوالي ٣٠، ١١م تغطيه في المنتصف قبة، وينقسم المكتب إلى جزأين إذ نصل إليه عبر مدخل في الجهة الشمالية الشرقية يؤدي إلى رحبة تفتح على مركز المكتب بعقد مدبب بكامل اتساع الرحبة، وإلى الغرب غرفة مستطيلة يغطيها سقف من

(١) ينظر: الجامع المدرسة، أميرة عماد السباعي، ص ٦٨.

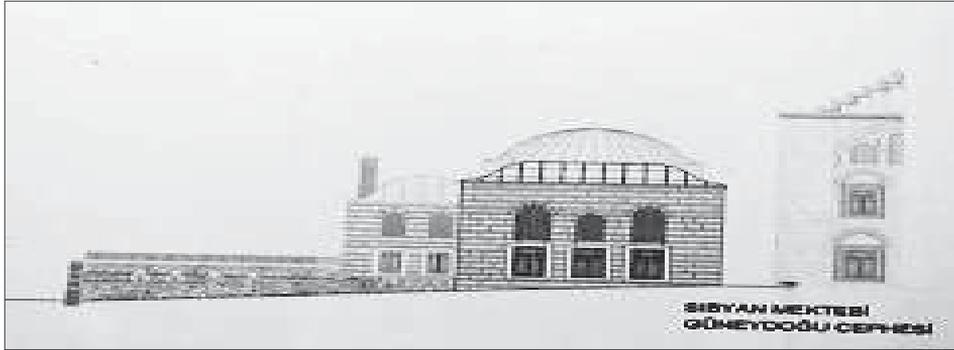
(2) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 107

(3) Mimar Sinan (op. cit), (Aptullah Kuran), P.127.



صورة (٦٤): مسقط أفقي لمكتب الصبيان وثربة أحمد باشا الوسيم الملحقة بكلية مهرماه بأدرنة قاضي.
نقلًا عن: Balcan & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s. 111

قبو متقاطع، وهي غرفة يفصلها عن المكتب جدار به فتحة باب معقودة، وربما استخدمت الغرفة لإقامة معلم الصبيان، وتقع الغرفة خارج امتداد جدار المكتب بمحاذاة جدار التربة، لتشكل الغرفة امتدادًا يعطي هيئة حرف (L) (صورة: ٦٤). وأما من الخارج فالمكتب بسيط فتحت بكل ضلع منه في المستوى العلوي نوافذ بهيئة العقد نصف الدائري يغطيها جص مفرغ بأشكال هندسية من الدوائر



صورة (٦٥): تفرغ لواجهة مكتب الصبيان لمهرماه سلطان في أدرنة قاضي.
نقلًا عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول.

وأنصافها وبأسفلها نوافذ مستطيلة تغطيها مصبغات معدنية (صورة: ٦٥)، وأما أسلوب البناء فهو بالحجر والآجر بالتناوب ما بين مدماك حجري وثلاثة مداميك من الآجر (١: ٣).

٢. التُّربة:

الموقع: تقع التُّربة ملتصقة بمكتب الصبيان إلى الزاوية الجنوبية من الجامع، وإلى الجنوب الشرقي من مكتب الصبيان بكلية مهرماه سلطان (صورة: ٦٤).

صاحب التُّربة: هو أحمد باشا الوسيم أو (Güzelce Ahmed Paşa)، وهو صهر مهرماه سلطان وزوج ابنتها، تولى أولاً منصب أمير البحر «قبطان داريا» إذ كان والده أحمد باشا حاكماً لتونس من قبل الدولة العثمانية، وشغل منصب الصدارة العظمى لمدة سنة وثلاثة أشهر، بين ١٧ المحرم ١٠٢٩هـ/ ٢٣ ديسمبر ١٦١٩م و١٦ ربيع الآخر ١٠٣٠هـ/ ٩ مارس ١٦٢١م في أثناء عهد السلطان عثمان الثاني^(١)، في حين يذكر (فريلي) أن التُّربة تخصَّ سيميز علي باشا (Semiz Ali Pasha) الذي تولى الصدارة العظمى بعد وفاة رستم باشا زوج مهرماه سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م^(٢)، وهو رأي بعيد عن الصواب تماماً، وأما عن تاريخ بناء التُّربة بالمجمع فقد اختلفت الآراء حول ذلك، فبينما يذكر نجيب أوغلو أنها بنيت في حدود سنة ٩٨٣هـ/ ١٥٧٦م^(٣)، نجد الرحالة الألماني (غير لاخ) قد أورد أن بناءها فيما بين عامي ٩٨٠هـ و ٩٨٥هـ/ ١٥٧٣م و ١٥٧٨م^(٤)، أما عبد الله كوران فيذكر أن تاريخ إنشاء التُّربة كان سنة ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠-١٥٨١م^(٥)، وعلى أي حال فليس هناك تأكيد حول تاريخ الإنشاء بسنة معينة، والمهم من ذلك أن أحمد باشا الوسيم قد دفن فيها بعد وفاته في شهر ربيع الآخر ١٠٣٠هـ/ مارس ١٦٢١م.

التخطيط المعماري للتُّربة: تأخذ التُّربة هيئة مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب يتقدمه مكتب الصبيان، ويبلغ طول أضلاعها ٨٠, ١٥ x ٩٠, ٧م، وتكوّن مع مكتب الصبيان هيئة حرف (L)، وتغطي التُّربة قبة مركزية في المنتصف على جانبيها أقبية، في حين يذكر بعض الباحثين أن الجانبين كانت تغطيها قباب^(٦)، ويُدخل إلى التُّربة عبر

(1) Osmanli Tarihi iii (op. cit), (Ismail Hakki Uzunçarşılı) Cilt 2, S. 373-374

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 272.

(3) Sinan Çağı, (Gürlü Necipoğlu), Osmanlı İmparatorluğu'nda Mimarî Kültür, (Çev. Gül Çağalı Güven), Bilgi Üniversitesi Yayınları, İstanbul, 2013, S. 721.

(4) Büyük Usta Mimar Sinan, (Ahmet Emre Bilgili), (Proje Yetkilisi), Proje Paydaşları, İstanbul, Eylül 2015, S. 105.

(5) Mimar Sinan (op. cit), (Aptullah Kuran), P. 322

(6) Büyük Usta Mimar Sinan (op. cit), (Ahmet Emre Bilgili), S. 105.

مدخل في الجهة الشمالية، وعلى جانبيه نافذتان يقابلهما في الجهة الجنوبية ثلاث نوافذ، أما الجهتان (الشرقية والغربية) ففتح بكل منهما خمس نوافذ. وقد مرّت التربة ومكتب الصبيان بعدد من الترميمات كان آخرها في أثناء الفترة من سنة ٢٠٠٠م إلى ٢٠١٥م، بالتزامن مع ترميم المجمع^(١).

١. هـ) حَمّام مهرماه سلطان بأدرنة قاي (٩٧٣هـ / ١٥٦٥-١٥٦٦م):

١. الموقع:

يقع الحَمّام بمنطقة أدرنة قاي Edirne Kapı (باب أدرنة) عند تقاطع شارع فوزي باشا (Fevzi Paşa Cad.) وزقاق إروغلو (Eroğlu Sok.) في الجهة الجنوبية الشرقية لكلية مهرماه سلطان منفصلاً عنها، ويعرف نسبة لموقعه باسم حَمّام أدرنة قاي.

٢. تاريخ الحَمّام:

يُعدّ الحَمّام من أهم منشآت كلية مهرماه سلطان، وقد أورد أوليا جلبي إشارات حول النشاط الذي يتم داخل الحَمّام بما يفيد قطعاً بتغير نشاطه الأصلي ووظيفته الأساسية، إذ يشير إلى أنه أُستُخدم لبيع الألبان في القرن ١١هـ / ١٧م^(٢)، وقد تضاربت الأقوال حول تاريخ نشأة الحَمّام، ولكن الأرجح وفقاً للفرمان الذي أصدره السلطان سليمان القانوني لابنته الذي نص على السماح لها بإنشاء حَمّام بجانب جامعها في أدرنة قاي والذي شيّد ما بين ٩٧٠هـ و٩٧٣هـ / ١٥٦٣م و١٥٦٦م، وقد تعرض الحَمّام لأضرار بالغة إثر الكوارث الطبيعية كالزلازل والحرائق منها زلزال سنة ١١٣٤هـ / ١٧١٩م الذي أدى إلى سقوط التغطيات فتم ترميمه بعد ذلك بسنوات^(٣)، وظلّ الحَمّام مستخدماً في الأنشطة الربحية ليُدْر دخلاً على الكلية الوقفية الملحق بها، إما بوظيفته الأساسية أو بالأنشطة التجارية الأخرى حتى توقف الحَمّام عن العمل سنة ١٩١٧م، وظل مهجوراً فترة من الزمن، وتحولت بعض أجزائه كمصنع للغزل حتى تم ترميم الحَمّام من قِبَل مديره سنة ١٩٦٠م، ومن ثمّ جُددت واجهته

(1) Ibid, S. 105.

(2) ينظر: سياحنامه سي، أوليا جلبي، برنجلي جلد، ص ٣٣١.

(3) Edirne Kapı Camii Ve Külliyesi, (Semavi Eyice), Islam Ansiklopedisi, Cilt 10, S. 448.

الرئيسة والچشمة الملاصقة لها سنة ١٩٨٨ م^(١)، وبقي يعمل بوظيفته الأساسية في الوقت الحالي.

٣. التكوين المعماري للحمام:

يندرج الحمام ضمن التخطيط التقليدي لعمارات الحمامات العثمانية، وهو حمام مزدوج أيضًا ينقسم إلى حمامين متماثلين أحدهما للرجال والآخر للنساء، ولكل حمام مدخله الخاص به يفضي إلى الحجرة الباردة، وقد أضيفت بعض العناصر الحديثة للحمام غيرت من طابعه الأثري كالأسقف الخشبية بالحجرات الباردة، وإضافة مغطس إلى حمام النساء الذي تم تقسيمه إلى مستويين (سفلي وعلوي)، وقد تغيرت وظيفة بعض الحجرات حيث تم تحويل إحدى خلوات الحجرة الساخنة للرجال إلى غرفة ساونا بالبخار، وغير ذلك، وعلى الرغم من أن مواد البناء الأساسية التي كانت مستخدمة في بناء الجدران والتغطيات هي الحجر والآجر إلى جانب تكسية الأرضية بالرخام فقد تمت كسوة واجهات وقباب الحمام من الخارج بالإسمنت الحديث.

٤. الواجهات:

للحمام ثلاث واجهات خارجية بنيت بالحجر والآجر بنسب متفاوتة، وتظهر الواجهة الشمالية الشرقية حاليًا، فيما تُخفي المباني الحديثة أكثر أجزاء الواجهات الأخرى، وتُعدّ الواجهة الشمالية الشرقية هي الواجهة الرئيسة للحمام، وهي تُمثل واجهتي الحجرتين الباردتين بالحمام، وتمتد الواجهة الحجرية بطول ٢٦ متر تقريبًا، وقد بنيت جدران الحمام بالتناوب بين مداميك الحجر ومداميك الآجر بنسب مختلفة، ولكن تمت تغطية الواجهة بالإسمنت مما أخفى قوالب الآجر في هذه الواجهة، في حين تظهر في الجزء الشرقي من الواجهة الجنوبية الشرقية الذي يمثل واجهة الحجرة الباردة لحمام النساء من تلك الجهة.

تمتد الواجهة من دون أن تتخللها بالمستوى السفلي أي فتحات نوافذ حاليًا، ويقع

(١) الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيهان إسماعيل محمد، ص ٢٢٤.

مدخل حَمَّام الرجال بهذه الواجهة، أما المستوى العلوي فقد فتحت به ٦ فتحات نوافذ معقودة بعقود مدببة تغشيها المصبعات المعدنية بواقع ثلاث نوافذ بكل حجرة باردة من الحجرات الباردة للحَمَّام.

الچشمه: تقع بأقصى الشمال من الواجهة الشمالية الشرقية ملاصقة لها، وتبرز عن جدار الحَمَّام بمقدار ٤٥, ٣م، ولا يعود بناء المبنى الحالي إلى مهرماه سلطان، وإنما سيده الواقف جاغالا زاده إبراهيم بيك سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م^(١) بدلاً من الجشمه الأصلية التي احترقت واختفت قبل فترة من الزمن، مما دعاه إلى إعادة بناء هذا الوقف المائي مرة أخرى، وهو عبارة عن سبيل داخل كتلة حجرية مربعة يؤطرها عقد مدبب، ويتوسطها صنوبر ماء يقع أسفله حوض التسيليل الرخامي، وأهم ما يميز الجشمه النص الكتابي الموجود أعلى شبك التسيليل والذي يضم النص الإنشائي منفذاً بخط الثلث المذهب، ويشير إلى احتراق الجشمه الأصلية للواقفة مهرماه سلطان، ومن ثم فقد قام الواقف المذكور بإعادة بناء الجشمه اعترافاً بفضل مهرماه سلطان لتعود لوظيفتها الخيرية عيناً عذبة الماء، طيبة الطعم، نقية، تسد ظمأ من مرّ إلى جوارها، فهي تشبه ماء زمزم، ولتسعد بها روح المرحومة في جنة المأوى سنة ١١٤٢هـ، وقد سجل التاريخ بحساب الجُمَّل.

مدخل حَمَّام الرجال: يتوسط المدخل حَمَّام الرجال إذ يتقدمه درج رخامي من ٣ درجات تفضي إلى دركاة مستطيلة الشكل، والمدخل عبارة عن فتحة باب يبلغ ارتفاعها مترين واتساعها ١٠, ١م، ويغلق عليها باب خشبي يؤدي إلى الحجرة الباردة مباشرة.

الواجهة الشمالية الغربية: وهي واجهة بسيطة تُمثل واجهة الأجزاء المكونة لحَمَّام الرجال، ويتخللها عدد من النوافذ على امتداد الواجهة في مستويين أفقيين، تم تحويل إحداها في المستوى السفلي إلى فتحة باب حديثة تؤدي إلى الحجرة الباردة أيضاً، وترتد الواجهة جهة الغرب قليلاً عن مستوى الجدران وبطول امتداد الحجرة

(١) ينظر: الحَمَّامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل محمد، ص ٢٢٤.

الساخنة لتعاود البروز مرة أخرى لتتسامت مع جدار الحجر الباردة عند بداية المستوقد.

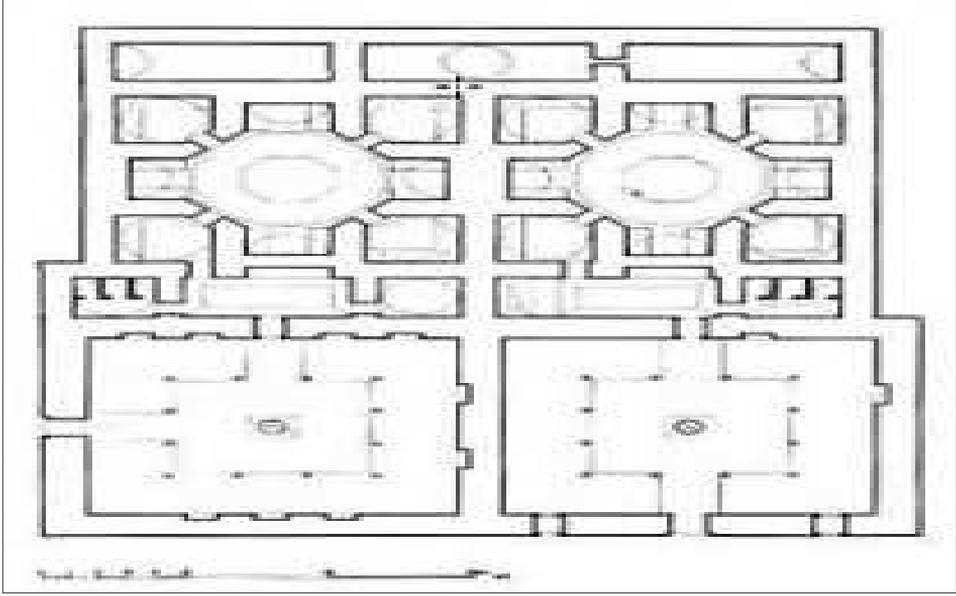
الواجهة الجنوبية الشرقية: وهي تُمثل واجهة حَمّام النساء بمختلف أجزائها، ولكنها تحتفي خلف المباني الحديثة فيما عدا واجهة الحجر الباردة في أقصى شرق الواجهة والذي يبرز بناء الواجهة من الحجر والآجر، وتتخلل الواجهة في المستوى السفلي نافذة مستطيلة مغطاة بالمصبغات المعدنية تعلوها هيئة العقد نصف الدائري منفذ بقوالب الآجر، وإلى الجنوب من النافذة فتحة باب الدخول التي تؤدي إلى حَمّام النساء، أما المستوى العلوي فقد فتحت به نافذتان على هيئة العقد المدبب، وتنتهي الواجهة من الأعلى بصفوف الآجر التي تظهر بزوايا القوالب للخارج لتعطي شكلاً أشبه بالمقرنصات أو الدالات.

مدخل حَمّام النساء: يتم الدخول إلى حَمّام النساء عبر ممر بأقصى شرق الواجهة الجنوبية الشرقية (صورة: ٦٦)، وفتحت به دخلة صغيرة تغلق عليها بوابة معدنية



صورة (٦٦): الجزء الشرقي من الواجهة الجنوبية الشرقية للحجر الباردة لحَمّام النساء وفتحة الباب التي تؤدي لممر المدخل (تصوير الباحث)

أو سياج معدني، وتؤدي هذه الفتحة عبر هيئة منكسرة إلى مدخل حَمَّام النساء، وهو عبارة عن فتحة معقودة بعقد مدبب يؤدي إلى داخل الحَمَّام.



صورة (٦٧): المسقط الأفقي لحَمَّام مهرماه سلطان بأدرنة قاي. نقلاً عن:
(<https://slideplayer.biz.tr/slide/6995341/>)

٥. التخطيط المعماري الداخلي (صورة: ٦٧):

يتكون الحَمَّام من جزأين متماثلين تتتابع فيهما العناصر المكونة لكل حَمَّام، ويمكن التطبيق على حَمَّام الرجال، إذ يؤدي المدخل الشرقي إلى الحجر الباردة، وهو عبارة عن حجرة ذات تخطيط مربع يبلغ طول ضلعها ٤٠, ١٢م، ويغطيها سقف خشبي حديث تتوسطه شخشيخة مربعة، وقد كسيت أرضية الحجر الباردة بالرخام إلى جانب الأجزاء السفلية من الجدران، والحجرة الباردة عبارة عن دورقاعة مربعة تلتف حولها المقاصير الخشبية من الجوانب كافة، بحيث قسمت إلى أماكن استراحة للزبائن وتغيير الملابس، ويغلق على كل خلوة منها باب خشبي، وتقع المقاصير في طابقين يتم الوصول إلى الطابق العلوي عبر درج، وتتقدم خلوات الطابق العلوي رجة يتقدمها إلى الدورقاعة درابزين حديدي.

القاعة الدافئة: يتم الوصول إليها عبر فتحة باب بمنتصف الضلع الجنوبي الغربي للحجرة الباردة، وهي عبارة عن مساحة صغيرة تنقسم إلى دورقاعة وسطى يغطيها قبو نص برميلي تتخلله المضايي الزجاجية الشفافة، وإلى الشمال الغربي منها حجرة مربعة بها مراحيض الحّمّام، في حين يقع إلى الجنوب الشرقي منها إيوان مستطيل المسقط.

القاعة الساخنة: يتم الدخول إليها عبر مدخل في طرف الجدار الجنوبي الغربي للقاعة الدافئة، وتتميز القاعة أو الحجرة الساخنة بتخطيطها المتعامد من دورقاعة وسطى مثمثة تغطيها قبة ترتكز على مثلثات كروية، وقد فتح بها عدد من المضايي الزجاجية الشفافة، ويتعامد على الدورقاعة أربعة إيوانات يطل كل منها على الدورقاعة بكامل اتساعه وبعقد مدبب، وتشغل الأضلاع الأربعة في الأركان أربع خلوات، وتتميز الخلوات بتغطيتها بقباب صغيرة فتح بها عدد من المضايي الشفافة أيضاً، وتتميز الحجرة الساخنة بالتكسية بالرخام في الأرضية والأجزاء السفلية من الجدران.

المستوقد وخزان المياه: وهما يتقدمان الحجرات الساخنة في الحّمّامين من الجنوب الغربي، ويقع المستوقد بجوار القاعات الساخنة وخلفه خزان الماء.

حّمّام النساء: يتشابه حّمّام النساء تماماً مع حّمّام الرجال من حيث العناصر المكونة للحّمّام وتتابعها وترتيبها، ولا يكاد يختلف بينهما سوى الحجرة الباردة لحّمّام النساء الذي كان يشبه الحجرة الباردة لحّمّام الرجال، ولكنه حديثاً تم تقسيمه إلى مستويين؛ أحدهما علوي يضم عددًا من المقاعد الخشبية ومكسو بالرخام، والآخر سفلي يتم الهبوط إليه عبر درج في الجهة الجنوبية الغربية من ١٧ درجة، حيث يؤدي المدخل إلى مغطس كبير.

وهكذا فقد جاءت العمائر الوقفية لمهرماه سلطان في مواضع غاية في الأهمية لخدمة قاطني المناطق التي أنشئت العمائر على أطرافها، لا سيما أن عمائرها استقبلت الوافدين إلى المدينة من الشقّ الآسيوي ممثلاً في مجمعها بإسكدار، والجانب الأوروبي

ممثلاً في مجمعها بأدرنة قابي، وقد حملت عمائرها تعبيراً رمزياً أبداع فيه المعمار سنان من ناحية، وطوّر فيها هيكلية بيت الصلاة المغطى ليحمل سمة معمارية كإحدى خطوات تطور الطراز التقليدي المميز للمساجد العثمانية من ناحية ثانية، والجمع بين المسجد والمدرسة لتشكيل طراز فريد من الطرز المعمارية كما في مجمع أدرنة قابي من ناحية ثالثة، إضافة إلى الإبداع الزخرفي والفني الذي مثل قمة الإبداع في استخدام الجص في التعشيق والزخرفة من ناحية رابعة، لتأتي عمائرها -وبحق- لتجمع دلالة المعنى الذي سُميت به، وهو الشمس والقمر «مهرماه».

الفصل الثالث

العمائر الوقفية لوالدات السلاطين

تمهيد:

حظيت والدة السلطان بالمكانة الأولى للنساء في الدولة العثمانية، إذ تلت السلطان مباشرة في الأهمية والمكانة، ومن ثم فقد لعبت والدادات السلاطين دورًا كبيرًا في الحياة العامة في الدولة العثمانية، وإن اشتمل هذا الدور في طياته على ملامح الضعف نظرًا لاستغلال كثير منهنّ الأمر لتحقيق مكاسب سياسية وتأييد من رجال الدولة بالدسائس والمؤامرات، إلا أنه على الجانب المعماري والعمراني لا سيما الوقفي، فقد حظين بمكانة فاقت الزوجات والبنات، وأبدعن في الإنشاء والتعمير، والوقف والحبس، وعرف منهن ثلاث والدادات في أثناء القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م، كنّ أشهر النساء في أثناء وجودهن في القصر العثماني، وهنّ: نوربانو سلطان، وماهبيكر كوسم سلطان، وخديجة تورخان سلطان، ومن ثم يختص هذا الفصل بدراسة العمائر ووصفها التي وقفنها بمدينة إستانبول.

المبحث الأول

كلية نوربانو سلطان بإسكدار

(كلية الوالدة العتيقة)

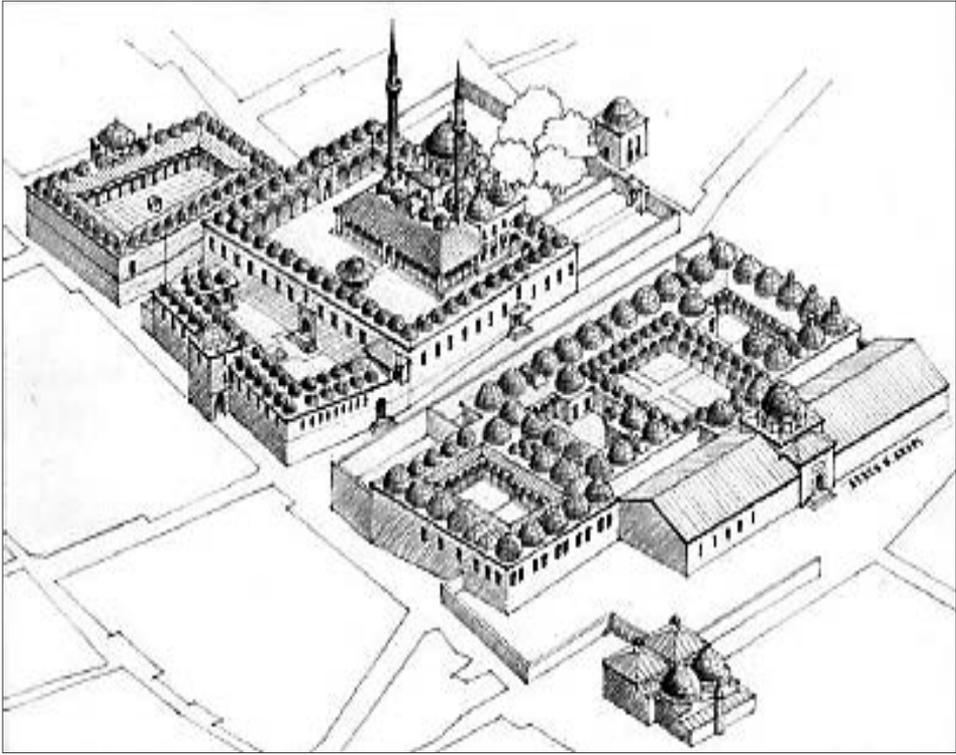
أولاً: الموقع:

تقع كلية نوربانو سلطان في حي الوالدة العتيق (Valide -i Atik Mah.) بضاحية إسكدار، ويقع الحمام منفصلاً عن الكلية عند تقاطع شارع إسكي طوبتاشي (Eski Toptaşı Cad.) مع شارع بالجيلار يوكوشو (Balcılar Yokuşu Sok.) إلى الغرب من الكلية، وقد بنيت الكلية أعلى التل الموجود بمنطقة إسكدار لتهيمن على المضيق^(١)،

(١) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسرايي، مجلد ١، ص ١٨٣.

ويقع المسجد في أعلى موضع^(١) ضمن أبنية الكلية التي أقيمت بشكل متدرج على منحدر يطل على المضيق، وأصبح مركزاً للكلية والمدرسة معاً، ويتم الدخول إلى المسجد عبر أربعة مداخل: مدخل في الناحية الجنوبية ويؤدي إلى المحفل السلطاني، ومدخل في الجهة الشرقية بمواجهة الخانقاة أو التكية، ومدخل كارتا بابا (Kartal Baba) الغربي، ومدخل المدرسة الشمالي^(٢)، هذا ويحدّ الكلية من الجنوب منطقة جاويش دره سي، ومن الشمال منطقة حلوجي علي^(٣).

ثانياً: تاريخ بناء الكلية وتكوينها المعماري (الصورتان: ٦٨، ٦٩):



صورة (٦٨): منظور لكلية الوالدة العتيقة (نوريانو سلطان) في إسكُدار من عمل (Necipoglu).
نقلا عن: (<http://archnet.org/library/images>)

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 288; Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (Mehmet Nermi Haskan), P. 365.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٩٠.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩١.

تُعدّ هذه المجموعة الوقفية من أكبر المجمعات المعمارية للرعاية الاجتماعية بمدينة إستانبول^(١)، ومن أكبر المجموعات الوقفية المعمارية التي شيدها المعمار سنان بمدينة إستانبول بعد مجمع السلطانية للسلطان سليمان القانوني، وقد بدأ المعمار سنان في تشييدها منذ سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠-١٥٧١م واستمر العمل في وحداتها وعمائرها ليكتمل بناء المجموعة سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م^(٢)، وتتكون الكلية الوقفية لنوربانو سلطان من جامع، ومدرسة، ودار للشفاء، وعمارات بداخلها تابخانه، ودار للقراء، ودار للحديث، ومكتب للصبيان، وخان مزدوج، وخانقاة للصوفية (تكية)، وحمّام، وتقع كلها إلى جوار بعضها في كتلتين رئيسيتين تضم الأولى المسجد والمدرسة، وتضم الثانية الخان المزدوج والعمارة والتابخانه^(٣) ودار الشفاء ودار القراء ودار الحديث، في حين تقع التكية منفصلة إلى الشمال الشرقي من المسجد والمدرسة، ويقع مكتب الصبيان منفصلاً إلى الجنوب من المسجد مطلاً على شارع المسجد الصيني، كما يقع الحمّام إلى أقصى الركن الغربي من المجموعة، وهذه المباني كلها في موضع واحد قرب بعضها البعض يفصل بينها شوارع فرعية، وهي المباني المشتملة داخل الكلية المعمارية، كما يوجد ثلاثة حمّامات وقفية أخرى ألحقت بالمجموعة ضمن أوقاف نوربانو سلطان، وقد كانت تدر ريعاً يدخل ضمن إيرادات الأوقاف، ولكنها تقع متباعدة عن بعضها البعض في الجزء الأوروبي من إستانبول.

ثالثاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء:

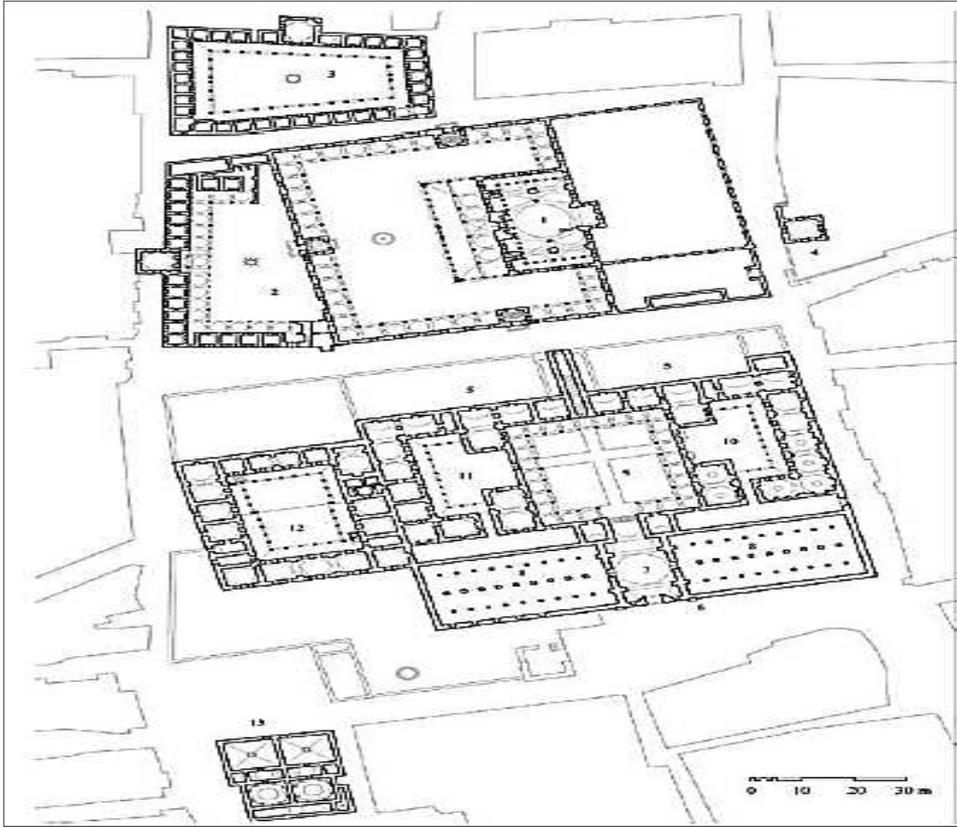
هي نوربانو سلطان زوجة السلطان سليم الثاني ووالدة السلطان مراد الثالث، وقد ولدت نوربانو بإيطاليا لعائلة بافو الشهيرة وكان اسمها سيسيلي (Sesily)، وكعادة هؤلاء السيدات فقد أحيكت الأقاويل حول أصلها، فمن الباحثين من أرجعها إلى جزيرة باروس اليونانية وأنها ولدت ما بين عامي ١٥٢٥-١٥٣٠م^(٤)،

(1) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 336 .

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 273.

(٣) التابخانه: هي مقر المتصوفة المتجولين أو الرحالة، وهي بنفس شكل ومميزات التكية، ولكنها مخصصة لأولئك الذين يفتدون إلى المدينة من البلدان أو المدن الأخرى.

(4) The Atik Valide Complex In Üsküdar, (Özlem Özen), Istanbul, Tez Yüksek Lisans, Boğaziçi University Institute Of Social Sciences, 2002, S. 36.



صورة (٦٩): المسقط الأفقي لكلية الوالدة العتيقة (نوربانو سلطان).
نقلًا عن: (Archnet.org)

وعلى أرجح الأقوال فإنها إيطالية من عائلة بافو، وقد جُلبت في أثناء أحد الفتوحات العثمانية سنة ٩٥٤هـ / ١٥٣٧م إلى القصر العثماني، ولما دخلت القصر العثماني أطلق عليها نوربانو: وتعني المضيئة المتألثة إذ كانت تتمتع بجمال فائق، ثم ترقّت فأصبحت رئيسة لحريم القصر العثماني تشرف على المؤدبين وأهل المعرفة في تعليمهم للمحظيات، وقد أسلمت نوربانو سلطان بعد أن تلقت تعليمًا خاصًا في القصر في سن مبكرة^(١)، وظلت تترقى وتأخذ مكانها حتى تزوجها سليم الثاني وصارت مقربة منه فأنجبت له مراد سنة ٩٥٣-٩٥٤هـ / ٤ يوليو ١٥٤٦م بعد أن رُزقت بثلاث بنات قبله^(٢)، وأخذها معه السلطان سليم الثاني إلى قصر طوبقابي

(1) Üsküdar'daki Valide Sultan Külliyesi, (Can Alpgüvenç), S. 310.

(2) A History Of The Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 273.

عقب توليه السلطنة سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م، وأصبحت سيدة قصر الحريم^(١)، وعلت مكائنها حتى صارت الكلمة لها في القصر العثماني، وبها بدأت فترة سلطنة الحريم التي أصبح للنسوة فيها الكلمة المسموعة الأولى في القصر السلطاني^(٢)، وعلا شأنها في أثناء عهد ابنها مراد الثالث، لا سيما أنها لعبت دورًا بارزًا في أثناء تولية ابنها السلطنة؛ إذ أخفت بالاتفاق مع الصدر الأعظم سوكللو (صوقللو) محمد باشا خبر وفاة زوجها سليم الثاني حين استدعاء ابنها مراد من ولاية مانيسا (مغنيسيا) بالأناضول؛ إذ كان له خمسة إخوة من أمهات أخريات، وبالفعل تم تنصيب مراد الثالث سلطانًا للدولة العثمانية سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٣-١٥٧٤م، وقد شيدت مجمعها المعماري بإشراف المعمار سنان، واستغرق بناؤه ١٣ سنة بدأت في ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م حتى اكتمل البناء سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وهي السنة التي توفيت فيها نوربانو سلطان وسجلت فيها وقفيتها الخاصة بأوقافها، ولم يكن هذا هو الوقف الخيري الوحيد لها، بل إنها شيدت مسجدًا ومكتبًا للصبيان وعمارة لإطعام الفقراء في قسبة لابسكي (Lapseki)^(٣)، ولكنها اندثرت حاليًا^(٤)، ويذكر بعض الباحثين أنها توفيت في ربيع الأول ٩٩٠هـ/ أبريل ١٥٨٢م قبل إكمال بناء المجمع الكبير الذي يعرف باسم مجمع الوالدة العتيق بضاحية إسكدار بإستانبول^(٥).

وقد وردت عدة آراء حول تاريخ البدء في تشييد الجامع لكونه محور الكلية الوقفية وأهم مبانيها، فمن الباحثين من ذكر أن تاريخ البدء كان ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م وهو أرجح الآراء، اعتمادًا على فرمان الذي أصدره السلطان سليم الثاني بتاريخ هذا العام إلى

(1) Beyond Harem Walls, Ottoman Royal Women And The Exercise Of Power, (Leslie Peirce), In "Gendered Domains, Rethinking Public And Private In Women's History", Ed, D. O. Helly And S. M. Reverby, New York, Ithaca, 1992, Pp. 40-55; A History Of The Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), pp. 273-274; Female Patronage (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 66; Istanbul Ansiklopedisi, "Nurbanu Valide Sultan", Cilt, 6, S. 95-96.

(2) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), P. 283

(٣) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، بدءًا من ص ١٠٠، س ٥، حتى ص ١٢٠.

The Atik Valide Complex In Üsküdar (op. cit), (Özlem Özen), P. 27.

The Atik Valide Mosque Complex: Atestament Of Nurbanu's Prestige, Power And Piety, (Pinar Kayaalp-Aktan),

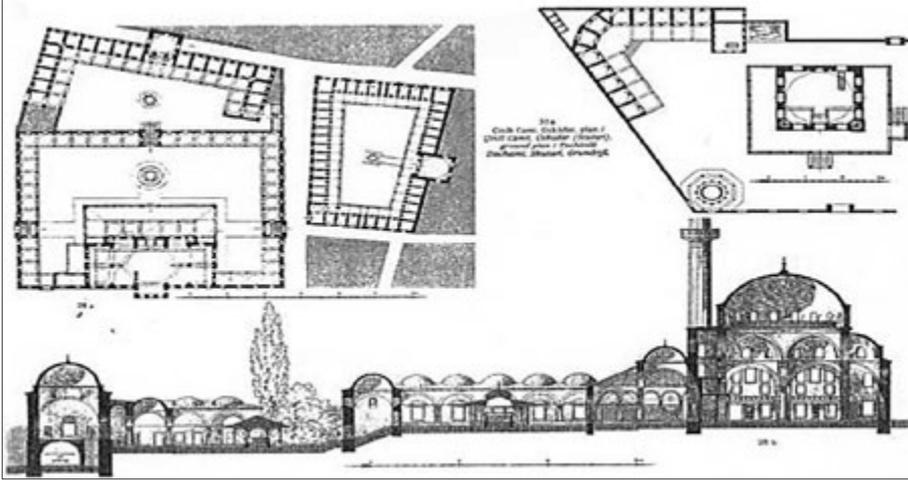
The Center For Middle Eastern Studies, Harvard University, 2005, P. 102 .

(4) The Age Of Sinan (op. cit), (Gülru Necipoğlu), P283

(5) Beyond Harem walls (op. cit), (Leslie P. Peirce), pp. 40-55; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), pp. 273-274; Female Patronage (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 66; Istanbul Ansiklopedisi, "Nurbanu Valide Sultan", Cilt, 6, S. 95-96.

قضاة إزميت (İzmit) ينص على ضرورة إحضار المواد الخام اللازمة لبناء المسجد^(١)، وهناك باحثون آخرون يرون أن البدء في بناء المسجد كان سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٢م أو سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م^(٢)؛ اعتمادًا على تاريخ دار القراء التي شيّدت في أثناء هذا العام^(٣)، والبعض أرخ لبداية بناء المسجد بسنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م^(٤)، والمهم من ذلك أن نوربانو سلطان قد أعدت خطة لإنشاء أوقافها المعمارية منذ عهد زوجها سليم الثاني، وبدأت مباشرة الأعمال بدءًا من سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م إلا أن إكمال المنشآت وإتمامها ووثيقة أوقافها وما إلى ذلك تم وهي والده سلطان للسلطان مراد الثالث، وهو ما يفسر حتى تسمية الكلية المعمارية باسم كلية الوالدة العتيقة، وانتهت أعمال الإنشاء في أوقافها المعمارية كافة سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م؛ طبقًا لما هو موجود بوثيقة الوقف الخاصة بالواقفة.

رابعًا: مفردات الكلية المعمارية:
 أ) الجامع (Cami):



صورة (٧٠): مسقط وقطاع رأسي للكتلة الأولى (المسجد والمدرسة) بكلية وقف نوربانو سلطان.
 نقلًا عن: (Freely, A History of Ottoman Architecture, p. 275)

(1) The Atik Valide Complex In Üsküdar (op. cit), (Özlem Özen), P. 74.

والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٩٥؛ وقد رجح الباحث الأخير هذا الرأي اعتمادًا على الأدلة التاريخية وبذل جهدًا طيبًا في سبيل الوصول لذلك.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P, 288 .

(٣) ينظر: رسوم عمائر إستانبول الدينية، منى عثمان، ص ٢٣٩، حاشية رقم (٥).

(٤) ينظر: العناصر الزخرفية، طه عبد القادر عمارة، ص ٧٥.

يُعرف الجامع (الصورة: ٧٠) بعدة تسميات منها جامع الوالدة العتيق، جامع إسكي والدة؛ لا سيما بعد إنشاء جوامع لوالدات السلاطين فيما بعد، ومن ثم وجب التفريق بين القديم والجديد بلفظ Yeni (تعني جديد)، أو Atik (بمعنى قديم)، وعرف أيضًا بجامع نوربانو سلطان نسبة للواقفة، إلا أن أشهر التسميات هي عتيق والدة جامع (Atik Valide Cami).

١. مهندس البناء ومراحل إنشاء المسجد:

أشرف على إنشاء الجامع وباقي وحدات المجمع المعماري الوقفي لنوربانو سلطان المهندس العظيم قوجه سنان قبل وفاته بعشر سنوات^(١)، وتواصلت أعمال البناء حتى اختتمها سنان، وبعد وفاة نوربانو سلطان قام سنان بإجراء توسعة للمسجد تضمنت إضافة أربع قباب بواقع قبتين في كل جانب من الجانبين (الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي)^(٢)، وبعد وفاة المعمار سنان تولى تلميذه داوود أغا وتابع عملية ترميم المسجد وإضافة بعض التفاصيل المعمارية والزخرفية سنة ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م^(٣). ومن ثم فقد مرّ المسجد في إنشائه بعدة مراحل، بدأت المرحلة الأولى على يد المعمار سنان وشيّد فيها الجزء الأمامي الذي يتقدم المحراب وتغطيه القبة المركزية التي تقوم على ستة روافع، وبعد ذلك أضيف الجناحان الجانبيان وتغطي كل جناح منهما قبتان^(٤)، وفي المرحلة الثالثة تمت إضافة الصحن الخارجي أو الحرم المكشوف وإعادة تصميم الجامع مرة أخرى ليأخذ تخطيطه الحالي، وقد مرّ المسجد بعدد من الإصلاحات منها ما تم على يد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) الذي أضاف محفلًا للسلطان، ثم قامت المديرية العامة للأوقاف بأعمال الترميم والإصلاحات في أثناء السنوات (١٣٧٥-١٣٩٢هـ/ ١٩٥٦-١٩٧٢م)^(٥).

(1) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 336

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجيبا عبد العال، ص ٢٢٢.

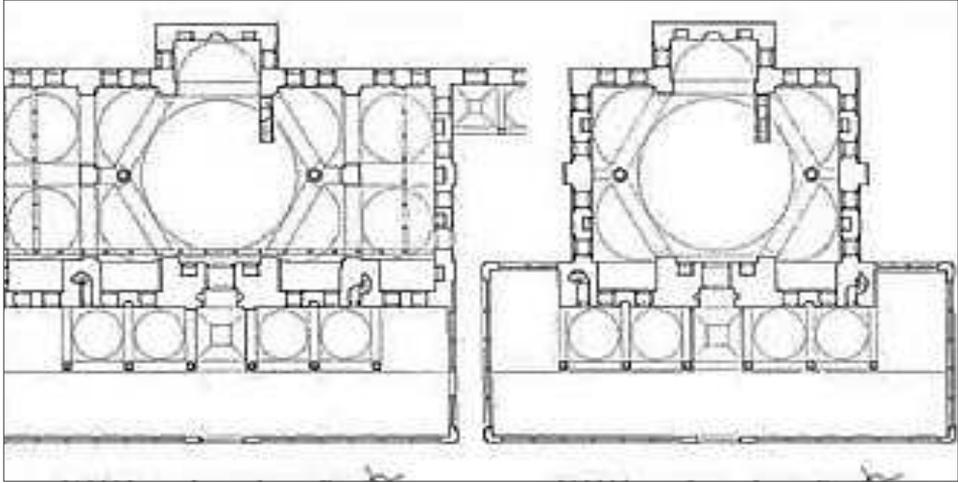
(3) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), P, 369.

(٤) يرى بعض الباحثين أن الجناحين لم يضافا معًا بل أضيف جناح واحد على يد المعمار سنان نفسه، وأما الجناح الثاني فقد أضيف على يد كبير الدراويش بير علي . A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P, 288. في حين يرى باحثون آخرون -اعتمادًا على بعض الشواهد التاريخية- أن إضافة الجناحين تمت على يد بير علي الذي دفن عقب موته إلى جوار المسجد، وشيّد وقتًا كان متولي المسجد قبتين على كل جانب من المسجد. ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٩٨.

(٥) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٩٩.

Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 337

٢. التخطيط المعماري الحالي للجامع (الصورة: ٧١):



صورة (٧١): المسقط الأفقي لتخطيط جامع نوربانو سلطان الأصلي والحالي. نقلاً عن:
(Freely, A history of Ottoman Architecture, p. 274)

يشغل المسجد حالياً مساحة كبيرة تنقسم إلى جزأين؛ حرم مغطى صغير تتقدمه سقيفة خارجية، وحرم مكشوف وهو الصحن الذي يأخذ حول الحرم المغطى هيئة حرف (U).

يشغل حرم الصلاة المغطى مساحة مستطيلة الشكل 27×34 م يبرز من جدارها القبلي إيوان المحراب تغطيه نصف قبة، ومن ثم فقد أدرجه بعض الباحثين ضمن طراز المساجد على هيئة حرف T مقلوب^(١)، وهو رأي يجانبه الصواب، فعلى الرغم من أن الجامع يبدو وكأنه يشبه حرف T مقلوب إلا أن بروز إيوان المحراب لا يرقى لأن يمثل الضلع الطولي للحرف اللاتيني T، إضافة إلى عدم تقسيم المسجد داخلياً تبعاً لتخطيطات المساجد من النمط الذي ذكره الباحث، ومن ثم فإن تخطيط الجامع الأصلي يندرج ضمن النمط البسيط أو الأول للطراز الكلاسيكي للمساجد العثمانية، التي تنقسم إلى قسمين؛ الجزء المغطى المغلق وتغطيه قبة مركزية يبلغ قطرها $12,70$ م^(٢)، وارتفاعها نحو 19 م، ويدعم القبة خمسة أنصاف قباب بواقع نصفين في كل جانب من الجانبين، ونصف قبة أعلى إيوان المحراب البارز، والجزء الخارجي

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٩٩.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 275 .

ممثلًا في السقيفة الخارجية، لا سيما أنه أضيفت إليها سقيفة أخرى مكشوفة فيما بعد، وتقام القبة وأنصاف القباب الداعمة على روافع من أعمدة جرانيتية ودعامات حجرية، وذلك بعد إضافة الجناحين للمساحة الداخلية للمسجد فيما بعد (على اختلاف وقت الإضافة)، وكلٌّ منهما عبارة عن رواق عمودي على جدار المحراب تغطيه قبتان يبلغ ارتفاع كل منهما ٣٠, ١٠م وقطرها ٥م.

ويمكن القول إن القسم المغطى الداخلي من المسجد ينقسم إلى قلب وجناحين، كما أضيف للمسجد مئذنتان ومحفل سلطاني في القرن ١٩م^(١)، أما السقيفة الخارجية فتتقدم المسجد من الجهة الشمالية الغربية، وكانت في الأصل تمتد بعرض القبة المركزية لتتنقسم إلى خمس مناطق مربعة يغطي الأربع مناطق الجانبية قباب، فيما يغطي الوسطى التي تحتوي على المدخل قبو متقاطع، ويتقدم السقيفة إلى الشمال الغربي سقيفة أخرى خارجية أضيفت في أثناء القرن ١١هـ/ ١٧م على يد متولي أو شيخ المسجد الشيخ بير علي^(٢)، ويشبه تخطيط حرم الصلاة المغطى بالمسجد كلاً من: تخطيط مسجد أوج شرفلي بأدرنة ٨٤١هـ/ ١٤٤٧م، ومسجد سنان باشا في بشكطاش بإستانبول ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م، وجامع الملكة صفية بالداودية في القاهرة سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، إذ تقام القباب المركزية بهذه الجوامع أعلى قاعدة سداسية يدعمها أنصاف القباب إلى جانب الجناحين الجانبيين.

وأما الحرم المكشوف الكبير فهو يحيط بالمسجد من جميع الجهات عدا جهة القبلة، وينتهي عند جدران الجناحين ليشكل حول الحرم المغطى هيئة حرف (U)، وهو فناء مكشوف يتوسطه شاذروان، ويحيط به رواق من جميع الجهات بامتداد جدران الصحن، وينقسم الرواق إلى مساحات مربعة صغيرة تغطي كل مربع منها قبة، ويتم الدخول إلى الصحن عبر ثلاثة أبواب محورية لا تتوسط الجدران إلا في الجهة الشمالية الغربية المشتركة بين المسجد والمدرسة.

٣. واجهات الجامع:

يشرف الجامع بواجهة خارجية واحدة وهي الواجهة الجنوبية الشرقية، فيما

(1) The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen) P. 77.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 289.

تشرف واجهتان على الصحن هما الواجهة الشمالية الشرقية والواجهة الجنوبية الغربية، وتلتصق الجنوبية الغربية بالقصر السلطاني الذي أضافه السلطان محمود الثاني، وتتقدمها روضة جنازية بها عدد من شواهد القبور تمتد حتى تملأ المنطقة التي تتقدم الواجهة الجنوبية الشرقية، وأما الواجهة الشمالية الغربية فتتقدمها السقيقتان جهة الصحن.

الواجهة الجنوبية الشرقية: تنقسم إلى ثلاثة أقسام، فتح بكل قسم منها عدد من النوافذ أهمها القسم الأوسط الذي يبرز فيه إيوان المحراب (القبلة) بمقدار ٤٠، ٤٠م، وينقسم إلى مستويين أفقيين، يشتمل المستوى السفلي على نافذتين متماثلتين وتتوسطهما حنية المحراب، ويؤطر كلاً منهما إطار من الرخام الأبيض فيما تغشيهما مصبغات معدنية، أما المستوى العلوي فتحت به ثلاث نوافذ مستطيلة يؤطرها عقد نصف دائري، ويغشيهما الجص المعشق بالزجاج الملون، أما ضلعا إيوان القبلة الجانبيان فتفتح بكل منهما نافذة سفلية مستطيلة ١,٨٠ x ١,٥٠م، تعلوها نافذة أخرى يؤطرها عقد مدبب ويغشيهما الجص المعشق بالزجاج الملون.

الواجهتان الجانبيتان (وهما الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية): تشرف كل منهما على صحن الجامع، وهما متماثلتان تماماً، وتظهر من خلف كل واجهة منهما إحدى المئذنتين، وتنقسم الواجهة الشمالية الشرقية إلى قسمين؛ الشمالي منها يمثل واجهة سقيفتي الجامع، أما القسم الشرقي فيمثل واجهة جناح المسجد من هذه الجهة، وقد فتحت بها عدد من فتحات النوافذ تماثل نوافذ الواجهات الأخرى، وتشبهها الواجهة الجنوبية الغربية.

الواجهة الشمالية الغربية: تُمثل واجهة السقفية الخارجية على الصحن، وهي تشرف على الصحن ببائكة معقودة بثلاثة عشر عقداً، منها اثنا عشر عقداً مدبباً يتوسطها عقد موتور يمثل عقد المدخل، وهو أكثر العقود اتساعاً وارتفاعاً، وتقوم العقود على ١٢ عموداً وأربع دعائم، اثنتان في المنتصف واثنتان جانبيتان.

المدخل: عبارة عن كتلة رخامية تتوسط الواجهة وتنتهي بطاقيّة مقرنصة، وتتوسط الكتلة فتحة باب الدخول مستطيلة الشكل ارتفاعها ٣,٨٠م واتساعها

١٠, ٢م، ويغلق عليها مصرعان خشبيان، ويعلو فتحة باب الدخول نص إنشائي منفذ بخط التعليق الفارسي وينتهي بتاريخ الانتهاء من التشييد، ويتكون النص من ثلاثة أسطر كتابية بكل سطر بحران، ونصها^(١):

س ١	نوربانو أو ذات بر عصمت	طرف خيره ايليوب نيت
س ٢	ايتدي بو معبد لطيفي بنا	جذا رأي أحسن وزيبا
س ٣	أثر خاصيدر بو خير كزين	اولدي تاريخ زهي بهشت برين ٩٩١ ^(٢)

ويترجم النص إلى:

س ١	نوربانو صاحبة العصمة والعز	التي تنوي دائماً فعل الخير
س ٢	شيّدت هذا المسجد اللطيف	فما أجمله وما أحسن منظره
س ٣	وهو أثر يدل على الخير الظاهر	وصار تاريخه جنة عالية ٩٩١

المئذنتان: لا يعرف تحديداً: هل شيّدت المئذنتان في عصر الإنشاء أم أضيفتا في أثناء أعمال الإصلاح والتوسعة في القرن ١٣ هـ/ ١٩ م^(٣)؟ ولكن يرجح نظراً لضخامة المجمع الوقفي أن يكونا من عصر الإنشاء، وأن ما حدث من إضافة لهما في القرن ١٣ هـ/ ١٩ م ربما مجرد إصلاح أو ترميم أو إعادة بناء وليس البناء لأول مرة، وهما تقعان في ركني الجدار الشمالي الغربي لحرم الصلاة المغطى على غرار المآذن العثمانية. تبدأ كل مئذنة بقاعدة مربعة تمتد إلى نهاية ارتفاع السقيفة، وتعلو الطابق المربع قاعدة مخروطية يعلوها بدن مستدير ينتهي بشرفة حجرية تحملها حطات المقرنصات، ويحيط بها درابزين حجري مصلع نفذت عليه زخارف هندسية من دوائر وأنصافها تحصر فيما بينها أشكالاً نجمية ومتعددة الأضلاع، ويعلوها طابق مستدير آخر يحمل قمة المئذنة المخروطية، وهي مجددة في القرن ١٣ هـ/ ١٩ م^(٤).

(١) ينظر: كتابات العائز الدينية العثمانية بإستانبول، محمد علي حامد بيومي، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية-كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢١٩. ولا يوجد النص في موضعه حالياً، ربما نقل إلى مكان آخر لحفظه.

(٢) تم نقل النص عن: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٠٨. أما الترجمة فتصرف بمعرفة الباحث.
(٣) The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen), P. 77
(٤) The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen), P. 77



صورة (٧٢): جزء من السقيفة الخارجية التي تطل على الصحن (تصوير الباحث)

السقائف: وعددها سقيفتان إحداهما داخلية جهة حرم الصلاة المغطى، والأخرى خارجية جهة الصحن، وهما متشابهتان ومتساويتان في المساحة تقريباً، فأما السقيفة الخارجية: فهي تطل على الصحن بواسطة ١٣ عقداً، منها ١٢ عقداً مديباً وعقداً واحداً مورتوراً، وقد أضيفت هذه السقيفة على يد «بير علي» متولي الوقف^(١)، وتأخذ هيئة حرف (U) حول السقيفة الداخلية لتشبه تماماً السقيفة الخارجية بجامع مهرماه سلطان بإسكدار، وترتكز العقود على أعمدة لها تيجان ذات معينات إلى جانب أربع دعائم (اثنتان في المنتصف واثنتان جانبيتان) تحمل عقوداً مديبة (صورة: ٧٢)، وأما سقفها فهو عبارة عن سقف خشبي مائل يتدلى منه رفرف خارجي تغطيه من الخارج ألواح الرصاص، فيما تشكل زخارفه من الداخل على هيئة مربعات صغيرة متجاورة باللون الأحمر.

أما السقيفة الداخلية فهي تمتد بطول ٢٣ م تقريباً كسيت أرضيتها بالرخام، وتنقسم إلى خمس مساحات مربعة يغطيها قبة متقاطع في المنتصف على جانبيه ٤

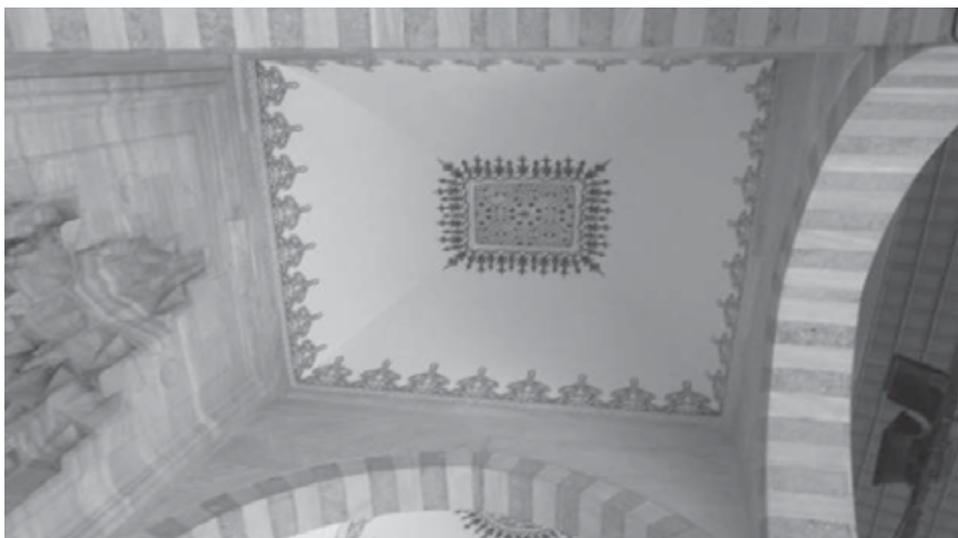
(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 288.

وينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢١٠.



صورة (٧٣): تغطية السقيفتين (الخارجية والداخلية) من الداخل (تصوير الباحث)

قباب تزينها زخارف نباتية موزعة في أشرطة زخرفية، وتقوم القباب على مثلثات كروية، وأما المنطقة الوسطى فيغطيها قبة متقاطع تزينه صرة مستطيلة الشكل تحوي على أشكال نجمية وزخارف نباتية أخرى (الصورتان: ٧٣ - ٧٤).



صورة (٧٤): القبو الذي يغطي مربع المدخل في السقيفة الداخلية (تصوير الباحث)

٤ . التخطيط الداخلي لحرم الصلاة المغطى :

ينقسم الحرم المغطى أو بيت الصلاة إلى منطقة وسطى تغطيها قبة مركزية ويدعمها خمسة أنصاف قباب، بواقع أربعة أنصاف في الجانبين ونصف أعلى إيوان المحراب، وقد شكلت القبة المركزية وأنصاف القباب بهيئة الوردية خماسية البتلات^(١)، وعلى جوانبها الثلاثة الأخرى ثلاثة أروقة، يُغطي كل رواق من الرواقين الجانبيين بقبة.

القبة المركزية: يبلغ ارتفاعها ١٩ م، وقطرها ٧٠، ١٢ م تقريباً، وهي تقوم على مناطق انتقال من ستة مثلثات كروية تقوم على أربع دعائم وعمودين تحمل ستة عقود نصف دائرية من صنجات رخامية بنظام المشهر^(٢) زينت بزخارف نباتية محورة تأتي فوقها القبة، وفي أطرافها الخارجية أنصاف القباب مرتكزة من الجهات الخارجية على جدران المسجد وعقود أروقة الجناحين الجانبيين لبيت الصلاة، وتمت زخرفة مناطق الانتقال بجامتين دائريتين متداخلتين داخل شكل مثلث، تزين الجامة الخارجية زخارف متشابكة من أشكال هندسية متداخلة تضم داخلها زخارف نباتية من أوراق رباعية تأخذ هيئة متعامدة، أما الجامة الداخلية فتزينها كتابات دينية منفذة بخط الثلث المذهب بواقع نص داخل كل مثلث من مثلثات منطقة الانتقال، تضم: (الله جل جلاله - محمد رسول الله - أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، ويحيط بالجامات زخارف نباتية متعددة كالرومي والهاتاي وأزهار القرنفل وغيرها داخل إطار من زخرفة الرومي.

أما القبة نفسها (صورة: ٧٥) فيحدها من الأسفل إطاران مقرنصان، أحدهما من الجص والآخر من الرخام تعلوهما رقبة القبة، وقد فتح بها ١٩ نافذة مغطاة بالجص المفرغ على هيئة دوائر وأنصافها، ويحدد كل نافذة شريط من الزخارف النباتية، فيما تحصر كل نافذتين زخرفة على هيئة الخورنق زخرفت زواياها بزخارف الهاتاي والأوراق النباتية، وتحمل الرقبة خوذة القبة التي تزينها الأشرطة الزخرفية

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يجيا عبد العال، ص ٢٢٨.

(٢) وهو عكس الأبلق، إذ يُطلق عند تشكيل العقد أو الواجهة أو الجدار أو أيٍّ من أجزاء المبنى عموماً بالحجر أو الرخام متعدد اللونين لا سيما الأبيض والأحمر، أو الأصفر والأحمر، أو الأبيض والأخضر، في حين يقتصر الأبلق على الأبيض والأسود.



صورة (٧٥): القبة المركزية بجامع نوربانو سلطان (تصوير الباحث)

المتتالية، وتبدأ بشريط زخرفي على هيئة الأوراق النباتية متعددة البتلات في هيئة تشبه البائكة تملؤها زخارف الرومي والهاتاي، ويخرج من مركز كل زخرفة ورقة نباتية ثلاثية، يلي هذا الشريط شريط زخرفي من بخاريات مفصصة تملؤها الزخارف النباتية، ويليه شريط من جامات دائرية أيضًا تملؤها زخارف الرومي والهاتاي، أما باطن القبة فيزين المركز دوائر متفاوتة الأحجام أصغرها قطرًا الداخلية، تكون فيما بينها أشكالًا مثلثة تحتوي على زخارف نباتية، وتضم الدائرة الوسطى اقتباسًا قرآنيًا تكرر في جوامع أخرى ومنفذ بخط الثلث، نصه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١﴾.

الصحن أو الحرم المكشوف: وهو يحيط بحرم الصلاة المغطى من ثلاث جهات، وتتخلله بعض الأشجار والنباتات، ويتوسطه شاذروان (صورة: ٧٦) مصلع من

(١) سورة فاطر، الآية رقم ٤١.



صورة (٧٦): الشاذروان الرخامي بصحن جامع نوربانو سلطان (تصوير الباحث)

الرخام يتكون من اثني عشر عمودًا مصلعًا بدون تيجان وإنما يعلو الأعمدة من أعلاها أعتاب مستقيمة، وتؤدي الفراغات بين الأعمدة إلى بدن النافورة ذي الـ (١٢) ضلعًا أيضًا، يخرج من كل ضلع في الجزء السفلي منها صنوبر يتقدمه جلسة رخامية، وأما الجزء العلوي فعبارة عن حجاب رخامي أبيض تم تفرغ ثلثيه بهيئة أشكال هندسية مخرّمة، يعلوها جزء مصمت ينتهي بإطار على هيئة الشرافات، وتغطي النافورة أو الميضأة قبةً مخروطية، أما سقف الشاذروان الذي يقوم على الأعمدة فعبارة عن رفر ف خشبي مغطى بألواح الرصاص يقوم على اثني عشر عمودًا رخامياً، ويحمل الرفرف قبة الفسقية التي يعلو مركزها قائم معدني ذو انتفاخات ينتهي بهلال.

ويحيط بالصحن رواق ينقسم إلى مناطق مربعة متساوية، يغطي كلاً منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية، ويشرف الرواق على الصحن ببائكة من ثلاثة عشر عقداً في الجهة الشمالية الغربية، وعشرة عقود في كل من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وستة عقود بالجهة الجنوبية الشرقية بواقع ثلاثة عقود على كل جانب من جانبي بيت الصلاة المغطى، وتقوم العقود على أعمدة رخامية لها تيجان

ذات معينات، وقد فتح بالرواق من الخارج عدد من النوافذ بواقع نافذة في كل مربع من مربعات الرواق حول الصحن، وتأخذ كل نافذة هيئة مستطيلة معقودة بعقد مدبب تغشيتها المصبغات المعدنية.

مداخل الصحن: يتم الدخول إلى الصحن عبر ثلاثة مداخل محورية بواقع مدخل بمنتصف الجهة الشمالية الغربية يربط المسجد بالمدرسة، ومدخلين على محور واحد في الجهتين الجانبيتين لكنهما لا يتوسطان تلك الجهات، وكل منها عبارة عن كتلة مدخل حجرية يؤطرها عقد موتور تتوسطه فتحة باب الدخول التي تؤدي إلى الرواق المحيط بالصحن، ومنه إلى الداخل.

جدار القبلة: يتوسطه إيوان المحراب، ومن ثم فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إيوان المحراب في المنتصف وعلى جانبيه قسمان، أما إيوان المحراب فعبارة عن دخلة يبلغ عمقها ٤٠، ٤م واتساعها ١٥، ٦م تقريباً، يغطيها نصف قبة، ويقع بصدرها المحراب داخل تجويف يتوجه صف من الشرفات على هيئة أوراق نباتية ثلاثية، وهو محراب رخامي عبارة عن حنية مضلعة يعلوها طاقية من ٦ حطات مقرنصة، لها ذيول هابطة يعلوها اقتباس قرآني منفذ بخط الثلث المذهب، ونصه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(١)، ويكتنفها من الأعلى جامتان مذهبتان زخرفت كل منهما بزخارف قشور السمك^(٢)، وعلى جانبي المحراب أربع نوافذ، بواقع نافذتين على جانبي المحراب واثنتين أخريين بالضلعين الجانبيين لإيوان المحراب، وتأخذ النوافذ الشكل المستطيل يغشيتها مصبغات معدنية، ويغلق عليها مصراعان خشبيان، ويعلو هذا المستوى خمس فتحات نوافذ، بواقع ثلاث نوافذ أعلى المحراب ونافذتين سفليتين شكلت على هيئة المطاومات المعقودة، ونافذتان تعلوان نافذتي الضلعين الجانبيين، خصص لكل منهما تجويف مستطيل يتوجه عقد نصف دائري، ويغشي النوافذ العلوية جص مفرغ بأشكال وزخارف هندسية، يتخللها بعض الحشوات التي سجل عليها كتابات دينية من شهادة التوحيد والصلاة على النبي ﷺ، ويتقدم دخلتي المحراب شمعدانان من النحاس الأصفر مثبتين إلى الحائط لحفظهما.

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٣٩.

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجا عبد العال، ص ٢٣١.

وأما القسمان الجانبيان بجدار القبلة فتتخللهما فتحات النوافذ المماثلة لنوافذ القسم الأوسط، بواقع نافذتين سفليتين تعلوهما نافذتان علويتان بكل قسم، يحددها هيئة عقد نصف دائري.

المنبر: وهو منبر رخامي يقع إلى جوار المحراب ملتصقاً بالدعامة التي تحمل القبلة، وهو يتبع المنابر العثمانية التقليدية من باب المقدم يؤدي إلى درج على جانبه درابزين، وهو عبارة عن قاطوع رخامي مائل منفذ بالتحريم والتفريغ ليشكل زخارف هندسية من دوائر متشابكة وأنصافها وأشكال المعينات، وتقع ريشتا المنبر أسفل الدرايزين، وتتكون كل ريشة من مثلث رخامي من أربع حشوات سفلية مفرغة وحشوة مثلثة صماء تزينها جميعاً زخارف نباتية مذهبة، ويتوسط الحشوة الرئيسة حشوة دائرية مفرغة ذات زخارف هندسية، ويؤدي الدرج إلى جلسة الخطيب مربعة الشكل، يغطيها جوسق عبارة عن عنق مضلع سداسي الشكل من الخشب تعلوه خوذة مسدسة تنتهي بقمة مدببة تشبه قمم المآذن العثمانية، يخرج من مركزها سفود مذهب ذو انتفاخات يعلوه هلال، وبأسفل الجلسة فتحتا الروضة معقودتان بعقود مدببة لا يغلق عليهما أبواب.

دكة المقرئ أو كرسي الوعظ: عبارة عن كتلة خشبية مستطيلة تستند إلى أحد أعمدة القبلة المركزية، تقوم على ٤ أرجل، وتتكون من جزأين أو مستويين؛ ويزين كل ضلع من أضلاعها السفلية بائكة من ثلاثة خورنقات معقودة بعقد ثلاثي منفذة بالتحريم أو التفريغ، يعلوها المستوى العلوي الذي يتخذ شكل درابزين، ويقع بضلوعها الأوسط مؤخر (مسند) تزينه زخارف هندسية من أطباق نجمية وأجزائها. التكريسات الخزفية بجدار القبلة: يتميز جدار القبلة بتكسيته ببلاطات خزفية من صنع إزنيق^(١)، وذلك أعلى النوافذ السفلية على امتداد الجدار، وخاصة حول المحراب، وقد سجل على تلك التي تعلو النوافذ اقتباس قرآني من سورة الفتح وهو منفذ بخط الثلث، يدها شريط زخرفي من النباتات المورقة والأزهار، ونص الاقتباس أعلى الأربعة شبابيك كالاتي:

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢) (١)

وأما تكسيات دخلة المحراب فهي تصل إلى منتصفها تقريباً وتزينها زخارف نباتية على هيئة مزهريات تخرج منها زخارف الرومي النباتية، أو تخرج من المزهريّة بخاريتان بهما زخارف أزهار اللالا والقرنفل وبعض الأشجار والأوراق، ويعلو هذه الزخرفة اقتباس قرآني منقذ بخط الثلث، ونصه آية الكرسي: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢).

الجدار الشمالي الغربي: وهو الجدار المقابل للمحراب، وينقسم إلى ثلاثة أجزاء رأسية، أكبرها الجزء الأوسط بامتداد القبة المركزية، والجزءان الجانبيان بامتداد الجناحين، وينقسم الجزء الأوسط إلى ثلاثة أقسام فرعية يتماثل منها القسمان الجانبيان من حيث الشكل المعماري والزخرفي، وكلاهما من مستوى سفلي يشتمل على نافذتين مستطيلتين، وتعلوهما نافذتان، ويغشيها جميعاً المصبعات المعدنية، ويعلو النوافذ شمسية كبيرة ملئت بزخارف الرومي الزرقاء على أرضية حمراء، والقسم الأوسط يحتوي على فتحة باب الدخول للمسجد تتوسط دخلة معقودة بعقد موتور، وتأخذ فتحة الباب شكل مستطيل ٨٠، ٣م x ١٠، ٢م تقريباً، ويغلق عليها مصراعان من الخشب والزجاج، ويعلو كتلة المدخل ذلك المؤذنين أعلى بعضها البعض، وترتكز العلوية على سقف الدكة الأولى السفلية (٣).

(١) سورة الفتح، الآيتان ١-٢.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٥٥.

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢١٩.



صورة (٧٧): الجهة الجنوبية الغربية، بأعلىها أنصاف القباب، وبأسفلها واجهة محفل النساء والمحفل السلطاني (تصوير الباحث)

أما الجزءان الجنوبيان فهما متماثلان، وينقسم كلٌّ منهما إلى مستويين أفقيين، يشتمل المستوى السفلي على نافذتين مستطيلتين، يؤطر كلاً منهما إطار رخامي، ويغلق عليها مصراعان من الخشب، يعلوها في المستوى العلوي نافذتان تماثلهما وتغشيها المصبعات المعدنية أيضًا.

الجدران الجانبية: وهما الجدران: الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي (صورة: ٧٧)، وهما يطلان على القبة المركزية ببائكة معقودة من مستويين، العلوي منها يشغله المحفل الرئيس للنساء إلى جانب محفل السلطان بالجهة الجنوبية الغربية، وأما الجدران فقد كانا متماثلين أيضًا، يمتد كلٌّ منهما بطول ٢٢م تقريبًا، إلا أنه بعد إجراء الزيادات والإضافات، لا سيما المحفل السلطاني الذي أضافه السلطان محمود الثاني بداية القرن ١٣هـ / ١٩م^(١) تم غلق بعض نوافذ الجهة الجنوبية الغربية وتحول إحداها إلى فتحة باب تربط بين المحفل والمسجد، وينقسم كلٌّ من الجدارين إلى قسمين؛ قسم جهة المحراب، وقسم بالجهة الأخرى، وكل قسم يتكون من ثلاثة مستويات أفقية، فتح بجميعها فتحات نوافذ مستطيلة يؤطرها إطار من الرخام، يعلوها مستوى ثانٍ

(1) Ottman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 337

من النوافذ المستطيلة أيضاً، ويعلوها نفيس معقود بعقد مدبب في المستوى الثالث (العلوي) يغشيه الجص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون، ولا يختلف في ذلك سوى المستوى الأول (السفلي) جهة الشمال الغربي، فقد فتحت موضع أول نافذة فتحة باب مستطيلة يغلق عليها مصراعان خشبيان.

المحفل الرئيس (محفل النساء): يقع بالطابق الثاني من المسجد ليشغل الأروقة الجانبية الثلاثة فيما حول القبة المركزية ليأخذ هيئة حرف (U)، وتطل واجهة المحفل على القبة المركزية ببائكة معقودة بعقود مدببة محمولة على أعمدة لها تيجان ذات معينات بواقع ٢٨ عموداً رخامياً، وأما عن اتساع المحفل فإنه غير متساوٍ في جميع الجهات، فيبلغ في الجهة الشمالية الغربية ٨٠, ٢م، وفي الجانبين ٣٠, ٢م، فيما عدا الجزء الذي يقع فيه المحفل السلطاني فقد ازداد اتساع المحفل ليلعب نحو ستة أمتار، ويعلو المحفل درابزين رخامي مشغول بأشكال عقود بورصة أو العقود الناقصة، وقد خصص هذا المحفل للسيدات، وأما سقف المحفل فبعض أجزائه خشبية تزينه نقوش نفيسة^(١) في الجزء الشمالي الغربي، وأما في الجانبين فيغطيه قباب الجناحين، وغالبية الزخارف من زخارف نباتية كأزهار اللالا واللوتس وزخارف الرومي والهاتاي بلون بني على أرضية سوداء تدرج ضمن زخارف طرازي الباروك^(٢) والروكوكو^(٣)، ويرجح أنها من تجديدات السلطان محمود الثاني^(٤)، وهي تضيف مع بقية زخارف الجامع الداخلية بريقاً خاصاً جذاباً تنتشر فيه الزخارف البيضاء على

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٢١.

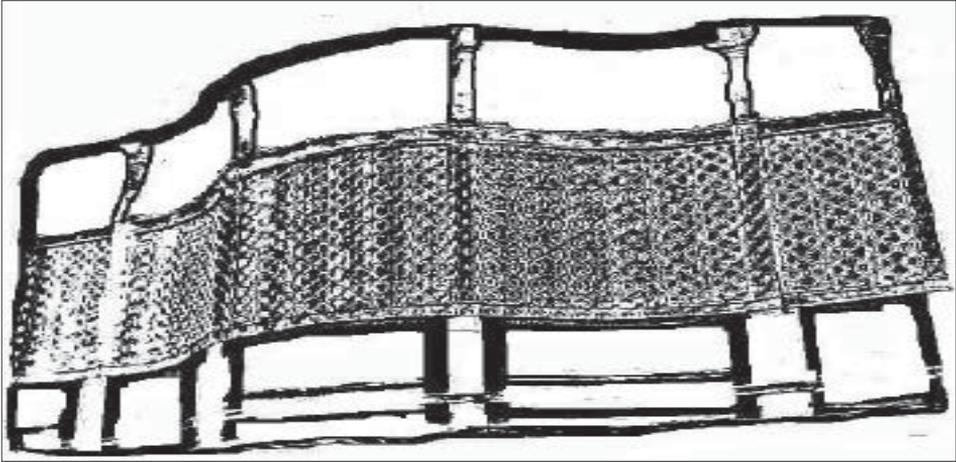
(٢) الباروك: طراز فني أوروبي شاع بأوروبا بعد عصر النهضة، ثم انتقل إلى الفن العثماني في مرحلة التغريب منتصف القرن ١١هـ/١٧م، ومعنى كلمة الباروك لغوياً: اللؤلؤة غير المنتظمة، وهو ما يعكس رؤية هذا الطراز الفني بالخروج عن التناسق والنظام الذي كان يميز الفن الكلاسيكي إلى نوع من الفن المبهج الذي لا يتقيد بشكل معين من الزخرفة. ويتميز طراز الباروك بالبراء المعاري والفني والبهجة، وتكرار الشكل الزخرفي، والجمع بين التماثل والزخارف والحليات في تكوين متكامل مع كثرة تشابك الزخارف، ومن أهم سياته استعمال وحدة المحارة بكثرة إلى جانب الأوراق النباتية مع كثرة وجود اللون الذهبي والفضي.

(٣) طراز الروكوكو: هو أيضاً طراز فني أوروبي يُعدّ آخر ما عرفته أوروبا من الطرز الفنية، وانتقل مع الباروك إلى الفن العثماني وإن تأخر قليلاً، وكلمة الروكوكو مشتقة من كلمة Rocaille التي تعني أشكالاً محارية أو صدفية، ومن ثم يتبين أنها منبثقة من الباروك.

(4) Üsküdar, Atik Valide Camii Özgün Kalem İşleri Ve Türk-Islam Bezeme Sanatındaki Yeri, (Candan Nemlioğlu), Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmalı Merkezi, Part 1, Cilt 1, İstanbul, 2004, S. 71.

أرضية حمراء، والزرقاء على أرضية بيضاء وغيرها مما على الجدران والقبة والعقود والبلاطات الخزفية^(١).

المحفل السلطاني (صورة: ٧٨): وهو يمثل واجهة الاستراحة السلطانية التي أضافها السلطان محمود الثاني إلى الجنوب الغربي من المسجد، وقد خُصص لصلاة السلطان وحاشيته، ويطل على المسجد بواجهة مقوسة تبرز إلى الداخل على هيئة شرفة بشكل أقرب إلى نصف دائرة، وهو يتكون من ثلاثة مستويات؛ يمثل المستوى السفلي القاعدة، وهي خضراء اللون تحمل المستوى الثاني المفرغ بأشكال زخرفية هندسية مذهبة على هيئة جامات بيضاوية، تتقاطع داخلها أشرطة مجدولة تشبه الجفوت اللاعبة المتجاورة والمتقاطعة التي تبرز مدى الذوق الفني الرفيع، وهي على طراز الباروك والروكوكو، وينتهي المستوى الأوسط بإطار من زخارف الروكوكو على هيئة أزهار اللوتس، وأما المستوى العلوي فمفتوح تتخلله أربعة أعمدة رخامية.



صورة (٧٨): تفرغ لشرفة المحفل السلطاني
(نقلاً عن: المساجد العثمانية، محمود السيد محمد، مج ٢، ص ٧١).

أنصاف القباب: وهي تدعم القبة بواقع أربعة أنصاف حول القبة من الجانبين، ونصف قبة يغطي إيوان المحراب، وهي تقوم على مناطق انتقال من مثلثات كروية تحمل رقبة القبة التي فتح بها أربع فتحات نوافذ، وتتماثل جميع أنصاف القباب، إذ

(1) Üsküdar Atik Valide Külliyesinin Yerleşim Düzeni Ve Yapım Tarihi-Zerine, (Aptullah Kuran), Suat Kemal Yetkin Armağanı, Ankara, 1984, Ss. 231-268, S, 240; Mimar Sinan (op. cit), (Aptullah Kuran), S. 186.

يحتها شريط من زخرفة الخورنق أشبه بالأوراق النباتية الخماسية، وبداخلها زخارف نباتية كالهاتاي وزهور القرنفل، ويتميز النصف قبة أعلى إيوان المحراب في الركنين بنص كتابي بكل ركن منهما إحدى العبارتين: (حسين رضي الله عنه - حسن رضي الله عنه)، وقد زُحرف كل نصف قبة بصرة نقش بها اقتباس قرآني بخط الثلث الأبيض على أرضية زرقاء تبدأ من أعلى المحراب، ونصها في الخمسة أنصاف: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٧٩﴾ وَإِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴿١﴾ صدق الله العظيم وبلغ رسوله النبي الكريم.

ويقع أسفل هذا الاقتباس القرآني تاريخ سنة ١٣١٨ هـ، يذكر (بيومي) أن هذا التاريخ يؤرخ لهذه الكتابات، ومن ثم فهي ليست أصلية من عصر الإنشاء، وإنما من إضافات السلطان عبد الحميد الثاني^(٢)، ويحيط بالكتابات إطار زخرفي تملؤه زخارف الرومي البيضاء على أرضية حمراء، ويحيط بها من الخارج أوراق الأكانتس السوداء يتخللها بالتبادل شعلات باللون الأحمر^(٣).

قباب الجناحين: وهي تغطي جناحي المسجد اللذين أضيفا على الأرحح على يد بير علي متولي المسجد، وهي قباب أقل ارتفاعاً وقطراً من القبة المركزية إذ يبلغ ارتفاع كل منها ٣٠, ١٠م وقطرها ٥م، وتتوزع بواقع قبتين أعلى كل جناح، وتزين باطن كل قبة منها اثنتا عشرة بخارية تضم بداخلها زخارف مزهريات، تخرج منها أزهار اللالا وأزهار القرنفل وأزهار الأكانتس واللوتس بألوان حمراء وصفراء على أرضية بيضاء، فيما يزين صرة كل منها قرص شمسي كبير مشغول بزخارف الرومي والأوراق النباتية باللون الأبيض على أرضية حمراء، ويحدد القرص الشمسي إطار من أشكال الشاعد يتخللها هيئة الشعلات باللون الأسود.

(١) سورة الأنعام، الآيتان (٧٩، ٨٠).

(٢) ينظر: كتابات العمائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٢٢٤.

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٢٥.

ب) المدرسة:

تضمنت وثيقة الوقف الخاصة بنوربانو سلطان وقف المدرسة، وهي تقع إلى خارج المسجد^(١) في مستوى منخفض قليلاً، ويُدخَل إلى المدرسة عبر درج بالجهة الجنوبية الغربية يفتح على شارع كارتال بابا، إلى جانب المدخل الذي يربط بينها وبين المسجد، وقد مرت المدرسة بعدة أحداث أثرت على عمارتها، فتم ترميمها وإصلاحها برعاية المديرية العامة للأوقاف^(٢)، ثم استخدمت لسكنى بعض الأسر الفقيرة، وأخيراً قامت قاعة الدرس بوظيفة الكتّاب لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم.

١. واجهات المدرسة الخارجية:

للمدرسة ثلاث واجهات خارجية، وتفتح من الجهة الرابعة على الصحن الذي يربطها مع المسجد، وتمتد منها الواجهة الشمالية الشرقية من دون أن تتخللها نوافذ، فهي واجهة صغيرة صماء تطل على الخانقاة (التكية)، وتحتوي على مدخل يؤدي إلى صحن المدرسة.



صورة (٧٩): الواجهة الشمالية الغربية لمدرسة نوربانو سلطان وتظهر امتداد الدرس خانه وبروزها للخارج، نقلاً عن: (Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar.)

(1) Özen, The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen), P, 80 .

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٣٣ .

الواجهة الشمالية الغربية: وهي أهم الواجهات، وهي عبارة عن واجهة حجرية يبرز من منتصفها كتلة قاعة الدرس (درس خانة)، وهي مُعلَّقة^(١) تقوم على قاعدة سفلية فتح بها عقد كبير بكل جهة من الثلاث جهات الخارجية (صورة: ٧٩)، وهي عقود حجرية مدببة من صنجات معشقة، وتغطي قاعة الدرس قبة أكبر من قباب الخلاوي والرواق، وفتحت بكل ضلع من أضلاعها نافذة معقودة بعقد مدبب يغشها الجص المعشق بالزجاج، ويقع على جانبي قاعة الدرس جزآن متماثلان يمثِّلان امتداد الواجهة، ويشتمل كل منهما على فتحات نوافذ مستطيلة يؤطرها عقد مدبب، ويغشي جميعها الجص المعشق بالزجاج بواقع نافذتين في كل حجرة^(٢).

الواجهة الجنوبية الغربية: وهي واجهة حجرية ممتدة فتح بها تسع نوافذ مستطيلة، يؤطرها عقد مدبب ويغشها الجص المعشق بالزجاج، وبها مدخل في الركن الجنوبي يؤدي إلى داخل المدرسة.

القباب من الخارج: تعلو واجهات المدرسة من الثلاث واجهات الخارجية قباب تغطي خلاوي الطلاب، إلى جانب قبة قاعة الدرس الكبيرة، وهي قباب مغطاة بألواح الرصاص، ونظرًا لوجود مدافئ بخلاوي الطلاب فقد تم بناء مدخنة أعلى كل مدفأة، تأخذ هيئة البرج المستطيل يمتد لأعلى الجدران ليتصاعد منها الدخان الناتج من عملية التدفئة، وقد فتح بها عدد من الفتحات الضيقة، وتعلو كل مدخنة قمةً على هيئة قبة بصلية الشكل.

٢. التخطيط الداخلي للمدرسة:

تأخذ المدرسة تخطيطًا غير مستقيم الشكل نظرًا لوقوعها على رقعة غير منتظمة، إلا أنها أقرب إلى هيئة حرف (U) غير متساوي الطرفين (سبق إيراد صورة لها)، تتكون من صحن مكشوف غير منتظم الشكل، ويحيط به رواق من ثلاث جهات

(١) البناء المعلق هو الذي يبنى أعلى بناء قديم، بحيث يبدو وكأنه أعلى من الأرض الطبيعية بالنسبة لبقية المنشآت المعاصرة، فقد يبنى أعلى بناية قديمة، أو يُستغل الطابق السفلي لبناء محلات أو وحدات أخرى غير الوحدة المعمارية الأساسية، ويُطلق لفظ المعلق أيضًا على البناء المعلق بشرط، ويكون أغلبها في هذه الحالة على العماثر الموقوفة، إذ يكون استمرارها مرهونًا بوفاء مصروفاتها وبإجراء مرمتها تبعًا لشروط الوقف.

(٢) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسرايي، مجلد ٢، ص ١٨٢-١٨٣.

ينقسم إلى مناطق مربعة يعلو كل منطقة منها قبة، ويطل الرواق على الصحن ببائكة معقودة بعقود مدبية تركز على أعمدة لها تيجان ذات معينات، ويتوسط الصحن شاذروان أو فسقية صغيرة.

تقع خلاوي الطلاب خلف الرواق، بواقع ١٨ حجرة، تغطي كلاً منها قبة، وتتوزع كالتالي؛ أربع خلاوي في الغرب، واثنتان في الشرق، واثنتا عشرة خلوة في الشمال، تُخصص منها ١٥ خلوة للطلاب، وخلوتان للمعبدین وواحدة للبواب^(١)، ويفتح بكل حجرة جهة الرواق فتحة باب مستطيلة الشكل لها إطار من الرخام، ويغلق عليها مصراعان خشيان حديثان، كما فتحت بكل حجرة نافذة مستطيلة تغشيها مصبغات معدنية، إلى جانب كتيبة (خزانة حائطية) داخلية مستطيلة الشكل، ويقابل الباب والنافذة إلى الخارج نافذتان يغشيهما الجص المعشق بالزجاج، ويغطي كل حجرة قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية.

الدرسخانه: تقع بمنتصف الجهة الشمالية الغربية، وهي عبارة عن حجرة ذات تخطيط مربع الشكل فتحت بكل من جداريها (الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي) نافذة سفلية تعلوها نافذة علوية، وتحتوي القاعة على كتيبتين على جانبي النافذة السفلية جهة الجنوب الغربي وفي الجدار الشمالي الغربي، وأما مدخل القاعة فيفتح على الرواق، ويعلو أركان المربع السفلي للقبة أربع حنايا ركنية بواقع حنية في كل ركن، وهي تقوم بوظيفة منطقة الانتقال ليتحول المربع السفلي إلى رقبة مئمنة تأتي فوقها خوذة القبة نصف الدائرية.

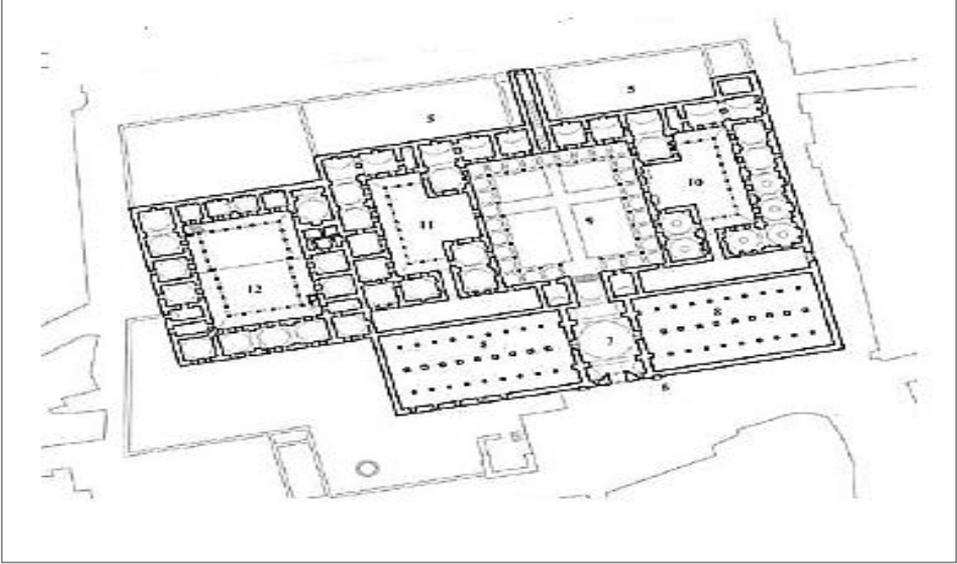
والمدرسة مبنية من الحجارة المقطوعة قطعاً منتظمة، وقد أشرف المعمار سنان على جميع أعمال التجهيز للمواد الخام والتخطيط وغير ذلك منذ سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م لتكتمل سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وقام بالتدريس فيها علماء كبار، أمثال: فقيه الإسلام تشيفزاده محمد أفندي أخو دفتر زاده أفندي عبد الكريم، وغيرهما^(٢).

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٣١.

(2) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1245.

ينظر: سياحتنامه سي، أوليا جلبي، إيكنجي جلد، ص ١٧٣.

ج) الكتلة الثانية الرئيسة بكلية نوربانو سلطان (صورة: ٨٠):



صورة (٨٠): المسقط الأفقي لوحدة الكتلة الثانية من كلية نوربانو سلطان

يتبين من نص الوقفية أن الوحدة الرئيسة بهذه الكتلة إنما هي العمارت، وأما الخان والتابخانه فقد أُلحقا بها لكونهما يمثلان مبيتًا للضيوف القادمين من الخارج، فكان الخان نزلاً مجانيًا، وكانت التابخانه مقرًا لمبيت الصوفية الرحّالة، فيما مثلت التكية مقر الصوفية المقيمين، وأما إذا تناولنا كل وحدة معمارية منها على حدة؛ فإن الكتلة الثانية من كلية نوربانو سلطان تشتمل على كل من الخان المزدوج في الجنوب الغربي، ومن مدخل الخانين يتم الوصول إلى الصحن الذي يتوسط الكتلة الثانية من المجمع وعلى جانبه التابخانه والمطبخ، وإلى الشمال الغربي منها تقع دار الشفاء، وتقع دار القراء ودار الحديث بأقصى الشمال الشرقي من الكتلة، وقد تغير نشاط الكتلة الثانية من الكلية الوقفية لنوربانو سلطان بما يدل على صلاحية التخطيط لأداء أي وظيفة مع تعديل بعض العناصر البسيطة لتتكيف مع الوظيفة الجديدة، إذ استخدمت وحدات هذه الكتلة سكنًا للعساكر النظامية والعساكر الجديدة فيما بين سنوات ١٢٨١-١٣٤٥هـ/ ١٨٦٥-١٩٢٧م^(١)، وعلى مدى قرابة السبعين عامًا.

(1) "Atik Valide Sultan Külliyesi", (M.T. Tanman), Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, vol. 4, İstanbul 1991. s. 68.

١. الخان:



صورة (٨١): مدخل خان مجمع نوربانو سلطان بإسكندار أثناء الترميم عام ٢٠١٤م (تصوير الباحث) وهو عبارة عن خان كبير مزدوج يتوسطه ممر صاعد يؤدي إلى صحن العمارت، ويقع على جانبي الممر جزءان متماثلان ولذا عرف بالخان المزدوج، وقد تغير شكل الخان تمامًا عن وقت إنشائه، حيث كان الخان يتكون من منطقتين مستطيلتين قسمت كل منطقة منهما إلى أربعة أروقة بواسطة ثلاث بئكات من دعائم حجرية، ويتوسط المنطقتين ممر الدخول الذي يلي المدخل، وهو عبارة عن فتحة باب معقودة (الصورتان: ٨١، ٨٢)، تطل على شارع (Eski Toptaşı Cad)، وتؤدي إلى دركاة مستطيلة مستعرضة يغطيها قبو برميلي نصف دائري، ويفتح القبو على منطقة مربعة تغطيها قبة كبيرة تنتهي بمنطقة أخرى مستطيلة مستعرضة تشبه الأولى، ويغطيها قبو برميلي كذلك، وتؤدي بعد ذلك عبر ممر صاعد إلى صحن العمارت^(١) الملحقة

(١) قد سبق للباحث في أثناء إعداد له رسالة (الماجستير) أن ذكر بأن هذا المدخل يؤدي إلى المدرسة، وذلك لأن الباحث كان مقتصرًا في دراسته على الخان كمنشأة تجارية من دون الاهتمام ببقية وحدات المجمع المعماري، كما أن المجمع كان مغلقًا للترميم فلم أستطع الدخول، ومن ثم فقد اختلط الأمر وجاء هذا الخطأ عن غير قصد. ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٧٨.

بالمجمع، أما الخان حاليًا فهو يمر بعملية ترميمات وإصلاحات نتيجة التدهور الذي مر به الخان (ومع بالغ الأسف فلم يسمح لي بدخول الخان ولا هذه الكتلة المعمارية فاضطرت مع ذلك إلى التقاط صورٍ خارجية فقط)، ويبلغ اتساع فتحة المدخل ٣ أمتار، يغلق عليها مصراعان من الخشب المصفح بالحديد من الخارج فقط، ويبلغ ارتفاع كل مصراع منهما ٤ أمتار باتساع ١٦٢ سم، ويتوج الدخلة عقد حجري موتور، زُخرفت المنطقة التي تعلوه بثلاثة خراطيش مستطيلة، سُجل على اليمنى منها «لا إله إلا الله» وعلى اليسرى «محمد رسول الله»، في حين زُخرفت المنطقة الوسطى بجامة دائرية في المنتصف، وعلى جانبيها زخرفتان إشعاعيتان تؤطرهما من الجوانب الخارجية زخرفة الهلال.



صورة (٨٢): صورة قديمة تظهر مدخل الخان والعمارت بكلية نوربانو سلطان، نقلًا عن:
(Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar)

يؤدي المدخل حاليًا إلى منطقة مستعرضة يغطيها قبو مدبب، تليها منطقة مربعة تغطيها قبة، ثم منطقة مستعرضة يغطيها قبو نصف دائري، تليها منطقة مربعة أخرى تغطيها قبة تؤدي مباشرة إلى العمارت، ويقع مدخلا الخانين على جانبي المنطقة المربعة الأولى جهة المدخل والمغطاة بقبة، حيث يتم الدخول إلى ممر ينقسم إلى مناطق مربعة تغطيها قباب ضحلة تُمثل رواقًا يلتف بصحن أو وسط مكشوف بما يبين مدى تغير تخطيط الخان عن المخطط القديم له، فأصبح الخان حاليًا عبارة عن جزأين، كل منهما عبارة عن صحن مكشوف يحيط به رواق من جميع الجهات، وتقع خلف الرواق من الجهات الثلاث الأخرى، عدا جهة المدخل، حجرات الخان من طابق واحد مرتفع، وتطل حجرات الخان والرواق الذي يحيط بالصحن من الخارج بسقف جمالوني لتصريف مياه الأمطار، ومن الملاحظ في قباب الممر الأوسط للخان أنها كانت مزخرفة بزخارف نباتية مرسومة على باطن القباب ومناطق انتقالها، وهو ما يظهر من تلك البقايا.

٢. العمارت (دار المرق أو المطبخ العام):

الموقع: تقع العمارت إلى شمال شرق الخان، وإلى الجنوب الشرقي من التابخانه، فيما تطل واجهتها الجنوبية الشرقية على شارع والده عمارت، ويشغل الجزء الغربي منها حجرات المطبخ^(١)، وتدلل وثيقة الوقف على أن العمارت تشتمل على كل من الفناء والتابخانه والمطبخ، ومن ثم فإنه يمكن تناولها إما كوحدات منفردة وإما كتكتلة رئيسة كبيرة تنقسم إلى وحدات أصغر.

تخطيط العمارت: تتكون العمارت من مساحة مستطيلة الشكل يتوسطها فناء على هيئة حرف (T)، يحيط به رواق يأخذ هيئة حرف (U)، وذلك من الجهات الجنوبية الشرقية والشالية الشرقية والجنوبية الغربية، ويطل الرواق على الفناء ببائكة من عقود مدببة تقوم على أعمدة رخامية لها تيجان ذات معينات، وذلك بواقع ثلاثة عقود بكل من الجهتين الشالية الشرقية والجنوبية الغربية، وتسعة عقود بالجهة الشالية الغربية، وتقع خلف الرواق حجرات العمارت من الجهات الأربع، بواقع

(1) Sinan The Grand Old Master (op. cit), (Aptullah Kuran), P. 188; "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 72

اثنتي عشرة حجرة تتوزع على الأضلاع بواقع أربع حجرات في أركان العمارت، وتحصر بينها باقي الحجرات كالاتي؛ حجرة واحدة بكل من الجهتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، واثنتان في الضلع الشمالي الغربي، وأربع حجرات في الجنوبي الشرقي، وتغطي جميع الحجرات قباب تقوم على مثلثات كروية، عدا الحجرات الشمالية الشرقية فتغطيها أقبية، وأما الرواق فيغطيه سقف مسطح، وقد فتح بكل حجرة من حجرات العمارت فتحة مدخل مستطيلة الشكل ونافذة تقع كل منهما جهة الرواق.

يتم الدخول إلى العمارت عبر مدخل مستطيل الشكل بصدده دخلة مستطيلة أعلى ارتفاعاً، يتوجها عقد موتور يرتكز على كتفين من الجص، وعلى جانبي المدخل حنيتان عميقتان تأخذ كل منهما هيئة نصف دائرية تشبه تجويف المحاريب، وقد سُجل على أحد جوانبها كتابة بخط الثلث تعود إلى سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م، ويفضي المدخل إلى ردهة يكتنفها من الجوانب الثلاثة قاعات، تغطي كلاً منها قبة تقوم على مثلثات كروية، وقد استخدمت قاعتان منها كمطبخ قديماً؛ إذ كان للعمارت مطبخ صغير وآخر كبير^(١)، وكان يتم استخدامها غالباً للخبز.

٣. التابخانه:

هي تقع بمواجهة المطبخ إلى الشمال الغربي من فناء الكتلة الثانية للكلية، وهي تتماثل وتتطابق في التخطيط مع العمارت، ويحدها من الشمال الغربي دار الشفاء، وتخطيطها عبارة عن شكل مستطيل يتوسطه فناء مكشوف يأخذ هيئة حرف (T)، يحيط به رواق يشبه تماماً رواق العمارت من ثلاث جهات ليشكل حول الفناء هيئة حرف (U)، ويطل الرواق على الفناء بيئكة من عقود مدببة تقوم على أعمدة رخامية تشبه الأعمدة السابق ذكرها، وذلك بواقع ثلاثة عقود بكل من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وتسعة عقود بالجهة الشمالية الغربية، وتقع خلف الرواق حجرات التابخانه من الجهات الأربع، بواقع اثنتي عشرة حجرة تتوزع على الأضلاع، بواقع أربع حجرات في أركان التابخانه، وتحصر بينها باقي

(1) Sinan The Grand Old Master (op. cit), (Aptullah Kuran), P. 188.

وينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجا عبد العال، ص ٢٤٦.

الحجرات كالآتي؛ حجرة واحدة بكل من الجهتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، واثنان في الضلع الجنوبي الشرقي، وأربع حجرات في الضلع الشمالي الغربي جهة دار الشفاء، وحجرتان في الجنوب الشرقي، وتغطي جميع الحجرات قباب تقوم على مثلثات كروية، عدا الحجرات الشمالية الشرقية فتغطيها أقبية متقاطعة، فيما يغطي الرواق سقف مسطح، وقد فتحت بكل حجرة من حجرات التابخانه فتحة مدخل مستطيلة الشكل ونافذة تقع كل منهما جهة الرواق.

ونظرًا لاختلاف شكل الحجرات وتغطيتها في الجهة الشمالية الشرقية بكل من المطبخ والتابخانه إلى جانب الأربع حجرات الواقعة خلف رواق فناء العمارت الشمالي الشرقي أيضًا، فإنه يمكن القول: إنها انفصلت وُضمت إلى داري الحديث والقراء، كون بعض الباحثين ممن تناول دراسة العمارت والمطبخ والتابخانه لم يشر إلى هذه الحجرات تمامًا.

٤. دار الشفاء:

الأهمية والموقع: تُعدّ من أهم وحدات وقف نوربانو سلطان، إذ قدمت خدمات وقفية جليدة لجميع من قصدها باغيًا العلاج من معضلة طبية أو وعكة صحية، وقد رتبت فيها نوربانو سلطان الأطباء والجراحين والكحّالين والصيدالة وطباخي الأشربة والمرضين^(١) وغيرهم (ممن يأتون في ملحق الدراسة)، وقد ألحقت بها مؤذنًا وإمامًا ومطبخًا وغير ذلك، وأشار بعض الباحثين إلى أنه وجد ضمن مخصصاتها صرف الطعام إلى طيور اللقلق (وربما قصد أنها من مصارف الوقف عمومًا)، وعلاج الطيور^(٢).

تقع دار الشفاء أقصى الشمال الغربي من الكتلة الثانية للكلية، ولها ثلاث واجهات خارجية تطل الشمالية الشرقية منها على شارع طوب تاش، وتطل واجهتها الشمالية الغربية على شارع كارتال بابا.

(1) Türk Kültür Sistemi İçinde Vakfın Yeri, (B. Yediyıldız.), Vakıflar Dergisi, no. 20, Ankara, 1988, S. 404; Osmanlı Külliyelerinin Kuruluşu, (G. Cantay), Atatürk Kültür Merkezi Başkanlığı Yayınları, Ankara, 2002, S. 68-69.
(2) Charitable Women And Their Pious Foundations In The Ottoman Empire: The Hospital Of The Senior Mother, Nurbanu Valide Sultan, (Ömer Düzbakar), Journal Of The International Society For The History Of Islamic Medicine, 2006, Vol. 5, Pp. 11-20.

التخطيط: تتبع دار الشفاء التخطيط التقليدي للعمائر العثمانية كالمدارس، فهي عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها فناء أوسط مكشوف يحيط به رواق من جميع الجهات^(١)، وينقسم الرواق إلى مناطق مربعة تتقدم حجرات دار الشفاء ويغطيه سقف مسطح، أما الحجرات فهي تلتف حول الرواق من جميع الجهات، وكل حجرة منها عبارة عن تخطيط مربع أو مستطيل بعضها غير منتظم الشكل، وتغطي كلاً منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية، أو أقبية برميلية، ويكسو جميعها من الأعلى ألواح الرصاص لمقاومة العوامل البيئية، ونظراً لضرورة تهوية الموضع لكونه منتجاً صحياً لأجل راحة المرضى نفسياً، فقد فُتح بالجدران الخارجية عدد من فتحات النوافذ بواقع ١٠ نوافذ في الجدار الجنوبي الغربي، و٦ نوافذ في الجدار الشمالي الغربي، وتتميز حجرات المستشفى بعدم تساويها في المساحة، كما أن الحجرات الشمالية الشرقية أصغر حجراتها.

استمرت دار الشفاء في تأدية وظيفتها حتى تم تحويلها مع باقي الكتلة الثانية من الكلية إلى سكن للعساكر النظامية الجديدة^(٢) ما بين ١٨٦٥-١٩٢٧ م، وتحوّلت إلى مدرسة للمرحلة الثانوية سنة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م^(٣)، وتم ترميمها حالياً وإدراجها ضمن أوقاف جامعة السلطان محمد الفاتح بمدينة إستانبول، لتتحول من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي ككلية للأدب (Edebiyat Fakütesi) بجامعة الفاتح^(٤).

٥. دار الحديث ودار القراء:

الموقع: تقعان إلى الشمال الشرقي من العمارت بجزأيهما (المطبخ والتابخانه)، ويفصلهما عن كتلة المسجد والمدرسة شارع طوب تاشي، ويفصل بين الدارين مدخل

(1) Ahistory Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 278 .

(٢) أُطلق مصطلح الجيش النظامي الجديد على الفيلق الذي شكّل بأمر السلطان سليم الثالث، على غرار تشكيلات الجيوش الأوروبية من اثني عشر ألف جندي يلحقون بفرقة البستانجي ضمن الإنكشارية، وقد جرى تدريبها وتخصيص الميزانيات التقديرية لها، وقد شاركت هذه الفرقة في مقاومة الحملة الفرنسية على عكا ونجحت في هزيمة القوات الفرنسية مما أثار الغيرة داخل باقي فرق الإنكشارية فناروا على السلطان سنة ١٨٠٧ م حتى تم إلغاء هذه الفرقة النظامية، وحُلِع على إثر ذلك السلطان سليم الثالث، وبدأت الإنكشارية تنشر الفوضى والاضطرابات داخل الدولة العثمانية حتى قام السلطان محمود الثاني بإلغاء تنظيم الإنكشارية نهائياً، وقام بتشكيل الجيش النظامي الجديد سنة ١٨٢٦ م. ينظر: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، سهيل صابان، ص ٢٢٣.

(3) "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 72

(٤) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٣٧.

يفضي إلى ممر طويل يؤدي إلى داخل صحن العمارت من منتصفه وعلى محور المدخل الرئيس للخان بالواجهة الجنوبية الغربية، وعلى جانبي الممر حجرات يتقدمها رواق بكل دار، يشرف على الفناء الخاص بها ببائكة معقودة بعقود مدببة تقوم على أعمدة رخامية، ويتم الدخول إلى دار الحديث عبر المدخل الخارجي الذي يؤدي إلى الممر الأوسط، وهناك مدخل آخر يؤدي إلى دار الحديث من منتصف التابخانه في الضلع المشترك بينهما.

التخطيط المعماري: يتطابق كل من تخطيط دار القراء ودار الحديث، وتتكون كل منهما من مساحة مستطيلة يتوسطها صحن مكشوف يحيط به رواق من الجهات الأربع، ويشرف الرواق على الصحن ببائكة معقودة بعقود مدببة تقوم على أعمدة ذات تيجان كورنثية، وينقسم الرواق إلى عدد من المناطق المربعة التي تغطيها قباب ضحلة تقوم على مثلثات كروية، وقد كسيت القباب من الخارج بألواح الرصاص، وتقع الحجرات خلف الرواق من الجهات الأربع، إذ فتح بكل حجرة جهة الرواق فتحة باب تؤدي إليها، ونافذة داخل تجويف مستطيل، وتؤطر الأبواب عقوداً موتورة من صنجات رخامية.

تحولت هذه الوحدات كباقي الوحدات الملاصقة إلى ثكنات عسكرية، وبعدها تحولت إلى موضع للأمراض العقلية يتم فيه حجز المرضى للعناية بهم، وبعد إلغاء الخلافة العثمانية تم تغيير النشاط تماماً لتشغلها ورش لصناعة أوراق التبغ ولمدة عشر سنوات ما بين ١٣٩٦-١٤٠٦هـ/ ١٩٧٦-١٩٨٦م، وبعدها تحولت إلى سجن عمومي مع الخان القريب منهما^(١)، وتعاني هذه الوحدات حالياً من الإهمال الشديد للأسف كعادة باقي المنشآت الوقفية ذات الوظيفة المدنية.

(د) التكية (Tekke):

١. الموقع:

تقع التكية في كتلة منفردة إلى الشمال الشرقي من الكتلة الأولى ليفصل بينهما شارع

(1) "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 72

تكية أونو (Tekke önu)، وهي عبارة عن مبنى مستقل يطل بواجهاته الأربع على الخارج، وهي واجهات ممتدة بُنيت من الحجر، وفتح بها عدد من النوافذ.

٢. تاريخ التكية:

كانت هذه التكية تتبع الطريقة الخلوتية^(١)، واستمرت في تأديةظيفتها طيلة القرنين ١١-١٢هـ/١٧-١٨م، وقد مرت في أثناء هذين القرنين بفترات توقف من جراء بعض الأحداث التاريخية والطبيعية، وبعد ذلك أغلقت فترة كبيرة في القرن العشرين إلى أن تم ترميمها وإصلاحها برعاية المديرية العامة للأوقاف سنة ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، وتحولت إلى (yurt) سكن خاص بالطلبة تابعاً للجمعية العلمية^(٢)، وتستخدم حالياً لتحفيظ القرآن الكريم لنساء الحي الواقعة بداخله^(٣).

٣. المدخل:

يُدخل إلى التكية عبر مدخل وحيد يقع في الركن الجنوبي من الجهة الجنوبية الغربية، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة يؤطرها عقد عاتق من صنجات معشقة، والمدخل بسيط يؤدي إلى دركاة مربعة تفضي إلى الرواق الذي يتقدم صحن التكية.

٤. التخطيط الداخلي للتكية:

يلاحظ من خلال استطراد التخطيطات المختلفة صلاحية التخطيط الإسلامي لتأدية أي وظيفة، ومن ثم فلا نجد تخطيطاً تنفرد به التكايا عن غيرها من العمائر الإسلامية، وتأخذ هذه التكية تخطيطاً غير منتظم الشكل أقرب إلى شبه منحرف، وذلك تبعاً للموقع الذي أنشئت عليه (مثلها في ذلك مثل المدرسة)، ويتوسط التكية صحن أوسط مكشوف تتوسطه فسقية رخامية^(٤) مثمثة الشكل، يغطيها رفر خشبي تعلوه قبة.

يحيط بصحن التكية رواق من الأربع جهات يطل بواجهته على الصحن ببائكة معقودة بعقود مدببة، يبلغ عددها ٣٥ عقداً أغلبها متساوي الحجم، فيما عدا بعض

(1) The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen), P, 80 .

(2) "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 72 .

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٣٤ .

(4) A History Of The Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 278

العقود الأخرى، فبعضها صغير وبعضها أكبر حجماً، وتقوم العقود على أعمدة رخامية لها تيجان ذات معينات، وخلف الرواق تقع حجرات المريدين أو المتصوفة، فيما تقع حجرة السمع (سمع خانة) بمنتصف الضلع الشمالي الشرقي، ويُدخَل إليها عبر مدخلين بأقصى طرفي ضلعها الجنوبي الغربي المطل على الرواق، ليدخل منها الدراويش أثناء جلسات الاستماع أو الذكر^(١)، وهي تأخذ التخطيط المربع، بحيث تعلو كل ركن من أركانه حنية ركنية ليتم تحويل المربع السفلي إلى رقبة مثمثة وضعت عليها خوذة القبة، أما حجرات المريدين والدراويش وعددها ٣٥ خلوة فقد خُصت ٣٣ منها للمريدين واثنان للمشايخ^(٢)، وهي لا تتساوى في الحجم ولا المساحة، وتشبه تماماً حجرات المدرسة من حيث العناصر الداخلية والنوافذ والأبواب، وتغطي كلاً منها قبة تقوم على مثلثات كروية.

هـ) مكتب الصبيان:

١. الموقع:

يقع مكتب الصبيان^(٣) منفصلاً إلى خارج الركن الجنوبي من المسجد، ويفصل بينهما شارع المسجد الصيني الذي عرف بالمجمع الصيني لماهيكركو سوسم سلطان، وهو عبارة عن بناء مستقل كانت له أربع واجهات حرة، لكن يغطيها الآن مبانٍ خشبية حديثة^(٤)، وقد وصفه بعض الباحثين^(٥) على أنه دار القراء، وهو رأي قد جانبه أصحابه الصواب على اجتهادهم، لأن دار القراء لا تقع منفصلة عن كتل المجمع، وإنما تقع في الكتلة التي تضم دار الشفاء والخان والعمارت بأقصى الشمال الشرقي منها ملاصقة لدار الحديث.

٢. الواجهات الخارجية:

تحجب معظم أجزاء واجهات المكتب مبانٍ حديثة، إلا أن المستوى العلوي منها يظهر أنها تنتهي بكورنيش آجري يعلوه كورنيش القبة، وأما الواجهة الشمالية

(1) Ibid, P, 278

(2) "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 72.

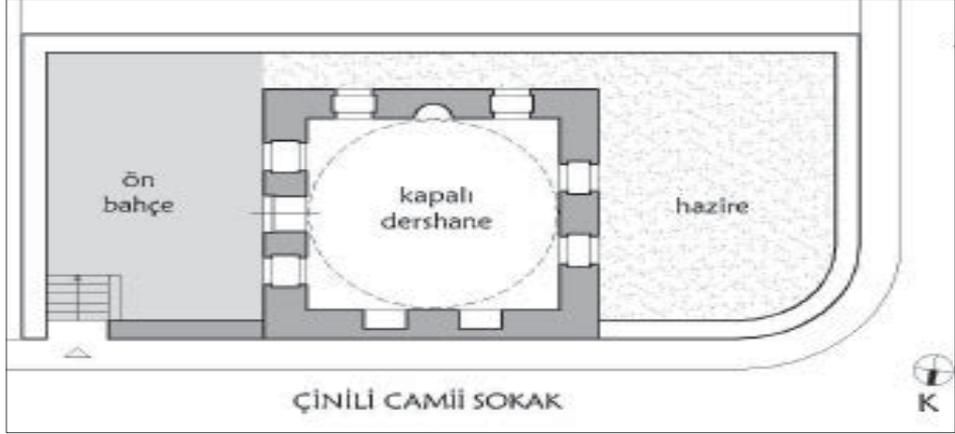
(3) Bildlexikon zur Topographie Istanbuls, (W. Müller-Wiener), Tübingen, 1977, p. 403; The Age of Sinan (op. cit), (Gurlu Necipoğlu), P. 381-386.

(4) A History Of The Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 278.

(5) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ٢٤٨-٢٤٩.

الرئيسة للمكتب فتطل على شارع المسجد الصيني وبها مدخل المكتب، وهو عبارة عن فتحة باب مستطيلة الشكل، يغلق عليها باب من مصراعين خشبيين تؤدي مباشرة إلى داخل المكتب.

٣. تخطيط المكتب الداخلي (صورة: ٨٣):



صورة (٨٣): المسقط الأفقي لمكتب صبيان نوربانو سلطان. نقلًا عن: (Balcan & Binan), (Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde, s. 109)

يتكون مكتب الصبيان من مساحة مربعة بسيطة^(١) مبنية بالحجر والآجر بالتناوب بين المداميك (صورة: ٨٤)، وتغطيها قبة تقوم على مناطق انتقال من مثلثات كروية^(٢)، وأما جدران المكتب فمبنية من الحجر والآجر بالتناوب بين المداميك، وقد فتح بكل من الجدران الشرقي والغربي والجنوبي عدد من فتحات النوافذ في مستويين، يحتوي المستوى السفلي بكل جدار على نافذة مستطيلة يغطيها مصبغات معدنية ويحيط بها إطار من الرخام، وتعلو كل نافذة سفلية نافذتان بالمستوى العلوي كل منهما مستطيلة يؤطرها عقد مدبب من الآجر، ويغلق على كل نافذة مصراعان خشبيان، ويوجد بالمكتب محراب جهة القبلة عبارة عن حنية رخامية بسيطة.

(1) Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde Yer Alan Sıbyan Mektepleri ve Koruma Sorunları, (Cem Balcan, & Demet Binan), Tasarım + Kuram. 15. 100-124. 10.14744/tasarimkuram.2019.20592., S. 108-109.

(2) "Atik Valide Sultan Külliyesi" (op. cit), (M.T. Tanman), S. 71

(و) حَمَّام كلية نوربانو سلطان بإسكُدار:
١. تاريخ الحَمَّام:



صورة (٨٤): مكتب صبيان نوربانو سلطان جهة زقاق چينيلي جامع، نقلاً عن:
Balcan & Binan, Mimar Sinan'ın İstanbul Külliyyelerinde

شيّدت نوربانو سلطان الحَمَّام كمنشأة وقفية ربحية ضمن كليتها المعمارية الكبيرة بإسكُدار لتدر دخلاً ضمن المسبّلات الأخرى على كليتها المعمارية، إذ شيّدت أوقافاً كثيرة ذات ريع لتوفير النفقات^(١)؛ فإلى جانب هذا الحَمَّام فقد وقّفت نوربانو سلطان ثلاثة حَمَّامات أخرى: هي حَمَّام (Havuzlu) سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م^(٢) (صورة:

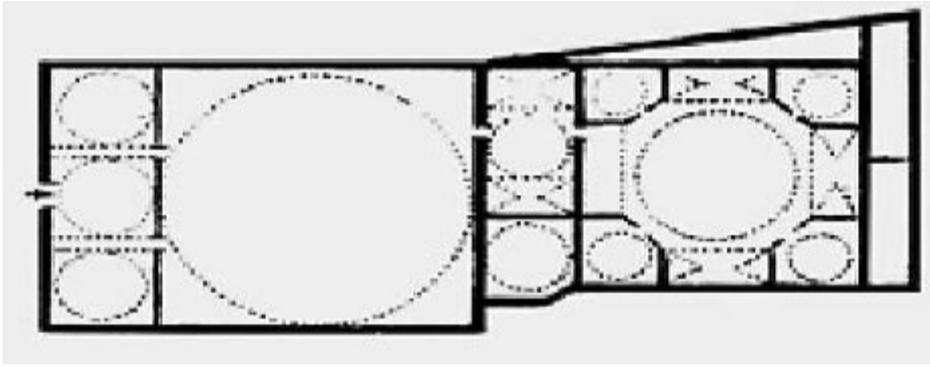
(١) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٥٢.

(٢) ذكرت الباحثة -نقلاً عن إيوانسراي- أن الحَمَّام يقع بمنطقة آيا قاي بالجزء الأوروبي من إستانبول قرب ساحل القرن الذهبي، وهو حَمَّام مفرد مبني من الحجر له بعض السمات المعمارية المميزة، ظل مستخدماً لفترة ثم هجر سنة ١٩٤٠م ليتحول نشاطه إلى مبنى تجاري تباع فيه الأخشاب. ينظر:

الحَمَّامات العامة في مدينة إستانبول، إيان محمد، ص ٢٣٤، حاشية (٢).

Istanbul Hamamları (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 17; A history of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 309.

ويوجد حَمَّام آخر بالاسم نفسه يقع بمنطقة الفاتح قرب بحر مرمره، وبالتحديد عند تقاطع شارع كوسكا (KoskaCad). مع زقاق نشانجي بستاني (Nişanca Bostanı Sok)، وأما الحَمَّام الذي يقع في آيا قاي قرب خليج القرن الذهبي فهو الحَمَّام الذي كان يتبع وقف نوربانو سلطان ويقع في محلة جامع الوردة، وربما هو الذي عرف بحَمَّام الوردة نسبة إلى موقعه في محلة جامع الوردة، وقد نسب الشارع الذي يقع فيه الحَمَّام إليه ليعرف باسم شارع الحَمَّام، ويعرف بعدة مسميات منها: حَمَّام والده سلطان، وحَمَّام مسجد جول أو حَمَّام المسجد الوردة، وحَمَّام بني قاي سي (Yenikapıstı)، وحَمَّام آيا قاي هاوولو (Ayakapı Havuzlu). ينظر:



صورة (٨٥): المسقط الأفقي للحمام (Havuzlu). نقلاً عن: (Kuruçay, Istanbul'un 100 Hamamı, s. 105)

(٨٥)، والحمام الكبير (Büyük Hamam) سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م^(١)، وحمام تشمبرلي

Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 105.

وقد أشار بعض الباحثين أنه من أجل الحمامات التي شيدها المعمار سنان ومن أحسنها موضعاً؛ إذ كان مطلاً على القرن الذهبي، ولكنه للأسف تهدم ولم يتبق إلا بقايا منه.

A history of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 309.

ومن حيث تخطيطه المعماري فهو حمام مفرد يتكون من حجرة باردة ذي شكل مستطيل ينقسم إلى جزأين، بحيث يلي المدخل مباشرة سقيفة داخلية مستطيلة الشكل تنقسم إلى ثلاث مناطق مربعة تغطي كل منطقة منها قبة، ويقع المدخل بالقبة الوسطى عبارة عن فتحة باب تؤدي مباشرة إلى داخل الحمام، وأما الجزء الثاني من الحجرة الباردة فمربع المسقط تغطيه قبة كبيرة فتحت بها المضايي الزجاجية الشفافة، وتفضي هذه الحجرة إلى الحجرة الدافئة، وتنقسم إلى منطقة مربعة تغطيها قبة صغيرة وعلى جانبيها إيوانان عظمي كل منها يقبوا متقاطع، ويقع خلف أحد الإيوانات حجرة شبه مربعة المسقط تقوم فوقها قبة، أما الحجرة الساخنة فهي متميزة في التخطيط بحيث يتوسطها دورقاعة مثمثة المسقط، فتُح بكل جانب من جوانبها الأصلية الأربعة إيوان يغطي قبة متقاطع، وفي الأضلاع الأربعة الأخرى التي تمثل أركان القاعة الساخنة أربع خلوات ذات مسقط رباعي الأضلاع غير منتظم الشكل تغطيه قبة، ويقع خلف الحجرة الساخنة المستوقد.

(١) وهو يطل على شارع الهيمنة الوطنية (Hakimiyeti Milliye Cad). بمنطقة إسكدار، وله عدة مسميات أخرى، فيعرف باسم يشيل ديركلي حمام (Yeşil Direkli Hamam)، أي: الحمام ذي العمود الأخضر، ويعرف حالياً بسوق معمار سنان، ويرجع أن الذي شيده هو المعمار سنان سنة ٩٩١هـ / ١٥٨٣م، ومن حيث تخطيطه المعماري فهو من الحمامات المزدوجة يشبه إلى حد كبير حمام مجمع نوربانو سلطان بإسكدار، وقد تحول نشاط الحمام -مثل كثير من الحمامات- إلى الاستثمارات التجارية منذ سنة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، بعد هدم الحجرتين الباردتين للحمام لتوسعة الطريق الرئيس الذي يتقدمه سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م وتغيير بعض الأجزاء الداخلية، مما أدى إلى اختلاف تكوينه المعماري، وفقد معظم عناصره المعمارية الأصلية ليتلاءم مع الوظيفة التجارية، ولا يزال يستخدم في الأنشطة التجارية حالياً. الحمامات العامة في مدينة إسطنبول، إيمان محمد، ص ٢٣٤، حاشية رقم (٣).

Istanbul Hamamları (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 77-81; Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S.S 192-193.

وقد ظل الحمام مستأجراً ويؤدي خدماته للأفراد من دون انقطاع حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ونظراً إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها فقد تم إغلاق الحمام عقب نهب الأجزاء الثمينة منه، واستخدم كمخزن فترة من الزمن حتى بدأت أعمال الترميم والإصلاحات له منذ سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م أو ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، واختلقت تماماً أجزاؤه المعمارية وتفصيله الزخرفية.

Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 192-193

تاش (Çemberlitaş Hamamı) سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م^(١).

وقد أدى موقع الحمام على الطريق الرئيس للدولة العثمانية (الذي يربط بين آسيا وأوروبا وقرب المركز التجاري للقوافل التجارية عبر طريق إسكدار - حلب - دمشق^(٢)) إلى استخدامه من قبل المسافرين من التجار وغيرهم في القرن ١١هـ / ١٧م^(٣)، ورغم عدم ورود تاريخ الإنشاء في المصادر التاريخية، إلا أنه يوجد أعلى مدخل حمام الرجال نص كتابي حديث يؤرخ لبناء الحمام سنة ٩٨٧هـ / ١٥٧٩م، ضمن فترات إنشاء الكلية المعمارية التي استمرت حتى ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م، وأما عن تاريخ البدء في تشييد منشآت الكلية فقد تفاوتت الآراء، فمن الباحثين من ذكر بدء الإنشاء في الكلية المعمارية بالمسجد سنة ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م^(٤)، ومنهم من يرى أن بدء التشييد كان سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م^(٥)، وعُرف الحمام بعدة تسميات، منها: حمام الوالدة العتيق، وحمام السلطانة الوالدة نوربانو، وحمام توبتاشي (Toptaşı Hamamı)، وتعددت أنواع الأنشطة الوظيفية والاستثمارية بالحمام، فاستخدم كمستشفى للأمراض العقلية منذ سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م إلى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م، وبعدها تحول إلى سجن وعرف باسم حمام السجن (Ceza evi Hamamı)^(٦)، واستخدم بعد ذلك لعدة سنوات بمنزلة مصنع للأخشاب^(٧) أو ورشة نجارة^(٨)، وتهدمت بعض أجزائه إلى جانب أحد الحجرتين الباردتين.

ونظراً لما مرّ به الحمام من تخريب فقد قامت المديرية العامة للأوقاف بضمه إليها سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، ومن ثم فقد أجريت له الترميمات والإصلاحات تباعاً، حتى تم ترميمه وعودته إلى وظيفته الأصلية كحمام منذ سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م^(٩).

(1) Istanbul Hamamları (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 97; Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 974-975.

(2) The Age Of Sinan (op. cit), (Gurlu Necipoğlu), P. 287.

(٣) ينظر: سياحتنامه سي، أوليا جلبي، برنجلي جلد، ص ٣٣٢.

(4) Freely, A History Of Ottoman, P. 273.

(5) (The Age Of Sinan (op. cit), (Gurlu Necipoğlu), PP. 284,285.

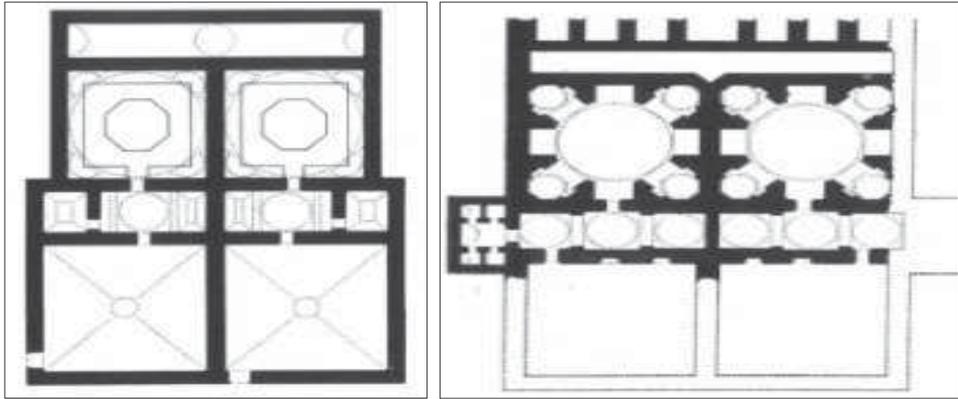
(6) Istanbul Hamamları (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 283; Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 974-975.; Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 206.

(7) Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), P. 427.

(٨) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان محمد، ص ٢٣٥.

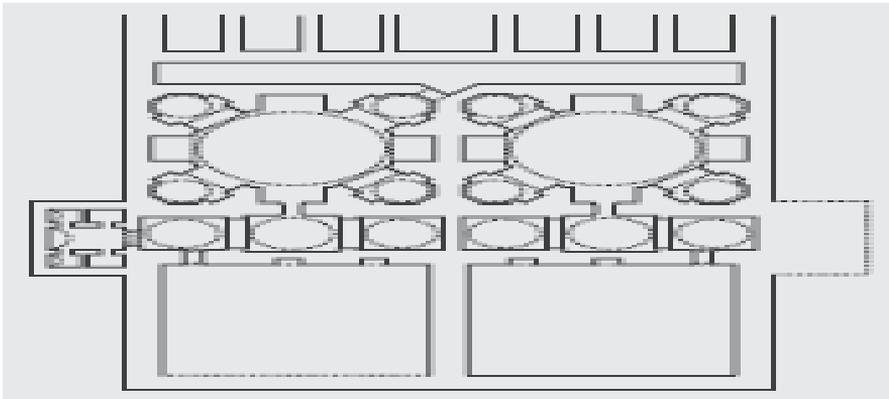
(9) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 974-975.

٢. الوصف المعماري للحمام:



الصورتان (٨٦، ٨٧): حمام كلية نوربانو سلطان قبل وبعد الترميم. نقلاً عن:
(Benli, Üsküdar' in Hamamları, s. 634- 635)

يتكون الحمام من مساحة غير منتظمة أقرب إلى مستطيل، ينقسم من الداخل إلى حمامين متماثلين (الصور: ٨٦، ٨٧، ٨٨)، ومن ثم فهو يندرج ضمن الحمامات المزدوجة إذ يقع حمام الرجال إلى الجنوب من حمام النساء، ولكل حمام منها مدخله الخاص، ومن حيث التخطيط فهما يتبعان التخطيط التقليدي، ومن حيث مواد البناء فقد بنيت الجدران كالعادة من الحجر والآجر بالتناوب بنسب متعددة، أما التغطيات كالأقبية والقباب فهي من الآجر، ويتميز الحمام من الداخل بكسوات الرخام، إضافة إلى المقاصير الخشبية التي تملأ مساحة الحجر الباردة، وتنقسم إلى خلوات لتغيير الملابس.



صورة (٨٨): مسقط أفقي لحمام توبتاشي أو حمام كلية نوربانو سلطان قبل الترميم. نقلاً عن:
(Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, s. 974)

٣. الواجهات الخارجية:

للحمام حاليًا واجهة خارجية واحدة هي الواجهة الجنوبية الشرقية، فيما اختفت الواجهات الأخرى خلف المباني الحديثة، وهي تُمثّل واجهة الأجزاء المكونة للحمام الرجال، وتبدأ من الشرق بواجهة الحجر الباردة يليها واجهة الحجر الدافئة ثم الحجر الساخنة وتنتهي بواجهة المستوقد، ويقع مدخل الحمام بواجهة الحجر الباردة، حيث كسيت جدران المستوى السفلي ببلاطات خزفية حديثة، وفتحت في المستوى العلوي نافذتان صغيرتان، يعلو كلاً منهما عقد مدبب.

٤. مدخل حمام الرجال:

يتقدمه سلم هابط له درج مزدوج من ٤ درجات لارتفاع مستوى أرضية الشارع، ويتميز المدخل بالبساطة والتكسية بالرخام الأبيض، وهو عبارة عن فتحة باب معقودة بعقد موتور يبلغ اتساعها ٣٠، ١م وارتفاعها ٢٠، ٢م، يغلق عليها باب حديث، ويعلوه نص تركي حديث منقوش على الرخام، من ثلاثة أسطر، نصها:

Atik Valide Erkekler Hamamı

Mimar Sinan Yapısı

(1)1985.Restora.T – 1579.Yapılış T

وترجمتها: حمام رجال الوالدة العتيق الذي شيده المعمار سنان سنة ١٥٧٩م، وتم ترميمه سنة ١٨٩٥م.

٥. التخطيط المعماري الداخلي للحمام الرجال:

يتكون الحمام من تخطيط تقليدي تتابع فيه العناصر المكونة لعماره الحمام العثمانية ويشبهه حمام النساء، يبدأ الحمام من الشرق بالحجر الباردة يليها الحجر الدافئة ثم الحجر الساخنة، ويقع في أقصى الجنوب المستوقد الذي يقوم بعملية تسخين الماء، وهو مستوقد مستعرض يمتد بطول حمام الرجال وحمام النساء.

الحجر الباردة: يؤدي المدخل مباشرة إلى الحجر الباردة عبر درج هابط، وتشغل الحجر الباردة مساحة مربعة مكسوة بالرخام تتكون من دورقاعة وسطى شبه

(١) الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيهان إساعيل محمد، ص ٢٣٦، حاشية رقم (١).

Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 974-975.

مربعة المسقط، وُضعت بها مقاعد خشبية يحيط بها مساطب من الرخام كقاعدة أقيمت فوقها المقاصير الخشبية في ثلاثة مستويات، وقد أضيفت ليتم فيها خلع الملابس، بحيث قُسمت كل مقصورة إلى عدد من الخلوات يغلق على كل منها باب، ويتم الصعود إلى خلوات المستويات العليا عبر درج رخامي، ويشغل الضلع الشمالي الغربي من الحجرة الباردة إيوان حديث، وبالجدار الجنوبي الغربي للحجرة الباردة فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري يؤدي إلى الحجرة الدافئة.

الحجرة الدافئة: تأخذ التخطيط المستطيل الممتد بعكس تتابع عناصر الحمام من الشمال إلى الجنوب، وتتوسطها دورقاعة مربعة تقوم عليها قبة بارتفاع ٨٦, ٥ م، ترتكز على مثلثات كروية، وعلى جانبيها الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي إيوانان يفتحان بكامل اتساعهما على الدورقاعة، ويغطي كل إيوان سقف مسطح مبني من الآجر، وتتميز الأسقف بوجود المضايي الزجاجية الشفافة، وتقع خلف الإيوان الخارجي فتحة باب معقودة تؤدي إلى مراحيض الحمام، وبالجدار الجنوبي الغربي فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري، تؤدي إلى الحجرة الساخنة.

الحجرة الساخنة: تأخذ التخطيط المربع الذي يبلغ طول ضلعه ٥٠, ٧ م، تغطيها قبة كبيرة بارتفاع ٨ م، تتخللها المضايي الزجاجية الشفافة، وترتكز القبة على حنايا ركنية محارية تشبه طاقية المحراب المفصصة، وتتوسط أرضية الحجرة مسطبة رخامية مثمثة ترتفع عن الأرضية بنحو نصف متر للتدليك، وتتميز الحجرة بتكسية الجزء السفلي بالرخام، فيما يقع على جوانب المسطبة الرئيسة أربعة إيوانات صغيرة أو دخلات تفتح بكامل اتساعها على الحجرة، أما الأضلاع الأربعة الأخرى الواقعة في الأركان فتم استغلالها لعمل أربع خلوات صغيرة، كل منها ذات تخطيط مربع تغطيها قبة صغيرة، ومن ثم نجد بكل ضلع من أضلاع الحجرة الساخنة إيوان على جانبيه أجزاء الخلوتين الجانبيتين.

(ز) حمام تشمبرلي تاش (Çemberlitaş Hamamı):

١. الموقع وتاريخ الإنشاء:

شيد المعمار سنان هذا الحمام بأمر من نوربانو سلطان ليكون ضمن أوقافها على

كليتها الخيرية الوقفية بإسكدار سنة ٩٩٢-٩٩٣هـ/ ١٥٨٤-١٥٨٥م، ويقع الحمام بحي تشمبرلي تاش عند تقاطع شارع وزير خان مع شارع الديوان في الجزء الأوروبي من إستانبول وقرب جامع نورعثمانية، ويطل بواجهته الشمالية على عمود تشمبرلي تاش أحد أقدم النصب التذكارية البيزنطية، إذ شيده الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٣٠م احتفالاً بذكرى اتخاذ المدينة عاصمة للإمبراطورية البيزنطية، وكلمة تشمبرلي تاش تعني العمود ذا الحلقات^(١).

والملاحظ هنا أن الواقفة قد توفيت سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، ما يعني أن الحمام شيّد بعد وفاتها وفقاً للتاريخ المذكور أعلى الحمام، وقد أورد بعض الباحثين أن المعمار سنان قد بدأ في تشييد الحمام قبيل وفاتها بقليل^(٢)، ومن الباحثين من عارض هذا الرأي بشدة^(٣)، كون التاريخ مدوناً أعلى مدخل الحمام بسنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، وبحساب الجُمَّل لسنة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م، ما يعني أن البدء في البناء كان بعد وفاة الواقفة فعلياً، ويمكن الجمع بين هذين الرأيين أن الواقفة كانت قد خصصت تكلفة إنشاء هذا الحمام، وأوكلت إلى أغا دار السعادة «محمد أغا» مباشرة أوقافها للإشراف على أعمالها المعمارية قبل وفاتها، إضافة إلى مسؤوليته في إتمام هذه المنشآت، وبدوره كلف متولي الأوقاف بير علي أغا بن مصطفى لمباشرة الأعمال المعمارية الوقفية، وليس هناك مانع من أن وضع الأساسات بدأ سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وتوقفت الأعمال لوفاة الواقفة، ثم لم يلبث البناء أن أُستكمل بعد انتهاء مراسم الدفن وغير ذلك مما يلزم القصر الملكي، وتم استئناف العمل سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، وانتهى البناء في السنة التالية (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م).

ووفقاً لما ورد في فرمان صدر بتاريخ ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م نشره «أحمد رفيق» بشأن مياه حمام تشمبرلي تاش، كان قد أرسله أغا دار السعادة محمد أغا بصفته ناظر وقف

(١) وهو عبارة عن عمود حجري يبلغ ارتفاعه ٣٥م تقريباً يمتد إلى الأعلى، بحيث يقوم على قاعدة بارتراف ١٠م يعلوها بدن من ست كتل حجرية تأخذ الشكل الأسطواني تشبه الحلقات، ويعلوها كتلة رخامية، ويتميز العمود حالياً بتدعيمه بأشرطة حديدية حفاظاً عليه. ينظر:

Strolling Through Istanbul (op. cit), (Hillary Sumner-Boyd)& (John Freely), P. 153.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 314.

(٣) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل محمد، ص ٢٤٢.

المرحومة نوربانو سلطان إلى قاضي مدينة إستانبول وبير علي أغا متولي أوقافها، وذلك بشأن إمداد الجشمة الموقوفة في حي قاسم باشا بما يزيد على حاجة الحمام من الماء المخرج بواسطة الساقية من خزان الحمام، وما يزيد على حاجة الجشمة يتم نقله عبر مجرى مائي إلى منزل كل من أحمد أغا وتشيري كتخدا، وذلك مقابل مبلغ من المال يتم دفعه إلى متولي الوقف بير علي أغا ليدخل ضمن ريع الأوقاف^(١)، وهنا دلالة واضحة على كيفية استثمار الأوقاف بما لا يضر الوقف بإنقاص حصته المحددة، ولا بالإسراف الذي يؤدي إلى استهلاك الحصة كاملة إن كانت زائدة عن الحاجة، وقد تم الأمر بصورة شرعية رسمية بالعرض من قبل ناظر ومتولي الوقف على قاضي المدينة الشرعي، وهو الأمر الذي يبرهن على عظمة منظومة الوقف وشمولييتها ومرورها ما دامت لا تضر بالوقف ولا بشروط الواقف.

٢. تاريخ الحمام:

نُقش أعلى مدخل الحمام نص تركي عثماني يؤرخ للحمام من ثلاثة أبيات شعرية، كل منها داخل بحرين كتابيين بخط الثلث المذهب، نصها:

س ١	بمحمد الله بكون سلطان مراد دورنده	بو حمام فر عجب جاي لطيف اولدي
س ٢	جهان طور دقجه ايلر نامني مرحومه يل إحيا	هواسي خوش بناسي دلکش وإبي نظيف اولدي
س ٣	كورت اتمانني ساعى داعي ديدي تاريخن	ياپلدي والده سلطان حمامي شريف اولدي ^(٢) ٩٩٢

وترجمتها^(٣):

س ١	بمحمد الله اليوم في عهد السلطان مراد	أصبح هذا الحمام خالص الزخرفة ومدهشًا ولطيفًا
س ٢	يُحیی اسم المرحومة إلى الأبد	أصبح طيب الهواء جذاب البناء لطيف الماء
س ٣	وقال الساعي الداعي إلى إتمام قبه تأريخًا	صار واكتمل حمام السلطانة الوالدة الشريف سنة ٩٩٢هـ.

(١) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيهان إسماعیل محمد، ص ٢٤٣.

(٢) ويحتوي شطر البيت الأخير على تاريخ اکتال بناء الحمام بحسب الجمل، وعند حسابه نجده يعطي تاريخ ٩٩٣هـ الموافق ١٥٨٥م، وعلى هذا ونظرًا للورود تاريخ ٩٩٢هـ بالأرقام في النص يمكن القول: إن تاريخ البدء في البناء كان سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، واستغرق البناء مدة تتراوح من عام إلى عامين فاكتمل وانتهى سنة ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م.

(٣) النص والترجمة عن: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيهان إسماعیل محمد، ص ٢٤١.

وأما تسميات الحمام فقد تعددت واختلفت على مرّ الأيام، ونسبه أوليا جلبي للسلطان مراد الثالث، إذ ذكر أنه من إنشائه^(١)، وربما كان مقصده أنه شيد في عهد السلطان مراد، لأن النص الذي يعلو الحمام يبين أن صاحبة الإنشاء هي نوربانو سلطان، ومن حيث تسمية الحمام فقد نسب تارة إلى المنشأة فعرف بحمام السلطنة الوالدة (Hamamı Valide Sultan)، وتارة بحمام الوالدة العتيقة (Valide -i Atik Hamamı)، وأما بالنسبة لموقعه وهو الأشهر فقد عرف باسم حمام ديكيلي تاش (حمام العمود القديم)، ثم لم يلبث أن اشتهر باسم حمام تشمبرلي تاش^(٢).

وقد نقل بعض الباحثين (Haskan) أن الحمام قد عرف نسبة لتخطيطه بحمام الوردية (Gül Hamamı)^(٣)، وفي واقع الأمر فإنه يوجد حمام آخر كان ضمن أوقاف نوربانو سلطان يقع في محلة جامع الوردية قرب مياه القرن الذهبي، وقد كان يعرف أيضاً بهذا الاسم نسبة لموقعه، غير أنه اندثر منذ زمن ولم يتبق إلا زقاق الحمام المنسوب إليه.

مرّ الحمام كغيره من المباني الوقفية بحالات تعدد في أثناء أعمال توسعة طريق أو شارع الديوان الذي يقع أمام الحمام سنة ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٨م، إذ اقتطع الركن الجنوبي الغربي من الحجرة الباردة لحمام النساء والذي يقع به المدخل، وأصبح بالتالي للحمامين مدخل واحد، وتم تأجير باقي مساحة الحجرة الباردة كمطعم، وتحول بعدها حمام النساء إلى مستودع تخزن فيه الأوراق، حتى قام مدير المطعم ويدعى جميل جوركوك بإصلاح وترميم الحمام بين سنوات ١٣٩٢-١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢-١٩٧٣م (كما يتبين من اللوحة الاسترشادية المثبتة على جانب مدخل الحمام)، وبعد ذلك عاد حمام الرجال إلى مزاولة وظيفته الأساسية سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وتبعه حمام النساء، وبعدها تحول الحمام بكامله إلى مطعم استمر حتى سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م^(٤)، ثم عاد النشاط الأول الأصلي إلى الحمام مرة أخرى بعد سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١) ينظر: سياحتهامه سي، أوليا جلبي، برنجي جلد، ص ٣٣٣.

(٢) ينظر: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسماعيل محمد، ص ٢٤١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(4) Istanbul Hamamları (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), S. 101;

Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 68.

٣. الوصف المعماري للحمام:

يتميز حمام تشمبرلي تاش بأنه حمام منفصل أو مستقل يشبه في ذلك حمام خاصكي سلطان، وواحد من أجمل حمامات إستانبول ومن أغناها وفرة وربحية لموقوفاته، وهو حمام مزدوج ينقسم إلى حمامين منفصلين يتشابهان في التخطيط والتكوين المعماري رغم ما مرّ به من أحداث، وكان قد تم ترميم الحمام على حسب تخطيطه القديم، فيما عدا وحدة المدخل الذي يؤدي إلى كلا الحمامين، وأما من حيث المواد الخام فهي تشبه الحمامات الأخرى من حيث استخدام الحجر والآجر في بناء الجدران، في حين كسيت جدرانه الداخلية بالملاط، وكسيت الأرضية والأجزاء السفلية بالرخام، أما الآجر فقد استخدم في بناء التغطيات والعقود.

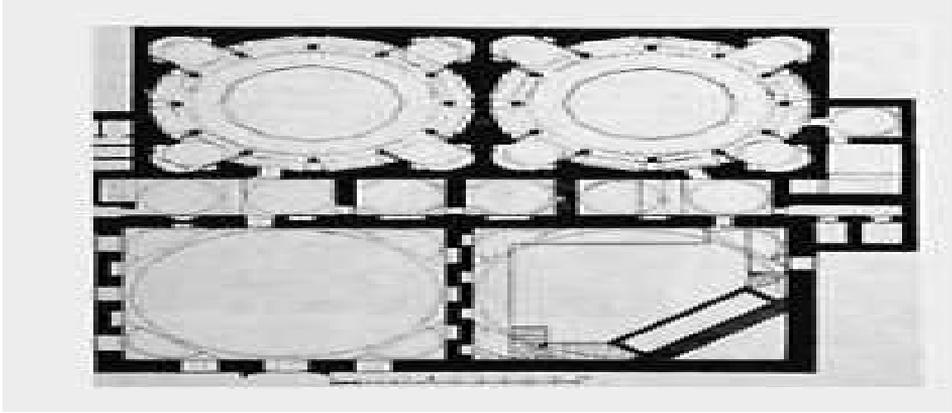
٤. الوصف الخارجي:

كان للحمام أربع واجهات حرة تظهر من الخارج، ولكنها حالياً تختفي خلف المحال والمباني الحديثة، ومن ثم فلا يظهر من الواجهات سوى مدخل الحمام في الواجهة الغربية.

مدخل الحمام: هو المدخل الوحيد المتبقي حالياً، إذ تم غلق مدخل حمام النساء في أعمال توسعة شارع الديوان، ويلاحظ أن أرضية الحمام منخفضة عن أرضية الشارع، ومن ثم فيتم الدخول إلى الحمام عبر فتحة باب حديثة تؤدي إلى سلم هابط من ست درجات يعلوه سقف جمالوني يتقدم المدخل الأصلي للنخا، وهو عبارة عن مدخل بسيط يوطره عقد مدبب ويتوسطه فتحة باب الدخول المعقودة بعقد موتور باتساع ١,٥٨ م وارتفاع ٢,٣٥ م، يعلوها النص الإنشائي السابق تفريغه وترجمته، ويغلق على المدخل باب حديث يؤدي مباشرة إلى الحجرة الباردة للرجال.

٥. التخطيط الداخلي للحمام:

يتبع الحمام التخطيط التقليدي المحوري المتتابع (صورة: ٨٩)، إذ ينقسم إلى حمامين متماثلين تتتابع عناصرهما المعمارية، لتبدأ من الغرب بالحجرة الباردة، تليه الحجرة الدافئة بالحجرة الساخنة ذات التخطيط المتميز، ويمكن التطبيق على حمام الرجال. الحجرة الباردة للرجال: يتم الوصول إليه من مدخل الحمام الغربي مباشرة،



صورة (٨٩): المسقط الأفقي لحمام تشيمبرلي تاش. نقلاً عن: Glück (H), Probleme ds Wölbungsbaues: Die Badr Konstantinople. Halm & Goldman, Vienna, Austria, 1921, p. 135

وتشغل الحجرة الباردة مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٣٥, ١٢ م، غطيت بقبة من الآجر يبلغ ارتفاعها ٥٠, ١٧ م، وتقوم على حنايا ركنية محارية، وهي بذلك تتميز عن الحجرات الباردة للحمامات السابقة جميعاً، ويتوسط خوذة القبة فانوس زجاجي شفاف ذو شكل مثنى تتوجه قببته صغيرة، وتتكون الحجرة الباردة من دورقاعة مربعة يبلغ طول ضلعها ٨ م بها مقاعد خشبية، ويحيط بها مسطبة رخامية تستخدم كقاعدة تقوم عليها المقاصير الخشبية في ثلاثة طوابق يصعد إليها بدرج رخامي، وتنقسم المقاصير إلى خلوات صغيرة، وتتوسط الجدار الشرقي للغرفة الباردة فتحة



صورة (٩٠): قطاع رأسي للواجهة الجنوبية من حمام تشيمبرلي تاش وعن يسارها عمود تشيمبرلي تاش. نقلاً عن: (Kuruçay, istanbul'un 100 Hamamı, s. 66)

باب معقودة تؤدي إلى الحجرة الدافئة لحمام الرجال، وفتح باب آخر بالطرف الغربي في الجدار الجنوبي يؤدي للغرفة الباردة لحمام النساء.

الحجرة الدافئة: تشغل مساحة مستطيلة قسمت إلى مربعين تغطي كلاً منهما قبة تتخللها المضاربي الزجاجية الشفافة، فيما تقع المراحيض باتجاه الجدار الداخلي لتشغل مساحة مربعة بامتداد الحجرة الدافئة جهة السور الداخلي للحمام، والذي يفصل حمام الرجال عن حمام النساء، تقوم فوقها قبة تشبه القبتين السابقتين، وبالجدار الشرقي فتحة باب تعلوها طاقية مخروطية تؤدي إلى القاعة أو الحجرة الساخنة.



صورة (٩١): القاعة الساخنة بحمام تشيمبرلي تاش للرجال

الحجرة الساخنة (صورة: ٩١): هي أهم ما يميز الحمام من حيث التخطيط الهندسي، إذ إنها تأخذ مسقطاً من اثني عشر ضلعاً، يتقدمها اثنا عشر عموداً رخامياً في هيئة مستديرة، ولكل عمود منها تاج ذو معينات تحمل مجتمعة اثني عشر عقداً نصف دائرياً تمتد حول الدورقاعة الوسطى ذات التخطيط متعدد الأضلاع من اثني عشر ضلعاً، وترتكز القبة على الأعمدة^(١)، وتنطلق من الأعمدة تجاه جدران القاعة عقود تحمل أسقف الخلوات وأماكن الاغتسال.

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 314.

ومن ثم فإن القاعة الساخنة تتكون من دورقاعة تلتف حولها الأعمدة وتتوسطها مسطبة مزلعة من اثني عشر ضلعًا للاستحمام، ولما كانت الأسوار الخارجية للقاعة تأخذ الشكل المربع، فقد استغلت الأركان الأربعة للحجرة لعمل ٤ خلوات إلى جانب ٨ سدلات صغيرة تفتح على الدورقاعة بكامل اتساعها بعقود نصف دائرية، ويقع المدخل بالسدلة^(١) الغربية منها، وقد كسيت الأجزاء السفلية من القاعة بالرخام.

حمام النساء: يقع إلى الجنوب من حمام الرجال ويتشابه معه تمامًا في جميع التفاصيل المعمارية والزخرفية وتتابع الوحدات، فيما عدا أنه يدخل إليه عبر مدخل في الجدار الجنوبي للحجرة الباردة لحمام الرجال بعد غلق مدخل الحمام الرئيس، والذي يقع في الواجهة الغربية.

المبحث الثاني

كلية ماهبيكر كوسم سلطان [١٠٥٠هـ/١٦٤٠م]

(Çinili Cami Külliyesi)

أولاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء:

أنشأت هذه الكلية المعمارية الوقفية السلطانية الوالدة ماهبيكر كوسم سلطان (KÖSEM MAHPEYKER SULTAN)، وهي زوجة السلطان أحمد الأول، وقد تولى اثنان من أولادها السلطنة، وهما السلطان مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٥٠هـ/١٦٢٣-١٦٤٠م) والسلطان إبراهيم الأول (١٠٥٠-١٠٥٨هـ/١٦٤٠-١٦٤٨م)^(٢)، أما

(١) يطلق لفظ «السدلة» على الإيوان الصغير غير العميق أو المتسع للتمييز عن الإيوان، وقد ظهرت اللفظة في الوثائق المملوكية كثيرًا ودرجت العادة أن تطلق على الإيوانات غير الرئيسة في المدارس والخانقاهات المملوكية، ومن ثم انتشرت على جميع الدخلات المقلدة من ثلاث جهات فيما تفتح من الجهة الرابعة على الدورقاعة أو الصحن.

(2) Mauern Und Tore Am Goldenen Horn Zu Konstantinopel, (A. M. Schneider), Nachrichten Der Akademie In Göttingen-Phil-Hist. Klasse, Göttingen, 1950, P. 85-87, 89; Schenkungsurkunde Sultan Ibrahims Für Die Valide Mahpeyker Sultan (Kösem) Von 1049/1640, (W. Caskel), Documenta Islamica Lnedita, Berlin, 1952, S. 251-262; Türk han ve Kervansarayları, Türk Sanati Tarihi Araştırma ve İncelemeleri, (Feridun Akozan), Istanbul Güzel Sanatlar Akademisi Türk San'ati Tarihi Enstitüsü, Aslı Üjeleri, Istanbul, 1963, S. 133-137, 145, 158-160; Türk Hanlarının Gelişimi Ve Istanbul Hanları Mimaresi, (Ceyhan Güran), Vakıflar Genel Müdürlüğü Yayınları, Istanbul, 1976, S. 96-98, 217, 243-244.

Bildlexikon zur Topographie Istanbul (op. cit), (W. Müller-Wiener), P. 45, 376; Encyclopedia of the Ottoman Empire, (Gabor Agoston & Bruce Masters), Facts on File Inc, New York, 2009, P. 136; Ottoman Architecture

عن نشأتها الأولى فغير واضحة المعالم، فمن الباحثين من نسبها إلى قسٍ أو كاهن أرثوذكسي الطائفة من البوسنة^(١)، ويذكر أحمد رفيق أن اسمها الأصلي كان «أنستاسيا Anastasya»، وقد نسبها إلى قس أرثوذكسي^(٢)، وخالفه في هذا القول بايسون الذي عزا خطأ قراءة الاسم من أحمد رفيق إلى سبب نقله من المصادر من دون تمحيص أو تدقيق، وأشار إلى أن أصولها الأولى مجهولة^(٣)، ولكن من المتفق عليه أن اسمها الأول كان ماهبيكر التي تعني وجه القمر^(٤)، إذ عُرفت بذلك لكونها جميلة، وأطلق عليها منذ دخولها إلى القصر العثماني اسم «كوسم» (KÖSEM) وهو يشير إلى أحد احتمالين طبقاً لمعناه المعروف، إما إلى نضارتها وخلوّ بشرتها من الشعر، وإما لكون الاسم يشير إلى دلالة الصفات القيادية، إذ إنه يعني المدرب الرائد لقطيع الأغنام^(٥)، وعلى أيّ حال فإنها قد أُهديت إلى القصر العثماني، ومنذ دخولها إلى القصر لفتت انتباه السلطان أحمد الأول فأعجب بها وتزوجها، وأنجبت ابنها الأول مراد الرابع سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦١٢م، ثم أنجبت له ثلاثة إخوة، هم سليمان وإبراهيم وكاظم^(٦). تدخلت هذه المرأة في شؤون القصر، وسيطرت على مقاليد الأمور بتقربها إلى جميع رجال الدولة، ومن ثمّ كان لها حظوة كبيرة في الدولة جعلتها تدير شؤون القصر عقب وفاة زوجها السلطان أحمد الأول سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م، إثر إصابته بمرض الحمى، وخاصة أن أولادها كانوا صغار السن، وأصبحت السيدة الأولى في الدولة العثمانية منذ سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م، بعدما تولّى ابنها مراد الرابع السلطنة فأصبحت السلطانة الأم^(٧)، وقد كان ابن ١١ سنة فكانت أمه ماهبيكر كوسم سلطان وصيّة على

(op. cit), (Dogan Kuban), P. 394; Payitaht-ı Zemin Eminönü, (Kasim Demirci) Editör, İstanbul, 2008, Cilt 1, S. 214-222; Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, "Büyük Valide Hanı"; İstanbul Ansiklopedisi, "Valide Hanı" Cilt, 7, S. 362-363.

والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٩.

- (1) Üsküdar'daki Valide Sultan Külliyesi (op.cit), (Can Alpgüvenç), S, 316.
- (2) Kadınlar Saltanati, (Ahmet Refik Altınay), Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 2011, S. 76.
- (3) "Kösem Sultan", (M. Cavid Baysun), İslam Ansiklopedisi, C. 6, S. 915.
- (4) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), P, 163.
- (5) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 48-49; Osmanlı İmparatorluğu Tarihi, (Johann Wilhelm Zinkeisen), (Çev. Nilüfer Epçeli), Yeditepe Yayınevi, İstanbul 2011, Cilt, 4, S. 20.
- (6) Üsküdar'daki Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S, 316
- (7) "Kösem Sultan", (Mücteba İlgürel), Diyanet İslam Ansiklopedisi, C. 26, S. 273; "Kösem Sultan İç Savaş Dönemi 1623-1632", (Halil İnalçık), Ntv Tarih Dergisi, Ntv Yayınları, İstanbul-Mart 2012, S. 52.

عرش الدولة، وبعد وفاة ابنها مراد الرابع سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م تولى ابنها إبراهيم الذي مال بث أن خلعه الإنكشارية سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م، وتم تعيين حفيدها محمد الرابع، ولكن والده محمد الرابع وهي خديجة تورخان سلطان لم تترك الأمر لهذه الجدة نظرًا لكونها أم السلطان الجديد، وبالفعل قامت بينهما صراعات كبيرة، وفي أثناء هذه الفترات كانت ماهبيكر كوسم سلطان ترسل أموالاً طائلة إلى مكة والمدينة لأجل توزيعها على الفقراء هناك^(١)، وشيّدت عددًا من الأوقاف الخيرية الأخرى تهدمت غالبيتها، ومنها مسجد سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، ومسجد ومدرسة قرب خانها المعروف بخان الوالدة الكبير على منحدر چاكماچيلار (ÇAKMAKÇILAR)، وچشمة في بني قابي وغيرها في بشكطاش ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م، وغير ذلك مما ورد في حديقة الجوامع^(٢)، وكانت قد شيّدت جامعها الشهير في إسكدار -موضوع الدراسة- سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، وظلت ماهبيكر كوسم سلطان على حالها تقوي من مركزها بين رجال القصر وتقربها من الصدور العظام وخاصة الصدر الأعظم مصطفى باشا السلحدار، الذي حاول جاهدًا أن يتقرب إليها من زواجه بابنتها الكبرى كايا خاتون (KAYA HATUN)^(٣).

ظلت ماهبيكر كوسم سلطان تسيطر على مقاليد الأمور حتى بعد مقتل أولادها، فقامت بتولية حفيدها السلطان محمد الرابع إذ بلغت من سيطرتها على الأمور مدى كبيرًا، واعتقدت أنها ستظل مسيطرة على مقاليد الأمور، لا سيما وأن الدة حفيدها خديجة تورخان كانت ساذجة لا تعلم شيئًا عن أمور القصر، ولكن مال بث العداة أن بدا بعدما أظهرت ماهبيكر كوسم قوتها ورغبتها في السيطرة التامة، وبدأت الحرب بين الوالدة سلطان الكبرى كوسم، والصغرى خديجة، فانحاز القصر إلى الصغرى، فهربت ماهبيكر كوسم سلطان واختبأت بغرفة كانت قد أعدتها سابقًا، ولكن لم يدم تخفيها طويلاً فوجدوها مقتولة خنقًا بحبل إحدى ستائر الغرفة التي اختبأت بها سنة

(1) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 137.

(٢) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسراي، مجلد ١، ص ١٨٥-١٨٦.

(3) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), p. 263.

١٠٦١هـ/ ١٦٥١م^(١)، ودفنت ماهبيكر كوسم سلطان في تربة السلطان أحمد الأول^(٢)، وبذلك تكون من نساء القصر العثماني اللائي حطين بفترة كافية في منصب «الوالدة سلطان» لمدة بلغت ٢٦ عامًا، وليس ٦٦ عامًا كما ذكر بعض الباحثين^(٣)، بعد أن قضت ٣ أعوام في صراع مع خديجة تورخان، لتكون «الوالدة سلطان» الوحيدة التي قُتلت في عهد الدولة العثمانية.

وأما تأكيد تاريخ إنشاء الكلية فهناك نص تأسيسي أعلى الباب الذي يؤدي إلى داخل المسجد والمطل على شارع الحمام الصيني (صورة: ٩٢) جهة الشمال الغربي يتضمن تاريخ سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، وقد نفذت كتابات هذا النص الإنشائي بخط الثلث البارز في ثلاثة أسطر مقسمة إلى ١٢ بحرًا بواقع أربعة بحور في كل سطر، ونصها:

١س	(مادر سلطان ابراهيم خان) (حضرت سلطان اكرم والده) (بو بناء حقي بايدي خير ايجون) (تا اوله بيت عبادت عابده).
٢س	دعوات اوله بش وقتده رحتمه) (منزل اوله عابده وزاهده) (بايدي مكتب چشمه حمام وسبيل) (كيم اكا حق لطف هم احسان ايدي).
٣س	(اهل خيري يونده طاعت ايده ني) (داخل ايت يار ب جنان خالده) (فوزيا لفظا ومعنى تاريخي) (اولدي بيك الليده خير الوالدة).

وهي أبيات تركية عثمانية تعني:

١س	(والدة السلطان إبراهيم خان) (والدة حضرة السلطانة الكريمة) (شيّدت هذا البناء ابتغاء وجه الحق تعالى) (ليكون بيتًا لصلاة العابدين).
٢س	(فادعوا لها بالرحمة في أوقات الصلاة الخمسة) (فهذا منزل العبادة والزهد) (أقامت مدرسة وچشمه وحماما وسبيلًا) (ليكون لها حق اللطف والإحسان).
٣س	(فيا رب أدخل أهل الخير) (الطائعين جنات النعيم الخالدة) (فأرخ له الشاعر فوزي لفظًا ومعنى قائلًا) (صارت خير الوالدة في سنة ألف وخمسين) ^(٤) .

(١) ينظر: نعيمة تاريخي، مصطفى نعيمة، ص ١١٢؛

Üsküdar-dakı Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S, 317.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٢.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٤) ينظر: الكتابات على العائز، محمد علي حامد بيومي، ص ٢٣٦.



صورة (٩٢): مدخل الكلية ويعلوه النص التأسيسي (الباحث)

ثانياً: الموقع:

يقع چينيلي جامع في كلية چينيلي في حي مراد رئيس في ضاحية إسكدار بإستانبول، وقد بُني المسجد أعلى تل يطل على مضيق البوسفور وبحر مرمرة^(١)، قرب مجمع عتيق والدة سلطان بحوالي ٥٠٠ متر شرقاً^(٢).

ثالثاً: تسميات المنشأة:

تخضع تسميات الجوامع إلى خمسة اعتبارات رئيسة، منها المنشئ، ومنها الموقع، ومنها الحجم، ومنها التابع الزمني، ومنها أهم الملامح الفنية أو الزخرفية التي يتميز بها عن غيره من المساجد، وعلى هذه الاعتبارات ذكرت أمثلة كثيرة في التاريخ العثماني.

(1) Üsküdar-dakı Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S. 318.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٠.

Ahistory Of Ottoman Architecture, (op. cit), (John Freely), P. 344

وإذا طبقنا الأمر على نماذج دراستنا هذه فإن غالبية هذه الاعتبارات قد توافرت في تسميات العماير، وما يهمننا بالنسبة لهذا المسجد أنه عُرف باسم الواقفة المشيدة له، وهي ماهيكر كوسم سلطان كما أُورد أوليا جلبي^(١)، وأما التابع الزمني فقد أُطلق عليه اسم مسجد الوالدة الوسطى^(٢)، وذلك لكون مسجد عتيق والدة لنوربانو سلطان قد سبقه، ثم تلاه مسجد الوالدة الجديد لرابعة جلنوش سلطان في إسكُدار في القرن ١٢هـ/ ١٨م، وأما من حيث الملامح الفنية فإنه يعرف باسم مسجد چينيلي^(٣)، أي: المسجد الصيني؛ نظراً لكثرة الخزف الصيني الذي ازدان به المسجد، ويعرف أيضاً بالمسجد الخزفي^(٤).

رابعاً: مهندس المسجد:

شيّد هذا المسجد العظيم المهندس المعماري حسن قاسم أغا الذي شغل منصب رئيس المعماريين سنة ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م^(٥)، وقد أشرف هذا المهندس على عدد من العماير الأخرى الكبيرة والمهمة في إستانبول، وقد أسندت إليه ترميمات سراي إسكُدار سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وأقام جناحاً وشرفة في قصر طوبقابي سنة ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م، وظل في منصبه رئيساً للمعماريين مدة كبيرة حتى توفي سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م^(٦).

خامساً: التكوين المعماري للكلية:

تتكون كلية چينيلي جامع الوقفية من عدد من المنشآت مختلفة الوظيفة والتخطيط، بعضها خيرى والآخر ربحي لضمان استمرار الأوقاف في تأدية وظائفها (الصورتان: ٩٣، ٩٤)، وأهم العماير الخيرية بالمجمع كل من: المسجد والمدرسة ومكتب الصبيان،

(1) Seyahatnamesi (op. cit), (Evliya Çelebi), C.1, S, 163

(2) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), P. 167.

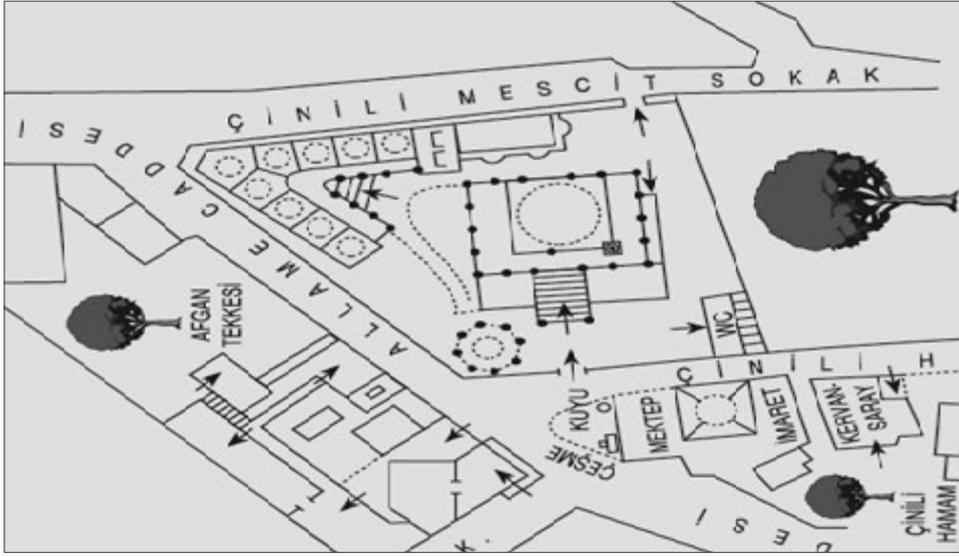
(3) İstanbul Üsküdar Çinili Camii Çinileri, (Ayla Yılmaz), Yüksek Lisans Tezi, T. C. Gazi Üniversitesi, Eğitim Bilimleri Enstitüsü, El Sanatları Eğitimi Bölümü, Ankara, 2011, P. 26.

(٤) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٣.

(5) Seyahatnamesi (op. cit), (Evliya Çelebi), S, 162; Turkish Islamic Architecture In Seljuk And Ottoman Times 1071-1923, (Bahçet Unsal), London, 1970, P. 97; Üsküdar-daki Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S. 318.

والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٤.

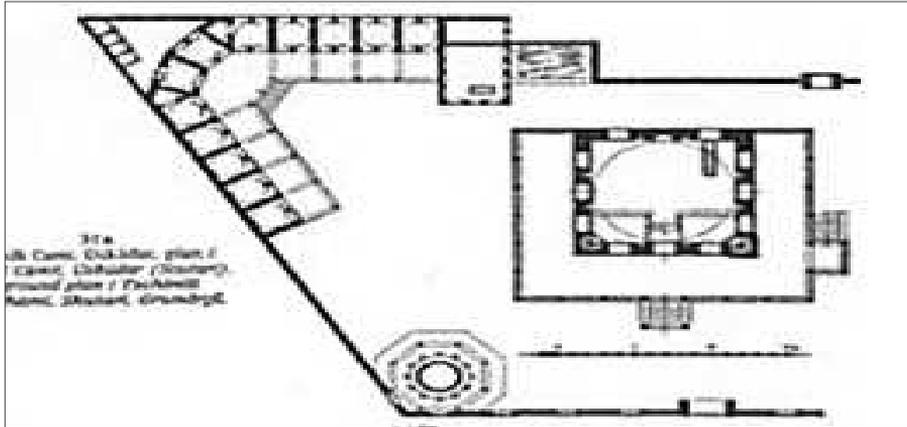
(6) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), P. 167.



صورة (٩٣): تخطيط مجمع ماهبيكر كوسم سلطان. نقلًا عن:
(Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, s. 164)

والسبيل (أو العجشمة)، والعمارت (أو المطعم الخيري)، وأما المنشآت الربحية فأهمها الحمام المزدوج الذي عُرف به الشارع الواقع شمال غرب الكلية، والخان التجاري بالمجمع نفسه، كما ألحقت بها الواقعة خانًا تجاريًا كبيرًا سيّده في الجزء الأوروبي في المنطقة التجارية بمدينة إستانبول على منحدر جاكما كجيلار هو خان الوالدة الكبير، وتنقسم الكلية الوقفية إلى كتلتين أو مجموعتين منفردتين يفصل بينهما زقاق أو شارع خارجي، إحداهما في الجنوب والأخرى في الشمال، أما الجنوبية فهي تضم المنشآت الدينية، ويقع فيها المسجد والمدرسة والفسقية داخل سور يضمها، وله مدخلان يؤديان إلى داخل هذه المنشآت، بحيث يحد هذه المنشآت من الجنوب الشرقي زقاق چينيلي جامع (Çinili Mescit Sokak)، ومن الشمال الشرقي شارع علام (Allame Caddesi)، ومن الشمال الغربي زقاق چينيلي حمام (Çinili Hamamı Sokak)، أما من الجنوب الغربي فشارع فاضل باشا ويقع بعده تكية (Ümmi Ahmet Tekkesi)، بحيث يقع المسجد الصغير ذو القبة الواحدة، وإلى الركن الشرقي منه تقع المدرسة الفريدة التي تأخذ تخطيطًا متميزًا على هيئة حرف (V)، في حين تقع الفسقية المضلعة في أقصى الركن الشمالي داخل السور، ويقع إلى الخارج سبيل مائي يطل على زقاق

چينيلي جامع عند تقاطعه مع شارع الشاعر طلعت، وأما باقي وحدات الكلية فتقع في الناحية الأخرى إلى الشمال الغربي من المباني الأولى، وهي الحمام والچشمه ومكتب الصبيان^(١)، فيما تهدمت العمارت والخان ولم تنجوا من التخريب والمهدم.



صورة (٩٤): المسقط الأفقي لجامع ومدرسة وفسقية ماهيكر كوسم سلطان. نقلاً عن:
(Freely, A History of Ottoman, p. 275)

(أ) المسجد:

هو عبارة عن مسجد صغير الحجم عظيم العمارة والفن، بديع في الزخرفة، متميز في التغطية، إذ يتبع التخطيط البسيط لطرز المسجد القبة فتغطيه قبة واحدة تحملها المثلاث الكروية المقلوبة، ويحيط به رواق من ثلاثة جوانب عدا جهة القبلة.

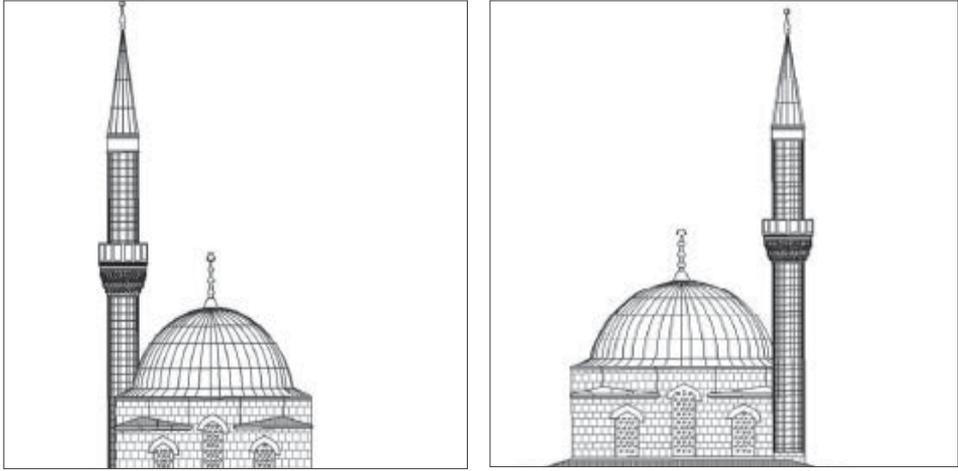
١. المسجد من الخارج:

للمسجد واجهة واحدة حرة تُمثّل واجهة الجدار الجنوبي الشرقي وهي بذلك تُمثّل واجهة القبلة، أما الجدران الثلاثة الأخر فيتقدم كلاً منها رواق يمثل سقيفة تغطي واجهة المسجد، ويقع مدخل المسجد في الجهة الشمالية الغربية.

الواجهة الشمالية الغربية (صورة: ٩٥): وهي الواجهة الرئيسية، ولا تختلف عن الواجهات الجانبية إلا في وجود كتلة المدخل بمتصفها وعلى كل جانب منها فتحة نافذة مستطيلة، ويعلو كل نافذة نفيس تكسوه البلاطات الخزفية ذات اللونين

(1) Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), P, 164; Üsküdar'daki Çinili Süslemeli, (Latife Aktan), Camiler Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, C. 1, İstanbul, 2004, S. 105.

(الأبيض والأزرق)، وتكسو المستوى السفلي من هذه الواجهة وصولاً إلى ارتفاع النوافذ البلاطات الخزفية، أما المستوى العلوي فيشبه الواجهة القبليّة. الواجهة الجنوبية الشرقية (صورة: ٩٦): وهي عبارة عن واجهة بسيطة تمتد من الشرق إلى الغرب بطول يبلغ ١١,٥٠ م، وارتفاع ٦,٥٠ م، وهي واجهة مبنية بالحجر والآجر بالتبادل، ويتقدم هذه الواجهة من الخارج شاهداً قبر من الرخام، وتنقسم الواجهة إلى مستويين أفقيين، يشتمل السفلي منهما على فتحتين متماثلتين لنافتين عبارة عن فتحة مستطيلة يؤطرها برواز من الرخام الأبيض، ويعلو كل نافذة نفيس معقود بعقد مدبب من الآجر يخلو من الزخرفة، ويعلوها المستوى الثاني وبه ثلاث فتحات نوافذ مستطيلة أكثرها ارتفاعاً النافذة الوسطى، وتتميز عن السفلية في أنها مغطاة بالجص المعشق بالزجاج الملون تعطي أشكال الدوائر.



(الصورتان: ٩٥، ٩٦): تفرغ للواجهة الشمالية الغربية (اليمنى) والواجهة الجنوبية الشرقية (اليسرى) من جينيلي جامع (نقلاً عن: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، مج ٢، ص ٧٣-٧٤).

الواجهتان الجانبيتان: وهما متماثلتان تماماً، تتقدم كلاً منهما سقيفة ملتصقة بجدار الواجهة، وهي تشبه عموماً الواجهة الجنوبية الشرقية من حيث تقسيمها إلى مستويين أفقيين، وتوجد بالمستوى السفلي نافذتان والعلوي ثلاث نوافذ.

مدخل المسجد: يقع بمنتصف الواجهة الشمالية الغربية داخل كتلة معمارية مستطيلة تبلغ أبعادها ٢٥,٣ × ١,٧٠ م، وتتوسط هذه الكتلة فتحة باب الدخول

باتساع ٦٠ م، وارتفاع ٦٠ م، وهي معقودة بعقد موتور من صنجات رخامية معشقة يغلق عليها مصراعان خشبيان، ويعلو العقد العاتق نقش كتابي بخط الثلث البارز بأسلوب التذهيب على أرضية خضراء، وهو مثبت على لوح رخامي في سطرين بكل منهما ثلاثة بحور كتابية، نصها:

س ١	(هميشه حضرت والأجناب والده سلطان) (خلوص اوزره لوجه الله خيرات ايتمه درشاني) (يابوب بوجامعي اكه ينجه املاك وقف ايتدي)
س ٢	(موفق ايتدي خيراته اني توفيق رباني) (تمام اولنجه ديدي همتا تارنجيني هاتف) (بو جامعه اولان طاعت اوله مقبول سبحاني)

وترجمة النص^(١):

س ١	(حضرة وجناب والده سلطان) (التي وَقَّفت خيرات كثيرة خالصة لوجه الله) (قد بنت هذا الجامع ووقَّفت عليه كماً من الأملاك).
س ٢	(وقد وفقها التوفيق الرباني للخيرات) (وعندما تم البناء قال الشاعر هاتف تاريخه بلا شبیه) (فليتقبل الله كل من أطاعوه في هذا المسجد).

السقيفة: وهي تتقدم المسجد من الجهات الشمالية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية لتأتي على هيئة حرف (U)، وتلتصق السقيفة بجدران المسجد من الداخل، وتطل على الخارج في الجانبين بواسطة ٧ أعمدة رخامية بامتداد يبلغ طوله في كل جانب ١٥ م تقريباً، أما في الجهة الشمالية الغربية فتطل السقيفة بـ ٨ أعمدة رخامية، ومن ثم يزداد طول السقيفة هنا لتبلغ ٢٠، ١٨ م، وتتميز الأعمدة بأن تيجانها ذات هيئة هندسية تشبه المعينات، ويبلغ ارتفاع كل عمود حوالي ٥٠، ٢ م لتحمل هذه الأعمدة سقف السقيفة الخشبي المائل للخارج لتصريف مياه الأمطار بسهولة، وقد عُطي أيضاً هذا السقف من الأعلى بألواح الرصاص، ويتقدم منتصف السقيفة الشمالية الغربية سلم من ٩ درجات -يعلوه مظلة- يؤدي إلى المنطقة التي

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٨.

تتقدم المدخل، وعلى نفس الشكل السابق يوجد درج آخر بمنتصف الجهة الجنوبية الغربية يؤدي إلى المنطقة التي تتقدم المدخل الثاني للمسجد.

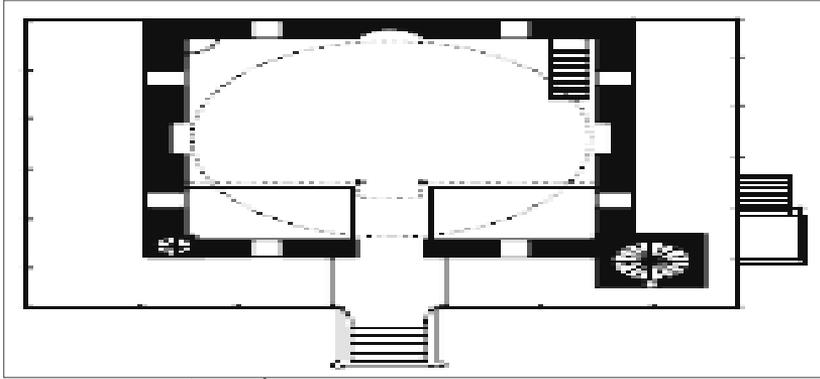
قبة المسجد: يغطي مساحة المسجد المربعة قبة تقوم على مثلثات كروية مقلوبة لتُمثّل منطقة الانتقال التي تقوم فوق جدران القبة، وهي قبة مبنية من الحجر والأجر بالتبادل، ويعلوها طنف^(١) مصفح بألواح الرصاص، ويعلو ذلك خوذة القبة المغطاة بألواح الرصاص هي الأخرى لمقاومة العوامل المناخية، ويعلو القبة قائم معدني ذو ثلاثة انتفاخات ينتهي بهلال يفتح جهة السماء.

المئذنة: للمسجد مئذنة حجرية وحيدة تقع في الركن الغربي من الواجهة الرئيسية، ويدخل إليها عبر فتحة باب في الجهة نفسها من قاعدتها، وهي مئذنة عثمانية تقليدية تقوم على قاعدة مربعة بارتفاع حوالي ٣م، وتعلو القاعدة طابق المئذنة الأول، وهو طابق أسطواني تزينه الأشكال المضلعة ويمتد للأعلى بارتفاع يبلغ نحو ٥٠، ١٠م، وينتهي بشرفة تقوم على كوابيل حجرية مزخرفة بزخارف الباروك، ويلتف حول الشرفة درابزين رخامي ذو زخارف مفرغة، ويأتي الطابق الأسطواني الثاني من المئذنة أعلى الشرفة ويستدق عن الطابق السفلي وبارتفاع يبلغ ٤٠، ٤م، وينتهي الطابق الثاني بإطار أو رابط حجري مزخرف بزخارف الباروك متمثلة في أوراق الأكانتس في هيئة زخرفية، ويعلو ذلك طنف أو إطار حجري يبرز للخارج يحمل قمة المئذنة على شكل مخروط تغطيه ألواح الرصاص بارتفاع ٧٠، ٥م، وينتهي بقائم معدني ذو ثلاثة انتفاخات يعلوه هلال، والملاحظ أن قمة المئذنة قد تدمت إثر الحريق الذي نشب سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، مما دفع المديرية العامة للأوقاف إلى إعادة الترميم وتمت إضافة قمة المئذنة في العام التالي للحريق^(٢)، وهو ما يؤكد أهمية الوقف في إجراء المرمات للعين الموقوفة حفاظاً عليها.

(١) الطنف: هو الإطار البارز أو السقيفة التي تبرز عن البناء للحماية من المطر ونحوه، والجمع: طنوف، وأطناف.
(2) Üsküdar'daki Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S, 319.

والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٩.

٢. المسجد من الداخل:



صورة (٩٧): المسقط الأفقي لجينيلي جامع بإسكدار. نقلاً عن:
(Haskan, Yüzyillar Boyunca Üsküdar, s. 163)

عبارة عن تخطيط مربع المساحة يبلغ طول ضلعه ١٦, ٩م (صورة: ٩٧)، وبذلك تبلغ المساحة الإجمالية ٨٢ متر مربع تُمثّل مساحة المربع السفلي للقبة، وتمتد الجدران إلى لأعلى لتأتي منطقة الانتقال، وهي عبارة عن ٤ مثلثات ركنية مقلوبة بواقع مثلث بكل ركن تحمل رقبة وخوذة القبة التي يبلغ ارتفاعها ٥٠, ١٢م وقطرها ٩ أمتار، وتتميز منطقة الانتقال من داخل القبة بإخفاء رقبة القبة على عكس الأمر من الخارج، وتزخرف مركز القبة من الداخل جامة دائرية تحتوي على زخارف الرومي بلون أبيض على أرضية حمراء، ويحدها إطار على هيئة أوراق نباتية ثلاثية تملؤها هي الأخرى زخارف الرومي البيضاء، وبلي الإطار ثنائي بخاريات تملؤها زخارف الرومي بلون أبيض على أرضيات مختلفة الألوان بالتبادل، أما أركان منطقة الانتقال فتملؤها الزخارف النباتية المنفذة باللون الأبيض على أرضية حمراء اللون، قوامها زخارف الرومي والأفرع النباتية، وبكل ركن منها جامة مستديرة بداخل كل دائرة نص كتابي بخط الثلث باللون الأبيض على أرضية زرقاء بكل منها كلمتان، ونصها (الله محمد، أبو بكر عمر، علي عثمان، حسن حسين).

جدار القبلة (صورة: ٩٨): وهو الجدار الجنوبي الشرقي ويتوسطه محراب المسجد، وهو ينقسم إلى مستويين أفقيين يحتوي السفلي منهما على نافذتين متماثلتين على جانبي المحراب، ويقع بين كل نافذة منها والمحراب كتيبة عبارة عن فتحة مستطيلة يغلق

عليها مصراع خشبي، ويعلوها نفيس مملوء ببلاطات القاشاني الخزفية (الصيني)، نُفذ عليه بخط الثلث الأبيض اقتباس قرآني على أرضية زرقاء، بإحدهما على يسار المحراب: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(١)، وأما المستوى العلوي فيه ثلاث نوافذ معقودة بعقود مدبية يغشيها الجص المعشق بالزجاج الملون، الذي يشكل هيئة البخارية في المنتصف وأعلاها وأسفلها نصفًا بخارية، أما حنية العقد المدبية فيها زخارف كتابية بلون أصفر، وتتميز النافذة الوسطى بأنها أكثر ارتفاعًا واتساعًا.



صورة (٩٨): جدار القبلة بچينيلي جامع ومحراه الخزفي، نقلًا عن:
(Haskan, Yüzyillar Boyunca Üsküdar)

المحراب: عبارة عن حنية ذات صدر مضلع تعلوه طاوية مزخرفة، وتتميز كتلة المحراب بأنها مكسوة بالبلاطات الخزفية الزرقاء المملوءة بالزخارف النباتية، وقوام زخارف كل بلاطة منها إما ورقتان رمحيتان مسنتتان كاملتان أو منفذتان بأسلوب زخرفة الرومي تحصران بينهما زخرفة زهرة الرمان، وإما نصفًا ورقتين رمحيتين مسنتتين تحصران بينهما نصف زهرة رمان، ويعلوها بركني البلاطة زهرتا لوتس بالتبادل، بحيث تكمل الزخارف بعضها بعضًا في كل ضلع من أضلاع المحراب،

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٠١.

ويوجد بين كل صفين من البلاطات صف رأسي من الوزرات الضيقة التي تكمل الزخارف، وكلها نفذت بلون أزرق وتركوآزي على أرضية بيضاء، وتنتهي الزخارف أسفل طاقية المحراب بهيئة البائكة ذات العقود الثلاثية، يعلوها شريط من البلاطات الخزفية الزرقاء نُقش عليها بخط الثلث الأبيض الاقتباس القرآني: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(١)، وأما طاقية المحراب فتشغلها البلاطات الخزفية المزخرفة بأوراق الرمان والأوراق النباتية الثلاثية.

المنبر: عبارة عن منبر من الرخام الأبيض يقع إلى يمين الواقف أمام المحراب، ويتكون من صدر يشتمل على باب المقدم يؤدي إلى درج على جانبيه درابزين المنبر الذي يقع أعلى ريشتي المنبر الرخاميتين، حيث تزخرف مركز كل منهما دائرة تزينها الأوراق النباتية الثلاثية وزخارف الرومي باللون الأبيض والذهبي، ويؤدي الدرج إلى جلسة الخطيب التي يعلوها جوسق يقوم على أربعة أعمدة لها تيجان ذات معينات (تشبه البقلاوة)^(٢)، وقمة الجوسق مخروطية الشكل فريدة في الزخرفة والكسوة^(٣)، إذ تكسوها البلاطات الخزفية المزينة بأوراق نباتية وزهور الرمان والهاتاي بلون أزرق على أرضية بيضاء.

دكة المقرئ (كرسي الوعظ): عبارة عن دكة خشبية مضلعة تستند إلى الركن الشرقي من المسجد وتتكون من ثلاثة أضلاع، وتزخرفها أشرطة زخرفية متقاطعة ومتنوعة تعطي أشكالاً هندسية تشبه مثيلاتها في الدكك الأخرى.

الجدران الأخرى للمسجد: يتشابه الجدران الجانبيان بحيث توجد بهما فتحات النوافذ التي تظهر من الخارج وتطل على السقيفة في المستوى السفلي، ويعلوها نوافذ المستوى العلوي ذات عقود مدببة ومغشاة بالجص المعشق بالزجاج الملون.

الجدار الشمالي الغربي: وهو يشبه الجدران الأخرى فيما عدا احتوائه من منتصف المستوى السفلي على المدخل الرئيس للمسجد، ويطل على الداخل بفتحة الباب وعلى جانبيها نافذتان مستطيلتان، أما المدخل فهو عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٩.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٥٢؛

Üsküdar-dakı Valide Sultan Külliyesi (op. cit), (Can Alpgüvenç), S, 319.

(3) Ibid, S. 330.

1.60 x 2.60 م يغلق عليها مصراعان خشبيان، وأما المستوى العلوي فبه فتحات النوافذ العلوية المغطاة بالحصص المعشق بالزجاج الملون مثل باقي الجدران. المحفل: وهو محفل خشبي خصصته ماهبيكر كوسم سلطان للسيدات، ويقع بالجهة الشمالية الغربية على جانبي المدخل حيث يمتد بطول الجدار، ويقوم المحفل على أربعة أعمدة رخامية لها التيجان السابقة نفسها، ويتم الصعود إلى المحفل عبر مدخل في الزاوية الشمالية، يغلق عليه مصراع خشبي يؤدي إلى درج صاعد ثم إلى المحفل.

3. أهم المميزات والخصائص التي ينفرد بها المسجد:

كُست جدران المسجد السفلية إلى جانب الأجزاء التي تتوسط مناطق الانتقال بالمستوى العلوي ببلاطات خزفية بديعة، وتتميز زخارف بلاطات المستوى السفلي باحتوائها على أزهار الرمان والقرنفل واللالا وزخرفة الهاتاي والرومي بألوان زرقاء وخضراء وبنية وحمراء على أرضيات بيضاء اللون، وقد كوّنت البلاطات تشكيلات زخرفية متنوعة، يعلوها شريط كتابي من بلاطات متجاورة تلتف حول جدران المسجد، يتضمن اقتباساً قرآنياً من سورة الفتح، تبدأ من الجدار الجنوبي الشرقي بجوار المنبر وتستمر حتى بداية حنية المحراب، وتستمر بعد حنية المحراب لتنتهي عند الجدار الجنوبي الغربي^(١)، وقد سُجلت الكتابات بخط الثلث الأبيض على أرضية زرقاء، وجاء نص الآيات كالاتي:

- ما بين المنبر والمحراب: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾.

- بعد حنية المحراب لنهاية الجدار القبلي: ﴿وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَهَدَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَبَصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُودٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾.

- الجدار الشمالي الشرقي: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكْفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۗ بِاللَّهِ ظَرْفٌ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ۗ﴾.

(١) ينظر: الكتابات على العمائر الدينية محمد علي بيومي، ص ٢٣٩.

وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ﴿٧﴾** (١).

- الجدار الشمالي الغربي: ﴿بَلْ تَحَسُدُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴿١٧﴾

- الجدار الجنوبي الغربي: ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ (٢).

ولم يكن هذا الاقتباس القرآني الوحيد بالمستوى الأول، بل وجدت اقتباسات قرآنية أخرى تعلقون نوافذ المستوى الأول، وداخل النيفس الذي تكسوه باللباطات الخزفية الزرقاء، التي سجلت عليها نقوش بخط الثلث تمثل الاقتباس القرآني: آية الكرسي، وذلك في ثلاثة جدران فقط، وجاء توزيع الكتابات أعلى النوافذ بواقع نافذتين بكل جدار كالآتي:

الجدار الجنوبي الغربي:	
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
الجدار الجنوبي الشرقي:	
مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ	وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
الجدار الشمالي الشرقي:	
كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا	وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾، وصدق رسوله الكريم.

(١) سورة الفتح، الآيات (١-٧).

(٢) سورة الفتح، الآيات (١٥-١٨).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم ٢٥٥.

٤ . أهم أعمال الترميم والصيانة بالمسجد:

تميزت مدينة إستانبول بكثرة الزلازل والحرائق بما كان يؤدي إلى تهمد أجزاء من العمائر، وينطبق الأمر على چينيلي جامع، فجرى تجديد المسجد وإصلاحه خلال عدة سنوات، منها: ١٣٠٦هـ / ١٨٩٠م، ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م على يد وزير الأوقاف غالب باشا^(١)، وقد شملت هذه الأعمال: المسجد والچشمة، وتم ترميم قبة المسجد وإصلاح زخارفها ونقوشها سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٣٨م^(٢)، وبعد ذلك بحوالي ١٨ سنة تهدمت قمة المئذنة فقامت المديرية العامة للأوقاف بإعادة بنائها مرة أخرى على طراز الباروك سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م^(٣).

ب) مدرسة دار الحديث (MEDRESE):

وهي مدرسة مخصصة لدراسة علوم الحديث النبوي الشريف أنشأها ماهبيكر كوسم سلطان سنة ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م، وكانت تقوم بوظيفتها في تدريس علوم الحديث حتى سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م^(٤)، وفي بعض الأخبار ظلت هذه المدرسة مستمرة في مهمتها حتى سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م^(٥)، ومرت المدرسة بعدة أحداث أدت إلى تهمد بعض أجزائها، فقامت المديرية العامة للأوقاف بترميمها سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م^(٦).

تقع المدرسة إلى الشمال الشرقي من المسجد في الزاوية الشرقية من السور الذي يحيط بالجامع والمدرسة والنافورة أعلى ربوة مرتفعة؛ إذ يصعد إلى المدرسة بسلم من عدة درجات حجرية، وهي مدرسة مميزة وفريدة من حيث التخطيط المعماري، فهي مدرسة مفتوحة لا يحد فناءها سور أو رواق من جميع الجهات، تتكون من تخطيط يشبه إلى حد كبير هيئة حرف (V) أقرب إلى (U) (راجع الصورتين: ٩٣، ٩٤)، وكان

(1) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 1, P. 167.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٥٨.

(3) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 1, P. 167.

(٤) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسراي، ص ١٨٤-١٨٥.

(5) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1240.

(6) Ibid, C. 3, S. 1240;

www.Turankinci.Com, Available On 30 March 2021.

أثر الموقع على التخطيط بارزاً وعاملاً مهماً في هذا الأمر، نتيجة وقوع المدرسة في زاوية السور إضافة إلى أرضيتها المرتفعة.

وكان يتقدم حجرات المدرسة رواق يأخذ هيئة حرف (V) لم يبق إلى اليوم، وإنما تهدم وبقيت مساحته عبارة عن ساحة مرتفعة عن أرضية الفناء يصعد إليها بدرج في الركن الشرقي، ويقع خلف هذه المساحة المكشوفة (الرحبة) حجرات الطلاب بواقع ٩ حجرات تأخذ كل حجرة منها الشكل المربع الذي تعلوه قبة، وقد تم توزيع الحجرات بواقع أربع حجرات في الجدار الجنوبي الشرقي يقابلها ٤ حجرات في الضلع الشمالي الغربي، أما الزاوية الشمالية الشرقية فتأتي بها مساحة مكشوفة كانت تحتوي على بعض المراحيض، وأما حجرة الدراسة (الدرس خانه) فهي تأخذ هيئة التخطيط خماسي الأضلاع تعلوها قبة أيضاً، وتقع في أقصى الضلع الجنوبي الشرقي جهة الزاوية، وتفتح المدرسة بكامل اتساعها من الجنوب الغربي فلا يحدها سور أو رواق أو حجرات، وقد حاول بعض الباحثين وضع مخططات للمدرسة ومحتوياتها، فأبرز بعضهم مسقط المدرسة على هيئة حرف (U) أو شكل حدوة الفرس، وذلك نتيجة لتباعد المسافة ما بين الركن الشرقي لسور المجمع وقاعة الدرس التي تقع في هذه الجهة من المدرسة، مما نتج عنه زيادة عرض المساحة المتاحة، ووضع الباحث فيه غرفتين بدلاً من غرفة واحدة، ليأتي تخطيط المدرسة على هيئة حرف (U)، ولتحتوي المدرسة بناءً على هذا المسقط الأفقي على ١٢ حجرة، في حين جاء وصفهم لها باعتبارها ذات تخطيط على هيئة حرف (L) وأنها تحتوي على ٧ غرف فقط^(١)، وأما بعض الباحثين فقد أورد المسقط الأفقي لهذه المدرسة على أنها تتبع التخطيط على هيئة حرف (V)، وذلك لأن أضلاع المدرسة لا تلتقي بزواوية قائمة وإنما يتقابل الضلعان بزواوية ٥٠° لا سيما جهة الفناء، وقد كانت تتكون من ٩ غرف وأضيفت إليها حجرتان في ضلعي المدرسة ليصبح عددها ١١ حجرة تعلوها ١١ قبة، أكبرها قبة الدرس خانه.

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، مج ١، ص ٢٥٩، شكل رقم (٧٧) بالمجلد الثاني، ص ٧١.

وهناك عدد من المراجع التركية والأجنبية قامت بتناول تخطيط المدرسة على اعتبار أن المدرسة على هيئة حرف (U)، وتتبع أصحاب هذه المراجع في ذلك المسقط الأفقي للمهندس التركي (Gurlitt)، ونقله عنه عدد من الباحثين الأجانب منهم (Freely) في مؤلفه بعنوان: في تاريخ العمارة العمانية^(١)، وأما الباحث فيرى أن بناء الخلاوي جاء على هيئة حرف (U)، في حين يأخذ الفناء هيئة حرف (V)، وما يؤكد هذا الرأي إلى جانب التخطيط الفعلي للمدرسة أن عددًا من الباحثين الأتراك المتخصصين أيضًا في دراسة تاريخ العمارة التركية وبعض الموسوعات أدرجوا ما يدل على أن المدرسة بنيت بشكل حرف (V)، وأنه يتم الصعود إلى حجرات المدرسة عبر ٩-١٠ درجات سلم حجري، وأما حجرات المدرسة فتقع في ضلعها، وكانت تتقدم حجرات المدرسة مظلةً تقوم على أعمدة لها تيجان ذات معينات (تشبه البقلاوة)^(٢).

وقد فتح بكل حجرة من خلاوي الطلاب جهة الرواق باب يؤدي إليها، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة يتوجها عتب ويغلق عليها مصراع خشبي، ونافذة مستطيلة تغشيها المصبعات المعدنية، وأما داخل الحجرات فبكل حجرة في الجدار المقابل للمدخل عدد من الفتحات تستخدم ككتيبات أو لحفظ متعلقات الطلاب، وينطبق الأمر على قاعة الدرس أيضًا، باستثناء تخطيطها خماسي الأضلاع وقد فتحت بها نافذتان، وبكل حجرة من الحجرات موقد ومدخنة من الحجر المقطوع. وأما من الخارج فتظهر القباب التي تغطيها ألواح الرصاص (صورة: ٩٩)، وهي قباب تقوم على مناطق انتقال من مثلثات كروية مقلوبة، أكبرها قبة الدرس خانة، وهي قباب بسيطة تخلو من الزخارف.

(١) ويمكن مطالعة المسقط الأفقي -قيد الذكر- في المسقط الكبير الذي قام به (Gurlitt) للمسجد ومدرسة وتكية مجمع نوربانو سلطان، باعتبارها مجاورة لموقع مجمع أو كلية ماهيكر كوسم سلطان المعروفة بجينيلي كليي. ينظر: A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P.275, Figure 6.

(2) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1239.



صورة (٩٩): صورة جوية لمدرسة وجامع ماهييكركوسم سلطان ياسكدار، نقلاً عن:
(tr.depositphotos.com)

ج) الشاذروان (النافورة):

يقع الشاذروان (انظر، صورة: ٩٩) إلى جوار السور من الجهة الشمالية الغربية بالزاوية الشمالية منه وليس ملتصقاً بالجدار، وهو عبارة عن نافورة وضوء تأخذ الشكل الهندسي مثنى الأضلاع، وتخرج الصنابير من بدن الفسقية بحيث يوجد أمام كل صنوبر مقعد رخامي لجلوس المتوضئ عليه، وقد كسيت أرضية الفسقية أو النافورة ببلاطات الرخام، وتغطي النافورة قبة زجاجية زرقاء، أما سقف الشاذروان فتحمله أعمدة رخامية ذات تيجان (تشبه المعينات) يبلغ ارتفاع كل عمود منها ٢,٥٠م، وتحمل هذه الأعمدة رقبة مثمثة يقوم عليها مخروط يبلغ ارتفاعه ٨,٥٠م، وهو مصفح بألواح الرصاص ويعلو منتصفه قوائم معدني، وتزين المخروط من الداخل زخارف نباتية.

د) السبيل:

أنشأته ماهييكركوسم سلطان سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠-١٦٤١م كما يذكر عمر فاروق^(١)، وهو يقع في تقاطع شارع چينيلي حمام مع شارع الشاعر طلعت

(1) Su Güzeli Istanbul Sebilleri, (Ömer Faruk Şerifoğlu), İstanbul, 1995, S. 173; Yüzyıllar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1108.

(Şair Talat sok)^(١)، وقد ألحقت الواقفة بكليتها لخدمة المارة قرب المجمع، وهو من النماذج البسيطة والقليلة التي تُمثّل أسبلة إستانبول الرخامية^(٢)، فهو يندرج ضمن طراز الأسبلة ذات الواجهة المستقيمة الملحقة بسور خارجي، ويشبه من حيث تكوينه سبيل رستم باشا بجامع شهزاده محمد؛ إذ تتوافر فيهما العناصر المكونة للأسبلة، وهو عبارة عن مكعب من الرخام وله واجهتان، الداخلية منها تطل على حرم المسجد، والخارجية تطل على الشارع الخارجي لتزويد المارة بالماء، وبينهما حوض رخامي صغير ذو شكل بيضاوي، وقد عُثِّي السبيل من الخارج بمصبغات معدنية أما من الداخل فتغطيه كسوة رخامية تنقسم إلى منطقتين أفقيتين؛ السفلية منها عبارة عن أربع فتحات معقودة بعقود مدببة لتسييل الماء، تعلوها مباشرة منطقة من الرخام المفرغ، قوامها الزخارف الهندسية التي تُعرف باسم (مسدس سروة)^(٣) (صورة: ١٠٠).



صورة (١٠٠): شبك التسييل من الداخل المطل على المسجد، (نقلاً عن: عمارة الأسبلة، دعاء خالد)

(١) ينظر: عمارة الأسبلة العثمانية الباقية بمدينة إستانبول من أواخر القرن ١٠هـ/١٦م حتى الربع الأول من القرن ١٤هـ/٢٠م (دراسة آثارية معمارية وفنية)، دعاء صلاح سعد خالد، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٩٩.

(2) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 3, S. 1210.

(٣) عبارة عن شكل زخرفي هندسي سداسي الأضلاع ينقسم إلى ستة أقسام، بواسطة السدايب أو الحشوات المتجهة يمينًا ويسارًا وأفقياً.

سادساً: مباني الكتلة الثانية من الكلية (الشمالية الغربية):

وهي تقع داخل سور آخر، ويفصلها عن المباني الأولى شارع يطلق عليه زقاق چينيلي حمام، وتضم هذه الكتلة ما يأتي:

(أ) مكتب الصبيان:

شُيّد هذا المكتب بعد الجامع بنحو سنتين، إذ تتضمن كتابات الجشمة التي تقع خلف المكتب نقشاً يدل على أن إنشاء المكتب كان سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م، فيما تم ترميمه سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م^(١)، وهو يقع في بداية شارع الحمام الصيني في مواجهة الباب الشمالي الغربي الذي يؤدي إلى فناء الكتلة الأولى من الكلية، وهو عبارة عن مساحة صغيرة ذات تخطيط مربع تغطيها قبة واحدة، ويصعد إلى قاعة الدرس بسلم من ١٥ درجة، وأما من الخارج فالمكتب ذو واجهات بسيطة من الحجر لا تتميز بشيء إلا بوجود نافذتين بكل جدار تغشيهما المصعبات المعدنية، ويعرف المكتب حالياً باسم مكتبة چينيلي للطفل (Çinili çocuk Kütüphanesi)، إذ تم تحويله إلى مكتبة.

ولهذه المكتبة حالياً واجهتان خارجيتان، ويُدخّل إليها عبر مدخل منفصل يطل على زقاق چينيلي حمام، وهو عبارة عن مدخل رخامي منخفض معقود بعقد نصف دائري، ويؤدي المدخل إلى فناء الكتلة الشمالية الغربية من المجمع، ويتم الدخول إلى المكتب عبر درج صاعد يؤدي إلى أعلى المكتب حيث فتحة الباب في الجهة الجنوبية الغربية منه، وهو مدخل مستطيل الشكل يغلق عليه مصراعان خشبيان، ويعلو المدخل رفرف خشبي مغطى بالقرميد، وتطل الواجهة الجنوبية الشرقية للمكتبة على زقاق چينيلي حمام، وهي واجهة حجرية فتح فيها فتحتا نوافذ، إحداهما قرب الزاوية الشرقية تأخذ الشكل المستطيل وتغشيه المصعبات المعدنية، والأخرى تبدأ قاعدتها بارتفاع قمة النافذة الأولى وتقع في منتصف الواجهة ويؤطرها عقد مدبب منفذ بقوالب الأجر.

أما الواجهة الشمالية الشرقية فهي تشبه الواجهة السابقة إلا أنه فتحت بها

(1) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 906.

ثلاث فتحات نوافذ، بحيث فتحت نافذتان مستطيلتان تغشيهما المصبعات المعدنية، وتتوسطهما بمستوى أعلى منهما نافذة تأخذ هيئة العقد المدب تشبه نافذة الواجهة السابقة أيضاً، وقد بني إطارها المدب بقوالب الأجر.

ب) **الچشمة** (صورة: ١٠١):

تقع بأقصى الشمال الشرقي من سور الكتلة الثانية للكلية المعمارية وإلى الشمال من المكتب بمحاذاة واجهته الشمالية الشرقية، وهي عبارة عن حنية صغيرة يؤطرها عقد مفصص، والچشمة من الرخام الأبيض يتوسطها صنوبر معدني لإخراج الماء وقت الحاجة، ويؤطر الچشمة عقد كبير حجري يأخذ الشكل المدب مبني بكتلات حجرية، فيما يقع حوض الچشمة الرخامي أسفل الصنوبر.



صورة (١٠١): چشمة كلية ماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار

ج) **الحمام:**

يقع الحمام في شارع الحمام الصيني المنسوب إليه، وهو حمام مزدوج ينقسم إلى جزأين، بحيث خُصص أحدهما للرجال والآخر للنساء، ويتكون الحمام من مساحة وسطى مثمثة التخطيط، وعلى جوانبها أربعة إيوانات تفتح على المئمن، وتعلو حمام الرجال قبة، وكانت تعلو حمام النساء قبة أيضاً تقوم أعلى حجرة خلع الملابس، لكنها تهدمت سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

وأما تاريخ الحمام فقد ذكر بأن ماهيكر كوسم سلطان بدأت بتشبيده بعد انتهاء بناء المسجد والمدرسة، ومن ثم بدأت في إنشاء عمارتها وحمامها ومكتب الصبيان بعد ذلك^(١)، وأما في وحدات الحمام فذكر أنها بدأت في بناء حمام النساء أولاً وانتهى البناء سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م، وقتلت قبل بناء حمام الرجال فأكمله شقيقها بعد مقتلها^(٢)، ولكن هذا القول لا يمكن التسليم به، إذ إن بناء الحمام لا يتطلب كل هذا الوقت، وقد وردت عدة أوصاف لهذا الحمام والتغني بجمالياته، لا سيما من قبل مؤرخ ورحالة هذه الفترة أوليا جلبي، إذ يتحدث عن حمام تركي لطيف غاية في الجمال وفريد من نوعه يقع بمنطقة إسكدار، ويطلق عليه الحمام الأحمر أو حمام القرميد لكثرة القرميد الذي كان ولا يزال يغطي المسجد.

وقد عرف الحمام بـ «چينيلي» حمام نسبة إلى مسجد الكلية المعمارية، كما أن الحمام نفسه قد زينت جدرانه ببلاطات خزفية مثل تلك التي توجد في المسجد، ولكنها خربت وما تبقى منها سُرق في أثناء الفترة (١٩٢٣-١٩٤٧م) بعد الحرائق التي ضربت المنطقة، لا سيما أن الحمام ظل مغلقاً طيلة هذه الفترة من دون سبب لذلك، وعقب افتتاحه تبين اختفاء البلاطات الخزفية وتهدم بعض أجزاء الحمام، فتمت إعادة ترميم حمام الرجال سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٤٧م، وبعدها بـ ١٦ سنة تم ترميم حمام النساء سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، وافتتح الحمام للعمل مرة أخرى أمام الجمهور مع الإحتفاظ بالبقايا الأثرية الأخرى بالحمام، مثل: التكسيات الرخامية للأرضيات والأجزاء السفلية من الجدران إلى جانب المشغولات والمقاصير والسلام الخشبية^(٣)، ووجدت محاولة لإعادة إحياء الطابع الزخرفي القديم للحمام من الداخل، فتمت إضافة البلاطات الخزفية الحديثة ذات اللون الأزرق أعلى جدران الحمام من الداخل في الحجرات الباردة من قبل مسؤولي ترميم الحمام، وكان أوليا جلبي قد ذكر محاسن حمام ماهيكر كوسم سلطان بقوله: لا يوجد ما يشابهه حتى في إستانبول نفسها^(٤).

(1) Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, S. 967-968.

(2) İstanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 195.

(٣) ينظر: حديقة الجوامع، حافظ حسين إيوانسراي، مجلد ٢، ص ١٨٤.

Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 196; Yüzyillar Boyunca Üsküdar (op. cit), (Mehmet Nermi Haskan), C. 2, s. 967.

(٤) ينظر: سياحاته سي، أوليا جلبي، ص ٣٤، ١٧٤.

١ - الواجهات الخارجية للحمام:

للحمام واجهات خارجية تتميز بلونها الأحمر وجدرانها الصماء بالمستوى السفلي إذ لا تتخللها أي فتحات نوافذ، أما المستوى العلوي ففتحت ببعض غرفه النوافذ، فيما تتميز القباب بالمضاي الزجاجة الموجودة بها للإضاءة.

ويذكر بعض الباحثين أنه على عكس حمام خاصكي سلطان، فإن چينيلي حمام لا يتماثل قسما؛ إذ إن حمام النساء أجمل وأكبر من حمام الرجال، ولكن من حيث التكوين المعماري وتتابع الحجرات فإن كلا الحمامين متشابهان^(١)، وفي واقع الأمر فإن كلا قسمي الحمام متماثلان فيما عدا بعض البروزات في الجدران الخارجية للحمام النساء، وذلك إلى جانب كبر حجم الحجرة الباردة للحمام النساء عن مثيلتها في حمام الرجال، ولكن بعد الترميمات التي تمت للحمام يبدو أنه تم تعديل المساحة ليتماثل قسما الحمام.

الواجهة الشمالية: تطل على شارع أو زقاق چينيلي حمام، وهي واجهة تتميز بلونها الأحمر، وهي بسيطة تمثل واجهة الحجرات الباردة بكل من حمام الرجال وحمام النساء، وقد فتح بالمستوى العلوي عدد من فتحات النوافذ بعضها تأخذ الشكل المستطيل، وبعضها معقودة بعقود نصف دائرية، وتظهر القباب التي تغطي الحمام من الأعلى، ويقع حمام النساء إلى الشرق من حمام الرجال، ويظهر مدخل حمام الرجال من هذه الواجهة وهو يقع في منتصف الواجهة تقريبا، والمدخل بسيط عبارة عن فتحة باب لا تبرز عن سمت الواجهة يغلق عليها باب خشبي حديث، تعلوه لافتة حديثة مسجل عليها اسم الحمام وتاريخه بحروف أجنبية، وتعلو المدخل فتحات النوافذ التي تمثل واجهة الطابق العلوي، وهي عبارة عن عدد من النوافذ مستطيلة الشكل وتغشيها المصعبات المعدنية.

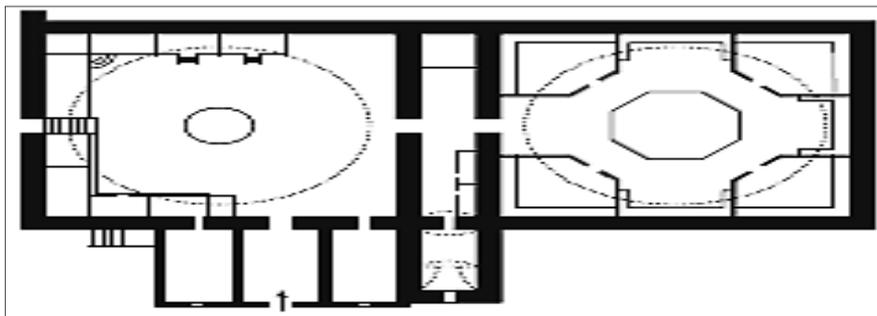
الواجهتان (الشرقية والغربية): تمثل الواجهة الشرقية واجهة حمام النساء، وهي تبدأ من الشمال بواجهة الحجرة الباردة وتغطيها القبة الكبيرة، ثم الحجرة الدافئة فالساخنة، وتنتهي بواجهة المستوقد، وهي واجهة بسيطة لا يختلف فيها شيء سوى وجود مدخل حمام النساء بأقصى شمال الواجهة وهو يشبه مدخل حمام الرجال، أما

(1) Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 19.6

الواجهة الغربية فمماثلة للواجهة الشرقية فيما عدا أنها تمثل واجهة حمام الرجال. الواجهة الجنوبية: وهي واجهة المستوقد من الخارج، وتطل على شارع (Çavuş Dere)، وهي عبارة عن جدار مصمت لا تتخلله أي فتحات نوافذ.

٢- التخطيط المعماري للحمام:

يندرج الحمام ضمن التخطيط التقليدي لعامة الحمامات العثمانية والإسلامية عامة، وهو حمام مزدوج ينقسم إلى حمامين متماثلين في التخطيط المعماري (صورة: ١٠٢)، وتتابع فيه العناصر الإنشائية المكونة للحمامات العامة، لا سيما أنه قد أضيفت مساحة كبيرة إلى حمام الرجال أدت إلى زيادة مساحة القاعة الساخنة فأصبح الحمامان متماثلين^(١)، ويقع حمام الرجال بالجهة الغربية، في حين يقع حمام النساء بالجهة الشرقية، ويمكن أن يتم التطبيق في الوصف المعماري الداخلي على حمام النساء.



صورة (١٠٢): مسقط أفقي للجزء المتبقي من حمام ماهيكر كوسم سلطان بإسكدار. نقلاً عن: (Haskan, Yüzyıllar Boyunca Üsküdar, s. 967)

الحجرة الباردة: يبدأ الحمام من الشمال بالحجرة الباردة، وهي حجرة تغيير الملابس التي تأخذ التخطيط المربع، ويهبط إليها عبر درج يلي الباب مباشرة، وتتوسط الحجرة الباردة فسقية رخامية فيما كسيت أرضيته بكاملها بالرخام إلى جانب الأجزاء السفلية من الجدران، ويتميز الحمام من الداخل بالمقاصير الخشبية في طابقين، وتنقسم المقاصير إلى أجزاء خاصة يغلق على كل منها باب خشبي لتغيير الملابس، فيما زُينت جدران الحمام بالبلاطات الخزفية الزرقاء على غرار البلاطات الأصلية، وتغطي الحجرة الباردة قبة آجرية تحلو من الزخارف.

(1) Istanbul'un 100 Hamamı (op. cit), (Akif Kuruçay), S. 19.6

الحجرة الدافئة: يتم الوصول إليها عبر مدخل يتوسط الضلع الجنوبي للحجرة الباردة للحمام، وهي عبارة عن حجرة مستعرضة تمتد من الشرق للغرب، وتنقسم إلى ثلاث مناطق تغطيها قباب صغيرة، وقد فتح بها ملقف صغير، وتؤدي بدورها إلى الحجرة الساخنة.

الحجرة الساخنة: وهي حجرة الاستحمام ذات التخطيط المثلث، وهي عبارة عن دورقاعة مثمثة أرضيتها مكسوة بالكامل من الرخام الأبيض، وتتوسطها فسقية رخامية بيضاء مزينة بأشكال هندسية متداخلة، وتفتح عليها أربعة إيوانات، كما استغلت الأضلاع الأخرى لعمل خلوات، كل منها ذو شكل غير منتظم الأضلاع أقرب إلى مربع، وتقوم القباب على مثلثات ركنية، وتعدّ الحجرة الساخنة أجمل أجزاء الحمام وأفضلها زخرفة وأكثرها ثراء بالعناصر الزخرفية لا سيما في استخدام الرخام، فيما يقع المستوقد إلى الجنوب من الحمام خلف القاعات الساخنة.

والغريب في الأمر أن من الباحثين الكبار في مجال تاريخ العمارة العثمانية أو التركية من خلط بين الحمامات ولم يفرق بينها، ففي بحث بعنوان: (Üsküdar'in Hamamlari, Hamam Mekanlari Ve Çalışanlari) خلط الباحث فيه بين هذا الحمام وحمام نوربانو سلطان، وأورد المسقط الأفقي نفسه أثناء حديثه عن الحمامين ووضعه مكرراً أمام تسمية كل حمام في صفحتين مختلفتين من بحثه^(١)، وغالب الظن أن هذا خطأ مطبعي غير مقصود.

سابعاً: العمائر الوقفية المدرسة لماهبيكر كوسم سلطان ضمن كليتها المعمارية بإسكدار:

كانت الكلية الوقفية لماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار تشتمل على عدد من العمائر الوقفية الأخرى، أهمها عمارت خيرية (دار مرق)، وقد كانت تزينها البلاطات الخزفية كالمسجد والحمام وغير ذلك، وقد أشار أوليا جلبي إلى أنها كانت من أحسن العمارات إلى جانب عمارت كل من مهرماه سلطان، ونوربانو سلطان، وكانت أوقافها

(١) يمكن مراجعة البحث، فهو متاح على شبكة الإنترنت بصيغة Pdf، ينظر:

Üsküdar'in Hamamlari, Hamam Mekanlari Ve Çalışanlari, (Gülhan Benli), Uluslararası Üsküdar Sempozyumu, VII, 2-4 Kasım 2012, 1352'den Bugüne Şehir, İstanbul, 2012, Cilt I, S. 634-635

تتضمن أيضاً على خانٍ وقفي كنزل للضيافة المجانية من إنشاء المهندس قاسم أغا الذي أشرف على عمائرهما، وكانت بجوار العمارت^(١)، ولكن كلا العمارت والخان قد تهدم.

ثامناً: خان الوالدة الكبير (Büyük Valide Han):

١. تاريخ الإنشاء:

أنشأت هذا الخان السلطانة الوالدة ماهبيكر كوسم سلطان Kösem Mahpeyker قبل وفاتها بقليل سنة ١٠٦١هـ / ١٦٥١م للتجار والحرفيين الفرس، ولا سيما ذوي الصلة بالحرف المتعلقة بالنسيج والحياكة كما ورد بالوقفية.

٢. الموقع:

يقع الخان بشارع مرجان قرب منحدر محمود باشا أعلى التل الثالث من المدينة أسفل البازار المغطى، وهو خان ترتفع أرضيته عن أرضية الشوارع الجانبية، ويقع إلى الشمال الغربي من بيوك يني خان وكوجك يني خان اللذين أنشأهما السلطان مصطفى الثالث بالمدينة، وكان يشغل موضع الخان قبل بنائه أحد القصور الكبيرة التي شيدها الوزير جراح محمد باشا^(٢) (Cerrah Mehmet Paşa).

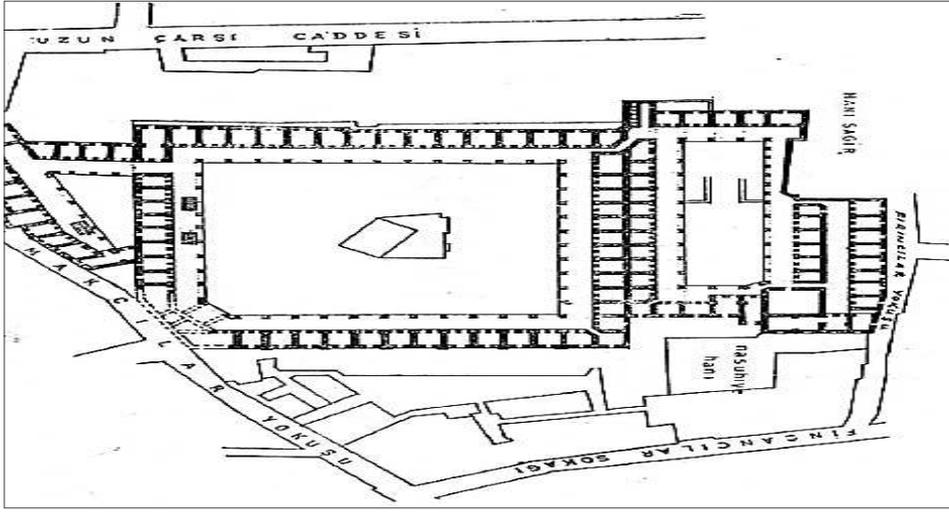
٣. الوصف المعماري:

يعتبر الخان أكبر الخانات الموجودة بمدينة إستانبول وأكثرها تفرداً في تخطيطه، فهو عبارة عن خان كبير يأخذ شكلاً غير منتظم الأضلاع (صورة: ١٠٣)، ويشتمل على ثلاثة صحن أو أفنية مختلفة في أحجامها^(٣)، وتلتف الحجرات حول الأفنية في طابقين يختلف ارتفاعها وعدد الحجرات والوحدات بها من فناء لآخر، حيث يبدأ الخان من الجنوب بفناء صغير يؤدي إلى الصحن الأكبر من الخان، ثم يتم التوصل إلى الخان الثالث الذي جُدد تماماً وحل محله أحد الخانات الحديثة وهو خان (Siğar).

(١) ينظر: سياحتنامه سي، أوليا جلبي، إيكنجي جلد، ص ١٧٣، ١٧٥.

(2) Osmanli Devri Mimarisi, (Oktay Aslanapa), Inkilap Kitabevi, Istanbul, 2004, S. 412; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 346.

(3) Geçmişten Günümüze İstanbul Hanları, (Mehmet Sadettin Fidan), İstanbul, Ticaret Odası, İstanbul, 2009, S. 26; Tarihi Belleğimiz İçinde Büyük Valide Han, (Ayşegül Baykan & Others), Tarihi Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 2010, S. 6-80; Çarşı, Pazar, Ticaret Ve Kapalıçarşı, (Kenan Mortan & Önder Küçükerman), Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, Baskı, Ankara, 2007, İstanbul, 2010, S. 180-182.



صورة (١٠٣): المسقط الأفقي لخان الوالدة. نقلًا عن:
(Güran, Türk Hanlarının Gelişimi ve İstanbul Hanları, s. 217)

الصحن الأول للخان: يتم الوصول إليه عبر المدخل الرئيس للخان بالواجهة الجنوبية (صورة: ١٠٤)، حيث يتم الدخول من فتحة معقودة بعقد موتور يغلق عليه باب خشبي مصفح بالحديد من مصراعين، ويبلغ ارتفاع كل مصراع منهما ١٠, ٣م واتساعه ٧٥, ١م، ويحتوي الغربي منها على مدخل خوخة^(١) ذي قطاع مدبب ١٢٠ x ٦٧ سم يؤدي إلى دركاة مستطيلة يغطيها سقف مسطح، وتفتح الدركاة على منطقة مربعة يغطيها قبو متقاطع يوجد به درج صاعد يؤدي إلى الطابق العلوي، وتؤدي تلك المنطقة إلى صحن يأخذ المسقط المثلث قائم الزاوية قاعدته إلى الغرب، وتطل على الصحن واجهة الرواق من الجهتين (الجنوبية والغربية) عبارة عن بائكة معقودة بعقود مدبية بنيت من الحجارة الكبيرة والمحمولة على دعائم حجرية مستطيلة الشكل تتقدم الحجرات، حيث تطل الجهة الجنوبية من الطابق السفلي بستة عقود كبيرة مدبية الشكل، بينما تطل بائكة الرواق العلوي بالعقود المدبية التي تعلو العقود السفلية إلا أنه تم سد فتحات العقود لتدخل ضمن المحلات العلوية، وتطل الجهة الغربية ببائكة تشبه تمامًا الجهة الجنوبية فيما عدا أنها أصغر حجمًا وتطل بأربعة عقود فقط.

(١) المدخل الخوخة: عبارة عن مدخل صغير يستخدم للمرور السريع من دون حمل بضائع، وأطلق عليه خوخة تصغيرًا.



صورة (١٠٤): مدخل خان الوالدة حالياً (تصوير الباحث)

وتطل محلات الجهة الشمالية من الطابق السفلي مباشرة على الصحن، فيما يطل الطابق العلوي بفتحات شبايك مزدوجة على الصحن، بواقع نافذتين مستطيلتين بكل حجرة من الحجرات، تأخذ كل نافذة هيئة مستطيلة أو معقودة مبنية من الآجر، ويقع إلى أقصى شرق تلك الجهة فتحة المدخل الذي يؤدي إلى الصحن الثاني والكبير من الخان.

الصحن الثاني للخان: وهو الصحن الرئيس وأكبر أفنية الخان، وربما أكبر أفنية الخانات الموجودة بمدينة إستانبول، وهو عبارة عن صحن مكشوف سماوي مستطيل أقرب إلى مربع الشكل يبلغ طول ضلعيه ٦٣ x ٦٦ م، ويتوسطه مسجدٌ أنشئ من قبل ماهيكر كوسم سلطان للحرفيين والتجار الموجودين بالخان، وقد جُدد هذا المسجد عدة مرات، وهو عبارة عن مسجد معلق مستطيل الشكل يقع بالطابق العلوي، وتقع بعض الملحقات مثل: الميضاة ودورات المياه في الطابق السفلي، أما الصحن فهو كبير ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن الأول، ويُدخَل إليه عبر مدخل يقع بنهاية الطرف الشرقي للصحن الأول، والمدخل عبارة عن كتلة باب من الحجارة الكبيرة

فتح بها فتحة المدخل المعقودة بعقد موتور يبلغ اتساع فتحته ٤٠، ٣م وارتفاع العقد ٦٥، ٣م، يغلق عليه مصراعان كبيران من الخشب المصفح بالحديد، يبلغ طول كل مصراع منهما ٨٥، ٣م واتساعه ٧٥، ١م، ويحتوي أحد المصراعين على مدخل صغير «خوخة» بهيئة العقد المدبب باتساع ٦٥سم وارتفاع ٢٢، ١م، وتؤدي دخلة الباب إلى دركاة تُمثل ممر الدخول للصحن الكبير، ويبلغ طول الممر أو الدركاة ٢٠، ١٣م، وهي عبارة عن دركاة مستطيلة الشكل تنقسم إلى منطقتين مربعتين يغطيها قبوان: الأول منها قبو متقاطع، والثانى قبو مدبب، ويفصل بينهما عقد حجري نصف دائري يبرز من السقف إلى الداخل، وتؤدي الدركاة إلى الصحن الثاني عبر فتحة معقودة بعقد مدبب، وتحتوى على سلم مزدوج يؤدي إلى الطابق العلوي من الخان، ويبلغ اتساع كل درج منهما مترين ويحتوي على ٢٦ درجة سلم.

ويحيط بالصحن رواق يتقدم الحجرات في الطابقين، حيث تطل واجهة الرواق على الصحن ببائكة معقودة بعقود حجرية مدببة الشكل، مما يجعلها فريدة بين الخانات العثمانية جميعها، إذ إن المعهود فيها بناء العقود والأقبية بكاملها من الآجر وليس من الحجر، وترتكز العقود جميعها على دعائم حجرية مربعة يبلغ سمكها متراً واحداً تقريباً، حيث تطل الجهة الغربية ب ١٢ عقداً أصغر حجماً من عقود الجهة الشمالية التى يبلغ عددها ١١ عقداً مدبباً، بينما تطل الجهة الجنوبية التى بها كتلة المدخل ب ١٠ عقود وقد تهدم بعض أجزاءها، أما الجهة الشرقية فقد اختفت معالمها تماماً ولم تعد تطل على الرواق، وإنما استبدلت تلك الجهة بمبانٍ حديثة تطل مباشرة على الصحن بدون تناسق في واجهاتها الداخلية واختلافها من مبنى لآخر، وهو نوع من التعديلات الكبيرة على الخان.

الصحن الثالث للخان: يتم الوصول إليه عبر مدخل يقع بالركن الشمالي الغربي من الصحن الكبير السابق، ويقع إلى أقصى الشمال، ويختلف تماماً عن الصحنين السابقين، حيث ينخفض مستوى أرضية هذا الصحن عنهما، أما من حيث تخطيطه فيأخذ هيئة المسقط المستطيل الذي ينقسم إلى جزأين: أحدهما غربي وهو لا يزال ضمن نطاق الخان، وجزء شرقي وقد حل مكانه أحد الخانات الحديثة التي

تنخفض أرضيتها كثيراً وبمستوى طابقين من البناء، وكان يشغل الجزء الغربي من هذا الصحن أحد الأبراج البيزنطية الشهيرة⁽¹⁾، الذي كان يدعى برج إيرينا وبُني في أثناء الفترة الأولى من العصر البيزنطي، وقد ظهر سنة ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م في اللوحة التي قام برسمها لوريتشز (Melchior Lorichs)⁽²⁾.

كانت الحجرات تطل على الصحن من طابقين، إلا أنه تغيرت معالم الخان بتلك المنطقة تماماً؛ نظراً للتعديات الكبيرة التي طرأت على الخان عقب الحرائق المتكررة، ولم يتبق من هذا الجزء سوى كتلة المدخل والجزء الغربي من الجهة الجنوبية المطلة على هذا الصحن، حيث يتم الوصول إلى هذا الفناء عبر دخلة معقودة بعقد مدبب تفضي إلى ممر طويل تنقسم تغطيته إلى جزأين، غطي الجزء الذي يلي الدخلة بقبو متقاطع كبير يليه قبوان، في حين يغطي الجزء الشمالي من الممر سقف مسطح حديث يؤدي بنهايته إلى الصحن الثالث للخان عبر فتحة يتوجها عتب مستقيم، وتقع إلى الغرب من كتلة المدخل السابقة منطقةً مربعةً تُمثّل جزءاً من الرواق الجنوبي الذي كان يحيط بالصحن، وقد غطيت بقبو متقاطع تظهر عليه آثار الحرائق التي تعرض لها الخان، وفتح بالجهة الشمالية من الصحن مدخل صغير يؤدي إلى خارج الخان من هذه الجهة، عبارة عن فتحة باب معقودة يغلق عليها مصراعان من الخشب المصفح. ومن الجدير بالذكر أن الخان من الخانات القوية التي لم تؤثر عليها الحرائق والزلازل المتتالية إلا قليلاً، وذلك مقارنة بالخانات الأخرى الموجودة داخل البازار المغطى، ويُعدّ خان الوالدة أفضل حالاً مع كمّ التعديات التي تمت عليه من دون مراعاة للتراث أو حفاظاً على عمارة العين الموقوفة، ويرجع ذلك إلى قوة البناء وماتته حيث سيّدت غالبية أجزائه بكتل الحجارة الكبيرة فيما عدا عناصر التغطية فقط، إذ استخدم في بناء بعضها الحجر وبعضها الآخر الحجر. ومن ثم تظهر أهمية متانة بناء العين الموقوفة كسعي نحو استدامة حفظها والمحافظة عليها، إذ تصبح ذات صلابة لمقاومة الطوارئ التي قد تحدث، وتُخفف من حدّة الأضرار بما يسهل عملية ترميمها وإصلاحها.

(1) A History Of Ottoman Architecture (op.cit), (Godfrey Goodwin), pp. 359-360.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op.cit), (John Freely), p. 346.

٤ . الواجهات الخارجية للخان:

للخان واجهة واحدة خارجية وهي الواجهة الجنوبية التي تحتوي على المدخل الرئيس للخان وتؤدي إلى الصحن الصغير، في حين تحتفي الواجهات الأخرى خلف جدران المباني المجاورة.

تطل الواجهة على شارع مرجان، وهي واجهة غير منتظمة الشكل تمتد على جانبي المدخل الرئيس للخان، وهي واجهة تطل بطابقين، حيث يحتوي الطابق الأرضي على محلات بامتداد الواجهة تفتح على الخارج بفتحات ذات عتب مستقيم يعلوها بعض فتحات النوافذ ذات أشكال مختلفة، وتمتد الواجهة إلى شرق المدخل بارتفاع أكبر من الجزء الغربي من الواجهة نظرًا لانخفاض أرضية الشارع المجاور جهة الجنوب والحفاظ على تساوي سقف الخان، وتطل واجهة الطابق العلوي وقد بنيت بالحجارة غير المشذبة التي تتخللها فتحات النوافذ المعقودة بواقع نافذة تأخذ هيئة العقد نصف دائري بكل حجرة من الحجرات العلوية للخان، ولا يستثنى من ذلك سوى كتلة المدخل.

كتلة المدخل: عبارة عن كتلة حجرية ضخمة من طابقين، حيث تقع بالطابق السفلي فتحة معقودة بعقد نصف دائري تؤدي إلى دركاة أو ممر المدخل، وقد كتب على حنية العقد من الخارج اسم الخان باللغة التركية *Büyük Valide Han*، وتقع على جانبي فتحة المدخل دخلتان غائرتان في سمت الجدار تأخذان هيئة العقد المدبب، وتعلو المدخل حجرة بالطابق العلوي للخان وهي تبرز إلى الخارج عن سمت جدار الواجهة والمدخل، مما دفع المعمار لترتيب سبعة كوابيل حجرية كبيرة تأخذ الهيئة المدرجة، ويتكون كل كابول منها من سبع درجات تمثل أعلاها أكثرها بروزًا للخارج، وتطل الحجرة العلوية على الخارج بنافتين تأخذان الشكل المستطيل وتغشيها المصبعات المعدنية، وتعلو كل نافذة مستطيلة منها نافذة أخرى أصغر حجمًا وتأخذ هيئة العقد المدبب، وتؤدي الدخلة عبر ممر إلى الصحن الأول للخان ومنه إلى باقي وحدات وأجزاء الخان الأخرى.

٥. ذكر الخان في كتابات الرحالة الأوروبيين:

كان خان الوالدة الكبير أكثر الخانات العثمانية في المدينة ذكراً في كتابات الرحالة على الإطلاق، حيث ورد في غالبية كتابات الرحالة الذين زاروا المدينة بدءاً من أواخر القرن ١١هـ/ ١٧م وحتى القرن ١٤هـ/ ٢٠م^(١)، وربما كان ذلك لكبر حجم الخان وفخامة بنائه، إضافة إلى تخصيصه للتجار الإيرانيين من النساجين، وورد ذكر الخان ووصفه في كتابات الرحالة الأوروبيين: هوبهاوس، وروبيرت والش، وجوزيه كوندر، إلى جانب الرحالة التركي الشهير أوليا جلبي، وتعدّ أوصافهم للخان من الأهمية بمكان، حيث أوردوا أشياء بالخان لم يعد لها وجود حالياً أو حتى ذكر في الكتابات الحديثة، ومن ذلك ما ذكره (Hobhouse) في أثناء وصفه للمدينة حيث يذكر في سنة ١٢٢٤-١٢٢٥هـ/ ١٨٠٩-١٨١٠م أن الخانات بلغت ١٨٠ خاناً، أفضلها وأكثرها اتساعاً وجمالاً هو خان الوالدة، وهو بناء ضخّم مبني من الحجر، وتوجد به نافورتا مياه بجانب إصطبل للخيل والخزانات في الطابق الأرضي، ويحتوي على عدد كبير من الغرف الصغيرة التي تترك دائماً مرتبة ونظيفة يشغلها تجار المنسوجات والغزّالين^(٢)، فيما يضيف (Richard Burgess) الذي زار الخان سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، أنه بني من قبل إحدى أمهات السلاطين، ويشغل حجرات الطابق الأرضي من الخان التجار الفارسيون، وذكر أن بوسط فناءه المركزي مسجداً خاصاً للعاملين بالخان وفوارة بجانب بعض محلات الخياطين الإيرانيين والأذربيجانيين^(٣)، وهو الأمر الذي كرره بعده الرحالة (Josiah Conder) سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م^(٤)، وكان

-
- (1) Relation D'Un Voyage Fait Au Levant, (J. Thevenot), Paris 1664, P. 49; Au Pays Des Osmanlis, (G. Souhesmes), Paris 1894, P. 143-145; Die Baukunst Konstantinopels, (C. Gurlitt), Berlin, 1908-12, Vol. 1, P. 51, Vol. Iv. P. 74; The Ottoman Commercial Buildings In Istanbul, A Study According To Writings And Paintings Of Travelers, (M.H. Al-Hadad & Mohamed Malaka): Proceeding Of Adved15 International Conference On Advances In Education And Social Sciences, Was Held In Istanbul In 12-14 October 2015, Pp. 286-295, From [Http://www.Ocerint.Org//Adved15_Epublication/Papers/284.Pdf](http://www.Ocerint.Org//Adved15_Epublication/Papers/284.Pdf), Pp. 293-294.
- (2) A Journey Through Albania, And Other Provinces Of Turkish In Europe And Asia, To Constantinople During The Years 1809 And 1810, (J. Hobhouse), Vol. II, London, Printed For James Cawthorn, Cockspur Street, 1813, Pp.960.
- (3) Greece And The Levant; Or, Diary Of A Summer's Excursion in 1834, (R. Burgess), Vol.2, London, 1835, Pp. 197-198.
- (4) The Modern Traveller, A Description, Geographical, Historical, And Topographical, Of The Various Countries Of The Global In Thirty Volumes, (J. Conder), Vol.14, London, The Bequest Of Evert Jansen Wendell, 1918, Pp. 130-134.

أوليا جلبي قد ذكر في وصفه للخان سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م أن عدد حجراته بلغت ٣٠٠ حجرة^(١)، وبلغت تلك الحجرات ٣٦٦ حجرة أوائل القرن ١٢هـ/ ١٨م نتيجة الزيادات المتكررة والإضافات^(٢)، ومما سبق تتضح مدى أهمية الخان التي اكتسبها في أثناء العهد العثماني.

المبحث الثالث

كلية خديجة تورخان سلطان بإمينونو

(كلية الوالدة الجديدة)

(Yeni Valide Külliyesi)

أولاً: الواقعة وتاريخ الإنشاء:

بدأ إنشاء الكلية المعمارية الوقفية تحت اسم كلية أو مجمع الوالدة الجديد «كلية نيني جامع» بمدينة إستانبول بأمر من الملكة أو السلطانة صفية «بالعثمانية صفية سلطان»^(٣)، وهي حسب أرجح الروايات التاريخية امرأة ذات أصل بندقي واسمها «صوفيا بيلوجي بافو» ولدت سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م في البندقية، وقد كانت الابنة الوحيدة لعائلة غنية - حيث كان والدها كوفو يوناردو بافو حاكماً على جزيرة كورفو (Corfu) - وطبقاً لذلك فإنها قد تلقت تعليماً جيداً للغاية ومرت بأرقى مراحل التعليم، وقد أسرت أثناء إحدى الحملات^(٤) عندما كانت في عمر الثانية عشرة، وبعدها بعام وجدت نفسها تباع في سوق الرقيق بإستانبول، فجاءت حينئذ السلطانة نوربانو^(٥) والدة السلطان مراد الثالث فأخذتها، وكانت نوربانو تريد أن

(١) ينظر: سياحتهامه سي، أوليا جلبي، برنجي جلد، ص ٣٢٥.

(2) The Growth In Istanbul's Commercial Capacity 1700-1765: The Role Of New Commercial Construction And Renovation, (Rhoads Murphey), Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae, Volume 61: Issue 1-2, March 2008, P. 149.

(3) A history of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 359.

(٤) ينظر: جامع الملكة صفية، هدايت تيمور، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص ١٢٠؛ ومساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعاد ماهر، ج ٥، وزارة الأوقاف «المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية»، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٦٤.

(5) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 401.

تجعل ابنها الأمير مراد الثالث ولياً للعهد -وُلِدَ في فترة خلافة جده سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٣هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م وجلس على تخت الملك عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م، وهو ابن تسع وعشرين سنة، إلى أن توفي فجأة لعارض ألمّ به سنة ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م، ودفن بمدفنه بجوار جامع آيا صوفيا^(١)، وبمجرد رؤية نوربانو سلطان لصوفيا قررت أن تزوجها لابنها مراد ودفعت الكثير من ثروتها لشرائها، وقد أقامت صوفيا بقسم الحريم (الحرملك) بقصر طوبقاي لمدة عامين وتغير خلالها اسمها من صوفيا إلى اسم أشدرقة وصفاء ألا وهو صفية، وعندما صارت صفية في سن الخامسة عشرة وذهبت إلى الأمير مراد الثالث بشعرها الأشقر، وعيونها الكبيرة، وطولها وبشرتها البيضاء، عشقها من أول نظرة وتزوجها، وأصبح لها باع طويل في الدولة بعد تولي مراد الثالث السلطنة، إذ تحكمت في القصر الملكي حتى حاولت نوربانو سلطان التخلص منها بلا فائدة، وظلت كذلك حتى بعد وفاة زوجها السلطان مراد الثالث، إذ لعبت دوراً كبيراً في تولية ابنها محمد الثالث السلطنة، فدبرت في نفس ليلة وفاة زوجها لمقتل إخوته الثمانية عشر، وبالفعل وُجِدوا مقتولين خنقاً الواحد منهم تلو الآخر، وقد أصبحت والدة السلطان في الفترة التي تولى فيها ابنها محمد الثالث الحكم (١٠٠٣-١٠١١هـ/ ١٥٩٥-١٦٠٣)^(٢)، فكانت صاحبة الأمر والنهي^(٣).

ينسب إليها جامع الملكة صفية الكائن بحي الداودية بالقاهرة، حيث رُفِعَت دعوى في مصر أثناء سلطنة ابنها محمد الثالث ضد الناظر على أوقاف المرحوم عثمان أغا دار السعادة، وأخذت بمقتضاها حكم القاضي بأن الجامع والقرية وجميع الأصقاع هي ملك لها في سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م^(٤).

فقامت بالبدء في إنشاء هذا المجمع المعماري ليكون أكبر المجمعات العثمانية بمنطقة القرن الذهبي، فأعطت أوامرها لكبير مهندسي القصر آنذاك وهو المهندس

(١) ينظر: تاريخ سلاطين بني عثمان، يوسف آصاف، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٧٣-٧٤؛ Osman's Dream, The Story Of The Ottoman Empire, 1300-1923, (Caroline Finkel), London, John Murray, 2005, Pp. 152-195.

(٢) The Imperial Harem (op. cit), (Leslie Peirce), P.86.

(٣) [Http://www.Startimes.Com/F.Aspx?T=25681179](http://www.Startimes.Com/F.Aspx?T=25681179).

(٤) ينظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعد ماهر، ص ١٦٤.

داوود أغا ل يتم البدء في تشييد المجمع بمختلف وحداته سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م، غير أن البناء لم يكتمل وتوقف العمل به سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م عقب موت السلطان محمد الثالث، إذ أرسلت صفية سلطان للتقاعد في القصر العتيق^(١)، وهجر المجمع المعماري الذي أرادت بناءه، بسبب اهتمام السلطان أحمد الأول الذي خلف السلطان محمد الثالث بتشييد مجمعه الذي يعرف جامعه اليوم بالجامع الأزرق، حيث فقدت السلطانة صفية صلاحياتها فلم تعد والددة السلطان^(٢)، وهذا يدل على مكانة والددة السلطان، وهبتها في الدولة العثمانية مع ارتباط تلك المكانة بكونها أم السلطان، فإن زالت عنها تلك الصفة تحولت المكانة إلى أم السلطان الذي يأتي بعد، وهلم جرأً. ظل البناء على حاله التي تركته عليها الملكة صفية ولمدة ٥٨ سنة، إلى أن قامت السلطانة خديجة تورخان بإكمال البناء، لا يعرف بالتحديد محل ولادة خديجة تورخان؛ غير أنها دخلت إلى الدولة العثمانية كمحظية في بداية القرن ١١هـ/ ١٧م أثناء أحد الفتوحات العثمانية في المستنقعات الروسية، وظلت فترة بعيدة عن القصر ثم وصلت بعد ذلك إلى داخل قصر طوبقابي سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، حينما أهديت من قِبَل قرا سليمان باشا إلى ماهبيكر كوسم سلطان والددة السلطان إبراهيم، فتزوجها السلطان (١٠٤٩هـ-١٠٥٨هـ/ ١٦٣٩-١٦٤٨م)^(٣).

صارت خديجة تورخان سلطان والددة سلطان في أثناء فترة تولي ابنها محمد الرابع، الذي وُلد سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م وتولى السلطنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م وهو ابن سبع سنين حتى سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م، فقام الإنكشارية بعزله وولوا بدلاً منه أخاه سليمان الثاني، وتوفي بعد ذلك سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م^(٤).

شرعت خديجة تورخان في إعادة إعمار المجمع مرة أخرى وإكماله^(٥)، ليكون في صورته الكاملة - كما وصل إلينا - مجمعاً معمارياً ضخماً يضاهاي مجمعات السلاطين إن لم يكن قد فاق معظمها، وهو يضم مسجداً جامعاً، وجوسقاً ملكياً «خونكار قصري»،

(1) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 123.

(٢) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، ص ١٥٥.

(3) Ottoman Women Builders (op. cit), (Lucienne Thys-Senocak), , P.17.

(٤) ينظر: تاريخ سلاطين بني عثمان، يوسف آصاف، ص ٩٥-٩٩.

(5) Çarşılarla Anadolu, Bedestenler, Hanlar, Kapalıçarşlar, (Özcan Yurdalan), Halkbank, İstanbul, 2011, P. 175.

ومقبرة دُفنت فيها خديجة تورخان سلطان، وسبيل ماء، ومكتب صبيان «كتاب»، بالإضافة إلى سوق عظيمة، هي السوق المصري أو سوق الوالدة الجديد التي شيّدت بتصميم فريد بين الأسواق العثمانية على هيئة حرف (L)، والذي استغرق بناؤه حوالي ٣٣ شهرًا من رمضان ١٠٧١هـ/ مايو ١٦٦١م وحتى رجب ١٠٧٤هـ/ فبراير ١٦٦٤م، وتكلف حوالي ٣٠٨٠ أوقية دراهم، أي: ما يعادل ٣٠٢,٠٠٠, ١٢ آقجة^(١).

وكان الفراغ من بناء المجمع سنة ١٠٧٤-١٠٧٥هـ/ ١٦٦٣-١٦٦٤م، ويعتبر أهم وأفضل مجمع معماري أنشئ في العهد العثماني بمنطقة القرن الذهبي، وأصبح علامة بارزة ومميزة لميناء المدينة الرئيس، وظل عبر قرون من الزمن شاهداً على عظمة أعمال السلطانة خديجة تورخان، مسطرًا بجامعه الباهر، وسوقه الخلاب، وموقعه الجذاب، إسهامات اثنتين من أمهات السلاطين، بدأت إحداهما في إنشائه وأكملت عمارته الثانية ليأتي إلينا بحلته التي ازدان بها.

ولخديجة تورخان سلطان باع طويل في أعمال بناء المنشآت والمباني الإسلامية بمدينة إستانبول^(٢)، إذ لم يكن إعمار كلية يني جامع هو العمل الوحيد لها، وإنما أنشأت غيره العديد من المباني، ومنها قلعتان حربيتان على مدخل مضيق الدردنيل الذي يُعدّ المدخل الجنوبي الشرقي للمدينة^(٣)، وبالجملة يمكن القول: إن خديجة تورخان سلطان كانت تتمتع بشخصية فذة، وبذكاء، وشجاعة منقطعة النظير، وكانت محبة لدولتها ووطنها حتى لقبت لكثرة أعمالها وحب الناس لها بالركن الأعظم^(٤).

ثانيًا: الموقع:

تقع كلية يني جامع أو الوالدة الجديدة في منطقة إمينونو بمدينة إستانبول عند مدخل القرن الذهبي، وهي أقدم منطقة تجارية بالمدينة قرب كوبري غلطة^(٥)، حيث

(1) Murphey, The Growth In Istanbul's Commercial Capacity (op. cit), (Rhoads Murphey), P. 149.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلغاز أوزتونا، مج ١، ص ٥٠٠.

(3) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 136.

(٤) ينظر: روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين، مشهور بتاريخ نعيمه، مصطفى نعيمه، إستانبول، ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م، مجلد ٤، ص ٣٣٤.

(5) Tarihi Ve Medeniyetin Beşiği Çarşılar, (Hüseyin Öztürk), İstanbul, Ticaret Odası, 2011, P. 93

كان يقع بين باب الحديقة (Bahçe Kapisi) والباب الخشبي (Odun Kapisi)، وهما من أبواب السور المشيّد على شاطئ القرن الذهبي، فهو يبعد - أي: المجمع - أمتارًا قليلة عن مياه الخليج، وهو موقع متميز للغاية بالمنطقة التجارية الرئيسة بإستانبول وهي منطقة إمين أونو (Eminönü)، والتي كانت تُعرف قبل ذلك باسم Güm-Emini (rük) أي: الميناء الجمركي البحري، حيث يقع بالمنطقة الميناء الرئيس للمدينة والذي يستقبل البضائع والسلع من مختلف بلدان العالم وهو ميناء القرن الذهبي، مما كان له أكبر الأثر في إنعاش الدور التجاري للسوق المصري الملحق بالمجمع؛ ليصبح ثاني أكبر سوق بالمدينة بعد البازار المغطى الذي يقع بين منطقتي تشمبرلي تاش وبايزيد، ثم تحول الاسم من Gümrük Emini إلى Emin Iskele إلى أن أصبح Em-inönü وهي بنفس المعنى السابق⁽¹⁾.

ثالثاً: سبب إنشاء المجمع بالمنطقة:

يعتبر ميناء القرن الذهبي من أكثر الأماكن ازدحاماً بالسكان والتجار لما له من ندرة الموقع الذي يتمتع به، غير أنه كان تحت سيطرة طائفة قليلة من غير المسلمين والذين كان يطلق عليهم طائفة الكاراي (Karai)⁽²⁾، وهم يتبعون صنفاً من التجار اليهود، فكانوا يمثلون أغلبية ممتلكي المواقع والمحلات بتلك المنطقة، ولذا جاء المجمع ليكون علامة بارزة تدل على أسلمة المنطقة ولتتمثل أعلى خطوات السيطرة الإسلامية عليها، فبدأ التجار المسلمون في السيطرة على بعض المناطق، وظل عددهم في زيادة مستمرة إلى أن صارت التجارة وامتلاك المواقع المهمة في المنطقة بأيديهم، وعلى الرغم من احتلال الموقع واستيطانه مرة أخرى من جانب اليهود فرحين بهجر المجمع ولا سيما طائفة الكاراي⁽³⁾، عقب موت السلطان محمد الثالث سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م وتوقف عمليات البناء، فإن خديجة تورخان سلطان أمرت بإزالة المنازل اليهودية التي تعدت على موقع المجمع وأعادت إعمارها مرة أخرى ليتأكد

(1) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Melike Sümertaş), Pp. 119-120.

(2) A Karaita Itinerary Through Turkey In 1641-2, (B. Lewis), Vakıflar Dergisi, III, Ankara, 1956, P.315.

(3) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 341.

بذلك الطابع الإسلامي بالمنطقة^(١)، وقد انعكس تأثير المجمع على أسلمة المدينة في سكان المنطقة، وأصبح أكثر سكانها من المسلمين الذين امتلكوا المناطق الحيوية التجارية كافة ومنها السوق المصري، فقد امتلك كبار التجار ووجهاءهم أماكن بالسوق، وكان ممن امتلكوا محلات صغيرة في السوق رجل يدعى أمين، أنجب فيما بعد الصدر الأعظم علي باشا محمد أمين، الذي كان رجلاً من أكبر رجال الدولة العثمانية في عهد التنظيمات الخيرية في القرن ١٣هـ/ ١٩م، وكان مولده في الرابع من ربيع الآخر سنة ١٢٣٠هـ/ ١٥ مارس ١٨١٥م^(٢)، وجاء بناء السوق ضمن وحدات المجمع على عادة المجمعات المعمارية الكبرى في العهد العثماني بالعاصمة إستانبول، من أجل تمويل المباني الخدمية الأخرى التي تؤدي خدماتها بالمجان: كالمساجد والمدارس ودُور المرق أو الطعام والأسبلة وغيرها ليتم الصرف على جزء منها من ريع السوق الملحق بها، وهو من جملة الأوقاف الإسلامية التي ازدهرت في العهد العثماني والتي كانت تسجل في وقفية أمام القاضي وتدخل في سجله وتصدق أخيراً من قِبَل السلطان، وبفضل هذا فقد استمرت خدمات المباني الخيرية الأخرى في عملها من دون توقف؛ لأن الواقف كان يخصص لها الدخل الذي يدره مصدر آخر من دون استنفاد رأس المال الأصلي، وكان لزاماً في الوقف أن يكون مطابقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وبمجرد إعلان الوقف يصبح الأمر شرعياً خارجاً عن سيطرة أي أحد في ما عدا إدارته من قِبَل متولي الوقف فقط^(٣).

رابعاً: تاريخ بناء المجمع، والمهندسون الذين أشرفوا على البناء:

أشرف على بناء مجمع «يني والده» عدد من المهندسين المعماريين لدى البلاط العثماني مما زاد من أهمية المجمع وشهرته، فقد كان البدء في المشروع سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م على يد المهندس داود أغا الذي تتلمذ على يد المهندس الكبير

(1) Foreign Merchants And Minorities In Istanbul During The Sixteenth And 17th Centuries, Christians And Jews In The Ottoman Empire, (R. Mantran), Ed. Benjamin Braude And Bernard Lewis, 2 Vols. New York, Vol. 1, 1982, Pp. 127-137.

(2) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 36.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل إينالجيك، ترجمة: د. محمد م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٠.

قوجه معمار سنان بأمر من صفية سلطان كأولى خطوات نزع المنطقة من الملكيات اليهودية^(١)، فقد تم اختيار داود أغا كمعمار باشي أو رئيس للمعماريين عقب موت سنان عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م باعتباره أكبر من تتلمذ على يديه، وكان قد أشرف في أثناء تولي المعمار سنان رئاسة مهندسي القصر السلطاني (٩٨٢-٩٩٠هـ/ ١٥٧٥-١٥٨٢م) على العديد من أعمال توصيل المياه إلى القصور العثمانية، وخاصة قصر طوبقاي وغير ذلك من أعمال بناء المساجد والقصور وتشييدها، وكان أهم ما أشرف على بنائه هو أراستا مجمع السليمية والمدرسة الابتدائية بمدينة أدرنة، وكذلك وضع أساسات كلية يني جامع بمدينة إستانبول منذ ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م إلى أن توفي سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨-١٥٩٩م، وتولى الإشراف على أعماله المهندس الرقيب أحمد أغا الغواص الذي كان تابعاً لسلاح البحرية، والذي ظل في رئاسة مهندسي القصر حتى سنة ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م^(٢)، وتم استكمال أعمال إنشاء المجمع والسوق المصري حتى وصل البناء إلى مستوى نوافذ الطابق الأرضي ثم توقف البناء فجأة بسبب موت السلطان محمد الثالث وتولية أحمد الأول السلطنة خلفاً له، فهُجر المجمع لمدة طويلة حتى تولى السلطان محمد الرابع الحكم سنة ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م، فحدث حريق هائل دمر غالبية منطقة القرن الذهبي بما فيها بناء المسجد والسوق بمستوى نوافذ الطابق الأرضي وذلك في شهر ذي القعدة ١٠٧٠هـ/ يوليو سنة ١٦٦٠م، وقامت خديجة تورخان سلطان على إثر زيارتها للمنطقة باستكمال أعمال البناء سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م، وكرست لذلك كل الطاقات الممكنة، ورصدت له مبالغ عظيمة من المال وكلفت المهندس مصطفى أغا^(٣) رئيس المهندسين بالإشراف على أعمال البناء، حيث اكتمل على يديه بناء المجمع بكامل ملحقاته^(٤)، ليكون البازار المصري والمجمع قد شهدا بذلك إشراف ثلاثة من كبار المهندسين المعماريين لدى القصر العثماني، وأُفتتح المجمع رسمياً في الخامس من ربيع الآخر سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م في احتفال عظيم أقامه السلطان محمد الرابع ووالدته تورخان سلطان والصدر الأعظم

(1) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sümertaş), P. 123.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), Pp. 351-352

(3) Türk Çarşıları, Tepe Yayınları, (Gündüz Özdeş), İstanbul, 1953, Ankara, 1998, S. 35.

(4) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sümertaş), P. 123.

كوبروللو فاضل أحمد باشا، وبحضور السفير الفرنسي (Marquis de Nointel) والذي عبر عن دهشته البالغة^(١) من عظمة مجمع الوالدة الجديد بكامل ملحقاته، وقد قام أحد الرحالة الأجانب وهو الرحالة الفرنسي Guillaume Grelot برسم المجمع بريشته وهو على قارب داخل مياه القرن الذهبي^(٢) سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م في حياة خديجة تورخان سلطان.

خامساً: التغيرات والتعديلات على الكلية المعمارية:

تعرض المجمع، وخاصة السوق الملحق به، عبر تاريخه لكثير من الكوارث الطبيعية والبشرية؛ فعقب موت السلطان محمد الثالث سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م توقفت أعمال البناء في المجمع لتعود السيطرة اليهودية إلى المكان مرة أخرى؛ إذ أقاموا على مختلف وحدات المجمع محلات وبيوتاً سكنية خاصة بهم حتى نشب حريق هائل بالمنطقة سنة ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م فدمّر المباني وغيرها، فقامت على إثره خديجة تورخان سلطان بإعادة إعمار المجمع^(٣)، وبعد ذلك اندلع حريق في سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م في حانٍ خارج بوابة سوق السمك Balık Pazarı kapisi وبطول خليج القرن الذهبي مما جعل النيران تشتعل في السوق من جميع الجهات، وتمت الإشارة إليه في المصادر التاريخية، وبدأت النيران من أحد الأزقة وهو Tahmis sk. ثم اشتعلت في جميع الخانات الخشبية والحجرية بالمنطقة وطالت المسجد وما حوله، وتمت أعمال الصيانة للمبنى، غير أنه ما لبث أن تعرض لحريق آخر ليلة الثالث من يناير سنة ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م مما أحرق بعض محلات السوق، إلا أن الطامة الكبرى التي حدثت للمنطقة هي ما كانت في منتصف القرن ١٣هـ/ ١٩م، حيث حدث تغيير شامل للمنطقة عن طريق التعديلات التي وصل بها الأمر إلى أن ملئت المنطقة بما فيها فناء نبي جامع بالمحلات والأكواخ، لتصحو سلطات المدينة من غفلتها عن ذلك وقامت بالإنتراع الإجباري لجميع تلك التعديلات^(٤)، وقد تهدمت بعض عمائر

(1) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 377-378.

(2) The Seven Hills (op. cit), (Sumner-Boyd Hilary), P. 370.

(3) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertaş), P. 123.

(4) Typical Commercial Buildings Of The Ottoman Classical Period And The Ottoman Construction System, (Mustafa Cezar), Istanbul, 1983, Pp. 132-133.

الكلية كمكتب الصبيان ودار القراء نتيجة الحرائق والزلازل المتكررة، وقد حدث حريق آخر سنة ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م أُلّف بعض أجزاء الكلية المعمارية ومنها السبيل والسوق، فقامت إدارة متاحف الآثار القديمة بالاشتراك مع وزارة الأوقاف بترميم السبيل والسوق سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م بما يتناسب مع الطابع التاريخي الأثري القديم^(١).

كما قامت السلطات بإزالة المحلات التي كانت قائمة فيما بين السوق المصري وجامع رستم باشا بين عامي ١٣٧٨-١٣٨٠هـ/ ١٩٥٨-١٩٦٠م، وفي الإطار نفسه تمت إزالة سوق السمك القديم (Eski Balık Pazarı) لتباع الأسماك في الجزء الشمالي من المحلات الخارجية على طول امتداد الضلع الغربي للسوق الملحق بالمجمع^(٢).

سادسًا: التكوين المعماري للكلية المعمارية الوقفية:

بدأت صنية سلطان إنشاء الكلية المعمارية بالجامع، وبعد استكمال خديجة تورخان سلطان لعجارة هذه الكلية الوقفية قامت بتغيير المخطط الذي كان مزعماً تنفيذه، ومن ثم فقد أنشأت هذه السيدة وقفاً يُعدّ أكثر أوقاف النساء غنى، وفاق حتى وقف نوربانو سلطان، وضمت وقفيتها المسجلة جميع التفاصيل عن الموقوفات من أوقاف خيرية، ومسبلات ربحية، وعقارات، وأراضٍ، وغيرها، وقد جاء في وقفها تنوع لم يوجد له مثل من قبل، وقد وضعت هذه السيدة الجليلة دستوراً لأوقافها ممثلاً في وقفيتها التي تدلّل بما لا يدع مجالاً للشك على أن منظومة الوقف التي شيّدتها تشبه وبلا مبالغة مدينة كاملة، حرصت فيها على عمارة أوقافها وتعميرها دومًا، بحيث لا ينقطع من أوقافها الذكر ولا تقف الحياة، وقد شملت أوقافها عمائر وقفية متعددة الوظيفة، منها عمائر وقفية متكررة عما سبق كالمسجد ودار القراء ومكتب الصبيان^(٣) والسبيل، ومنها أوقاف فريدة التخطيط ربحية الوظيفة كالسوق، ومنها عمائر جنائزية كالترّبة التي اختلفت تمامًا عن التُّرب السابقة، إذ اشترطت الواقفة تعيين جماعة من أهل القرآن العظيم يتلون كتاب الله على فترات متغيرة بالتناوب، ولم تقتصر أوقافها

(١) ينظر: عمارة الأسبلة العثمانية، دعاء صلاح خالد، ص ١٠٩.

(2) Typical Commercial Buildings (op. cit), (Mustafa Cezar), pp. 132-133.

(٣) اندثرت دار القراء ومكتب السبيل، ولم يتبق حاليًا من هذه الكلية الوقفية سوى الجامع والترّبة والسبيل والسوق.

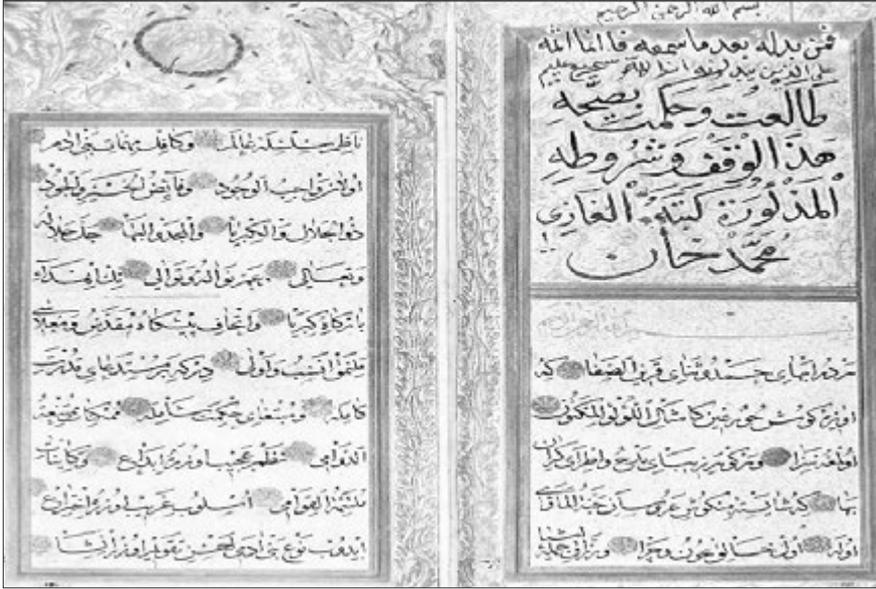
على ذلك بل ساهمت في الوقف العسكري، إذ شيدت قلعتين ضمتها إلى أوقافها لحماية المدينة تجاه بحر مرمرة، وعيّنت موظفين يتقاضون رواتبهم من أوقافها.



صورة (١٠٥): غلاف ووقفية خديجة تورخان سلطان

وأما عن كتاب وقف خديجة تورخان سلطان (صورة: ١٠٥) فهو حقيقة يجلّ عن الوصف في الإجمال، مبين للأوقاف في أكمل حال، إذ تمثل الوقفية حقلاً أدبيّاً يعجز الفصحاء عن الإتيان بمثله، وتكاد تخلو من نقص أو عيب بين، فصلت فيها المسبّلات لتبدو ناصعة بيضاء، وبيّنت أرباب الوظائف كأحسن ما يمكن أن يقال تفصيلاً شرطياً موصوفاً مرعيّاً، لم تفت صاحبته ولا كاتبها فائتة، فكانت في السجع نظماً، وفي البناء صريحاً، وفي اللغة حجةً، وفي قواعد الحساب معلماً، فبمجرد قرائتها وفهمها يعي الإنسان قدر الوقف في الإسلام وعظمته، وحسن وجوده وشموليته، فقد مثل هذا الكتاب دستوراً لا يقل أهمية في تنظيم الحياة اليومية بالأوقاف عن دستور الأمة والدولة، فمن حيث عدد الموظفين والعمال فإنهم لا يكادون يُحصون عدداً، ومن حيث المصروفات فإن الإنسان ليظن أنه لن يدخر من موقوفاتها شيء، وفي عظمة عمائرهما لا يرى لها مضاهياً، فكتاب الوقف نفسه يحتاج لدراسة تجليده مؤلفاً، ولا تكفي لزخرفته وتذهيبه دراسة واحدة، وأما من حيث الخط واللغة

فحدث ولا حرج، ومن حيث الفقه والإدراك لكتابها فارفع الصوت عاليًا بذلك، كتاب وقف يقع في ٨٩ صفحة غير الغلاف، منها ثمانون صفحة مذهبة مزينة مزخرفة بالزخارف النباتية (صورة: ١٠٦)، والبقية لم تحظ بذات الاهتمام، ربما لوقع ألم بصاحبها أو منفذها، وهو ما يدل على أن التذهيب والزخرفة كانت تأتي بعد كتابة النص.

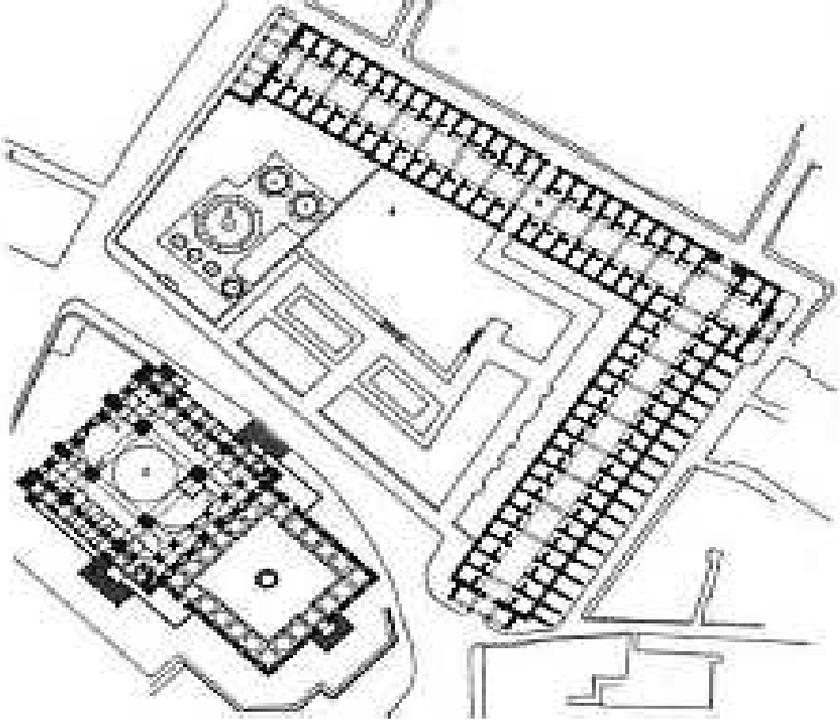


صورة (١٠٦): الصفحة رقم ١ من وقفية خديجة تورخان سلطان

وأما في نظام الحسابات فإننا نجد مراتب الموظفين المذكورة في نص الوقفية باليوم، وقد يظن البعض أن الراتب يصرف يوميًا لأصحابه، ولكننا من خلال هذه الوقفية نجزم بأن الراتب حتى وإن ذكرت قيمته اليومية إلا أن صرف الراتب كان يتم شهريًا، ليس هذا فحسب، بل إن الموظفين بكافة أطيافهم وأعدادهم كانوا مسجلين في دفاتر اليوميات، ويُعيّن لمصالح الوظائف رجل أمين لا يعرف عنه كذب ولا تزوير ولا محاباة ولا انتقام، يقوم يوميًا وعلى تعاقب أصحاب الوظائف الذين تشملهم الوقفية - في الموقع المسؤول عنه - بأخذ حضورهم واحدًا واحدًا ومراقبتهم في أداء أعمالهم، ويقوم إذا غيَّب واحد منهم يومًا بوضع نقطة أمام اسم الموظف المتغيَّب في يوم تغيبه، ومن ثم فقد أطلق على هذا الموظف مصطلح (نقطه جي)،

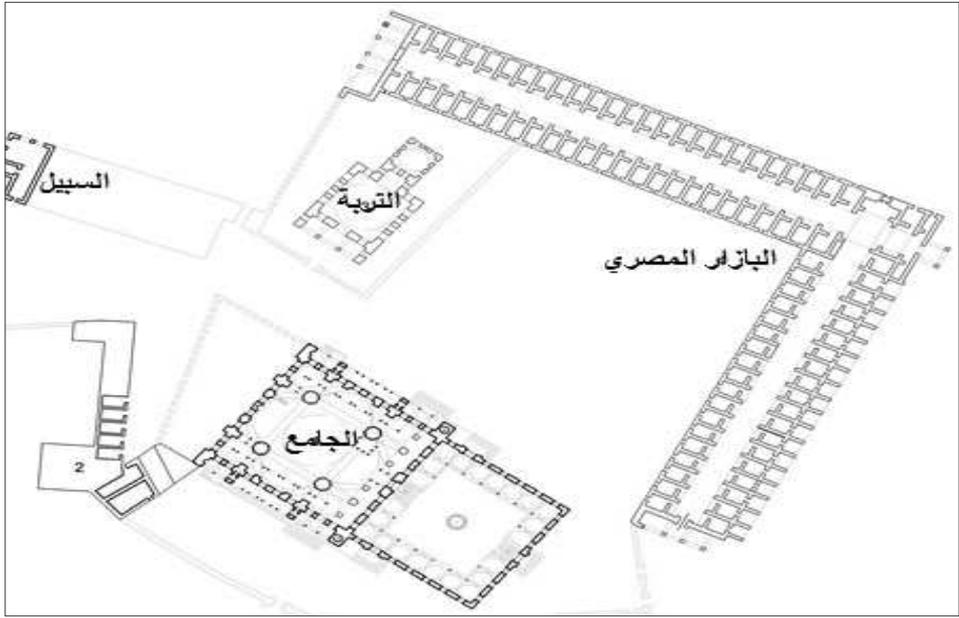
وعند آخر الشهر يأتي الصراف ويصرف رواتب الموظفين بناء على جرد دفاتر يوميات الموظفين وخصم الأيام التي وُضعت أمامها نقطة من قبل النقطة جي، وأما في المجال الدعوي والعلمي ورعاية الكتب وتحديد نظم الاستعارة وشروطها ومواعيدها فإن الأمر يطول، وتُعدّ هذه الوقفية حقلاً أدبيّاً إبداعيّاً، ونظاماً محاسبيّاً، وهيكلًا إداريّاً بكافة ما تحمله الألفاظ من معاني، ولكن يكفيننا من البحر قطرة، ومن النهر غرفة لعلنا ندرك بعضًا من عظمة أوقافنا؛ إذ إن تفرّغ الوقفية سطرًا سطرًا، وترجمتها كلمةً كلمةً، ونشرها ليحتاج على الأقل إلى ثلاثمائة صفحة، ولما كان الهدف من البحث كيف لا الكمّ، فإنه يتراءى لنا أن نأخذ على وجه التفصيل أرباب الوظائف ومراتبهم وأهم شروطهم من واقع نص الوقفية، إذ إنهم الذين تتم على أيديهم عمارة الكلية وتطبيق رغبات الواقفة، والله المستعان.

(أ) الجامع:



صورة (١٠٧): مسقط أفقي لمجمع الوالدة الجديد بإمينونو. نقلًا عن:
(Goodwin, A History of Ottoman Architecture, p. 343)

يندرج الجامع ضمن التخطيط الكلاسيكي المميز للعمارة العثمانية ويأخذ هيئة مستطيل يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي (الصورتان: ١٠٧، ١٠٨)، وينقسم إلى جزأين؛ الحرم المغطى^(١)، والحرم المكشوف، وللمسجد عدد كبير من المداخل بواقع ٥ مداخل، اثنان منها يؤديان إلى داخل بيت الصلاة المغطى، وهما مدخلان محوريان يقعان بمقابلة بعضهما من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وثلاثة مداخل تؤدي إلى الصحن أو الحرم المكشوف، اثنان منها محوريان بالجهات السابقة نفسها، والثالث يتوسط الواجهة الشمالية الغربية.



صورة (١٠٨): المسقط الأفقي للجامع وتربة وسبيل وأراستا الوالدة الجديد بإمينونو، بتصريف. نقلاً عن: (Archnet.org)

(١) نلاحظ هنا أن الوقفية تنفيذ في دراسة المصطلحات الأثرية، وتعيد ترتيب العناصر المعمارية التي درجنا على استخدامها، فعلى الرغم من شيوع مصطلح «بيت الصلاة» على الجزء المغطى من المساجد العثمانية الكلاسيكية فيما يطلق لفظ «الحرم» على الصحن أو الجزء المكشوف، فإن وقفية خديجة تورخان سلطان -وهي بمنزلة وثيقة قانونية رسمية- تبرهن على أن الموضع الذي كان يعرف بالحرم هو «بيت الصلاة» ذاته، ومن ثم فإن مصطلح «الحرم» يدل على الموضع الذي تتم الصلاة فيه، ونظرًا لما أورده أوليا جلبي في كتاباته في أكثر من موضع وتعبيره عن جزأي المساجد الكلاسيكية بالحرم الداخلي والحرم الخارجي، وما ورد في نص الوقفية في توظيف القيمين والفراشين بنص تشغيل بعضهم في الحرم الكبير (والمقصود بهذا اللفظ في الوقفية «بيت الصلاة»)، والنص على ضرورة قيام البوابين بإغلاق أبواب الحرم بعد صلاة العشاء وفتحها وقت صلاة الصبح - فهذا يعني أن بيت الصلاة المغطى كان يعرف بالحرم الكبير أو الداخلي، والصحن يعرف بالحرم الصغير أو الخارجي. ويمكن مراجعة ذلك في: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥١، الوجه الأيمن، س ٢-٥.

١. الواجهات الخارجية:

يتميز الجامع بواجهاته الخارجية الشاهقة التي تخطف الأنظار في منطقة إمينونو، ومن البوسفور وأعلى كوبري غلطة (صورة: ١٠٩)، إذ إن للجامع أربع واجهات خارجية حجرية متناهية الإبداع والنظم المعماري، مبنية بالحجر الفصّ النحيت منتظم الشكل مهذب الجوانب.



صورة (١٠٩): منظر علوي للجامع ويتقدمه في الشمال الشرقي مياه البوسفور سنة ١٩٦٠م،
نقلًا عن: (Archnet)

الواجهة الشمالية الشرقية (الصورتان: ١١٠، ١١١): هي الواجهة الرئيسة والتي تطل على القرن الذهبي ومضيق البوسفور^(١)، وهي تُمثّل واجهة الجامع بامتداد الحرمين الخارجي والداخلي، إذ تبدأ الواجهة من الشمال بواجهة الصحن تليها واجهة حرم الصلاة المغطى وبينهما المئذنة.

(١) ذكرت الباحثة/ ريهام يحيى عبد العال في دراستها أن هذه الواجهة هي الجنوبية الشرقية، وقد اختلط الأمر عليها لكونها اعتمدت على كلام المستشرقين - أمثال: جون فريلي - ممن يجهلون اتجاه القبلة، إذ إن جميع اتجاهاتها قد جانبها الصواب على نحوٍ غريب، لأنه من المعلوم بالضرورة أن جهة القبلة في جميع مساجد إستانبول هي الجهة الجنوبية الشرقية لموقع الحرم المكي جغرافياً من هذه المدينة، ومن ثم فإن المحراب والمنبر يقعان جهة الجنوب الشرقي، ولكن الباحثة في دراستها تصف المنشآت كافة باعتبار أن جهة القبلة فيها إلى الجنوب الغربي، وهذا بجانب للصواب ربما تعدّر على الباحثة إدراكه. ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ٢٦٣.

واجهته الصحن: تطل الواجهة إلى الخارج باثنتي عشرة نافذة تقع في مستويين أفقيين بواقع ست نوافذ في كل مستوى، وتقع نوافذ المستوى السفلي داخل تجويف حجري مستطيل الشكل ٣٥, ٢م x ٨٥سم، يشغله تجويف رخامي أصغر منه بقليل، وتغشي النوافذ السفلية مصبغات معدنية، أما نوافذ المستوى العلوي فهي تقع في تجويف حجري مستطيل، ويؤطر كل تجويف عقد مدبب من صنجات حجرية، ويغشي نوافذ المستوى العلوي الجص المفرغ ليعطي أشكالاً زخرفية من دوائر وأنصافها، أما أعلى الواجهة فتظهر القباب التي تغطي الرواق الشمالي الشرقي الذي يطل على صحن الجامع من الداخل.



صورة (١١١): رسم لمجمع الوالدة الجديد في إمينونو من قبل الرسام والرحالة بارتلت، نقلاً عن: (Freely, A History of Ottoman Architecture)

صورة (١١٠): رسم يظهر جامع وسوق الوالدة الجديد من داخل ميه القرن الذهبي سنة ١٦٨٠م رسمها الرحالة الفرنسي Guillaume Grelot، نقلاً عن (المنشآت التجارية، ملكه)

المدخل: يضم الجامع ثلاثة مداخل محورية تؤدي إلى الصحن المكشوف أو الحرم الخارجي الصغير، أحدها بهذه الجهة (صورة: ١١٢) ويقابله مدخل في الجهة الجنوبية الغربية، وكلاهما يقع بنهاية امتداد الواجهة جهة الحرم المغطى، ويصعد إلى المدخل عبر درج مزدوج بكل منهما ١١ درجة، والمدخل عبارة عن كتلة رخامية يتوجها إفريزان رخاميان، تزين الإفريز الأول هيئة المقرنصات وتحصّر فيما بينها أعمدة صغيرة، في حين تزخرف الإفريز الثاني زخارف زجاجية محفورة بشكل متداخل تشبه

خلايا النحل يعلوها أوراق نباتية ثلاثية وزخارف الرومي، ويقع المدخل في تجويف يتوجه عقد مدبب محدد بجفت لاعب^(١)، وقد زخرفت كوشتي العقد بزخارف قشور السمك داخل جامة مستديرة، ويتوسط التجويف فتحة باب معقودة بعقد مدبب من صنجات معشقة زخرفت كوشته بزخارف الرومي والهاتاي، ويغلق على الباب مصراعان خشيان يتكون كل منهما من ثلاث حشوات تزينها زخارف المعقلي القائمة، ويعلو فتحة الباب عتب نقش عليه بخط الثلث اقتباس قرآني نصه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).



صورة (١١٢): المدخل الشمالي الشرقي يؤدي إلى الحرم المكشوف (تصوير الباحث)

- (١) «الجفت» عبارة عن إطار بارز أو غائر يحيط بالعقد أو بالمدخل، ويكون الجفت اللاعب من إطارين متجاورين يتداخلان معاً في بعض المناطق ليشكلا على امتدادهما في كل مسافة معينة شكل صغيرة أو جدولة، وإذا تمت زخرفة منطقة تلاقحها ببروزات مستديرة أو مضلعة فإنها تُعرف باسم الميات، ويعرف حينها بالجفت البارز ذي الميات.
- (٢) سورة النحل، الآية رقم ٣٢.

واجهت بيت الصلاة (الحرم الداخلي): وهي ترتفع عن الواجهة الأولى، إضافة إلى بروزها للخارج عنه لكبر حجم ومساحة الحرم المغطى عن الحرم المكشوف، نتيجة إضافة سقيفتين جانبيتين: إحداهما بهذه الجهة والأخرى تقابلها في الجهة الجنوبية الغربية، وتنقسم واجهة هذا الجزء إلى ثلاثة أقسام: يمثل القسم الأول منها -الذي يقع إلى جوار الصحن- واجهة المدخل المؤدي إلى حرم الصلاة، ويلتصق القسم الأول بقاعدة المئذنة، ويقع المدخل في منتصف السقيفة التي تتقدم جدار الجامع من هذا القسم من واجهة حرم الصلاة المغطى، يتقدمه من الخارج درج ثلاثي على هيئة حرف (U) من ١٥ درجة تؤدي إلى دخلة مستطيلة من الرخام يتوسطها فتحة باب الدخول، ويغلق عليها مصراعان من الخشب النقي المزين بزخارف نباتية وهندسية محفورة ومخزّمة تعطي أشكال زخرفية الرومي والأطباق النجمية وأجزاؤها مطعمة بالعاج والأبنوس، ويعلو فتحة الباب عتب رخامي يضم اقتباساً قرآنيّاً مسجلاً بخط الثلث، ونصه: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(١)، أما السقيفة فتقسم إلى ثلاث مناطق مربعة تمتد بامتداد كتلة المدخل ويغطيها ثلاث قباب صغيرة الحجم. والقسم الأوسط من واجهة حرم الصلاة المغطى يمتد بمحاذاة السقيفة باتجاه الشرق بحيث ينقسم أفقيّاً إلى ثلاثة مستويات، وضعت بالجزء السفلي منها صنادير مياه يتقدم كلاً منها جلسة رخامية تستخدم للوضوء من دون حاجة المتوضئين للدخول إلى صحن الجامع، ويعلوه مستويان علويان كل منهما يطل أو يشرف على الخارج بواجهة من سبعة عقود مديبة متفاوتة الاتساع ترتكز على ٦ أعمدة تحصر بينها زخارف متنوعة، وقد فتح بكل مستوى خمس نوافذ تغشيها مصبغات معدنية، ويغطي السقيفة في القسم الأوسط سقف مسطح ينقسم إلى أجزاء تزينها زخارف متنوعة، منها بخاريات تملؤها زخارف الرومي والهاتاي باللون الأبيض على أرضية زرقاء وحمراء اللون^(٢).

والقسم الثالث بأقصى شرق الواجهة فيبرز عن سمت الواجهة قليلاً، إذ يتقدمه

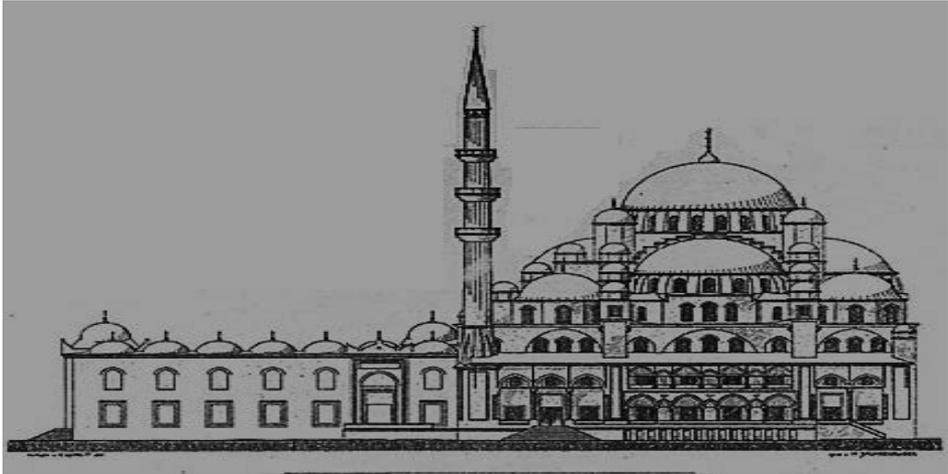
(١) سورة الرعد، الآية رقم ٢٤.

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجيما عبد العال، ص ٢٦٦.

سور رخامي يؤدي إلى مدخل صغير يفضي إلى داخل هذا القسم من الواجهة، والتي تشبه سقيفة القسم الأول ولكن تغطيها قبتان بدلاً من الثلاث قباب، وتشرف واجهة السقيفة على الخارج ببائكة من عقدين مديين يرتكزان على ثلاثة أعمدة ملتصقة بالجدار، وأما المدخل فهو صغير عبارة عن فتحة باب مستطيلة يتوجها عقد نصف دائري ويغلق عليها مصراعان من الحديد.

أما الواجهة من الأعلى فتطل بالقباب مختلفة الأحجام والقبببات الصغيرة إلى جانب نصف القبة الذي يغطي الجزء الواقع إلى شمال شرق القبة المركزية، فيما تقع المئذنة على محور المئذنة الأخرى في بداية الحرم المغطى جهة الصحن.

الواجهة الجنوبية الغربية (الصورتان: ١١٣، ١١٤): وهي تشبه الواجهة السابقة في أغلب أجزائها وأقسامها، ولكنها تطل على الداخل على ساحة داخلية تملؤها الزهور جهة باقي وحدات الكلية المعمارية لخديجة تورخان سلطان بامتداد الضلع الطويل من سوق الوالدة الملحق بالكلية المعمارية، وأما في القسم الجنوبي من الواجهة فقد فتحت به فتحتا باب في جانبي السقيفة بدلاً من النوافذ التي وجدت في نفس الجزء بالواجهة الرئيسة، وأما المدخل الكبير الذي يؤدي إلى حرم الصلاة المغطى فهو يفضي إلى الطابق العلوي من المسجد (المحفل).



صورة (١١٣): تفرغ للواجهة الجنوبية الغربية. نقلاً عن:
(Gurlitt, Die Baukunst Konstantinopels, 1912)



صورة (١١٤): الواجهة الجنوبية الغربية ليني جامع (تصوير الباحث)

الواجهة الشمالية الغربية (صورة: ١١٥): وتمثل واجهة الصحن الخارجية ويتوسطها المدخل الرئيس للصحن، وهي واجهة بسيطة لا تميزها أي عناصر مختلفة، إذ تمتد الواجهة الحجرية وتتخللها اثنتا عشرة نافذة أيضاً في مستويين أفقيين تشبه نوافذ الواجهة الرئيسة، وأما المدخل فمماثل للمدخل الشمالي الشرقي الذي يؤدي إلى الحرم المكشوف (الصحن)، فيما عدا أنه يصعد إليه بسلم من ثلاث جهات تشكل معاً هيئة حرف (U)، ويعلو فتحة باب الدخول اقتباس قرآني منفذ بخط الثلث، ونصه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١)، وتظهر من أعلى الواجهة القباب الضحلة التي تغطي الرواق المطل على الصحن.



صورة (١١٥): رسم تخطيطي للواجهة الشمالية الغربية للمسجد. نقلاً عن: (www.canstockphoto.com/drawing)

(١) سورة النساء، الآية رقم ١٠٣.

الواجهة الجنوبية الشرقية: وهي واجهة جدار القبلة؛ ويحتفي الجزء السفلي من الواجهة حالياً، أما من خلال الأجزاء الظاهرة فيمكن القول بأن الواجهة تنقسم إلى ثلاثة أقسام رأسية، أكبرها القسم الأوسط الذي يمثل واجهة إيوان المحراب والمنبر، إذ فتح بهذا القسم عدد من فتحات النوافذ في مستويين بواقع أربع نوافذ يعلوها خمس نوافذ هيئة المطاولات المعقودة بعقود مدبية، ويغشي النوافذ الجص المفرغ بأشكال زخرافية تشبه اللوزات وأجزاءها، وتظهر من أعلى الواجهة القبة المركزية وعلى جانبيها قبتان أصغر حجماً تغطيان الأركان على جانبي القبة، وتقع خلف القبتين قبيبتان صغيرتان بواقع قبيبة في كل جهة، وتغطي جميع القباب ألواح الرصاص.

المئذنتان (ينظر، صورة: ١١٥): للمسجد مئذنتان متماثلتان تقعان في طرفي الجدار الشمالي الغربي لحرم الصلاة المغطى، وأقيمت كل مئذنة منهما أعلى قاعدة مربعة تبرز عن جدار الواجهة، وتنتهي بشطف الأركان للداخل لتحويل المربع السفلي إلى منطقة انتقال لتبدأ المئذنة في الانطلاق إلى الأعلى ببدن مستدير تتخلله ثلاث شرفات حجرية دائرية تحملها المقرنصات، ويُعد الطابق الدائري الأول أكبر طوابق البدن المستدير بينما يتساوى الطابقان العلويان، ويلاحظ أن المئذنة تستدق كلما اتجهت إلى الأعلى، بحيث يمتد أعلى الشرفة الأخيرة طابق آخر مستدير يحمل قمة المئذنة المخروطية على هيئة القلم الرصاص.

٢. التخطيط الداخلي للجامع (ينظر، الصورتان: ١٠٧، ١٠٨):

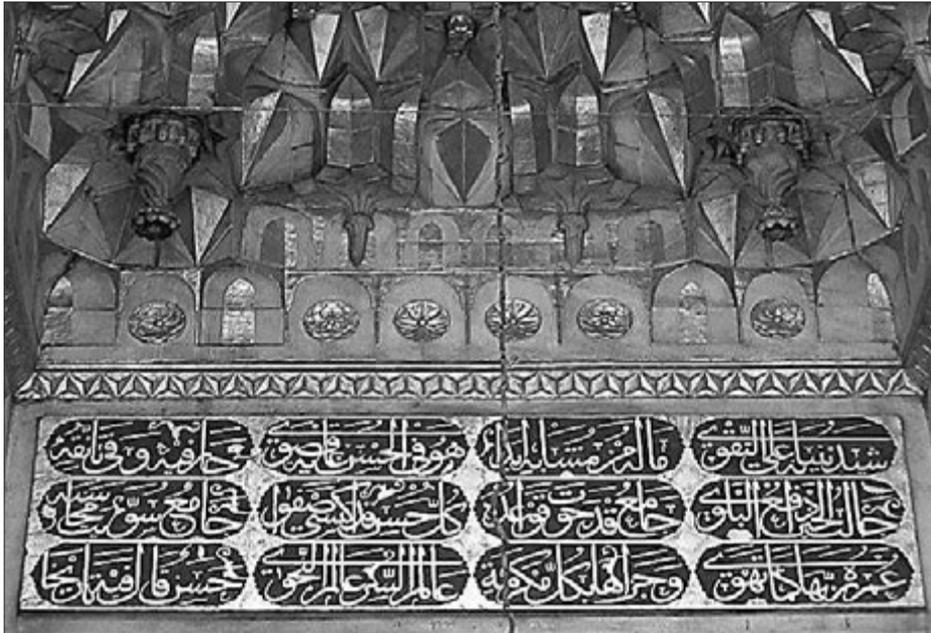
يندرج تخطيط الجامع ضمن الطراز التقليدي المميز للجوامع العثمانية، الذي ينقسم إلى جزأين: أحدهما بيت الصلاة المغطى وهو الحرم الداخلي المغلق، والآخر الصحن أو الحرم الخارجي، ويتم الدخول إليه عبر ثلاثة مداخل محورية، اثنان جانبيين، والثالث يقع على محور المحراب وهو المدخل الرئيس، وهو عبارة عن مدخل حجري كبير ينتهي بصدر أو طاقية مقرنصة مذهبة، وبأسفل الطاقية نص كتابي تاريخي يشيد بالمبنى وجماله ومدى خيرات صاحبه، وينتهي النص بكلمة «تاريخاً»؛ إذ لم يتضمن هذا النص اللفظ المؤرخ للمسجد (صورة: ١١٦)، وإنما جاء النص التاريخي بحجر المدخل على يسار الداخل كتكملة للنص أعلى المدخل بصيغة (جامع البر معلم التقوى) (صورة: ١١٧).

قراءة النص (صورة: ١١٦):

١س	(شيد بنيانه على التقوى) (ماله من مشابه أبدا) (هو في الحسن غاية قصوى) (حار فيه وفي تأنقه).
٢س	(جالب الخير دافع البلوى) (جامع قد حوت قواعده) (كل حسن قد اكتسى وصفا) (جامع سويت محاسنه).
٣س	(عمّره ربهما كما تهوى) (وجراها بكل مكرمة) (عالم السر عالم النجوى) (حسن قال فيه تاريخا).

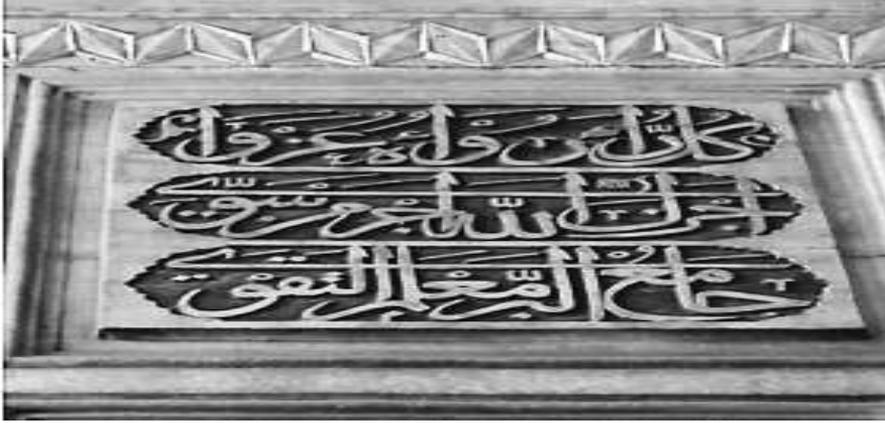
وأما بقية النص الواقع في حجر المدخل فيتضمن في أحد أجزائه نص التأريخ بحساب الجُمَّل بصيغة (صورة: ١١٧):

١س	كل راء رواءه عزوا.
٢س	أجزل الله أجر من سوّى.
٣س	جامع البر معلّم التقوى.



صورة (١١٦): النص التأريخي لجامع الوالدة الجديد أعلى المدخل الرئيسي المؤدي للحرم المغطى، نقلاً عن: (Archnet)

وقد سجل التاريخ في حجر المدخل على الكتف الأيسر للداخل بعبارة (جامع البر معلم التقوى)، وهي تساوي ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣-١٦٦٤م، وهو تاريخ الانتهاء من بناء المسجد وافتتاحه رسمياً للصلاة.



صورة (١١٧): نص التاريخ لتشييد جامع خديجة تورخان بإمينونو.

القسم الأول: الحرم الداخلي المغطى: وهو بيت الصلاة، وهو من أبداع بيوت الصلاة وأجملها وأبهاها في المساجد العثمانية قاطبة، وأعظمها إنشاءً من قبل النساء، يتكون هذا الحرم المغطى من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٧٨، ٣٥م، وتنقسم إلى منطقة وسطى مركزية (دورقاعة) مربعة الشكل يحددها أربع دعائم حجرية كبيرة، ويبلغ طول ضلعها ٧٢، ٢٤م ويحيط بها أربعة أروقة من طابقين بواقع رواق من كل جانب، بحيث غطيت المنطقة المركزية بقبة كبيرة يبلغ ارتفاعها ٦٠، ٣٨م، ويتعامد عليها أربعة أنصاف قباب يبلغ ارتفاع كل نصف قبة منها ٢٠، ٢٦م، وعلى جانبي كل نصف قبة قبتان تشكل معاً أربع قباب تغطي أركان بيت الصلاة، ويبلغ ارتفاع كل قبة منها حوالي ١٨م.

وتغطي الزخارف بيت الصلاة بكامل أجزائه بشكل لم يتكرر في منشأة وقفية أخرى لنساء القصر العثماني، فلا توجد منطقة شاغرة من الزخرفة بما في ذلك بطون العقود الحاملة للقباب والأنصاف، والجدران السفلية والعلوية، وحتى الدعائم الكبيرة التي تحمل القبة المركزية فقد غطيت بكامل أجزائها ببلاطات خزفية غاية في الجمال تبرهن على مدى عظمة ورعاية الوقف الإسلامي للنواحي الفنية والجمالية بالعمائر

الوقفية، وعلى الرغم من هذا الزخم الزخرفي الكبير فإن المواد الخام التي نفذت بها الزخارف وأشكال الزخارف متنوعة بشكل يدعو إلى الدهشة والعجب، ما بين أفاريز جصية، ونوافذ مغطاة بالجص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون، والمقرنصات المحفورة أو المنقوشة على الأحجار، والبلاطات الخزفية المعدة خصوصاً لزخرفة جدران المسجد، والتكسيات الرخامية من الرخام متعدد الألوان، وتعدد العناصر الزخرفية ما بين أشكال زخرفية نباتية طبيعية كالأوراق النباتية، أو محورة كزخارف الرومي والهاتاي، وأشكال وزخارف هندسية، وتداخلات من نقوش كتابية، فقد زينت كوشات العقود بمنطقة انتقال القبة المركزية بالزخارف النباتية من الرومي والهاتاي في شكل متشابك إلى جانب الأوراق النباتية لتمثل مسرحاً عاماً من الزخارف بلون أبيض على أرضية حمراء، ويتخللها في كل منطقة انتقال جامعة مستديرة سُجل عليها اسم أحد الخلفاء الراشدين الأربعة منفذة بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء: (أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، عمر رضي الله تعالى عنه، عثمان رضي الله تعالى عنه، علي رضي الله تعالى عنه)، وتقع الجامعة داخل دائرة أخرى أو جامعة أكبر منها محددة بلون أبيض، وتملؤها الزخارف النباتية المتشابكة كأوراق الساز والقرنفل وزهرة العسل منفذة باللون الأبيض والأحمر والأزرق والوردي، وتعلو مناطق الانتقال حطة جصية من المقرنصات ذات ذيول هابطة^(١) تركز عليها خوذة القبة.

القبة المركزية: يحددها من الأعلى شريط زخرفي من أوراق الساز والقرنفل وغيرها تمتد حتى رقبة القبة التي تتخللها فتحات نوافذ متماثلة بهيئة العقود المدببة، وهي نوافذ مغطاة بالجص المفرغ المعشق بالزجاج الملون ليعطي أشكالاً زخرفية هندسية وبيضاوية تؤطرها جميعاً الأشرطة الزخرفية، فيما تقع بين كل نافذتين زخرفة الخورنق، وداخلها معين تملؤه الزخارف النباتية المحورة كالرومي والهاتاي.

وأما باطن القبة فيحددها شريط زخرفي يقع فوق نوافذ رقبة القبة بهيئة قريبة من شكل بائكة ذات عقود مدببة تلتف حول بدن القبة تشبه زخرفة الخورنق، ويلبها إطار من الأوراق النباتية الثلاثية تملؤها الزخارف النباتية كالرومي والهاتاي بلون أحمر على أرضية بيضاء، وتملاً باطن القبة خمسة أشرطة زخرفية متتالية من

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام مجا عبد العال، ص ٢٧٢.

أشكال البخاريات الطولية أو العرضية ومنفذة بألوان خضراء وزرقاء وحمراء تملؤها الزخارف النباتية المحورة، فيما تزين مركز باطن القبة دائرة تؤطرها بائكة من عقود مدببة أو شريط من الأوراق النباتية الثلاثية المتراسة تشبه تلك التي تقع أعلى نوافذ رقبة القبة ومنفذة بلون أحمر أيضاً على أرضية بيضاء تملؤها الزخارف النباتية، وأما الجامة المستديرة فقد نُقش فيها بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء اقتباس قرآني، ونصه: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(١))، وتشكل قوائم الحروف إلى داخل مركز القبة تنظيمًا هندسيًا بديعًا ينتهي بشكل جامة صغيرة تملؤها الزخارف الهندسية.

أنصاف القباب: تملؤها جميعًا الأشرطة الزخرفية مثل القبة المركزية مع بعض الاختلافات، فتزين أنصاف القباب أشرطة تبدأ من زخرفة الخورنق يليها صف من النجوم السداسية الزرقاء، ويلها صف أو شريط آخر من البخاريات باللون الأزرق، يليه صف رابع من النجوم السداسية الزرقاء، وفي مركز نصف القبة نصف دائرة تملؤها الزخارف النباتية بلون أزرق على أرضية بيضاء، يؤطرها شريط من الأوراق النباتية تشبه بائكة من عقود منكسرة.

جدار القبلة: وهو الجدار الجنوبي الشرقي ويتوسطه المحراب، ويتقسم إلى مستويين أفقيين، فُتح بالمستوى السفلي أربع نوافذ مستطيلة يعلو كل نافذة منها نافذة أخرى علوية تأخذ هيئة العقد المدبب، يغطيها الجص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون أو المفرغ بأشكال زخرفية من أفرع نباتية متماوجة، وتقع نافذتان منهما في كتلة المحراب الرخامية، أما الأخرى فعلى الجانبين وتميزهما إلى جانب الأشرطة الكتابية تكسيات ببلاطات خزفية تشكل معًا مناظر إبداعية لأشكال الزخارف النباتية والهندسية وذلك بلون أزرق وأخضر على أرضية بيضاء، ويتميز جدار القبلة كغيره من الجدران بالشراء والزخم الزخرفي، وينتهي المستوى السفلي بإطار من الجص عبارة عن صف من المقرنصات، وأما المستوى العلوي فيحتوي على خمس فتحات نوافذ بواقع نافذتين جانبيتين داخل تجويف بيئة العقد المدبب تعلوان النافذتين الجانبيتين

(١) سورة فاطر، الآية رقم ٤١.

السفليتين، وثلاث نوافذ تعلو كتلة المحراب مغطاة بالحص الموشق بالزجاج الملون أيضاً، وينتهي هذا المستوى بمناطق انتقال من حطات من المقرنصات ذات الدلايات تحمل الطابق الثاني، ثم يأتي بعد ذلك نصف القبة القبلي.

المحراب: يقع في كتلة رخامية تتوسط جدار القبلة داخل تجويف من صدر مقرنص تؤطره حلية رخامية مثلثة الشكل، نُقشت عليها زخارف الرومي والهاتاي يحيط بها إفريز زخرفي مذهب، ويكتنف الحلية على الجانبين قائم مذهب تتخلله فتايح تنتهي بورقة نباتية ثلاثية يقع أعلى الأعمدة التي تؤطر تجويف المحراب، وهي أعمدة تزينها نقوش محفورة بهيئة قشور السمك، ويتقدم كل عمود شمعدان معدني يرتكز إلى الجدار لحمايته، والمحراب عبارة عن حنية مضلعة تخلو من الزخارف، وشغلت طاقيته ستة صفوف من المقرنصات المذهبة ذات الدلايات، وتعلو طاقية المحراب حشوتان مستطيلتان مذهبتان تحتوي كلاً منهما على بحر أو خرطوش كتابي بضاوي الشكل، نقشت فيهما بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء اقتباسات قرآنية، نص الحشوة العلوية: (قال الله سبحانه وتعالى)، ونص الحشوة السفلية: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيًّا الْمِحْرَابَ﴾^(١).

وأما الاقتباسات القرآنية المسجلة أعلى النوافذ على جانبي المحراب فمتنوعة، إذ تعلو كل نافذة حشوتان مستطيلتان نقشت فيهما بخط الثلث المذهب على أرضية سوداء كتابات دينية، نصها:

الاقتباسات القرآنية أعلى النافذة اليمنى جهة المحراب (صورة: ١١٨):
الحشوة العلوية: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
الحشوة السفلية: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ^(٢) .
الكتابات الدينية أعلى النافذة اليسرى (صورة: ١١٩):
الحشوة العلوية: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.
الحشوة السفلية: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٧.

(٢) سورة الجن، الآيتان ١٨-١٩.



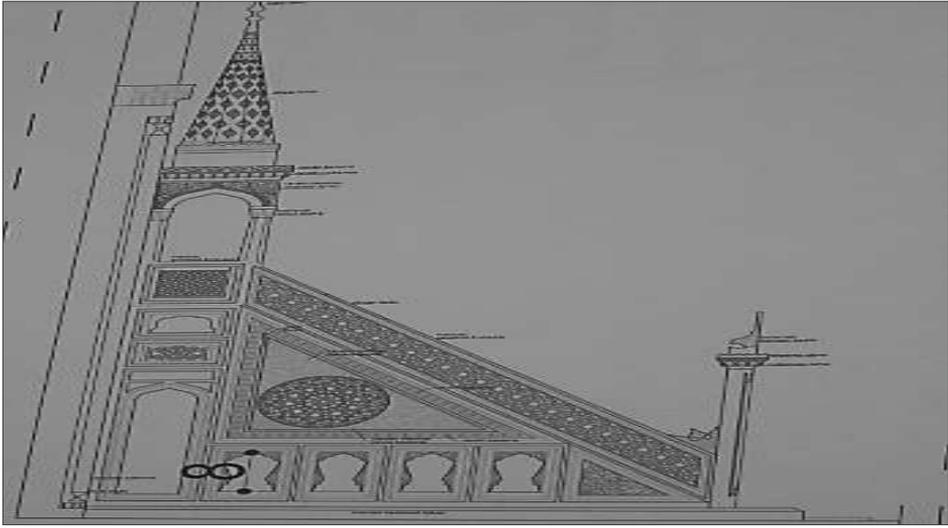
صورة (١١٩): تفرغ لكتابات ومصراعي النافذة اليسرى، وهي معلقة على جدران المسجد للترميم (نقلًا عن: الإدارة العامة لأوقاف إستانبول)



صورة (١١٨): تفرغ لكتابات ومصراعي النافذة اليمنى للواقف بمقابلة المحراب (نقلًا عن: الإدارة العامة لأوقاف إستانبول)

المنبر (صورة: ١٢٠): يقع المنبر إلى جوار المحراب على يمين المتجه للقبلة، وهو عبارة عن تحفة فنية إبداعية من الرخام دُهبّت حشواته وزخارفه، ويتكون من باب المقدم يتوسطه فتحة باب مستطيلة معقودة بعقد موتور يعلوها شريط كتابي يضم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويعلوها صدر مقرنص بإطار مذهب يأخذ هيئة مفصصة تشبه الورقة النباتية الخماسية المفرغة وتملؤها زخارف الرومي والهاتاي، ويتم الدخول من فتحة الباب التي يغلق عليها ستارة من القטיפ الخضراء إلى الدرج، وعلى جانبيه الدرازين الرخامي من قاطوع مائل تزينه زخارف هندسية تشبه الجزير المشكل بالتحريم، ويحيط بالدرازين إطار مذهب، وتقع ريشتا المنبر أسفل الدرازين وقد دُهبّت حافة كل منهما، ويزين كل ريشة حشوات رخامية محددة بإطار مذهب تملؤها الزخارف النباتية من الرومي والهاتاي إلى جانب الأشكال والزخارف الهندسية التي تميزت بها المنابر العثمانية، وقد فتح بكل ريشة باب للروضة عبارة عن فتحة مستطيلة يتوجها عقد مدبب بإطار ذهبي.

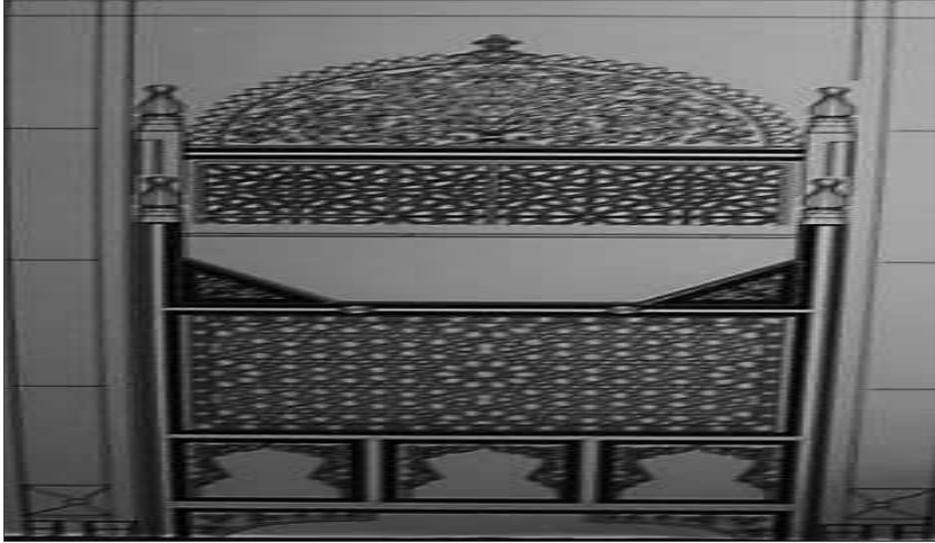
يؤدي الدرج إلى جلسة الخطيب التي يغطيها سقف يقوم على أربعة أعمدة رخامية مضلعة لها تيجان كورنثية تحمل عقوداً مدببة شغلت توشيحاتها بزخارف الرومي والهاتاي المذهبة، ويعلو سقف الجلسة جوسق عبارة عن عنق مضلع تعلوه خوذة مضلعة، تزين أضلاعها إلى جانب التذهيب جامات مفصصة تملؤها الزخارف النباتية المحفورة من الرومي والهاتاي، ويخرج من مركز الخوذة سفود ذو انتفاخات أو فتايح كروية يعلوها هلال.



صورة (١٢٠): تفرغ للمنبر الرخامي بالجامع (نقلًا عن: الإدارة العامة لأوقاف إستانبول)

كرسي المقرئ (صورة: ١٢١): يقع إلى أقصى الشمال الشرقي من كتلة المحراب ملتصقًا بها، وهو عبارة عن تحفة فنية من الخشب النقي ينقسم إلى حشوات مجمعة ومعشقة بالعاج لتشكل زخارف هندسية قوامها الأطباق النجمية وأجزاؤها وزخارف هندسية أخرى، ويتكون الكرسي من أربعة قوائم تحملها أرجل تشكل فيما بينها عقود بورصة الناقصة، وتحمل الأرجل ثلاثة مستويات؛ بالمستوى الأول زخارف مفرغة بهيئة بخاريات يحدد كلاً منها إطار زخرفي، ويعلوه المستوى الثاني ويشغل أغلب مساحة الكرسي، وقد زخرف هذا المستوى بالزخارف الهندسية المذكورة سابقاً، أهمها الأطباق النجمية وأجزاؤها، أما المستوى الثالث فيمثل

جلسة المقرئ وهو عبارة عن جانبين تزينهما الزخارف الهندسية ومؤخر (مسند) من حجاب مفرغ بزخارف هندسية أيضًا يعلوه حلية بهيئة العقد نصف الدائري تملؤها الزخارف النباتية من مزهرية تخرج منها أزهار القرنفل وغيرها، ويؤطر العقد نصف الدائري شريط من الزخرفة على هيئة شرافات مسننة تنتهي من الأعلى بورقة نباتية ثلاثية.



صورة (١٢١): تفرغ لكرسي المقرئ بأجزائه كافة (نقلًا عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول)

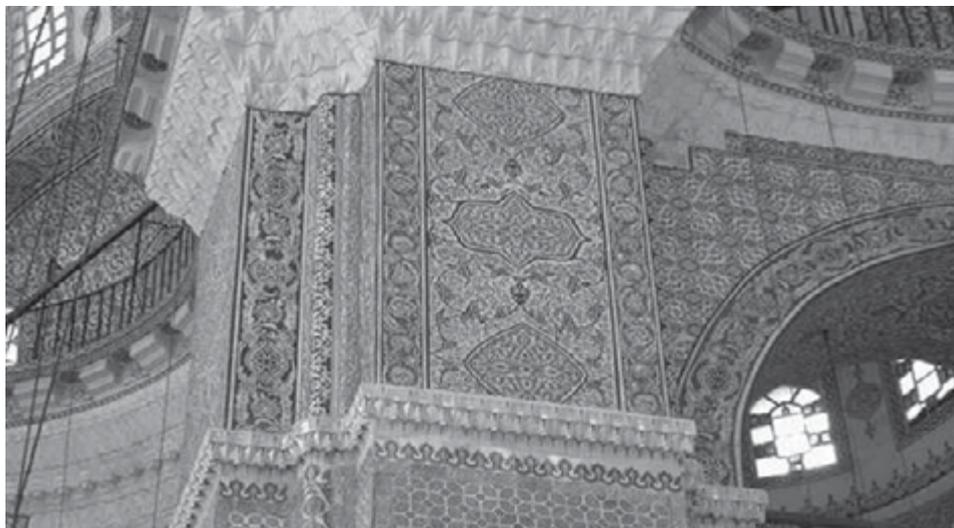
الأروقة الجانبية: يشغل كلا منهما مساحة مستطيلة بالجهتين الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية، وتنقسم كل جهة منهما إلى رواقين متساويين تتوسطهما بائكة من أربعة عشر عقدًا مديبًا من الحجر يتناوب فيها عقد كبير مع آخر صغير تُمثل واجهة الرواق الخارجي على الداخلي، وكلا الرواقين متساوي في المساحة؛ يقع الداخلي منهما جهة الدورقاعة المركزية الوسطى لحرم الصلاة المغطى، ليشغل المنطقة التي تلي الدعامات الحاملة للقبعة والبائكة، وأما الرواق الخارجي فهو من طابقين: الأرضي يطل على الرواق الداخلي بالبائكة السابقة، وتفتح في جدارها الخارجي سبع نوافذ مستطيلة يغلق على كل منها مصراعان خشبيان، ويغطي هذا الرواق الخارجي سقف مسطح، فيما يعلوه طابق آخر علوي يمثل المحفل الكبير.

وبأقصى الشمال في كل جهة من الجهتين الجانبيتين فتحة باب الدخول إلى الحرم المغطى، ويتقدم كل مدخل منهما دركاة مستطيلة يغطيها سقف مسطح نفذت عليه زخارف من جامة مربعة، وتلتف حولها جامات مفصصة ومسننة ملئت بالزخارف النباتية كالرومي والهاتاي والأوراق النباتية الثلاثية باللون الأبيض على أرضية تركوازية وحمراء.

الجهة الشمالية الغربية من الداخل: وهي تطل على القبة المركزية برواقين أيضاً، مثلها في ذلك مثل الجهات الجانبية وجهة القبلة، ويقع الرواق الداخلي بين دعامات القبة المركزية والبائكة التي تُمثل واجهة الرواق الخارجي، في حين يطل الرواق الخارجي ببائكة من سبعة عقود مديبة متفاوتة الاتساع، أوسعها وأكثرها ارتفاعاً العقد الأوسط الذي يقع به المدخل، وهو عبارة عن فتحتي باب معقودتين بعقود موتورة من صنجات حجرية معشقة يغلق عليها مصراعان خشبيان تفضي إلى دركاة المدخل، التي يغطيها سقف مسطح مملوء بالزخارف النباتية الماثلة لدراكوات المداخل الجانبية.

الطابق العلوي: وهو أصلي الإنشاء، دُكر في نصّ وقفية خديجة تورخان سلطان تحت اسم الطبقات (طبقات لري)، ويدخل إليه عبر مدخل بالجهة الجنوبية الغربية يفضي إلى سلم دائري صاعد يؤدي إلى السقيفة الخارجية من تلك الجهة، وبصدر السقيفة دخلة عميقة تفضي إلى الطابق العلوي من المسجد الذي يستخدم كمصلى سيدات، وهو المحفل الرئيس بالمسجد والذي كانت تؤدّى فيه أوراود التلاوة الواردة بنص الوقفية والختامات التي اشترطت الوقفية ختمها يومياً خمس مرات، وعيّنت لكل ختمة منها ثلاثين قارئاً^(١)، وأما من حيث تخطيطه المعماري فهو يقع في ثلاثة جوانب من المسجد عدا جهة القبلة ليأخذ هيئة حرف (U)، ويطل على الدورقاعة الوسطى من كل جهة بدرابزين حجري مفرغ بأشكال هندسية من أطباق نجمية وأجزائها.

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٠-٤٣.



صورة (١٢٢): تين مدى روعة وجمالية التكسيات الخزفية للدعامات الحاملة للقبة المركزية، وحطات المقرنصات (Archnet)

البلاطات الخزفية: تكسو غالبية جدران الحرم المغطى الكبير للجامع والدعامات الحاملة للقباب وأجزاء كبيرة من الجدران بلاطات خزفية (الصورتان: ١٢٢، ١٢٣)، ينفرد بها هذا الجامع عن أي جامع عثماني آخر من إنشاء نساء القصر العثماني، وقد جعلت المسجد حلّة قشبية فاقت حتى الجوامع السلطانية الكبرى، وغطت التكسيات الخزفية بعض المواضع الخارجية من المسجد في سقائف الجهات الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، وجمعت البلاطات بين الزخارف النباتية والهندسية والنقوش الكتابية لتشكّل معاً كماً من التصاوير أو الموضوعات المتميزة، ومن أهم النقوش الكتابية المنفذة عليها الاقتباسات القرآنية المنفذة بخط الثلث، وأما النقوش النباتية فمنها زخارف الرومي والهاتاي والمزهريات والوريدات متعددة البتلات، وأما الزهور فمنها زهور القرنفل واللاله والرمان، ويبلغ مجموع البلاطات الخزفية التي كسيت بها أجزاء الجامع نحو ٦٨٥١ بلاطة خزفية مربعة أو مستطيلة الشكل، ونحو ٢٥٢١ بلاطة خزفية، حددت بها البلاطات السابقة صنعت معظمها بمصانع إزنيق ليلبلغ مجموعها ٩٣٧٢ بلاطة خزفية، تم استبدال عدد ٣٩٢ بلاطة خزفية منها ببلاطات مصنوعة في أوروبا، ووضعت هذه البلاطات محل بعض البلاطات الأصلية.



صورة (١٢٣): تكسية الجدران ببلاطات الخزف وحطات المقرنصات، نقلاً عن (Archnet)

القسم الثاني: الحرم المكشوف (الصحن):

يقع إلى الشمال الغربي من الحرم المغطى، ويأخذ التخطيط المستطيل ٤٢, ٢٦ x م، وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف سماوي يتوسطه شاذروان، ويحيط به رواق من كل جهة، ينقسم إلى مساحات مربعة تغطي كلاً منها قبة ضحلة يبلغ ارتفاعها ١١, ٥٠ م بواقع ٢٤ قبة، ويطل كل رواق على الصحن ببائكات معقودة بعقود مدبية من صنجات معشقة يبلغ عددها في كل جهة خمسة عقود، وتقوم العقود على أعمدة رخامية لها تيجان مقرنصة ذات دلايات، وتقوم كل قبة من القباب على منطقة انتقال من مثلثات كروية مقلوبة تملؤها زخارف الرومي والهاتاي، أما القباب فيزينها شريط من المراوح النخيلية وزخرفة الهاتاي، وبمركزها شكل مئمن يحيط به شريط زخرفي من الأوراق النباتية، فيما تملأ المئمن أشكال المعينات والمثلثات وبداخلها زخارف الرومي والهاتاي.



صورة (١٢٤): الشاذروان وأرضية صحن الحرم المكشوف (تصوير الباحث)

الشاذروان (Şadirvan) (صورة: ١٢٤): يتوسط الشاذروان الصحن أو الحرم المكشوف، وهو عبارة عن نافورة ذات بدن رخامي ثماني الأضلاع ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن، ويشغل كل ضلع دخلة معقودة بعقد مدبب من صنجات معشقة تقوم على أعمدة رخامية لها تيجان مقرنصة بذيول هابطة، زُخرف مركز كل عقد منها بجامة مستديرة نفذت عليها زخرفة وريدة متعددة البتلات، وتتملأ بواطن العقود وكوشاتها زخارف الرومي والهاتاي والزخارف النباتية الأخرى، وبصدر كل ضلع دخلة يتوجها عقد مفصص نفذت عليه بأسلوب التخريم زخارف هندسة، وبأسفل كل ضلع حجاب من الرخام يخرج منه صنبور، وأسفل كل صنبور حوض رخامي نصف دائري يتقدمه جلسة رخامية أسطوانية لجلوس المتوضئين، ويقع مجرى تصريف الماء بين الجلسات وبدن النافورة، ويتوج أضلاع النافورة من الأعلى إطار بارز من مقرنصات في ثلاثة مستويات، يعلوها صف من الشرافات المسننة، فيما يغطي بدن النافورة قبة مضلعة مغطاة من الخارج بالواح الرصاص، وبأعلى مركز القبة قائم مذهب ذو انتفاخات نفذت عيه زخارف الرومي.

ب) تُربة خديجة تورخان سلطان:

١. الموقع:

تقع التُّربة ضمن كلية الوالدة داخل حديقة جنازية خارج الركن الجنوبي لجامع الوالدة محصورة بين الجامع والسوق الملحق بالكلية الوقفية. تأخذ التُّربة هيئة التخطيط المربع المبني من الحجر الجيري، ويحيط بالتُّربة سور فتحت به نوافذ مستطيلة تغشيها المصبغات المعدنية (صورة: ١٢٥)، ويتقدم التُّربة رواق خارجي ينقسم إلى ثلاث مناطق.

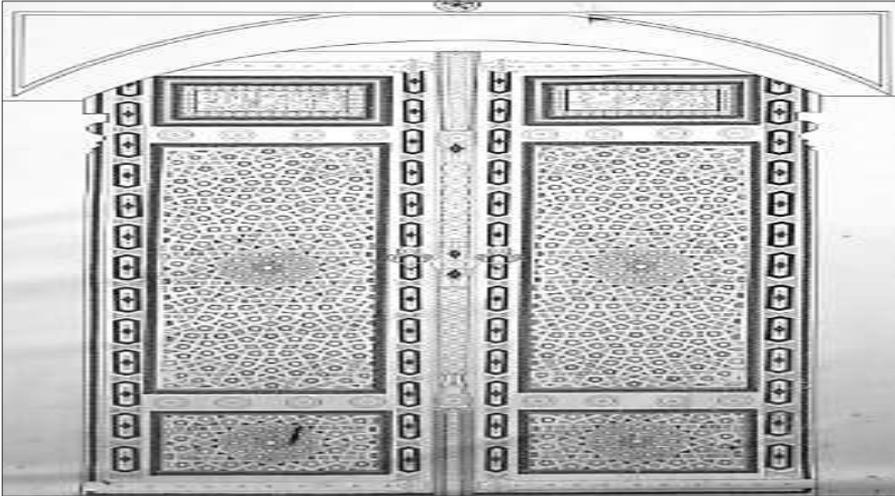


صورة (١٢٥): منظر عام لتُّربة خديجة تورخان من الخارج، عن (عمارة التُّرب، أبو زيد)

٢. الرواق الخارجي:

وهو يتقدم التُّربة من الجهة الشمالية الشرقية المطلة على الجامع، وينقسم إلى ثلاثة أقسام متساوية في الحجم، ويتم الصعود إلى الرواق عبر سلم من ثلاث درجات، ويغطي المنطقة الوسطى من الرواق قبة، فيما يغطي القسمين الجانبيين قبوان برميليان مزخرفان بأشكال البخاريات الممتلئة بزخارف الرومي منفذة بلون أبيض على أرضية خضراء، أما القبة فتزينها أشرطة زخرفية من بخاريات من نوعين؛ أحدهما تملؤه زخارف الرومي والثاني تزيينه شكل مزهرية تخرج منها أفرع نباتية، وقد كسيت جدران الرواق الخارجي ببلاطات خزفية تشبه تلك الموجودة بالجامع، وهي عبارة

عن ست حشوات مستطيلة بواقع ثلاث حشوات على كل جانب من جانبي الرواق الخارجي، تأخذ في إحداها هيئة الشكل المستطيل ويغلب عليه اللون الأزرق لتكوّن منظراً زخرفياً قوامه مزهريّة تخرج منها الأوراق الرمحية المسننة وأزهار كف السبع تتناثر حولها زخارف نباتية أخرى كالهاتاي، ويجدها ٣ إطارات من زخارف الهاتاي وأزهار القرنفل والرمان، وتزين الحشوة الثانية زخرفة قوامها بخارية تملؤها زخارف الرومي داخل حنية تشبه حنية المحراب معقودة بعقد مدبب، وهي تقع على جانبي مدخل التربة، ويعلو هذه الحشوات ومدخل التربة والنوافذ شريط كتابي منفذ بخط الثلث على أرضية زرقاء عبارة عن البسملة وبعض من أسماء الله الحسنى، ونص هذه الكتابة: «بسم الله الرحمن الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور، الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرفع المعز المذل السميع البصير، الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير، الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد، الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد»، ويعلوه إطار من الأوراق النباتية الثلاثية، ويعلوه إطار آخر من سيقان متماوجة تخرج منها أزهار الرمان وأوراق نباتية رمحية مسننة، ويعلو إطار ثالث من زخارف الرومي.

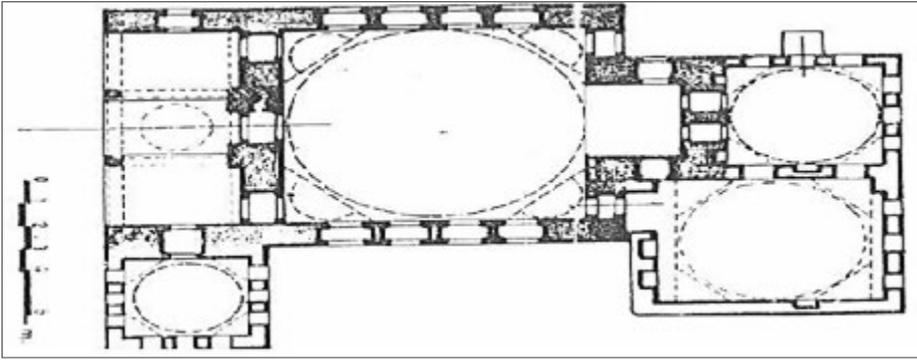


صورة (١٢٦): تفرغ لمدخل التربة (نقلًا عن: المديرية العامة لأوقاف إستانبول)

٣. مدخل التُّربة:

عبارة عن دخلة يتوجها عقد موتور يغلق عليه مصراعان من الخشب المطعم بالعاج والصدف (صورة: ١٢٦)، وتُنقش على كل مصراع نص كتابي دعائي؛ بالمصراع الأول (يا مفتاح الأبواب)، وبالمصراع الثاني (افتح لنا خير باب)، وذلك داخل حشوة تؤطرها أشكال نجمية متكررة يليها إطار مجدول، ويعلو عقد المدخل حشوة مستطيلة تضمنت اقتباساً قرآنياً منفذاً بخط الثلث المذهب على أرضية خضراء، نصه: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١).

٤. التُّربة من الداخل:



صورة (١٢٧): مسقط أفقي لتُّربة خديجة تورخان سلطان. نقلاً عن:
(Ünsal, Istanbul Türbeleri, s. 117)

تأخذ التُّربة تخطيطاً مربع الشكل، عبارة عن مربع سفلي فُتحت بضلعه الشمالي الشرقي فتحة باب الدخول التي تؤدي عبر دهليز إلى داخل التُّربة (صورة: ١٢٧)، وتكسو الدهليز بلاطات خزفية نُفذت عليها زخارف نباتية من سيقان متماوجة تخرج منها أزهار الرمان والقرنفل وكف السبع وغيرها، وعلى جانبي المدخل نافذتان بواقع نافذة في كل جهة تطل على الرواق الخارجي، أما القبة من الداخل فقد فتح بكل جدار من الجدارين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي عدد من النوافذ في ثلاثة مستويات، تأخذ نوافذ المستوى السفلي أشكالاً مستطيلة، وأما نوافذ المستوى الأوسط والعلوي فمعمودة بعقود مدببة يغطيها الجص المفرغ والمعشق

(١) سورة البقرة، الآية رقم ٢٠١.

بالزجاج الملون الذي يعطي أشكالاً زخرفية هندسية، ويحتوي الضلع الشمالي الغربي على دولا ب حائطي (خزانة) يقع على جانبي المدخل، وتكسو جدران القبة بلاطات خزفية تشبه مثيلاتها الموجودة على جدران الجامع لتعطي أشكالاً زخرفية متعددة، منها: أشكال المزهريات، والبخاريات، ومنها أشكال السيقان النباتية والأفرع المتماوجة التي تخرج منها الأوراق النباتية الرحيمة المسننة وأزهار القرنفل وزخارف الرومي باللون الأبيض على أرضية زرقاء، ونُفذت زخارف بعض الحشوات هبيئة عقد مدبب زُخرفت كوشتاه بزخارف الرومي، التي تشكلت عن طريق تجميع عدد من البلاطات الخزفية إلى جانب بعضها البعض، بما يدل على أن البلاطات قد صنعت خصوصاً لتعطي الشكل الزخرفي المطلوب، ولتوضع في أماكنها التي تم التخطيط لوضعها فيها سابقاً، ويعلو الحشوات الخزفية الموجودة بالجدران السفلية من التربة إفريز من البلاطات الخزفية تتضمن اقتباساً قرآنيًا منفذاً بخط الثلث الأبيض على أرضية زرقاء من سورة الملك كاملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَجْسَادَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِيهَا خَلْقَ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ..... قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١﴾.

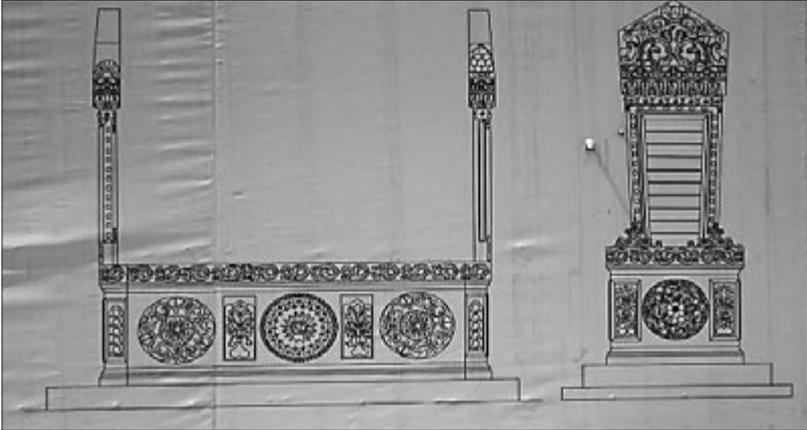
وقد فتح بمنتصف الجهة الجنوبية الغربية على محور المحراب إيوان أو تربة صغيرة مربعة الشكل تطل على التربة الرئيسة بعقد مدبب يفتح بكامله على التربة، وعلى جانبيه نافذتان، وبهذا الجزء تمت إضافة محرابين صغيرين تكسوهما بلاطات خزفية تملؤها الزخارف النباتية.

القبة: تغطي تربة خديجة تورخان سلطان قبة كبيرة تقوم على مناطق انتقال تحول مربع التربة السفلي إلى رقبة مثمثة، وذلك بواسطة حنايا على هيئة أربعة أنصاف قباب بواقع حنية ذات عقد مدبب في كل ركن من أركان المربع السفلي، وتزين هذه الحنايا زخارف الرومي البيضاء على أرضية حمراء، وبين مناطق الانتقال تم عمل نوافذ (هي النوافذ العلوية) داخل تجويف هبيئة العقد المدبب لتشتمل منطقة الانتقال على ثمانية عقود؛ أربعة منها في مناطق الانتقال وأربعة أخرى تتوسط مناطق

(١) سورة الملك كاملة.

الانتقال، وقد سُغلت كوشات هذه العقود جميعها بزخارف نباتية من الرومي والهاتاي بلون أبيض على أرضية حمراء اللون، أما خوذة القبة فتشبه القباب الركنية الصغيرة بالحرم المغطى من الجامع، وهي عبارة عن أشرطة زخرفية متتابعة تضم بخاريات مختلفة الألوان تملؤها زخارف الرومي، وأما مركز باطن القبة فتزينه جامة مستديرة تشغلها الخطوط المشابكة في هيئة هندسية بديعة داخل جامة أخرى دائرية أيضاً تملؤها الزخارف النباتية.

تراكيب الدفن: وهي تعلق المقبورين، إذ تضم تربة خديجة تورخان سلطان عددًا من تراكيب الدفن الخشبية ذات الشكل المنشوري، وتخص بعض هذه التراكيب سلاطين عثمانيين تحيط بها سياج خشبي تزينه أشكال المعينات^(١)، ومن السلاطين الذين دُفنوا في هذه التربة كل من: السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/١٦٤٨-١٦٨٧م)، والسلطان مصطفى الثاني (١١٠٦-١١١٥هـ/١٦٩٥-١٧٠٣م)، والسلطان أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هـ/١٧٠٣-١٧٣٠م)، والسلطان محمود الأول (١١٤٣-١١٦٨هـ/١٧٣٠-١٧٥٤م)، والسلطان عثمان الثالث (١١٦٨-١١٧١هـ/١٧٥٤-١٧٥٧م)، إلى جانب خديجة تورخان سلطان نفسها (صورة: ١٢٨)، وعدد من أبناء السلاطين: محمد الرابع ومصطفى الثاني ومحمود الأول^(٢).



صورة (١٢٨): تركيبية الدفن الخاصة بالواقفة خديجة تورخان سلطان
(نقلًا عن: الإدارة العامة لأوقاف إستانبول)

(١) ينظر: عمارة التراب العثمانية، محمد عبد الشكور أبو زيد، ص ٢٥٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨.

ج) السبيل والچشمة:

١. الموقع: يقع السبيل في الزاوية التي تربط بين شارع شيخ الإسلام وشارع بني جامع، فهو يقع إلى الجنوب من الجامع، وقد كان ملحقاً بدار القراء ومكتب الصبيان والچشمة، إلا أن مكتب الصبيان ودار القراء قد تهدما ولم يتبق سوى السبيل والچشمة^(١).

٢. تاريخ الإنشاء: يحتوي السبيل على نص إنشائي يؤرخ لبنائه بسنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣-١٦٦٤م، وهو مسجل بحساب الجُمَّل بعبارة (كان خيراً في سبيل).

٣. الوصف المعماري للسبيل: يندرج السبيل ضمن الأسبلة المستقلة حالياً، ولكنه كان ملتصقاً في الأصل بدار القراء ومكتب الصبيان، وهو سبيل ذو واجهة مضلعة (مقوسة) يتكون من مبنى مستطيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يمثل القسم الأوسط منها حجرة التسبيل وعلى جانبها الأيمن خزان الماء يطل على الخارج بالچشمة، أما القسم الثالث الأيسر فيمثل فناء السبيل.

٤. الواجهات الخارجية:

للسبيل واجهتان: إحداهما رئيسة وهي الجنوبية الشرقية والأخرى جانبية وهي الشمالية الشرقية، فأما الواجهة الجانبية فهي بسيطة وتحتوي على فتحة باب تؤدي إلى مساحة مستطيلة مكشوفة بصدورها مدخل يؤدي إلى فناء السبيل الداخلي، وإلى يساره فتحة باب تؤدي إلى حجرة التسبيل.

الواجهة الرئيسية: وهي الواجهة الجنوبية الشرقية، وهي تُمثل واجهة أقسام السبيل الثلاثة، وهي تبدأ من الشرق بواجهة الخزان.

واجهة الخزان: عبارة عن جزء بارز عن واجهة حجرة الخزان يحدها من الجانبين عمودان حلزونيان يبدأ كل منهما وينتهي بدلاية معقودة، ويحصران بينهما الچشمة المعقودة (صورة: ١٢٩) بعقد مدبب يأخذ تجويفاً يشبه المحراب، وتنتهي الچشمة من الأسفل بحوض رخامي مستطيل الشكل، أما الجزء العلوي من واجهة الچشمة فهو عبارة عن منطقة مستطيلة، شُغلت ببعض الكتابات التي نُفذت بخط نستعليق

(١) ينظر: عمارة الأسبلة العثمانية، دعاء صلاح خالد، ص ١٠٥.



صورة (١٢٩): الجشمة ونص الإنشاء الذي يعلوها (نقلاً عن: عمارة الأسبلة، دعاء صلاح خالد) المذهب على أرضية حمراء في ثلاثة صفوف، بواقع أربعة بحور كتابية في كل صف، يبلغ مجموعها اثني عشر بحراً كتابياً، نصها:

س ١	ام بر جود محمد خان كيم	ذاتيدر عالمده ذو القدر الجليل	في سبيل الله بنياد ايلدي عالي سبيل	راه حقه بويله بر عالي سبيل
س ٢	تشنكان ايجون جنانندن متصل	اقددي اول ميزابه اب سبيل	كيمسه يه اولمز ميسر دنيه ده	بويله چشمة بويله بر خير جميل
س ٣	سعي مشكور اولوبن حق حضرتي	ويره عقباهه اجورات جزيل	انك اتمانن كوروب تاريخ ايجون	ديدي هاتف كان خيرافي سبيل ١٠٧٤

وأما ترجمة^(١) هذا النقش:

(١) الترجمة بتصرف عن: الكتابات التركية العثمانية على أسبلة إستانبول مع ترجمة الكتابين الأول والثاني من سلسلة «أسبلة إستانبول»، أروجون باريشتا، صباح علي الطباخ، رسالة (دكتوراة) بقسم اللغة التركية وآدابها، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠١٢م، ص ١٠٩.

س ١	والدة السلطان محمد خان كثير الجود	صاحب القدر الجليل في العالم	شيدت في سبيل الله سبيلاً عظيماً كهذا ابتغاء وجه الله
س ٢	أسالت الماء الزلال في هذا الحوض	من أجل الظمان لتتصل بالجنان	لم يكن ميسر في الدنيا لأي شخص أن يبني عين ماء على هذا النحو الجميل
س ٣	فليكن سعي حضرتها مشكوراً	وليشبها الله تعالى الجزاء الجزيل في الآخرة	رأى هاتف اكتماله، وقال من أجل التاريخ كان خيراً في سبيل ١٠٧٤

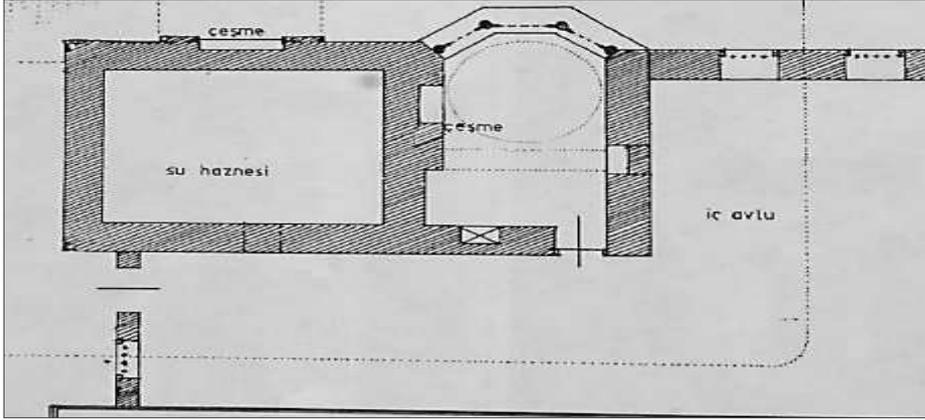
واجهه حجرة التسبيل (صورة: ١٣٠): عبارة عن كتلة رخامية تبرز عن واجهه السبيل بشكل مقوس أو مضلع من ثلاثة أضلاع، يتوسط كل ضلع منها دخلة معقودة بعقد مدبب ذي مركزين يرتكز على عمودين مدمجين من الرخام الأملس لهما تيجان مقرنصة، ويتوسط الدخلات فتحات شبابيك التسبيل، وكل فتحة عبارة عن شبك معقود بعقد موتور يغشيها من الخارج شبك معدني من دوائر متقاطعة ومتداخلة ينتهي من الأسفل ببائكة من عقود مدببة، وزُينت الواجهة بزخارف الهاتاي في أعلى الواجهة، ويتوج قمة الجشمة والسبيل من الأعلى صف من الدلايات، ويُعدّ السبيل فريداً من نوعه، إذ يجمع بين الجشمة والسبيل في مبنى واحد.



صورة (١٣٠): واجهه السبيل بملحقاته (عمارة الأسبلة، دعاء صلاح خالد)

واجهته فناء السبيل: تنخفض عن مستوى السبيل والخزان وترتدّ إلى الداخل عنهما، وقد فتح بها شباكان مستطيلان يؤطرهما شريط من الرخام الأبيض، ويغطي السبيل من الأعلى سقف خشبي مائل.

٥. الوصف الداخلي للسبيل (صورة: ١٣١):



صورة (١٣١): المسقط الأفقي لسبيل خديجة تورخان سلطان. نقلاً عن:

(Bahçet, Türk Mimarlığında Klasik sebil, s. 18)

يتم الدخول إلى حجرة التسبيل عبر فتحة باب معقودة بعقد موتور تفضي إلى داخل حجرة التسبيل، وهي عبارة عن حجرة مستطيلة تكسو الجزء السفلي منها كسوات رخامية بيضاء يعلوها بلاطات خزفية تكسو الجزء العلوي، وتشتمل البلاطات الخزفية على زخارف نباتية باللون الأحمر والأبيض والتركوازي على أرضية من اللون الأزرق، قوامها أزهار اللالا والرمال والأوراق النباتية الرحيمة المسننة، وتنقسم الحجرة إلى قسمين بواسطة عقد حجري مدبب، القسم الخارجي عبارة عن مساحة مربعة المسقط يحدها ثلاثة جدران، ومن الجهة الرابعة يفتح على القسم الداخلي، ويتصدرها شبايك التسبيل الثلاثة، ويقع كل شباك داخل عقد رخامي مدبب يرتكز على عمودين مدججين من الرخام، وتغطي هذا القسم قبة صغيرة تقوم على مثلثات كروية تملؤها الزخارف النباتية، أما القبة (صورة: ١٣٢) فيزينها شكل سداسي تملؤه زخارف الرومي البيضاء على أرضية حمراء اللون، وتلتف حول الشكل السداسي اثنا عشرة بخارية، وبداخل هذا القسم چشمة داخلية عبارة عن دخلة معقودة بعقد مدبب يقع أسفله حوض التسبيل من الرخام الأبيض (صورة: ١٣٣).



صورة (١٣٣): الجشمة الداخلية بحجرة السبيل (بمعرفة الباحث)



صورة (١٣٢): سقف حجرة السبيل الداخلية (بمعرفة الباحث)

وأما القسم الداخلي من حجرة التسبيل فهو عبارة عن مساحة مستطيلة يغطيها سقف مسطح تزيينه زخارف الرومي وتتوسطها بخارية (ينظر: صورة: ١٣٢)، لتعطي الزخارف في جملتها هيئة تشبه سجاجيد الصلاة التركية^(١). الخزان وفناء السبيل: يأخذ خزان السبيل التخطيط المستطيل أقرب إلى مربع، وللأسف فهو مغلق لم أستطع دخوله، أما فناء السبيل فهو يلتف حول الخزان وحجرة التسبيل ليأخذ هيئة حرف (L) (ينظر: صورة: ١٣١)، وهو فناء بسيط فُتحت بجداره الخارجي أربع فتحات نوافذ.

(د) سوق الوالدة الجديد (البازار المصري):

يندرج السوق الملحق بالمجمع ضمن طرز المنشآت التجارية العثمانية التي تُعرف باسم الأراستا، والأراستا: مصطلح معماري تجاري تم استحداثه في أثناء العهد العثماني كمصدر ربحي للأوقاف، ولم يكن له وجود قبل ذلك، وإن وُجد جوهر

(١) ينظر: عمارة الأسبلة العثمانية، دعاء صلاح خالد، ص ١٠٩.

تخطيطه في كثير من البازارات، ولا سيما في إيران وغيرها أو القياس^(١) التي كانت في البلدان العربية والتي كانت موجودة قبل ذلك، إذ إن بناء الأسواق كان يتم في اتجاهات مختلفة، وكان أحد تلك الاتجاهات في التكوين المعماري للأسواق هو بناء الحوائط المتراصة على جانبي الشارع الرئيس أو الشوارع الفرعية المتسعة، وكان هذا النمط يرتبط وجوده بالشوارع النافذة، وصنفت حوائطه أيضًا تصنيفًا تجاريًا يمنع وقوع الضرر، ويمكن من مراقبة الأسواق ويسهل على المشتري الوصول إلى حاجته^(٢)، إلا أنه لم يصطلح على تسمية ذلك النوع من التخطيط بالأراستا، حيث إن التسمية جاءت من اللفظة فارسية الأصل (Arasta) والتي تعني المزخرف أو المزين^(٣)، ثم لم تلبث أن أُستُعيرت منذ النصف الثاني من القرن ٩هـ/ ١٥م للدلالة على نوع معين وقسم من البازار (السوق)^(٤)، ثم أصبحت الكلمة تدل على نمط معين من أنماط العمائر التجارية في العهد العثماني، والتي تأخذ في جوهر تخطيطها

(١) «القيصرية» مصطلح غير عربي دخل إلى العربية بالتقادم، وهو مشتق من اسم قيصر (Cesar) أو قيصرية (Ce-sarie)، وهذا المصطلح يعني سوقًا صغيرة مخصصة لبيع سلعة معينة، وقد حُرّف الاسم من قيصر إلى قيصرية والجمع قياصر، وقد أورد ياقوت الحموي نسبتها إلى مدينة قيسارية، كما عرفها باحث آخر بأنها جاءت من البازيليكا، وهي الكنيسة ذات الأروقة الثلاثة أوسعها الرواق الأوسط نسبة إلى بازيلوس (Basileus) إمبراطور القسطنطينية والذي يعادل لقب قيصر روما، وقد أُطلق هذا الاسم على الأسواق القائمة في وسط المدينة التي تحف بها البوائك، والتي تحولت إلى المصطلح الدارج قيسارية. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢١٤؛ والمنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، أمال العمري، رسالة (دكتوراة)، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١١٧-١١٨؛ والتراث المعماري الإسلامي في مصر، صالح لمعي مصطفى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٧٥؛ وطرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، نعيم زكي فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ والوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، رفعت موسى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٧؛ والعمارة والفنون في دولة الإسلام، سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م، ص ٢٠٩؛ والمنشآت التجارية بمدينة القاهرة في القرن التاسع عشر الميلادي (١٣هـ/ ١٩م) «دراسة أثرية حضارية»، ضياء محمد جاد الكريم زهران، رسالة (دكتوراة)، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٤٤-٤٥.

(٢) ينظر: المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م، ص ٢٣٢.

(٣) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

(٤) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٦١؛ والعمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ٢٠٤؛

Türk Çarşılarında Dua Kubbeleri, (Yılmaz Önge), Önasya, Sy. 6, Ankara, 1970, S. 63; Typical Commercial Buildings (op.cit), (Mustafa Cezar), Pp. 22, 129; Tarihi Türk Ticaret Yapıları Kapsamında Kastamonu Hanları, (Hüseyin Asar), Yüksek Lisans TEZİ, Mimarlık Anabilim Dalını, Fen Bilimleri Enstitüsü, Selçuk Üniversitesi, Konya, 2011, S. 11.

هيئة الممر أو الشارع الذي تصطف على جانبيه المحلات^(١) سواء غُطي هذا الممر أم ترك مكشوفاً، وسواء كانت المحلات تقع في صف واحد أم صفين على جانبي الممر، وهي ذات طراز معماري يختلف اختلافاً جذرياً عن البادستان والطرز الأخرى للمنشآت التجارية.

وقد بُنى الأراستا من الحجر أو الآجر، إلا أنها غالباً ما تسقف بالأقبية وأحياناً بالقباب، وفي أحيان أخرى كانت تبنى من الخشب، إلا أنه في حالة بنائها من الخشب كان يترك الممر الذي يتوسط الحوانيت مكشوفاً^(٢).

ويُعدّ هذا النمط امتداداً للأسواق التي كانت موجودة بالمدينة في العصور القديمة، وخاصة العصر الروماني والبيزنطي، حيث كانت الأسواق في المدن الرومانية تقام حول الميدان (Forum) والمعابد والكنائس، ثم أنشئت الدكاكين على جانبي الشوارع وشاع ذلك في العصر البيزنطي^(٣)، إلا أنه في العصر الإسلامي تنوعت وتعددت طرز وأنماط المنشآت ذات الطابع التجاري الثابتة في موضعها، بالإضافة إلى الأسواق المعهودة منذ القدم والتي تقام بصفة موسمية وليست دائمة وتأخذ صفة التنقل، والتي كانت تشغل غالباً بعض الأماكن العامة التي تحدد طبقاً للقوانين المنظمة لتلك العملية، وكانت تلك الأسواق في المدن الكبرى تنصب لمدة يوم كامل، أما في الأحياء الصغرى فكانت تظل منصوبة حتى الظهيرة أو لعدة ساعات ثم تنفض^(٤).

وُبنى الأراستا إما مستقلة بذاتها في البناء أو تلحق بغيرها من العمار، حيث كانت جزءاً من مباني الوقف التي توقف لتدر دخلاً يغطي نفقات المنشآت التي تؤدي خدماتها بالمجان، ويكون بناؤها في العادة ملحقةً وملتصقةً بالمنشآت التي بنيت الأراستا كجزء من أوقافها، وفي حالة أن تكون مستقلة في بنائها ولا تلتصق

(1) Istanbul Yemiş Çarşısı, (Göksel Kılınc) Mimar Sinan Üniversitesi, Fen Bilimleri Enstitüsü, Yüksek Lisans Tezi, İstanbul, 1988, S. 20-24; Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, "Arasta".

(2) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٦١؛ والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

(3) Tradition, Continuity And Change In The Physical Environment, The Arab Muslim City, (Saleh Ali El-Hathloul), Ph.D. Thesis Submitted To The Department Of Architecture At M.I.T. 1981, P. 72.

(4) 16. Yüzyılda Batı Ve Güney Sancaklarında Belirli Aralıklarla Kurulan Pazarlar, İçel, Hamid, Karahisar-I Sahib, Kütahya, Aydın Ve Mentşe, (Suraiya Faroghi), Odtü Gelişme Dergisi, Özel Sayısı, 1978, S. 39-85;

والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

بجدران أيّ مبانٍ أخرى مثل أراستا السوق المصري بمدينة إستانبول فإنها تكون موقوفة بحجة أو وثيقة وقف ضمن إحدى الكليات الكبرى، سواء في إستانبول أم في غيرها من المدن العثمانية، حيث كانت الأراستا من أهم المباني الربحية بمعظم الكليات العثمانية.

وكثير من الناس كانوا قد بنوا بعض المحلات التجارية الخاصة بهم بهدف الربح، إلا أنها لم تكن تدخل ضمن نطاق طراز الأراستا التجاري الذي عرف منذ القرن ٩هـ/ ١٥م، حتى تكون في هيئة سلسلة من المحلات المتجاورة على هيئة صف واحد وتطل بفتحاتها على شارع خارجي أو على ممر محصور بين صفيين من المحلات^(١)، وكان انتشارها بتلك الهيئة منذ عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م)، عندما صممت شوارع منطقة السوق المغطى المركزي بمدينة بورصة أهم المدن العثمانية قبل فتح إستانبول على هيئة الأراستا، وكذلك بناء الوزير Ishak باشا للأراستا المعروفة باسم Gelincik Çarşı^(٢)، وتوالى إنشاء المحلات في هيئة صفوف على جوانب شوارع أو ممرات رئيسة في مختلف المناطق التجارية التي أنشئت بعد ذلك، وخاصة السوق المغطى بمدينة إستانبول، لتكون شوارع السوق في هيئة شبكة متداخلة من الأراستات، وكان أول أراستا مستقلة في بنائها أنشئت بمدينة إستانبول في المكان الذي يعرف حالياً باسم سراجخانه وذلك سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، والتي أنشأها السلطان الفاتح لصانعي سروج الخيول التي تستخدم في الفتوحات، حيث كانت تستخدم كأماكن لصناعة السروج وبيعها في ذات الوقت ووقف ريعها على جامع آيا صوفيا^(٣)، ومن المؤسف أنها تهدمت ولم يبقَ من أثرها سوى الحى الذي يعرف بذلك الاسم، إلا أن الكليات والمجمعات المعمارية المختلفة احتوت في داخلها على نوعين من المنشآت: أحدهما خدمي يقدم خدماته بدون مقابل مثل المسجد

(3) Typical Commercial Buildings (op. cit), (Muftafa Cezar), P. 129; Dictionary Of Islamic Architecture, (Andrew Petersen), London And New York, 1996, P. 24.

(2) Ottoman Cyprus, A Collection Of Studies On History And Culture, (Eftihios Gavriel & Others), Publications By Turkish And Middle Eastern Studies Department University Of Cyprus, Nicosia, 2009, Pp. 232-235.

والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، ص ٧٥٢؛ والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

والمدرسة والسبيل وغير ذلك، والنوع الثاني من المنشآت هي المنشآت الربحية كالحمامات والمنشآت التجارية التي كانت من أهمها الأراستا؛ ككلية السليمانية سنة ١٥٥٧م، وكلية السلطان أحمد الأول سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م، وكلية يني جامع أول الكليات المعمارية الكبرى بمنطقة القرن الذهبي، والتي بنيت على مرحلتين من ١٠٠٥-١٠١٢هـ/١٥٩٧-١٦٠٣م ثم استكمل البناء سنة ١٠٧٤هـ/١٦٦٤م، وكلية الصدر الأعظم داماد^(١) إبراهيم باشا في عهد السلطان أحمد الثالث.

هذا وقد انتشرت الأراستا في مختلف المدن العثمانية في تركيا والبلقان والأقطار العربية واشتهر الكثير منها، إلا أن أكثرها شهرة هي الأراستا التي تُعرف باسم السوق المصري الملحق بكلية يني جامع بمدينة إستانبول، وأراستا السليمانية التي أنشأها السلطان مراد الثالث كوقف على مجمع السليمانية بمدينة أدرنة^(٢).

١. الوصف المعماري لأراستا السوق المصري (سبق إيراد صور له):

تُعدّ الأراستا الملحقة بمجمع الوالدة الجديد «يني جامع» بإستانبول من أبداع النماذج الباقية وأروعها، بل وتُمثّل الطراز الكلاسيكي للعمارة العثمانية خير تمثيل، وقد اشتهرت منذ القرن ١١هـ/١٧م باسم السوق المصري (Mısır Çarşısı)^(٣)، وذلك لأنه استخدم خصوصاً للمنتجات القادمة من مصر وخاصة التوابل، كما يعرف في اللغة الإنجليزية باسم سوق التوابل والأعشاب الطبيعية لتوفير كل ما يلزم ولائم السلاطين، ولا تزال هذه المنتجات تباع في السوق إلى اليوم، غير أنه أصبح يعرض فيه مختلف أنواع البضائع والمنتجات الأخرى، ليكون بذلك من أهم الأسواق وأكثرها شعبية في مدينة إستانبول^(٤).

وصُمم السوق على شكل تخطيط هندسي فريد بين الأسواق العثمانية، فهو يأخذ

(١) تعني النسب، وحمل إبراهيم باشا هذا اللقب لأنه تزوج من أخت السلطان، وهو لقب كان يطلق على من تزوج بإحدى النساء من القصر العثماني. ينظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، عبد العزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٥٧؛ والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), Pp. 261-263.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٦١؛ والمنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٩٤-٩٧.

Tarihi Ve Medeniyetin Beşiği Çarşılar (op. cit), (Hüseyin Öztürk), S. 90

(4) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P.339; e Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firūzan Sūmertāş), P.123.

هيئة حرف L الذي نتج عن تقاطع شارعي السوق مع بعضهما بشكل عمودي، ويبلغ طول ضلعيه حوالي ٢٦٥ مترًا، ليكونا في منطقة التقاطع مسجدًا داخليًا في السوق، كما أنها جمعت في بنائها بين الحجر والآجر^(١).

٢. البازار من الداخل:

وضع المهندس الكبير داود أغا تصميم السوق في سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٧م^(٢)، وهو عبارة عن شارعين متعامدين على بعضهما ليكونا بذلك الهيئة التي انفرد بها السوق عن غيره (سبق إيراد صور له)، فيما تصطف الحوانيت والمحلات التجارية على جانبي كل شارع منها في شكل متناسق ومتقابل بديع، ويقع السوق إلى الجنوب الغربي من جامع الوالدة الجديد، حيث يُدخَل إلى داخل السوق بواسطة عدد من المداخل تبلغ في مجموعها ستة مداخل؛ اثنين منها رئيسيين وأربعة فرعية، حيث يطل المدخل الشمالي الرئيس للضلع الغربي من السوق على ساحة مكشوفة تطل على مياه خليج القرن الذهبي مباشرة، يؤدي عبر فتحة باب إلى الممر القصير الغربي، وهو عبارة عن شارع أو ممر طولي يُدخَل إليه عبر العقد الأوسط من الواجهة الغربية، التي تأخذ هيئة البائكة الثلاثية المعقودة بعقود مدببة، وتؤدي الفتحة إلى الممر الشمالي الغربي من السوق، وهو عبارة عن ممر طولي مغطى بقبو طولي يرتفع عن مستوى الجدران ويرتكز على الجدران بواجهات المحلات الموجودة، وبالنظر إلى سقف الممر نجد أن البناء يحتوي على أساليب مبتكرة لتقوية الممر عن طريق عمل عقود سائدة تأخذ هيئة الحليات بشكل عقود مدببة، بُنيت من الصنجات المتراسة من الحجر وترتكز من الطرفين على جدران المحلات، وهي كذلك تضيف منظرًا جماليًا يكسر الجمود الناتج عن امتداد القبو لمسافة طويلة مع خلوه من الزخارف أو النقوش، وتتخلل فتحات النوافذ المعقودة بعقود نصف دائرية القبو، بواقع فتحتي نوافذ متواجهتين تتبادلان مع العقد المدبب السابق، وهي تبرز عمق وسمك القبو نفسه، إذ إنها تأخذ الشكل المائل مع ميل القبو للداخل مما نتج عنه اتساعها من أعلى كلما

(1) Typical Commercial Buildings (op. cit), (Mustafa Cezar), Pp. 129-132; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 358.

(2) Erdeman, Die Maerkte Von Istanbul (op. cit), (Orhan Erdeman), pp. 14-15; Osmanli Devri Mimaris, (op. cit), (Oktay Aslanapa), S. 402-410.

اقتربنا من مركز القبو، وقد تخللت هذه العقود القبو بشكل دقيق ليفصل بين كل عقد وآخر زوج من المحلات المتقابلة، تعلوهما نافذتان متقابلتان بطول البازار. وقد غُطي السقف بالملاط الأبيض الذي يخلو من الزخارف أو النقوش، وتبدل منه بعض السلاسل الحديدية التي علق بها أدوات الإنارة المعدنية. القسم الغربي للبازار (القصير):



صورة (١٣٤): واجهة السوق الشمالية جهة القرن الذهبي (بوابة بائعي السمك) (تصوير الباحث)

يبدأ من الشمال إلى الجنوب وبطول ١١٩ م، ويتوسطه الممر المقبى باتساع ٧ م ما بين بوابتي بائعي السمك (صورة: ١٣٤) Balık Pazari Kapisi وبائعي الكتان Ketenciler Kapisi، حيث يدخل إلى السوق من العقد الأوسط في الواجهة الشمالية لهذا الضلع من بوابة سوق السمك، لنجد منطقة مغطاة بقبو متقاطع تتقدم باب الدخول من الخارج، ويتم الدخول من فتحة الباب التي يبلغ اتساعها ٧٠ م، إلى الممر الذي يبلغ اتساعه ٧ م مباشرة عبر الباب الذي يغلق عليه مصراعان خشبيان قويان مصفحان بالحديد، ويبلغ كل مصراع منهما حوالي ٤٢ م، بارتفاع ٧٥ م، تم طلاؤهما باللون الأخضر، ويقع على جانبي الباب ضمن المنطقة المربعة المغطاة

بالقبو المتقاطع عضادتان تحصران دخلة الباب بينهما وتبلغ كل منهما حوالي ٠٧, ١ م بسمك ٣٢ سم، ويتوج دخلة الباب عقد موتور من الحجر داخل عقد مدبب كبير حجري، ويتم الدخول من الباب لنجد عقداً موتوراً آخر بعد ٥٠, ١ م ليكون مصراعي الباب عند فتحهما داخل العقدين الموتورين، ثم يتم الدخول إلى الممر الذي يصطف على جانبه ٣٦ محلاً بواقع ١٨ محلاً في كل جانب، ويبلغ عرض هذا الشارع أو الضلع الغربي شاملاً الممر والمحلات على الجانبين ٢٢ م، وتأخذ المحلات هيئة المسقط مربع الشكل الذي يغطي كلاً منها قبو برميلي الشكل من الداخل فيما نجده من الخارج تعلوه قبة ضحلة، ويطل كل من صفي المحلات بواجهته المعقودة بعقود مدببة على الممر القببي، وقد فُتحت في الضلع الخارجي بكل من هذه المحلات فتحة شبك ذات عتب مستقيم مغطاة بمصبغات معدنية من الحديد.

ونجد ملتصقاً بالجدار الخارجي لهذا الضلع جهة الغرب منه ١٨ محلاً آخر، تطل بواجهتها إلى الخارج على Tahmis sk. ببرز يبلغ ٤ م عن الجدار، وهي ذات مسقط مستطيل وتغطيها قباب تشبه مثيلاتها التي تغطي المحلات الداخلية، وينتهي هذا الضلع من الجنوب ببوابة بائعي الكتان Ketenciler Kapisi التي تقع في الجدار الجنوبي للضلع الآخر، وتطل على زقاق خان الصابون (Sabuncu hanı sokağı). القسم الجنوبي للبازار (الطويل):

يشبه الضلع الآخر، حيث يتوسطه الممر الطولي القببي باتساع ٧ م أيضاً، وتتخلله العقود المدببة وفتحات النوافذ لعملية الإضاءة والتهوية، ويبدأ من الشرق للغرب بباب الحياة (صورة: ١٣٥) أو بوابة Haseki Kapisi، ويمتد غرباً بطول ٥, ١٤٥ م حتى يتقاطع مع الشارع القصير مكونين بذلك منطقة وسطى مربعة، كانت تستخدم كمسجد لصلاة الحراس والمقيمين داخل السوق. كان البازار يفتح لساعات محددة ثم تغلق أبوابه بعد ذلك، ويباشر المراقبون الليليون والحراس أعمال الحراسة ولا يخرجون من السوق حتى تُفتح أبوابه في اليوم التالي، فكان لزاماً من توفير مكان لإقامتهم صلوات الليل فاستخدمت منطقة التقاء الشارعين لذلك الغرض، كما عُيِّن لهم قارئ للقرآن الكريم لتأدية صلاة الفجر والصلوات الأخرى بالسوق، الذي

كان يعرف باسم سوق الوالدة السلطاني أو السوق الجديد Suk- i sultani, Vali- Çarşı (yeni) de، كما تذكر الوقفية^(١)، وتصطف المحلات على جانبي الممر المقبي حيث يبلغ عرض هذا الضلع ٢٥م، ويزيد عدد المحلات هنا على عدد المحلات بالضلع القصير بواقع خمسة محلات في كل جانب من جانبي الممر، ليكون عددها في الضلع الطويل ٤٦ محلاً تأخذ جميعها المسقط مستطيل الشكل المغطى بقباب ضحلة، وفتحت بكل منها فتحة شبك تشبه مثيلاتها في الضلع القصير، بالإضافة إلى ستة محلات أخرى بمنطقة التقاء الشارعين، ليصل بذلك إجمالي عدد المحلات داخل بوابات السوق المصري ١٠٦ محلات، بخلاف المحلات التي تقع على جانبي بوابتي السوق الرئيسيتين بنهاية ضلعي البازار، كما يوجد في الأعلى بعض المحلات يستعمل بعضها مطعمًا مثل: Pandelis، والذي يُعدّ من أشهر مطاعم المأكولات بالمدينة ويقع أعلى بوابة Haseki.



صورة (١٣٥): كتلة المدخل لباب الحياة أو بوابة خاصكي (تصوير الباحث)

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٧٥.

ويقع بهذا الضلع أربعة مداخل، حيث يبدأ الممر من الشرق ببوابة (Haseki) وينتهي ببوابة بائعي القصير غربًا (Hasircilar Kapisi) فيما يتخلله مدخلان آخران صغيران يطل أحدهما وهو باب الجامع الجديد على الساحة الوسطى للمجمع (Yeni Cami Kapisi) ويقابله في الناحية الأخرى مدخل آخر صغير هو بوابة سوق الزهور (Çiçek Pazarı Kapisi).

٣. البازار من الخارج:

للبازار عدة واجهات حرة، حيث تطل مختلف الجدران إما على شوارع خارجية وإما على الساحة الداخلية لمجمع الوالدة الجديد، فيما عدا منطقة تقاطع ضلعي السوق، حيث تتخلل فتحات الأبواب هذه الواجهات بواقع مدخلين في الضلع الغربي القصير وأربعة في الضلع الآخر.

القسم الغربي (القصير) من الخارج:

يمتد كما سبق القول من بوابة سوق السمك وحتى بوابة بائعي الكتان مطالاً بواجهته الشرقية على ساحة المجمع، ويظهر فيها أسلوب البناء المستخدم وهو التناوب ما بين الحجر والأجر بنسبة (١:٢)، تمتد واجهة المحلات لأعلى لتفتح في كل محل منها فتحة شبك مستطيلة تبلغ أبعادها (١٠ × ٥٠ سم) يغطيها مصبغات معدنية، ويحيط بها مدماك حجري تعلوه هيئة عقد مدبب من صنجات متراسة من الحجر والأجر، وتنتهي بسقف المحلات المكون من قباب صغيرة بواقع قبة أعلى كل محل يغطيها طبقة من الرصاص لمقاومة عوامل الجو وخاصة الرطوبة، وترتد الواجهة للدخل ليظهر امتداد الجدران الحاملة للقبو الطولي الذي يغطي الممر الأوسط، وقد فتح به عدد من فتحات الشبائيك مستطيلة الشكل من الخارج، ويتوجه عدد من الأشرطة الزخرفية المنفذة بالأجر المرصوص إلى جانب بعضه بشكل مسنن تحمل السقف الجمالوني^(١) الذي يغطي الممر الأوسط.

وتُمثل الواجهة الغربية منه واجهة المحلات الخارجية التي بُنيت من الحجر لزيادة تأمين المحلات عند غلقها ليلاً، ويعلو هذه الواجهة سقف مائل للخارج تحمله

(١) السقف الجمالوني: هو السقف الهرمي الذي يكون مرتفعاً أو بارزاً من المنتصف، فيما ينحدر بميل للأسفل من الخارج، وذلك لتصريف مياه الأمطار ونحوها لئلا تتراكم على الأسقف فتؤثر عليها سلباً.

أشرطة أو أفاريز من قوالب الآجر لتصرف مياه الأمطار وعدم تراكمها على سطح السوق، وقد فتح بهذا الضلع مدخلان بنهاية الممر شمالاً وجنوباً.

بوابة سوق السمك (Balık Pazari) (ينظر، صورة: ١٣٤):

هي بوابة بارزة تطل على الساحة التي تتقدمها جهة مياه خليج القرن الذهبي بواجهتها المكونة من ثلاثة عقود حجرية مدببة الشكل بالمستوى السفلي، أقلها ارتفاعاً هو العقد الأوسط الذي يؤدي إلى دركاة مربعة مغطاة بقبو متقاطع تؤدي للمدخل، في حين يمثل العقدان الآخران واجهات المحلات التي على جانبي الدخلة، وينتهي المستوى السفلي بإطار حجري بارز يعلوه المستوى العلوي المبني بالحجر والآجر، ويتخلله عدد من فتحات الشبايك المزدوجة بواقع فتحتي شباك أعلى كل عقد سفلي، حيث تأخذ جميعها هيئة العقد المنكسر الذي تبلغ أبعاده (٣٠، ٤٠ × ٢ م)، تتوسطه فتحة شباك مستطيلة مغطاه بمصبعات معدنية تبلغ أبعادها (٩٠ × ١٣٠ سم)، وهي تُمثل فتحات النوافذ للحجرات التي تعلو هذا المدخل، والتي كانت تستخدم لمبيت الحراس، ويُصعد إليها عبر سلام تلي المدخل مباشرة، وتظهر من أعلى الواجهة ثلاث قباب كبيرة الحجم تغطي حجرات الحراسة.

بوابة بائعي الكتان (Ketenciler):

هي بوابة تقع في سمت الجدار، وتطل على شارع سوق الورد (الزهور) بالجدار الجنوبي من القسم الجنوبي للسوق وبمواجهة زقاق خان الصابون، وهي عبارة عن مدخل حجري تؤطره هيئة عقد موتور حجري من صنجات حجرية، زُينت الصنجة المفتاحية منها بهيئة الترس الدائري تتوسطه زخرفة النجمة السداسية، ويغلق عليه مصراعان من الخشب المصفح بالحديد أصغر من مصراعي مدخل بائعي السمك، حيث تؤدي فتحة الباب عبر سلم من درج هابط إلى داخل منطقة تقاطع ضلعي السوق لارتفاع الشارع الخارجي المحيط بالبازار من تلك الجهة، ويعلو عقد المدخل بحر أو خرطوش مستطيل يحتوي على خرطوشتين بهما الكتابة الأثرية الوحيدة الموجودة بالسوق، والتي تشير إلى الانتصار بعد السيطرة الإسلامية

على المنطقة والدعاء بفتح أبواب الرزق، وهي عبارة عن كتابة من جزأين أحدهما يمين العقد والآخر إلى يساره، حيث كتب على اليمين نص: «نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد»، بالإضافة إلى تاريخ الإتهاء من بناء السوق في سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م، وكتب على الأخرى والتي يبدو أنها فقدت وأعيد كتابتها على لوح مستطيل علق مكانها نص الدعاء: «يا مفتح الأبواب افتح لنا خير باب»، منفذة بخط الثلث.

القسم الجنوبي (الكبير):

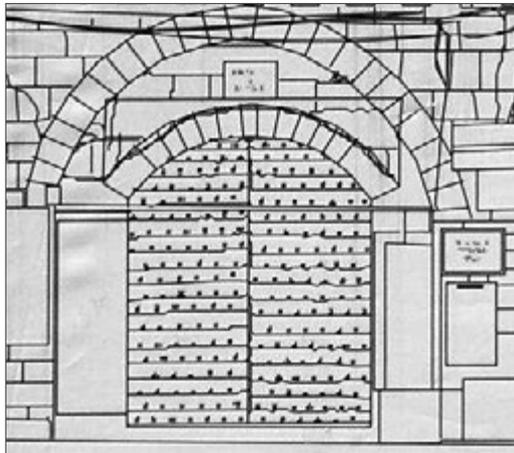
يبدأ من الشرق ببوابة Haseki أو باب الحياة ويتهي غرباً ببوابة بائعي الحصير Hasircilar، حيث يطل بواجهته الشمالية على جامع الوالدة الجديد، والتي تظهر أسلوب البناء بالحجر والآجر كما سبق القول، وقد فتحت بكل محل فتحة شبك، وتظهر القباب التي تغطي المحلات يعلوها السقف الجمالوني الذي يغطي الممر، فيما تظهر الواجهة الجنوبية المطلة على زقاق بائعي الزهور Çiçek Pazari Sokağı، وقد اختلف أسلوب بنائها عن الواجهات الأخرى، حيث بُنيت من قطع الحجارة الكبيرة التي يتخللها بعض قوالب الآجر كمدماك يفصل بين مداميك الحجارة وبعضها، وتتخللها فتحات النوافذ بواقع نافذة بكل محل تشبه الفتحات الأخرى غير أنه تؤطرها هنا هيئة العقد نصف الدائري من قوالب الآجر، وتتهي الواجهة بعدد من الأشرطة الزخرفية الناتجة عن وضع قوالب الآجر بطريقة مائلة بجانب بعضها البعض.

باب الحياة أو بوابة خاصكي (الصور: ١٣٦-١٤٠)، (ينظر، صورة: ١٣٥):

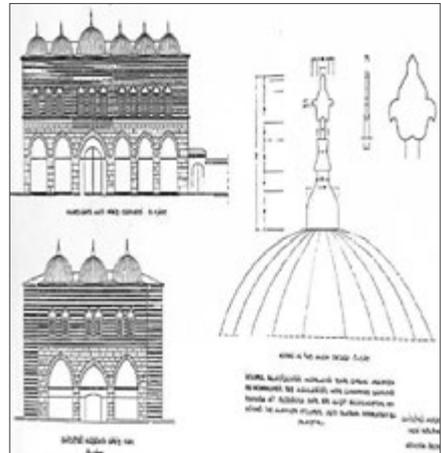
يمثل الواجهة الشرقية التي تبرز عن الضلع الجنوبي وهو عبارة عن طابقين: السفلي منهما حجري، والعلوي بني بالتناوب ما بين الحجر والآجر بنسبة البناء (٢:١)، ويقع به مطعم Pandelis، ويبلغ ارتفاع الطابقين حوالي ١٣ مترًا، وتنقسم واجهته رأسياً إلى ثلاثة أقسام: يمثل الأوسط منها فتحة باب الدخول، عبارة عن عقد كبير مدبب حجري يفضي إلى رحبة أو دركاة يغطيها قبو متقاطع يفضي إلى فتحة

باب الدخول، التي يؤطرها عقد موتور، ويغلق عليها مصراعان من الخشب القوي المصفح بالحديد المثبت بمسامير معدنية يؤدي إلى داخل الممر، ويعلو عقد الدخول من الخارج تسعة كوابيل حجرية، يأخذ كل منها هيئة الدرج المكون من ثلاث حطات يعلوها إطار حجري بارز، تحمل واجهة الطابق الثاني البارزة عن سمت جدار الواجهة، والتي تُمثل الحجرة العلوية، وقد فتح بها ثلاث فتحات شبابيك تأخذ جميعها الشكل المستطيل (١٣٠×٩٠سم)، ويؤطر كلاً منها هيئة العقد المدب، وتنتهي الواجهة بإطار حجري بارز يشبه السفلي، فيما يغطي الحجرة العلوية أكبر قباب البازار، والتي يبلغ ارتفاعها حوالي ٦٠, ٢م.

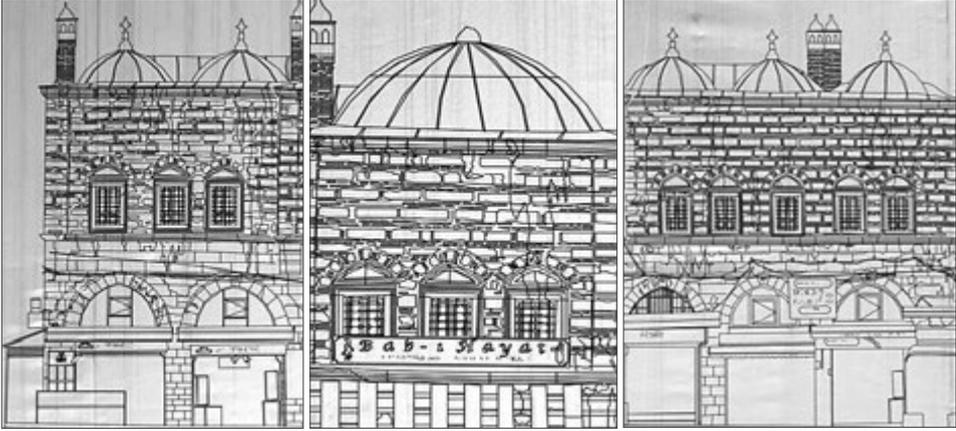
أما القسمان (الأيمن والأيسر) من هذه الواجهة فهما عبارة عن عدد من العقود المدببة، بواقع ثلاثة عقود في الجهة اليمنى واثنين في الجهة اليسرى، وتُمثل جميعها واجهات المحلات الموجودة في الواجهة على جانبي كتلة المدخل وذلك في الطابق السفلي، ويعلوها عدد من الغرف العلوية التي كانت تستخدم لحراسة السوق، وقد فتح بالواجهة عدد من فتحات النوافذ المستطيلة (١٣٠×٩٠سم) التي يؤطرها عقود مدببة، وتنتهي الواجهة بعدد من القباب بواقع ثلاث قباب في القسم الأيمن وقيتين في القسم الأيسر، وجميعها أصغر من القبة التي تعلو القسم الأوسط.



صورة (١٣٧): تفرغ لكتلة المدخل السفلية ومصراعها في بوابة الحياة.



صورة (١٣٦): تفرغ لباب الحياة (نقلًا عن: المديرية العامة للأوقاف بإستانبول).



صورة (١٤٠): تفرغ للقسم الأيسر من باب الحياة.

صورة (١٣٩): تفرغ للمنطقة الوسطى التي تعلو باب الدخول بباب الحياة.

صورة (١٣٨): تفرغ للقسم الأيمن العلوي من باب الحياة.

بوابة بائعي الحصير:

هي بوابة بارزة تقع في نهاية الضلع الجنوبي للسوق في الواجهة الغربية للضلع الغربي القصير المطل على Tahmis sk، وهي عبارة عن عقد مدبب كبير بارتفاع الممر يتوجه من الأعلى أشرطة منفذة بقوالب الآجر موضوعة بشكل مسنن، ويحصر العقد بداخله رجة أو منطقة تتقدم الباب من الخارج يغطيها قبو مدبب يتدلى منه سلسلة حديدية عُلّق بها تنور للإضاءة، وتؤدي إلى فتحة الباب التي يتوجها عقد موتور ويغلق عليها مصراعان من الخشب المصفح بالحديد، فيما تعلوها فتحة نافذة مستطيلة الشكل تفتح على الممر الجنوبي داخل منطقة التقاء ضلعي السوق.

بوابة بني جامع:

وهي تقع في سمت الجدار الشمالي من الجزء الجنوبي للسوق، وتطل على الساحة الوسطى لبني جامع ولذا سُميت باسمه، وهي بوابة صغيرة بُنيت من الحجر ويغلق عليها مصراعان من الخشب المصفح بالحديد، ويتوجها عقد موتور، غير أنها ترتفع عن أرضية ساحة المجمع، ولذا يصعد إليها بواسطة درج مستطيل على هيئة حرف (U) مكون من أربع درجات أكبرها السفلية.

بوابة سوق الزهور (Çiçek Pazari Kapisi):

وهي البوابة السادسة بالسوق والرابعة بالقسم الجنوبي منه، وهي تقع بمواجهة بوابة يني جامع وتطل على زقاق سوق الزهور، وهي بوابة صغيرة تقع في سمت الجدار الجنوبي بهيئة العقد نصف الدائري، الذي يغلق عليه مصراعان من الخشب القوي المصنح بالحديد، وقد بني الجزء الموجود به المدخل من الحجارة القوية.

(هـ) العنبر الوقفية الأخرى لخديجة تورخان سلطان:

كانت الأوقاف الأصلية لخديجة تورخان سلطان تضم إلى جانب العنبر السابقة: دارًا للقراء، ومكتبًا للصبيان، وكانا يشغلان مساحة مستطيلة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وموضعهما كان يتقدم الركن الجنوبي من المسجد، وهما ملتصقان بالشمال الغربي من السبيل الموجود حاليًا، ولكنها تهدما واحترقا ضمن ما احترق من مباني الكلية، وللأسف فلم تتم إعادة بنائهما مرة أخرى، وإلى جانب هذه الأوقاف فقد شيّدت خديجة تورخان قصرًا صغيرًا كان يقع ملاصقًا للركن الشرقي من المسجد مطلقًا على البوسفور.

لم تقتصر أوقاف خديجة تورخان على ذلك بل إنها ساهمت في الوقف الحربي أو العسكري، وعلى الرغم من أنه كان مقتصرًا على السلاطين والوزراء العظام، فورد أنها وَقَفَت قلعين عند مدخل مضيق الدردنيل لتأمين مدينة إستانبول، إلى جانب كليتها المعمارية المعروفة بإمينونو^(١)، ومن خلال وقفيتها يتبين مدى عنايتها بهذه القلاع، فقد ضمنت ضمن الوظائف التي تتقاضى رواتبها من مال الأوقاف التي أنشأتها، فقد ورد في نص مخطوطة الوقفية ما نصه: «وبر منع دفع قادر، وأمانت وديانتني ظاهر، كمسنه قلعة قبو جيسي أولوب، قلعه نك أبواب سايره سي اجيلوب وقباندوغي وقتده بوني دهبي اجوب وقبايوب، وقتندن اول اجوب وقبا مقدن، وبر طريق ايله خيانتدن احتراز ايله، ووظيفه يوميه سي أون آقجة اوله»^(٢).

(1) Osmanlı Devleti'nin Saray Teşkilatı, (İsmail Hakkı Uzunçarşılı), Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara, 1988.; "17. Yüzyılda Bir Vâlide Sultanın Günlük Hayatı: Vâlide Hadıce Turhan Sultan", (İsmail Kıvrım), History Studies, Volume 5 Issue 2, March 2013, p. 243-262; "Turhan Sultan", (Filiz Karaca), DİA, C. 41, İstanbul 2012, s. 423-425; "Şifaiyye Adlı Esere Göre Dağ Keçisi ve Yılanda Panzehir Özelliği Taşlar", (Muhiittin Elibağcı), İdil Dergisi,, 01-05-02, s. 8-31.; Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 136.

(٢) ينظر: وقفية خديجة تورخان، ص ٥١، الوجه الأيسر، السطور (٨-١٠)، ص ٥٢، الوجه الأيمن، السطور (١-٣).

وترجمة النص: (ويعيّن رجل قادر على الدفع والمنع، ظاهر الأمانة والديانة، يكون مسؤولاً عن القلعة ويعمل بداخلها، يفتح سائر أبواب القلعة ويغلقها في وقتها بلا تراخ ولا توانٍ، وليحذر من الغدر والخيانة، ويتقاضى راتباً يومياً قدره ١٠ أقات). لم يكن وقف خديجة تورخان سلطان للقلعتين عند مدخل مضيق الدردنيل هباءً أو وليد مصادفة محضة، بل إنها لمست تهديداً من البنادقة الذين أخذوا يسيطرون سيطرتهم على مضيق الدردنيل الذي يربط ما بين بحر إيجه وبحر مرمرة، ومن ثم أصبح الأمر يشكل تهديداً وشيكاً للدولة العثمانية، وهنا تظهر روعة أوقاف خديجة تورخان سلطان إذ وجهت على الفور بضرورة تقوية البحرية العثمانية وتزويد تسليحها، وشيّدت قلعتين عند مدخل بحر إيجه جهة مضيق الدردنيل، وقامت بتوزيع القلعتين بواقع واحدة على الجانب الآسيوي، والأخرى على الجانب الأوروبي^(١)، لتكونا بمنزلة جسر للسيطرة على جهتي المضيق، وقد وقّفت على كل قلعة منهما إلى جانب (حارس الأبواب) بعضاً من رجال الدين الذين يشنون الحمية دومًا في قلوب المرابطين بالقلع، وألحقت بكل قلعة مسجدًا صغيرًا، ومكتبًا للصبيان، ووقّفت عليها الأوقاف التي تضمن بقاءها وعمارتها دهرًا طويلًا، مع مراعاة صرف المنح ولوازم المواسم كموسم شهر رمضان والأعياد وغير ذلك^(٢)، ومن ثم يمكن القول: إن خديجة تورخان سلطان قد تفوقت على الواقفات ممن سبقنها في تنويع مجال الوقف وشموليته بما فيها الوقف العسكري.

(و) المؤقتخانه:

وهي حجرة التوقيت التي تساعد الساعاتجي أو المؤقت لأداء عمله وتحديد مواعيت الصلاة بلا تقديم ولا تأخير، وهي تقع إلى جوار المسجد، وكانت في الأصل سبيلًا خيرياً لتسييل الماء بجوار التربة من إنشاء الواقفة، ولكن السلطان محمود الثاني قام بتحويله إلى حجرة المؤقت^(٣).

(1) Review the book: Ottoman Women Builders: The Architectural Patronage of Hadice Turhan Sultan by LucienneThys-Senocak, (Melanie Michailidis), Journal of the Society of Architectural Historians, Vol. 67, No. 3, September 2008, p.338.

(٢) وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٦٥-٧٠.

(3) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 341.

وقد انتشرت أمثلة هذه المؤقتخانه في الدولة العثمانية، لا سيما في مدينة إستانبول، وكان المؤقت أو الساعاتجي يبيت فيها أحياناً، فتكون الحجرة مسكناً له لضرورة مزاولته مهنته بشكل متواصل، إذ يتم تحديد الصلوات وفقاً لتعليماته وحساباته، وهي إحدى منشآت علم الفلك، وقد وجدت في معظم المساجد الإسلامية في مصر والشام وتركيا، إلا أنها كانت بسيطة الشكل تُلصق على الجدران أو تنحت عليها بما عرف باسم المزولة^(١).

شُيِّدت المؤقتخانه من الحجر وهي عبارة عن حجرة مربعة لها واجهة مقوسة مراعاة لخط تنظيم الطريق، وكانت في الأصل سيلاً تغطيها قبة نصف دائرية بأسفلها رفرف خشبي يمتد للخارج بانحدار وتغطيه ألواح الرصاص من الأعلى، ويتم الدخول إلى الحجرة عبر مدخل بسيط معقود بعقد موتور، وفتح بأضلاعها عدد من النوافذ، تعلو النافذة الوسطى في جدار الواجهة طغراء^(٢) السلطان محمود الثاني.

هكذا جاءت العمائر الوقفية لوالدات السلاطين لتعبر عن مكانتهن في القصر العثماني من ناحية، وحجم ثروتهن الهائلة من ناحية ثانية، وعظّم أعمالهن الخيرية من جهة ثالثة، إذ مثلت مجتمعاتهنّ الوقفية أعظم المجمعات المعمارية الوقفية الكبرى في الدولة العثمانية، وجاءت مباشرة بعد مجمع السليمانية للسلطان سليمان القانوني، فيما مثل مجمع الوالدة العتيق بإسكدار أكبرها عمارة وتفرداً في الوحدات المعمارية والاستخدامات اليومية، وجاء مجمع ماهبيكر كوسم سلطان أهمها وأكثرها تفرداً من الناحية الزخرفية لا سيما في التكسيات الخزفية، وجاء وقف خديجة تورخان سلطان أعظمها حجماً من حيث الموقوفات والأعمال الخيرية وتفرداً في الاستخدام اليومي، لا سيما أن أوقافها شملت جوانب عسكرية تُعدّ الأولى من نوعها لوالدة سلطان.

(١) ينظر: دار التوقيت (المؤقتخانه) العثمانية بمدينة إستانبول في القرنين ١٢-١٣هـ/١٨-١٩م «دراسة آثارية مقارنة»، هبة حامد عبد الحميد، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ٢٢، ج ٢، ص ٦٥٥-٦٥٨.

Anadolu Muvakkithaneleri, (Erdal zeki Tomar), T.C Selçuk Üniversitesi Fen Bilimleri Enstitüsü Mimarlık Tarihi Anabilim dali, konya, 2011, s.21.

(٢) الطغراء أو الطغرى أو الطرة، تعني توقيع السلطان أو ختمه، وكان يحمل هذه الوظيفة أحد المقرين الذين ينالون ثقة السلطان عرف باسم الطغراقجي، إذ يوقع بها على فرمانات والوثائق، وهي قديمة منذ السلاجقة، وتُعرف في الفارسية ب«نشان» وهي توقيع الملك أو السلطان، وأخذت في التطور حتى بلغت أوجها في الدولة العثمانية، وصارت لها مكونات أساسية، هي: الطوغ، والسراة، والذراع، والبيضة الداخلية، والبيضة الخارجية، وراء المظفر والزلف، وعلى يمينها يقع المخلص.





الباب الثاني
الدراسة التحليلية

تمهيد:

يمثل هذا الباب أهمية كبيرة، إذ يتناول أنواع العماير الموقوفة في أثناء عهد الدولة العثمانية، والتدليل على نماذجها في مختلف أقطار الدولة العثمانية للوقوف على مدى مساهمة الوقف في العمارة والعمران، وقد يوحى الأمر بالخروج قليلاً عن الإطارين (الزمني والمكاني) لموضوع الدراسة، ولكنها مهمة جداً في التدليل على رؤية الباحث بأن غالبية عمران الدولة العثمانية كان وقفاً، كما أنها تفيده في رصد حجم الوقف النسائي لمختلف أنواع الأوقاف المعمارية بشكل خاص، ويأتي بعد ذلك تناول التخطيطات الهندسية والتصميمات الخاصة بعماير نساء القصر العثماني في إستانبول في أثناء القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م، مع تأصيل التخطيطات التي تندرج تحتها تلك العماير ومقارنتها بنماذج سابقة ومعاصرة ولاحقة للوقوف على مدى إسهامها في دراسة تاريخ العمارة العثمانية، وتناول أهم العناصر المعمارية والمواد الخام التي شيّدت بها العماير الوقفية غيرها من العماير الأخرى المعاصرة، ثم النقوش الكتابية والعناصر الزخرفية لإظهار اهتمام الوقف بالنواحي الجمالية والزخرفية إلى جانب النواحي المعمارية.

الفصل الأول

الوقف وعلاقته بالتطور العمراني والمعماري للمدن العثمانية، وإبراز دور أوقاف النساء

تمهيد:

امتدت أراضي الدولة العثمانية في ثلاث قارات شملت مساحات واسعة من آسيا وأوروبا وإفريقيا ولمدة زمنية قاربت الستة قرون، ولذلك وُصفت بأنها من أطول الفترات في تاريخ الحضارات الإنسانية، والمتبع لتاريخ الدولة العثمانية يلاحظ بشكل كبير مدى إسهام الأوقاف الإسلامية في ازدهارها، حيث إن رعاية الدولة للفقراء وتحقيقها للعدالة الاجتماعية قدر المستطاع يجعلان عمرها يطول، نظراً لاستقامة حكمها على السنن الكونية التي كتبها الخالق ﷻ على خلقه، إلى جانب أخذ حكامها بالأسباب في تدبير شؤون حكمهم للدولة بكفاءة عالية.

ولهذا، فقد توافرت أسباب القوة في الدولة العثمانية، من حيث قوة السلاطين العثمانيين المؤسسين والذين ورثوهم بعد ذلك، وكذلك المنهج الذي ساروا عليه في إدارة شؤون دولتهم، وكذلك وجود العوامل التي ساهمت في بناء الدولة العثمانية وخاصة الأوقاف وانتشارها؛ إذ كانت مؤسسات الأوقاف واحدة من العناصر المؤثرة التي استطاعت الارتقاء بأنماط العيش وتأمين الحاجات الاجتماعية للناس، وأخيراً لا بد من وجود الكفاءات من المعينين كالوزراء والولاة والقضاة^(١)، إضافة إلى تشجيعهم لكبار التجار على استثمار أموالهم في أعمال البر والخير.

لم يقتصر دور الوقف في الدولة العثمانية على ناحية من دون أخرى، أو على مجال من دون آخر، بل بلغت مؤسسة الوقف العثماني درجة عالية من الكفاءة من حيث تولّيها لمختلف شؤون الحياة، لدرجة أنه لا يمكن إحصاء أنواع الأوقاف في الدولة

(١) ينظر: نظام الوقف في الدولة العثمانية، محمد حسن القدّو، مقالة من صفتين عن: موقع ترك برس الإخباري، بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠١٥م، الإطلاع بتاريخ: ١٩/١١/٢٠١٦م، الساعة: ١٥:١٣؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل خلال العهد العثماني، محمد أحمد ملكه، بحث منشور بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، العدد ٣٦، السنة ١٩، رمضان ١٤٤٠هـ/ مايو ٢٠١٩م، ص ٨٨-١٢٧.

العثمانية وساحات خدماتها بشكل تام، ويمكن القول إنه من ضمن أنواع الأوقاف العثمانية وخدماتها ما يأتي^(١):

- ١- بناء الجوامع والمدارس والتكايا والزوايا وترميمها.
 - ٢- بناء المؤسسات العلمية: كالمدارس ودور الحفظ ودور الحديث والكتاتيب.
 - ٣- بناء المطاعم الخيرية وخانات ونزل الضيافة، وبناء دُور الشفاء أو المستشفيات.
 - ٤- بناء الحمامات العامة والخاصة والمحلات والدكاكين والبادستانات والأرasta والمجمعات التجارية.
 - ٥- حفر الآبار وقنوات الماء وشق الترع وتشييد الجسور وبناء أسبلة سقي الماء.
 - ٦- بناء المرافق والموانئ.
 - ٧- بناء التُّرب والمقابر الفردية والجماعية، والتكفل بجنازات الفقراء ومن ليس لهم أقارب.
 - ٨- بناء ملاجئ الأيتام وحضانات الأطفال.
 - ٩- الوقف على تحرير الأسرى وعتق العبيد والمرابطة على الحدود وتجهيز المجاهدين في سبيل الله وتربية الخيول.
 - ١٠- تأمين الحطب للفقراء، وتأدية الديون عن الغارمين والمسجونين، ومساعدة الأرامل والمحتاجات.
 - ١١- مساعدة اليتيمات في تجهيز العرس، وإطعام أطفال المدارس.
 - ١٢- غرس الأشجار، وتسهيل الطرق على الجبال.
 - ١٣- تقديم المساعدات العسكرية للقلاع والأربطة والمعسكرات.
 - ١٤- تغذية الطيور في فصل الشتاء ومراعاتها.
- إلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره كاملاً أو ذكر استشهادات على كل منها، ويمكن ذكر مثال للتأكيد على انتباه الواقفين للحالات المحتاجة التي قد يفغل عنها رجال الدولة، وهذه الأسطر مأخوذة من وقفية نقيب الأشراف (أسعد أفندي)، وهي تُبرز العمق الروحي للمسلم، إذ يقول: «لِتَمَّ تَأْمِينِ الحَطْبِ والفحم والاحتياجات

(١) ينظر: العثمانيون-رجالهم العظام ومؤسستهم الشاخنة، عثمان نوري طوباش، ص ٥٩٢.

الأخرى للعاجزين الذين لا يقدرّون على العمل بسبب المرض، أو الفقر، أو المسنين الذين يعيشون في الأماكن التي لا يلتفت إليها أهل الخير من رجال الدولة، ويتم شراء تجهيزات العرس لفقراء الفتيات، أو اللائي ليس هن من يعولهن، إذا ما وصلن إلى سن الزواج»^(١).

وقد عرفت بعض أنواع الأوقاف المحلية في أثناء العهد العثماني اشتهرت بها أماكن معينة من دون أخرى، ومنها -مثلاً- ما عرف باسم «وقف القفّة» في بيروت، وهو عبارة عن وقف خيري أقيم لغرض اجتماعي وإنساني مراعاة لشعور الناس، إذ كان له دكانٌ خاصٌ توضع فيه قفّةٌ مليئةٌ بالخبز في كل يوم جمعة، وكان يقصدها الفقراء والمساكين القاطنون في بيروت من مختلف الطوائف، وكان يوزّع عليهم الخبز متولّي وقف القفّة، فيأخذ كل منهم حاجته وينصرف من دون سؤال أو إذلال، وقد كان لهذه القفّة أوقاف عديدة من العقارات والمخازن والأراضي التي يعود ريعها ووارداتها؛ لتوفير ورعاية وقف القفّة^(٢).

لم يقف إسهام الأوقاف العثمانية على ذلك بل تضمنت وثيقة وقف السلطان محمد الفاتح نصوّصاً تلخص مدى إسهام الأوقاف في حياة الناس العامة وحفظها مما يسوّؤها، فضلاً عن مبادرة الأوقاف لكشف الضرر المحتمل وقوعه على الناس حتى قبل أن يقع، ومن ثم كانت مؤسسات الأوقاف حريصة على وضع خطط لمجابهة الأخطار أينما ووقتها وقعت، وجاء في هذا النص الوقفي ما يأتي: «أنا العبد العاجز السلطان محمد الفاتح، فاتح إستانبول، وقفت وقفاً صحيحاً بالشروط التالية، عدد ١٣٦ حانوتاً معلومة الحدود، وواقعة في طاشلق بإستانبول، كنت قد اشتريتها بهالي الخاص الذي كسبته من عرق جبيني؛ عيّنت شخصين على كل شارع في إستانبول بالمال الذي يتحصل من غير المنقول المذكور، على أن يتجول المذكوران في الشارع في أوقات معلومة من اليوم، ويكون في يد كل واحد وعاء فيه جص ورماد

(١) العثمانيون-رجالهم العظام ومؤسساتهم الشاخنة، عثمان نوري طوباش، ص ٥٩٩.

(٢) ينظر: أوقاف المسلمين في بيروت خلال العهد العثماني «سجلات المحكمة الشرعية في بيروت»، حسان حلاق (تقديم ودراسة وتحقيق)، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٠.

يضعان منه لإزالة آثار البصاق، وليأخذ كل واحد منهما ٢٠ آقجة يومياً، كما عيّنت ١٠ جراحين، و ١٠ أطباء، و ٣ مجبرين، حيث يخرجون هم أيضاً إلى شوارع المدينة في الأوقات المحددة، ويطلقون كل الأبواب، ويسألون هل يوجد عندهم مريض أم لا، وإذا كان هناك مريض فليقوموا بتطبيبه أو يذهبون به إلى دار العجزة مباشرة، من دون انتظار مقابل...، وإذا حدث، لا قدر الله، أية أزمة في المواد الغذائية، فليتم إعطاء أهل الأرباب ١٠٠ سلاح تركته لمواجهة هذا، وليخرجوا إلى غابات البلقان، وليصطادوا الحيوانات الوحشية في غير وقت التبييض والولادة...»^(١)، وبهذا فقد أسس السلطان محمد الفاتح أوقافه لتشمل التدابير الاحترازية تجاه الأفعال المكروهة مثل البصاق في الطرق، وفي الوقت نفسه يراعي احتمالية حدوث أزمات غذائية ووضع تدابير لمواجهة بشرط عدم الإخلال بالنظام البيئي، إذ أسس مبادئ التوازن البيئي باشرطه صيد الدواب في غير وقت التبييض والولادة.

وقد تميز العهد العثماني بكثرة الأوقاف وتنوعها وامتدادها التاريخي، ودورها الشرعي والاجتماعي والاقتصادي، كما «كان الوقف في ذلك العصر وما سبقه من عصور حاضرًا في حياة الإنسان من مهده إلى لحده، سواء كان فقيرًا أم غنيًا، فالوقف ملازم لحياة المسلم منذ ولادته إلى وفاته»^(٢)، وقد بدأت الأوقاف العثمانية على الفقراء منذ مهد الدولة العثمانية في أثناء عهد أورخان غازي بن عثمان (٧٢٦-٧٦١هـ/١٣٢٦-١٣٦٠م)^(٣) وهو ثاني السلاطين العثمانيين، «ويعتبره المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية»^(٤)، وقد استمرت مؤسسة الأوقاف وتطورت فيما بعد مع تطور الإمكانيات المادية للدولة، وغطت الأوقاف العثمانية جوانب من

(١) العثمانيون-رجالهم العظام ومؤسساتهم الشاخنة، عثمان نوري طوباش، ص ٥٩٧.

(٢) الوقف ومسيرة الحياة (الخلافة العثمانية نموذجًا)، عيسى القدومي، مقالة بمجلة الفرقان الأسبوعية الكويتية، النشر بتاريخ: ٥/١٢/٢٠١١م، الاطلاع بتاريخ: ١٩/١١/٢٠١٦م، الساعة: ١٣:٥٣، والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٣) اختلف بعض المؤرخين والباحثين حول التاريخ الذي تولى فيه أورخان غازي قيادة الدولة العثمانية خلفًا لأبيه عثمان، لكن الأرجح أنه تولى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م عقب وفاة والده. ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، ص ١٢٢.

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٢.

الحياة مما عمل على تقوية أركان الدولة ونموها، وإعداد الكوادر لها سواء في التعليم أم في التدريب أم في غيرها^(١).

أما أوروبا الشرقية فلم تكن تعرف الوقف حتى دخلتها الجيوش العثمانية فاتحة، ويُعدّ ظهور الأوقاف في مدن البلقان كمؤسسة إنما يتعلق مباشرة بوصول العثمانيين إليها، وقد لعبت الأوقاف في القرنين ٩-١٠هـ / ١٥-١٦م وما بعدها دورًا إيجابيًا في عملية توحيد الحكم العثماني وتقويته وتوسيعه وتثبيته، وقد كان تأسيس الأوقاف والوقف عليها حاجة ماسة لدعم الإسلام ابتداءً، وهو الأمر الذي ينطبق على دولة مقدونيا التي مثلت فيها الأوقاف شعارًا دينيًا يعتمد في أصوله على القرآن الكريم^(٢).

أولاً: الأوقاف العثمانية ونشأة المدن وتطورها:

وعن الدور المعماري والعمراني للأوقاف في الدولة العثمانية فإنها قد اتسعت بشكل كبير وتعددت أنماطها؛ إذ تبنت الدولة العثمانية سياسة عمرانية متكاملة كان لها أثرها الواضح الكبير في تطور المدن القديمة ونشوء مدن جديدة، وقد ازدانت هذه وتلك بالعمائر المتنوعة الأغراض والوظائف مما كان له دور بارز في تشكيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية لذلك المجتمع، وقد قامت الأوقاف بدور كبير في تشكيل البنية العمرانية الجديدة في الأناضول والروميلي بل كانت نواة لتلك المدن^(٣)، فضلاً عن ذلك الدور المهم الذي لعبته الأوقاف في تنشيط الحياة التجارية والحرفية في المدن، كما يوفر الوقف من الفوائد التي يحصل عليها مصدرًا ثابتًا لتغطية نفقات الخدمات المجانية التي يقدمها للمجتمع المحلي^(٤).

والعلاقة بين الوقف وحركة العمارة وال عمران في المدينة الإسلامية علاقة قديمة وفاعلة، لعب الوقف فيها دورًا مهمًا في تحقيق بيئة عمرانية سليمة وفرت احتياجات

(١) ينظر: نظام الوقف في الدولة العثمانية، محمد حسن القدو، الإطلاع بتاريخ ١٩/١١/٢٠١٦م، الساعة: ١٥:د١٣.
 (٢) ينظر: الأوقاف في مقدونيا خلال الحكم العثماني، أحمد شريف، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، سلسلة الترجمات (١٦)، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، ص ١٧.
 (3) Daily Life In The Ottoman Empire, (Mehrada Kia), California, Usa, 2001, Pp. 79-80; Ottomaans-Nederlandse Economische Betrekkingen Inde Vroeg-Modern Period 1571-1699, (Mehmed Bulut), Rambus Te Hilversun, Amsterdam, 2001, P. 37-38.

(٤) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، طبعة ٢٠١٩م، ص ٨٨.

المستخدمين بدرجة عالية من الكفاءة، ولا سيما في المباني ذات الطبيعة الخدمية والمجانية، وذلك لأن الأوقاف ساعدت في ازدهار هذه المباني بل وارتبط وجودها بوجود الوقف، وهو ما يمكن أن يلمسه المرء من خلال ما قاله ابن خلدون في مقدمته، إذ أعاد السبب إلى وجود الوقف في ازدهار العلم في الشرق، وتراجعته في الغرب بسبب غياب الوقف أو ما أسماه سند العلم، وأكد ذلك حين قال في حديثه عن أهل المغرب: «وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده»، وحين تحدث كذلك عن مصر قائلاً «إن العلم والتعلم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر... فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربد ووقفوا عليها الأوقاف المغلة... فكثرت الأوقاف لذلك، وعظمت الغلات والفوائد وكثر طلب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم»^(١).

قامت الأوقاف بدور بارز في تشكيل البنية العمرانية الجديدة في مناطق البلقان^(٢)، كما لعبت الأوقاف دوراً مهماً في حياة المدن الإسلامية عمومًا، وانتشرت انتشاراً ملحوظاً، وأصبح للوقف دور واضح في عمران المدن الإسلامية منذ بداية القرن ١٢هـ/١٢م بشكل خاص، واستمر بعد ذلك حتى أصبح الوقف من أهم المؤثرات التي تدفع إلى تطور عمران المدن القديمة، بل ونشوء مدن إسلامية جديدة^(٣).

وقد اهتمت الدولة العثمانية بتلك الأوقاف اهتماماً كبيراً، وتبارى في إنشائها السلاطين وأمهاتهم فضلاً عن الوزراء وكبار رجال الدولة، حيث شيّد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤٥١-١٤٨١م) -على سبيل المثال- أوقافاً كثيرة بمدينة إستانبول على جامع آيا صوفيا ومجمعه الكبير، الذي يقع بالمنطقة التي تُعرف باسمه إلى اليوم، وكذلك قام وزيره (الوزير محمود باشا) بإنشاء مجمعه المعماري الكبير في إستانبول، كما أنشأ مجمعاً آخر في مدينة أنقرة، إلى غير ذلك من الأوقاف

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الرائد العربي، بيروت، ط ٥، ١٩٨٢م، ص ٤٣٢-٤٣٥؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد هزة الحداد، ص ٨٩.

(٣) ينظر: الوقف والعمران الإسلامي، نوي محمد حسن، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، ص ٢٣.

الكثيرة، وإلى الآن لا تزال معظم الجامعات تقوم على هذه الأوقاف، ومنها جامعة السلطان الفاتح بإستانبول، كما كانت أغلب الخانات والمنشآت التجارية نفسها مؤسسات ووقفية تأخذ مكانها الحيوي داخل العمارات والكليات المعمارية الكبرى^(١). وقد كان للأوقاف التي تؤسسها الدولة ممثلة في السلاطين أو وزراءهم أهمية بالغة في نشأة المدن العثمانية وتوطينها من قبل السكان، عبر خطة محكمة تتوزع في المناطق الحيوية والمهمّة التي يقصد إنشاء المدن العثمانية فيها، فقد عرف نظام معماري في تلك الفترة باسم نظام العمارات: وهي مراكز عمرانية كبيرة تمولها الأوقاف من خدمات عامة وأسواق المدن، والتي كان لها دور كبير ومهم في توسيع المدن العثمانية، والعمارات (Imaret) مؤسسة قديمة في الشرق الأدنى كانت تُعرف باسم دار المرق في العهد السلجوقي، وهي عبارة عن مجموعة من المطاعم الخيرية، وقد أحيها العثمانيون مع إنشاء مدن بورصة وأدرنة وغيرها، فقد كانت تضم العمارات التي عرفت باسم الكليات أو المجمعات فيما بعد عدة منشآت: كالجامع والمدرسة والمستشفى واستراحات الضيوف والأسبلة وغيرها، بدافع الورع أو الخير الذي تنبثق منه رؤية سياسية باعتماد السلطان نفسه، وهي إنشاء مراكز مدن جديدة، سواء في أوروبا الشرقية أم الأناضول وسائر الأقطار الأخرى، وبجانب تلك المنشآت السابقة بنيت منشآت أخرى، مثل: الخان أو السوق، واستراحة قوافل، وحمام، وغيرها من المباني ذات الطابع الربحي لتدر دخلاً يغطي نفقات المنشآت الأولى، حيث مثلت تلك العمارات الجزء الأساسي في خطط المدن مما كان يعطيها طابعاً متميزاً^(٢)، إلا أن لفظ (العمارات) دلت فيما بعد على المطاعم الخيرية فقط، ولم تعد تستعمل بالمفهوم العام الذي يدل على الكليات أو المجمعات المعمارية، والتي لم يختلف تخطيطها المعماري عن تخطيط المسجد الإيواني على هيئة حرف (T)، وليس أدل على ذلك من أن بعض تلك

(1) Towns And Townsmen (op. cit), (Suraiya Faroghi), Pp. 29-30; From A To Z Of The Ottoman Empire, (Selçuk Akşin Somel), Scarecrow Press, Inc. U.K. 2003, Pp. 19-20.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالجيك، ص ٢٢٠؛

An Introduction To Religious Foundations In To The Ottoman Empire, (John Robert Barnes), E.J. Brill, Leiden, Netherlands, 1986, Pp. 50-52.

العمارات أو المطاعم قد أصبحت مساجد، والتي لا تزال بعض أمثلتها موجودة إلى اليوم في اليونان وبلغاريا وأوروبا، وفي بعض المدن الأناضولية كذلك مثل إزنيق^(١). كانت العمارات تؤسس من قِبَل الواقفين وتضمن استمرار عملها من خلال وقفية رسمية تُدَوَّن لدى القاضي وتدخل في سجلاته ثم تصدق من السلطان نفسه، وكان الوقف مؤسسة مستقلة بذاتها من الناحية المالية والإدارية، فقد كان الواقف هو الذي يعين المتولي على الوقف، وإذا كان الوقف كبيراً فكان يعين إلى جانبه ناظرًا للوقف أو مفتشاً عامًّا على الوقف، وكان المتولي هو المسؤول عن كل ما يتعلق بالوقف وتنميته وإدارته المالية، إضافة إلى إنفاق المال حسب شروط الواقف في دفع الرواتب وترميم المنشآت وغير ذلك، أما الناظر فقد كان دوره كمفتش أن يتأكد من مدى تطبيق الشروط التي أسس الوقف عليها، وكان دور الدولة يأتي في متابعة الوقف بتكليف القاضي بمراجعة حسابات الوقف وعمل الإجراءات الاحترازية التي تضمن استمرار المؤسسة في تأدية عملها، ونظرًا لكثرة هذه المنشآت بمدينة إستانبول على يد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م) فقد دفع ذلك المؤرخ المعاصر له (نشري) إلى القول: إن السلطان محمد هو الذي أنشأ إستانبول، إلا أن خلفاء بايزيد الثاني وسليمان القانوني وأمهات السلاطين وبناتهم وقادة الجيش وغيرهم من العلماء والتجار قد ساهموا بدورهم في نمو مدينة إستانبول سريعًا، حيث يكشف أحد السجلات التي تعود إلى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م أن بالمدينة وحدها ٢٥١٧ وقفًا، تعود لأشخاص من خارج العائلة الحاكمة، وأضيف إلى هذا ١٦٠٠ وقف جديد بعد نصف قرن آخر^(٢).

وفي أثناء القرنين ٨-٩هـ/ ١٤-١٥م قام أعيان الحدود بتأسيس منشآت مشابهة في الأراضي التي فتحوها، وقد تحولت بدورها إلى مراكز حضارية بعد ذلك،

(1) The Oldest Munements Of Ottoman-Turkish Architecture In The Balkans, (Michael Keil), Sanat Tarihi Yilligi, Xii, Istanbul, 1983, Pp. 127-133; Un Monument Ottoman A Komotine Thrace Grecque, (C.H. Bakirtzis) & (P. Xydas), A Ctes Du Ler Congress International, Zaghouan, 1997, Pp. 17-21; Avrupa'Da Osmanli Mimari Eserleri, Bulgaristan, Yunanistan, Arnavudluk, (E.H. Ayverdi), Cilt Iv, Istaanbul, 1982. S. 353-367; Tuken (Y.), Turkiye, De Vakif A Bideler Ve Eski Eserler, Iv, Ankara, 1985, S. 239-244, 253-255.

والعبارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٦٥.
(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالچيك، ص ٢١٠-٢٢١.

وهكذا فقد نمت مدينة سراييفو حول كلية أنشأها أمير الحدود على طرف البوسنة (عيسى بك) في إطار وقفه^(١)، وكانت بداية الأمر أن أنشأ عيسى بك المقر الخاص لحكمه (السراي أو القصر)، وكان موقع السراي الخاص به في السهل المحيط بقرية بروداتس، والذي أصبحت له أهمية لاستعارة اسمه للمدينة الجديدة (سراي بوسنة)، والتي أصبحت فيما بعد سراي أواسي ثم سراييفو، أما نواة المدينة الجديدة فيمكن أن يرتبط إنشاؤها بالجامع الجديد الذي أسسه على الضفة اليسرى لنهر ميلاتسكا سنة ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م، بأمر من السلطان محمد الفاتح، ولذا عُرف باسم جامع السلطان، وبعد إتمام بناء الجامع قام عيسى بك بإنشاء وقفه الذي يعتبر النواة الحقيقية لمدينة سراييفو، فقد بنى حمامًا قرب الجامع المذكور، وبنى جسرًا عند نهر ميلاتسكا للربط بين الضفتين، وبنى خانًا من الحجر مع بزستان^(٢) يشتمل على محلات كثيرة، ثم بنى أخيرًا الزاوية في قرية بروداتس المجاورة التي خصصت لنزول الفقراء والمسلمين من السادات والغزاة وأبناء السبيل وتقديم الطعام لهم، ووقفَ عليها العديد من الطواحين والكثير من الأراضي، وقد أخذ العمران يمتد ليربط بين هذه المنشآت بعضها ببعض بشكل ازداد يومًا بعد يوم، حتى أنشئت قسبة -مدينة- جديدة

(١) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) «البادستانات» طراز من طرز المنشآت التجارية في العهد العثماني، وهي كلمة مكونة من مقطعين «بز، ستان» من أصل فارسي، فلفظة «البز» تعني الحرير، وهي لا تزال مستخدمة في تركيا إلى اليوم للدلالة على نوع معين من النسيج القطني والصوفي، وكلمة ستان هي الموضع والمحل، فأطلق لفظ البزستان أو البزاستان وتعني «بازار» أو سوق الملابس على المنشآت التي يتم فيها بيع الأقمشة والملابس لا سيما الحريرية منها، كما أطلق لفظ البزّاز على البائع، ثم حرفت الكلمة بعد ذلك إلى البادستان في القرن ١١هـ/ ١٧م كما يذكر أوليا جلبي، وهذه المنشآت عبارة عن سوق مسقوفة آمنة، خصصت لبيع السلع والبضائع الثمينة، ولهذا السبب فهي أغنى المباني الوقفية ربحًا، ولذا كان يختص السلاطين فقط بإنشائها في المدن العثمانية، وهي تنقسم من الداخل إلى عدة مناطق مربعة التخطيط تغطيها قباب أو أقبية، وهي سمة مميزة لهذه المباني التجارية. ينظر: العارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٠؛ وتاريخ الدولة العثمانية، روبر مانتران (إشراف)، ج ١، ترجمة: بشير السباعي، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٢٧؛ وتاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالجيك، ص ٣٣٣؛ والمنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٠-٥٨

Istanbul Yemiş Çarşısı (op. Cit), (Göksel Kılınç, S. 16-19; Typical Commercial Buildings (op. cit), (Mustafa Cezar), Istanbul, 1983, Pp. 159; The Textile Market In Istanbul And Bursa In The First Half Of The 17th Century, An Introduction, (Sohma Miki Lida), Supported By Grant-In-Aid For Japan Society For The Promotion Of Science Fellows (19-45095), P. 186; Istanbul City Guide, (Hakan Alan), Istanbul, 2009, P. 88.

رسمياً لوجود الجامع السلطاني بها^(١)، وأُنحِذت مقرّاً لسكن والي البوسنة والهرسك طيلة العهد العثماني، وأُعتبر تاريخ تسجل وقف عيسى بك تاريخاً لإنشاء مدينة سرايفو^(٢)، وليس أدل على أهمية الأوقاف في نشأة المدن العمرانية وتطورها بأوروبا العثمانية من أنه لا تزال بعض المدن تحمل اسم وُقْف، ومنها مدينة (إسكندر وُقْف)، ومدينة (غورني وُقْف)، ومدينة (دوني وُقْف)، ومدينة (كولين وُقْف)، و(محلة الوُقْف)^(٣)، وغيرها.

كما أن العمارت التي أنشأها (مَنْت بك) في طريق (صوفيا- أدرنة) تحولت إلى نواة لمدينة (تتار- بازارجيك) التي أصبحت واحدة من أهم المدن العثمانية في بلغاريا^(٤)، وهو ما يبين دور الأوقاف في تنمية المدن بسرعة كبيرة، غير أنه مما يشار إليه أن ذلك كله كان بتوجيه الدولة ممثلة في السلطان الجالس على أمر الدولة، ولا يقتصر الأمر على هذه المدن فقط، وإنما يسجل التاريخ نشأة أكثر من ١٠٠ مدينة عثمانية في البلقان بثوبها الإسلامي الشرقي الجديد، كان للأوقاف أعظم الأدوار في تشييد لبناتها الأولى^(٥)، ومما ساعد على ذلك وقوع مراكز هذه المدن على الطرق التجارية، فجاءت الأوقاف لتأسيس الزوايا والأربطة على مسافات من الطرق لاستراحة الجنود من ناحية، واستضافة المتصوفة وأبناء السبيل من ناحية أخرى، وتم الربط بين تلك الزوايا فنشأت المدن الجديدة، وهو ما حدث مع زاوية أو تكية روغاتيسستا (Ro-gatica) (شلبي بازار) في الطريق ما بين سرايفو وفيشغراد (Visegrad)، وزاوية فيسوكو (Visoko) التي أصبحت نواة مدينة فيسوكو في الطريق ما بين سرايفو وترافنيك (Travnik)، وزاوية مدينة إسكندر وقف (Iskender Vaqf) في الطريق ما

(١) ينظر: دور الوقف في نشوء المدن الجديدة في البوسنة (سرايفو نموذجاً)، محمد موفق الأرنؤوط، مجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، العدد ٨، السنة الخامسة، مايو ٢٠٠٥م، ص ٥٢-٥٥؛ والوقف والعمران، نوبي محمد حسن، ص ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: دور الوقف في نشوء المدن الجديدة، محمد موفق الأرنؤوط، ص ٤٧.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٨٩-٩٠؛ والإسلام في يوغوسلافيا من بلغراد إلى سرايفو، محمد الأرنؤوط، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٩٣م، ص ١٦٧.

(٤) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالجيك، ص ٢٢٨.

(٥) ينظر: دور الوقف في نشوء المدن الجديدة، محمد موفق الأرنؤوط، ص ٥١.

بين بانجالوكا (Banjaluka) وترافنيك، وعلى هذا النمط نشأت مدن جديدة مثل كزفورنيك وفوتشا وفيشغراد وترافنيك وبروساتس (Prusac)^(١). ومن أشهر الأمثلة التي تؤكد أن الأوقاف كانت من أهم الأساليب التي اتبعتها الدولة العثمانية برعاية النظام الحاكم لتشجيع النمو الأفقي في الأماكن النائية وغير المأهولة، لإحيائها وإنعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها؛ مثل: ما وقع في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي في المكان الذي يعرف اليوم باسم (أوزون كوبري)، إذ كان مليئًا بالمستنقعات والأحراش يرتع فيه قطاع الطرق، فقام السلطان مراد الثاني عام ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م بإنشاء أحد الجسور المكون من ١٧٤ عقدًا على نهر أركنه، وبنى عند مدخله كلية أو مجمعًا معماريًا يضم خانًا لاستضافة المسافرين ودارًا لإطعام الفقراء ومسجدًا ومدرسة، ثم أنشأ للصرف على تلك المنشآت الاجتماعية التي تؤدي خدماتها بالمجان حمامًا وعددًا من المحلات أو الحوانيت، ثم قام فأسكن في المكان جماعة من البدو الرحل مع إعفائهم من الضرائب، وبعد ذلك أخذت جماعات مختلفة تفد على المكان الذي دبت الحياة فيه وتستوطنها؛ فلم يمض على بناء الجسر والأوقاف سوى ٣٠ عامًا حتى تحولت المنطقة إلى قسبة عرفت باسم قسبة أوزون كوبري، كان يسكنها من العائلات في عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م حوالي ٤٣١ عائلة^(٢)، وقد أمكن العثور على مئات الأمثلة في أثناء الفترات الأولى من التاريخ العثماني للأوقاف التي تتحول إلى نواة للمدن بعد هجرات الناس أو تهجيرهم إليها، ويرى (كوبان) أن تشييد مثل هذه الأوقاف التي تكونت حولها مدن ومستوطنات كبيرة كانت ردة فعل لسياسة التوطين والاستقرار التي اتبعتها الحكومة العثمانية، إذ أصبحت تمثل النواة التي أنشئت حولها مدن جديدة في البلاد التركية في الأناضول^(٣) وأوروبا، وقد وفد بهذه الطريقة على بلغاريا واليونان ومقدونيا ورومانيا والبوسنة والهرسك وصربيا، بل وكل الأراضي التي كانت تحت سيادة العثمانيين في أوروبا الشرقية آلاف من المهاجرين واستوطنوها.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٥١.

(2) Xv-Xvi. Asırlarda Edirne Ve Paşa Livası, (M.T. Gokbilgin), Istanbul, 1952, S. 216-220.

(3) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 143.

وقد كان لكبار التجار من الصوفية كذلك أثر كبير في عملية الوقف العثماني وامتداد حركة النشاط العمراني، وكانت الزوايا^(١) والأربطة^(٢) نواة بناء العمارات والأوقاف في الأماكن البعيدة والتي انتشرت في العديد من المواقع الإسلامية، إذ كان المقيمون فيها مكفولين يُنفق عليهم من الأوقاف^(٣)، إلا أن نظام تلك الزوايا قد اختلف على أيدي جماعات الفتوة والآخية قبيل قيام الدولة العثمانية بقليل، والتي تطور أسلوبها واشترطت فيمن يتقدم إليها أن يكون من ذوي الحرف أو المهن الذين سيعملون داخل الزاوية ويكسبون قوتهم بأيديهم، حتى لا تكون الزوايا مؤثلاً للعاطلين، وهو الأمر الذي تفتقت عنه فيما بعد نقابات وطوائف الحرفيين والتجار في العهد العثماني^(٤).

ثانياً: نساء القصر العثماني والوقف:

يلاحظ أنه قد تغيرت سياسات الدولة العثمانية بالنسبة للوقف ما بين العاصمة إستانبول والمدن المقدسة في الحجاز والقدس وباقي المدن الإسلامية التابعة لها، وصاحب ذلك حدوث تطور في أوضاع النساء الاجتماعية والاقتصادية في العهد العثماني مما ساعدهن على وقف الأوقاف على التعليم، وصرن بمكانة أعلى من الوعي بأهمية الأوقاف في تعزيز موضعهن في شبكة العلاقات الاجتماعية والسلطوية لما لمسنه من حرية في ممارسة الحياة الاجتماعية، وامتلكن ثروة كبيرة من خلال ما يصرف لهن

(١) الزاوية تعني -لغوياً- ركن البناء لأنها جمعت ما بين قطرين منه وضمت ناصيتين، وأطلقت على الزوايا المستقلة التي كانت لأحد الشيوخ ممن يشتهر أمرهم، حيث يتجمع حوهم مریدوهم ومؤيدوهم من الفقراء والصوفية. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية العربية، مادة: زاوية؛ وينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ج ١، ١٩٦٠م، ص ٢١٠؛ ومعجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٢١٧؛ والعمارة والفنون في الحضارة، محمد حزة الحداد، ص ١١٨-١١٩.

(٢) أو الرُّبُط ومفردها رباط، وهو اسم للمكان الذي يربط فيه الجنود لمجاهدة العدو وحراسة الثغور الإسلامية، ثم أُسْتَعْبِر الاسم للأماكن التي يتعبد فيها الصوفية والزهاد. ينظر: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى الخطيب، ص ٢٠٥؛ والأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الزاوي، مجلة أوقاف، السنة السادسة، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٠٦، ص ١٣.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ج ٤، ص ١٤٢.

(4) İslam Türk Edebiyatı Metinlerinde Ahı Kelimesinin Yeri, (Necola Pakolcay), " Türk Kültürü Ve Ahilik, Xxxi, Ahılık Bayramı Senpozyumu Tebliğeri, 13-15 Eylül 1985, İstanbul, 1986, Pp.73-77.

وما يمتلكه من منشآت تجارية وربحية، وبطبيعة الحال تختلف ثروات نساء القصر وإمكانياتهن المادية عن غيرهن من النسوة اللاتي أقمن أوقافاً في أثناء العهد العثماني، ويلاحظ أن معظم النساء الواقفات للأوقاف المعمارية الكبرى كنّ من نساء القصر الحاكم أو الأميرات^(١)، وأصبحت المرأة العثمانية مساهمة بشكل رئيس إلى جانب الرجل في حركة الإنشاء والتعمير^(٢)، مما مكّن للطبقات الاجتماعية الفقيرة والأثرياء من الاندماج مع بعضهم داخل المجتمع والعيش بسلام^(٣).

ومن حيث علاقة أوقاف النساء بالتشريع الإسلامي وتعاليمه في أثناء العهد العثماني من حيث الجانبين (المالي والعملي)؛ فإن لها الحق من الناحية المالية إن كانت مقتدرة أن تنشئ وقفاً بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، سواء كانت من نساء القصر أم من غيرهن، وأما فيما يتعلق بالناحية العملية، فرغم عدم وجود ما يمنع المرأة من إدارة الوقف أو توليها نظارته، وقد ورد ذلك صريحاً في كتاب حول تشريعات الوقف في العهد العثماني بما نصه: «ليس من شرط الوقف أن يكون المتولي رجلاً»^(٤)، وهذا ما يؤهل المرأة أن تكون مشرفة على إدارة الوقف^(٥)، فإن الدولة العثمانية كرست عملياً تعيين قائم مقام ينوب عنها في هذا الأمر، وأصبح ذلك من التقاليد المتعارف عليها، وقد شجعت الدولة العثمانية النساء من مختلف الفئات على إنشاء الأوقاف للمساهمة في العمل الخيري الذي يعود بالفائدة على المجتمع^(٦)، وتعدّ أوقاف نساء القصر العثماني النموذج المحتذى كأفضل الأمثلة على ذلك.

وقد تعددت وتنوعت أوقاف النساء في أثناء العهد العثماني، وانتشرت في شتى المدن العثمانية، إلا أن مدن إستانبول ومكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف حظيت بأكثر هذه الأوقاف؛ لما لهذه المدن من أهمية سياسية ودينية، وتوجد في أرشيف

(١) ينظر: أوقاف النساء.. المرأة، المعرفة، السلطة، زينب أبو المجد، ص ٢٦-٢٧.

(2) Osmanlı'dahayırseverlik Kudüs'te Bir Haseki Sultan İmaretı. (A. Singer), (Çev. Dilek Şendil), Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 2004, S. 104-105; Valide Sultanların Kurduğu Vakıfların Kadına Yönelik Sosyal Hizmetleri, (Musa Şahin) & (N. Ebrar Kaya), Yalova Sosyal Bilimler Dergisi, Yıl, 7, Sayı, 12, S. 38.

(3) İbid, S. 38-39.

(٤) سبق أن أوردنا نص وثيقة عمر بن الخطاب التي جعل فيها ابنته حفصة رضي الله عنها ناظرة على أوقافه.

(٥) أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليحي، ص ٩٤. نقلاً عن: إتحاف الأحناف في أحكام الأوقاف، عمر أفندي حلمي، المطبعة الأميرية، إستانبول، ١٨٨٩م، المسألة ٣٨٩، ص ١٤٦.

(٦) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليحي، ص ٩٣-٩٤.

المديرية العامة للأوقاف في إستانبول ٢٦٠٠٠ وقفية تدل على الأوقاف وأصحابها منذ تأسيس الدولة العثمانية، منها ٢٣٠٩ وفيات كانت من نصيب النساء وتأسسهن، ومثلت أوقاف النساء في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م حوالي ١٧٪ من جملة الأوقاف^(١)، وقد أمكن عمل حصر لها ووجد منها في الجزء الغربي من مدينة إستانبول وحدها سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م عدد ٦٠٦ وقف، بلغت أوقاف النساء فيها ٢١٤ وقفًا، بنسبة حوالي ٣٦٪ من جملة أوقاف هذا الجزء من مدينة إستانبول، ويلاحظ من كتاب إحصاء هذه الأوقاف سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م أن أغلب النساء اللاتي وقفن أملاكًا كن من فئات اجتماعية متواضعة، وتجدر الإشارة إلى أن ٩٧ امرأة من أصل ال(٢١٤) أي بنسبة ٤٥٪ منها تحملن لقب (بنت عبد الله)^(٢)، وهي ملاحظة مهمة^(٣)، لأن هذا اللقب خلال الدولة العثمانية كان يطلق على أولئك اللاتي اعتنقن الإسلام حديثًا من الإمامة المعتقين، وعلى من أسلمن طوعًا، ومما يؤكد هذه الفرضية أن غالبية أسماء النساء الملقبات به يحملن أسماء فارسية^(٤)، وارتفعت النسبة لأوقاف النساء في القرن ١١هـ/ ١٧م إلى ٣٠٪ من جملة الأوقاف التي أمكن حصرها^(٥).

إن والدادات السلاطين ونساءهم حظين باهتمام وافر لدى أولادهم وأزواجهن السلاطين، وتمتعن بنفوذ سياسي في إدارة الدولة، كما حققن ثراءً واسعًا بفضل الأموال التي خصصت لهن، ومن ثم كثرت وعظمت أوقافهن^(٦).

ثالثًا: دور الوقف في التطور العمراني والمعماري لإستانبول:

بدأت حركة العمران النشطة بمدينة إستانبول عقب فتحها مباشرة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م؛ إذ إن المدينة كانت متهالكة بسبب ضعف الدولة البيزنطية قبيل

(١) ينظر: أوقاف النساء في مكة المكرمة في العهد العثماني ودور المرأة فيها، أميرة بنت علي مداح، مكتبة دار القاهرة، القاهرة، ٢٠١٠م، ط١، ٢٠١٠م، ص ١-١٤.

(٢) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليجي، ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) إذ تؤكد أن الوقف والعمل الخيري لم يقتصر على الأغنياء أو كبار رجال الدولة، وإنما وقف من استطاع من عموم الناس -كل على قدر استطاعته- ابتغاء الأجر من الله ﷻ.

(٤) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليجي، ص ١٠٩.

(٥) ينظر: أوقاف النساء في مكة المكرمة، أميرة بنت علي مداح، ص ١-١٤.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص ١٣-١٦.

الفتح العثماني^(١)، إلى جانب تهمدم غالبية منشآتها أثناء عملية الفتح، فما كان من السلطان محمد الفاتح إلا أن شرع في تعمير المدينة وتشجيع الناس على الهجرة إليها والإقامة فيها، ولم تلبث المدينة أن اكتست حلة قشبية من الإبداع والروعة بفضل تلك السياسة العمرانية النشطة، التي تبناها السلطان محمد الفاتح ومن أعقبه من سلاطين العثمانيين برعاية الأوقاف، وقد صاغ هذه الروائع المعمارية الوقفية واحد من أعظم المعماريين حول العالم (على حد قول الأوروبيين أنفسهم)، وهو المعمار قوجة سنان كبير المعماريين ببلاط الخلافة العثمانية لمدة نصف قرن فيما بين عامي ٩٤٥-٩٩٦هـ/ ١٥٣٨-١٥٨٨م، والذي قام بتشييد نحو ٤٧٧ مبنى عثمانياً في القارات الثلاث، منها في مدينة إستانبول وضواحيها القريبة نحو ٣٣٦ مبنى ما بين عمائر وقفية دينية، وأخرى جنائزية، وعمائر حربية، ومدينة^(٢).

ومن حيث دور الأوقاف في التطور العمراني والمعماري لمدينة إستانبول فإنه يمكن القول إجمالاً: إن هذا التطور له جانبان أساسيان، أولهما التطور العمراني والعمل على اتساع الرقعة العمرانية من حيث الامتداد الجغرافي والنمو الأفقي، وهو الأمر الذي يلاحظ من وثائق الوقف التي اشتملت على العمائر المبنية داخل المدن وخارجها على حد سواء، إضافة إلى الموقوفات التي تضمنت عقارات تجارية وأراضي زراعية وغيرها بما أسهم حتى في زيادة رقعة الأراضي المزروعة، ومن ثم وُجدت الحاجة إلى تزويد تلك الأراضي بالماء الصالح لزراعتها، وتمهيد الطرق المؤدية إليها، وإقامة المباني والكتلات السكنية والخدمية التي تخدم قاطني تلك المواقع، فضلاً عن إنشاء الجسور والقناطر وحفر الترعة والمصارف وخزانات الماء، وهو ما يدل على مدى الدور الكبير الذي لعبته الأوقاف الإسلامية في التطور العمراني، ولعل تحول إستانبول بعد فتحها إلى أكبر مدينة أوروبية في أثناء القرنين ٩-١٠هـ/ ١٥-

(١) يذكر (برنارد لويس) ما نصه: أن المدينة ما كانت إلا خرائب أو أحسن حالاً من الخرائب بقليل، وذلك بسبب عوامل الانحطاط التي أخذت تأكل في عمران المدينة وعمارتها منذ أواخر العصر البيزنطي وقبل الفتح العثماني. ينظر: إستنبول وحضارة الخلافة، برنارد لويس، ص ١٣١.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ٩٤.

١٦ م كان لهذا السبب^(١)، ومما يدل على ذلك أيضاً مراجعة الخريطة الجغرافية لمدينة القسطنطينية فيما بين القرنين ٥-١٢ م، وقبل فتحها على يد السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣ م، إذ كانت المدينة ملكية مسورة بأسوار تفصلها عن المناطق الخارجية، ومن ثم كانت المدينة صغيرة وعمرائها محدود، وصارت بعد الفتح العثماني مدينة كبيرة، تمتد للخارج مسافات كبيرة، ولا سيما أنها أصبحت قاعدة تنطلق منها الجيوش العثمانية الفاتحة.

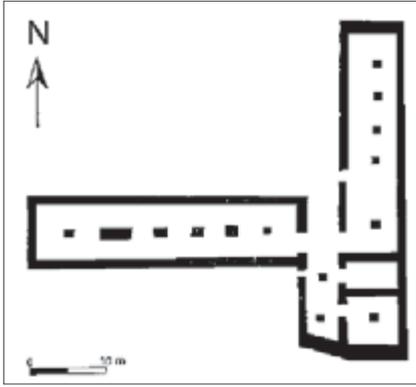
ويتأكد الجانب الثاني لدور الأوقاف في التطور المعماري من خلال التشييد وعمليات الإحلال والتجديد لما تهدم من المباني القديمة، فنظراً للعوامل الجوية والتاريخية وغيرها مما يؤثر على المباني القائمة، ولا سيما المباني غير الدينية التي تهدم وتندثر؛ فقد قامت الأوقاف بدور جليل في إعادة تشييد المباني والمنشآت الوقفية على أطلال تلك المباني المتهدمة؛ مساهمة منها في إعادة تعمير المدينة هذا من ناحية، كما اتسع نطاق تلك المباني وزادت أحجامها وارتفاعاتها بشكل يليق بمكانة الدولة العثمانية المنتصرة والمهيمنة من ناحية أخرى، ومن ثم لعبت الأوقاف دوراً بارزاً في صبغ المدينة العثمانية بصبغتها الإسلامية، فقد كان في هذه الأوقاف المعمارية ولا يزال رمز سياسي وديني يتمثل في الانتصار الروحي والعسكري والسياسي للدولة العثمانية الإسلامية على الدولة البيزنطية، والأمثلة على ذلك في مدينة إستانبول كثيرة، ومنها -مثلاً- ما تم لعدد من المنشآت مثل (بالكاباني خان) أو خان العسل الذي يُرجَّح أنه شُيِّد في القرن ٩هـ/١٥ م طبقاً لتخطيطه ومساحته الكبيرة، والذي أنشئ في موضع أحد الأسواق البيزنطية المتهدمة صغيرة الحجم ذات تخطيط على هيئة حرف (L)^{(٢)(٣)} (الصورتان: ١٤١، ١٤٢).

(١) ينظر: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، أكمل الدين إحسان أوغلي، ص ٥٨٢؛ والمنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٨.

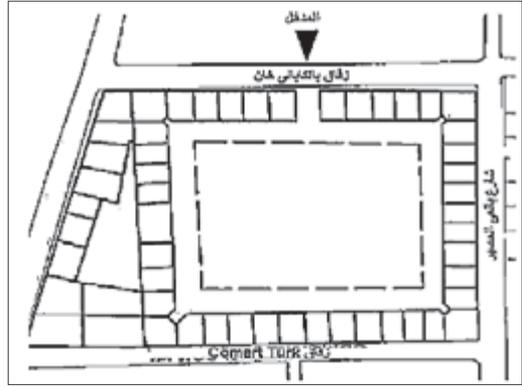
(2) Houses, Streets And Shoops In Byzantine Constantinople From Fifth To The Twelfth Centuries, (K. R. Durak, Journal Of Medieval History, Issue 30, 2004".

والمنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٦٧-١٦٨.

(٣) للاستزادة من المعلومات عن المخططات والقطاعات الرأسية لبالكاباني خان والسوق البيزنطي القديم الذي كان بموضعه، ينظر: رسالة الماجستير؛ المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٧٨-٥٨٢، الأشكال من ١٢٢-١٣٠.



صورة (١٤٢): تصور للسوق البيزنطي الذي كان بموضع بالكاباني خان. نقلاً عن: (Durak, K. R., Houses, Streets and Shoops, p. 95)



صورة (١٤١): المسقط الأفقي لبالكاباني خان. نقلاً عن: Benli (Gülhan) Istanbul Tarihi Yarımında'da: Bulunan Han Yapıları, s. 296)

وهناك جانب ثالث لأهمية الأوقاف في الحفاظ على التراث العمراني والمعماري، إذ إن الجانبين السابقين يختصان بإنشاء المواقع من بداية التخطيط لأجل بنائها والمرافق الضرورية لذلك، أما هذا الجانب فإنه يختص بالدور الكبير لمؤسسة الوقف في الحفاظ على متانة تلك المباني وصيانتها، ومن هنا كان معظم الواقفين يشترطون في وقياتهم أن تتم عمارة موقوفاتهم من ريع الأوقاف حتى ولو استنفدت جميع الربيع، وهو الأمر الذي يبين مدى أهمية وثائق الوقف في منظومة الوقف المعماري، فقد تضمنت تلك الوثائق شروط الواقفين من ناحية الصرف والإنفاق بالإضافة إلى العمالة، لكنها في الوقت نفسه مثلت دستوراً حياً، وتسجيلاً شاملاً لجميع محتويات الأوقاف وأقسامها التي تدخل في إطار الوثيقة المدونة، ومن ثم فهي من الأهمية بمكان في معرفة حدود تلك الأوقاف واتجاهاتها وأصولها وفروعها بالإضافة إلى أوصاف العمارة فيها (هذا من ناحية التسجيل)، وأما من ناحية أولوية النفقة والصرف فقد كان من أوائل شروط الواقفين صرف جزء من ريع الأوقاف على حفظها وعمارتها، ففي حفظها حفظ للوقف لأنها أساسه وأصل بنيانه، وهلاكها يؤدي إلى تلف الأوقاف، ومن هنا تبرز أهمية الوقف في المحافظة على المنشآت الموقوفة، مما أدى إلى بقاء الكثير منها ولا سيما الدينية منها على وجه الخصوص، فمن ريع الأوقاف كان يعاد بناء ما تهدم وترميمه وفق الوصف الموثق الدقيق الذي يرد في حجج الوقف الخاصة بالمنشآت.

وقد لعب القضاء دورًا بارزًا في تقرير حاجة الوقف إلى العمارة والصيانة، وذلك حال إهمال ناظر الوقف شؤون عمارته وعدم اشتراط الواقف نصًا يتضمن عمارته وصيانته، وإذا تضمنت الوثيقة نصًا بعمارة الوقف فكان دور القضاء يأتي في تحديد أولوية النفقة على الأجزاء المتضررة إضافة إلى تحديد المبالغ المقدرة للإنفاق عليها، وهو الأمر الذي ما كان الناظر يستطيع فعله بغير موافقة القضاء، وكان القاضي بدوره يستعين بأهل الخبرة من المهندسين والخبراء الفنيين من طرفه ويرسلهم لمعاينة العين الموقوفة وتقديم تقرير بحالتها واحتياجاتها الضرورية الملحة، وفي العادة كانت هذه المهمة توكل إلى (كشاف الأوقاف) وهو أحد القضاة الذي يأتمر بأمر قاضي القضاة، ويرفع (كشاف الأوقاف) تقريرًا شافيًا إلى القاضي بعد المعاينة^(١).

كانت مدينة إستانبول تنقسم داخليًا إلى عدد من الأحياء السكنية التي تُوجد فيها طوائف معينة من الناس، وكانت الأغلبية السكنية في بعض الأحياء من طوائف غير مسلمة نظرًا للتسامح الشديد الذي تمتعت به سياسة السلطان محمد الفاتح ومن بعده من السلاطين العثمانيين، ومن هذه الأحياء والمناطق حي إمينونو (Eminönü)، وهو من أعظم الأماكن وأهمها إذ إنه يطل مباشرة على خليج القرن الذهبي، وهي أقدم منطقة تجارية بالمدينة قرب كوبري غلطة^(٢)، وكانت المنطقة (على أهميتها) تحت سيطرة طائفة أقلية من غير المسلمين الذين كان يطلق عليهم طائفة الكاراي (Ka-rai)^(٣)، وهم يتبعون صنفًا من التجار اليهود، فكانوا يمثلون أغلبية ممتلكي المواقع والمحلات التجارية بتلك المنطقة، ومن ثم جاء دور الأوقاف في صبغ هذه المنطقة بالصبغة الإسلامية، وتحويل السيطرة عليها إلى مصلحة المسلمين بدلًا من اليهود، فقامت السلطنة صفية^(٤) والدة السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١١هـ/ ١٥٩٥-

(١) ينظر: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العهد العثماني، محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

١٩٩١م، ص ١٥٣-١٧٨؛ والوقف وال عمران الإسلامي، نوب محمد حسن، ص ٣٣-٣٤.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 334; Tarihi Ve Medeniyetin Beşiği (op. cit), (Hüseyin Öztürk), P. 93

(3) A Karaite Itinerary Through Turkey (op. cit), (B. Lewis), P.315.

(٤) يرى بعض الباحثين أن (ماهيبيكر كوسم سلطان) كان لها شرف وضع حجر الأساس لمجمع (بني جامع) أو الوالدة الجديد بإستانبول، إلا أنها توفيت قبل إتمام بنائه. ينظر: العثمانيون - رجالهم العظام، عثمان نوري طوباش، ص ٦٠٠؛ ومن المعلوم أن وفاتها كانت سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م، ومن ثم فإن هذا القول مجانب للصواب تمامًا؛ لأن صفية سلطان هي من وضعت حجر الأساس للمجمع، وظل الموقع بعد وفاتها مهجورًا لمدة حوالي ٦٠ سنة، حتى أكملت بناءه خديجة تورخان سلطان (كما سبق الذكر).

١٦٠٣م) سنة ١٠١٣هـ/ ١٥٩٧م ببناء مجمع معماري وقفي كان الأول من نوعه في تلك المنطقة بمدينة إستانبول (كما سبق تناوله في الباب الأول)، وجاء هذا المجمع المعماري بمشتملاته ليكون علامة بارزة تدل على أسلمة المنطقة وليمثل أعلى خطوات السيطرة الإسلامية عليها، فبدأ التجار المسلمون في السيطرة على بعض المناطق وظل عددهم في زيادة مستمرة إلى أن صارت التجارة وامتلاك المواقع المهمة في المنطقة بأيديهم، وعلى الرغم من احتلال الموقع واستيطانه مرة أخرى من جانب اليهود فرحين بهجر المجمع، ولا سيما طائفة الكاراي^(١) عقب موت السلطان محمد الثالث سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٣م وتوقف عمليات البناء بالمجمع، فإن خديجة تورخان سلطان والدة السلطان محمد الرابع (١٠٥٨-١١٠٠هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٩م) أمرت بإزالة المنازل اليهودية التي تعدت على موقع المجمع وأعدت إعمارها مرة أخرى؛ ليتأكد بذلك الطابع الإسلامي بالمنطقة^(٢)، وقد انعكس تأثير المجمع بثقله السياسي ورمزيته على أسلمة المدينة، وتم تعديل التوزيع الديموجرافي بالنسبة لسكان المنطقة، حيث أصبح أكثر سكانها من المسلمين الذين امتلكوا جميع المناطق الحيوية التجارية، ومنها السوق المصري الذي بني ضمن هذا المجمع الوقفي الكبير^(٣).

ولمعرفة حجم العمران الذي تم بمدينة إستانبول برعاية الأوقاف الإسلامية حتى قرب منتصف القرن ١١هـ/ ١٧م، حسبنا أن نشير إلى الإحصائية التي تمت بناءً على أمر السلطان مراد الرابع (١٠٣٣-١٠٥٠هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م)، إذ أمر هذا السلطان بإعداد وصف شامل لمدينة إستانبول، وكان الهدف منه الحصول على مساعدة من جميع أفراد الشعب في حربه ضد الدولة الصفوية، فقال (أي: السلطان) «أريد أن تجتمع جميع نقابات - أي نقابات الحرفيين - إستانبول الكبيرة منها والصغيرة في معسكري السلطاني، وذلك لأجل مساعدتي في هذه الحملة العظيمة، وعليهم أن يعرضوا عدد رجالهم ودكاكينهم ومهنتهم حسب نظمهم القديمة المعهودة، وعليهم أن يمرّوا مع جميع شيوخهم ونقبائهم ومرشديهم الروحانيين وآغاواتهم وكبخياواتهم

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 341.

(2) Foreign Merchants And Minorities In Istanbul (op. cit), (R. Mantran), pp. 127-137; Ottoman Women Builders (op. cit), (Lucienne Thys-Senocak), P. 189.

(٣) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٠٦-١٠٨.

ومع يجت باشيه (رؤساء فتواتهم) والجاويشية، وهم ماشين^(١) على الأقدام، أو راكبين^(٢) خيولهم...، ويجب إعداد وصف عام لجميع الجوامع السلطانية وجوامع الوزراء، والمساجد، والكليات، ودور تحفيظ القرآن الكريم، ودور الحديث والمعاهد الدينية، والنزل والحمامات والمتاجر والفنادق، وقصور الوزراء والوجهاء، وناפורات المياه، والمؤسسات لتوزيع المياه والقنوات والصهاريج، وأحياء المسلمين والمسيحيين واليهود، والكنائس والبيع (معابد اليهود)، ومخابز الخبز والبسكويت، والمعامل التي تدار بالماء والهواء والخيول، والقاعات العامة والاستراحات، وجميع الدور والبساتين والأكشاك...، وجميع المباني التذكارية التي توجد في أقسام المدينة الأربعة التي يحكمها قضاة إستانبول الأربعة (ملايان)، وعلى سكان كافة الأحياء وأعضاء النقابات والأئمة والخطباء وكيخياوات جميع الأحياء أن يجتمعوا ويسجلوا كل شي ثم يرسلوا الوصف الكامل إلى بابي العالي، ويجب أن يُعدّ الوصف ممن يتمتعون بعدم المحاباة، وإذا وُجد خلاف ذلك فإني سوف أمر بتقطيع رؤوسهم^(٣).

وقد تم إنجاز هذا الوصف في مدة ثلاثة أشهر، وجاء وصفًا أكمل وأشمل بكثير من الوصف الذي أُعد في عهد السلطان سليم الأول (ت: ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)، وذلك أمر طبيعي بسبب تضخم عمران المدينة في الفترة اللاحقة للسلطان سليم الأول حتى عهد السلطان مراد الرابع، بحيث لم يعد في المدينة موضع لأي مبنى آخر، وشكل هذا الوصف كتابًا جامعًا حمل عنوان (وصف القسطنطينية)، وقرأه المؤرخ صولاق زاده (ت: ١٠٦٨هـ / ١٦٥٧م) ليل نهار في حضرة السلطان مراد الرابع الذي هتف لدهشته من عمران المدينة، قائلاً: «يا إلهي؛ ارفع هذه المدينة إلى الأبد». وقد أورد هذا الوصف ملخصًا الرحالة أوليا جلبي في كتابه: سياحتنامه سي^(٤)، فجاء من عمران المدينة ما يأتي:

(١) هكذا وردت في الأصل، والصواب: وهم ماشون.

(٢) هكذا وردت في الأصل، والصواب: راكبو.

(٣) العجالة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ٩٥.

(٤) ونقل هذا الوصف عن أوليا جلبي العديد من المؤرخين والعلماء والمستشرقين. ينظر: العجالة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٩٦-١٠١؛ وإستانبول وحضارة الخلافة، برنارد لويس، ص ١٤٣-١٥٠؛ وإستانبول: عقب التاريخ، الصفا في أحمد المرسي، ص ١٥١-١٥٦.

العدد	المبنى	م
670	محاكم العدل تحت قضاة القسطنطينية الأربعة (الملايان)	.1
74	جوامع السلاطين الكبرى	.2
1985	جوامع الوزراء الكبرى	.3
6990	الجوامع الأخرى في أرباع المدينة	.4
19	المطاعم الخيرية (العمارات)	.5
9	المستشفيات	.6
1993	المدارس الابتدائية	.7
55	مدارس تحفيظ القرآن	.8
135	دور الحديث النبوي	.9
557	الزوايا والتكايا الكبرى	.10
6000	حجرات وقاعات السكن للصوفية والدرأويش	.11
91	دور المرضى الغرباء	.12
997	خانات الطرق (الكروانسراي)	.13
565	فنادق التجار	.14
676	فنادق إقامة العزاب والفقراء	.15
990	أحياء المسلمين	.16
354	أحياء اليونانيين	.17
657	أحياء اليهود	.18
17	أحياء الإفرنج	.19
27	أحياء الأرمن	.20
6890	قصور الوزراء	.21
14536	الحمامات العامة والخاصة	.22
9995	النافورات العامة والخاصة	.23
989	الچشبات	.24
200	مؤسسات توزيع المياه	.25
100	النافورات المسماة أيازما (الحلو والمالح)	.26

العدد	المبنى	م
60000	الآبار	.27
55	الصهاريج	.28
3000	مخازن المياه	.29
3	الأسواق المسقوفة	.30
37	المطاحن الكبرى	.31
35	القبابين السلطانية	.32
2	مطاحن البن (القهوة)	.33
1	معامل الحرير	.34
1	معامل الشمع	.35
1	معامل الأسلاك الذهبية	.36
1	مخازن الجمارك البحرية	.37
1	مخازن الجمارك البرية	.38
1	معامل الزيت	.39
1	معامل السمك (المجفف)	.40
1	معامل الملح	.41
1	معامل البسكويت	.42
1	مصانع الخمر	.43
1	مصانع البارود	.44
1	مصانع السجق	.45
1	دار الضرب السلطاني	.46
1	مغازة (متاجر) الأقمشة	.47
1	مغازة الذرة	.48
1	مغازة الشعير	.49
4	مغازات بايزيد وسليمان للخشب والخيول والدقيق والدريس	.50
1	إصطبلات القصر	.51
1	دور الأسلحة (الترسانات)	.52

العدد	المبنى	م
1	سجون الدولة	.53
4	سجون المجرمين	.54
600	الأفران	.55
600	الطواحين الهوائية	.56
28	الطواحين المائية	.57
162	دور مفتشي المواد التموينية والخضار واللحوم، ومفتش المدينة، ومفتش المطابخ واللحم المملح والمذابح، وثكنات الإنكشارية القديمة والجديدة وفرقة سكنبان	.58
4	دور المولوية	.59
1	دور اللبن الرائب (اليوغورت)	.60
1	مصانع ورق البطل	.61
1	دور الأسود السلطانية	.62
70	دور الصباغة	.63
10	دور أواني الفضة	.64
1	مصانع البنادق	.65
1	مخازن الرصاص	.66
1	دور الموسيقى	.67
1	دور الخيامين	.68
1	دور الفراشين	.69
1	دور الرسامين	.70
1	دور السقائين	.71
1	دور رجال المدفعية (طوبجية)	.72
1	دور السباكين	.73
1	دور الخياطين	.74
1	دور عمال العربات	.75
1	دور صناعات الألعاب النارية	.76
1	دور تدريب الإنكشارية	.77

م	المبنى	العدد
.78	دور سمسونجي (محافظو الكلاب الضخمة)	1
.79	دور الزرجية (محافظو كلاب الصيد)	1
.80	دور البُستانجية	1
.81	دور مدربي الصقور	1
.82	دور رئيس الصاغة	1
.83	دور صانعي الخل	1
.84	دور صانعي الأزارير	1
.85	دور صانعي السروج	1
.86	دور صانعي الزجاج	1
.87	دور رؤساء التجار	1
.88	دور حلواني الفواكه (أو الفواكه الحمضية)	1

وعند تحليل هذا الإحصاء بما اشتمل عليه تتبين عظمة مؤسسة الأوقاف العثمانية بمدينة إستانبول، إذ يُعزى إليها الفضل في إنشاء أكثر هذه المنشآت، فالمساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب وناפורات المياه والموانئ والخانات والأسواق والحمامات ودور الصناعة والمستشفيات ما هي إلا أوقاف خيرية أو وقف عليها، ومن ثم يتبين حجم العمران الذي أقامته الأوقاف بالمدينة باعتبارها عاصمة الخلافة العثمانية، وتبرز عظمة الوقف في أنه ليس عبارة عن تشييد بناء مجرد، وإنما ضَمِنَ تأمين مصادر إيرادات لاستدامة هذا الوقف عصورًا طويلة، ويكفي ما ذكره أحد الصدور العظام للسلطان سليمان القانوني وهو داماد لطفي باشا، فيذكر في مذكراته (أصاف نامه) أن على رجل الدولة المثالي أن يقسم إيراداته إلى ثلاث: ثلث لمصر وفاته، والآخر للمؤسسات الخيرية، والثالث للتوفير، وهذا ما كان عليه النظام العثماني تقريبًا^(١).

لم يقف إسهام مؤسسة الوقف على الناحية المعمارية والعمرانية عند الحديث عن مدينة إستانبول، وإنما تعدى هذا الأمر لمراعاتها للأطر التنظيمية والنواحي الجمالية،

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلباز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٢.

وهو الأمر الذي يتبين من تعيين مؤسسة الأوقاف والمؤسسة المعمارية لعدد ١٤٠ مفتشاً معمارياً يخرجون يومياً للتفتيش على المباني بمدينة إستانبول، وإذا وجدت أبنية تشوه الناحية الجمالية للمدينة أو متعدية على حرم الطرق والمباني الأخرى المجاورة أو تبين تصدّع أي منها فكان يتم هدمها فوراً، بعد تشكيل لجنة من قِبَل القاضي لمراجعة الوقف من الناحية الشرعية وشروطه، وهو الأمر نفسه الذي جعل من المستوى الحضاري لهذه المدينة ما يعجز اللسان عن وصفه، إذ تم رصف طرق المدينة وحفظها، ورصف الطريق البري الذي يربط بين مدينة إستانبول ومدينة أدرنة منذ القرن ١٠هـ/١٦م، فيما لم تشرع إنجلترا مثلاً في رصف شوارع لندن إلا سنة ١٨٢٤م^(١).

وأما داخل النماذج الواردة في حدود هذه الدراسة؛ فإن وثائق الوقف قد تضمنت ضمن أرباب الوظائف والحرفيين وظيفه مانع النقوش؛ وهو رجل مكلف بمراقبة جدران العمائر الوقفية، خاصة المساجد للحفاظ عليها، ونصت الوقفيات على ضرورة أن يمنع الأطفال والسفهاء من تشويه الجدران ولو وصل الأمر لاستعمال القوة، وكان مكلفاً إذا وجد ما يشوه الجدران أن يزيلها فوراً، وأما الحفاظ على متانة المباني وقوتها وعناصر تكوينها وموادها الخام، فقد فاقت الوقفيات بذلك؛ فتم تعيين حجار، وبناء، ومزجج، ومرصص، وغير ذلك ممن يدخلون ضمن إطار عمارة الوقف، وإلى جانبهم وظيفه المرتجعي؛ أو مسؤول الترميم الذي يياشر عمله بلا انقطاع في إجراء المرمات اللازمة والإصلاحات فور الحاجة إلى ذلك، وقد كان هؤلاء يعملون مباشرة بإشراف متولي الوقف شخصياً^(٢).

رابعاً: وقف المساجد:

تُعدّ عمارة المساجد والوقف عليها من أفضل القربات إلى الله تعالى لكونها بيوت الله في الأرض، ومكان اجتماع المسلمين لأداء أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٢) ينظر: ملحق الدراسة.

وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾، وقال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة»^(٢)، فدلّت النصوص وما في معناها على فضل إنشاء المساجد ووقفها لعظم رسالتها في الإسلام، ويلحق في وقف المساجد كل ما يعين المصلين على أداء واجبهم، كتهيئة المسجد بالفرش، والتدفئة وقت الشتاء، والتبريد وقت الصيف، وتمهيد الطريق للمساجد، ووقف الآبار حول المساجد للوضوء، وإصلاح دورات المياه، وما في معنى ذلك لأن هذه الأشياء مما يعين على أداء الصلاة بأكمل وجه.

وتعدّ المساجد أو الجوامع أهمّ العمارات التي حظيت بعناية الواقفين، إذ سعوا إلى تعمیرها وتشبيدها وتزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط وخزائن الكتب والصرف على العاملين فيها، وقد كان للأوقاف أثرها الواضح في انتشار المساجد في سائر أنحاء العالم الإسلامي، كما تُعدّ المصدر الأساسي في الصرف والإنفاق على هذه المساجد، ولذا كان يُوقَف على كل مسجد ما يقوم به من أراض ودور وغيرها مما يمكن أن يوفر الريع الكافي للصرف عليها وعلى العاملين بها، فضلا عن تجديد وترميم ما قد يتضرر منها بما عرف بمصطلح (عمارة وصيانة الوقف)، ولا تزال الأوقاف تقوم بدورها الفاعل في هذا الجانب حتى عصرنا الحالي^(٣).

ومن أوائل نماذج المساجد التي أنشأتها إحدى نساء القصر العثماني الحاكم مسجد السيدة نيلوفر خاتون (Nilüfer Hatun) زوجة السلطان أورخان غازي بمدينة بورصة؛ إسهاماً منها في عمران المدينة^(٤)، ويعرف أيضاً باسم (منت منت) وذلك لمجاورته لدار سك النقود التي تُعرف باسم منت^(٥)، ومن فرط حب السلطان مراد

(١) سورة التوبة، الآية رقم ١٨.

(٢) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)، الرياض، طبعة دار إشبيلية، مصور عن طبعة دار الطباعة العمارة بالقاهرة، ج ١، ص ١١٦.

(٣) ينظر: الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، إبراهيم بن محمد المزني، بحث في ندوة «المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية»، مكتبة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة، السعودية، خلال الفترة (٢٥-٢٧ المحرم ١٤٢٠هـ)، ص ١٤.

(4) Valide Sultanların Kurduğu Vakıfların (op. cit), (Musa Şahin) & (N. Ebrar Kaya), S. 40.

(5) Klasik Dönemde Bursa»Da Bir Semt Hisar, (Saadet Maydaer), Uludağ Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, İslâm Tarihi Ve Sanatları Anabilim Dalı, İslâm Tarihi Bilim Dalı, Bursa, 2008, S. 54.

الأول لوالدته (نيلوفر قادين) فقد سمى إحدى بناته بنيلوفر وفاءً لوالدته اشتهرت باسم (نيلوفر خاتون)، وقد ساهمت بدورها في حركة العمران العثماني، إذ شيّدت مسجداً هي الأخرى بمدينة بورصة^(١).

لم يقف إسهام النساء العمراني والمعماري عند مدينة بعينها، وإنما امتدت إسهاماتهن إلى مدن عدة حتى قبل فتح مدينة إستانبول، فقد شيّدت (سلجوق سلطان) ابنة السلطان محمد الأول جلبي سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م مسجداً لها في مدينة بورصة^(٢)، وامتد إسهامها العمراني إلى خارج منطقة الأناضول فشيّدت مسجداً جديداً في مدينة أدرنة بالجانب الأوروبي من الدولة العثمانية، وسمي أحد أحياء مدينة أدرنة باسمها؛ تخليداً لها ولدورها المهم في تنشيط حركة العمران في المدينة، حتى صدرت لها وثيقة ضمّت جميع أوقافها سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م^(٣).

وتتابعت أوقاف النساء بعد ذلك فأقامت (هند خاتون) مرضعة السلطان محمد الفاتح أوقافاً كثيرة في مدينة إستانبول في المنطقة التي تُعرف باسم (محمود باشا)^(٤)، ووقّفت الأميرة شهزادة خاتون (ت: ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) ابنة السلطان مراد الثاني وزوجة (اليلربي سنان بك) على بناء عمارة لها في مدينة أدرنة، كما خصصت عائد أوقاف لها تابعة لمدينة (يني شهر) في الأناضول على فقراء (المدينة المنورة)، وكانت بذلك أول من وقّف من نساء العثمانيين على الحرمين الشريفين^(٥)، وامتد بذلك إسهام نساء القصر العثماني العمراني والمعماري الخيري إلى المدن العربية، وساهمت (سيّتي خاتون) زوجة السلطان محمد الفاتح في العمران الوقفي الخيري، إذ شيّدت مسجدين وقفين بمدينة (أدرنة) التي استقرت بها بعد فتح مدينة القسطنطينية وانتقال السلطان إليها، وقد شيّدت أحدهما سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م، والآخر سنة ٨٩١هـ / ١٣٨٥م ودفنت بالمسجد الأخير بعد وفاتها^(٦).

(1) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 22.

(2) Ibid, S. 29.

(3) Selcuk Hatun Sultan, (Ahmed Tevhit), Toem. Cuz 15, Istanbul, 1928, S. 957-961; Celebi Mehmed'in Kızı Selcuk Hatun Kimle Evlendi, (I. Hakkı Uzuncarşılı), Belleten Xxi, Ankara, 1957, S. 253 – 259;

(٤) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٥٢.

(5) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 37;

وأوقاف النساء في مكة المكرمة، أميرة بنت علي مداح، ص ١٥-٢٠.

(6) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 40.

وزادت أوقاف النساء في عهد السلطان بايزيد الثاني إذ أسهم نساؤه بعدد من المنشآت الوقفية في مختلف المدن العثمانية، وكانت زوجته بلبل خاتون (Bülbül Hatun) من الشهيرات بالعمل الخيري الوقفي لكثرة عطائها ونفقاتها، فشيدت مسجداً ومطعمًا خيرياً في مدينة (لاديك بمقاطعة سامسون)، كما أسهمت في عمران مدينة (أماسيا) بمسجد ومدرسة وسبيل ماء، ووقفت فرخشاد خاتون (-Ferah Hatun) زوجة السلطان بايزيد الثاني عدداً من المنشآت والمباني الوقفية سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بمنطقة (سيليفري/ سيلوري)^(١)، الواقعة على امتداد (بحر مرمره) والتابعة لمدينة إستانبول، إذ تبعد عنها حوالي ٧٨ كم من مركز إستانبول.

أما (جولبهار/ گولبهار خاتون) زوجة السلطان بايزيد الثاني أيضاً ووالدة (ياووز سليم الأول)^(٢)؛ فينسب لها عدد من العمارات الوقفية الخيرية في مناطق شتى، وقد تميزت عمارتها تلك بالتنوع إذ ينسب لها المسجد المعروف باسم (جامع الخاتونية) بمدينة طرابزون على البحر الأسود، والذي شيّده في عهد ابنها السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)، وهو من طراز المسجد القبّة على هيئة حرف (T)، وتتقدمه سقيفة خارجية جهة الشمال تتكون من خمس قباب تغطي الوسطى منها دركاة الدخول إلى المسجد، وبجوار المسجد التربة الخاصة بها^(٣).

وأسهمت السيدة گولروه خاتون (Gülruh Hatun) -وهي زوجة السلطان بايزيد الثاني- أيضاً في حركة العمران والإنشاء في العهد العثماني، ووقفت عدداً من العمارات الخيرية، منها مسجد ومطعم خيري في مدينة آق حصار (Akhisar) بالأناضول، ومسجد في كل من مدينة أيدين (Aydın) وقرية دوراكي (Duraklı) بضاحية (گبزة) بالأناضول، ووقفت على مساجدها عدداً من العمارات الربحية التي تدر دخلاً يغطي نفقات المنشآت الخدمية: كالخان، والحمام، والمحلات و خان الطريق، وتقع هذه المنشآت في مدن (Demirci و Gördes) بمقاطعة مغنيسيا (مانيسا)، ومدينة

(1) Ibid, S. 44.

(2) Osmanlı Devleti Hizmetindeki Akkoyunlu Umerası, (Tayyip Gokbilgin), Türkiyat Mecmuası, Ix., Istanbul 1951, S. 37; Bayezid II nin Ailesi", (M. Cağatay Uluçay), Tarih Dergisi, X. Sayı. 14, Istanbul, 1959, S. 105; Early Turkish Building In Trabzon, (Selina Baliance), Belleten, Cilt, Xxix – Sayı, 113 – Yıl, 1965 Ocak, S. 73.

(3) Early Turkish Building In Trabzon (op. cit), (Selina Baliance), S. 73.

(Nazilli بأيدين)⁽¹⁾، وبهذا فقد ساهمت گولروه خاتون (Gülruh Hatun) في حركة التطور العمراني بمدن عثمانية عدة من خلال عمائرها الخيرية الوقفية، التي أنشأت بعضاً منها داخل المدن والبعض الآخر على الطرق التي تربط المدن ببعضها، بما يمثل حلقة وصل مهمة في تاريخ التطور العمراني للمدن العثمانية.

لقد حظي السلطان بايزيد الثاني بعدد من النسوة اللآئي أسهمن في حركة الإنشاء والتعمير في الدولة العثمانية، ولم يقتصر إسهامهن العمراني والوقفي على مدينة بعينها، وإنما انتشرت أوقافهن في مختلف المدن العثمانية؛ نظراً لمكوث كل واحدة منهن في ولاية من الولايات التابعة للدولة العثمانية بالأناضول، وكانت كل سيدة منهن تعيش مع أولادها ولاة (السناجق) من الذكور، وإن لم يكن لديها أولاد ذكور فقد كان يُنشأ لها قصر تمكث فيه في الموضع الذي تحبه وتكون تحت رعاية السلطان نفسه يفد إليها كل مدة، وإلى جانب (بلبل خاتون)، و(فرخشاد خاتون)، وجولبهار (گولبهار خاتون)، وجولروه (گولروه خاتون)، فقد أسهمت كل من (حسنه شاه خاتون) ابنة (نصوح بيك الكرمانلي)، و(شيرين خاتون) -وهن زوجات السلطان بايزيد الثاني- أيضاً في إنشاء الأوقاف العثمانية وتشيد العمران، إذ شيّدت حسنه شاه خاتون (Hüsnüşah Hatun) في مدينة (مغنيسيا) مسجد الخاتونية سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م، حينما كان ابنها (شهزاده شاهينشاه) سنجق بيك على المدينة، أما شيرين خاتون (Şirin Hatun) فقد شيّدت مدرسة بمدينة بورصة ومسجداً بمدينة طرابزون على البحر الأسود⁽²⁾.

وأنشأت (قمر خاتون) مربية السلطان سليم الأول جامعاً في منطقة بك أوغلو (بيوغلو) في إستانبول، واتسع نطاق الأوقاف في أثناء عهد السلطان سليمان القانوني، فأنشأت والدته (حفصة سلطان) عدة عمائر وقفية في مدينة أو ولاية (مغنيسيا) ضمن مجمع معماري أو كلية معمارية واحدة، تضم: جامعاً ومدرسة ومطعماً خيرياً وخبانقة ومستشفى وحمّاماً ومكتباً للصبيان، ووَقَّفت عليها جميع ممتلكاتها في مدن (بورصة ومغنيسيا ومنتشه)، ولها وقفية باللغة العربية مؤرخة بسنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م

(1) Bayezid II nin Ailesi" (op. cit), (M. Cağatay Uluçay), S. 105.

(2) Early Turkish Building In Trabzon (op. cit), (Selina Baliance), s. 74.

جاء فيها أن يقدم الطعام مرتين في اليوم؛ صباحًا وبعد العصر لطلبة العلوم الدينية والعلماء وضيوف الخانقاة وطلبة المدارس الفقراء^(١).

وتتابعت أوقاف النساء في أثناء عهد السلطان سليمان القانوني ولا سيما بمدينة إستانبول، وشيّدت مربيته دايا خاتون جامعًا في حي داود باشا بإستانبول^(٢)، وبنت زوجته جُلغم خاتون أوقافًا لها في ضاحية إسكدار في الجزء الآسيوي بإستانبول، وسجلت وقفيتها سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م متضمنة شروطها لصرف رواتب إمام وخطيب المسجد والمفسر وسبعة من القراء، ومما وقّفته ليدر ريع الرواتب والأوقاف ما يأتي: أربعة وعشرون غرفة في أحد أحياء إستانبول، وعشر غرف أخرى، ومنزل وأربعة دكاكين وستة منازل أخرى بجوار حَمّام الأوجه، وخمسة بيوت في حي جلبي أوغلي، ومخبز وثلاثة بيوت وغيرها، ويؤخذ من هذه الأوقاف لتوفير الطعام اللازم للعمارة يوميًا بمقدار خمس عشرة أوقية من اللحم، وإحدى عشرة كيلة ونصف كيلة من القمح لعمل الخبز، ويقدم القمح المطبوخ مرة كل يومين، وكذلك يقدم طوال شهر رمضان، وفي ليلة الجمعة من سائر شهور السنة كيلتان من الأرز، والعسل، والملح، والزعفران، والخطب، وما يتبقى من أموال هذه الأوقاف يخصص لقراءة القرآن في المولد^(٣).

لم تكن أوقاف النساء حكرًا على مدينة معينة، بل اتسع نطاقها لجميع المدن العثمانية ولا سيما في الأناضول، إذ تضمنت وافية سيدة تدعى الحاجة عائشة خاتون بنت محمد أفندي بن عيسى بك بمدينة إسكوبيا بمقدونيا في يناير سنة ١٥٩٦م وقفها لسبعة دكاكين بقرب جامع ألاج وورثتها من والدها، ثم أرضًا زراعية مساحتها ٤٠ ديكارًا، وبيتين في حي خاتون جيكلير، وحديقة في حي (يجيت باشي)، ومطحنة ذات ٦ أحجار قرب إسكوبيا، ومبلغًا من النقود قدره ١٤٠٠٠ آقجة، واشترطت الواقعة عائشة خاتون أن يتولى ابنها محمد الطاهر منصب ناظر الوقف بعد وفاتها، وأن يورث هذا المنصب على ذريته جيلاً بعد جيل^(٤)، وانتشرت الأوقاف في هذه المدينة انتشارًا واسعًا حتى وجد بها - حسب الوثائق العثمانية والبحوث المطبوعة - عدد

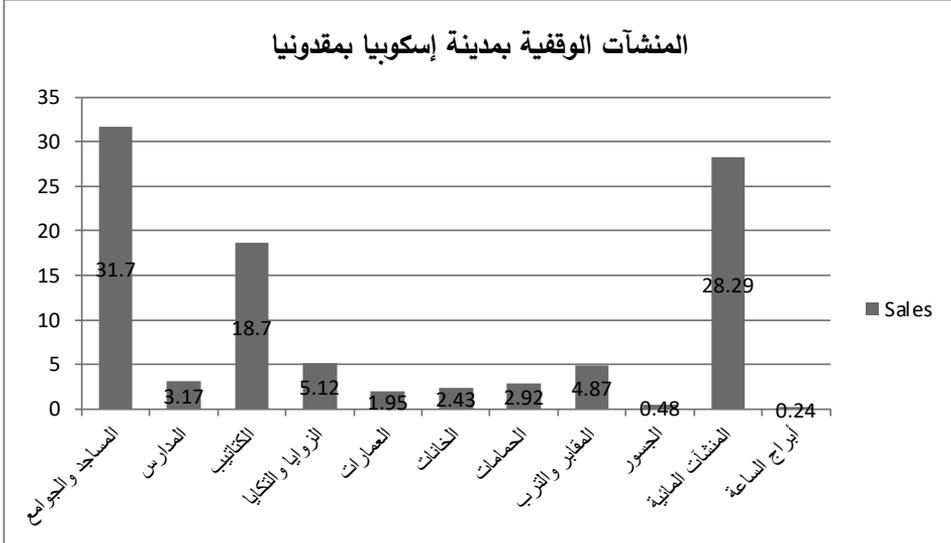
(١) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٦، ٤٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٩.

(3) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 37

(٤) ينظر: الأوقاف في مقدونيا، أحمد شريف، ص ٩٨-٩٩.

٤١٠ مبانٍ وقفية كالاتي: ١٣٠ مسجدًا وجامعًا، ١٣ مدرسة، ٧٧ كتابًا، ٢١ زاوية وتكية، ٨ عمارات، ١٠ خانات، ١٢ حمامًا، ٢٠ مقبرة وتربة، برج ساعة، جسران، ١١٦ وقفًا مائيًا بين أسبله وچشم وصنابير مياه^(١).



رسم بياني يوضح تقسيم المنشآت الوقفية بمدينة إسكوبيا بمقدونيا إلى نسب مئوية لإجمالي عددها (عمل الباحث)

وانتشرت الأوقاف في القرن ١١هـ/ ١٧م في أنحاء الدولة العثمانية كافة، وكان النصيب الأوفر لمدينة إستانبول، فأقامت نوربانو سلطان كبيرة زوجات السلطان سليم الثاني عددًا من المنشآت الوقفية، منها: كلية معمارية كبيرة بالجزء الآسيوي من إستانبول (إسكدار)، يضم هذا الوقف جامعًا ومدرسة ومستشفى ومطبخًا وحمامات ومدرسة للصبيان وخانًا مزدوجًا، ووقفت على مجموعها هذا أوقافًا كثيرة، وأنشأت سبيل ماء لخدمة هذه الكلية كانت تجلب له الماء من ثلاثة منابع، وفي القرن ١٢هـ/ ١٨م أقامت السيدة مهرشاة كبيرة زوجات السلطان مصطفى الثالث والدة السلطان سليم الثالث عددًا من المساجد في جميع أنحاء مدينة إستانبول^(٢). لم يقف حد العطاء والخير داخل الجوامع والمساجد العثمانية على أنها دور للعبادة تؤدي فيها الصلاة والخطب والوعظ، بل امتد العطاء لما أبعد من ذلك ليشمل

(١) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ١٠١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

نواحي مدينة تؤدي الغرض نفسه الذي ينشأ الوقف من أجله وهو مساعدة الناس ابتغاء مرضاة الله ﷻ، إذ وضعت داخل الأدوار العلوية في الجوامع أو أعلى الجدران خزانات حائطية بمنزلة صناديق ائتمانية أو أماكن لحفظ الودائع والأمانات، وكان بإمكان أي شخص -أيًا كان دينه أو جنسه- ترك بضاعته الثمينة أو نقوده وأماناته بهذه الخزانات داخل الجوامع المنتشرة بمدينة إستانبول، وذلك من دون أن يسدد أي أجور أو يدفع أي مبالغ نظير حفظها، وكان يستطيع تسلمها كما هي ولو مضت عليها سنوات؛ إذ لم يُعثر على شكوى واحدة في هذا الشأن على حد تعبير (أوزتونا)^(١).

خامسًا: وقف المدارس والمكتبات:

أنشئت المدارس الإسلامية في المشرق الإسلامي^(٢) عقب ظهور الحاجة إلى التفرغ لدراسة المذاهب الفقهية إلى جانب علم الحديث^(٣)، ومن ثم كانت بداية ظهورها بخراسان ثم بالعراق وسوريا وانتقلت على يد الأيوبيين إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب العربي^(٤)، واشتهرت المدارس في الأناضول على مر تاريخ الدول الإسلامية بها، إلا أنها أخذت حركة نظامية على يد السلاجقة الذين مثلت المدارس عندهم أعظم مبلغًا من فنون العمارة الإسلامية ووهب الأعمال الخيرية ووقفها، وبلغ عدد مدارسهم الوقفية ٦٧ مدرسة في أثناء الفترة من منتصف القرن ٦هـ/ ١٢م حتى أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م^(٥)، وقد شكلت هذه المدارس اللبنة الأولى لظهور فكرة المجمعات الإسلامية المعمارية.

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ص ٦٣٨.

(٢) ينظر: تطور العمارة الإسلامية بتطور وظائفها، سعد محمد ماهر، مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، مج ١٨، ١٩٧١م، ص ٥٨-٦٣؛ والمدرسه العثمانية منذ عصر الفاتح حتى وفاة القانوني (١٤٥١-١٥٦٦م) في ضوء المصادر التركية، أحمد عبد الله إبراهيم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة بقسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب-جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م، ص ١٢-١٧.

(٣) ينظر: منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، محمد سيف النصر أبو الفتوح، رسالة (دكتوراة) بكلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م، ص ٣٨٩.

(٤) ينظر: المساجد الجامعية بمدينة تونس في العصر الحفصي «دراسة أثرية معمارية»، عامر حسن عجلائن، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١١م، ص ٦٣.

(٥) ينظر: فنون الترك، أوقطاي أعلان أبا، ص ٩٥-١٠٧، ص ١٥٣-١٥٩؛ والمدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصر سلاجقة الروم والمماليك البحرية «دراسة أثرية معمارية مقارنة»، طلال محمد الشعبان، رسالة (دكتوراة) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٦٨-٣١١؛ والمدارس السلجوقية في الأناضول «دراسة معمارية وثائقية»، فهيم فتحي إبراهيم، بحث ألقى في المؤتمر الدولي الثالث للتراث المعماري «تجارب وحلول للحفاظ والتأهيل»، كلية الهندسة، الجامعة الإسلامية بغزة، أبريل ٢٠١١م، ص ١-٣٣.

Anadolu Medreseleri, (Aptullah Kuran), Cilt.1, Ankara, 1969, S, 15-18, 44-59.

انتشر الوقف على المدارس ودور العلم انتشاراً واسعاً في الحضارة الإسلامية، مما كان له أثر واضح في نشاط حركة التعليم عند المسلمين، فبنت المدارس أصلاً عن طريق الوقف، ووفرت حاجيات التعليم بأبعاها المختلفة من مدرسين ومساكن ومكتبات وأدوات وتجهيزات مدرسية، وبمجرد ظهور المدارس النظامية برز فريق من المعلمين المتفرغين لمزاولة مهنة التدريس بما أظهر ضرورة وجود مورد ثابت ينفق منه عليهم، فوَقِّتْ بعض الممتلكات الخاصة على المدارس للصرف عليها وعلى المشتغلين بها، وأنفقت أموالاً طائلة لضمان بقاء هذه المؤسسات واستمرارها في أداء وظيفتها التي أنشئت من أجلها، وما كان لأي مدرسة أو منشأة تعليمية أن تقدم خدماتها إلا بوجود الوقف، وذلك في مختلف العصور الإسلامية.

ويصور -على سبيل المثال- أبو الفضل بن منقذ الكناني مدارس بلاد الشام وأوقفها في القرن السابع الهجري فيقول:

ومدارس لم تأتها في مُشكل	إلا وجدت فتىً يحل المشكلا
ما أمَّها مرء يكابد حيرة	وخصاصة إلا اهتدى وتمولا
وبها وقوف لا يزال مغلُّها	يستنقذ الأسرى ويُغني العيِّلا
ومعاشر تحذوا الصنائع مكسبا	وأفاضل حفظوا العلوم تجملا ^(١)

وبلغ اهتمام المسلمين بالعلم مبلغاً عظيماً لا يكاد يوازيه في حضارة أخرى، وقد كان ذلك من توجيهات ديننا الحنيف، فقد حثنا الله في القرآن الكريم على العلم، فكانت أول آيات نزلت من كتاب الله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾^(٢)، إلى جانب عدة أحاديث للنبي ﷺ، وقد كانت الدولة العثمانية إحدى الدول الإسلامية التي حظي العلم عندها بمكانة كبيرة وأهمية عظيمة، والمفهوم من مصطلح التعليم والعلم عند العثمانيين هو الأنشطة والجهود التعليمية والعلمية التي تطورت فوق الرقعة الجغرافية التي انضوت تحت لواء الحكم العثماني، وقد قامت النهضة العلمية

(١) ينظر: الوقف الثقافي والعلمي، أحمد بن عبد العزيز الحداد، ص ٢٢.

(٢) سورة العلق، الآيات (١-٥).

بمؤسسات العثمانيين بفضل التقاليد المستقرة في المؤسسات العلمية القديمة منذ عهد السلاجقة، وبفضل العلماء الذين وفدوا من مصر وسوريا وإيران وتركستان؛ والتي كانت من أهم المراكز العلمية والثقافية الإسلامية آنذاك، وأضفى العثمانيون على الحياة الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي دينامية وثراءً جديدين، وعلى ذلك بلغت التقاليد العلمية الإسلامية ذروتها في القرن ١٠هـ/ ١٦م، وظهرت مراكز علمية وثقافية جديدة في بورصة وأدرنة وإستانبول وأوسكوب وسراي بوسنة وغيرها من مدن البلقان والأناضول، إلى جانب المراكز القديمة بفعل الوقف ورعايته للعملية التعليمية^(١).

كان الأساس في قيام المدارس الإسلامية بتدريس الفقه، وقد اقتصرت المدارس النظامية في القرن ٥هـ/ ١١م على تنشئة الفقيه المتخصص^(٢)، وكانت هناك مدارس وُقِّفَتْ لتدريس مذهب بعينه وتخريج الفقهاء على هذا المذهب، ومدارس أخرى تقوم بتدريس عدة مذاهب أو المذاهب الأربعة معًا، وعدا الفقه وعلوم العربية كالصرف والنحو لا توجد معلومات حول تدريس العلوم العقلية الأخرى داخل المدارس النظامية الأولى، وعرفت في أثناء العهدين الأيوبي والمملوكي بمصر والشام مدارس فقهية وأخرى للحديث، وثالثة للتفسير، ورابعة للنحو^(٣)، وقد أقيم نظام المدرسة في العالم الإسلامي مثلها مثل جميع مؤسسات الخدمات الاجتماعية والتكافل الاجتماعي: كالجوامع والمستشفيات ودور الإطعام وخانات الطرق وغيرها.

وسار التعليم لحقبة طويلة عند العثمانيين عن طريق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، فأما المؤسسات الرسمية فتضم: المدارس الابتدائية أو مكاتب الصبية، والمدارس التعليمية، ومدرسة الإندرود الداخلية في طوبقاي سراي، والمؤسسات التعليمية العسكرية؛ وأما المؤسسات التعليمية غير الرسمية فكانت تضم: المساجد والمصليات الفرعية، المنزل والزوايا الخاصة بالدرراويش، جمعيات الأخية، المكتبات

(١) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٤٤١.

(2) The Rise Of Colleges, Institutions Of Learning In Islam And The West. (George Makdisi), Edinburgh, Edinburgh University Press, 1981. <http://hdl.handle.net/2027/Heb.00913.0001.001>.

(3) Islamic Architecture, Forms, Functions And Meaning, (Robert Hillenbrand), Edinburgh University Press, 1994, pp. 129-130.

والقصر العثماني، منازل القراءة^(١). وكانت للمدارس وظيفة اجتماعية استطاعت من خلالها تعزيز الوحدة التعليمية والثقافية للشعوب الإسلامية متباينة الأعراق والأجناس، وضمنت لها وحدة النظر إلى الحياة، واستطاعت المدارس في الوقت نفسه المساواة التعليمية بين جميع أطراف المجتمع وأفراده، وقد قامت المدارس باعتبارها جزءاً من الحياة العامة المرتكزة على أساس فكري واحد بالوفاء بخدماتها قروناً عديدة، وذلك بتوجيه من المؤسسة الدينية من ناحية الفكر والعقلية، وداخل نظام الوقف من ناحية التركيب والبنيان، ومن الناحية المالية أيضاً تحت رقابة الدولة ووفقاً لضوابط المؤسسة الوقفية وشروطها، ولما كانت المدارس قائمة ضمن الكيان الاجتماعي العثماني ومرتبطة في الوقت ذاته بالسلطة السياسية فإن تقدمها أو تأخرها يرتبط إلى حد كبير بقوة الدولة واستقرار المجتمع ودور الأوقاف^(٢).

ومن هذا المنطلق فقد حرص العثمانيون على إلحاق المتميزين من الأطفال بمدارسهم التي شيّدوها كأجزاء من أوقافهم الكبرى في مختلف أنحاء الدولة العثمانية، ولم يكن هنالك تفرقة بين أطفال الفقراء وأطفال الأغنياء، فقد استوعبت المدارس العثمانية جميع أطراف الطلاب ممن لديهم المهمة والقدرة على استيعاب العلم، وبدأت الدولة العثمانية في استقرارها عقب الفتوحات التي قام بها السلاطين الأوائل في كل من أوروبا وآسيا الصغرى، واهتموا بالترجمة وحركة العلوم وإنشاء المكتبات وإقتناء الكتب والمخطوطات القديمة، وبلغ من شغف السلطان محمد الفاتح بالعلم والإطلاع أنه طلب من جمهورية راغوصة «دوبروفينيك الإيطالية» أن تدفع له الجزية على هيئة مخطوطات تُجمع له من شتى نواحي إيطاليا، وقد ناصر -رحمه الله- العلوم الإسلامية وشجع الشعراء والأطفال ليتعلموا، وأغدق عليهم الهبات، بل كان هو نفسه شاعراً محباً للعلوم^(٣).

وقد تفاوتت أوقاف المدارس تبعاً لمنشئها ولمواقعها، فمنها ما حظي بنصيب

(1) Primary Education System In Ottoman Empire, (Selami Sönmez), International Journal Of Humanities And Social Science, Vol. 3, No. 5, March 2013., P. 164.

(٢) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٤٤٨.

(٣) ينظر: الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٣٢-٣٣.

وافر نتيجة غنى من وقف عليها و ثراء و سلطته، أو تكاثرت أوقافها ونمت مع الوقت، فيحظى منسوبها بالتالي بنصيب وافر من المال والمأكولات والملابس، ومنها ما يكون نصيب منسوبها أقل من ذلك، وغالبًا ما تشتهر المدرسة ويعلو صيتها بكثرة أوقافها، وعكس ذلك صحيح أيضًا، إذ ثبت أن كثيرًا من الطلاب الذين يعتمدون في معيشتهم على الأوقاف يضطرون إلى ترك المدرسة في حال تأثر وقفها - إذا كان زراعيًا - بأحوال الموسم^(١)، ولم يقتصر الأمر على موضع من دون الآخر وعلى عهد إسلامي من دون غيره، إنما كان الأمر عامًا، ويشير «النعيمي» إلى حدوث شيء من ذلك لبعض مدارس دمشق، فذكر أن الحضور في بعض السنوات في مدارس دمشق في أثناء العهد العثماني كان قليلًا بسبب قلة الجوامك^(٢)، بسبب الآفات التي تصيب أوقاف المدارس لا سيما إذا كانت زراعية^(٣)، وذلك لأنها تختمل وقوع الضرر بشكل غير متوقع بسبب قلة الأمطار أو انقطاع المياه أو قلة المحصول. لم يقتصر دور الوقف في عملية التعليم على أنه المورد المالي الرئيس لها، بل تعدى ذلك إلى الولوج في جوانب العملية التعليمية وطريقة سيرها وتحديد ساعات التدريس وأيامه وأيام الإجازات، وغير ذلك مما تمثله وثيقة الوقف لكونها اللائحة المنظمة والحاكمة للمؤسسة التعليمية (المدرسة) ومن فيها، فضمت تلك الوثائق الأسس التربوية للتعليم والشروط التي يجب توافرها في القائمين بالتدريس ومواعيد الدراسة، والحقوق والواجبات، وما إلى ذلك من التنظيمات الإدارية والمالية^(٤)، كما حدد الواقفون طبقًا لريح الوقف أعداد الطلبة في كل مذهب من المذاهب الفقهية التي يتم تدريسها بالمدرسة، وطلاب التفسير، وطلاب الحديث^(٥)، وغير ذلك، مع توفير مساكن خاصة للمدرس ومعاونيه والطلاب حسب أعدادهم، وغالبًا ما كانت المساكن داخلية داخل المدرسة ذاتها، وفي حال عدم وجود مساحة داخلية للسكن كان يتم توفير مساكن خارجية من مال الوقف ولا سيما للطلاب الغرباء، إذ كانت

(١) ينظر: الوقف وأثره، إبراهيم بن محمد المزيني، ص ١٥.

(٢) وهي الرواتب التي تُدفع للطلاب المنقطعين للتعلم داخل المدارس.

(٣) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر النعيمي، مطبعة الترقى، دمشق، سوريا، ١٩٤٨م، ج ١، ص ٢٩٠.

(٤) ينظر: الوقف وأثره، إبراهيم بن محمد المزيني، ص ١٦.

(٥) ينظر: الأوقاف والحياة الاجتماعية، محمد محمد أمين، ص ٢٤٠.

المساكن من أهم مرافق المدارس الضرورية، كما تعهد الواقفون بتكفل كل ما يلزم هؤلاء من مأكّل ومشرب يصرف لهم يوميًا، وملبس يصرف لهم موسميًا، وذلك مع ما يتقاضونه من رواتب شهرية^(١)، ولم يقتصر دور الأوقاف في رعاية العلماء والمدرسين على رواتبهم في أثناء عملهم بالتدريس، وإنما بلغت الأوقاف العثمانية درجة سامية جدًّا في حفظ حقوق هؤلاء وضمان ما يكفل لهم عيشة كريمة تحت مظلة الأوقاف العثمانية، إذ كان يصرف لهم ما يعرف بال(جهت) وهو معاش يتقاضاه العلماء من الأوقاف بعد تقاعدهم من العمل^(٢).

وقد شيّد السلاطين العثمانيون العديد من المؤسسات العلمية الكبيرة التي اختصت أجزاء منها بالعلوم الشرعية، إلى جانب مؤسسات أخرى لعلوم الطب والهندسة والفلك وغير ذلك، فعندما يبلغ الطفل بضع سنين يلتحق بالكتاتيب التي بنيت بأموال الأوقاف، ويتقاضى شيخه ومعلمه راتبه من أموال الوقف، ويلتحق بعد ذلك الطالب بالمدارس الوقفية، وكان التعليم في الدولة العثمانية كله وقفًا ويصرف لتشغيله من أموال الوقف^(٣)، وقد كان اهتمامهم بإنشاء هذه المؤسسات التي تُعرف بالمدارس امتدادًا لما عُرف عن السلاجقة والزنكيين وأمراء الأناضول، حيث اشتهرت بلاد الأناضول في أثناء الفترة السابقة على العثمانيين بوجود عديد من المدارس الشهيرة من قبل السلاطين السلاجقة وقفت على طلاب العلم بمختلف أطيافهم، ومن هذه النماذج الباقية كل من: مدرسة كوجك بمدينة قيصريّة بالأناضول، ومدرسة قره طاي بمدينة قونية، ومدرسة إينجه منارلي بقونية، وآق مدرسة بمدينة نبيدا، ومدرسة جيفت منار بمدينة أرضروم، ومدرسة قايي أغاسي بمدينة أماسيا وغيرها، وكلها بنيت في أثناء القرنين ٧-٨هـ/١٣-١٤م^(٤).

وقد تنوعت المؤسسات التعليمية في العهد العثماني واختلفت أشكالها وأناطها المعمارية، إضافة إلى تعدد وظائفها التعليمية، ويُعدّ أقدم مثل باقي مدارس العثمانيين ومؤسساتهم التعليمية هي مدرسة سليمان باشا في مدينة إزنيق بالأناضول، والتي

(١) ينظر: الوقف وأثره، إبراهيم بن محمد المزيني، ص ١٦.

(٢) ينظر: معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري، ص ٤٢.

(٣) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٤) ينظر: فنون الترك وعمارتهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٩٥-١٠٧.

يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م، وتليها مدراس مدينة بورصة أول عاصمة للعثمانيين^(١).

هذا وقد بزغ نجم مصطلح تميزت به عمارة المؤسسات التعليمية العثمانية ألا وهو مصطلح «الإيوان»، وهو عبارة عن مساحة مربعة أو مستطيلة تقع بالمدرسة وتغلق من ثلاث جهات وتفتح من الجهة الرابعة على فناء المدرسة، وقد عُرف هذا الإيوان باسم قاعة الدرس أو «الدرس خانة» كما يُعرّفها العثمانيون والأترک، وقد ظهرت بداياتها في المدرسة التي شيدها السلطان محمد الأول «جلبي» بمدينة مارزيفون سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م^(٢)، وقد تميزت عمارة هذه المؤسسات التعليمية باحتوائها على جميع الملحقات التي تخدم الطلاب من دون الحاجة لخروجهم منها، وهو الأمر الذي ضمن تفرغ الطلاب وانقطاعهم لطلب العلم.

ومن أهم الملحقات التي احتوت عليها عمارة المنشآت التعليمية العثمانية ما يعرف باسم الخلاوي أو الخلوات (مساكن الطلاب الداخلية)، وهي عبارة عن حجرات صغيرة تقع في جميع جوانب المنشأة، بحيث خصصت كل واحدة منها لأحد الطلاب أو لطالبين أو لأكثر حسب طاقة الحجرات لاستيعاب الطلاب وتكون موضعاً لمعيشتهم واستقرارهم، وقد خصص لكل طالب مخدع للمبيت، ومكتب لمذاكرة الدروس، إضافة إلى أنية الشراب والطعام، كما اشتملت تلك المؤسسات على دورات للمياه، وقد وُزعت ملحقاتها بطريقة هندسية بالغة الدقة والإتقان، حيث جاءت قاعات الدرس والمبيت في اتجاهات بعيدة عن الطرق العامة لضمان الراحة والهدوء للطلاب، وكان يوقف على كل طالب إدّخار يومي للمأكل والمشرب إلى جانب كسوة تصرف له وقت الحاجة، وراتب يومي لتحفيز الطلاب لطلب العلم وضمان إنقطاعهم له، وقد احتوت الوقفيات على تفاصيل تلك الأوقاف وكيفية صرفها وتوزيعها، ومن أين تأتي؟ وما مصادرها؟، ومنها على سبيل المثال بمدينة إستانبول المدارس التي شيدها السلطان الغازي محمد الفاتح ملحقة بجامعة الكبير بالمدينة، إذ تذكر الوقفية ما نصه:

(1) Islamic Architecture (op. cit), (Robert Hillenbrand), P. 207.

(2) Ibid, Pp. 215-216.

«وأما المدارس الكبرى فقد وقفها على الطلبة المستفيدين للعلوم الشرعية والعقلية ليسكنوا فيها، وعلى المدرسين العالمين بالمعارف العقلية النقلية ليحضروا هناك لدى الاشتغال بالتدريس والتعليم، وأما المدارس الصغرى فقد وقفها على المستفيدين من الطلبة الساكنين في المدارس الكبرى، أحسن الله إلى الواقف...»^(١)، وأنشأت قمر خاتون مربية السلطان سليم الأول مدرسة للصبيان بجوار منطقة «يدي قوله» في إستانبول^(٢).

لم تقتصر الأوقاف العظمى على المدارس في الدولة العثمانية على مدينة إستانبول وحدها، وإنما انتشرت في المدن العثمانية كافة، وقد وجد على سبيل المثال في مدن بورصة وأدرنة العديد من نماذج المؤسسات التعليمية التي أنشأها العثمانيون لتعليم الأطفال من الفقراء والمساكين وغيرهم، ومن أقدم نماذجها في مدن بورصة وأدرنة كل من: مدرسة المرادية للسلطان مراد الأول ببورصة، ومدرسة السلطان بايزيد الثاني بأدرنة، وانتشرت أيضًا المدارس العثمانية في مختلف مدن الدول التي انضوت تحت الحكم العثماني، فوجدت نماذجها في سوريا والعراق ومصر وليبيا وتونس والجزائر ومدن آسيا الصغرى ومدن البلقان وغيرها^(٣).

وقد أسهمت بلبل خاتون (زوجة السلطان بايزيد الثاني) في عمران مدن الأناضول بالمنشآت التعليمية فشيدت مدرستين إحداهما بمدينة أماسيا والأخرى في مدينة بورصة، ولما كثرت أوقافها أنشأت وثيقة الوقف الخاصة بها سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م^(٤)، وأنشأت حفصة سلطان والدة السلطان سليمان القانوني مجمعًا للعمارة الخيرية في مغنيسيا ضم مدرستين إحداهما للصبيان، ووقفت عليها جميع ممتلكاتها في مدن بورصة ومغنيسيا ومنتشه سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م^(٥)، وأقامت نوريانو سلطان عددًا من المنشآت الوقفية، منها كلية معمارية كبيرة بالجزء الآسيوي من إستانبول (إسكدار) تضم مدرستين: إحداهما للحديث والأخرى للقراء ومكتبًا

(١) وقفية السلطان الفاتح، (نسخة مصورة عن الأصل) محفوظة بمكتبة السليمانية بإستانبول، الصفحة رقم (١٥).

(٢) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٩.

(3) Islamic Architecture (op. cit), (Robert Hillenbrand), pp. 216-220.

(4) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çığatay Uluçay), S. 44.

(٥) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٦.

للصبيان^(١)، بخلاف المدرسة الأساسية، وقد أوردنا في الدراسة الوصفية مدارس كل من مهرماه سلطان ضمن كليتيها المعمارتين بإسكدار وأدرنة قاي، ومدرسة خاصكي خرّم سلطان بأورتابازار، ودار حديث ماهيكر كوسم سلطان بإسكدار. وقد أقامت السيدة مهرشاة سلطان في القرن ١٢هـ/ ١٨م (وهي كبرى زوجات السلطان مصطفى الثالث) مدرسة بمدينة إستانبول، وأنشأت مكتبة داخل جامع أبي أيوب الأنصاري: مساهمة منها في وقف الكتب والمكتبات على طلاب العلم^(٢)، فيما أنشأت «نازيور قالفه» مربية السلطان سليم الثالث مدرسة للصبيان في حي داود باشا بإستانبول، وفي القرن ١٣هـ/ ١٩م وقّعت السيدة نقشديل سلطان مدرسة للصبيان بمدينة إستانبول: مساهمة منها في الوقف العلمي^(٣).

سادسًا: وقف مكاتب الصبيان:

مكاتب الصبيان (صبيان مكتبي): هي المكان الذي يتولى مهمة التعليم والتربية الأولى للطفل عند العثمانيين، أي: المدرسة الأولية، وهي استمرار لما عُرف في تاريخ الحضارة الإسلامية باسم (الكتّاب)، وعُرفت عند العثمانيين بأسماء أخرى أيضًا، مثل: دار التعليم، دار الحفظ، طاش مكتب، مكتب، وكانت تقام تلك الكتاتيب أو المكاتب داخل الكليات المعمارية كجزء من عمائرها الوقفية إلى جوار المساجد والمدارس، وأحيانًا كانت تُبنى مستقلة برعاية واقف من رجال الدولة أو نساءها أو حتى من السلاطين أنفسهم، ونظرًا لقلّة تكاليف إنشائها فقد انتشرت في جميع القرى والأحياء، وتدلنا وقيّات تلك المكاتب على أنها كانت تضم الصبية من الذكور والإناث معًا، أو تقام لكل منهم أبنية خاصة مستقلة، وعلى الرغم من أن تلك المكاتب أقيمت ضمن نظام الأوقاف، وكانت تدار تبعًا له ونصت وقيّاتها على أسس العمل فيها، فإنها اشتملت على العديد من الجوانب المشتركة في المسألة التعليمية، وكانت العادة أن يلتحق الطفل بهذه المكاتب عند بلوغه خمس سنوات^(٤)،

(١) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٥١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٢.

(٤) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٤٥٠.

أو ثلاث سنوات، وفي غالب الأحوال كانت مكاتب الصبيان تقبل الأطفال حتى ٦ سنوات^(١)، ويبدأ دروسه فيها باحتفال مفعم بالحوية يعرف باسم احتفال آمين (آمين آلي) أو بدء البسملة، ولم يكن هنالك شروط معينة لقبول الأطفال في تلك المكاتب، أما المدرسون فقد كان يجري اختيارهم من بين الأئمة والواعظين ممن حصلوا على تعليم ديني مدرسي، أو ممن يجيدون القراءة والكتابة، وقد تنص وقفية المكتب أحياناً على أن يكون معلم الكتابة ممن يجيدون الخط^(٢)، أما المكاتب المختلطة أو في مكاتب البنات فكان يقوم بالتدريس مدرسات ممن بلغن سنّاً معينة، وحفظن القرآن الكريم وكنّ على علم وتجربة بالتعليم^(٣).

لم يكن لمكاتب الصبية من الناحية الرسمية برامج تعليمية محددة^(٤)، ولكن يمكن -من خلال شروط الوقف حول الدروس، ومن الأحكام التي كانت تصدر بين الحين والآخر- إجمال أهمية هذه المكاتب في أنه كان منوطاً بها تحقيق سبعة أمور أساسية لمن يلتحق بها من الأطفال، وهي:

١- تعليم الأطفال الأتراك قراءة القرآن الكريم بطلاقة، والكتابة باللغة العربية بشكل صحيح.

٢- تعليم أصول الإسلام ومبادئه.

٣- تعليم أشكال العبادة في الإسلام.

٤- تعليم مبادئ الأخلاق وفن المعاملات في الإسلام.

٥- تعليم الآداب الإسلامية الصحيحة إضافة إلى الحساب وأهم قواعده.

٦- تحديد قدرات الأطفال.

٧- تأهيل الطلاب للمدارس التعليمية^(٥).

كان الطفل في أثناء فترة الدراسة بمكاتب الصبيان يتمتع بحقوقه كافة وفقاً لضوابط وثائق الوقف الخاصة بكل منها، واشتركت غالبية هذه المكاتب في الآتي:

(1) Primary Education System (op. cit), (Selami Sönmez), P. 165.

(2) Türkiye Eğitim Sisteminin Gelişmesine Tarihi Bir Bakış, (Faik Reşit Unat), Mkb, Ankara, 1964, S. 6-7.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٤٥٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق، مج ٢، ص ٤٥٠.

(5) Primary Education System (op. cit), (Selami Sönmez), P. 165.

- ١- كان التعليم في المكاتب مجانياً للجميع.
 - ٢- يعطى الطفل بدلاً نقدياً يومياً كمصروف للجيب بقيمة (٢) آقجة فضية.
 - ٣- يحصل كل طالب على ملابسه مرتين في العام؛ إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف.
 - ٤- يتم إطعام الأطفال وجبتين طبقاً لنصوص الوقفيات داخل المكاتب.
 - ٥- يتم تنظيم رحلة واحدة ترفيهية في أثناء العام الدراسي على نفقة الأوقاف^(١).
- ومن حيث لغة التعليم داخل مكاتب الصبيان فهناك آراء متباينة حول ذلك، ولكن كان هناك قبول بأن لغة التعليم بوجه عام هي التركية، وعلى الرغم من عدم تحديد سن التخرج من تلك المكاتب فإن الصبي كان ملزماً بختم القرآن مرة على الأقل لإثبات إتقان قراءته بلغته الأصلية^(٢)، ومن مكاتب الصبيان التي شيّدها (كولهار خاتون) والدة السلطان (ياووز سليم الأول)^(٣) مكتب الخاتونية الملحق بجامعة الخاتونية بمدينة طرابزون بين ٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م، واشترطت فيه الشروط السابقة، ومنها تقديم وجبتين للأطفال داخل مكتب الصبيان^(٤).
- وقد حظيت مدينة إستانبول بعدد من المؤسسات التعليمية من مكاتب الصبيان والمدارس الأخرى أكثر من جميع مدن الدولة العثمانية، فيما وصل عدد المدارس الابتدائية في القاهرة وضواحيها عدد ٦١٧٦ مدرسة^(٥)، ووصل عدد مكاتب الصبيان منتصف القرن ١١هـ/١٧م بإستانبول نفسها عدا ضواحيها ١٩٩٣ مكتباً، وفي مدينة أماسيا ٢٠٠ مكتب، ومدينة أرضروم ١١٠ مكاتب، وفي أدرنة وُجد بالمدينة القديمة وحدها في أثناء تلك الفترة ١٤ مدرسة ابتدائية (مكتب)، وعلى العموم فقد كانت تلك المكاتب وفقاً ينشأ برعاية السلطان والأمراء، وحظيت عمائر نساء القصر العثماني بنصيب وافر من مكاتب الصبيان، إذ لا يكاد يوجد مجمع معماري يخلو من مكتب للصبيان (كما سبق تناوله في الباب الأول من الدراسة).

(١) لمزيد حول سياسة العمل داخل مكاتب الصبيان ومراجعة جميع ما يتعلق بها، ينظر:

Ergin (Osman), Türkiye Maarif Tarihi, Eser Printing, Istanbul, 1977.

(٢) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٤٥٠.

(3) Gokbilgin, Osmanlı Devleti Hizmetindeki, S. 37; Uluçay, Bayezid ii nin Ailesi, S. 105.

(4) Primary Education System (op. cit), (Selami Sönmez), P. 165.

(٥) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، ييلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٨٩.

سابعاً: وقف الكتب والمكتبات:

أما وقف الكتب والمكتبات - وهو في نطاق الوقف على المدارس أو الوقف التعليمي عموماً - فقد تبارى في إنشائه الواقفون، وأنشأوا مكتبات عامة وخاصة لتزويد الباحثين كل بما يحتاج من مؤلفات، وقد تنوع الوقف على الكتب فشمّل مكتبات بأكملها، ووقف الكتب على المدارس والمشافي والخانقاوات وغيرها، واهتم واقفو المكتبات بتوفير دخل مادي ثابت لصيانة الكتب والعمل على نسخ النادر منها، ووضعت لوائح في وثائق الوقف تحدد كيفية استعارة الكتب، وعدد الكتب التي يمكن للطالب أن يطلع عليها يومياً، إضافة إلى وضع شروط خاصة بمن يطلع عليها، إذ اشترطت بعض وثائق الأوقاف العثمانية أن يقتصر الإطلاع والاستعارة لكتبها الوقفية على طلاب المدرسة من دون غيرهم من الطلاب الآخرين، إضافة إلى اشتراط وثائق الوقف على ما يعرف حالياً بأعمال الجرد للكتب ومراجعتها كل فترة، للتأكد من عدم نقص كتاب أو ضياعه من الكتب، ومن أهم أمثلة ذلك ما جاء في وثيقة وقف مدارس السلطان محمد الفاتح الواقعة في مجمعه الوقفي الكبير بمدينة إستانبول، إذ اشترطت فيما يخص مكتبة المدارس ما يأتي:

«وأن يكون للكتب الموقوفة الموصوفة في بيت الكتب حافظ عارف بأسامي الكتب، يدفع الكتب إلى من يحتاج إليه [إليها] من أهل المدارس الشريفة بمعرفة الناظر أو من ينوب منابه، ولا يدفع إلى غيرهم، ويكون له كل يوم ستة دراهم، وأن يكون كاتب متدين يكتب دفترًا يشتمل على أسماء الكتب وكمية الكتب الموجودة في بيت الكتب، وكمية الكتب المدفوعة إلى أهل المدارس، وبالجملة يشتمل على جميع تصرفات الحافظ بمعرفة الأمين من الجمع والتفرق، كيلا يضيع كتاب ولا ورقة من الكتب الموقوفة، وعين له كل يوم أربعة دراهم، وليتعرف الناظر كل ثلاثة [ثلاثة] أشهر حال الكتب، ولا يهمل في صيانتها، ويتحرز كل التحرز عن إضاعتها»^(١).

واتبع الخلفاء العثمانيون وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم، إضافة إلى كبار رجال الدولة والأغنياء نهج السلطان محمد الفاتح في إنشاء الأوقاف التعليمية بمدينة إستانبول،

(١) وقفية السلطان الفاتح، ص ١١٩-١٢٠.

وحظيت المكتبات العلمية والعناية بها باهتمام الأوقاف إذ كانت تخصص لهذه المكتبات أوقاف عظيمة، ومن أعظم أمثلة هذه المكتبات الوقفية المشهورة بمدينة إستانبول مكتبة السلطان الفاتح ومكتبة السليمانية، ومكتبة السلطان عبد الحميد خان الثاني التي شيدها بمجمع السلطان بايزيد الثاني بالمدينة، وضم إليها الخان الذي كان ملحقاً بالمجمع سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، وقد بلغ من شهرة هذه المكتبة وأهميتها أنها كانت تحتوي على ما يزيد على مائة وعشرين ألف كتاب وسبعة آلاف مخطوطة علمية^(١)، ومنها أيضاً المكتبة العلمية التي شيدها شيخ الإسلام مصطفى عاشر أفندي سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م، والذي تولى مشيخة الإسلام وهو كبير في السن في سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م، وأنشأ إلى جوارها خاناً تجارياً يصرف من ريعه على المكتبة وخدماتها، حيث كانت تؤدي خدماتها بالمجان لطلاب العلم، ويقع كل من الخان والمكتبة ملتصقين ببعضهما في منطقة إمينونو بمدينة إستانبول^(٢).

ثامناً: وقف التكايا والزوايا والخوانق:

أطلق مصطلح التكية على منشأة المتصوفة في العهد العثماني، وهي تُعرف في أماكن أخرى بتسميات مختلفة، منها الخانقاة والزوايا والرباطات (الأربطة)، وقد اختلفت الآراء في تفسير المصطلحات الثلاثة^(٣)، غير أن الاتفاق مهما تعددت الألفاظ واختلفت الآراء حول أصول الاشتقاق لهذه التسميات أن اللفظة العربية هي الزاوية، ويقابلها في الفارسية الخانقاة، وأما في التركية فنجد مصطلح التكية، وقد شاع المصطلح الأخير في القرنين ١٢-١٤هـ/ ١٨-٢٠م، حينما تقاعس أصحابها عن العمل وشاع فيهم الكسل والتواكل على غيرهم^(٤)، وقد ورد هذا اللفظ بصيغ مختلفة في القرآن الكريم (سورة الطور، الآية: ٢٠، وسورة الزخرف، الآية: ٣٤)، ومن هذا يظهر أن التكية لفظ عربي الأصول، وهي بناء يسكنه الدراويش الذين ليس لهم كسب وإنما

(١) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٧٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٣) لمراجعة أصل اشتقاق المصطلحات الثلاثة، ينظر: مقدمة الفصل الأول.

(٤) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد هزة الحداد، ص ٢٢٩؛ والعمائر الدينية في غرب الأناضول إبان عهد الإمارات «دراسة آثارية معمارية وفنية»، جمال صفوت سيد، رسالة (دكتوراة) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، مج ١، ص ٢٦٩.

مرتبهم الشهري أو السنوي من أوقاف التكية، وسمي محل إقامتهم التكية؛ لأن أهلها متكونون أي: معتمدون في رواتبهم ومعيشتهم على ما يقدم لهم^(١).

ولا يخفى أن هناك خلطاً بين مهمة كل من الزاوية والرباط والخانقاة، وقد أزال ابن طولون سحابة هذا الخلط فبيّن أن الرباط: هي المسبل للأعمال الصالحة، وقد اشتهر أن تكون في البراري، وغلب عليها أن تكون للعجائز والأرامل والنساء، والخانقاة: اسم لدار الصوفية ينقطعون فيها للعبادة والعزلة^(٢)، أما الزاوية: فهي المصلى الصغير الذي يقيم فيه أحد الشيوخ^(٣)، ومن ثم يأتيه بعض المريدين مما أدرجها ضمن منشآت التصوف والصوفية.

وما يهمننا من ذلك أن التكايا ومنشآت التصوف أصبحت من أولويات مؤسسة الوقف الإسلامي في العهد العثماني، ويذكر أن أول خانقاة بنيت بشكل كامل لوظيفتها المعهودة كانت سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م^(٤)، وتوالى بعد ذلك إنشاء عمائر المتصوفة في مختلف أقطار العالم الإسلامي خاصة في مصر وتركيا العثمانية، وعلى السياق نفسه الذي كان سبباً وراء تسمية المدارس المملوكية بالخانقاوات؛ فقد أُطلق اسم التكايا على المدارس، والمدارس على التكايا^(٥)، وتندرج التكايا ضمن المنشآت الدينية في العهد العثماني، وقد وُقِّعت على المنقطعين للعبادة، إذ انتشرت الطرق الصوفية انتشاراً واسعاً مع نشأة الدولة العثمانية؛ حتى قيل: إن حياة الجماهير الدينية خضعت لتأثير مشايخ الطرق الصوفية أكثر من خضوعها لرجال الدولة والحكومة^(٦)، وقد ورثت الدولة العثمانية هذا الأمر عن الدولة السلجوقية وإمارات الأناضول، وأيضاً عن الدولة المملوكية بمصر؛ إذ اعتمد هؤلاء على الصوفية بشكل كبير في نشر الدين

(١) ينظر: الخطط التوفيقية، علي باشا مبارك، ج٦، ص٥٤.

(٢) ينظر: القلائد الجوهريّة، ابن طولون، ج١، ص٢٨٣-٣٥٩.

(٣) ينظر: خطط دمشق، أكرم حسن العلي، دار الطباع، دمشق، ١٩٨٩م، ط١، ص٣٩٠-٣٩١.

(٤) ينظر: التراث المعماري الإسلامي في مصر، صالح لمعي، طبع جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٥م، ص٢٤؛ والمدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، ص٢٤٣؛ والوقف والعمران، نوبي محمد حسن، ص٦٠.

(٥) ينظر: الطراز العثماني في منشآت التعليم (٩٢٣-١٢١٣هـ/١٥١٧-١٧٩٨م) «دراسة أثرية معمارية»، ميرفت محمود عيسى، رسالة (دكتوراة) غير منشورة بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٩٧-١٩٨.

(٦) ينظر: الأتراك العثمانيون وحضارتهم، كارل بروكلمان؛ نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٤٩م، ص١٠٤؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص٢٢٩؛ والعمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص٢٦٩.

الإسلامي وحمل لواء الجهاد الإسلامي^(١)، وأنشأت حفصة سلطان والدة السلطان سليمان القانوني مجمعاً للعمارة الخيرية في مغنيسيا يضم خانقاة أو تكية للمتصوفة يقيمون فيها من أجل انقطاعهم للعبادة، فيما يُصرف عليهم من أموال الوقف التي اشترطتها الواقفة سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م^(٢)، وقد ضمت بعض المنشآت الوقفية أكثر من وحدة خاصة بالمتصوفة كما هو الحال في وقف نوربانو سلطان؛ إذ تضمن وقفها إلى جانب التكية التي وقَّفتها على المتصوفة وشيوخهم مبنى آخر عرف باسم التابخانه، وقد خصصته للمتصوفة من المسافرين وليس المقيمين، يأتون إليه ويبيتون مدة وجودهم في المدينة ويضيِّقون فيه ضيافة كاملة.

وقد أورد (الشعراني) في بعض كتبه ما يدل على اعتماد مؤسسات الصوفية على الوقف في سد احتياجاتهم، وركّز على مهمة شيخ التكية أو الخانقاة وعلى صفاته من العدل والإحسان، وقام بذكر ضوابط توزيع الحصص من مأكّل ومشرب أو راتب على الفقراء أو المتصوفة والمريدين الموجودين لدى الشيخ، فقال: «يجب على الشيخ إذا وقع على يده قسمة دنيا بين الفقراء أن لا يخص أحداً منهم بشيء زائد على غيره، إلا أن تكون له حاجة ظاهرة للفقراء كلهم بحيث يحنّوا عليه ويرقّوا لحاله، وليحذر أن يأخذ مع الفقراء نصيباً أو لولده فيكون كأحدهم، ففيه دناءة المروءة، وتذهب رياسته عليهم، بل يجب أن يرفق كلما دخل على المساكين والأرامل وغيرهم، ولا يلحس منه لحسة، ولا يأخذ منه فلساً، ولا يدخله بيته أبداً ثم يخرج للفقراء بعد ذلك فإنهم يتهمونه في الأخذ منه قياساً على نفوسهم لو أُخلوا به، فمن فعل ما ذكر مع الفقراء عظم في أعينهم، وهذه شروط خاصة بالفقراء الصادقين»^(٣).

(١) ينظر: التكية المولوية «دراسة آثارية حضارية»، ماهر سعيد هلال الخولي، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧.

(٢) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٦.

(٣) البحر المورود في الموثيق والعهود (العهود الصغرى)، عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت: ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ والصوفية في بلاد الشام في العصر المملوكي (أحوالهم وأوقافهم وعلاقاتهم)، عودة رافع عودة الشرعة، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، العدد ٢١، ٢٠١٧م، ص ١٩٣.

تاسعاً: وقف الأسبلة والعيون:

يُعدّ وقف ماء الشرب من أجل أعمال التقرب إلى الله ﷻ وأعظمها، ذلك أن الله قال في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١)، وقد ذُكر (الماء) في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة، وورد معناه في مواضيع عديدة، مثل: الغيث والمطر والبحار والأنهار...، ومن المواضيع الأساسية التي ارتبطت بذكر الماء في القرآن: الخلق، الإحياء، الطهارة... إلخ.

وقد ورد في السنة أيضاً عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سبع يجري للبعد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»^(٢)، فكان وقف الماء الأكثر حضوراً؛ لأهميته في الحياة العامة في كل المرافق الاجتماعية، سواء الشرب أم الوضوء أم الطهارة والنظافة، ومن هنا فقد تبارى المسلمون في كل بقاع الأرض في وقف ماء الشرب على الإنسان وحتى على الحيوان، وكان من أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية على اختلاف فتراتها ومواقعها كثرة الأوقاف المائية؛ لتوفير المياه الصالحة للشرب، سواء كان ذلك داخل مبانٍ أخرى تُلحق بها كالمساجد والمدارس والمجمعات، أم في مباني مستقلة بذاتها لتسهيل مياه الشرب للمارين بالطرقات وداخل المدن على حدٍ سواء^(٣).

وتُعدّ مباني توفير المياه من أهم العمائر الخيرية التي حظيت باهتمام الحكام العثمانيين الذين يُعنون بالعمل الخيري، ويقصد بها تلك الأبنية التي أنشئت رغبة في التقرب إلى الله ﷻ وأملاً في كسب ثواب الآخرة، ومن ثمّ وقفها أصحابها سبيلاً لله تعالى، «وهذا يعني أن تلك الأبنية كانت لا تدرّ دخلاً للواقف يتصرف فيه كيفما يشاء»^(٤).

وقد اجتهد العلماء من فقهاء المسلمين في تقسيم حق شرب الماء إلى قسمين؛

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٣٠.

(٢) سكب العبرات للموت والقبر والسكرات، سيد بن حسين العفّاني، مج ٢، مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، مصر، ط ١،

٢٠٠٠م، ص ٦٥٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٠٢.

(٣) ينظر: الوقف على الفقراء والعامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٤) العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٤٠.

أحدهما هو الشرب العام الذي يشمل الأنهار والترع العمومية بحيث تكون الاستفادة منها للجميع، أي: لكل واحد من الناس أن ينتفع به كيفما يشاء، وأن يسقي منه أرضه ودوابه وغير ذلك من أوجه الانتفاع، والقسم الثاني هو الشرب الخاص الذي يرتبط بمصادر الماء المملوكة لأشخاص معينين، فحكمه الإباحة للغير بتناول الماء منه بشرط عدم الإضرار بما بناه هؤلاء، كالقنوات المشيدة أو أحواض الشرب وآبائه، ذلك لأن الماء باقٍ على أصل الإباحة»^(١) ولأن النبي ﷺ نهى عن بيع فضل الماء، فقال: «لا يُمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء»^(٢).

ولما كان ماء الشرب أهم أقسام الوقف المائي فإن الاهتمام به كان أعظم، إذ إنه نظراً لعدم صلاحية الماء للشرب مباشرة في الأقطار كافة، فقد قامت منشآت ووقفية مائية لتنقية الماء وتسييله للفقراء والعامّة وأبناء السبيل من دون أجر على ذلك، وقد انتشرت مباني الأوقاف لتوفير مياه الشرب في العهد العثماني بشكل كبير وفي مختلف مناطق وأجزاء الدولة العثمانية، سواء على الطرق الخارجية أم داخل المدن نفسها، وهذا الأمر يجده كل من يتعرض لدراسة التاريخ والحضارة والآثار العثمانية بتكويناتها في أي موضع من المواضع التي قام فيها الحكم العثماني، سواء في آسيا وأفريقيا أم في بلاد البلقان، واشتهرت مباني تسبيل المياه باسم (الأسبلة)، مع أن أصل تسمية السبيل قوله تعالى: «في سبيل الله»، وهي عامة تتضمن كل ما يدخل في نطاق هذا المعنى، وهي المنشآت الوحيدة التي علفت تسميتها في أذهان الناس إلى اليوم خاصتهم وعامتهم بالأسبلة، أما ما عداها من منشآت خيرية فلم يعد كثير من الناس يذكرونها سوى باسمها المجرد المرتبط بوظيفتها فحسب، لا بدالاتها الخيرية التي كانت تُعرف بها طيلة العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث، مثل:

(١) دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة، عبد الله بن إدريس الداودي، بحث مقدم إلى مسابقة أبحاث الوقف في دورتها السادسة، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، متاح للاطلاع على الرابط التالي: <http://www.skyrock.com/Skyrock.Mobi.Azerty1960-Posted-On-2760081310-2010-01-18.html>، الاطلاع بتاريخ: ٢٠/١١/٢٠١٦م، الساعة: ٥:٠٠:١٢.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ج ١٢، تحقيق: عبد القادر شيبه الحمد، طبع على نفقة صاحب السموّ الأمير سلطان بن عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، الحديث (٦٩٦٢)، ص ٣٥١.

الكتاتيب والطواحين والمدارس ودور الطعام وغيرها^(١).

وعرف العهد العثماني أسلوبين لبناء المباني الوقفية المائية هما نفسها اللذان كانا منتشرين قبيل العهد العثماني بالأناضول^(٢)، وهما: أسلوب بناء المباني التي يخرج منها عدد من الصنابير تُعرف باسم الجشم، وأسلوب بناء المباني متعددة الواجهات التي تحتوي على شبابيك تُعرف باسم شبابيك التسييل؛ وهي عبارة عن دخلات في الجدران تغلق عليها شبابيك ذات مصبغات معدنية مفرّغة تتسع ليد الإنسان، بحيث يأتي المارة من الفقراء والعامّة وأبناء السبيل إلى هذه المباني وهم عطاشى؛ ليأخذوا آنية الشرب المعلقة بسلاسل حديدية في الشبابيك المذكورة، ويمدُّ أحدهم يده من بين المصبغات المعدنية، ليجد خلف كل شباك من شبابيك التسييل حوضاً رخامياً مملوءاً بماء الشرب، فيملاً الإناء ويخرج يده من الشباك ليشرّب ويحمد الله، ثم يضع الإناء مرة أخرى في موضعه، ويتكرر هذا النظام مع كل واحد ممن يريد شرب الماء النظيف من السبيل.

وُجِدَت (الأسبلة) في أثناء العهد السلجوقي في واجهات المساجد والمدارس ببلاد الأناضول، واستمرت في عهد (الإمارات التركمانية) التي لا يزال منها بعض الأمثلة الباقية إلى اليوم، مثل: سبيل (كوك مدرسة) بمدينة (سيواس) سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م، إلا أن انتشار هذه المباني الوقفية التي تقدم ماء الشرب كان في العهد العثماني، وأقدم الأسبلة العثمانية الباقية إلى الآن هو (سبيل داود باشا) الذي أنشئ سنة ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م، وهو سبيل تأخذ شبابيكه هيئة العقود المدببة، ثم تغير بعد ذلك أسلوب بناء المباني المائية تبعاً لظروف وأسلوب المباني التي ألحقت بها^(٣)، والتي كانت تبنى على الطرق أو داخل المدن لتسييل الماء^(٤).

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٤٠-٢٤١؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(٤) ينظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٩٦-٩٧؛ والحضارة الإسلامية «إبداع الماضي وأفاق المستقبل»، عبد الحلیم عويس، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ص ١١٠؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

وفي واقع الأمر فإن المنشآت الوقفية المائية وخاصة الأسبلة والچشم كان لها أسرار ورمزيات أخرى لدى السلاطين العثمانيين، وهو الأمر ذاته الذي يمكن أن يلمسه الأمر في منع الوزير أو أي من رجال الدولة لتشييد أكثر من مسجد داخل المدينة الواحدة ولا سيما في العاصمة إستانبول، ولهذا بعد خفي لطالما خالط نفوس السلاطين العثمانيين (على ما يبدو)، لتحمل تلك المنشآت في طياتها دعاية دينية وترسيخاً لمدى أهمية السلطان ودوره في حياة الناس، من خلال توفيره للنبع الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١)، ومن هنا أدرجت الأسبلة والچشم ضمن أهم المباني الخيرية والوقفية، لأنه مادامت تلك المباني قيد الاستخدام فإنها لا تزال ذات معنى وظيفي يعود بالنفع على منشئها لا سيما حظوتهم بالدعاء، هذا من ناحية، وأما الناحية الأخرى الخفية فتتمثل في المعنى الرمزي المحفور داخل الذاكرة الاجتماعية، وهو الأمر الذي يفسر كثرة انتشار تلك المباني داخل مدينة إستانبول وغيرها في العهد العثماني، ولا نبالغ إذا قلنا إن المنشآت الخيرية المائية حتى وإن فقدت وظيفتها الخيرية وهي تسبيل الماء للباردة، فإنها لا تزال تحمل في طياتها ذاكرة حية للمنشئ الذي خلد اسمه عليها، ومن هنا يظهر أهمية تسجيل أسماء المنشئين على تلك المباني والمنشآت^(٢).

ومن أمثلة المباني الوقفية لتسبيل المياه في بلاد البلقان في العهد العثماني كل من: الچشمة أو السبيل الذي شيده (قره مصطفى باشا)، والسبيل الذي أنشأته (كلبهار خاتون)^(٣)، والسبيل الذي بناه (سنان أغا) بمدينة أدرنة، وفي قبرص بقيت كذلك بعض نماذج المباني الوقفية لتسبيل المياه على الفقراء وأبناء السبيل، مثل: سبيل بسيط مؤرخ بسنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م بمدينة (لياسول) ملحق بواجهة أحد المباني الرئيسة، وسبيل آخر بالمدينة نفسها يعرف باسم (سبيل غازي باشا)، وهو مستقل في بنائه ويرجع إلى القرن الثالث عشر الهجري ١٣هـ / ١٩م^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٣٠.

(2) Interpreting Monuments, Charitable Buildings, Monuments, And The Construction Of collective Memory In The Ottoman Empire, (Hakan T Karateke), Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes, Department Of Oriental Studies, University Of Vienna, Vol. 91, 2001, P. 188-189.

(٣) تنطق في اللغة العربية، «كلبهار خاتون».

(٤) ينظر: فنون الترك وعمايرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٨؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

وأما في مدينة إستانبول فكان يوجد بها أكثر من ثمانمائة (٨٠٠) مبنى وقفي لتسييل المياه للفقراء والعامّة وأبناء السبيل، إلا أن أكثر نماذج هذه الأسيلة قد تهدم، وبقيت نماذج عديدة منها من هذه المباني بمدينة إستانبول، وهي تتنوع وتنقسم في أسلوب بنائها ما بين أسيلة بسيطة، وأسيلة تقليدية، وأخرى متطورة تأثرت بالطابع المعماري (الباروك والروكوكو) القادم من أوروبا، ومن أشهر نماذجها الباقية بمدينة إستانبول كل من: چشمه داود باشا سنة ١٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م، وچشمه إسماعيل آغا سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، وچشمه كمانكش سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، وچشمه بركه زاده سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٢٣م، وچشمه حسين باشا، وغيرها^(١).

وأما الأسيلة في إستانبول فمن أشهر النماذج الباقية كل من: سبيل رستم باشا بمجمع شهزاده محمد بن السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٢م، وقد كان هذا السبيل كبيراً في حجمه عن الوضع الحالي، غير أنه تهدم أثناء توسعة الطريق الرئيس بالمنطقة وهو شارع (شهزاده باشي) كما يذكر (شريف أوغلو)^(٢)، وسبيل خسرو كتحدا سنة ٩٣٧هـ/ ١٥٦٥م بمنطقة إمينونو (Eminönü)، و(سبيل قره أحمد باشا) سنة ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م بحي طوبقاي داخل أسوار القصر السلطاني، ويُعدّ صاحب هذا السبيل من أهم الشخصيات العثمانية؛ إذ شغل منصب الصدارة العظمى، وتولّى النظارة العمومية للأوقاف العثمانية^(٣).

ويوجد كذلك العديد من الأمثلة على هذه المباني الوقفية التي أُسّست من قبل أصحابها؛ لتوفير مياه الشرب الصالحة بالمجان للفقراء والعامّة وأبناء السبيل، ويلاحظ في النماذج السابقة أن مادة بنائها الداخلية من الرخام، وقد كان ذلك بأمر الواقفين لنظافة المياه وتنقيتها، ذلك لأن الرخام مادة نقيه تشتهر بحفظها وتنقيتها للمياه إضافة إلى تبريدها، وكانت تصل المياه إلى الشارين من خلال عملية هندسية بديعة غاية في الروعة والدقة، فمن واقع الزيارة الميدانية لبعض هذه المباني ولا

(١) ينظر: العمارة في الحضارة الإسلامية، عبد القادر الريحوي، منشورات جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٩٩٠م، ص ٤٨٠.

(2) Su Güzeli Istanbul Sebilleri (op. cit), (Omer Şerifoğlu), S. 26.

والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(3) Living In The Ottoman Ecumenical Community, (Vera Costantini & Markus Koller), Essay In Honor Of Suraiya Faroghi, Printed By Brill, Leiden, Boston, 2008, P. 150.

سيما الأسبلة، فقد وجد الباحث أنها تتكون من عدة طوابق تعلو بعضها بشكل رأسي، إلا أن ما يعيننا هنا هو بيت السبيل أو حجرة السبيل، وهي عبارة عن حجرة تحتوي في أرضياتها على أقصاب مغيبة تأخذ اتجاهات مختلفة، وتتصل كل قسبة من هذه القسبات بنهايتها بحوض يعرف باسم حوض التسبيل الذي تتجمع فيه المياه خلف شبابيك التسبيل، وتصل بعد ذلك المياه النقية إلى الشارين الذين يمدون أيديهم عبر شبابيك التسبيل ويحصلون على المياه، إلا أن أهم ما يميز هذه المباني هو روعة انتماؤها للوقف الإسلامي، الذي يقدم الخدمات بالمجان لذوي الحاجة حتى لا يُجرمون من شربة ماء نظيفة، ولا يكاد يخلو مجمع معماري أو مسجد أو مدرسة أو خان للمسافرين من مبنى مائي لتسبيل المياه كأحد أجزاء الوقف الرئيسة بالمنشأة، ومن هنا يتبين مدى حرص العثمانيين (حكماً وأمرأً وأغنياءً) على سد احتياجات الفقراء وعامة الناس.

ومن نماذج أوقاف ماء الشرب العثمانية ببلاد الحجاز على طرق الحج الرئيسة ما قام به السلطان أحمد الأول (ت: ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م) من جملة الأوقاف النافع ومنها سحابة أو مظلة يقع تحتها صهريج ماء بطريق الحج المصري، يحمل فيه الماء للفقراء والمساكين، ووقف عليها أوقافاً عظيمة، وعيّن عليها حارساً، وبني إلى جانبها استراحة لتأمينها وتأمين الحجاج^(١)، ومنها أوقاف بعض نساء السلاطين العثمانيين؛ إذ شيّدت خاصكي حرّم سلطان عمارة^(٢) مجاورة للحرم المكي تحتوي على سبيل ماء لتسبيله على الفقراء والعابرين، إلى جانب سبيل آخر ودورة مياه وقفتها على الفقراء ضمن أوقافها بالمدينة المنورة^(٣).

وقد وُجدت الأوقاف المائية بكثرة في أثناء العهد العثماني بمدينة القدس، إذ عقد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤١م مجلساً شرعياً في قبة السلسلة القائمة

(١) ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، أبو عبد الله محمد بن فضل الله الأمين المحبي، المؤرخ (ت: ١١١١هـ / ١٦٩٩م)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م، مج ١، ص ١٨٢؛ والوقف على الفقراء والعامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) يقصد بها هنا مجمع معماري كبير بمعنى العمارة الشامل.

(٣) ينظر: أوقاف نساء السلاطين، ماجدة مخلوف، ص ١٨؛ والوقف على الفقراء والعامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

في صحن قبة الصخرة المشرفة، وقد قرر في هذا المجلس «السيد محمد جلبي النقاش» وشهد على نفسه أنه قد عمّر قناة السبيل من برك سليمان، وأنشأ بها القساطل وأجرى فيها العيون، وأنه قد وقفها على عامة المسلمين^(١)، كما شيّد السلطان سليمان القانوني سبيلاً في باحة المسجد الأقصى المبارك قرب بوابة العتم «باب فيصل» سنة ٩٤٣هـ/١٥٣٦م، وخلف السبيل من الجهة الشمالية يوجد محراب فوق مسطبة تُعرف بمسطبة سبيل سليمان^(٢).

وعن مصادر تزويد هذه الخزانات والأسبلة بالمياه فقد كانت تأتيها عبر قنوات المياه التي تجلب الماء من الأنهار، أو يتم تخزين مياه الأمطار داخل خزانات وصهاريج معدة لذلك، ثم تنقل بواسطة الحمالين أو عمّال السبيل إلى الأسبلة والمنشآت المائية، وقد أمر -على سبيل المثال- السلطان سليمان القانوني مهندس «المعماري سنان» أن يوصل العديد من خزانات الأسبلة بقنوات المياه الجارية في المدن، وقد بنى المعماري سنان على مدى عشر سنوات سلسلة من الخزانات وعدداً من قناطر نقل المياه إلى المدن العثمانية، وكانت تلك القناطر تتكلف مبالغ مالية ضخمة؛ إذ بلغت تكلفة القناطر التي شيدها المعماري سنان قدر ما تكلفه بناء مجمع السلليمانية، وكانت أجهزة ضخ المياه تسحب من خزانات متعددة، فكان مثلاً سبيل الأربعين يأخذ ماءه من غابة بلغراد ومنها إلى أكرى قاي عن طريق منحدرات أيوب^(٣) وهكذا.

ومنها كذلك ما وقّفته ببلاد الحجاز خديجة تورخان سلطان والدة السلطان محمد الرابع سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م وهو ستمائة وخمسون (٦٥٠) جملاً، يُحمّل نصفها بالمياه لخدمة الفقراء والحجاج؛ لعدم توفر الماء، وتحمّل بقيتها بأمّعة الحجاج والعاشرين^(٤).

ومن أجمل الأوقاف العثمانية التي سطرت صفحات مضيئة من التاريخ بعض أوقاف الشرب التي تعلقت بشهر رمضان المعظم، ومنها ما وقّفته نفيسة بنت

(١) ينظر: الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، عكرمة سعيد صبري، ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٧١.

(٣) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٦.

(٤) ينظر: أوقاف النساء في مكة المكرمة، أميرة بنت علي مداح، ص ٣٨؛ والتحويلات الفكرية في العالم الإسلامي- أعلام وكتب وحركات وأفكار (من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري)، عليان الجالودي (تحرير)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنند، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٤م، ص ٥٧٢.

إسكندر باشا، وهو وقف جليل يعود إلى أواخر ربيع الآخر سنة ٩٣١هـ/ فبراير سنة ١٥٢٥م، ووقع على عقده سعدي أفندي الذي كان آنذاك قاضي مدينة إستانبول وأصبح فيما بعد شيخاً للإسلام حتى سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وهذا الوقف كان عبارة عن وقف نقدي بمبلغ عشرة آلاف (١٠٠٠٠) آقجة أو درهم فضي، توفر دخلاً سنوياً قدره ألف (١٠٠٠) آقجة، أي بنسبة ربح ١٠٪، ومما يضفي أهمية خاصة على هذا الوقف أن صاحبه خصصت منها مقداراً (ورد أنه ثلاثين «٣٠» آقجة) من دخل وقفها؛ لتوزيع الماء على السجناء في شهر رمضان^(١).

وشيّدت حفصة خاتون ابنة عيسى بيك أمير آيدين وزوجة السلطان بايزيد الأول يلديرم بعد سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م عددًا من المنشآت الخيرية؛ مساهمة منها في حركة الإنشاء والوقف المعماري، منها سبيل ماء (چشمة) بمدينة تاير بالأناضول، وأنشأت بلبل خاتون سبيل ماء وقفي بمدينة أماسيا^(٢)، أما حرّم سلطان الزوجة المحبوبة والمقربة للسلطان سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٦هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٨م) فقد انتشرت أوقافها وكثرت خيراتها وأرزاقها، فإلى جانب أوقافها في مدينة إستانبول^(٣)، فقد بنت عددًا من الأسبلة الخيرية لتسييل المياه وسقي المارة في مدينة أدرنة، وقنوات لتوصيل المياه إلى مدينة أدرنة^(٤).

وأما مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني فقد أسهمت هي الأخرى في إنشاء الأوقاف الإسلامية في مدن عثمانية مختلفة، أهمها العاصمة إستانبول والحرمان الشريفان لما كان لها من حظوة ووفرة مال، وقامت بترميم عين زبيدة^(٥) إثر تعرضها للفيضانات والعواصف في ستينيات القرن ١٦م، وأنفقت على جميع الإصلاحات من مالها الخاص ليكون وقفًا لها سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م^(٦) ما قيمته ٥٠ ألف قطعة ذهبية

(١) ينظر: أوقاف النساء، فاروق بيليجي، ٢٠١٠م، ص ١١٠؛ والوقف على الفقراء والعمامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çığatay Uluçay), S. 44.

(٣) ينظر: أوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمه، فاطمة الزهراء عسوس وصليحة عدواس، ص ٦٤.

(٤) ينظر: أوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٣.

(٥) ينظر: العثمانيون - رجالهم العظام، عثمان نوري طوباش، ص ٤٤٣.

(٦) ينظر: أوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمه، فاطمة الزهراء عسوس وصليحة عدواس، ص ٧٣-٧٤.

واستمر العمل فيها لمدة عشر سنوات انتهت سنة ٩٧٩هـ / ١٥٧١م^(١)، إلى جانب ما وَقَفْتَهُ من عمائر ومبانٍ وأوقافٍ أخرى بمدينة إستانبول والمدن الأخرى^(٢)، وشيّدت نوربانو سلطان سبيل ماء لخدمة كليتها الواقعة في إسكدار كانت تجلب له الماء من ثلاثة منابع، وأقامت السيدة مهرشاة في القرن ١٢هـ / ١٨م بمدينة إستانبول سبيلاً وعين ماء ابتنتها ترهماً على روح واحدة من جواري القصر تُدعى زينب أوسطي؛ وكانت تعمل خبيرة طاهية لحريم القصر، ووقفت على منشآت عدة أوقاف، وأنشأت «نازيرو قالفه» مربية السلطان سليم الثالث سبيل ماء في حي داود باشا بإستانبول، واستمرت الأوقاف خلال القرن ١٣هـ / ١٩م وما بعده حتى نهاية الدولة العثمانية، ومن نماذج الأوقاف في أثناء هذا القرن منشآت وعمائر نقشدر والدة السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ / ١٨٠٨-١٨٣٩م)، إذ أنشأت سبيل ماء في حي الفاتح بمدينة إستانبول، وعددًا من عيون الماء في أماكن متفرقة بالمدينة^(٣).

ويُعدّ آخر إنجاز عثماني كبير في الأوقاف المائية هو مياه حميدية التي أسسها السلطان عبد الحميد خان الثاني كوقف خيري على سكان مدينة إستانبول وفقرائها من ماله الخاص، وقد كان يتم تنقيته ليكون صالحًا للشرب والاستعمال^(٤)، ونظرًا لانتشار المنشآت في ربوع المدينة فقد كان لها بالغ الأثر في تطور عمران المدينة واتساعه.

عاشراً: وقف العمائر (المطاعم ودور المرق):

اهتم العثمانيون اهتماماً كبيراً بإنشاء المؤسسات الوقفية التي تُقدم المأكل والمسكن إلى الفقراء وعامة الناس، كما تساهم في سدّ احتياجات الفقراء والمحتاجين، ولا سيما في ناحية يصعب عليهم تحملها، وعرفت هذه العمائر باسم العمائر أو دور الضيافة أو دور المرق أو بيوت الطعام، وهي واحدة من العمائر التي وجدت داخل

(١) ينظر: السلطانان خرم ومهرماه، جان ألبونج، ص ٢٣٥-٢٣٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٣) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٥١-٥٢.

(٤) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلباز أوزتونا، ج ٢، ص ٦٣٤.

المجمعات المعمارية العثمانية (الكليات)^(١)، وهو تقليدٌ إسلاميٌّ عظيمٌ انتشر في أثناء عهد الإمارات التركمانية التي كانت قائمة في بلاد الأناضول، قبل أن يقضي عليهم العثمانيون وينفردوا ببلاد الأناضول إلى جانب الأقطار الأخرى التي تقع تحت حكمهم، ولا يزال إلى اليوم العديد من نماذج هذه الدور في أكثر المدن الأناضولية مثل مدن قسطنطيني وكوتاهية وبورصة، وقد كان من أشهر دور المرق بها؛ الدار التي أنشأها (إسماعيل بك) آخر أمراء الجندريين سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م^(٢)، والتي أحقها بمجمعه المعماري بمدينة قسطنطيني الواقعة على البحر الأسود، وقد فتح المدينة السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، ثم أعطاها لإسماعيل بك كإقطاع عسكري له، وكذلك دار المرق التي شيدها يعقوب بك الثاني الكرمانلي بمدينة كوتاهية فيما بين ٧٩٢-٨٣١هـ / ١٣٩٠-١٤٢٨م، والتي جعلها جزءاً من وقفه الكبير بالمدينة^(٣)، ثم تبع العثمانيون هؤلاء في بناء دور المرق لإطعام الفقراء. وقد كانت الدولة العثمانية منذ بدايتها دولة مجاهدة بصورة واضحة، واستفحل أمرها بمساعدة بعض الجماعات التي كانت منتشرة في الأناضول، ومنها جماعة (غازيان روم) أي: غزاة الروم، وهم جماعة قديمة وُجدت على الحدود بين دولة الإسلام والدولة البيزنطية منذ العهد العباسي، ولكنها تطورت في شكل جماعة دينية محاربة منظمة، وانتقل مركزها وقيادتها إلى الدولة العثمانية عقب قيامها، واندجوا داخل الجماعات العثمانية وتحت قيادة السلطان العثماني وبعض الجماعات التي كانت تنتشر في الأناضول في أثناء تلك الفترة من التاريخ، ومنها جماعات الآخية (Ahilik)^(٤)، ومع أنها لم تكن جماعة محاربة إلا أن النظام العثماني ضمها تحت لوائه،

(1) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen, (Amy Singer), The Journal Of Interdisciplinary History, Vol. 35, No. 3, Poverty And Charity, Judaism, Christianity, And Islam (Winter, 2005), P. 485.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أو قطاي أصلان أبا، ص ١٥٥.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٤) الآخية أو الأخيان، وواحد الآخية أخي على لفظ الأخ إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية، في كل بلد ومدينة وقرية، ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفاءً بالغرباء من الناس، وأسرع إلى إطعام الطعام وقضاء الحوائج، والأخذ على أيدي الظلمة، والأخي عندهم رجل يجتمع عنده أهل صناعته وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتجربين ويقدمونه على أنفسهم، وتلك هي الفتوة أيضًا، ويبني زاوية ويجعل فيها الفُرش والسُرج وما يُحتاج إليه من الآلات، ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معاشهم، ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم، فيشترون به الفواكه والطعام إلى غير ذلك مما يفتق في الزاوية، فإن ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه عندهم، وكان ذلك ضيافة لديهم، ولا

لأنها كانت تصحب الجماعات الغازية لتخدم المحاربين، وكانت تضم أعدادًا كبيرة من أغنياء التجار الذين كانوا يجمعون ثروات ضخمة من المتاجرة في الغرّاء وزيت الأسماك، وكان الكثيرون منهم يقيمون المساجد والزوايا في الأناضول كأوقاف خاصة بهم لرعاية الفقراء والمحتاجين، فضمتهم الدولة العثمانية تحت لوائها، وقام النظام بتنظيمهم في هيئات اجتماعية حرفية لكل منهم قائد يلقب «بالأخي»، وأعطتهم الدولة مزايا كبيرة لما يقدمونه من خدمات في إنشاء المدن الجديدة بفضل المؤسسات الوقفية التي تساعد على استيطان هذه المناطق وتحويلها إلى مدنٍ مأهولة بالسكان^(١)، ومن ثم كان بناء هذه المنشآت ضروريًا لتقديم الطعام لهؤلاء المجاهدين، ومن ثم انتشرت المطاعم الخيرية الوقفية منذ عهد السلطان أورخان بمدينة بورصة وإزنيق منذ سنة ١٣٣٠م، وبدأت أعدادها في الإزدياد حتى سُجل في أثناء بداية القرن ١١هـ/ ١٧م إعادة تجديد ١٧ مطعمًا خيريًا، كان قد بناها معمار أو مهندس واحد هو المعمار سنان (ت: ١٥٨٨م) بخلاف ما شيده في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م حتى زاد عدد هذه المطاعم سنة ١٦٠٠م على ١٠٠ مطعم خيرى أنشأه الواقفون العثمانيون، وزادت فيما بعد تبعًا مع إنشاء كل مطعم خيرى مفرد أو ملحق بمجمع معماري^(٢).

كثير إنشاء هذه العمائر الوقفية برعاية الواقفين العثمانيين وإسهاماتهم، ولا سيما من التجار والمقتدرين، إذ إنها تعكس الجانب الخيري للواقفين من ناحية الصدقة في أبسط مستوياتها وأجدرها على حد سواء، وقد كان دافع الوقف لدى الأغنياء

يزال عندهم ضيقًا حتى ينصرف، وإن لم يرد وارد اجتماعوا وأكلوا، وانصرفوا إلى صناعتهم بالغدو، وأتوا بعد العصر إلى مقدمهم بما اجتمع لهم. ينظر: رحلة ابن بطوطة «المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٨٥. ويذكر خليل إينالجيك أن أخي هو رئيس أو زعيم أخوية شبه دينية في نهاية العهد السلجوقي وبداية العهد العثماني. وكانت نشأتها في القرن الرابع عشر لتقوم بدورها الاجتماعي في خدمة الناس، ويذكر المستشرق الفرنسي (داني) أن كلمة أخي من اللفظة التركية «أخي» بمعنى الرجل الذي يجمع بين الشهامة والكرامة وليست مأخوذة من الكلمة العربية «الأخ»، إلا أن المصادر تذكر عكس ذلك فهي مأخوذة من الأخ في العربية، ولها علاقة وثيقة بينها وبين منظمة الأخوة والفتوة التي أنشأها الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ). ينظر: إستانبول وحضارة الخلافة، برنارد لويس، ص ١٨٦، ١٨٧، حاشية رقم ١٨٩ (كتعليق للمترجم سيد رضوان علي)؛ والمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، سعيلاصبان، ص ١٣؛ تاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالجيك، ص ٣٣٣.

(١) ينظر: أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٣٥٦.
(2) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P. 495.

مستوحى من دوافع روحية واجتماعية واقتصادية وأيضاً سياسية، فأما الجانب الروحي فإن الواقف إنما كان يتغني ثواب الله ﷻ من خلال صدقته التي يقدمها لغير المقتدرين لتكون قرينة يتغني بها دخول الجنة، فهي تدخل في بابين أولهما إطعام الفقراء وسد أولى احتياجاتهم اليومية، والثاني التخلق بصفة الجود والكرم وهما من أجل صفات المسلم، وأما الجانب الاجتماعي فليأمن الجميع بالاستقرار من دون حدوث مشاكل اجتماعية تؤدي إلى قلب موازين الطبقات بما يختل معه حال الأغنياء أنفسهم، وأما الاقتصادي فلأنه على الغني حق في ماله يجب أن يؤديه، وللفقير حق في مال الغني يجب أن ينعم به ويتحصل عليه، وأما الجانب السياسي فيتمثل في إعفاءات ضريبية متكررة لأصحاب الأعمال الخيرية تقديراً لجهودهم في مساندة الدولة وسد احتياجات المواطنين، إضافة إلى حماية ممتلكاتهم نظير ما يقدمونه من أعمال من شأنها أن تحفظ أمن الدولة واستقرارها والمساهمة في احتياجات الناس وقوفاً جنباً إلى جنب مع الدولة⁽¹⁾.

كان المطعم الخيري العثماني يقدم وجبتين يومياً حسب شروط الواقف، ولم يكن هناك شكل إلزامي من حيث عدد الوجبات ونوعية الطعام المقدم، بل كان الأمر يخضع لقدرة الواقفين وغلة الوقف وريعه إلى جانب شروط الوقف، ولم يسر الأمر دائماً على نحو واحد، فقد كان للمواسم والأعياد ومناسبات الاحتفالات مظاهر خاصة تتم حتى في المطاعم الخيرية خارج العاصمة إستانبول، ولا سيما في المواسم التي لها مناسبات دينية، مثل: يوم عاشوراء والإسراء والمعراج وشهر رمضان والعديد، أو بمناسبة حج السلطان أو أحد أفراد القصر الحاكم، وأيضاً في أثناء الاحتفالات الدنيوية مثل مناسبة ختان الأمراء⁽²⁾.

ومن نماذج هذه المباني الوقفية الباقية ببلاد البلقان المطعم الخيري الموجود بمجمع غازي خسر و بك بمدينة سرايفو في البوسنة والهرسك؛ إذ يحتوي المجمع على عدد من مباني الأوقاف الإسلامية التي تضمنتها وقفية المجمع، وكان من بينها دار المرق (عمارت) يتم فيها تقديم الطعام للفقراء وأبناء السبيل مجاناً، وتحتوي العمارت

(1) باستزادة وشرح، عن: Serving Up Charity (op. cit), (Amy Singer), P. 481-482.

(2) Ibid, P. 486.

على مطبخ للطهو وأدواته إلى جانب مكان يستوعب عددًا من المسافرين والفقراء وطلاب المدرسة والموظفين، وإذا ازداد العدد عن المكان المخصص بالعمائر فكان يتم تقسيمهم إلى مجموعات^(١).

وتعدّ نيلوفر خاتون (Nilüfer Hatun) أول من أنشأت المنشآت الوقفية الخيرية في العهد العثماني والمنسوبة للنساء عمائر (Imaret) في مدينة إزنيق، وهي زوجة أورخان غازي ووالدة السلطان مراد الأول، وعلى الرغم من تسمية المبنى باسمها إلا أنه أنشئ بواسطة ابنها السلطان مراد الأول سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م ليكون صدقة جارية على روح والدته^(٢)، وشيّدت سلجوق سلطان ابنة السلطان محمد الأول جلبي سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م إلى جانب مسجدتها مطعمًا خيرياً في مدينة بورصة^(٣)، وشيّدت بلبل خاتون (Bülbül Hatun) زوجة السلطان بايزيد الثاني مطعمًا خيرياً في مدينة لاديك بمقاطعة سامسون^(٤).

وأسهمت السيدة گولروه خاتون (Gülruh Hatun) زوجة السلطان بايزيد الثاني في وقف العمائر الخيرية، فقد شيّدت مطعمًا خيرياً في مدينة آق حصار (Akhisar) بالأناضول، ووقّفت عليه وعلى مساجدها عددًا من العمائر الربحية^(٥)، وأنشأت حفصة سلطان والدة السلطان سليمان القانوني مجمعًا للعمارة الخيرية في مغنيسيا ضم مطعمًا خيرياً سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م^(٦).

وشيّدت (خاصكي خرم سلطان) أوقافاً لها عظيمة في الحرمين الشريفين بالحجاز، خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة لخدمة فقراء المسلمين وطلاب العلم في الحرمين الشريفين، وتتكون من مؤسستين خيريتين كل واحدة منهما بها مطعم خيري لتقديم الطعام للفقراء وطلاب العلم، ورباط سكني لطلبة العلم، ومسجد ومدرسة، ووقّفت عليهم أوقافاً عظيمة^(٧)، وجاءت أوقافها بمكة المكرمة مجاورة للحرم المكي

(1) Spomenica Gazi Husrev-Begove Četiristogodišnjice (Commemorative Volume, Quadricentenary Of Gazi Husrev-Beg), Pp. 59-62.

(٢) ينظر: المنشآت العثمانية الدينية، أحمد كي، ص ٣١-٣٥.

(3) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 29.

(4) Ibid, S. 44.

(5) Bayezid II nin Ailesi (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 105.

(٦) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٦.

(٧) ينظر: أوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٣.

بالقرب من مشعر الصفا، وكان مطبخ هذه المؤسسة يقدم الطعام يومياً لأكثر من ألف (١٠٠٠) شخص من الفقراء والقائمين على العمل، وكان يصرف لهذا المطبخ يومياً أردبان^(١) من القمح والدشيشة، واثنان وثلاثون من الدهن، وثمان قطع من الملح، وستة وثلاثون (مناً)^(٢) من البصل، وأربعة أقداح من الحُمص، وهي كمية تكفي لعمل ألف وجبة من الطعام يومياً، ويتم طهوها في أربعة قدور كبيرة، إضافة إلى أردبين من القمح يومياً لعمل ألف رغيف خبز، ويصرف للطهو أربعة أحمال من الحطب^(٣)، إلى جانب حوش كبير متصل بمطبخ يأكل فيه الفقراء الذين يترددن على المطعم الخيري الذي أنشأته السلطنة في المدينة المنورة^(٤) قرب مصلى العيد^(٥)، ومما وَقَفْتَه على مؤسساتها الوقفية في الحرمين الشريفين قرى وكفور توجد جميعها في مصر، وخاصة في زمام الولاية البهنساوية في أربع عشرة قرية بمساحة ١٤٧٠٤ أفدنة كان السلطان القانوني قد منحها إياها، باستثناء ما تحتوي عليه هذه القرى من المساجد والزوايا والمقابر والطرق والأوقاف الأخرى^(٦).

وأما في القدس الشريف فقد وَقَفْت حرم سلطان في سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م تكية في القدس الشريف قرب المسجد الأقصى المبارك لخدمة فقراء المدينة المقدسة، وضمت أوقافها مجمعا معمارياً عرف باسم (عقبة التكية)، وكانت أكبر مؤسسة خيرية وقفية في فلسطين في العهد العثماني^(٧)، وكانت تحتوي على مطبخ ضخم لتقديم الوجبات الغذائية اليومية لفقراء القدس وعابري السبيل ومحاربي المسجد الأقصى المبارك،

- (١) الأردب هو الوحدة الأساسية في المكايل الجافة التي تستخدم للحبوب والمنتجات الأخرى، ويتراوح ما بين ٦٠ و ١٨٠ كيلو جراماً حسب نوع السلعة من الحبوب، وإن كان قد دد حده الحنفية بما يعادل أربعة وعشرين صاعاً، أي: ٧٨ كيلو جراماً. ينظر: المكايل والموازين الشرعية، علي جمعة، القدس للإعلان والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠١م، ص ٣٩.
- (٢) وجمعها أمنان، وهي كيل أو ميزان، يعادل شرعاً ١٨٠ مثقالاً، وعرفاً يعادل ٢٨٠ مثقالاً، وتعادل ثمانى كاسات، والكأس هو الصاع. ينظر: المكايل والموازين الشرعية، علي جمعة، ص ٢٨.
- (٣) ينظر: أوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٨؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.
- (٤) ينظر: أوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٨.
- (٥) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.
- (٦) ينظر: أوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمة، فاطمة الزهراء عسوس وصليحة عدواس، ص ٦٦-٦٧.
- (٧) ينظر: المؤسسات الوقفية في العهد العثماني-العارة العامرة في بيت المقدس وأثرها في الحياة الاجتماعية، عبر قطناني، مجلة دراسات بيت المقدس، فلسطين، العدد ١٧، المجلد الأول، ٢٠١٧م، ص ٨٢.

ويتم فيه تحضير وتوزيع ٢٠٠٠ رغيف خبز يوميًا إلى جانب ما يقدم من المرق بالأرز لوجبة الغداء، والمرق بالحنطة لوجبة العشاء، أما في أيام الجمع والمناسبات فكان يقدم فيها اللحم والعسل والأرز المتبّل والملون بالزعفران، وخصصت الواقعة للنفقة على هذه الأوقاف عشرات العقارات التي يقع معظمها في فلسطين، وقرى ومزارع وخانات ودكاكين وطواحين وحمّات، منها ٣٤ قرية ومزرعة^(١).

وكان يُقدم في عمارتها الوقفية بالقدس وجبتان يوميًا، وكان الأمر يختلف عند حدوث الاحتفالات أو مناسبة حج السلطان أو أحد من البيت السلطاني، فقد كان يقدم أشهى المأكولات إلى جانب استيعاب عدد أكبر من الناس بهذه المناسبة، ليتحول الأمر من إطعام للفقراء إلى الاحتفاء وإظهار للكرم والعطاء، وكان حضور الناس في عمارت خرّم خاصكي سلطان بالقدس يتم على مجموعات إذ لا يستوعب المطعم كل العدد مرة واحدة، وكانت هنالك أولويات للحضور، فكان يتقدم أولاً موظفو المطعم الخيري، يليهم الغرباء من أبناء القوافل التجارية أو قوافل الحج، ثم طلاب العلم، وكان يتقدم الرجال أولاً حتى إذا فرغوا من الطعام دخل النساء، وكانت العادة أن يتم تناول الطعام داخل المطعم الخيري باعتبار الوجبة لوقتها وعلى أساس الحاجة، وفق قواعد صارمة تحدد من يأكل وماذا يأكل وكيف يأكل، ولكن كانت هناك استثناءات في هذا الأمر بشأن المتصوفة وشيوخهم لما لهم من أهمية وحظوة في الدولة العثمانية، فقد كان بإمكان هؤلاء أن يرسلوا من ينوب عنهم لتسلم وجباتهم من المطعم الخيري، وفق ترخيص سابق حيث يجلبون لهم الوجبات إلى بيوتهم أو الأماكن التي ينقطعون فيها للعبادة^(٢).

وإذا ما طبقنا الأمر على مدينة إستانبول بوصفها العاصمة الكبرى السياسية والاقتصادية للدولة العثمانية، فإن بها عددًا لا يحصى من المطاعم الخيرية أكبرها وأعظمها مطعم السلطان محمد الفاتح الذي شيّده ضمن مجمعه الكبير بحي

(١) ينظر: الوقف الصحيح وغير الصحيح بين المصالح الشخصية والتطبيقات الفقهية «دراسة حالة وقف بيت لحم وبيت جالا بين عامي (١٩٤٨م و١٩٦٧م)»، موسى سرور، مجلة الناصرة، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة مصطفى إسماعيل، معسكر، طباعة مكتب الرشد للطباعة والنشر، الجزائر، العدد السابع، جوان (يونيو) ٢٠١٦م، ص ١٢٨-١٣٠.

(2) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P. 486-487.

الفتاح^(١) في مدينة إستانبول بين سنوات ١٤٦٣-١٤٧١م، فقد كان المطعم يقدم خدماته لأكثر من ١٥٠٠ شخص مرتين يوميًا (أي: بواقع ٣ آلاف وجبة)، وكان ضيوف المطعم ينقسمون إلى فئتين، أولاهما كبار الشخصيات والعلماء والطلاب الملتحقين بمجمع السلطان الفاتح وموظفو مجمع الفاتح، والفئة الأخرى من طلاب المجمعات المعمارية الثلاث الأقرب لمجمع الفاتح بحكم الجوار، فقد كان هؤلاء يتقدمون لتناول الطعام على مجموعات يتقدمهم موظفو مجمع الفاتح والعلماء والطلاب به، يليهم موظفو المجمعات الأخرى المجاورة وعلماؤها وطلابها، وإذا زاد عدد الوجبات عن الحاجة بعد إطعام جميع من شملهم الوقف، فإن الطعام المتبقي كان يتم إرساله إلى فقراء المدينة من دون طلب حضورهم للمطعم مراعاة لشعورهم^(٢)، ومن حيث تقديم الطعام داخل المطعم أو إرساله خارجًا، فقد اشتمل نص وقف مطعم السلطان الفاتح استثناءً يُعلي من شأن الشهداء في سبيل الله وتقديرًا لأسرهم إضافة إلى الفقراء، إذ جاء فيه: «ولياكل فقراء إستانبول وأسر الشهداء في المطعم الخيري الذي أسسته في كليتي، بشرط ألا يخرج المذكورون بأنفسهم للحصول على الطعام المذكور، بل يُجلب إليهم الطعام في أوعية مغلقة من دون أن يرى أي شخص الطعام وهو ذاهب إليهم^(٣) (وربما كان الطعام يأتيهم ليلاً)، وبهذا فقد أسس السلطان الفاتح قواعد بمقاييس آداب حساسة للغاية لمصلحة أفراد المجتمع والمحتاجين حماية وصيانة للمجتمع.

لم تغفل مؤسسة الأوقاف حتى نوعية الطعام المقدم^(٤) لكي لا يمل الناس من الوجبات المقدمة يوميًا، أو يشعر الفقراء بشيء تتحسر عليه نفوسهم بسبب العوز، فحرص الواقفون على تنظيم الطعام داخل المطعم الخيري، وتم وضع سجل مجدول بأنواع الطعام التي تقدم للناس يوميًا بحيث لا يتكرر الطعام المقدم في المطعم إلا

(١) سميت المنطقة الواقع فيها المجمع بمنطقة الفاتح نظرًا لأهمية مجمع السلطان الفاتح بها، ومن الجدير بالذكر أن التسمية جاءت لاحقة على إنشاء المجمع بحوالي قرن من الزمان، إذ عرفت المنطقة بهذا الاسم منتصف القرن ١٠هـ/١٦م. ينظر: Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P.487.

(2) Ibid, 487-488.

(٣) العثمانيون-رجالهم العظام، عثمان نوري طوباش، ص٥٩٧.

(٤) ينظر: المؤسسات والعلاقات الجديدة في مقدونيا وشبه جزيرة البلقان بعد وصول العثمانيين، ماتكوفسكي أليكسندر، الأكاديمية المقدونية للعلوم والفنون، إسكوبيا، ١٩٨٦م، ص٤٧١.

دورياً، وبلغ من حرص مؤسسة الوقف أن رتبت أمر التخلص من النفايات والمخلفات التي تنتج من عملية الطهو وتقديم الطعام وبقاياها التالفة عن حاجة الناس، فقد حدد الوقف أماكن وضعها والعمال الذين يقومون بذلك مع عدم مخالطتهم لمن يقومون بالطبخ أثناء الطبخ حفاظاً على جودة الطعام، مع ضمان عدم سوء المعاملة خلال تغذية الفقراء مراعاة لمشاعرهم^(١)، وهي أمور وجدت تطبيقاً عملياً في مطعم السلطان الفاتح بإستانبول.

وضم مجمع السلطان بايزيد الثاني ضمن وحداته مطبخاً عاماً بإستانبول، كان يقدم الوجبات والأطعمة لحوالي ١٠٠٠ شخص بمقدار وجبتين يومياً^(٢)، وجاءت عمارت مجمع السلطان سليمان القانوني ثاني دور الضيافة أو المطاعم الخيرية استيعاباً للضيوف والفقراء، وكانت تقدم فيها أيضاً وجبتان، غير أن كمية الطعام المطبوخ في عمارت السلطان الفاتح كانت تفوق مثلتها بعمارت السلمانية بمقدار ٣٥٪، أما فيما يخص أسلوب التعامل داخل المطعم وترتيب أولويات الإطعام فمثلها مثل عمارت السلطان الفاتح^(٣)، وساهمت حفصة سلطان والدة السلطان سليمان القانوني بإنشاء المطاعم الخيرية والوقف عليها، ومثال ذلك مطعمها الخيري الذي شيّدته ضمن مجمعها الوقفي بمغنيسيا، وقد اشترطت في نص وقفيتها الخاص بالمطعم: أن يقدم الطعام مرتين في اليوم، صباحاً وبعد العصر لطلبة العلوم الدينية والعلماء وضيوف الخانقاة وطلبة المدارس الفقراء^(٤).

وشيّدت نوربانو سلطان مطبخاً عاماً لخدمة كليتها بمنطقة إسكدار، وفي أثناء القرن ١٣هـ/ ١٩م وما بعده حتى نهاية الدولة العثمانية أنشأت الأوقاف الخيرية عديداً من المطابخ العامة، ومن ذلك وقف نقشدر سلطان والدة السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) مطعمًا لإطعام الفقراء بمدينة إستانبول^(٥)، وأما المطاعم السلطانية في المدن الرئيسية الأخرى فقد كانت من الأهمية بمكان ولا

(1) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P. 487.

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٤.

(3) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P. 490.

(٤) ينظر: الحرم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٦.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٥٢.

سيما الحرمين الشريفين والقدس (كما سبق القول)، واشتهرت مدن أخرى بمطاعم خيرية كثيرة، ومنها مدينة أدرنة التي وجد فيها العديد من المطاعم الخيرية، وعلى رأسها مطعم السلطان بايزيد الثاني ضمن مجمعه المعماري بالمدينة^(١)، وبلغت المطاعم الوقفية السلطانية بمدينة أدرنة في أثناء القرن ١٠هـ/١٦م ثلاثة مطاعم إلى جانب ثمانية مطاعم أخرى، لتطعم مجتمعة حوالي ٢٦٠٠ شخص يومياً من جملة سكان المدينة الذين بلغوا ٢٢٠٠٠، ومن ثم فقد بلغت نسبة الإطعام الوقفي المسجل بمدينة أدرنة في أثناء تلك الفترة حوالي ٥، ٨٪ من جملة السكان وهي نسبة جيدة^(٢)، وأما عمارات مدينة إستانبول فقد كانت تقدم خدماتها لأكثر من ٣٠٠٠٠ شخص من الفقراء بواقع وجبتين يومياً، أما مدينة بورصة فكان بها أوائل القرن ٩هـ/١٥م سبعة مطابخ عامة تقدم الطعام للفقراء، وقد ازداد عددها في الفترات اللاحقة^(٣). ومن الأوقاف التي شيّدت من قبل النساء أيضاً أوقاف السيدة رابعة گلنوش سلطان^(٤) (والدة السلطان أحمد الثالث والسلطان مصطفى الرابع)، وقد كانت أوقافها عظيمة وذات ريع وفير في كل من الأناضول وبلاد الحجاز ومصر، واحتوت حجة وقفيتهما على مطعم خيرى بمكة المكرمة، وسفينة، وصندين لنقل المحاصيل من مصر إلى ميناء جدة، وعنابر في السويس وجدة وبولاق للحفاظ على أموال الوقف، ومخازن ومخبز مجهز وطواحين لطحن القمح والحبوب، وخمسة أوعية كبيرة لطهو الطعام في المطعم الخيري، وفرن بجوار المطعم لعمل الخبز، ووعاء كبير لتخمير العجين، وثلاثين (٣٠) قطعة من الملاعق أو المغارف، مصنوعة من النحاس، ووقفت كذلك إحدى وعشرين (٢١) قرية في مصر للصرف على دار الشفاء والمطعم والفرن^(٥).

وهكذا أسهم رجال القصر العثماني ونسأؤه جنباً إلى جنب مع الأغنياء والتجار وكبار رجال الدولة في سد احتياجات السكان من خلال تلك المطاعم الخيرية،

(1) Edirne İmaretleri, (Ratip Kazancıgil), İstanbul, 1991, P. 96-100.

(2) The Waqf Institution In Early Ottoman Edirne, (Haim Gerber), Asian And African Studies, Xvii, 1983, P. 43-44.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٤) تنطق «گلنوش» بالجيم المصرية.

(٥) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

ويُعدّ العثمانيون أصحاب الفضل في جعل هذه المنشآت والمباني والخدمات مؤسسية تحت رعاية الدولة ذاتها وبتشجيع منها، ويُعدّ إنشاء المطعم الخيري كمبنى منفصل داخل المجمعات المعمارية لتقديم الطعام بالمجان، وتحويله لمبنى عالمي ذي صفات هندسية معينة، ابتكاراً عثمانياً محضاً انتشر في الأناضول والبلقان وبعض البلدان العربية على حد سواء كتوليف عثماني له سماته المميزة، على الرغم من وجود مبانٍ لهذه المطابخ قبيل الدولة العثمانية وخاصة في الأناضول، غير أنها كانت عمائر محلية داخل مدينة الأناضول لم تخرج بعيداً عنها إلا برعاية العثمانيين وعلى أيديهم، وأما العباسيون والأيوبيون والمالكيك فعلى الرغم من معرفتهم الإطعام الخيري وتقديمه ولا سيما في الحرمين الشريفين والقدس الشريف، إلا أنه لم يكن لديهم مبانٍ لطهو الطعام ولا لاستضافة الفقراء والمحتاجين، ومن أشهر الموائد التي كانت تنصب ما عرف (بالسماط الخليلي) لقربه من مقام الخليل إبراهيم عليه السلام بالحرم المكي، كما قام السلطان المملوكي قايتباي في أثناء حكمه (١٤٦٨-١٤٩٦م) بإعداد سماط كبير في المدينة المنورة^(١)، ولكن لم تكن فكرة العمارت أو المطعم الخيري منفذة على أرض الواقع، وإنما كانت الموائد تنصب عند تقديم الطعام وترفع بعد ذلك، أو كان يتم صرف الغلات على مستحقيها من الفقراء.

حادي عشر: وقف المستشفيات ودور الشفاء:

مما لا يخفى أن ديننا الإسلامي قد حث على العناية بالصحة العامة وإقامة المراكز لمعالجة المرضى والجرحى ورعاية المعاقين، وقد أنشأ المسلمون عبر التاريخ المستشفيات وغيرها^(٢)، وشاع لدى العرب والمسلمين لفظ «بيمارستان» أو «مارستان»، وهو لفظ فارسي مكون من مقطعين «بيمار» بمعنى مريض، و«ستان» بمعنى الموضع والمحلّ والمكان^(٣)، ودخل هذا اللفظ إلى العربية عبر انفتاح الحضارات على بعضها وحرارة التأثير والتأثر، وقد عُرفت البيمارستانات منذ عهد النبي ﷺ، وذلك في الخيمة التي

(1) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen (op. cit), (Amy Singer), P. 493.

(٢) ينظر: الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، عكرمة صبري، ص ٤٨٠.

(٣) ينظر: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (١-٦٥٦هـ/٦٢٢-١٢٥٨م)، مؤمن أنيس البابا، رسالة (ماجستير) بقسم التاريخ والآثار، كلية الآداب-الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، ٢٠٠٩م، ص ٢٣.

كانت مخصصة لمداداة ومعالجة المرضى والجرحى في أثناء الغزوات والفتوحات، ولذا فقد كانت تأخذ هيئة متنقلة وليست ثابتة إلى أن بنيت خيمة؛ لتضميد الجرحى وإسعافهم في غزوة الخندق سنة ٥٥هـ/ ٦٢٦م لرفيدة الأسلمية، وظل الأمر كذلك إلى أن توسعت المستشفيات والبيمارستانات وتطورت في أثناء العهد الأموي، وكان أول من بنى المستشفيات بمفهومها الحديث الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م؛ «إذ شيّد إحدى المستشفيات للأشخاص المصابين بالأمراض المعدية، وبنى الملاجئ للعجزة والمرضى، وأجرى عليها أرزاقاً وأوقافاً عديدة، وخصص لكل مُقَعَدٍ خادماً ولكل ضريحٍ قائداً»^(١).

واستمر اهتمام المسلمين ببناء المستشفيات ودور الشفاء كما عرفت في العهد العثماني؛ لمداداة الجرحى وتمريض المرضى، وبلغ من اهتمام العثمانيين في ذلك أنه كانت تحتوي غالبية المجمعات المعمارية الكبرى على مستشفيات ضمن أوقافها الخيرية، ومن ذلك ما شيّده السلطان سليمان القانوني؛ إذ أمر المهندس المعماري العظيم (سنان) ببناء العديد من الأوقاف المعمارية التي احتوت على ثلاثة بيمارستانات؛ لإسعاف المرضى مجاناً، ومنها ما كان في بلاد الحرمين الشريفين^(٢)، كما شيّد في سورية وخاصة في مدينتي دمشق وحلب في أثناء العهد العثماني العديد من المستشفيات الوقفية التي تعالج المرضى بالمجان؛ وقد انقسمت إلى مستشفيات مدينة مثل مستشفى الحميدية بدمشق الذي بني أواخر القرن ١٣هـ/ ١٩م، وآخر عسكري مثل المستشفى المركزي العسكري بدمشق الذي قدمت فيه الخدمات الصحية للعسكر^(٣)، ولم يغفل العثمانيون أيضاً البلدان العربية في شمال إفريقيا من الأوقاف وخاصة الصحية منها والمائية، إذ أنشأ العثمانيون في مدينة الجزائر عشرة ينابيع ماء ضخمة؛ لتسييل الماء للأهالي، كما أقام حسن باشا ومحمد باشا بن صالح العديد من الحمامات المجانية لعامة الناس

(١) الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، عكرمة صبري، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٢) ينظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، إساعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٧٦.

(٣) ينظر: المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية-المستشفيات وكلية طب الشام، أكمل الدين إحسان أوغلي، لجنة تاريخ بلاد الشام، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٨-٩؛ والوقف على الفقراء والعامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

وفقائهم، إضافة إلى بناء عدد من الثكنات لإيواء العابرين والغرباء، وعدد من المستشفيات لتمريرهم^(١).

وتطورت المستشفيات تطوراً عظيماً، حيث ضمت بداخلها كبار علماء الدولة، ليس في الطب فقط، بل كان يتردد عليها الفقهاء والأدباء وغيرهم، كما كان الأطباء أنفسهم، منهم النحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون والمؤرخون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والمهندسون والرياضيون، فكانت المستشفيات مجمع العلوم والخبراء والفقهاء، وقد كانت المستشفيات تمولّ من قبل الأوقاف، وأحياناً كان الأطباء يقفون روايتهم أيضاً على المنشآت إذ كانوا يعملون بدون أجر^(٢)، ووصل الأمر أحياناً إلى أن كان الأطباء يطلبون من الحكام بناء بيمارستانات؛ ليعملوا فيها بالمجان، ومن ذلك ما ورد عن سنان بن ثابت أنه أشار على المقتدر بأن يتخذ بيمارستاناً ينسب إليه، فأمر ببنائه في باب الشام وسمّاه البيمارستان المقتدري، وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار، وافتتح سنان بن ثابت -أيضاً- بيمارستان السيدة الذي بناه بأحد الأسواق، وجلس فيه ورتب المتطبين، واستقبل المرضى غير القادرين مجاناً، و«كانت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار»^(٣).

وأبدع المسلمون في وقف البيمارستانات، حتى وجدت شروط في أوقافها تدل على الوعي التام، والرحمة التي تعبر عن مدى إنسانية الإسلام ورفقه، فلقد كان يذكر في نصوص وقرينات المستشفيات وجوب تقديم طعام لكل مريض في أية مستقلة خاصة به من غير أن يستعملها مريض آخر، ووجوب تغطيتها وإيصالها إلى المريض برفق، وقد حُصّصت في البيمارستانات قاعات مستقلة للمؤرّقين من المرضى؛ إذ كانوا يعزلون فيها، فيسْتَفنون أذانهم بسماع الأناشيد والاستماع إلى القصص التي يرويها عليهم القصّاص حتى يغلبهم النوم، وقد ظلت هذه العادة حتى دخول الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨ م، فشهدها العلماء الفرنسيون بأنفسهم

(١) ينظر: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشالية، عزيز سامح التري، ترجمة: د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩ م، ص ١٤٥.

(٢) ينظر: البيمارستانات الإسلامية، مؤمن أنيس البابا، ص ٢٧.

(٣) الأوقاف والرعاية الصحية، أحمد عوف عبد الرحمن، بحث بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، السنة الثالثة، العدد ٦، ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ/ يونيو ٢٠٠٤ م، ص ١٢٩.

وكتبوا عنها، مما يدل على البعد الإنساني والأخلاقي والنفسي الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات الوقفية الرائعة في تاريخنا المجيد^(١).

ولما كانت الدولة العثمانية وارثة للعديد من الحضارات الإسلامية السابقة عليها، كالحضارة المملوكية والسلجوقية والزيانية والطاهرية، ولما كان هؤلاء أيضًا حريصين على توفير الأوقاف الإسلامية على الفقراء والعامّة في مجال الصحة والتمريض، فقد حرص العثمانيون على ترميم ما كان قد أهمل أو تهدم من البيمارستانات التي أقيمت في أثناء العهد المملوكي والزياني والطاهري بصفتهم وارثين لها، ففي مصر تم ترميم كثير من بيمارستانات العهد المملوكي، وفي مقدمتها البيمارستان المنصوري بمدينة القاهرة^(٢)، وفي دمشق حرص الولاة العثمانيون على تجديد عمارة البيمارستان النوري والقيصري، وهما من أشهر البيمارستانات الإسلامية في ذلك الوقت، وكان قد اضمحلّ وقفهما، فحرصت مؤسسة الخلافة على اختيار أفضل المتولّين أصحاب الخبرة والكفاءة لإدارة هذه الأوقاف^(٣)، وكان حسن باشا بن عبد الله (ت: ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م) من أصحاب الكفاءة والخبرة؛ فقد ولي «وقف البيمارستان النوري، فأقام شعائره بعد أن كانت اضمحلّت، وعمّر أوقافه، وأتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه، فاستدعاه المولى مصطفى المعروف بكوجك قاضي القضاة بدمشق؛ لولاية البيمارستان القميري، فأبى، حتى أبرم^(٤) عليه هو ورئيس الأطباء بدمشق الشيخ شرف الدين لاضمحلال حاله، ثم قبّله على شريطة ألا يتناول فيه رئيس الأطباء بعض أشياء عيّنها، ولا يخالطه من أموره بسوى^(٥) قبض القدر الفلاني من علوفته، فإنه بسبب تجاوزه وتجاوز أمثاله خرب^(٦) الوقف، فقبل القاضي والرئيس شرطه، وعمّره، ونمّى وقفه، وولي الجامع الأموي بعد أن كاد وقفه يذهب،

(١) ينظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: روائع الأوقاف، راغب السرجاني، ص ١٤٧؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٣) ينظر: روائع الأوقاف، راغب السرجاني، ص ١٤٧؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٤) وتعني هنا: ألحّ.

(٥) وردت هكذا في المصدر، وتعني بغير.

(٦) وردت هكذا بالمصدر، وتعني تعطل.

فبذل جهده في ضَبْطِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ»^(١).

ووصلت الأوقاف العثمانية على المرضى إلى أقصى كمالها في توفير وقف فريد كان يحدث في مدينة طرابلس الشام وغيرها، وكان ريع هذا الوقف مخصصاً لتوظيف اثنين يَمْرَانِ في البيمارستانات يوميًا، فيتحدثان حديثًا خافتًا بجانب المرضى يوحى بتحسُّن حالة المريض، واحمرار وجهه، وبريق عينه؛ ليسمع المريض حديثهما فتتحسن نفسيته ويكون ذلك سببًا في شفائه^(٢)، وقد أورد مصطفى السباعي جزءًا من وقفية البيمارستان، التي جاء فيها: «فإن أحق ما انتهزت به فرص أجره العزائم، وأحرزت مواهب برّه الغنائم، وأجدر ما تنبه لاغتنام ثوابه كل نائم، وأولى ما توجه إليه كل متوجه وقام إليه كل قائم، ما عادت بالخيرات عوائده، وزادت في المسرات زوائده، واستمرت على الآباء فوائده، واستقرت على التقوى بتطاول الآمال قواعده، وهي الأوقاف العميم برها، المقيم أجرها، الجسيم وفرها، الكريم ذخرها، فهي الحسنات التي هي الجنان، والقربات التي فيها رضوان الرحمن، والصدقات التي هي مهور الحور الحسان، والنفقات التي هي بحور الأجور واللؤلؤ والمرجان... ولا يخفى ما فيها من إدخال السرور على المريض الفقير، وإيصال الجبور إلى قلبه الكسير، وإغنائه بإيوائه ومداواته، الذي لا يُعَبَّرُ عن وفور أجرها بتعبير، فطوبى لمن عامل مولاه العزيز الغفّار، وراقبه مراقبة العالم بسرّه ونجواه في الإيراد والإصدار، وأقرضه أحسن القروض على حسب الإمكان والاعتدار، وانتهز الفرصة بالاستباق، وأحرز باغتنام أجرها قصب السباق، فساعد الفقير المسلم على إزالة أَلَمِهِ، ومداواة سقمه، مساعدة تنجيه غدًا من عذاب ربه الخَلَّاق، ورجاء أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى، والقربة التي لا يخاف بأجرها ظلمًا ولا هضمًا، والحسنة التي لا تبقى لذنبه همًا... فأقيم البيمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثريين والفقراء المحتاجين...»^(٣).

وأما عن الأوقاف العثمانية على المستشفيات ودور الشفاء بمدينة إستانبول فقد

(١) ينظر: خلاصة الأثر، أبو عبد الله محمد المحبي، ص ٣٩١.

(٢) ينظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، ص ٢٣١.

(٣) الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

كان لها الحظ الأوفر؛ إذ كانت عاصمة دولتهم، وأكثر مدنهم إزدحامًا بالسكان، ولذا فقد وُجدت الأوقاف الصحيّة بكثرة، فقلما وجد مجمع العمارة الخيرية لا يحتوي بداخله على بيهارستان، أو دار للشفاء ومداواة الجرحى، وكانت باكورة إنشاءاتها في المدينة منذ أول وهلة دخلها العثمانيون بقيادة السلطان محمد الفاتح، وكان أول مجمع معماري في المدينة هو مجمع السلطان الفاتح الذي احتوى وحده على ثماني مدارس، منها مستشفى ومدرسة الطب، إذ كان المستشفى إلى جانب مداواة المرضى وإسعافهم تتم فيه مزاولة العلوم الطيبة، ولعبت المستشفيات دورًا مهمًا كونها تدرّس فيها التطبيقات العملية لطلاب الطب^(١)، وقد تخرّج عدد من الأطباء من هذه المدرسة عملوا في مختلف أنحاء الدولة لمعالجة المرضى بالمجان^(٢)، كما شيّد أيضًا السلطان بايزيد الثاني مستشفى داخل مجمع العمارة الخيرية الذي شيّده بمنطقة بايزيد بمدينة إستانبول، وجاء تخطيط هذا المستشفى وتوزيع وحداته ببراعة كبيرة من المهندس الذي نفّذ البناء، وكان المستشفى جزءًا من أوقاف السلطان؛ لمعالجة المرضى من الفقراء والعمامة وأبناء السبيل والغرباء بالمجان، وجاء تخطيط المستشفى من ثلاثة أجزاء: جزء مستطيل يحتوي على عدد من حجرات التمريض السريع تطل على رحبة مكشوفة، والتي يقوم مقامها حاليًا أقسام الطوارئ والاستقبال بالمستشفيات، ثم تؤدي الرحبة المكشوفة إلى قاعة أخرى تحتوي على عدد من الحجرات التي يتم فيها تحضير الأدوية والعقاقير وتوزيعها يوميًا بالمقدار الذي يحتاجه كل مريض (صيدلية المستشفى)، ثم تؤدي هذه القاعة إلى قاعة أخرى سداسية الشكل تحتوي على عدد من الحجرات كان يبيت فيها الأطباء والمرضى الذين تتصف حالاتهم المرضية بالحرّجة^(٣)، وهو ما يعرف حاليًا في المستشفيات الكبرى باسم العناية المركزة، وقد كانت منطقة مغلقة لا يدخلها إلا المختصون من أجل المحافظة على خصوصيات المرضى واحترام حقوقهم إلى جانب ضمان عدم نقل العدوى، وهو الأمر الذي

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلغاز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٤.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 179;

والوقف على الفقراء والعمامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(3) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 198.

والوقف على الفقراء والعمامة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

يرهن على مدى روعة الأوقاف العثمانية على المرضى الفقراء والمحتاجين. وشيّد السلطان سليمان القانوني مستشفى للتطبيقات العملية لمدرسة السليمانية^(١)، ولم يقتصر إنشاء المستشفيات أو دور الشفاء في العهد العثماني على السلاطين وحدهم، بل شارك غيرهم من النساء والوزراء في تشييد مؤسسات وقفية تحتوي بداخلها على مستشفيات لتمريض الفقراء والعامّة وأبناء السبيل والغرباء وعلاجهم إلى جانب الأغنياء أحياناً، ومن أجل نماذجها بمدينة إستانبول المستشفى الذي شيّدته خاصكي خرم سلطان سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م، وقد اختارت السلطانة في وقفيتها للإشراف على هذا المستشفى طبيبين يارسان الطب العام، وطبيين متخصصين في العيون، وجرّاحين اثنين، وصيدليين، وأربعة مرضيين، وموظفين اثنين يعملان في المختبر، وعدداً من الأشخاص للإدارة، وبلغ مجموع العاملين في المستشفى حوالي ثمانية وعشرين (٢٨) موظفاً، وقد نصت وقفيتها على معالجة الفقراء والمحتاجين فيه، كما ذكرت أنه من جملة من يقدم لهم الطعام بالمستشفى -إلى جانب الأطباء والموظفين- أربعة وعشرون (٢٤) فقيراً ومسكيناً، سواء من الرجال أم النساء، «وإذا تُوفّي أحدهم يُعيّن طعامه لواحد من فقراء العلماء والسادات المضطرين في سدّ الرمق وتحصيل الأوقات بالمنشور السلطاني»^(٢)، وبلغت نفقات هذا المستشفى سنة ٩٦٥هـ / ١٥٥٨م حوالي ١١٤٥٥٠ آقجة (درهماً فضياً)، وبهذا يمكن القول: إن خاصكي سلطان هي المرأة التي بدأت بإنشاء المؤسسات الوقفية الكبرى من طرف النساء والتي استمرت حتى القرن ١٣هـ / ١٩م، مع بناء جامع ومستشفى للغرباء وغير ذلك من الأعمال الخيرية من والدات السلاطين قبل سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م^(٣)؛ إذ شيّدت رابعة گلنوش سلطان هي الأخرى داراً للشفاء بمكة المكرمة، وأخرى بمصر، ووقفت على هذه المباني إحدى وعشرين (٢١) قرية^(٤).

وأنشأت حفصة سلطان والدة السلطان سليمان القانوني مجمعاً للعمارة الخيرية في

(١) وقد تحولت المستشفى في القرن الماضي إلى مطبعة عسكرية، ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٤.

(٢) صورة وقفية خاصكي خرم سلطان بمكتبة السليمانية، ص ١٠، الوجه الأيسر.

(٣) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليجي، ص ٩٨.

(٤) ينظر: أوقاف النساء في مكة المكرمة، أميرة مداح، ص ٤٤-٤٩.

مغنيسيا ضم مستشفى أو دارًا للشفاء سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م^(١)، كما شيّدت نوربانو سلطان مستشفى خيرياً ضمن مجمعها المعماري بإسكدار^(٢)، وشيّدت ماهبيكر كوسم سلطان دارًا للشفاء ملحقة بمجمعها في إسكدار، وكان مخصصاً للأمراض العقلية للنساء من دون الرجال، وعرفت مستشفيات أخرى تخصصية بالمدن الرئيسة أنشئت بهال الوقف وبرعايته، ومنها مستشفى الجذام بمدينة أدرنة سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م^(٣). ومن ثم تظهر مساهمة نساء القصر العثماني في الوقف الصحي بمدينة إستانبول إذ شيّدن عددًا كبيرًا من المستشفيات داخل كلياتهم المعمارية، من أهمها دار الشفاء لخاصكي سلطان، ودار الشفاء لنوربانو سلطان، وكلتاهما باقية إلى اليوم، ودار الشفاء لماهبيكر كوسم سلطان، وقد تهدمت ولم تصل إلينا، ما يعني المساهمة الفعلية لهن في هذا الجانب.

ثاني عشر: وقف الخانات والفنادق وبيوت الإقامة المجانية ووقف النقود:

شيّد العديد من فنادق الاستراحات أو خانات الطرق في أثناء العهد العثماني على جميع الطرق التجارية ومداخل المدن، إلى جانب وجودها داخل المدن بتسميات متعددة، منها: العمارات ودور المرق، ومنها على الطرق على سبيل المثال: الاستراحة التي شيّدها المعمار سنان بأمر من السلطان سليمان القانوني في الفترة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦ - ١٥٦٧م على طريق بيوك چكمجة وإستانبول (Büyük Çekmece- İstanbul)^(٤)، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تنقسم من الداخل إلى عدة أروقة متقاطعة يغطيها من أعلى سقف جمالوني، ومنها استراحة كورشنلو من القرن ٩هـ/ ١٥م على الطريق التجاري قرب مدينة إسكي شهر، وهي تأخذ هيئة مستطيلة الشكل تتوسطها بائكة من ستّ (٦) دعامات مربعة الشكل تقسم الاستراحة إلى رواقين طوليين، وسبعة (٧) أروقة عرضية غطيت بأقبية برميلية بشكل عرضي، وتتميز

(١) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٥٢.

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج ٢، ص ٤٩٤.

(4) Anadolu Osmanlı Dönemi Mimarisinde Mekan Analizi, Han Ve Kervansaray Yapılarında Uygulama, (M. Gülay Keleş Usta), (Karadeniz Teknik Üniversitesi Fen Bilimleri Enstitüsünce "Doktora Tezi", Mimarlık Anabilim Dalı), Mimarlık Programı, Trabzon, 1994, Pp. 112-113.

فتحات النوافذ فيها بصغر الحجم، وليس للخان سوى مدخل واحد فقط لزيادة تأمين الخان، ويشبهها إلى حد ما الاستراحة الموجودة على الطريق التجاري قرب مدينة جناق قلعة «ليعقوب بك» سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٣م، وهي عبارة عن استراحة مستطيلة الشكل تنقسم إلى أربعة (٤) أروقة بواسطة ثلاث (٣) بائكات، ويُعدّ الرواقان المركزيان أكبر حجماً من الرواقين الجانبيين، وهي أيضاً تحتوي على مدخل واحد فقط^(١)، ومنها كذلك كل من استراحة مجمع حاجي حمزة بمدينة آماسيا سنة ٩١٢هـ/١٥٠٦-١٥٠٧م، واستراحة السلطان سليم الثاني سنة ٩٧١هـ/١٥٦٣-١٥٦٤م على الطريق ما بين كاراينار وقونية (Karapınar-Konya)^(٢).

وللدلالة على كثرة الاستراحات الوقفية التي كانت تُشيّد من قِبَل السلاطين العثمانيين أو الوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة، يُكتفى بالإشارة إلى الإحصائية التي تمت لبعض مدن البلقان (أوروبا العثمانية) التي انضوت تحت الحكم العثماني في أثناء عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٣-١٠٥٠هـ/١٦٢٣-١٦٤٠م، والتي يظهر منها مدى اهتمام العثمانيين بتوفير المسكن الآمن والمأكل لأبناء السبيل والفقراء والمسافرين، ويتضح من هذه الإحصائية أنه كانت توجد بمدينة أدرنة أكثر من استراحة على الطرق الخارجية، وكان يوجد في مدن بلغاريا حوالي اثنتين وستين (٦٢) استراحة، وفي دول الاتحاد اليوغوسلافي سابقاً حوالي أربعين (٤٠) استراحة للفقراء، وخمس وعشرين (٢٥) مسافر خانة لإيواء المسافرين، وفي مدن ألبانيا تسع (٩) استراحات، أما اليونان فكان بها ما يزيد على إحدى وعشرين (٢١) استراحة، هذا إضافة إلى ما كان يشيّد من الجسور والطرق لخدمة وتسهيل عملية التجارة، غير أن ما يدعو إلى الحزن هو ما حدث لغالبية هذه المنشآت من أضرار وتعديات أدت إلى اندثار حوالي ٩٥٪ منها^(٣).

وإلى جانب هذه الاستراحات التي تبنى كمؤسسات وقفية على الطرق وخارج المدن؛ لتوفير المبيت الآمن والطعام للفقراء والمحتاجين وأبناء السبيل والمسافرين،

(1) Türk Hanlarının Gelişimi ve İstanbul Hanları, (Ceyhan Güran), Vakıflar Genel Müdürlüğü Yayınları, İstanbul, 1976, S. 200.

(2) Anadolu Osmanlı Dönemi Mimarisinde Mekan Analizi (op. cit), (M. Gülay Keleş Usta), P. 189.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ١٠٨-١٦١.

فإنه كانت توجد مؤسسات وقفية أخرى داخل المدن تقوم بالدور نفسه للقائنين في المدن العثمانية وليس لديهم ما يكفيهم من الطعام أو لا يمتلكون أماكن يبيتون فيها، وعرفت هذه المؤسسات داخل المدن العثمانية بفنادق العُزَّاب، وانقسمت إلى صنفين: أحدهما خاص بالرجال والثاني خاص بالنساء أو الحریم، وقد وجد من هذه المساكن أو دور الضيافة بمدينة إستانبول وحدها في أثناء الوصف الذي أُعدَّ للسلطان مراد الرابع وقرأه عليه المؤرخ صولاق زاده حوالي ست وسبعين وستمئة (٦٧٦) دار ضيافة إلى جانب سبع وخمسين وخمسمئة (٥٥٧) من التكايا والزوايا، وحوالي ستة آلاف (٦٠٠٠) حجرة وقاعة لسكنى الصوفية والدروايش والفقراء، وحوالي سبعة وثلاثين (٣٧) مطحنًا من المطاحن الكبرى لإعداد الطعام للفقراء وسكان المدينة^(١)، وغير ذلك.

ولقد اهتم المسلمون بالخانات اهتمامًا بالغًا وشيّدوها داخل المدن وخارجها على طرق القوافل التجارية على حد سواء، ومن أقدم تلك الخانات في العصور الإسلامية كل من الخان الملحق بقصر الحير الشرقي، والخان الملحق بقصر الحير الغربي من العهد الأموي^(٢)، وخان عطشان من العهد العباسي^(٣)، وقد عرفها الغزنويون والقرة خانيون والسلاجقة العظام وغلبت تسميتها عندهم بالأربطة، والتي تبقى بعض أمثلتها إلى الآن لتؤكد بنائهم لها على الطرق التجارية، ومن أشهر هذه الأربطة؛ رباط ماهي ورباط ملك ورباط شرف^(٤)، وكان العهد السلجوقي بإيران من أزهى العهود التي انتشرت فيها الخانات أو الأربطة، حيث استمر السلاجقة في بناء الخانات بوظائفها الحربية والتجارية كذلك، فاعتبرت الخانات كأماكن إيواء المجاهدين المرابطين على الحدود بفكرة الرباط والأربطة، وكذلك استخدمت لإيواء المسافرين والحجاج والتجار لحمايتهم فيها، وقد كانت تقدم في غالبية تلك

(١) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(2) A short Account of Early Muslim Architecture, (K.A.C Creswell) & (J.W. Allan), American University Press in Cairo, 1989, PP. 136-137; The Encyclopedia of Islam, Vol. IV, P. 1011.

(3) Ibid, pp. 258-260.

(٤) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٢٣-١٢٥؛

Türk mimarisi, (S. Kemal Yetkin), Ankara, 1970, S. 27; 16. Yüzl Hanları ve Küçük Çukur Han'ın Değerlendirilmesi, (Mimar Aysel Başer), Lisans TEZİ, Restorasyon Yüksek, Mimarlık Anabilim Dalı, Fen Bilimleri Enstitüsü, Mimar Sinan Üniversitesi, İstanbul, 2002, S. 9-11.

المباني الواقعة على الطرق التجارية الخدمات بالمجان تقريباً إلى الله تعالى كنوع من أنواع الوقف الإسلامي، وفي تلك الحالة لم يكن للخان أغراض تجارية ربحية سوى تشجيع التجارة وتأمين التجار، وورث عنهم الأمر سلاجقة الروم والذين تركوا تراثاً رائعاً من خانات الطرق التي تعددت طرزها وأماطها المعمارية في أثناء القرنين ۷-۸هـ/ ۱۳-۱۴م^(١)، وقد عرفت الخانات عندهم باقترانها بلقب السلطان فسميت (خان السلطان)^(٢)، وهو الأمر الذي يدل على اختصاص السلاطين من دون غيرهم في أثناء العهد السلجوقي ببنائها ثم اكتُفي بتسميتها بالخان بعد ذلك، وكانت تبنى لأغراض تجارية وخيرية في الوقت نفسه، وهي مؤسسات حضارية كذلك مثلت في أثناء عهد سلاجقة الروم أهمية كبرى قامت على طرق الارتحال في الأناضول، والتي كان آلاي خان الموجود على طريق أقسراي- قيصرية أولها بناءً، حيث ورد في الحوليات السلجوقية أن الخان بني على يد قليج أرسلان الثاني فيما بين ۵۵۱-۵۸۸هـ/ ۱۱۵۶-۱۱۹۲م، ثم أفادير خان (Emdir han) الذي بناه عز الدين كيكافوس الأول (۶۰۶-۶۱۶هـ/ ۱۲۱۰-۱۲۱۹م)^(٣)، ثم توالى بناء الخانات السلجوقية التي يوجد منها العديد من الأمثلة إلى الآن^(٤).

وانتشرت بعد ذلك الخانات في أثناء العهد العثماني^(٥)، وكان في مقدمتها خان الأمير أورخان بمدينة بورصة، ولم يقتصر بناؤها على السلاطين وحدهم، بل كانت نوعاً من أنواع البر والتقرب إلى الله وجزءاً من الأوقاف التي شجعت الدولة على إنشائها، فكانت تبنى خارج المدن على الطرق التجارية لتقديم الخدمات للمسافرين والتجار بالمجان، كما أنها كانت محمية من قبل الدولة ذاتها.

وكانت الخانات التي تبنى خارج المدن يطلق عليها لفظ الكروانسراي^(٦)، دلالة

(١) ينظر: خانات الطرق في عهد سلاجقة الروم (٤٧٠-٧٠٨هـ/ ١٠٧٧-١٣٠٨م) دراسة معمارية أثرية، فهيم فتحي إبراهيم، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب-جامعة سوهاج، ٢٠٠٧م، ص ٣٣٨-٤٧٠.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمايرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٢١.

(3) Anadolu Selçuklu Sanatı Üzerine Görüşler, (Semra Ögel), İstanbul, 1986, S. 66; 16. Yüzlü Hanları ve Küçük Çukur Han (op. Cit), (Mimar Aysel Başer), S. 21-22.

(٤) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، خليل إينالجيك، ص ١٩١.

(5) Çarşı, Pazar, Ticaret Ve Kapalıçarşı (op. Cit), (Kenan Mortan & Önder Küçükerman), S. 119-120.

(٦) تنطق «كرفانسراي»، وهي كلمة فارسية مكونة من مقطعين، كروان (Kervan) التي تعني القافلة، وسراي (Saray) تعني القصر أو الدار والمكان، ومن ثم فهي تعني دار القافلة أو استراحاتها أو مكان نزول القوافل، والتي يمكن توحيد

على أنها كانت تبني خارج المدينة على مسافات محددة تبلغ مسيرة النهار، أي: ما يعادل حوالي ٣٠ كيلومتراً^(١).

فالخانات هي ما كان يقام داخل المدن وخارجها على حد سواء، وتُعرف بالخانات إذا بنيت داخل المدن، أما الخانات التي كانت تقام خارج المدن حيث الطرق المسلوكة ومحطات القوافل فهي التي عُرفت باسم كروانسراي، بعد أن كانت تُعرف بالأربطة في أثناء عهدي القرة خانيين والسلاجقة^(٢)، وقد تعدد بناء تلك الخانات -التي تُعرف بالكروانسراي خارج المدن، حيث كانت أعمال التجارة البرية التي تُجرى عن طريق القوافل ويبارسها الأشخاص حتى بداية ظهور السكك الحديدية في أواسط القرن ١٣هـ/ ١٩م- نتيجة لوقوعها تحت تهديد الشتاء القارس وقطاع الطرق، فقد كانت تنعدم في بعض الأحوال قدرة القوافل على المسير، ولذا كان بناء تلك المباني على الطرق التجارية ضرورياً مع حماية الدولة ضد قطاع الطرق عن طريق حراس (دربندجي)، وهم الحراس الخصوصيون مقابل إعفائهم من الضرائب، وكانت القوافل تقضي ليلها في تلك الكرفانسرايات^(٣)، إضافة إلى تعددها وتنوعها في وظيفتها أو في مواقعها التي شيّدت بها، فكثير من تلك الخانات قد شيّدت بمدينة إستانبول منفرداً في بنائه وبعيداً عن المجمعات المعمارية، إلا أنه كان يرتبط بها من خلال وثيقة أو حجة الوقف.

وعلى الرغم من أن الخانات كانت تنشأ كمبانٍ تجارية ضمن الكليات أو المجمعات الوقفية كمصدر دخل أو كمبنى ربحي، فإن هناك نوعاً آخر من الخانات

مصطلحها باسم خان الطريق وجمعها خانات الطرق. ينظر: معجم صفصافي، الصفصافي أحمد المرسي، ص ٢٣٨-٤٢٧، ٢٣٩؛ وخانات الطرق، فهم فتحي إبراهيم، ص ١٣٧-١٣٨؛

Ottomaans-Nederlandse Economische Betrekkingen (op. cit), (Mehmed Bulut), PP. 49-50.

(1) Tarihi Türk Ticaret Yapıları Kapsamında Kastamonu Hanları (op. cit), (Hüseyin Asar), S. 8.

ومن الجدير بالذكر أن مصر كانت تُعرف لدى المغول باسم «كروانسراي»، وذلك بمعنى محطة الفارين أو الهارين، إذ إن مصر كانت ملاذ الهارين من بطش المغول، وقد وردت تسميتها بذلك في خطابات المغول إلى السلطان الناصر الأيوبي سلطان بلاد الشام، حيث تضمن نص أحد خطاباتهم التهديدية إليه: «وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم قد انهموا إلى كروانسراي - يقصدون مصر- فإن كانوا في الجبال نسفناها وإن كانوا في الأرض خسفناها». ينظر: المغول بين الانتشار والانكسار، علي محمد الصلابي، موسوعة الحروب الصليبية (٢)، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٠-١١.

(٢) ينظر: العارة والفنون الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٣) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، مج ٢، ص ٧٠٣-٧٠٤.

التي شيّدت بمدينة إستانبول والتي اختلفت وظيفتها عن الخانات التجارية، وهي خانات الإقامة التي تعمل عمل الفنادق حالياً والتي عرفت باسم خانات الضيافة الدينية أو خانات العزاب، وهي خانات لم يكن الغرض من بنائها تداول البضائع التجارية أو القيام بأعمال مهنية أو حرفية، وإنما تم بناؤها كاستراحات تستخدم لمبيت الضيوف أو كأماكن لإقامة الرحالة والمسافرين والعزاب والتجار الغرباء وغيرهم، ووصل الأمر ببعض الخانات أن خصّصت لأغراض سياسية مثل إقامة السفراء الأجانب قبل أن يكون بناء السفارات من الأمور المتعارف عليها، ويُعدّ الخان الذي كان ملحقاً بكلية عتيق علي باشا (Atik Ali Paşa)^(١) أحد أشهرها بمدينة إستانبول على الإطلاق، والذي كان يسمى إلتشي خان أو خان السفراء (Elçi Han)، وهي كلمة تركية تعني السفراء، حيث خصص هذا الخان لإقامة السفراء الأجانب بمدينة إستانبول، وقد وُصف هذا الخان (وقد اندثر حالياً) بشكل دقيق من قِبَل اثنين من الرحالة الألمان الذين زاروا الخان وهما: Hans Dernschwamm و Sa-lomon Schweiger^(٢) في أثناء النصف الثاني من القرن ١٠هـ/١٦م، وعلى جانب آخر فقد شيّدت كذلك بعض خانات الضيافة الدينية في إستانبول بوصفها عاصمة الدولة لإقامة جنود الجيش العثماني من خارج المدينة، الذين كانوا يفدون إلى مدينة إستانبول من آن لآخر لحضور اجتماعات أو رفع دعاوى أو غيرها لدى السلطان أو قاضي قضاة العسكر بالمدينة، وخاصة من طائفة جنود السباهية، ويُعدّ أشهر هذه الخانات وأكبرها هو تاش خان (Taş Han) أو خان السباهية، الذي شيّده السلطان مصطفى الثالث ملحقاً بمجمعه المعروف باسم لالاي.

وكانت بداية إنشاء الخانات في المدينة عقب فتحها على يد السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، والذي أعطى أوامره بالبداية في إنشاء البازار المغطى، كما أصدر أوامره بإنشاء أول خانات البازار وهو بدروم خان (Bodrum Caravan-

(١) وهو أحد الصدور العظام الذين تولوا خلال عهد السلطان بايزيد الثاني، حيث شيّده جامعه بمنطقة تشمبرلي تاش سنة

١٤٩٦م. ينظر: Freely, op. cit, PP. ٢٠٠-٢٠١.

(2) Die Tagebuch einer Reise nach Konstantinopel und Kleinasien, (Hans Dernschwamm), Munich-Leipzig, 1923, PP. 37-41; Sultanlar Kentine Yolculuk 1578-1581, (Salomon Schweiger), translated by T. Noyan, 2004, PP. 57-59; Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), PP. 393-394.

(sarai)، وتعني المخزن أو المستودع والذي يُعدّ أقدم الخانات الموجودة بالمدينة على الإطلاق^(١)، وتبع السلطان الفاتح وزيره محمود باشا فأنشأ مجمعاً معمارياً ضخماً وقَف عليه أحد أكبر الخانات الموجودة بمدينة إستانبول، وهو خان الفراء (Kürkçü han) الذي يقع على المنحدر الذي يعرف باسم الوزير وهو منحدر محمود باشا الذي يربط ما بين منطقة إمينونو ومنطقة السوق المغطى، واستمر الأمر على ذلك في عهد السلطان بايزيد الثاني ومن تلاه حتى امتلأت المدينة بالخانات في أثناء القرون التالية، ووصل الأمر بأحد الرحالة البريطانيين وهو (Hobhouse) الذين زاروا المدينة في أثناء أعوام ١٢٢٤-١٢٢٥هـ/ ١٨٠٩-١٨١٠م أن يحصي عدد ما يزيد على ١٨٠ خاناً^(٢) باقياً بالمدينة، رغم ما تعرضت له من حرائق وزلازل متتالية.

وقد أنشأ السلاطين العثمانيون أوقافاً لإيواء الفقراء والمارة وأبناء السبيل، فضلاً عن تقديم الطعام والشراب لهم، مستغلين في ذلك بعض الكنائس المهجورة والمباني القديمة، وليس أدل على ذلك مما ورد في «وقفية السلطان الفاتح» في الصفحة الثالثة عشرة (١٣) من وقفيته المصورة؛ إذ تحتوي على ما نصه: «ومنها -أي أوقاف السلطان- الكنيسة الواقعة في قسطنطينية -مدينة إستانبول- وهي الآن معروفة بقلندر خانة ومستغنية عن التجديد -أي بحالة جيدة- فجعلها وقفاً على الفقراء والمساكين والصادرين والواردين»^(٣)، وقد انتشرت تلك الأوقاف في أقطار الدولة العثمانية ووُجِدَت نماذجها في منطقة البلقان^(٤).

وقد كان يجري تقديم مساعدة مادية للمسافرين الذين ينزلون ضيوفاً على الاستراحات الإسلامية والمسافر خانة، حسبما خصصه الواقف لسائر أبناء السبيل والعابرين، كانت تُقدّم من مال الوقف، وتُصرف لكل مسافر كزادٍ له عند ارتحاله من الاستراحة، وكان مقدار هذا الزاد حوالي ثلاثين درهماً فضياً يأخذها المسافر

(1) Osmanlı Mimarisi, (Ekrem Hekki Ayverdi), Istanbul, 1973, Cilt, IV, S. 569-579; Türk Hanlarının Gelişimi ve İstanbul Hanları (op. cit), (Ceyhan Güran), S. 112-113; Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, "Bodrum hanı".

(2) A Journey through Albania, and Other Provinces of Turkish in Europe and Asia, to Constantinople during the Years 1809 and 1810, (J. Hobhouse), Vol. II, London, printed for James Cawthorn, Cockspur Street, 1813, P. 960.

(٣) وقفية السلطان محمد الفاتح، محفوظة بمكتبة السليمانية، نسخ مصورة، رقم ٢٦٠.

(٤) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٤٩.

أثناء رحيله من البلد، وكان من حسن استقبال الأوقاف للمسافر أنه حين قدومه يتم تقديم العسل والخبز له كوجبة سريعة، حتى ينزل على العمارت أو دار الطعام فيقدم له من طعامها^(١).

وينسب لنيلوفر خاتون عدة مبانٍ وقفية أخرى شيّدها في مدينة بورصة إلى جانب عمارتها بإزنيق ومسجدها ببورصة، منها خان لإقامة المتصوفة بمدينة بورصة^(٢)، وشيّدت حفصة خاتون زوجة السلطان بايزيد الأول يلديرم خاناً لإقامة الغرباء وأبناء السبيل بمدينة تايير سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م^(٣).

لم يقتصر الوقف النسائي على أمهات السلاطين العثمانيين وزوجاتهم وبناتهم من دون غيرهم؛ فَوَقَّفت خديجة بنت محمود باشا وزير السلطان الفاتح في مدينة إستانبول وقفين سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م سجلتها وثائق الوقف التي وقعها القاضي محمد بن علي الفناري (ت: ٩٤٤هـ/ ١٥٣٨م)، وكان قاضي عسكر الروميلي قبل أن يصبح شيخ الإسلام، ونصت الوقفية الأولى لها على أن خديجة وَقَّفت منزلين من طابق واحد مع حَمَّام وتسع غرف وقاعة جلوس وإصطبل ومراحيض في حي أوسكوبلو بناحية آيا صوفيا قرب جامع آيا صوفيا، وعينت رجلاً لتولي الوقف، فيما تركت تولية الوقف من بعده على قاضي عسكر الروميلي، وأظهر تفتيش الوقف إضافة غرفة أخرى للغرف التسع الأصلية وبناء منزل آخر بجوار المنزل الأصلي بعد ٢٢ سنة من تاريخ إنشاء الوقف، وذلك من قِبَل متولي الوقف الذي كان يؤجره مقابل ٣٦٠ آقجة سنوياً^(٤)، والوقف الثاني لها يتكون من منزلين اثنين من طابق واحد وتسع حجرات وغرفة علوية وإصطبل ومراحيض بحي شلبي أوغلو التابع لناحية إبراهيم باشا بمدينة إستانبول^(٥).

وشيّدت نفيسة بنت إسكندر باشا حاكم البوسنة في أثناء عهد السلطان محمد

(١) ينظر: تراث العمارة الإسلامية، خالد عذب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٧٤؛ والوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(2) Valide Sultanların Kurduğu Vakıfların (op. cit), (Musa Şahin) & (N. Ebrar Kaya), S. 40.

(3) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 25.

(٤) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليجي، ص ١٠٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ١١٠.

الفتاح سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م وقفًا عبارة عن مبلغ ١٠٠٠٠ آقجة توفر دخلاً سنوياً يقدر بألف آقجة، واشترطت الواقفة فيه تخصيص مبلغ ٣٠ آقجة لتوزيع الماء على السجناء في شهر رمضان^(١)، وأنشأت دايا خاتون مرضعة السلطان محمد الفاتح بمدينة إستانبول ثلاثة عشر وقفًا في موضع يعرف باسمها قرب منطقة السوق الكبير، إذ كان من جملة أوقافها ١٦ غرفة في حي شلبي أوغلو، و١٦ دكانًا قرب القصر القديم بالمدينة، و٢٦ دكانًا قرب البازار الكبير، و١٧ غرفة بحي دايا خاتون، وأربعة منازل أخرى ودكاكين في حي كوجك أحمد حاجي، وثاني غرف وفرن لطهي الخبز في حي إبراهيم باشا، وسبع غرف للعزاب بالحي اليهودي، وحمّام مزدوج غرب إستانبول على طريق مدينة أدرنة، وغير ذلك من الأوقاف المعمارية وغيرها مما يدر دخلاً قدر بحوالي ٥٣٦٠٣ آقجة سنوياً، بالإضافة إلى وقف مالي بقيمة ٧٠٠٠٠ آقجة تدر سنوياً بمبلغ ٧٠٠٠ آقجة^(٢).

وأنشأت حسنه شاه خاتون (Hüsnüşah Hatun) خان الرصاص (Kurşun-lu Inn) على الطريق فيما بين مدينتي مغنيسيا وكرمان سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م^(٣)، مما أدى إلى تعمير الطريق، ولا سيما أن خانات الطرق كانت تحرسها قوات من الجيش العثماني فدبت الحياة في تلك المناطق النائية بفعل هذه الأوقاف، ومن الأوقاف التي شيّدها خاصكي خرّم سلطان بالخرمين الشريفيين رباط يتكون من ثمان وأربعين حجرة سكنية خصصتها لطلاب العلم بمكة المكرمة^(٤).

لم يقف إنشاء الأوقاف طيلة العهد العثماني من قبل الرجال أو النساء، فبعد العصر الذهبي للدولة العثمانية في أثناء عهد السلطان سليمان القانوني استمر إنشاء الأوقاف، وساهمت المرأة فيه بكثرة، واستحوذت مدينة إستانبول على عدد كبير منها تليها المدن المقدسة (مكة والمدينة)، وكانت والدات السلاطين أكثر النساء وقفًا لما تمتعت به السلطانة الوالدة إبان حكم ابنها من مكانة وثروة، وتلتهن الزوجات

(١) ينظر: الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل، محمد أحمد ملكه، ص ٨٨-١٢٧.

(٢) ينظر: أوقاف النساء في مدينة إستانبول، فاروق بيليجي، ص ١١٠-١١١.

(3) Bayezid II nin Ailesi (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 108; Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 46.

(٤) ينظر: أوقاف نساء سلاطين العثمانيين، ماجدة مخلوف، ص ١٨.

فالبنات، فَوَقَّفت ماهبيكر كوسم سلطان أوقافاً كثيرة للحرمين الشريفين^(١)، ووقَّفت عددًا من المنشآت الخيرية بإستانبول منها خان الوالدة الكبير قبل وفاتها بقليل سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م^(٢)، وشيَّدت كلنوش أمة الله زوجة السلطان محمد الرابع عمارت وقفية بمكة المكرمة، وشيَّدت نوربانو سلطان خانًا مزدوجًا ضمن مجمعها بإسكُدار^(٣).

ثالث عشر: وقف المقابر والتُّرب:

يُعدّ وقف المقابر من أعظم القربات عند الله ﷻ، فكل ما يتعلق بالميت إنما يحتسب أجر فاعله كالحي تمامًا بل يزيد، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «مَنْ عَسَلَ مَيْتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَمَنْ كَفَّنَ مَيْتًا؛ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ حَفَرَ لِمَيْتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ فِيهِ؛ أُجْرِي لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَأَجْرِ مَنْسُكِنٍ أَسْكَنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤)، ومن هنا فقد أولى الواقفون عناية خاصة بإنشاء التُّرب والمقابر لينالوا الأجر من الله ﷻ.

أُسِّت إلى جانب العمائر الخيرية السابقة أوقاف لإنشاء المقابر والعناية بها؛ إذ لم يستسغ العثمانيون تشييد قبور ضخمة كأتراك الهند وغيرهم، ويدل على ذلك دفن أعظم السلاطين تحت قباب ومدافن متواضعة، لكنها كانت موضعًا للعناية، ومن أعظم المقابر بمدينة إستانبول مقبرة أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الذي استشهد في إحدى محاولات فتح المدينة في أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والذي خصصت له أوقاف كثيرة بموجبها تم تعيين ١٠ متولين للتُّربة، و٢٧ حافظًا يتلون القرآن باستمرار لمدة ٢٤ ساعة، وغيرهم ممن يتقاضون رواتبهم من الأوقاف، وتعدَّت الأوقاف حد البشر فاتخذت جميع التدابير التي تضمن إطعام آلاف اللقالق وطيور الحمام المتجمعة حول قبر أبي أيوب، واشترط السلطان محمد الفاتح في وقفه

(١) ينظر: أوقاف النساء في مكة المكرمة، أميرة مداح، ص ١٣-١٥.

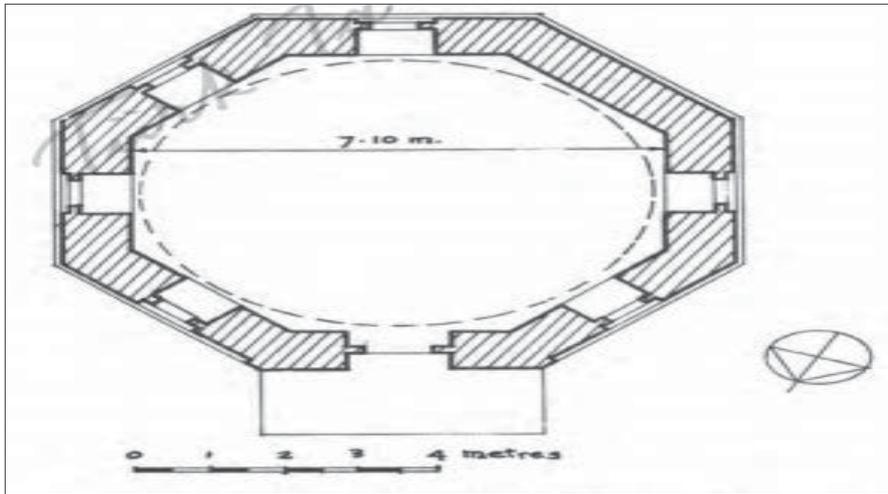
(٢) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ٢٠٠.

(٣) ينظر: الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، ص ٤٩-٥٠، ٥٢.

(٤) ينظر: صحيح الترغيب والترهيب، الإمام محمد ناصر الدين محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حديث رقم ٣٤٩٢.

لثُربته ١٢ متوليًا بصورة دائمة و٩٠ حافظًا آخرين، يقرأ كل منهم القرآن الكريم لمدة ١٦ دقيقة في موضع رأس محمد الفاتح بحيث لم تنقطع القراءة موضع رأسه طيلة ٤٤٤ عامًا ولا للحظة واحدة^(١).

ولا يكاد مجمع معماري عثماني بإستانبول ولا غيرها يخلو من قبة دفن أو تُربة ضمن عمارته كمقر يُدفن به الواقف وأفراد أسرته ممن يشملهم الوقف، وغيرهم، وساهمت المرأة في هذا الشأن؛ إذ لم تقتصر أوقاف بلبل خاتون على إنشاء العمائر التي تخدم الأحياء، بل اتسعت عمائرها لتشمل الأموات، ومن ذلك إنشاءؤها لتُربة تكون مدفناً لابنها أحمد الذي قتل على يديا ووز سليم الأول سنة ٩١٩هـ/١٦١٣م، وقد دفنت إلى جوار ابنها بعد وفاتها سنة ٩٢١هـ/١٥١٥م^(٢)، وشيّدت جولبهار (جولبهار) خاتون زوجة السلطان بايزيد الثاني أيضًا ووالدة ياووز سليم الأول^(٣) تُربة لتكون مدفناً لها ولأبنائها بجوار جامع الخاتونية بمدينة طرابزون^(٤) (صورة: ١٤٣).



صورة (١٤٣): تُربة الخاتونية بطرابزون. نقلًا عن:
Balance (Selina), Early Turkish Building in Trabzon, s. 79

(١) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ج٢، ص ٤٩٥.

(٢) Padişahların Kadınları Ve Kızları (op. cit), (M. Çığatay Uluçay), S. 44.

(٣) Osmanlı Devleti Hizmetindeki Akkoyunlu Umerası (op. cit), (Tayyip Gokbilgin), S. 37; Bayezid II nin Ailesi (op. cit), (M. Çığatay Uluçay), S. 105; Early Turkish Building (op. cit), (Selina Balance), S. 73.

(٤) Early Turkish Building (op. cit), (Selina Balance), S. 73.

وتُعدُّ تُرب كل من خاصكي حرّم سلطان مثمّنة التخطيط، وتُربة خديجة تورخان سلطان المربعة من أجلّ أوقاف التُّرب والمقابر ضمن نماذج الدراسة، وقد اشتملت الكليات المعمارية الوقفية التي أسست برعاية نساء القصر العثماني - قيد الدراسة - على تُرب ألحقت بها؛ سواء تُرب دفن بمعنى المقابر المعروفة التي تتكون من مبنى مخصص لأحد الوزراء العظام وأفراد أسرته (كما هو الحال بكل من مجاعي مهرماه سلطان بإسكُدار وأدرنة قابي بإستانبول)، أم أحواش جائزية مكشوفة (روضات/ رحبات) استخدمت للدفن، وقد جاءت في غالبية نماذج الدراسة تتقدم الجهة القبليّة للمساجد أو إلى جوارها، وقد وضع بها عدد من شواهد القبور تدل على أصحابها ممّن تم دفنهم، ومن ثم يتم التأكيد على المعنى القائم بأن الوقف العثماني شمل حياة الإنسان من مولده إلى وفاته من دون انقطاع في أي فترة من الفترات.

رابع عشر: الأوقاف الأخرى:

لم تقتصر الأنشطة الوقفية على هذه العمائر ونماذجها، بل هناك أوقاف أنشئت بغرض تمهيد الطرق وتعبيدها وإقامة الجسور لربط القرى ببعضها، وقد أسهم نساء القصر العثماني في هذه الأنشطة وإن كان بشكل محدود، إذ إنها كانت من أولويات السلاطين والجيش لربط القرى والمدن ببعضها، ومن نماذج أوقاف نساء القصر العثماني لمثل هذا النشاط الخيري ما شيّدته نيلوفر خاتون من جسر أو كوبري لربط بعض القرى ببعضها، مما يدل على تعدد نوعية العمائر الوقفية التي شيّدها وإسهامها في حركة العمران وتطوره، وأقامت سلجوق سلطان ابنة السلطان محمد الأول جلبي جسراً لربط بعض القرى ببعضها أعلى نهر على مقربة من مدينة بورصة بمسافة سيرٍ بالخيل لمدة ساعة واحدة سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م^(١).

وأقيمت في العديد من مدن أوروبا العثمانية جسور على ضفاف الأنهار الكبيرة والصغيرة، وأروع وأبدع ما بني منها من حيث قيمته المعمارية والفنية يرجع إلى النصف الثاني من القرن ١٠هـ/ ١٦م على يد قوجه معمار سنان، وكانت تبني الجسور بالحجر أو بالخشب القوي، وقد بني منها في البوسنة والهرسك وحدها فيما

(1) Bayezid II nin Ailesi (op. cit), (M. Çağatay Uluçay), S. 29.

بين القرنين ٩-١٣هـ/ ١٥-١٩م؛ ٥٠ جسراً، كما بُني في أثناء تلك الفترة العديد من الجسور ومنها جسر بويوك جكمجة قرب إستانبول وكان الفراغ من بنائه عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م، وهو يتكون من أربعة أجزاء منفصلة ذات أطوال مختلفة يربطها جميعها ٢٨ عقداً^(١).

وفي بلغاريا بُني جسر إسحاق باشا على نهر Struma بكستنديل سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، وهو من أقدم الجسور الحجرية وأكبرها في بلغاريا، وكان يخدم الطريق الحيوي المهم الممتد من إستانبول إلى أسكوب وألبانيا عبر فيلبه (بلوفديف) ساماكوف- كستنديل، وهو يعرف باسم Kadin Most أي جسر المرأة، ويبلغ اتساع فتحة العقد الرئيس فيه نحو ٢١, ٦٥م، ومنها جسر مصطفى باشا في Svilengrad سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م، وفي اليونان جسر الحميدية في Iskese سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠١م، وفي ألبانيا عدة جسور منها جسر نهر Shkumbin في ألباسان حوالي سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وهو ذو ١٢ عقداً، وقد أمر بإنشائه قرد أحمد باشا، وله أيضاً -أي قرد أحمد باشا- جسر آخر في بيرات (١١٩١-١١٩٤هـ/ ١٧٧٧-١٧٨٠م)، وجسر نهر kir في شقودر ق ١٢هـ/ ١٨م، وستة جسور في Gjirokaster، وهي: جسر Subasi، وجسر Kollorces، وجسر Suhe، وجسر خاصكوي Has-kove، وجسر Gline وجسر Gorice في القرنين ١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م^(٢).

وفي يوغسلافيا السابقة عدة جسور منها جسر الفاتح في أسكوب (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م)، وقد تم تعمييره وتجديده في عهد السلطان مراد الثالث سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م، وجسر موستار القديم Most Stari سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٦٦م، وجسر سوكللو محمد باشا في Viseegrad سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م، وكل من: جسر قره داغ، وجسر قالقاندلن، وجسر Keci في سرايفو، وجسر قراكوزبك في Konjic، وجسر أرسلان أغا في Trebinje، وجسر بريزرن، وغير ذلك^(٣).

(١) ينظر: أضواء على منجزات سنان المعمارية، عبد الله كوران، مجلة البناء، السنة ٦، العدد ٣١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٧.

(2) Urban Development In Bulgaria In The Turkish Period: The Place Of Turkish Architecture In The Process." (Michael Kiel), International Journal Of Turkish Studies, Vol 4, 1989, PP. 130 - 131; svilengrad mustafa pasa Koprusu, (Semavi Eyice), Belleten, Gilt XXV III, sayi, 109 -112, Ankara, 1964, s. 729 - 752.

(3) Islamic Architecture In Bosnia And Herzegovina, (Amir Pašić), Ircica , Istanbul , 1994, PP. 82 -85; Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri, Yugoslavya, (Ekrem Hakki Ayverdi), Istanbul, 1918, Resimler, 50-51, 55, 61, 103.

وأشهر تلك الجسور هو جسر موستار القديم الذي أشرف على بنائه المهندس خير الدين، وليس أدل على أهمية ذلك الجسر من أنه اتخذ رمزاً للمدينة، وهو يقع على نهر Neretva، ويتكون من عقد واحد يدعمه برجان ويبلغ اتساع فتحة العقد ٧٠، ٢٨ م وسمك قبه ٧٧ سم وعرض الجسر ٤ م، وعندما ينخفض الماء في فصل الصيف يصل ارتفاعه إلى ٢٠ م تقريباً، أما الجسور الكبيرة فتتكون من عدة عقود منها جسر فيشجراد من ١١ عقداً، وجسر بونا ١٤ عقداً، ويتراوح اتساع فتحة العقد في الجسور الكبيرة ما بين ١٠ و ١٥ م بل يقترب بعضها من ٣٠ م، وكان يتم تدعيم تلك الجسور بدعامات أو أكتاف سائدة على أشكال مختلفة أبرزها الدعامات البرجية مخروطية الشكل، بل وعلى ارتفاعات مختلفة أحياناً كما هو الحال في جسر أرسلان أغا، وجسر سوكللو محمد باشا المشار إليهما، وكانت الجسور الأولى حتى أواخر القرن ١٠ هـ/ ١٦ م تبنى من قبل الممارين الرسميين في الدولة، ومن أشهرهم: خير الدين مهندس جسر موستار وقوجه معمار سنان مهندس جسر سوكللو محمد باشا في فيشجراد، ثم صارت في الفترة الأخيرة من العهد العثماني تبنى بواسطة الممارين المحليين، ومن الملاحظ كذلك أن مادة البناء الأساسية في مدن البوسنة هي الخشب في حين هي الحجر في الهرسك^(١).

وأما الوقف الحربي: أو الوقف العسكري فقد مرّ بنا وقف خديجة تورخان سلطان لقلعتين حربيتين عند مدخل مضيق الدردنيل جهة بحر إيجه؛ لتأمين المدخل بعدما ظهر للبنادقة نشاط ملحوظ أثار قلق هذه الواقفة العظيمة.

الخلاصة:

ومما سبق تناوله على سبيل العجالة لا التفصيل؛ إذ إن تفصيل ذكر نماذج هذه الأوقاف وإسهامها في تطور العمارة والعمران يحتاج إلى مجلدات ومجلدات، وإنما يكفينا - كما سبق الذكر - من البحر قطرة؛ نقنفي بها أثر من سبقنا لنبين عظمة ما قدمته منظومة الوقف الإسلامي في أثناء العهد العثماني ممثلة في نساء القصر من بنات السلاطين وزوجاتهم وأمهاتهم، وهو ما يدفع بالضرورة إلى تنقيح ما كتب من قبل المستشرقين لتشويه الدولة العثمانية الفاتحة التي ما كاد اسمها يُذكر أمام جحافل

(1) Islamic Architecture In Bosnia And Herzegovina (op. cit), (Amir Pašić), PP. 82 -85.

أوروبا وقتئذٍ إلا وكانت تنزع أقدامهم، وترتعد فرائصهم، وترتجف قلوبهم، وتشخص أبصارهم كأن الموت آتيهم من فوقهم ومن تحتهم، فما كانت تثبت لهم قدم، وما كانت تتحمل أيديهم رفع السيوف، وما كانت حصونهم مانعة لهم إذ كانت تدفع مدافع الجيش العثماني، ولما عجزوا عن التصدي لهم في الوجود ومحو ذلهم الذي لاقوه في التاريخ، ما كان منهم إلا أن نخرُوا باطن السفينة مستغلين في ذلك صيحات القومية والوطنية وغيرها مما أضعف انتماؤنا جميعاً، فسادت الفرقة والوحشة، وزاد التفرق والتشردم، واحتدم الخلاف، وتعالَت الأصوات ما بين مشوه ومغالٍ، وما بين ناقد مترنح، يأخذ من الغرب مسلماً لأرائهم من دون تمحيص، ويجدُّ في إنكار أيِّ فضل للحضارة العثمانية خصوصاً، والإسلامية عموماً، فصارت أقلام المستشرقين تُعلن ومن بني جلدتنا من يرددها بصوت أعلى كأن أفواههم وأقلامهم البوق، أراد المستشرقون أن تكون كتاباتهم سُماً يقتل، فجعلها هؤلاء طاعوناً يهلك. لا أعني بقولي السابق خلوّ الأخطاء والأطماع؛ فهي عادة السلطان ودأبه، ولكن المقصود ألا نغالي في النقد إلا إذا كان بناءً، وألا نكرر الافتراء إلا بدليل صحيح قطعيّ الثبوت، فمناجج دراستنا لأوقاف هؤلاء النسوة تبين عظمة الإرادة والقوة في الجانب الديني، لا سيما في أهداف أوقافهم من سدِّ احتياجات الناس من مأكَل ومشرب وتداوٍ وتعليم وغير ذلك، وفي الوقت ذاته طمعاً في السيطرة واستمرار السلطة لما في استطاعتهم فعله، ولكننا نقرُّ بأنهم أخطأوا وأصابوا كغيرهم.

وعوداً على بدء، فإنه يمكن القول إجمالاً: إن أوقاف النساء في أثناء العهد العثماني لم تنقطع بل ظلت مستمرة طيلة حكم الدولة العثمانية في جميع المدن والأحياء التي انضوت تحت لواء الدولة، ولم تقتصر الأوقاف على طبقة اجتماعية من دون أخرى؛ بل ساهمت المرأة بقوة في إنشاء الأوقاف، وكانت جنباً إلى جنب مع الرجل من أجل اتساع العمران ومساعدة الدولة في إيواء من ليس لهم ملاذ، وإطعام معدومي القوت، وقد لعبت نساء القصر دوراً كبيراً في إنشاء الأوقاف، وكن أكثر النساء وقفاً، ولا سيما للأوقاف الكبرى التي تكلف إنشاؤها أموالاً طائلة نافسن فيها السلاطين أنفسهم لتبقى أوقافهم تلك آثاراً وشاهداً على عظمة المرأة العثمانية ودورها في المجتمع.

الفصل الثاني

التخطيط

تمهيد:

تُعدّ السمة المميزة لتخطيطات العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول، هي نفسها سمة العمائر العثمانية الأخرى في جميع المناطق والأوقات، وهي ذاتها السمات الهندسية والإنشائية للمعمار سنان صاحب اليد الطولى في تطور تخطيط العمائر العثمانية لمرحلة السبق وإعداد جيل من المهندسين المعماريين واصلوا إنجازاته وابتكاراته، لا سيما في اعتماد المساحات المربعة التي تغطيها القباب، سواء في المنطقة المركزية بالمسجد، أم تغطية المنطقة المركزية بقبة كبيرة تدعمها أنصاف القباب في الجهات المختلفة حسبما يقتضيه الحال في الإنشاء؛ إلى جانب التأثير بالعوامل الأخرى التي تفرض ضروريات ملحة لزيادة أو نقصان بعض العناصر التي قد توجد في عمائر أخرى وربما للمنشئ نفسه؛ كالموقع والمساحة المتاحة والإمكانات المادية والتعبيرات الروحية وما إلى ذلك، وإذا ما زادت أجنحة للمسجد فإنها تغطي في غالب الأحوال أيضًا بالقباب، وأما المدارس فإن حجراتها وأروقها قد غطيت في أغلب النماذج بالقباب، وجميع العمائر الأخرى كذلك، فصارت القبّة رمزاً للعمارة في أثناء تلك الفترة، وأصبحت العمارة في هذا الوقت ميداناً تنعكس عليه الهيمنة السياسية والقوة السلطوية من ناحية، والثراء والبذخ المعماري والفني من ناحية ثانية، والوقف وعمل الخير وابتغاء الأجر من ناحية أخرى، فجمعت التخطيطات في داخلها قوة الهندسة الإنشائية والأفكار المعمارية الإبداعية إلى جانب شمولية أهدافها في جمع شتات أفراد المجتمع في مختلف المناطق والأنشطة، ففي المساجد يصلي عليه القوم بمن فيهم السلطان والوزراء ونساء القصر العثماني في محفلهم الخاص، ويصلي الفقراء وغيرهم جنباً إلى جنب مع الطبقة الأولى.

وفي المدارس يتم تعليم الأطفال ممن تنطبق عليهم المواصفات المؤهلة من دون تمييز لجنس ولا طبقة، وفي دور الشفاء يعالج الغني جنباً إلى جنب مع الفقير بلا تمييز ولا تأخير، وفي العمارات يُطعم عليه القوم من متولي الوقف وناظره والعلماء

والأئمة وغيرهم جنباً إلى جنب مع الفقراء والمساكين والغرباء مع خضوع المسألة إلى اعتبارات تنظيمية لا أكثر، وفي الخانات وبيوت الإقامة تتم ضيافة الغرباء لمدة ثلاثة أيام، وكان الواحد منهم في بيته مصون الكرامة كريم النفس محفوظ الأمانة، ومن الأسبلة وأعين الماء يشرب العطشى في الطرقات دونما سؤال عن جنس ولا طبقة ولا دين.

ومن ثم فقد مثلت العمائر الوقفية -موضوع الدراسة- ميداناً مفتوحاً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أثناء القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م. كانت كل وحدة منها بمنزلة مجتمع متكامل، وقامت كل منشأة بوظيفتها دونما تأخير ولا تعطيل، ففي المسجد لا يكاد الذكر وتلاوة القرآن ينقطعان من قبيل صلاة الصبح إلى صلاة العشاء، وفي المدارس لا تعطل الدراسة بلا عذر شرعي ولا مانع قوي ولا إجازات رسمية، وفي التكايا والخوانق تستمر رعاية المريدين ودرأويشهم مكرمين يأتهم قوتهم وهم متفرغين منشغلين بأحوالهم دونما انقطاع، وفي مكاتب الصبيان تتم مدراسة القرآن وتعليم الكتابة والخط واللغة وقواعد الحساب وما إلى ذلك منذ صلاة الصبح إلى صلاة العصر، وفي دور القراءة ودور الحديث يعكف طلاب العلم لدى مشايخهم لينهلوا من العلم النافع، وتستمر الأسبلة وأعين الماء في تسبيل الماء للمارة من دون توقف، وهذه هي رسالة الأوقاف الإسلامية؛ تعطي بلا توقف، تحرص على المداومة والتأييد، النفع مقصدها، والخير دافعها، الإصلاح رسالتها، الشمولية منهجها، الازدهار دأبها، كل هذا لم يمنع جمال البناء ولا متانتها، ولا الحرص على إصلاحه وممرته، بل إن علو شأن الوقف صاحبه تفرّد في العمارة، وتميّز في التخطيط، لم يهتم المنشئ ولا المعمار بجانب وأغفل الآخر، بل إن سمو الهدف وغايته تلازم مع سمو البناء وجماله.

كانت الوظائف تؤدّى والعمائر مُراقبة؛ كلٌّ في مهنته قائمٌ، أو في حرفته مواظب، أو على وظيفته مداوم.

وأما من حيث تحليل مخططات العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول -موضوع الدراسة- فإنها لم تخرج عن المألوف في العمائر الأخرى التي

وُقِفَت من قبل السلاطين أو الوزراء، وإنما هي امتداد وتطور، تأثير وتأثر، لعب الوقف فيها دور الموجد والفاعل، ويتبع الباحث في هذا التحليل منهجًا يقوم على ثلاثة أمور:

أولها: تأصيل التخطيطات والعناصر المعمارية والفنية، بدءًا من ظهورها في العمارة العثمانية أو قبلها وذلك على دأب الدراسات المعمارية؛ إذ إن موضوع الدراسة يعني في درجته الأولى تناول تاريخ العمارة العثمانية في الإطار الزمني والمكاني لموضوع الدراسة، فقد يرى القارئ الكريم أن الباحث يطوف به في أعماق التاريخ الإسلامي، لذكر نماذج للعمائر التي بُنيت على نسقها العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني -موضوع الدراسة- من مراحلها الأولى وتطورها، بما قد يوحي بالخروج عن الموضوع الرئيس، ولكنها في الواقع من صميم الدراسة لأنها الأصل الذي تفتقت عنه العمائر التي يضمها موضوعنا، وفيها تديل آخر من الأهمية بمكان وهو التأكيد على أن العمائر الإسلامية إنما تطورت تبعًا للحاجة الوظيفية من ناحية، ولعوامل التطور الطبيعي من ناحية ثانية، كامتداد طبيعي للعمائر الإسلامية التي كانت موجودة من قبل، وذلك لرفض الرأي الذي يُرجع كل تطور في الحضارة الإسلامية إلى اقتباس من حضارة غريبة هنا أو هناك.

ثانيها: أن غالبية العمائر التي تم تناولها في التأصيل والمقارنات إنما هي عمائر وقفية أو بنيت بدافع فعل الخير، ومن ثم فهي تدخل ضمن إطار العمل الخيري عموماً بما يظهر ارتباطها بالدراسة من الدرجة الأولى، وإن ابتعدت عن الإطار الزمني والمكاني وكانت من إنشاء واقفين آخرين.

ثالثها: أن العناصر المعمارية والفنية التي تم تناولها كأجزاء وظيفية في هذه العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) لا تختلف بشكل كبير عن مثيلاتها في العمائر الأخرى من حيث الشكل ولا الموقع من المبنى، وإنما لكثرة أموال الواقفات ولما كنتهن في الدولة فقد اخترن مواد بناء قوية وأخرى فنية على درجة عالية من الكفاءة، إلى جانب حرصهن على تعميها أولاً بأول للحفاظ عليها على مر السنين، وهو ما يظهر من اشتراطهن لتعيين كثير من الحرفيين والصناع: كالحجّار والبناء والمرصّص ومانع

النقوش^(١)، وغير ذلك.

ومن ثم يمكن تناول العماير على اختلاف تخطيط ووظيفة كل منها على حدة على النحو الآتي بيانه.

المبحث الأول العماير والمنشآت الدينية

أولاً: المساجد:

من المعروف أن عمارة المساجد تأتي على رأس النظم التخطيطية في العمارة الإسلامية عامة، والعمارة الدينية منها خاصة، ولا غرو في ذلك؛ إذ إن المساجد تحتل المكانة الأولى في الإسلام؛ فهي بيوت الله، وتعميرها من أفضل القربات إلى الله U، كما أن الغاية التي أسس المسجد لأجلها هي إقامة الصلاة التي هي عماد الدين؛ ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين، ولم تقتصر وظيفة المسجد على الصلاة، بل مثل المسجد مركزاً للحكم والإدارة والدعوة وتلاوة القرآن ومدارسة علومه والتشاور في ذلك كله، كما كان محل القضاء والإفتاء والإعلام وغير ذلك من أمور الدين والدنيا، ومن جانب آخر فقد ارتبطت الفنون الإسلامية على اختلافها بالمسجد وبعمارته وأثاثه وشعائره^(٢).

تنوع وتعدد طرز المساجد الإسلامية عمومًا من حيث تخطيطها الهندسي وتصميمها المعماري، منها طرز تقليدية تبعًا لكل مكان على حدة، فإذا ما ذكرنا -على سبيل المثال- الطراز التقليدي في مصر والشام والجزيرة العربية فإننا نعني بذلك طراز المسجد ذي الصحن والأروقة أو الظلات، وإذا ما ذكرنا الطراز التقليدي في العمارة العثمانية فإننا نعني بذلك الطراز الكلاسيكي المميز الذي ينقسم إلى جزأين: أحدهما حرم مكشوف، والآخر حرم الصلاة المغطى، وعلى أيٍّ؛ ومع تعدد التسميات والتعريفات، فإن ما يهمنا أن كل طراز من طرز تخطيطات المساجد على اختلافها ينقسم إلى عدة أنماط فرعية تندرج داخله، ومن ثم ونظرًا لحدود

(١) مانع النقوش: موظف يحرس جدران العماير من أن يفسدها السفهاء أو الصبيان بالكتابة عليها فيمنعهم عن ذلك.

(٢) ينظر: مدخل إلى الآثار الإسلامية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٢٥-٢٦، ١٠٨-١٠٩.

الدراسة، فإنه يمكن القول: إن طرز تخطيطات المساجد العثمانية التي تندرج ضمنها مخططات المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول في أثناء القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م -قيد الدراسة- تندرج: إما ضمن طراز المسجد القبة باعتبار القبة وأنصافها هي الوحدة الأساسية المميزة لجميع هذه المساجد، وإما الطراز الكلاسيكي الذي يعرف بالطراز الإمبراطوري الذي يتكون من جزأين: أحدهما الحرم الداخلي المغطى المعروف ببيت الصلاة، والثاني الحرم المكشوف الخارجي؛ وفي واقع الأمر فإنه لا اختلاف بين حقيقة الطرازين، فكلاهما متداخل، وما الطراز الكلاسيكي إلا تطور لطرز المسجد القبة؛ إذ تمت فيه إضافة صحن خارجي يتقدم المسجد من الشمال الغربي ليحلل إما محل السقيفة، وإما ليكون توسعة خارجية للمسجد تطل عليه السقيفة بعقود مديبة، ومن ثم فإن بيوت الصلاة في مساجد هذا الطراز على تعدد أشكالها وأنماطها هي ذاتها أنماط المسجد القبة، وبناءً على ذلك فإنه يمكن تناول تطور المساجد العثمانية باعتبارها مساجد تعتمد على القبة المركزية، بالإضافة إلى عدد من الأنماط تندرج ضمن الطراز العام المعروف بطراز المسجد القبة في العمارة العثمانية، وتندرج جميع نماذج الدراسة وحدودها ضمن هذه الأنماط. ومن ثم سأقوم بشرح مجمل لتقسيم هذه الأنماط مركزاً على الأنماط التي تنضوي داخلها وتندرج تحتها المساجد الوقفية في العمائر (قيد الدراسة)، ومقارنتها بنماذج أخرى في حدود المجمل لا التفصيل الممل، ولا الإيجاز المخل، وقد اعتمد الباحث في ذكر هذه النماذج إما على أهميتها في احتوائها على مفردات متميزة ضمن نماذج النمط الذي تندرج تحته، وإما على شهرتها ومعرفتها على رأس المساجد العثمانية التي لا ينبغي أن تخلو منها دراسة تخصص المساجد العثمانية على أي نحو كان.

ويُعدُّ هذا الطراز أول طرز المساجد العثمانية المعروفة وأقدمها، وقد اشتهر باسم طراز بورصة (بروسة) الأول، ويتكون جوهر هذا الطراز من مساحة مربعة، تختلف من مسجد لآخر، يتوسط صدرها المحراب، وتغطي هذه المساحة قبة يختلف قطرها وارتفاعها من مسجد لآخر أيضاً، وتقوم هذه القبة على منطقة انتقال من الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية أو المثلثات التركبية أو المقرنصات، وكانت هذه المساجد

في حالة استخدامها كمساجد جامعة تزود بالمنابر، رخامية كانت أم خشبية، ويتقدم غالبية تلك المساجد رواق خارجي (سقيفة) مغطى بالقباب أو الأقبية أو الاثني معاً، وفي أحيان قليلة كانت تغطى بأسقف خشبية مسطحة كما هو الحال في بعض مساجد البلقان (جنوب شرقي أوروبا)، أما النماذج التي تخلو من وجود مثل هذا الرواق الخارجي فتعدّ قليلة، بل واستثناءً لتلك القاعدة التي لازمت مساجد هذا الطراز في أثناء مراحل تطوره المختلفة^(١).

ونظرًا لأن القبة أهم سمات هذا الطراز فإنه ينبغي أن نعلم أن القبة لم تكن شيئاً مستحدثاً في العمارة الإسلامية، فقد كان استخدامها شائعاً ومعروفاً قبل العصر الإسلامي بقرون عديدة، سواء كانت من الآجر أم الحجر^(٢) أم من الآدم، وكان هذا شائعاً عند العرب قبل ظهور الإسلام، وكانت هذه القباب تخصص للسادة الأشراف والأغنياء أو لأصحاب الجاه وسادات القبائل الكبار ممن كانوا يفتدون على ملوك الحيرة (المناذرة أو اللخمين)، مما يعني أن هذا النوع من القباب كان يُعدّ من أمارات التعظيم والتفخيم والجاه عند الملوك^(٣)، كما كانت تطلق على نوع من الهوادج المستخدمة في السفر عند المسلمين في العصور الوسطى^(٤).

وتشتمل غالبية تلك المساجد على مئذنة واحدة، وأحياناً على مئذنتين، ازدادت فيما بعد تبعاً لأهمية المنشئ أو لاعتبارات أثر الموقع أو إمكانيات المنشئين، أو التناسق المعماري العام، ومرّ هذا الطراز بعدة مراحل من التطور كان الهدف الرئيس منها هو توسعة المسجد ليستوعب عددًا أكبر من المصلين عن طريق أعمال التوسعة

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ١٤٦.

(٢) ينظر: العمارة في مصر القديمة، محمد أنور شكري، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦٨؛ والقباب المخروطية في العراق، عطا الحديني وآخرون، بغداد، ١٩٧٤م، ص ١٠-١٢؛ والقباب «أشكالها، مصادرها، تطورها»، صالح لمعي، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٣-٦؛ والصحراء المصرية جبانة البيجوات في الواحة الخارجة، أحمد فخري، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٤٥-٤٨؛ وتاريخ العمارة المصرية القديمة، إسكندر بدوي، ج ١، ترجمة: محمود عبد الرازق وصلاح رمضان، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٠٢، ٣٧١.

Brick Vaults And Domes In The Giza Necropolis, (A. Badawy), Cairo, 1953, Pp. 129 -143, Asurvey Of Persian Art, (A. U. Pope), Vol I, London And New York, 1938, P. 501 -503; The Dome, Astudy In The History Of Ideas, (B. Smith), Princeton, New Jersey, 1950, P. 3 -44

(٣) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بيروت، ١٩٧٠م، مج ٥، ص ٥-٧، ١٧٣.

(٤) ينظر: وسائل السفر عند المسلمين-تاريخها وأثارها «دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية»، عبد الناصر ياسين، القسم الأول، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٩-٣٠١.

والإضافة داخل المسجد نفسه أو خارجه، ومن ثم فهو ينقسم إلى عدد من الأنماط تبعاً للمراحل تطوره، وتبلغ خمسة أنماط تبعاً لأسلوب تخطيطها واختلاف تغطياتها وتوزيع بعض العناصر الإضافية^(١).

أما ما يخص دراستنا، فإن الأنماط التي تندرج ضمنها المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول في أثناء القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م - قيد الدراسة - وتأصيلها ومقارنتها ببعض النماذج المشابهة فهي:

أ) النمط البسيط:

ينحصر تخطيط هذا النمط في مساحة مربعة تعلوها قبة، وقد يتقدم هذه المساحة المربعة رواق خارجي أو سقيفة غالباً، وأحياناً تخلو هذه المساجد من مثل هذا الرواق الخارجي أو السقيفة، ولا يُعدّ هذا النمط كتخطيط من ابتكار العمارة العثمانية؛ إذ وردت إشارات في المصادر المختلفة أن بعض مساجد القبائل العربية في خطط مدينة الفسطاط كانت مصممة وفق هذا النمط البسيط، ومنه ما كان يتقدمه رواق خارجي كسقيفة^(٢)؛ إلا أنه لسوء الحظ قد اندثرت هذه المساجد المبكرة على أهميتها؛ إذ إنها تُمثل الإرهاصات الأولى لهذا النمط البسيط في أثناء القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية الشريفة، ومن ثم فإن أقدم النماذج الباقية منه توجد في مدن المشرق الإسلامي لا سيما في بلاد فارس^(٣).

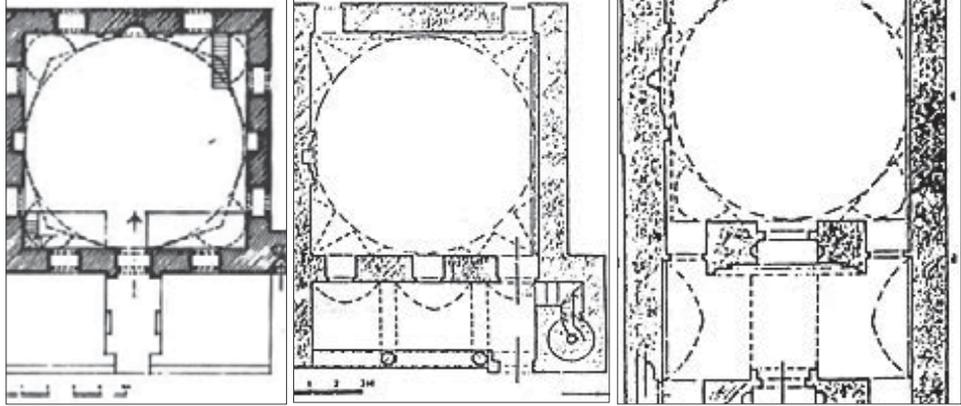
وانتشرت نماذج هذا النمط البسيط في تخطيط المساجد منذ القرن ٥هـ/١١م فصاعداً، ودخل غالبية الأقطار العربية والإسلامية، ومن أهم وأشهر النماذج الباقية لهذا النمط: مسجد طاش (٦١٢هـ/١٢١٥م) (صورة: ١٤٤)، ومسجد صرجالي (صورة: ١٤٥) ويؤرخ بالنصف الثاني من القرن ٧هـ/١٣م بمدينة قونية من عهد سلاجقة الروم بأسيا الصغرى أو الأناضول، ومسجد سلجوق خاتون

(١) لمراجعة مختلف الأنماط لهذا الطراز ونماذجها، ينظر: طراز المسجد القبة في المدينة المنورة والهفوف، محمد حمزة الحداد، الكتاب الأول، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ١١-٥٨؛ وموسوعة العمارة الإسلامية في مصر - من الفتح العثماني إلى نهاية عهد محمد علي (٩٢٣-١٢٦٥هـ/١٥١٧-١٨٤٨م)، المدخل، محمد حمزة الحداد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٠٣-١١٢؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ١٤٦-١٦٦.

(٢) ينظر: فتوح مصر وأخبارها، عبد الرحمن بن عبد الحكيم (ت: ٢٥٧هـ/٨٧٠م)، تقديم وتحقيق: محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٨٦-٨٧.

(3) The Arts Of Persia, (R. W. Ferrier), Yale University Press, New Haven And London, 1989, P. 810

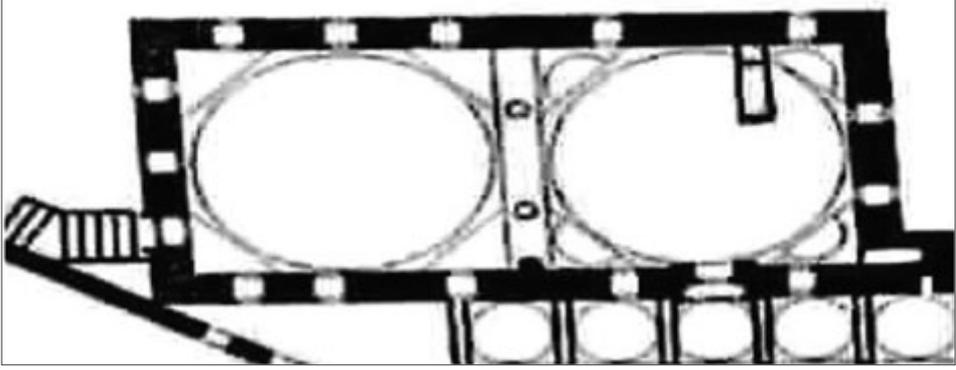
(٨٦٠هـ/١٤٥٥م)، ومسجد ستي خاتون بأدرنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) (صورة: ١٤٦)، وهذه النماذج يتكون تخطيطها من مربع تعلوه قبة تقوم على مناطق انتقال من حنيا ركنية أو مثلثات كروية يتقدمها جهة الجنوب الغربي سقيفة أو رواق واحد^(١)؛ وقد غطي هذا الرواق إما بأقبية طولية أو عرضية، أو تغطيها قباب.



صورة (١٤٤): المسقط الأفقي لمسجد طاش بقونية (نقلًا عن: فنون الترك وعمائرهم، أصلان أبا، عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ٢٠١٩م، ص ٢٩٧).
صورة (١٤٥): المسقط الأفقي لمسجد صرجالي بقونية (نقلًا عن: فنون الترك وعمائرهم، أصلان أبا، عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ٢٠١٩م، ص ٩١).
صورة (١٤٦): المسقط الأفقي لمسجد ستي خاتون بأدرنة (نقلًا عن: فنون الترك وعمائرهم، أصلان أبا، عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ٢٠١٩م، ص ٩١).

ويندرج ضمن هذا الشكل في مساجد دراستنا؛ مسجد جُلغم خاتون (سبق إيراد صور له)، ومسجد خاصكي خرم سلطان (٩٤٥-٩٦٥هـ/١٥٣٨-١٥٥٨م) في مرحلته الأولى، وبعد الزيادة أضيفت له مساحة ماثلة لبيت الصلاة يغطيها قبة ماثلة لقبه المسجد الأول من دون سقيفة تتقدمه (صورة: ١٤٧)، وأما الاختلاف في جامع خاصكي خرم سلطان فإن السقيفة تمتد لتزيد من الجانبين عن جدران المسجد الأصلي بمساحته الأولى، فأما الزيادة جهة أقصى الغرب فقد قام المعمار باستغلالها لتكون قاعدة المئذنة، وأما في الجهة المقابلة فقد امتدت لإضافة مربع آخر للسقيفة التي غطيت بخمس قباب.

(١) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أو قطاي أصلان أبا، ص ١٦٦؛ والمجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٥٣٨-٥٣٩؛ والعناصر الدينية غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٠٦؛ والبيالي التركي دراسة آثارية مقارنة بالمنشآت الماثلة والمعاصرة له، إبراهيم صبحي غندر، مجلة العصور، مج ١٨، ج ١، ص ٧٦، ٢٠٠٨م.



صورة (١٤٧): المسقط الأفقي لمسجد خاصكي خرم سلطان بإستانبول. نقلاً عن:

Cansever, Mimar Sinan, s. 101

كما يندرج ضمن دراستنا لهذا النمط چينيلي جامع ماهيكر كوسم (سبق إيراد صورة له) في إسكدار، إذ يتكون من مربع أوسط تعلوه قبة تحيط بها سقيفة من ثلاث جهات، ويتميز هذا المسجد بعدة مميزات أهمها:

١- مساحته الصغيرة نسبياً إلى جانب انتهائه إلى الطراز البسيط لتخطيط المسجد القبة، وتلتف حوله الثلاثة أروقة لتشكل حول مربع القبة شكل حرف (U).
٢- الأعمدة التي تحمل السقيفة الخارجية وتتقدم المسجد إلى جانب الأعمدة الداخلية التي تحمل المحفل وأعمدة جوسق المنبر، والتي تنتهي من أعلاها بالتاج ذي المعينات (تشبه البقاوة).

٣- تقع كتابات المحراب في چينيلي جامع أسفل طاقة المحراب داخل شريط من البلاطات الخزفية الزرقاء، وهو أمر غير مألوف في المحاريب العثمانية التي تأتي كتاباتها أعلى طاقة المحراب^(١).

٤- كسوة جدران المسجد بالبلاطات الخزفية البديعة ذات الألوان الزرقاء، وهي بلاطات صنعت في القرن ١١هـ/ ١٧م، وتنسب إما لكوتهامية وإما لإزنيق، فكلتاهما من أكبر مراكز صناعة الخزف العثماني.

لم يقتصر التخطيط البسيط الذي يتكون من مساحة مربعة تغطيها قبة، سواء تتقدمها سقيفة أم لا، على عمارة المساجد، بل امتد إلى عدة عمائر أخرى، منها:

(١) ينظر: الكتابات على العمائر، محمد علي حامد بيومي، ص ٢٣٨؛ والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٥١.

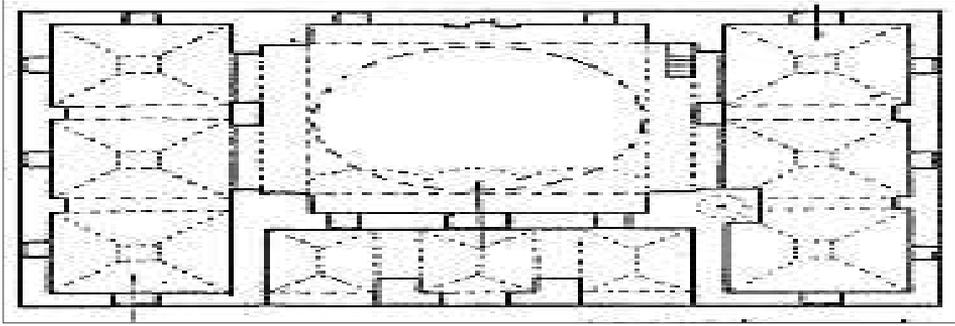
عمائر داخل حدود الدراسة ممثلة في مكاتب الصبيان (الكتاتيب)، ومعظم نماذج هذه المكاتب -سواء داخل حدود هذه الدراسة أم خارجها- قد بُنيت وفق هذا التخطيط البسيط وغطيت بقبة واحدة أيضًا، وعند ازدواج المكتب أو تقسيمه إلى جزأين متماثلين يغطي كلا منهما قبة فإنه لم يخرج أيضًا عن هذا التخطيط فيما عدا التكوين المزدوج، ومن ثم فهو ما يدل على صلاحية التخطيط الإسلامي لأداء أي وظيفة، ومن مكاتب الصبيان التي تدرج ضمن هذا النمط: المكتب الوقفي لمهرماه سلطان في إسكدار (٩٥٠-٩٤٥هـ / ١٥٤٤-١٥٤٨م)، إذ يتكون من حجرتين مربعتين تغطي كلاً منهما قبة، فيما يربط بينهما جدار به فتحة الباب التي تربط بين حجرتي المكتب أو قاعتيه (سبق إيراد صورة له)، ويندرج ضمن هذا النمط أيضًا مكتب السبيل بوقف كلية الوالدة العتيقة (عتيق والدة سلطان) بإسكدار أيضًا (٩٧٨-٩٩١هـ / ١٥٧٠-١٥٨٣م)، وهو عبارة عن حجرة مربعة تغطيها قبة تقوم على مناطق انتقال من مثلثات كروية، ويشبهه تمامًا مكتب الصبيان بكلية ماهبيكر كوسم سلطان أيضًا فهو من مربع تغطيه قبة (سبق إيراد صورة له).

ب) النمط الثاني:

وهو يمثل حلقة من حلقات تطور طراز المسجد القبة، حيث تم توسيع مساحة المسجد من الداخل عن طريق إضافة أربعة إيوانات أو دخلات صغيرة غير عميقة في أغلب الأحيان -ولكنها أكثر امتدادًا- تحيط بمربع القبة من جهاته الأربع، وتشرف هذه الإيوانات أو الدخلات الصغيرة على المساحة الوسطى المربعة بأربعة عقود تحصر فيما بينها -أي: في كوشاتها- منطقة الانتقال التي تقوم فوقها قبة المسجد، ورغم أهمية هذه المرحلة كخطوة مهمة أو إرهاصة كبيرة نحو تطوير القبة المركزية فإن نماذجها الباقية في العمارة الإسلامية تُعد قليلة بل نادرة، ومن أشهر نماذجها في الأناضول مسجد أورخان غازي في بيلاجيك (Bilecik ٧٥٧-٧٧٦هـ / ١٣٥٦-١٣٧٤م)^(١)، والمسجد العتيق (إسكي جامع) في يامبول ببلغاريا والمعروف بمسجد

(١) لا يحتوي المسجد على تاريخ إنشاء أو نص يقطع بوقت الإنشاء يقينًا، ومن ثم فقد أرجعه العلماء -مثل: كيل وكوران وأصلان أبا- إلى النصف الأول، وفي بعض الآراء إلى النصف الثاني من القرن الـ٨هـ / ١٤٤٠م؛ اعتيادًا على خصائصه المعمارية ومادة بنائه، ولكن الراجح ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور محمد حمزة الحداد من أنه يرجع إلى الربع الثالث من

يامبول في أواخر القرن ٨هـ / ١٤م أو أوائل القرن ٩هـ / ١٥ (صورة: ١٤٨).



صورة (١٤٨): المسقط الأفقي لإسكي جامع في يامبول بلغاريا عمل كيل (نقلًا عن: العمارة الإسلامية، الحداد، ٢٠١٩م، ص ٣١٣).

ولا تندرج ضمن دراستنا مساجد من هذا النمط حاليًا، إلا أنه يمكن أن يندرج ضمن هذا النمط في حدود الدراسة التخطيطية الأصلي الأول لجامع نوربانو سلطان (عتيق والدة جامع) بإسكدار (سبق إيراد صورة له)، وذلك مع مراعاة وجود اختلافات بسيطة، إذ كان يتكون من قبة مركزية مدعومة بأربعة أنصاف قباب في الجانبين يقوم كل نصفين منها على عمود بالمربع المركزي للقبة، إلى جانب نصف قبة خامس يعلو إيوان المحراب البارز عن جدار القبلة قليلاً، ومن ثم فيُعدّ هذا المسجد فريدًا في تخطيطه بين النماذج النادرة الباقية من هذا النمط.

ج) النمط الثالث:

وهو يمثل مرحلة أكثر تطورًا عن النمطين السابقين، وفيه تمت زيادة مساحة المسجد الداخلية أو توسعتها من الجانبين فقط (المحور العرضي)، وذلك عن طريق

القرن ٨هـ / ١٤م، وخصوصًا خلال الفترة (٧٥٧-٧٧٦هـ / ١٣٥٦-١٣٧٤م) وذلك اعتيادًا على المقارنة بالنماذج الأخرى التي بنيت وفق هذا النمط من التخطيط، وهما مثالان لا ثالث لهما، أحدهما في مصر متمثلًا في قبة مدفن الأمير صرغتمش الناصري الملحق بمدرسته بشوارع الصليبية في القاهرة سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م، والثاني مسجد خوجه ياديجار (Hoca Yedigâr) في إينونو (Inonu) سنة ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م، ومن ثم فإن ذلك يدل على التأثيرات المعمارية المتبادلة وتوارث الخبرات وتبادلها. راجع:

Some Early Ottoman Monuments In Bulgarian Thrace, Stara Zagora, Jambol And Nova Zagora,» (Michael Kiel), In: Belleten, Xxxviii, Sayı 152, (Ankara: T.T.K. 1974), Pp. 644-649; Urban Development In Bulgaria (op. cit), (Michael Kiel), P. 137; The Mosque In Early Ottoman Architecture, (Aptullah Kuran), The University Of Chicago Press, 1968, Pp. 68-69;

وفنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٧٠؛ والقباب في العمارة المصرية الإسلامية، محمد حمزة الحداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٨٢، شكل رقم ٢٥؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٥٥.

إضافة رواقين أو إيوانين عموديين على جدار القبلة ويشرفان على المساحة الوسطى المغطاة بالقبعة المركزية، ويغطي كلاً منهما إما القباب أو الأقبية أو الاثنتان معاً، وفي أحيان أخرى الأسقف المسطحة، ويتقدم هذا النمط رواق خارجي أو سقيفة غالباً، يغطي هو الآخر بالقباب أو الأقبية أو الاثنتين معاً، وفي بعض الأحيان بالأسقف المسطحة^(١).

وقد عُرف هذا النمط باسم القلب والجناحين، بحيث غُطي القلب بالقبعة المركزية التي تتركز على قاعدة إما مربعة أو مسدسة أو ثمينة، وتغطي الجناحين قباب أو أقبية في غالب الأحوال تكون أربع قباب موزعة على الجناحين بواقع قبتين في كل جناح أو ست قباب بواقع ثلاث في كل جناح، ومن ثم فإنه يندرج ضمن هذا النمط شكلان أو نموذجان؛ تبعاً لتقسيم الجناحين وتعدد القباب التي تغطيها، ففي النموذج الأول توجد بحد أقصى قبتان أعلى كل جناح، وفي النموذج الثاني وصلت إلى ٦ قباب بواقع ثلاث قباب في كل جناح، وقد يتقدم المسجد من الشمال الغربي حرم مكشوف أو صحن بدلاً من السقيفة الخارجية، أو قد توجد السقيفة ويأتي الحرم المكشوف خارجها لتطل عليه السقيفة بواجهة معقودة، وفي بعض الأحيان قد يتقدم السقيفة رواق آخر حول الصحن، ويُعدّ أقدم الأمثلة المعروفة والباقية لهذا النموذج مسجد أوج شرفلي (ذو الشرافات الثلاث) في أدرنة (٨٤١-٨٥١هـ/١٤٣٧-١٤٤٧م)^(٢) (الصورتان: ١٤٩، ١٥٠)، وذلك من حيث تطور التخطيط عن النمط البسيط السابق، أو في وجود الحرم المكشوف بديلاً عن السقيفة التي كانت تتقدم بيت الصلاة المغطى، بعدما كانت السقيفة ملازمة لغالبية النماذج السابقة لطراز المسجد القبة^(٣)، ويندرج ضمن هذا النمط عدة نماذج في إستانبول وخارجها، منها: مسجد جوزليج حسن بك في خيرأبولو Hayrabolu سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م، ومسجد

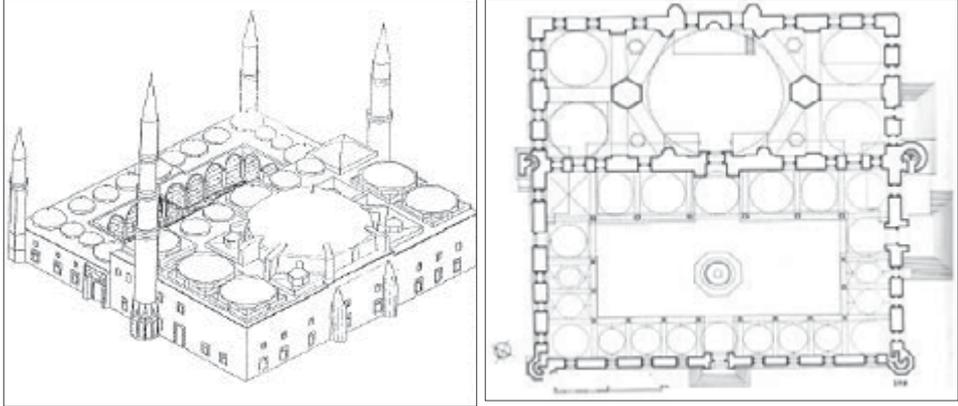
(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٨١-١٨١؛

Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), London, 1970, P. 24., he Mosque In Early Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), Pp. 177-181., Türk Mimarisi (op. cit), (S. Kemal Yetkin), Ankara, 1970, Pp. 180-182; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 97-100; The Evolution Of Turkish Art And Architecture, (Metin Sozen) Istanbul, 1987, P. 63-66; Islamic Architecture (op. cit), (Robert Hillenbrand), P. 118-119.

مصطفى بك بسيريز باليونان سنة ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م بعد زيادته وإضافة الجناحين له، ومسجد سنان باشا في بشكطاش بإستانبول سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م (سبق إيراد صورة له)، وهي نماذج لا تتخطى فيها قباب الأجنحة عن اثنتين بكل جناح^(١).



صورة (١٤٩): المسقط الأفقي لجامع أوج شرفلي بأدرنة. صورة (١٥٠): منظر لمسجد أوج شرفلي (نقلًا عن: المنشآت العثمانية الدينية، زكي، شكل ٢٤).
نقلًا عن: (Kuban, Ottoman Architecture, p. ١٤٦). عن: المنشآت العثمانية الدينية، زكي، شكل ٢٤.

ويندرج ضمن هذا النمط داخل حدود الدراسة جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م (سبق إيراد صورة له)، وهو يمثل النموذج الثاني الذي يعلو كلاً من جناحي القبلة المركزية فيه ثلاث قباب، ويطل كل جناح على القبلة بيائكة معقودة بثلاثة عقود مديبة، وينفرد هذا النموذج الرائع للمعمار سنان الذي عودنا على التميز بعدة أشياء: أولها: أن المسجد له مئذنة واحدة على ضخامته وكبر مساحته، وربما قصدت الواقفة أو المعمار سنان ذلك - كما سبق القول - للتعبير عن مدى شعورها بالوحدة بعد وفاة والدتها والداعم الأول لها خاصكي خرم سلطان، وثانيها: أن تصميم الحرم المكشوف الخارجي (الصحن) إنما جاء متميزاً بحيث لا يتصل بالسقيفة التي تتقدم بيت الصلاة ليصبح عبارة عن ثلاثة أروقة مغطاة بالقباب ويتوسطها صحن مكشوف، ومن ثم تمت إضافة رواق آخر حديث لإحداث نوع من التماثل والسمترية يتقدم السقيفة الخارجي جهة الصحن، وأما ثالثها: فإن المعمار سنان قد أدرج هذا التخطيط ضمن الطراز الجامع بين المسجد

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ١٦٠.

والمدرسة؛ إذ استغل المعمار وجود الصحن الخارج للمسجد ليبنى خلوات الطلاب خلف الرواق، وبذلك يقوم صحن الجامع إلى جانب كونه الحرم الخارجي المكشوف للجامع مقام صحن المدرسة، وهو ما يتفق مع تخطيط جامع ومدرسة سنان باشا في بشكطاش من حيث إدراجهما ضمن التخطيط الجامع بين المسجد والمدرسة في العمارة العثمانية، واشتراكهما معاً في خلوة المدرسة من قاعة مميزة للدرس كما هو المعتاد لتكون أكبر من باقي حجرات المدرسة، ولكن التدريس كان يتم داخل بيت الصلاة (الحرم المغطى) في المسجد، مع انفراد جامع مهرماه سلطان بالسمتين الأوليين، كما أن توزيع الخلاوي على الجهات الثلاث عدا جهة القبلة خلف أروقة الحرم المكشوف؛ فإنها تأخذ في جامع سنان باشا هيئة حرف (U) منتظم الشكل، أما خلاوي مدرسة مهرماه سلطان فإنها أتت في الثلاث جهات خلف الأروقة ولكنها ليست متصلة بسبب الموقع والمساحة المتاحة للمعمار، ومن ثم فإن الخلاوي تقع في الركن الغربي لملاصقته لسور مدينة إستانبول.

ويمكن أن يندرج ضمن هذا النمط من حيث الزيادة في المحور العرضي جامع نوربانو سلطان (عتيق والدة جامع) بعد الزيادة، إذ تمت زيادته برواقين جانبيين (جناحين) داخل بيت الصلاة تغطي كلاً منهما قبتان، ومن ثم انقسم تخطيط بيت الصلاة إلى منطقة وسطى مركزية تغطيها القبة المركزية مدعومة بأربعة أنصاف قباب بواقع نصفي قبة في كل جانب إلى جانب نصف القبة الخامس الذي يغطي إيوان المحراب البارز عن جدار القبلة، أما الجانبان ففي كل جانب قبتان، ويتقدم بيت الصلاة في هذا المسجد سقيفتان تشبهان سقيفتي جامع مهرماه سلطان بإسكدار من حيث الشكل وتغطية السقيفة الخارجية، أما السقيفة الداخلية فبينما كانت تغطيها خمس قباب في جامع مهرماه، نجد أن المعمار سنان نفسه قد قام بتغطيتها بأربع قباب يتوسطها قبو متقاطع يعلو مربع المدخل، وحول المسجد والسقيفتين يلتف الصحن بشكل متسع ليحيط بالمسجد من ثلاث جهات مكوناً حوله فراغاً بهيئة حرف (U)، وذلك قبل الزيادة (سبق إيراد صورة له).

وعند تأصيل هذا التخطيط فإنه يرجع إلى العمارة الإسلامية المبكرة قبل سنة

٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، ولكنه كان موجوداً في العمائر الجنائزية أكثر منها في المساجد، وانتشر في كثير من المدن العربية والإسلامية^(١)، وليس كما كان معروفاً من قبل أن أصل هذا التخطيط يرجع إلى الأناضول، وبصفة خاصة في أثناء عهد بني أرتق وعهود الإمارات التركمانية (البكوات)، ولا سيما عهد بني آيدين وبني صاروخان؛ مثل مسجد عيسى بك في سلجوق قرب أفسوس سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، ومسجد إسحاق بك في مغنيسيا سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، وبعض مساجد مدن ديار بكر وماردين بالأناضول والتي تأثرت بعمائر الشام خاصة سوريا ودمشق^(٢).

د) النمط الرابع:

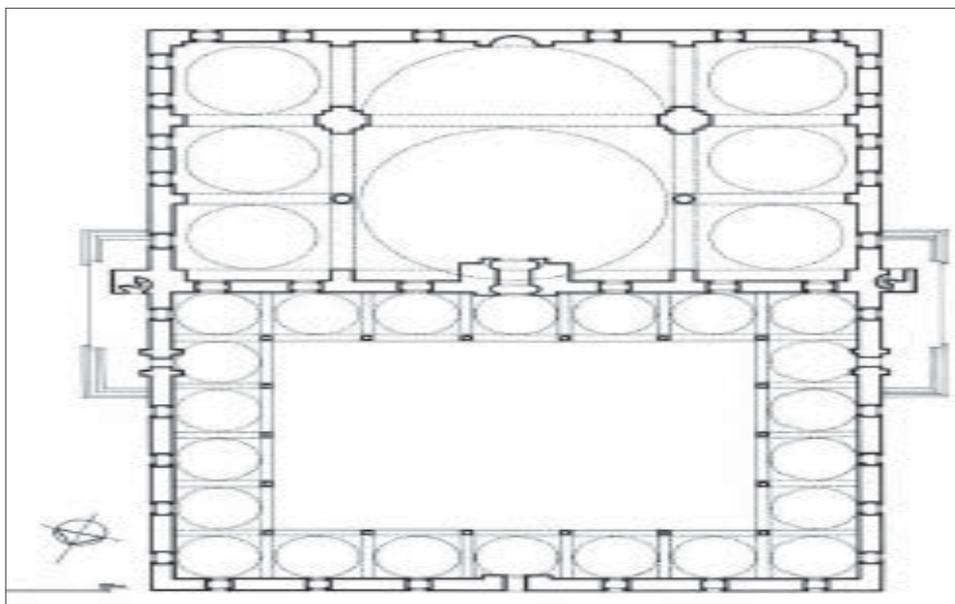
يمثل هذا النمط حلقة متقدمة من حلقات تطور طراز المسجد القبة في العمارة الإسلامية، إذ لم يقتصر التطور على مجرد توسيع المساحة الداخلية للمسجد من الجانبين في المحور العرضي، وإنما امتد التطور فشمل توسيع هذه المساحة من العمق في المحور الطولي أيضاً، وقد وجدت منها عدة مراحل أو أشكال مختلفة، وذلك على النحو الآتي

المرحلة الأولى: قام المعماري فيها بزيادة عمق المسجد في المحور الطولي من جهة القبلة عن طريق إضافة نصف قبة تتقدم القبة الوسطى المركزية ويكتنفها من جانبيها في المحور العرضي قبتان صغيرتان بواقع قبة بكل جانب، وبذلك صار قلب المسجد في هذا النموذج يشتمل على قبة مركزية كبرى يتقدمها جهة القبلة نصف قبة، أما الجناحان فيغطي كلاً منهما إما ثلاث قباب أو نصف قبة وقبة تتقدمها جهة القبلة بمحاذاة نصف القبة الذي يعلو المحراب، أو مجموعة من القباب، ويمثلها مسجد السلطان محمد الفاتح الأصلي (٨٦٧-٨٧٥هـ/ ١٤٦٢-١٤٧٠م) (صورة: ١٥١).

(١) ينظر: طراز المسجد القبة، محمد حمزة الحداد، ص ١٦-٢١؛ والمساجد المبكرة الباقية في آسيا الوسطى وأهميتها في دراسة تطور العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ضمن أعمال كتاب المؤتمر الدولي «المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز- الماضي والحاضر والمستقبل»، جامعة الأزهر، ١٩٩٣م، المحور الحضاري والثقافي، ج ١، ص ٧-١٣؛ وبحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، الكتاب الأول، ص ١٤١-١٤٢؛ العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٠١٩، ص ١٦١.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٦-١٥٨، ٦٣-٦٩؛

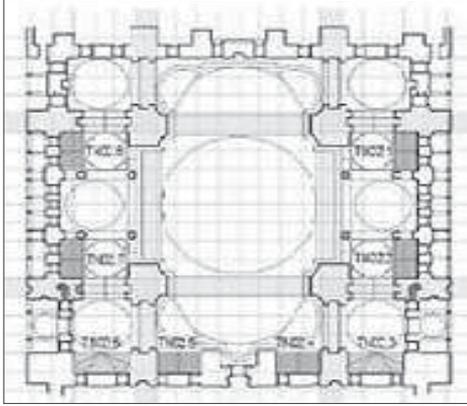
Some Early Ottoman Monuments (op. cit), (Michael Kiel), pp. 648-649; A history of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), pp. 93-97.



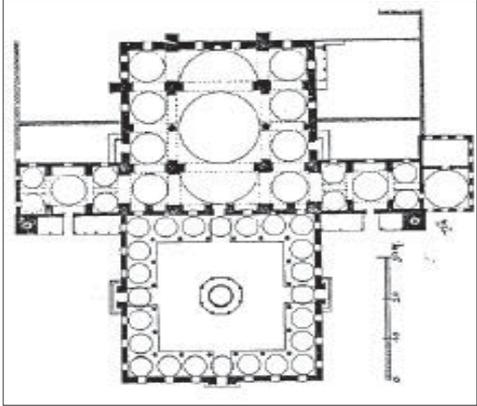
صورة (١٥١): المسقط الأفقي لمسجد الفاتح الأصلي قبل التجديد. نقلاً عن:

Kuran, The Mosque, p. 192

وأما المرحلة الثانية: فتمت فيها زيادة المحور الطولي من الجهة المقابلة للمحراب إلى جانب جهة المحراب، فنتج عن ذلك مساحتان على جانبي القبة من جهة القبلة والجهة المقابلة تم تغطيتهما بنصفي قبة، ومن ثم فقد ازدادت المساحة الداخلية للجناحين بواقع قبة في كل جناح جهة النصف قبة الشمالي الغربي، ومن ثم فإن الجزء المركزي الأوسط من بيت الصلاة غطي بقبة مركزية ونصف قبة، وبذلك صار قلب المسجد في هذا النموذج يشتمل على قبة مركزية وسطى يحيط بها من الجنوب والشمال (المحور الطولي) نصفا قبتين، أما الجناحان فبهما ثماني قباب بواقع أربع قباب بكل جناح، كما هو الحال في مسجد السلطان بايزيد بإستانبول (٩٠٧-٩١٢هـ/ ١٥٠١-١٥٠٦م) (صورة: ١٥٢)، أو عشر قباب بواقع خمس قباب بكل جناح كما هو الحال في مسجد السلليمانية بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/ ١٥٥٠-١٥٥٧م) (صورة: ١٥٣).



صورة (١٥٣): مسقط أفقي لبيت الصلاة (الحرم المغطى) بجامع السلمانية الشهير بإستانبول (نقلا عن: مجمع (كلية) قليج علي باشا، بدران، ص ٣٠٣).



صورة (١٥٢) المسقط الأفقي لجامع السلطان بايزيد الثاني بإستانبول. نقلا عن: Gabrie (Albert), les mosques turcs, Tome Deuxieme,

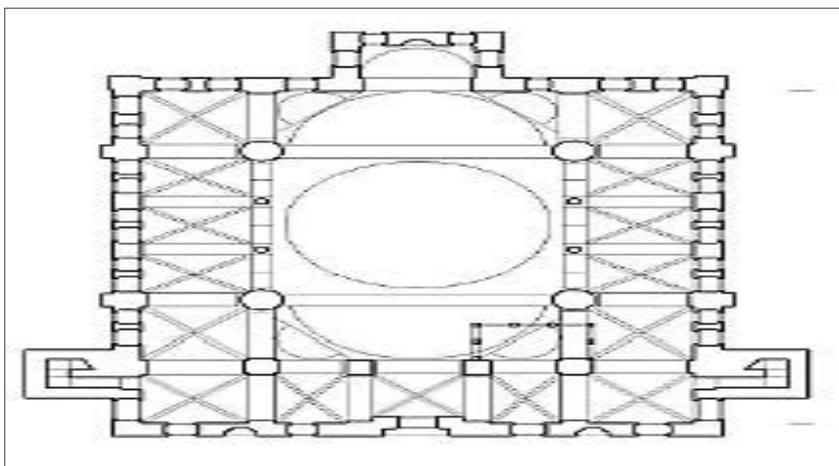
ومن الملاحظ أن هذه القباب العشر قد رتبت بالتبادل وذلك بواقع قبة كبيرة تليها قبة صغيرة^(١)، وهكذا، وهو أسلوب جذاب غير مألوف في قباب رواقية الجناحين قبل المعمار سنان، ويتقدم كلاً من مسجدي السلطان بايزيد والسلمانية صحن أو حرم مكشوف، ومن النماذج المتميزة مسجد قليج علي باشا بإستانبول سنة ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م (صورة: ١٥٤)، ويشتمل القلب على القبة ونصفي القبتين، أما الجناحان فتغطي كلاً منهما أقبية متقاطعة بواقع خمسة أقبية بكل جناح، ويتقدم هذا المسجد رواق خارجي (سقيفة)^(٢)، وغير ذلك من المساجد الأخرى كمسجد تترخان بكوزلوه بالقرم سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م، ومسجد السليمية بقونية (٩٧٤-٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م)^(٣).

أما المرحلة الثالثة: فيمثلها نموذج يندرج ضمن حدود دراستنا، وهذا النموذج هو مسجد وقف مهرماه سلطان ضمن مجمعها في إسكدار سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م

(١) ينظر: بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٥١؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٨٤.

(٢) ينظر: مجمع (كلية) قليج علي باشا بإستانبول-دراسة أثرية معمارية فنية (٩٨٨-٩٩٦هـ/ ١٥٨٠-١٥٨٧م)، محمد القعقاعي بدران، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ص ١١٠-١١٢.

(٣) ينظر: بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٥١.



صورة (١٥٤): مسقط أفقي لمسجد قليج علي باشا بطوخانه في إستانبول
(نقلًا عن: مجمع (كلية) قليج علي باشا، بدران، ص ٢٨٢).

(سبق إيراد صورة له)، وهو أول هذه النماذج في إستانبول؛ وأبدع فيه المعمار سنان كعادته إذ أراد أن يتميز بتخطيط مختلف عن التخطيطات السابقة، وهو نموذج مميز يشتمل القلب فيه على قبة مركزية وسطى يتقدمها جهة القبلة نصف قبة، أما الجناحان فيشتملان على نصف قبتين على جانبي القبة المركزية وقبتين صغيرتين (جهة القبلة) على جانبي نصف القبة الذي يتقدم القبة المركزية جهة القبلة، ومن ثم فإن زيادة أنصاف القباب حول القبة المركزية جاءت من ثلاث جهات وليس جهتين كما كانت في مسجد السلطان بايزيد الثاني بإستانبول، مع ملاحظة أن الزيادة جاءت في الجانبين على حساب الجهة المقابلة للمحراب، وتتقدم هذا المسجد سقيفتان: إحداهما داخلية تنقسم إلى خمسة مربعات يغطي كل مربع منها قبة بواقع ثلاث قباب بامتداد القبة المركزية، وقبتين بامتداد النصف قبتين الجانبيتين (الجناحين)، أما الرواق الخارجي فهو يلتف حول الرواق الداخلي من الثلاث جهات ليشكل حوله هيئة حرف (U)، وغطي بسقف خشبي من رفر ف مائل، ويُعدّ هذا النموذج المثال الثاني في العمارة العثمانية لوجود سقيفتين تتقدمان المسجد جهة الشمال الغربي، وذلك بعد مسجد إبراهيم باشا بإستانبول الذي شيد سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م^(١)، مع

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ١٤٢.

تفرّد المعمار سنان في اختلاف التغطيات، فبدلاً من أنها كانت من تغطية منحدرّة في كلتا سقيفتي جامع إبراهيم باشا فإنها صارت متنوّعة في مسجد مهرماه سلطان؛ إذ غطيت السقيفة الداخلية بخمس قباب، والسقيفة الخارجيّة بسقف خشبي مائل، وتأتي النافورة أو الشاذروان ملتصقة بالسقيفة الخارجيّة من الشمال الغربي.

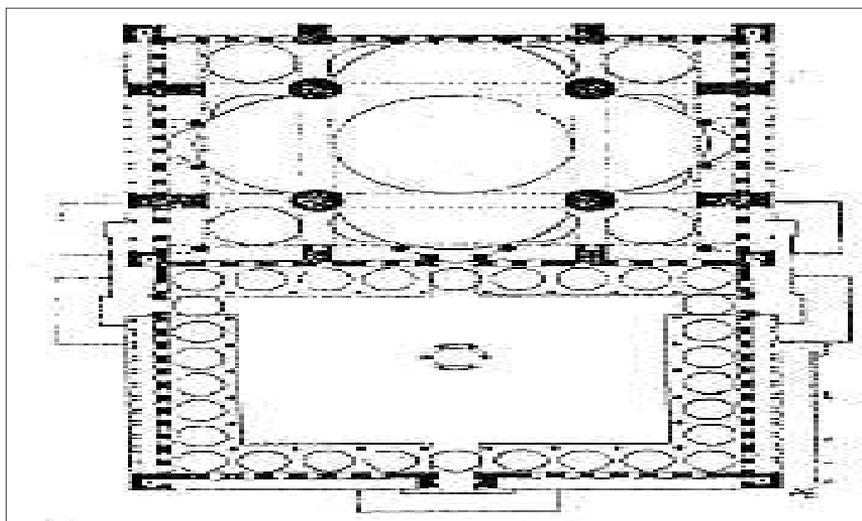
وقد أدرج بعض الباحثين مسجد مهرماه سلطان ضمن نمط المساجد على هيئة حرف (T) المقلوب^(١)، وهو أمر مجانب للصواب وذلك لوجود قبتين على جانبي إيوان القبة، إيوان القبلة في المسجد غير بارز عن مستوى الجدار ليشكل الضلع الطولي للحرف اللاتيني (T)، وإنما يأخذ المسجد مساحة مستطيلة أقرب إلى مربع منتظم الأضلاع، وإنما قد يؤخذ تأويل الباحث على اعتبار أنه يتناول التغطيات الرئيسة المركزية ممثلة في القبة وأنصافها الثلاثة كفراغ مركزي علوي للمسجد، أما الأصوب هو أن المسجد يندرج ضمن هذا النمط الرابع من أنماط المسجد القبة في العمارة العثمانية.

المرحلة الرابعة: جاءت بعد جامع مهرماه سلطان، وهي مرحلة أخرى تُعدّ الرابعة في سلم التطور، وتمثّلت في إضافة أربعة أنصاف قباب حول القبة المركزية ليكون الامتداد الداخلي والتوسعة من المحورين الطولي والعرضي معاً، وكثرت نماذج هذا التخطيط، منها -مثلاً- من أعمال المعمار سنان: مسجد شاهزاده محمد (٩٥١-٩٥٥هـ / ١٥٤٤-١٥٤٨م)، ومنها مسجد السلطان الفاتح بعد تجديده سنة ١١٨١-١١٨٥هـ / ١٧٦٧-١٧٧١م^(٢)، ومسجد السلطان أحمد المعروف بالجامع الأزرق في إستانبول^(٣) والذي تميز بيت الصلاة فيه بتغطيته بقبة مركزية يدعمها في الجوانب أربعة أنصاف قباب، في حين تغطي أركان المسجد فيما بين الأنصاف أربع قباب صغيرة (صورة: ١٥٥).

(١) ينظر: تطور مساحة الفراغ المركزي في المساجد العثمانية بإستانبول، أحمد محمد زكي، مجلة المشكاة، المجلة المصرية للآثار الإسلامية، تصدر عن مكتبة الإسكندرية، مصر، مج ٤، ٢٠٠٩م، ص ٩١.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٩٦-٢١٢؛
Les Mosques De Constantinople, (Albert Gabriel), Revue Des Études Byzantines Année 1928 (150), Pp. 378 - 379, 380 - 383; A history f Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), pp. 206 - 211, 342 - 349.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ١٨٥-١٨٦.



صورة (١٥٥): مسقط أفقي للجامع الأزرق بإستانبول. نقلاً عن:
(Gabrie, les mosques turcs)

ويندرج ضمن حدود دراستي في هذه المرحلة ويمثلها في أبهى حلة، وأجمل هيئة، وأرقى رونقاً، وأبدعها زخارف؛ جامع الوالدة الجديد (بني جامع) في حي هوبيار بمنطقة إمينونو، والذي بدأت إنشاءه السلطنة صافية بين سنوات ٩٩٤-١٠١٢هـ/ ١٥٨٥-١٦٠٣م، وأكملته وأبدعت فيه خديجة تورخان سلطان بين سنوات ١٠٧٢-١٠٧٤هـ/ ١٦٦١-١٦٦٣م على يد المهندس داود أغا الذي تتلمذ على يد سنان (سبق إيراد صور له)، وكان التلميذ متميزاً كالأستاذ^(١)؛ إذ أكمل مسيرته، وواصل إبداعاته المعمارية ليأتي الحرم المغطى (بيت الصلاة) في بني جامع بتخطيط متميز عبارة عن مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٧٨, ٣٥م، تنقسم إلى منطقة وسطى مركزية تغطيها قبة كبيرة يبلغ ارتفاعها نحو ٦٠, ٣٨م، ويتعامد عليها أربعة أنصاف قباب يبلغ ارتفاع كل نصف قبة منها حوالي ٢٠, ٢٦م، فيما غُطيت أركان المسجد بأربع قباب يبلغ ارتفاعها نحو ١٨م.

(هـ) طراز المسجد على هيئة حرف (T) المقلوب:

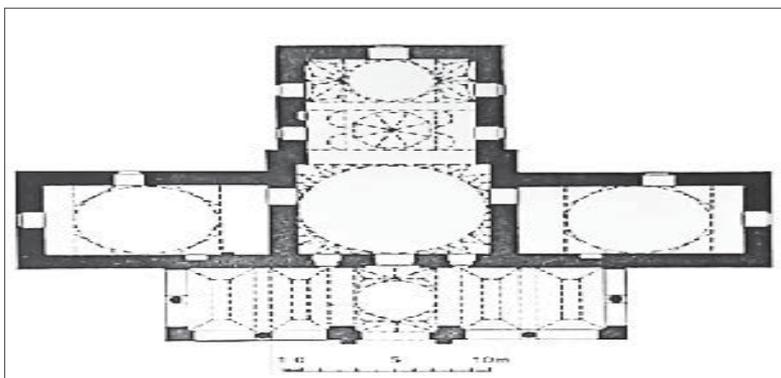
وهو تخطيط المسجد على هيئة حرف (T) المقلوب (وهو طراز خاص يختلف عن طراز المسجد القبة)، ورغم أنه يشبه النمط السابق لأنماط المسجد القبة فإن المعمار

(١) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٠٨-١١١.

قام بإبراز إيوان القبلة في المحور الطولي عن جدار القبلة، بمعنى أن الزيادة لم تكن في المساحة الداخلية للمسجد، وإنما قام المعمار في هذا النموذج بإضافة إيوان بارز عن سمت جدار القبلة يتوسط صدره المحراب، ويغطي هذا الإيوان نصف قبة غالباً أو قبة وأحياناً قبو، وبهذه الإضافة صار تخطيط المسجد على هيئة حرف T، ومن ثم صار قلب المسجد في هذا النمط يشتمل إما على قبة مركزية كبرى تتقدمها جهة القبلة نصف قبة وفي الجناحين أربع قباب بواقع قبتين بكل جناح، كما هو الحال في مسجد عتيق علي باشا في إستانبول سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، أو قبتين طوليتين في القلب وست قباب في الجناحين، بواقع ثلاث قباب بكل جناح كما هو الحال في مسجد السلطان بايزيد في أماسيا سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، أو قبتين طوليتين في القلب ونصفي قبتين في الجناحين بواقع نصف قبة في كل جناح وذلك على جانبي القبة الصغرى، كما هو الحال في مسجد أحمد بك أرنوس في يانيس فردار غرب سالونيك باليونان سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م، ويعتبره (كيل) من أهم العمائر العثمانية الباقية في البلقان، وذكر بأنه لا يوجد له شبيه آخر في مختلف أنحاء الدولة العثمانية من المجر إلى مصر ومن البوسنة إلى ما وراء بغداد لكونه يمثل خاتمة مرحلة طويلة في تطور تخطيط العمائر العثمانية، ولكونه مرحلة انتقالية بين العمارة العثمانية المبكرة والعمارة الكلاسيكية^(١)، وفي الواقع فإن هذا النمط من التخطيط قد وجد منذ أوائل الدولة العثمانية في منشآت أخرى أشهرها عمارت (دار المرق) التي شيّدت لأجل نيلوفر خاتون (Nilüfer Hatun) زوجة أورخان غازي ووالدة السلطان مراد الأول سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م في مدينة إزنيق (صورة: ١٥٦)، حيث استخدمت القاعة المركزية المغطاة بقبة والحجرات الجانبية كمضيقة يقيم بها المهاجرون وعابرو السبيل لمدة ثلاثة أيام، وكان يقدم لهم الطعام بالمجان، إذ كان يوجد مطبخ عام في هذه المنشأة، وكان الأخيان أو جماعة الأخوة يأتون بالليل لتقديم الحفاوة لضيوف المنشأة، وقد تحول هذا المبنى إلى متحف^(٢)، ومن ثم فلم يقتصر هذا التخطيط كغيره على عمارة المساجد وتصميمها.

(1) Yenice Vardar, Aforgotten Turkish Cultural Centre In Macedonia Of The 15th And 16th Century, (Michael Kiel), Studia. Byzantina Et Neohellenica, Neerlandica, 3. Leiden, 1971, P. 323.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 149.



صورة (١٥٦): مسقط أفقي لعمارت نيلوفر خاتون بإزنيق ١٣٨٨/هـ-١٧٩٠م.
(نقلًا عن: المنشآت العثمانية الدينية، زكي، مج ٢، شكل ١١).

ويرجع بعض الباحثين تأصيل هذا الطراز في العمارة العثمانية لمسجد أورخان بإزنيق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م^(١) أو ٧٣٥هـ/١٣٣٤م^(٢) على اعتبار أنه أول أمثلة المساجد ذات تخطيط حرف (T) المقلوب وأقدمها في العمارة العثمانية، طبقًا لما تم اكتشافه من قبيل البعثات الأثرية التي أجرت أعمال الحفائر بموقع المسجد وكشفت عن قبة مركزية يتقدمها إيوان يغطيه قبو، ويحتوي هذا الإيوان على محراب، فيما يكتنف القبة المركزية من الجانبين حجرتان مقببتان بواقع حجرة مقببة بكل جانب تفتح على القبة من باب واحد، وترتفع أرضية الإيوان عن أرضية القبة المركزية بمقدار درجتين، فيما يتقدم المسجد سقيفة من خمسة أقبية^(٣)، وتلتها عدة نماذج بعد ذلك في الأناضول، مثل: مسجد أورخان غازي في بورصة سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م، ومسجد السلطان مراد في بورصة (٧٦٨-٧٨٧هـ/١٣٦٦-١٣٨٥م)، والمسجد الأخضر (يشيل جامع) سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م في بورصة أيضًا^(٤).

وقد أدرج بعض الباحثين مسجد نوربانو سلطان المعروف بعتيق والدة جامع في إسكدار بإستانبول (٩٩١هـ/١٥٨٣م) ضمن هذا النمط، وهو رأي مجانب للصواب، فيما يرى أستاذنا أ. د. محمد حمزة الحداد: أن هنالك طرازًا آخر من طرز تخطيط

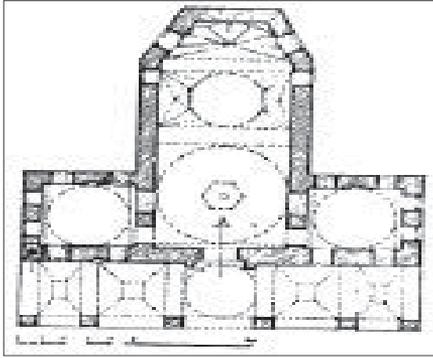
(١) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ١٧٠.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٧١.

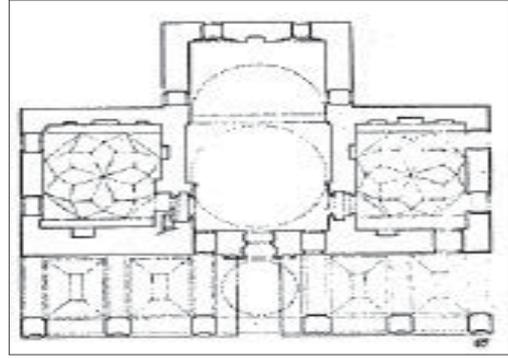
(٣) ينظر: المنشآت العثمانية الدينية، أحمد زكي، ص ٣١.

(٤) ينظر: دراسات وبحوث في العمارة، محمد حمزة الحداد، ص ٨٥-٢٨٦.

المساجد العثمانية وهو الطراز الإيواني؛ اعتمادًا على أن تخطيط المسجد إنما يقوم على المنطقة أو المربع المركزي المغطى بقبة ويتقدمه إيوان واحد جهة القبلة يبرز عن سمت الجدار^(١)، ومن ثم فهو يشبه إلى حد كبير التخطيط على هيئة حرف (T) المقلوب، وينطبق هذا القول على تخطيط مسجد نوربانو سلطان الأول قبل زيادته، إذ إن تخطيطه كان عبارة عن مربع تعلوه قبة مدعومة من الجانبين بأربعة أنصاف قباب، وإيوان المحراب الذي يبرز عن سمت جدار القبلة ليغطيه نصف قبة آخر لتصبح تغطية المسجد من القبة المدعومة بخمسة أنصاف قباب، ويندرج ضمن الطراز الإيواني هذا كل من: مسجد غازي ميخال (١٤٢١هـ / ١٤٢١م) (صورة: ١٥٧)، والذي غُطيَّ الإيوان فيه بقبو برميلي، ومسجد البيلربي (بكلربكي) في أدرنة (١٤٢٨هـ / ١٤٢٨م)^(٢) (صورة: ١٥٨)، وقد غُطيَّ إيوان المحراب فيه بنصف قبة مفصصة يتقدمها قبو مروحي^(٣)، ومسجد المرادية (١٤٣٨هـ / ١٤٣٤م) (صورة: ١٥٩)، ومسجد Mezit بك (١٤٤٥هـ / ١٤٤١م) (صورة: ١٦٠) في أدرنة^(٤) أيضًا، مع اختلافات بسيطة في التخطيط والتغطيات ولكن لا تخرجه عن النسق السابق.



صورة (١٥٨): مسقط أفقي لمسجد البيلربي بأدرنة. نقلًا عن: (Kuran, The Mosque, p. 101)



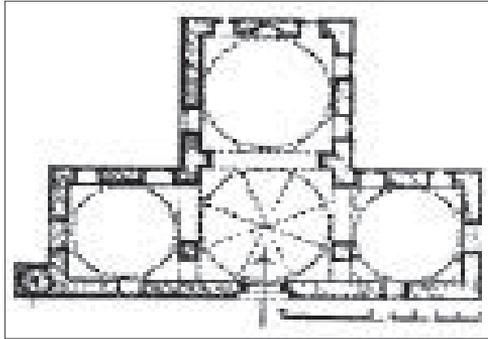
صورة (١٥٧): مسقط أفقي لمسجد غازي ميخال بأدرنة. نقلًا عن: (Kuran, The Mosque, p. 86)

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٦٧.

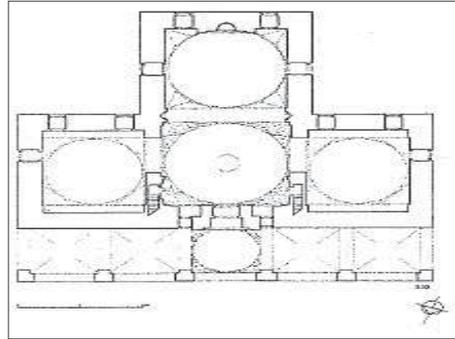
(2) The Mosque In Early Ottoman Architecture (op. cit), (Aptullah Kuran), Pp. 86 -87, 89 -90, Osmanli Devri Mimarisi (op. cit), (Oktay Aslanapa), S. 54 -55, 62 -63.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٦٨.

(4) İlk 250 Senenin Osmanli Mimarisi, (Ekrem Hakki Ayverdi) & (I. Aydın Yüksel), Istanbul, 1976, S. 55 -56.



صورة (١٦٠): مسجد أفقي لمسجد (Mezit Bey) بأدرنة. نقلاً عن: Kuran, The Mosque, p. 126



صورة (١٥٩): مسقط أفقي لمسجد المرادية بأدرنة (نقلاً عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ص ٣٢٥).

لا تقتصر نماذج هذا التخطيط على الأمثلة السابقة، بل هناك عدة أمثلة أخرى باقية في أوروبا والأناضول على حد سواء، منها على سبيل المثال لا الحصر: مسجد الأجا إسحاق بك (١٤٤٢هـ / ١٤٣٨م)، ومسجد عيسى بك (١٤٧٥م / ١٤٨٠هـ) في أسكوب^(١) (صورة: ١٦١)، ومسجد محمود باشا بإستانبول (١٨٦٧^(٢)) - ١٨٧٠هـ^(٣) / ١٤٦٢-١٤٦٦م) (صورة: ١٦٢)، مع تميزه في احتوائه على ثلاث حجرات مغطاة بقباب مختلفة الأحجام في كل جانب، وبين الحجرات والمسجد ممر مقبى صغير، ويتقدم المسجد من الداخل رواق مغطى بقبو في الوسط على جانبيه قبتان، وتوجد بطرفي هذا الرواق حجرتان بواقع حجرة بكل جانب تغطيها قبة^(٤)، ومن ثم فهو أوضح الأمثلة للتدليل على قوة التسمية بالطراز الإيواني في هذه النماذج، لا سيما التي تمتد فيها الأجنحة بطول امتداد إيوان المحراب ليكونا معاً ثلاثة أشكال متعامدة على مربع القبة المركزي، ومسجد غازي خسرو بك في سرايفو (١٥٣١م / ١٥٣٨هـ) (صورة: ١٦٣)^(٥)، ومسجد الصدر الأعظم روم محمد باشا في إسكدار بإستانبول (١٤٧٦هـ / ١٤٧١م)^(٦) (الصورتان: ١٦٤، ١٦٥)، وهو ذو مساحة مربعة تغطيها قبة

(1) Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri, Yugoslavya (op. cit), (Ekrem Hakki Ayverdi), S. 154 - 157.

(2) İlk 250 Senenin Osmanli Mimarisi (op. cit), (Ekrem Hakki Ayverdi) & (I. Aydın Yüksel), S. 64,73

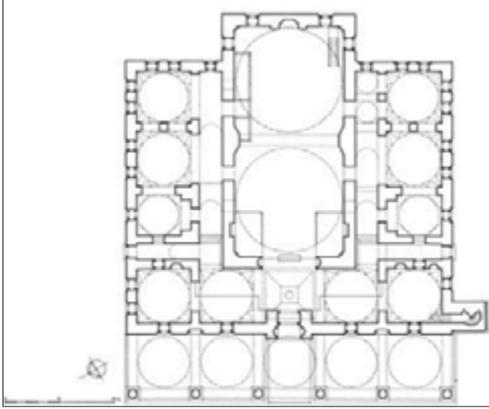
(3) A History of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 114

(٤) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٦٩.

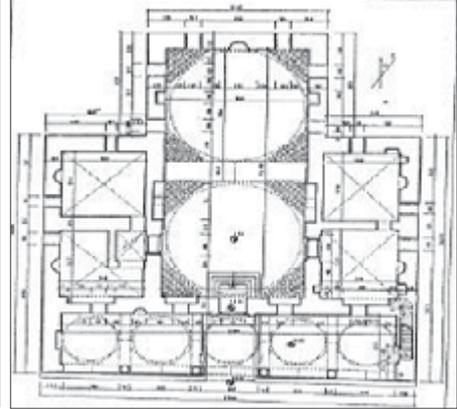
(5) Avrupa'da Osmanli Mimari Eserleri, Yugoslavya (op. cit), (Ekrem Hakki Ayverdi), S. 198 - 199; Islamic Architecture In Bosnia And Herzegovina (op. cit), (Amir Pašić), P. 62.

(٦) ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٣٩-٤٩. يلاحظ أن هذا المسجد كان قد أرخه (جودوين) بسنة

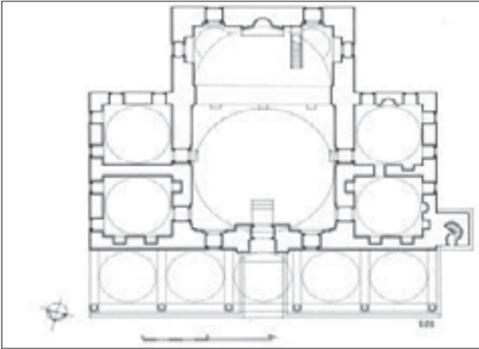
مركزية، ويتقدم الحجرة الوسطى من الجنوب إيوان بصدرة محراب المسجد، وعلى جانبي المساحة المركزية أربع حجرات بواقع حجرتين في كل جانب، أما السقيفة التي تتقدم المسجد فتغطيها خمس قباب ضحلة وتطل على الشارع ببائكة من خمسة عقود مدببة محمولة على أعمدة رخامية.



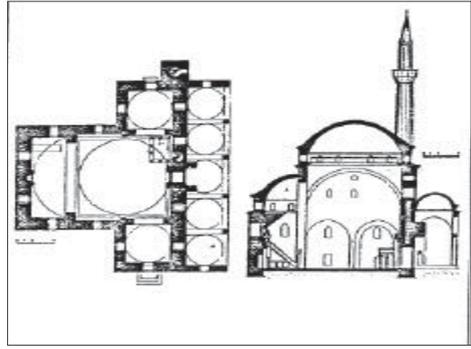
صورة (١٦٢): مسقط أفقي لمسجد محمود باشا في إستانبول. نقلًا عن: (Kuran, The Mosque, p. 142)



صورة (١٦١): مسقط أفقي لمسجد عيسى بك في أسكوب. (نقلًا عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ص ٣٢٦).



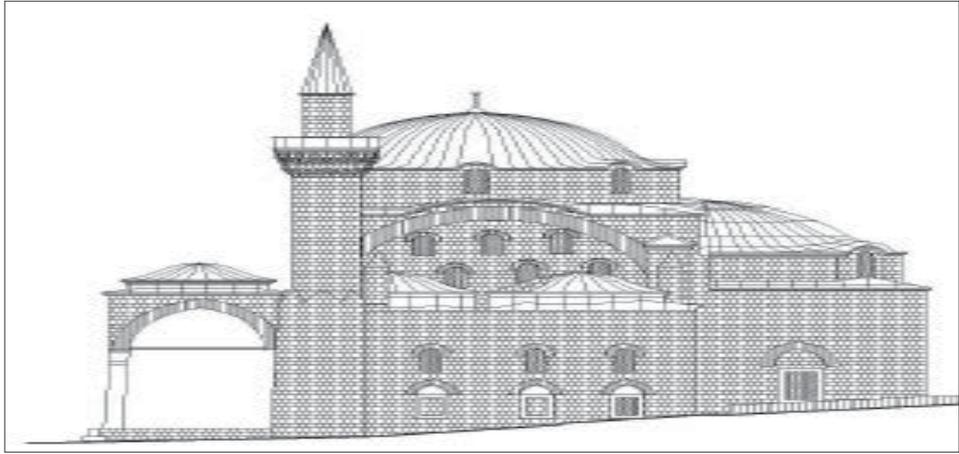
صورة (١٦٤): المسقط الأفقي لجامع روم محمد باشا بإسكدار. نقلًا عن: (kuran, The Mosque, p. 96.)



صورة (١٦٣): مسقط أفقي لمسجد غازي خسرو بك في سرايفو (نقلًا عن: حسب الله، عمائر غازي خسرو بك، شكل ١٥).

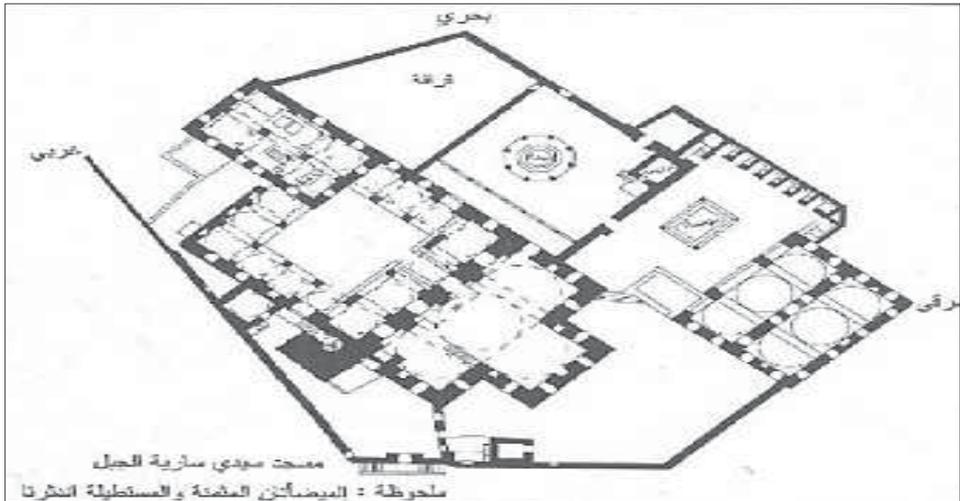
١٧٤١-٢٧٤١م؛ اعتمادًا على النقش التأسيسي المسجل أعلى مدخل المسجد، والذي يحتوي على تاريخ الإنشاء بحساب الجُمَّل بصيغة (منا تقبل ربنا)، وعند حسابها نجدها تعطي القيمة الصحيحة التي أوردها الباحث، وهي سنة ٦٧٨هـ. ينظر: A History of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfery Goodwin), P. 114.

والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٩١-٩٢.



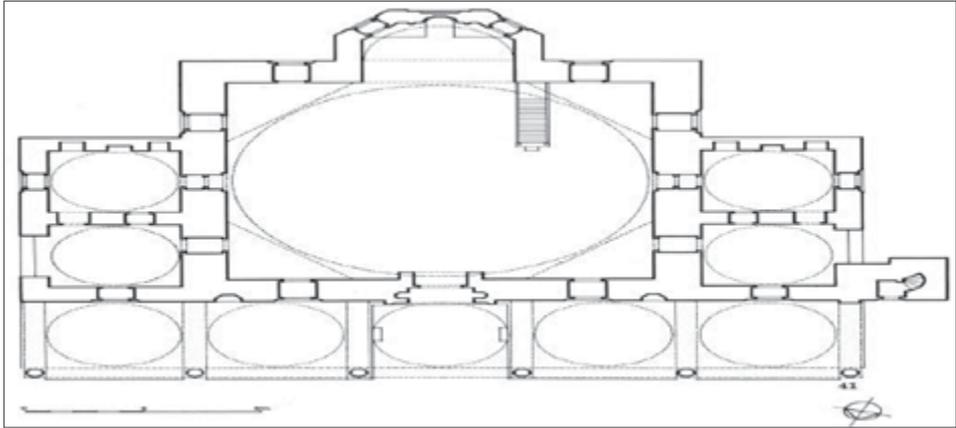
صورة (١٦٥): قطاع رأسي للواجهة الجنوبية الغربية لمسجد روم محمد باشا (نقلًا عن: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، مج ٢، ص ٣٤).

وأما في مصر فأقدم وأشهر مثال في العهد العثماني لهذا النمط، وهو يؤكد افتراضية د. محمد حمزة الحداد حول تسمية هذا الطراز بالطراز الإيواني جامع سليمان باشا الخادم (سارية الجبل) (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م) بقلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة (صورة: ١٦٦)، إذ يتكون من دورقاعة وسطى وثلاثة إيوانات تشكل معًا هيئة حرف (T) المقلوب.



صورة (١٦٦): مسقط أفقي لجامع سليمان باشا الخادم بقلعة صلاح الدين بالقاهرة (نقلًا عن: محمد، المساجد العثمانية، مج ٢، ص ٥٢).

ويتميز من ضمن هذا التخطيط: مسجد داود باشا (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) بإستانبول (صورة: ١٦٧)، ويمكن القول: إنه يمثل نمطاً منفرداً متميزاً والذي تتقدمه سقيفة تلتف حول المسجد على هيئة حرف (U) يغطيها تسع قباب ضحلة، فيما يبرز إيوان المحراب عن جدار القبلة بشكل مضلع خموس ليجمع في تخطيطه توسعة داخلية بالإيوان وتوسعة خارجية بالسقيفة، ويشبه هذا المسجد من حيث التفاف السقيفة حول القبة المركزية من ثلاث جهات تشكل هيئة حرف (U) المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول (قيد الدراسة)، مع اختلافات بسيطة تخص چينيلي جامع ماهيكر كوسم سلطان بإسكدار، أهمها عدم وجود إيوان للمحراب، أما من حيث التخطيط فيندرج چينيلي جامع ضمن النمط الأول لطراز المسجد القبة البسيط.



صورة (١٦٧): مسقط أفقي لمسجد داود باشا في إستانبول. نقلاً عن:
(Kuran, The Mosque, p. 52)

ثانياً: المدارس:

تُعدّ المدرسة ككيان معماري طرازاً مستحدثاً في العمارة الإسلامية؛ فلم يكن يُعرَف قبل القرن ٤هـ / ١٠م، ثم لم يلبث أن انتشر في أقطار العالم الإسلامي واتخذ في كل قطر منها طابعاً معمارياً خاصاً به، ومما لا شك فيه أن إنشاء المدارس كان بداية عهد جديد في تطور العمارة الإسلامية، وبخاصة العمائر الدينية من جهة، وفي ازدهار الحركة العلمية في أقطار العالم الإسلامي من جهة أخرى.

وقد أنشئت في أثناء العهد العثماني العديد من المدارس التعليمية برعاية الواقفين العثمانيين في مختلف أنحاء الدولة في القارات الثلاث، ويمكن أن يتم تناول هذا الانتشار وفق إحصائية تمت لبعض المدن العثمانية في أثناء القرون الثلاثة (٨-١٠هـ/١٤-١٦م) في الجدول الآتي:

المدينة أو الإقليم	مدارس القرن (٨هـ/١٤م)	مدارس القرن (٩هـ/١٥م)	مدارس القرن (١٠هـ/١٦م)	مدارس غير مؤرخة	مجموع المدارس
إزنيق	٤				٤
بورصة	١٩	١١	٦		٣٦
أدرنة	١	٢٠	١٠		٣١
إستانبول		٢٣	١١٣	٦	١٤٢
الأناضول	١٢	٣١	٣٢	١٣	٨٨
البلقان	٤	١٢	١٨	٥	٣٩
سوريا			٣		٣
الحجاز			٦		٦
اليمن			١		١
المجموع	٤٠	٩٧	١٨٩	٢٤	٣٥٠

جدول يوضح مدى انتشار المدارس في المدن العثمانية^(١)

وأما من حيث فترات حُكم السلاطين الذين أنشئت هذه المدارس في عهدهم فإنه بينها الجدول الآتي، والذي يظهر مدى الرخاء والتقدم الذي تم في أثناء القرن ١٠هـ/١٦م، وخاصة على يد السلطان سليمان القانوني لرعاية رجال الدولة ونسائها للعمارة وال عمران وإنشاء الأوقاف، والتكفل بما يلزم ذلك من نفقات وغيرها لضمان تأييد النفع لهذه المنشآت التعليمية.

(1) The Madrasas Of The Ottoman Empire, Foundation For Science Technology And Civiliastion, (Ekmeleddin Ihsan Oğlu), April 2004, P. 11.

م	أسماء السلاطين وفترة حكم كل منهم	عدد المدارس
١	السلطان أورخان غازي (٧٢٦-٧٦٣هـ/١٣٢٦-١٣٦٢م).	١٠
٢	السلطان مراد الأول (٧٦٣-٧٩١هـ/١٣٦٢-١٣٨٩م).	٧
٣	السلطان بايزيد الأول (٧٩١-٨٠٤هـ/١٣٨٩-١٤٠٢م).	٢٣
٤	السلطان محمد جلبي (٨١٦-٨٢٤هـ/١٤١٣-١٤٢١م).	٧
٥	السلطان مراد الثاني (٨٢٤-٨٤٨هـ/١٤٢١-١٤٤٤م) ثم (٨٥٠-٨٥٥هـ/١٤٤٦-١٤٥١م).	٣٨
٦	السلطان محمد الثاني (٨٤٨-٨٥٠هـ/١٤٤٤-١٤٤٦م) ثم (٨٥٥-٨٨٦هـ/١٤٥١-١٤٨١م).	٣٠
٧	السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ/١٤٨١-١٥١٢م).	٣٣
٨	السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م).	٨
٩	السلطان سليمان الأول (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م).	١٠٦
١٠	السلطان سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٢هـ/١٥٦٦-١٥٧٤م).	١٧
١١	السلطان مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م).	٤٢
١٢	السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/١٥٩٥-١٦٠٣م).	٥
١٣	مدارس لا يعرف لها تاريخ محدد.	٢٤
	المجموع	٣٥٠

جدول يوضح عدد المدارس في أثناء فترات حكم سلاطين بني عثمان^(١)

ومن الجداول السابقة يتضح أن المدارس العثمانية لم تلقَ اهتمامًا كبيرًا إلا في مقرّ الخلافة وعاصمة الدولة في الفترات المختلفة للدولة العثمانية، مع وجودها في مختلف المدن العثمانية ولكن بصورة أقل بطبيعة الحال.

(1) Ibid, P. 12.

وأما في مصر فإن المعروف من مدارسها التي شُيِّدت في العهد العثماني حتى الآن نحو ست مدارس لم يتبقَّ منها سوى ثلاث مدارس: منها مدرستان بالقاهرة هما المدرسة السلليمانية (بالسروجية) (٩٥٠هـ/١٥٤٣م)، والمدرسة المحمودية (بشارع بورسعيد) (١١٦٤هـ/١٧٥٠م)، أما المدرسة الثالثة فتوجد في محافظة الغربية وبالتحديد في قرية محلة مرحوم (مركز طنطا) وهي مدرسة عبد الله بن بغداد (٩٦٧هـ/١٥٥٩م)، والمدارس الثلاث الأخرى فقد اندثرت اثنتان منها وهما مدرسة إسماعيل باشا الوزير (بالقعة)، ومدرسة الحاج مصطفى بن عبد الله بسويقة العزى جنوب سوق السلاح، في حين جددت المدرسة الثالثة تمامًا (وهي المدرسة السنانية بالصناديقية بالأزهر) وتُعرف الآن بزاوية كوسة سنان.

وأما من حيث التخطيط، فإن المدارس العثمانية في مختلف الأماكن قد اتسمت بأربعة طرز معمارية لا تخرج عن التخطيطات الموجودة في مختلف العنصر الإسلامية السابقة لعهد العثمانيين، وأما في حدود الدراسة، فإنه توجد لدينا خمس مدارس وقفية ضمنها وثائق الوقف، وضمن الواقفون لها تأييد النفع من خلال الموقوفات والمسبلات، وحددت وثائق الوقف أسلوب العمل ومرتببات الموظفين وأوقات الدراسة وما إلى ذلك، وتعدّ أول مدرستين من هذه المدارس إنشاءً بين عمائر نساء القصر العثماني (موضوع الدراسة)، مدرسة مهرماه سلطان بإسكدار ما بين (٩٥٠-٩٥٤هـ/١٥٤٤-١٥٤٨م)، ومدرسة والدتها خاصكي خرم سلطان بأورتابازار ما بين (٩٤٥-٩٦٥هـ/١٥٣٨-١٥٥٨م)، ثم مدرسة مهرماه سلطان بأدرنة قاي سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٦م، ثم مدرسة عتيق والددة سلطان لنوربانو سلطان بإسكدار سنة ٩٩١هـ/١٥٨٣م، وتلتها مدرسة ماهبيكر كوسم سلطان (مدرسة المجمع الصيني) سنة ١٦٥٠هـ/١٦٦١م، ومن ثم فإنها تقع جميعها في القرن ١٠هـ/١٦م، ما عدا المدرسة الأخيرة، بما يبرهن على مدى عظم العمارة والوقف وتبني حركة العمران في أثناء هذا القرن الذي مثل ذروة الوقف والعمارة والفن الإسلامي العثماني، وأما في الموقع فقد وجدت ثلاث منها في الجزء الآسيوي بإستانبول (إسكدار)، فيما وُجدت الاثنتان الأخريان في الجزء الأوروبي بمنطقة الفاتح.

وأما من حيث عدد حجرات أو خلاوي الطلاب إلى جانب الدرسخانه والطراز المعماري لكل من المدارس الوقفية لنساء القصر العثماني الوقفية بإستانبول، فيمكن تناولها في الجدول الآتي:

م	المدرسة	عدد حجرات الطلاب	الدرسخانه	إجمالي عدد الحجرات	الطراز المعماري
١	مدرسة خاصكي	١٦ خلوة	موجودة	١٧	الطراز الأول
٢	مدرسة مهرمه بإسكدار	١٦ خلوة	موجودة	١٧	الطراز الأول
٣	مدرسة مهرمه بأدرنة قاي	١٧ خلوة	بدون	١٧	الطراز الرابع
٤	مدرسة نوربانو	١٨ خلوة	موجودة	١٨	الطراز الثاني
٥	مدرسة ماهبيكر كوسم سلطان	١٠ = ٢+٨	موجودة	١١	الطراز الثاني

ويمكن تناول الطرز المعمارية التي تدرج ضمنها المدارس الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول على النحو الآتي؛

(١) الطراز الأول:

وهو الطراز التقليدي الذي صُممت على أساسه المدارس العثمانية مستقلة كانت أم ضمن وحدات المجمعات المعمارية مثل نماذج الدراسة، فكلها ملحقة بكليات معمارية ووقفية، وهو طراز المدارس المغلقة، وجوهر هذا الطراز عبارة عن صحن أو وسط مكشوف يتوسطه شاذروان، وتحيط بهذا الصحن أربعة أروقة أو أقل في بعض النماذج^(١)، وتقع حجرات الدراسة خلف هذه الأروقة إما من الجهات الأربع لتكون المساحة منتظمة أو من ثلاث جهات لتشكل الخلاوي حول

(١) يمكن مراجعة تفاصيل مخططات المدارس السلجوقية بالأناضول والعثمانية وغيرها وتأسيس نماذجها. ينظر: Anadolu Medreseleri, (Aptullah Kuran), Cilt I, Ankara, 1969, Ss. 15-18, 44-59, 63-113, 116-124, 128-130; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), Pp. 38, 39;

والمدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصر سلاجقة الروم والمماليك البحرية «دراسة أثرية معمارية مقارنة»، طلال محمد محمود الشعبان، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار-قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٦٨-٣١١؛ وفنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٩٥-١٠١، ١٥٣-١٥٩؛ والمدرسة العثمانية منذ عصر الفاتح وحتى وفاة القانوني (١٤٥١-١٥٦٦م) في ضوء المصادر التركية، أحمد عبد الله إبراهيم نجم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم اللغات الشرقية وأدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م، ص ١٢-١٧.

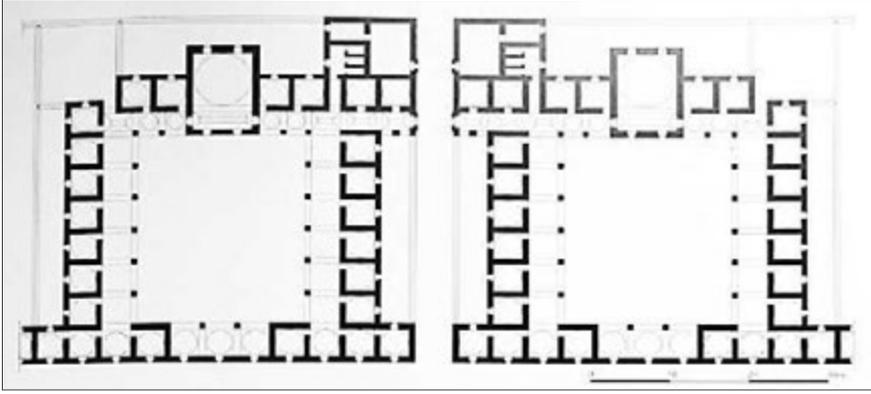
الرواق هيئة حرف (U)، في حين يندرج تخطيط المدرسة ذاتها منتظمًا ضمن الطراز التقليدي المستطيل أو المربع نظرًا لانتظام جدران المدرسة الخارجية واتصالها، وقد دفع وقوع الخلاوي في ثلاث جهات فقط بعض الباحثين إلى القول: إن هذا الطراز يأخذ هيئة حرف (U)، وهو رأي مجانب للصواب، وأما قاعة الدرس (درس خانه) فتكون أكبر القاعات وغالبًا ما تتوسط أحد أضلاع المدرسة بين خلاوي الطلاب، ومن أمثلة هذا الطراز: مدرسة السلطان بايزيد الثاني ضمن مجمعه بأدرنة (٨٨٩-٨٩٤هـ/١٤٨٤-١٤٨٨م)، ومدارس السلطان القانوني بمجمعه بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)^(١)، إلا أن الأروقة حول الصحن تغطيها أقبية متقاطعة في مدرسة قليج علي باشا بإستانبول (٩٩٦هـ/١٥٨٠م)^(٢)، وأحيانًا تتوسط الدرسخانه الضلع الذي يخلو من وجود رواق حول الصحن، مثل: مدرسة بايزيد الأول ضمن مجمعه في بروسة (٧٩٣-٧٩٨هـ/١٣٩٠-١٣٩٥م) والمدرسة الخضراء في بروسة (٨٢٥هـ/١٤٢١م)، وبعض مدارس السلطان محمد الفاتح بمجمعه بإستانبول (٨٦٧-٨٧٥هـ/١٤٦٢-١٤٧٠م)، وبعض مدارس السلطان سليمان القانوني بمجمعه بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م) (الصورتان: ١٦٨، ١٦٩)، والتكية السليمانية بدمشق (٩٦٢-٩٦٧هـ/١٥٥٤-١٥٥٩م)، والمدرسة السليمانية المجاورة للتكية المذكورة وتؤرخ بسنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، ومدرسة غازي خسرو بك في سرايفو سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م^(٣).

وأحيانًا توجد الخلاوي خلف رواقين فقط من أروقة المدرسة الأربعة، أي: إنها تشغل ضلعين من أضلاع الصحن، ويتوسط الضلع الثالث للصحن الدرس خانه، أما الضلع الرابع فيحتوي على باب الدخول للمدرسة بالإضافة إلى عدة شبابيك، ويتجلى هذا النمط بوضوح في المدرسة السليمية ضمن مجمع السلطان سليم الثاني بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٤٧م)، إضافة إلى دار القراء بالمجمع نفسه أيضًا.

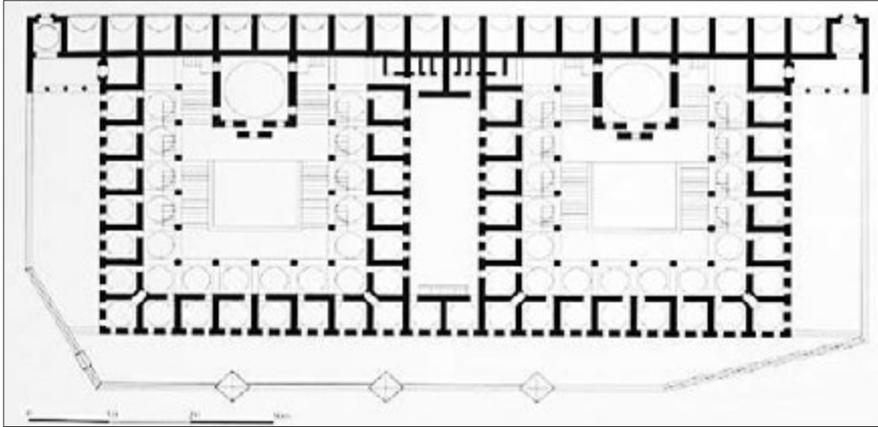
(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٨٩.

(٢) ينظر: مجمع (كلية) قليج علي باشا، محمد القعقاعي بدران، ص ١٢٥.

(٣) ينظر: عمائر غازي خسرو بك الباقية بمدينة سرايفو «دراسة آثارية معمارية وفنية مقارنة»، آية عبد العزيز حسب الله، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ص ٢٩٣-٢٩٤.



صورة (١٦٨): المدرستان (الأولى والثانية) بمجمع السليمانية. نقلاً عن:
(Kuban, Ottoman Architecture, p.291)



صورة (١٦٩): المدرستان (الثالثة والرابعة) بمجمع السليمانية. نقلاً عن:
(Kuban, Ottoman Architecture, p.291)

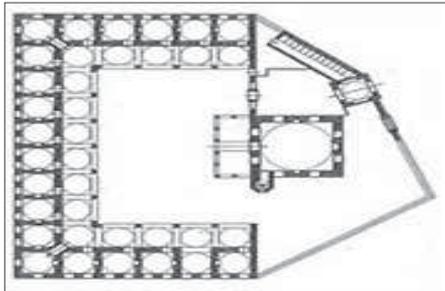
وتندرج ضمن هذا الطراز في حدود الدراسة مدرستان: مدرسة مهماه سلطان بإسكدار (سبق إيراد صورة لها)، ومدرسة والدتها خاصكي خرم سلطان في أورتابازار بإستانبول (سبق إيراد صورة لها)، وكتاهما عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها صحن مكشوف مربع أو مستطيل المسقط، ويحيط بالصحن رواق من الأربع جهات، فيما تقع خلاوي الطلاب خلف ثلاثة أروقة فقط، وتقع حجرة الدراسة في منتصف الضلع المقابل للقبلة لتبرز عن سمت الجدران بمقدار نصف مساحتها تقريباً، وتشبهها من حيث توزيع الحجرات في ثلاث جهات حول الأروقة مدرسة شاهزاده محمد (صورة: ١٧٠)، فيما تختلف المساحة واتجاه حجرة الدراسة.



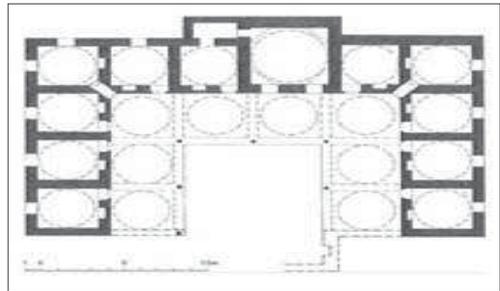
صورة (١٧٠): مسقط أفقي لمدرسة شاهزاده محمد.

٢ الطراز الثاني:

وهو طراز المدارس المفتوحة التي يغيب أحد أضلاعها أو جدرانها الخارجية ليكون الفناء شكلاً على هيئة حرف (U)، وفي بعضها على هيئة حرف (V)، وفي مدارس أخرى على هيئة حرف (L)، ومن أمثلة هذا الطراز مدرسة سليمان يازنيق سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م (صورة: ١٧١)، ومدرسة إسحاق باشا في إينه كول سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، ومدرسة السلطان سليم الأول بمدينة إستانبول أيضاً إذ تأخذ هيئة حرف (U) (صورة: ١٧٢).



صورة (١٧٢): مسقط أفقي لمدرسة السلطان سليم الأول (نقلًا عن: مجمع - كليت - قليج علي باشا، بدران، شكل ٦٤).



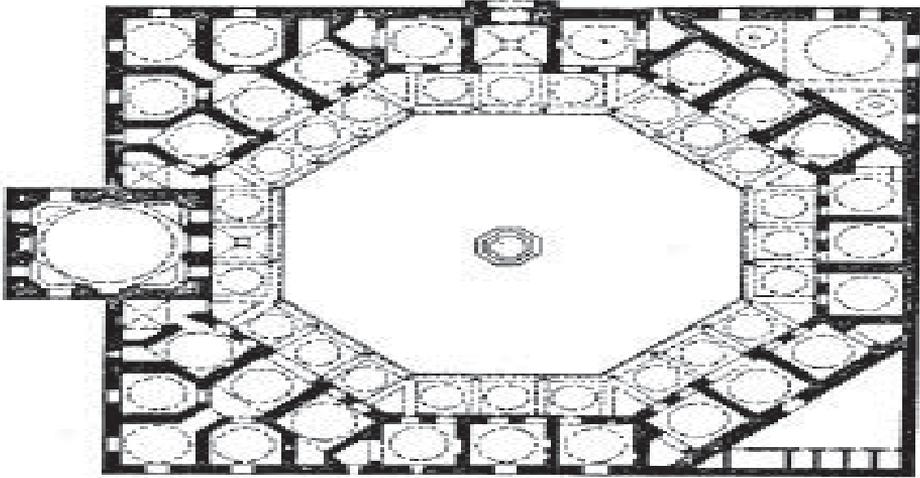
صورة (١٧١): مسقط أفقي لمدرسة سليمان باشا يازنيق ٧٣٧هـ/١٣٣٦م. نقلًا عن: (Freely, A History of Ottoman Architecture, p. 57)

ويندرج ضمن هذا النمط داخل حدود الدراسة مدرسة أو دار الحديث لماهبيكر كوسم سلطان الملحقة بمجمع چينيلي جامع، فهي مدرسة مفتوحة نتيجة وقوعها في ركن المنشأة قريبة من الزاوية الشمالية للكتلة الأولى التي تضم المسجد والمدرسة

والشاذروان، ويأخذ الفناء هيئة حرف (V) (سبق إيراد صور لها)، في حين تأخذ الخلاوي حول الرحبة والفناء هيئة حرف (U) أقرب إلى شكل حدوة الفرس، كما تندرج مدرسة نوربانو سلطان أيضًا ضمن هذا الطراز، إذ إنها تقع إلى خارج المسجد على هيئة حرف (U) منتظم الشكل مع اختلاف طول ضلعيه القائمين (سبق إيراد صور لها)، وتقع قاعة الدراسة في منتصف الضلع الشمالي الغربي للتوسط بين الخلاوي من تلك الجهة، وتبرز إلى الخارج عن سمت جدار الواجهة، ولكن الاختلاف هنا أن مدرسة نوربانو سلطان تفتح من جهتها الرابعة على الجدار الشمالي الغربي لحرم المسجد المكشوف، ومن ثم فإنها تتميز عن مدارس هذا الطراز.

٣) الطراز الثالث:

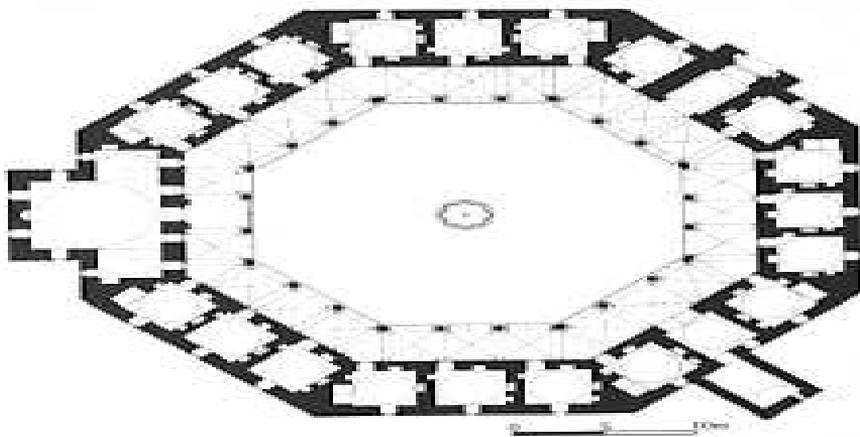
وهو الطراز الهندسي متعدد الأضلاع، ويمثله نموذج فريد في العمارة العثمانية ذو مسقط أفقي مثمان من الداخل ومربع من الخارج، وهذا النموذج هو مدرسة رستم باشا بمدينة إستانبول سنة ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م^(١) (صورة: ١٧٣)، والتي أنشأها أيضًا المعمار سنان.



صورة (١٧٣): مسقط أفقي لمدرسة رستم باشا بمدينة إستانبول ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م. نقلًا عن: Kuban, Ottoman Architecture, p. 340

(١) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٠٥؛ والمدارس التركية العثمانية ذات التخطيط المثمان بالتطبيق على مدرستي قايي أغاسي بأماسية ورستم باشا بإستانبول، منى محمد بدر، بحث ضمن أعمال ندوة «الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي»، ٣٠ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٩٤-٩٨.

ومن ثم فيمكن القول: إن سنان هو المبدع والمؤلف للتناغم الفني الفريد غير المسبوق وغير اللاحق لمخططات العماير العثمانية بمختلف وظائفها ومواضعها وأحجامها، وعند تأصيل هذا الطراز فإنه يمكن القول: إنه وُجد في عدد من المنشآت الأخرى قبل العهد العثماني خاصة في تخطيط التُّرب والمقابر، ثم انتقل منها إلى عمائر أخرى وصولاً للمدرسة، وقد عُرفت المدرسة المثمنة في الأناضول قبل العثمانيين^(١)، وبقي منها نموذج فريد أيضاً يتمثل في مدرسة قابي أغاسي بمدينة أماسيا سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م ذات التخطيط المثلث من الداخل والخارج^(٢) (صورة: ١٧٤).



صورة (١٧٤): مسقط أفقي لمدرسة قابي أغاسي في أماسيا. نقلاً عن:

Kuban, Ottoman Architecture, p. 221

٤) الطراز الرابع^(٣):

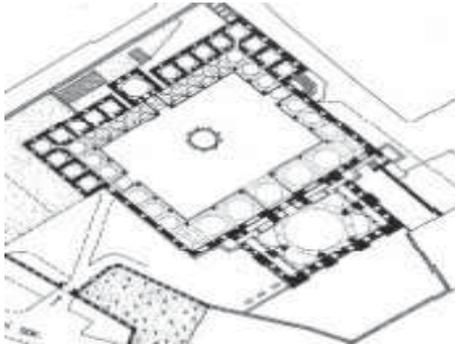
ويتمثل هذا الطراز أحد إبداعات المعمار سنان، إذ استغل أضلاع الحرم المكشوف (الصحن) الخارجي للمساجد الكلاسيكية، وقام بعمل خلاوي الطلاب خلف أروقة هذا الصحن من ضلعين أو ثلاثة، وقام في بعض النماذج بعمل قاعة للدرس، وبعضها خلقت من قاعات الدرس، ومن ثم كانت الدراسة تتم في حرم المسجد المغطى (بيت الصلاة)، ويندرج ضمن نماذج هذا التخطيط الفريد في حدود الدراسة

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٩١.

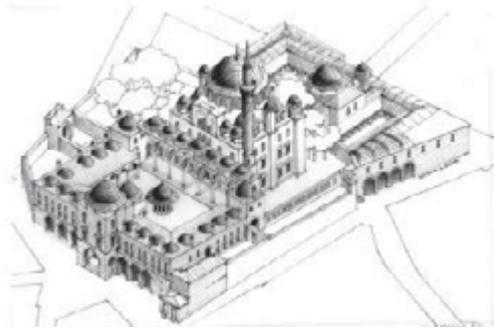
(2) Anadolu Medreseler (op. cit), (Aptullah Kuran), S. 65-67, 70 – 75.

(٣) تم تناول هذا الطراز بالتفصيل في رسالة (ماجستير) للباحثة أميرة عماد السباعي. لمزيد حول ذلك ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٢٢٤-٢٢٨.

مدرسة مهرماه سلطان بأدرنة قايي (سبق إيراد صور لها)، والتي تقع حجراتها حول صحن المسجد من ثلاث جهات غير متصلة، فيما حلت المدرسة من قاعة الدرس، وتوجد عدة نماذج أخرى لهذا الطراز بمدينة إستانبول وخارجها، وقد أطلق أستاذنا أ. د. محمد حمزة الحداد على هذا الطراز اسم الجامع المدرسة أو الطراز الجامع بين التخطيط التقليدي والمدرسة، وهذه النماذج هي: مسجد ومدرسة سوكللو محمد باشا في لولي بورغاز سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م، ومسجد ومدرسة سوكللو محمد باشا في قاديرغا سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م (صورة: ١٧٥)، ومدرسة ومسجد قره أحمد باشا في إستانبول (٩٦٢-٩٦٦هـ/ ١٥٥٤-١٥٥٨م) (صورة: ١٧٦)، ومدرسة ومسجد سنان باشا في بشكطاش بإستانبول سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م^(١)، وفي بعض النماذج جاءت قاعة الدرس بمنتصف خلاوي الطلاب على محور المحراب^(٢).



صورة (١٧٦): مسقط أفقي لمسجد ومدرسة قره أحمد باشا بإستانبول. نقلًا عن: (Ülker, İstanbul'un Tarihsel Topografyası, s. 487)



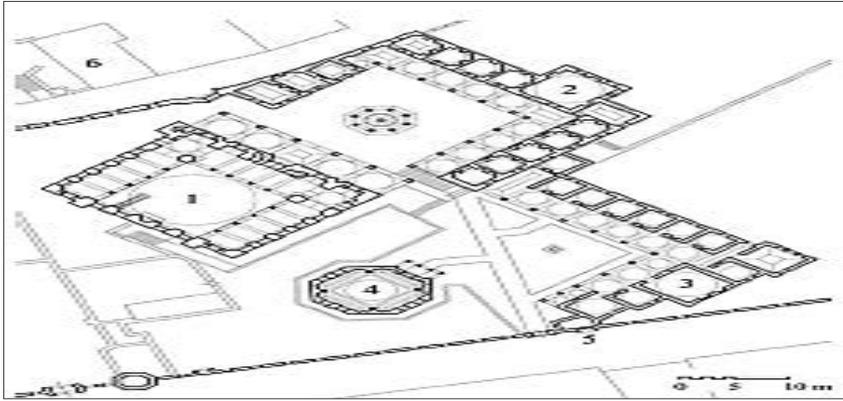
صورة (١٧٥): منظور لكلية سوكللو محمد باشا في قاديرغا. نقلًا عن: (Necipoğlu, The age of Sinan, p. 334)

أما في مجمع زال محمود باشا في إستانبول (صورة: ١٧٧) فرغم أن المدرسة بنيت بمواجهة المسجد وعلى محور المحراب، فإنه لا يوجد اتصال بينهما على غرار النماذج السابقة، ومن ثم صارت المدرسة منفصلة عن المسجد^(٣).

(١) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) ينظر: الطراز العثماني في منشآت التعليم بالقاهرة (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م) «دراسة أثرية معمارية»، مرفت محمود عيسى، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار-قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٦٣.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ١٩٢-١٩٣.



صورة (١٧٧): مسقط أفقي لمجمع زال محمود باشا في إستانبول
(نقلًا عن: الجامع المدرسة، السباعي، شكل ٦٦).

ثالثًا: التكايا (الخانقاوات):

تُعتبر التكية من المنشآت الدينية المميزة في العهد العثماني وكانت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة؛ حيث انتشرت الطرق الصوفية انتشارًا واسعًا مع نشأة الدولة العثمانية، حتى قيل إن حياة الجماهير الدينية خضعت لتأثير مشايخ الطرق الصوفية أكثر مما خضعت لرجال الدولة الرسميين^(١)، وربما يرجع ذلك إلى أن الدولة العثمانية نشأت في الأناضول حيث ورثت التراث السلجوقي بكل مقوماته، وقد كان للطرق الصوفية مكانتها المتميزة لدى السلاجقة، فقد انتشر الإسلام في آسيا الصغرى على يد رجال التصوف، مما دعم من مكانة تلك الطرق لدى الحكام والمحكومين علي السواء^(٢). ونظرًا للتشابه في تخطيط التكايا والمدارس، وفي الوقت نفسه قرب الوظيفة، فقد أُطلق على المدارس لفظ التكايا أو الخانقاوات، وهو ما يتضح في مصر أكثر من غيرها، حيث إن حجج الوقف للمدارس المملوكية كانت تحتوي على اسم الجامع والمدرسة والخانقاة، ووصل الأمر إلى أن عرفت المدرسة السلجمانية بالسروجية سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م، والمدرسة المحمودية بشارع بورسعيد سنة ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م باسم التكية السلجمانية، والتكية المحمودية^(٣).

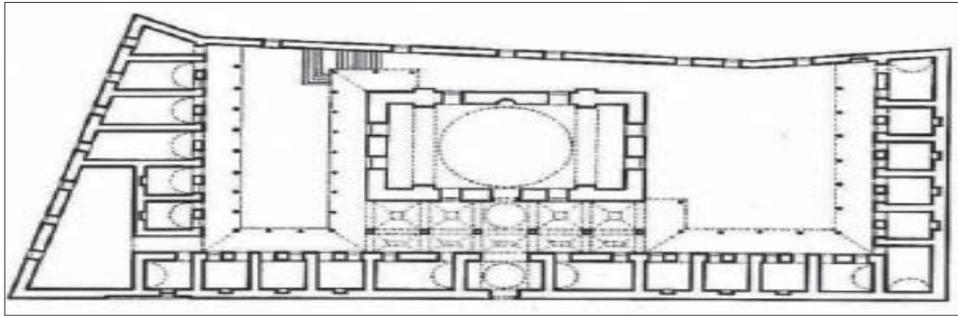
(١) ينظر: الأتراك العثمانيون، كارل بروكلمان، ص ١٠٤؛ والعمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٢٩؛ والعمائر الدينية غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٦٩.

(٢) ينظر: التكية المولوية «دراسة آثارية حضارية»، ماهر سعيد الخولي، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١٠٧؛ والجامع المدرسة في إستانبول، أميرة فتحي عماد السباعي، ص ٢٢٩.

(٣) ينظر: الطراز العثماني في منشآت التعليم، ميرفت عيسى، ص ١٩٧-١٩٨.

ومن ثم فإن تخطيط التكايا يُعدّ ماثلاً لتخطيط الطراز التقليدي للمدارس، إذ إن كليهما عبارة عن صحن مكشوف تحيط به الأروقة، وتأتي خلوات الطلاب في المدارس، أو حجرات المريدين في التكايا خلف هذا الرواق من بعض جوانبه أو كلها، وتحل في التكايا حجرة السمع خانة بدلاً من الدرس خانة في المدارس، وفي حدود الدراسة لا يوجد إلا تكية واحدة أقامتها نوريبانو سلطان ضمن كليتها الوقفية الكبيرة في إسكدار (٩٧٨-٩٩١هـ/ ١٥٧٠-١٥٨٣م) (سبق إيراد صور لها)، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة غير منتظمة الشكل يتوسطها صحن أو وسط مكشوف بمنزلة محور التكية الذي تتوزع حوله العناصر^(١)، وتحيط به الأروقة من جميع الجهات، وتقع حجرات المريدين البالغة ٣٥ حجرة خلف الأروقة من الجهات الأربع، وتأخذ جميعها إما تخطيطاً مربعاً أو مستطيلاً يغطي كلاً منها قبة، وقد فتح بكل منها فتحات للمداخل والنوافذ تطل على الرواق، أما قاعة السمع (سمع خانة) فتقع في منتصف الضلع الشمالي الشرقي، ويلاحظ أن التكية لا تحتوي على نوافذ تطل على الخارج في كل خلوة أو حجرة، وذلك عكس ما هو موجود في خلاوي الطلاب.

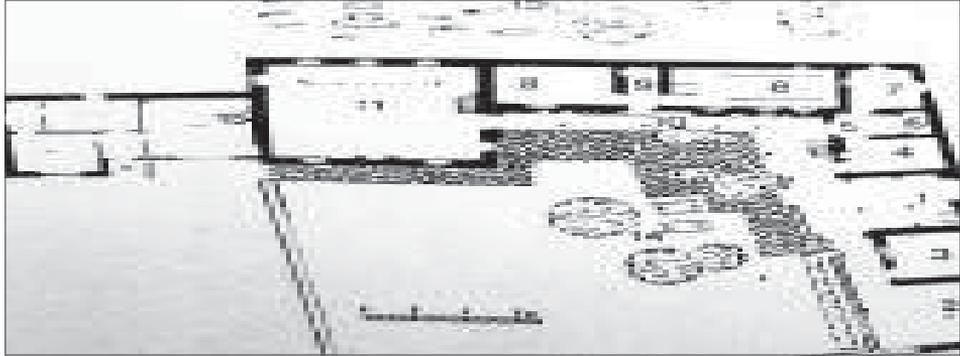
ويعاصر إنشاء هذه التكية، تكية سوكللو محمد باشا بمدينة قاديرغا سنة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م ضمن مجمعه الوقفي (صورة: ١٧٨).



صورة (١٧٨): مسقط أفقي لتكية سوكللو محمد باشا في قاديرغا
(نقلاً عن: الجامع المدرسة، السباعي، شكل ٥٣).

(١) ينظر: منشآت التصوف بمدينة القاهرة من الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر «دراسة أثرية حضارية»، هند علي منصور، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار-جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٨.

وقد سبق تناول طراز المسجد والمدرسة فيه ضمن الطراز الجامع بين التخطيط التقليدي والمدرسة في التخطيطات العثمانية، وقد قام المعمار سنان أيضاً بالإشراف على إنشائها ومن ثم فإن لمسات المعمار سنان الإبداعية قد طالت هذه التكية، وتندرج هي الأخرى ضمن الطراز التقليدي الذي لا يخرج عن تخطيط المدارس التقليدية، ويتكون هذا الطراز في جوهره من صحن أوسط مكشوف تحيط به الأروقة وتوجد خلفها حجرات المريدن^(١)، مع مراعاة أن حجرات المريدن في هذه التكية لا تقع خلف الأربعة أروقة كما هو الحال في تكية نوربانو سلطان، وتشابه مع هذا الطراز نماذج أخرى في مختلف المدن العثمانية، ومنها تكية الشيخ سنان في سراييفو في القرن ١١هـ/ ١٧م (صورة: ١٧٩)، وقد تهدمت ولم يتبق منها سوى بعض الخلاوي وقاعة السمع، وقد كانت تلتف الحجرات حول الصحن من جهتين اثنتين، وتكية محمد بك أبو الذهب ضمن مجمعه في مواجهة الجامع الأزهر بالقاهرة سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م^(٢).



صورة (١٧٩): مسقط أفقي لتكية الشيخ سنان في سراييفو. نقلاً عن:
Pasic, Islamic architecture, p. 78

(1) An Ottoman Building Complex Of The 16th : The Sokollu Mosque And Its Dependancies In Istanbul, (Doğan Kuban), Ars Orientalis, Vol.7, Michigan, 1968, P. 83;

والجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٢٣٠.

(٢) ينظر: رسوم العائز الدينية، منى عثمان مرعي، ص ٦٨٩؛

Türk Sanatı Tarihi, (C. E. Arseven), Istanbul, 1986, S. 90

المبحث الثاني

العمائر المدنية

أولاً: العمائر الخيرية أو عمائر الخدمة المجانية:

(أ) مكاتب الصبيان:

الكتاب جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة للأطفال الصغار، وهو من أبرز منشآت الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، وقد انتشرت في الأقطار الإسلامية انتشاراً كبيراً، وعُرفت بمكاتب الصبيان أو مكاتب الأيتام أو الكتاتيب أو مكاتب السبيل، أما في الغرب الإسلامي فقد عُرفت بأسماء أخرى منها المحاضر ومفردها محضرة^(١).

والكتاتيب في الإسلام هي مؤسسات تُخصص لمختلف مستويات التعليم الابتدائي، وتنقسم هذه المدارس الابتدائية إلى قسمين: كتاتيب الصبيان والكتاتيب الابتدائية، مما يعكس مدى تنظيم المجال التربوي في الدولة الإسلامية^(٢)، وأنشئت برعاية الوقف الإسلامي ابتداءً؛ إذ تكلف الواقفون برعايتها، وليس أدل على ذلك من نص وقف مكتب الصبيان بوقف نوربانو سلطان الذي يحدد أنها «وقفته ابتغاء مرضاة الله الملك الغفور وطلباً لمرضاة الرب الشكور، لتعليم القرآن العظيم وتفهم الفرقان الكريم، لصبيان الفقراء وفقراء الصبيان كائناً من كان»^(٣).

يقف الدارسون للتربية الإسلامية طويلاً أمام المكان الذي يوجد به الكتاب، ويميل أكثرهم إلى أن الكتاب قد بدأ في المسجد، ويرون أن استقلال الكتاب عن المساجد كان بسبب عبث الصبيان في المسجد، ولذلك فقد أمر المعلمون أن يتخذوا لهم أماكن منفصلة عن المساجد لتعليم الصبيان، ويذكر أنه قد وردت توصيات كثيرة تظهر أن الكتاب كان خارج المسجد، ومن ذلك ما قاله الإمام مالك عندما

(١) ينظر: العارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٦٠-١٦١.

(2) Islamic Architecture In The Balkans And Bosnia And Herzegovina, (Kemal Zukić), Iesco, 2000, P. 77.

(٣) وقفية نوربانو سلطان، ص ٢٠، س ١-٥.

سئل عن ذلك فقال: «لا أرى ذلك يجوز؛ لأن الأطفال لا يتحفظون عن النجاسة»^(١)، وقد ورد في كتب السنة ما يؤيد ذلك؛ لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين، ورغم ما قاله الفقهاء؛ فإن هناك شواهد تاريخية كثيرة تؤكد أن الكتّاب ظل أحياناً كثيرة في المسجد.

كانت مكاتب الصبيان بشكل عام تُمثل مع المدارس عنصراً أساسياً في تخطيط الكليات أو المجمعات المعمارية، حيث إن المجمعات عادة ما كانت تشتمل على مسجد وكتّاب أو مدرسة وعمارت ومسافر خانة، بالإضافة إلى عدد من المحلات التجارية^(٢).

وأما من حيث التخطيط فإن مكاتب الصبيان بصفة عامة تندرج ضمن النمط البسيط للمسجد القبّة، الذي سبق تناوله كأول أنماط طراز المساجد (داخل الدراسة)، وهو عبارة عن حجرة صغيرة أو حجرتين تغطي كل حجرة قبة أو قبو، وأحياناً أسقف مسطحة أو جملونية أو منحدرية، وفي بعض الأحيان يكون الكتّاب من طابقين ويضم مجموعة من الحجرات، وعادة ما يكون موقع مكاتب الصبيان بجوار المسجد كما سبق القول^(٣) (سبق إيراد صور لها).

ومما هو جدير بالذكر أن مكاتب الصبيان كانت تلحق بالمجمعات السلجوقية إلا أنه يلاحظ عدم بقاء أي أمثلة منها^(٤)، وألحقت مكاتب الصبيان بالكليات والمجمعات العثمانية في أثناء القرن ٩هـ/ ١٥م، ويظهر ذلك جلياً في كلية السلطان محمد الفاتح بإستانبول (٨٦٨-٨٧٦هـ/ ١٤٦٣-١٤٧١م).

وانتشرت مكاتب الصبيان بشكل كبير في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م، حيث وُجد مكتب الصبيان في كلية بايزيد الثاني بإستانبول (٩٠٧-٩١٢هـ/ ١٥٠١-١٥٠٦م)، ومن أشهر نماذج المجمعات المعمارية التي تضم مكاتب الصبيان: كلية خاصكي خرم بإستانبول (٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م)، وكلية شاهزاده محمد (٩٥١-٩٥٥هـ/ ١٥٤٣-١٥٤٨م)، وكلية مهرماه سلطان بإسكدار (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)، وكلية سوقللو محمد

(١) التريّة الإسلامية: نظمها، فلسفتها، تاريخها، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ٥٣.

(2) Islamic Architecture In Bosnia And Herzegovina (op. cit), (Amir Pašić), P. 13.

(3) Ibid, P. 74.

(٤) ينظر: المدارس الباقية في قونية والقاهرة، طلال محمد محمود الشعبان، ص ٣١٨.

باشا في لولي بورغاز (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)^(١)، وكلية السليمانية (٩٥٧-٩٦٥هـ/ ١٥٥٠-١٥٥٧م)، فقد ألحق بأولى مدارس مجمع السليمانية مكتب للصبيان، وهذا المكتب يتصل بالمدرسة الأولى عبر ردهة تخرج من إحدى خلاوي الطلبة، والمكتب عبارة عن قاعة تغطيها قبة، ويتقدم حجرة الكتاب حجرة أخرى مغطاة بقبة أيضاً وتستخدم للدروس الصيفية^(٢)، وكلية السليمانية في أدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/ ١٥٦٩-١٥٧٤م)، وكلية الوالدة العتيقة بإسكدار (٩٧٨-٩٩١هـ/ ١٥٧٠-١٥٨٣م)^(٣)، ومجمع برتيف محمد باشا في إزمير Pertev Mehmet Pasha (٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م)^(٤)، ومكتب بكلية الوالدة الجديد يامينونو (يني جامع) (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) قبل تهدمه، ومكتب صبيان السلطان محمود الأول الملحق بجامع آيا صوفيا بإستانبول (١١٥٥هـ/ ١٧٤٩م)^(٥)، وغير ذلك.

ومن ثم فإن نماذج الدراسة - كما سبق القول - قد تضمنت مكاتب للصبيان، وذلك في كل من مجع مهماه سلطان بإسكدار وأدرنة قايي، ومجمع خاصكي خرّم سلطان، ومجمع نوربانو سلطان، ومجمع ماهيكر كوسم سلطان بإسكدار، وأما مكتب مجمع خديجة تورخان فقد اندثر ولم يبق له أثر إذ كان ملتصقاً بالسبيل، ومن حيث مخططات تلك المكاتب فهي بسيطة وتندرج جميعها ضمن النمط البسيط الأول لطراز المسجد القبة، فتكون جميعها من مساحة مربعة صغيرة تغطيها قبة، مثل: مكتب مهماه سلطان بأدرنة قايي، ومكتب نوربانو سلطان، ومكتب ماهيكر كوسم سلطان، أو من مساحة مستطيلة تنقسم إلى مربعين متماثلين تغطي كل مربع منهما قبة كمجمع مهماه بإسكدار، ولم يختلف عن هذا الشكل سوى مكتب الصبيان بمجمع خاصكي خرّم سلطان، إذ ينقسم إلى مربعين تغطيهما أسقف مسطحة حالياً يعلوها

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 297.

(٢) ينظر: الطراز العثماني في منشآت التعليم، ميرفت عيسى، ص ٢٩٣.

(٣) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٢٣٢.

(٤) يقع الكتاب في الجانب الشمالي الغربي للحديقة الكلية، ويتقدم هذا الكتاب فناء تم تجديده بالكامل. ينظر: A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 301

(٥) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا «دراسة أثرية معمارية فنية مقارنة»، أميرة عماد فتحي السباعي، رسالة «دكتوراة»، غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠١٥م، ص ٥٠٥.

سقف منحدر خشبي، وتفتح إحدى الحجرات من الجانبين الشمالي الشرقي والشمالي الغربي لتطل على الخارج ببائكة من ثلاثة عقود، وغالب الظن أن هذا المكتب في أصله كان يشبه مكتب مهرماه بإسكدار.

ومن أشهر مكاتب الصبيان التي أقيمت في أوروبا العثمانية: مكتب غازي خسرو بك في سراييفو (٩٣٧هـ/ ١٥٣١م)، وقد ورد ذكر لهذا الكتاب في الوقفية الأولى لغازي خسرو بك، وهذا الكتاب مكون من طابقين ويشتمل على عدة حجرات ومغطى بسقف جمالوني^(١)، ومن الأمثلة الأخرى في أوروبا: جامع قيرشونلو (الجامع الرصاصي) في مدينة بيرات بألبانيا في القرن ١٠هـ/ ١٦م، ومكتب الصبيان الملحق بمسجد كراجوز محمد صوفي بك (٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م) في موستار^(٢).

ب) الأسبلة والعشيم:

تُعدّ الأسبلة فرعاً مهماً من أفرع العماير المدنية في الحضارة الإسلامية، وفي العمارة الإسلامية خاصة، ويندرج ذلك تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحاً اسم (العماير) أو (المنشآت الخيرية)، ويقصد بتلك العماير: الأبنية التي أنشئت رغبة في التقرب إلى الله وأملاً في ثواب الآخرة، وذلك بفعل الخير ومن ثم سبيلها أصحابها أي وقفوها في سبيل الله تعالى، وهذا يعني أن تلك الأبنية كانت لا تدر دخلاً للواقف يتصرف فيه كيف يشاء، ومن أشهر أنواع هذه العماير أو الأبنية الخيرية أسبلة الماء أو الأسبلة كما هو معروف وشائع، وقد اختلفت الآراء حول تفسير مدلول لفظة (السبيل) وأصل اشتقاقها من جهة، وارتباطها بنوع خاص معروف وشائع وهو أسبلة الماء من جهة ثانية، أما من حيث مدلول اللفظة وأصل اشتقاقها فيرى البعض أنها مشتقة من أسبل الماء بمعنى صبّه، وأسبل المطر بمعنى هطل^(٣).

(١) ينظر: عمائر غازي خسرو بك، آية عبد العزيز حسب الله، ص ١٧٧-١٨١.

(٢) موستار، هي عاصمة سنجق الهرسك، ويتخذها الكروات عاصمة لمقاطعتهم في البوسنة - الهرسك، وهي تقع على نهر نرتوه (نيريتفا)، الذي يشق مجراه عبر جبال الهرسك ويقسم موستار إلى قسمين، ومعنى كلمة موستار في اللغة البشناقية (البوسنوية) المدينة ذات الجسر، وهذا إشارة إلى الجسر الذي كان يربط بين جزأي المدينة التي كان يفصلها النهر بعدما فتحها العثمانيون بقيادة عيسى بك إسحاقفيتش، وبدأت تستقر فيها عائلات قادمة من آسيا الوسطى ومصر والهند والحجاز. ينظر: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٣٨٠.

(٣) ينظر: مدخل إلى الآثار الإسلامية، حسن الباشا، ص ١٦٣؛ والسقايات المغربية بمدينتي فاس ومراكش «دراسة أثرية

وعلى ضوء هذا التفسير انحصرت لفظة (السبيل) وصارت اصطلاحاً على نوع خاص من المنشآت المائية، وهو المعروف والشائع باسم السبيل أو السقاية، وهذه التسمية الأخيرة شائعة في الغرب الإسلامي، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب، بل وصل الأمر إلى القول: إن تسمية الكتاب بمكتب السبيل إنما ترجع إلى بئانه أعلى السبيل أو لارتباطه بهذا الموضوع^(١).

هذا ولم ترتبط هذه اللفظة بتلك الأبنية فحسب، وإنما ارتبطت أيضاً بالعديد من أوجه الأنشطة الخيرية الأخرى، ومن بينها، على سبيل المثال وليس الحصر، المصاحف المسبلة والتواييت المسبلة، والسواقي المسبلة والتُّرب والمدافن المسبلة^(٢)، كما أطلقت لفظة السبيل على الماء أيضاً، ف قيل له: الماء المسبل أي: الموقوف في سبيل الله^(٣)، كذلك هناك المال المسبل أي: الموقوف في سبيل الله تعالى، وغير ذلك^(٤).

ومما له دلالة أيضاً أن هذه الأبنية التي وُقت وخصّصت لتوفير المياه العذبة لينتفع بها الناس كل يوم وعلى مدار العام كله، تُعدّ الأبنية الخيرية الوحيدة التي ظل لفظ السبيل ملتصقاً بها حتى طغى على ما عداه من مصطلحات أخرى، ولا سيما في أثناء العهدين المملوكي والعثماني، ويؤكد ذلك المؤرخ الفاسي بقوله: «بمكة وحرمة عدة سقايات وتسمى أيضاً السبل، بسين مهملة وباء موحدة مضمومتين، جمع سبيل، وشهرتها عند الناس بالسبل أكثر، وهي كثيرة، إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه، وبعضها معروف مع الخراب»^(٥)، ولا تزال هذه اللفظة عالقة في أذهان الناس، خاصتهم وعامتهم إلى اليوم، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى استمرار هذا النوع من الأنشطة الاجتماعية في القيام بوظيفته الخيرية خير قيام، وهو الأمر

مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة»، محمد محمد مرسي الكحلواوي، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص ٣١٩.

(١) ينظر: أسبلة القاهرة المملوكية، محمد عبد الستار عثمان، مجلة المتحف العربي، السنة ٢، العدد ٣، الكويت، جمادى الأولى - رجب ١٤٠٧هـ / يناير - مارس ١٩٨٧م، ص ٨٦.

(٢) باعتبارها أنشئت وقتاً في سبيل الله تعالى، وابتغاء التقرب إليه بالطاعات.

(٣) ينظر: الخطط التوفيقية، علي باشا مبارك، ج ٦، ص ١٦٦.

(٤) ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ / ٧٩١م)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٨م، ج ٧، ص ٢٦٣.

(٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين محمد بن علي الفاسي (ت: ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٥٣٨-٥٣٩.

الذي كان من نتيجته ابتكار أشكال وأنماط من هذه الأسبلة بما يتناسب مع التقنيات الحديثة والمعاصرة.

وتنقسم طُرُز الأسبلة العثمانية إلى:

(١) طراز العجشة (الينوع):

وهو من أبسط الأسبلة عامة، والعثمانية خاصة، وهو يتكون في جوهره من دخلة أو حنية عميقة إلى حد ما، ويتوج هذه الدخلة أو تلك الحنية غالباً عقد مدبب، وتحتوي أرضية هذه الدخلة أو الحنية على حوض تصل إليه المياه من خلال الصنابير التي بصدر الدخلة أو الحنية، وقد يكون صنوبر واحد أو أكثر، وفي بعض النماذج يحل محل الحوض فسقية صغيرة تشبه إلى حد كبير الطشتية التي توجد في الأسبلة المملوكية ذات السلسيلات (الشاذروانات) وذلك أسفل لوح السلسيل، ومنها تصل المياه إلى الأحواض بأرضية الشباك أو الشبايك في الأسبلة، وقد اتخذت تلك الفساقية أشكالاً أخرى منها المفصصة والمستديرة والمربعة والمثمنة وغير ذلك، بل وصل الأمر إلى أن أصبحت مثل هذه العجشات مجرد نوافير مثبتة في واجهات العمارات المختلفة، وغير ذلك من الأشكال التي استحدثت في أثناء القرنين ١٢-١٣هـ/ ١٨-١٩م، بل والربع الأول من القرن ١٤هـ/ ٢٠م.

وقد بنى هذه العجشات من الحجارة المنحوتة أو من الرخام المصقول، ورغم صغر حجمها وبساطة تكوينها، فإنها صارت مجالاً للإبداع المعماري والفني، فحفلت بالنقوش الكتابية والزخرفية المتنوعة التي تُعدّ الغاية في الروعة والجمال والفخامة، ويكفي للدلالة على مدى انتشار هذه العجشات أنه كان يوجد منها في مدينة إستانبول وحدها حتى وقت قريب نحو ٨٠٠ عجشة، ولكن أكثرها تهدم لسبب أو لآخر وبعضها نقل إلى مكان آخر، ومن ناحية أخرى فإن سجل الأراضي (الطابو) في عهد السلطان مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠) يشير إلى أنه كان يوجد نحو ١٠٣٩٠ سبيلاً تقوم بوظيفتها على خير وجه^(١)، ومن بين النماذج الباقية في مدن أوروبا العثمانية: عجشة قره مصطفى باشا وعجشة كلبهارخاتون

(١) ينظر: الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، محمود الحسيني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٢٩١.

وچشمه حسين باشا وچشمه سنان أغا في أدرنة^(١)، وهذه چشمه تتبع النمط التقليدي الموروث عن چشمات السلجوقية في الأناضول، والذي استمر في العديد من مدن الأناضول في العهد العثماني^(٢).

وفي إستانبول بقيت نماذج عديدة تقليدية ومتطورة، ومنها چشمه داود باشا سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، وهي أقدم النماذج الباقية، وچشمه إسماعيل أغا سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م، وچشمه (Keman Kaş) سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م، وچشمه بركة زاده سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م، وچشمه حسين باشا سنة ١١٥٤هـ/١١٦٨م وغير ذلك^(٣)، وأما داخل حدود دراستنا فإنه وُجد عدد من نماذجها منها: چشمه الملحقه بحمام خاصكي سلطان بالواجهة الغربية، وچشمه الملحقه بمجمعها في أورتازار إلى جوار المدخل، وچشمه الواقعة بسور الكتلة الأولى لكلية ماهيكر كوسم سلطان بإسكدار، وهي نماذج في مجملها بسيطة عبارة عن حنايا رخامية يخرج منها صنوبر يقع بأسفله حوض التسبيل الرخامي في أغلب الأحيان أو الحجري.

وقام د. محمد حمزة من قبل بدراسة تحليلية لذلك النمط على ضوء ما تبقى من نماذجه في الأقطار العربية والإسلامية، وقد أثبت أن أقدم أنموذج باقٍ منه هو ما يوجد على جانبي مدخل مجمع صاحب عطا في قونية بالأناضول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وعليها اسم مهندسها كولوك بن عبد الله^(٤).

٢) طراز الأسبلة التقليدية:

يتكون هذا الطراز في جوهره من مساحة مستطيلة أو مربعة تختلف من سبيل إلى آخر حسب المساحة المخصصة للبناء، وفيما إذا كان مستقلاً أو ملحقاً بغيره من العمائر، ويطل السبيل غالباً على الشارع من خلال واجهة تشتمل على شبابيك التسبيل التي يتراوح عددها في هذا الطراز بين ثلاثة وخمسة شبابيك، وأحياناً يتوج هذه الشبابيك عقود مستقيمة (أعتاب) ولكنها غالباً ما توضع في دخلات

(1) Fiskiyeli Turk Cesmeleri, (Y. Onge), Vakıflar Dergisi, XXII, Ankara, 1991, Resimler, 15.

(2) Talas Ta Turk Devri Yapıları, (K. Turkmen), Vakıflar Dergisi, XXVI, Ankara, 1997, S. 161-164, 181, Resimler 43-52.

(3) Istanbul Cesmeleri, (O Barişta), Ankara, 1991, S. 3 - 85

(٤) ينظر: الأسبلة السلطانية الباقية بالقدس الشريف، محمد حمزة الحداد، ضمن أعمال ندوة «فلسطين عبر عصور التاريخ»، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب-جامعة القاهرة، في الفترة (٤-٦ نوفمبر ١٩٩٥م).

تتوج بعقود يختلف نوعها من سبيل لآخر، وترتكز هذه العقود على أعمدة مدجة، وتغطي حجرة السبيل غالبًا قبة يختلف طرازها من سبيل لآخر أيضًا، كما يوجد رفرف أعلى واجهة السبيل غالبًا ما ينتهي بنهاية الواجهة، وأحيانًا يمتد إلى الجانبين متصلًا بما يتوج واجهة المبنى الملحق به، وقد حظيت هذه الأسبلة بالعبارة الفاتحة، سواء من حيث عمارتها أم من حيث نقوشها الكتابية والزخرفية، وخير ما يؤكد ذلك تلك الرسوم المحفورة والصور الفوتوغرافية النادرة من القرن ١٣هـ/ ١٩م^(١) إضافة إلى النماذج الباقية، كذلك كانت توقف على تلك الأسبلة الأوقاف الكثيرة المغلة حتى تقوم بوظيفتها المنوطة بها خير قيام، فضلًا عن صيانتها وغير ذلك من أوجه الصرف المختلفة.

وترجع أقدم النماذج الباقية إلى النصف الثاني من القرن ١٠هـ/ ١٦م، وتتمثل في السبيل الذي أحلقه قوجه معمار سنان بتربته في إستانبول^(٢) قبل سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م، وهو ذو خمسة شبايك مربعة أي تعلوها عقود مستقيمة أو أعتاب، ويتوج واجهته رفرف مائل للأسفل وقبته ذات تضييعات منفصلة، ومن الأمثلة التالية مباشرة سبيل الصدر الأعظم قوجه سنان باشا^(٣) الملحق بمجمعه بالقرب من حي بايزيد في الجزء الأوروبي من إستانبول سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م، ويُعدّ أول نموذج باق لظهور البائكة الثلاثية التي تحدد هيئة الشبايك، وتتكون هذه البائكة من عقود مدبية تركز على أعمدة مدجة، أما فتحات الشبايك نفسها فمربعة أيضًا (أي: تعلوها عقود مستقيمة أو أعتاب)، ومن الأمثلة التالية كل من: سبيل مراد باشا (١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)، وسبيل غضنفر أغا (١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م)، وسبيل بيرم باشا (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م)، وسبيل السلطان إبراهيم في مقابر آيا صوفيا (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)، وسبيل قره مصطفى باشا (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م)، بإستانبول وغير ذلك^(٤).

ومن أمثلة الأسبلة ضمن هذا الطراز داخل حدود الدراسة سبيل السلطنة

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), pp. 377, 384, 442

(٢) ينظر: فنون الترك وعمارهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٧؛
The World Of Ottoman Art, (Michael Levey), Thames And Hudson, London, 1976, P. 94.

(٣) ينظر: نماذج من منشآت ولاية مصر العثمانية، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ٢٦٣، صورة (١٠).
(4) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), pp. 347, 377.

ماهيكر كوسم الملحق بمجمعها المعروف بمجمع چينيلي ياسكدار، وهو من الأسبلة ذات الواجهة المستقيمة الملحقة بسور خارجي، ويشبه من حيث تكوينه سبيل رستم باشا بجامع شهزاده محمد (٩٦٨هـ/ ١٥٦٢م)؛ إذ تتوافر فيهما العناصر المكونة للأسبلة، وهو عبارة عن مكعب من الرخام له واجهتان: الداخلية منها تطل على حرم المسجد، والخارجية تطل على الشارع الخارجي لتزويد المارة بالماء، وبينهما حوض رخامي صغير ذو شكل بيضاوي، وقد عُثِي السبيل من الخارج بمصبغات معدنية، أما من الداخل فمكسو بكسوة رخامية تنقسم إلى منطقتين أفقيتين: السفلية منها عبارة عن أربع فتحات معقودة بعقود مدببة لتسبيل الماء، تعلوها مباشرة منطقة من الرخام المفرغ قوامها الزخارف الهندسية.

٣) الطراز الجامع بين الطرازين:

يُعدّ هذا الطراز مبتكرًا، حيث جمع المعمار فيه بين طراز السبيل التقليدي وطراز الجشمة في مبنى واحد، ولم يحدث ذلك إلا في عصر اللاله في أثناء عهد السلطان أحمد الثالث، وإن أروع النماذج الباقية كافة وأبدعها: سبيل وچشمة السلطان أحمد الثالث في الميدان الواقع أمام باب همايون بطوبقابي سراي بإستانبول^(١) سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٨م، وهو عبارة عن مساحة مربعة وضعت في أركانها أربعة أسبلة ذات واجهة مقوسة أو نصف دائرية بواقع سبيل في كل ركن فتحت به ثلاثة شبابيك، ويتوج كل سبيل قبة صغيرة تظهر رقبتها القصيرة وخوذتها المضلعة وكأنها خارجة من الرفرف الخشبي الذي يتوج واجهات السبيل، ومن الأسبلة التالية التي صُممت وفق ذلك الطراز الجديد كل من: سبيل وچشمة السلطان محمد الرابع في باب العزب (Azapkapi) سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، وسبيل وچشمة قوجه يوسف باشا سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، وسبيل وچشمة مهرشاه سلطان سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، وسبيل وچشمة إبراهيم باشا^(٢)، وغير ذلك.

ويمكن أن ندرج ضمن هذا الطراز داخل حدود الدراسة؛ السبيل والچشمة الملحقين بكلية الوالدة الجديدة (يني والده) بإمينونو لخديجة تورخان سلطان، مع

(١) ينظر: العمارة في الحضارة الإسلامية، عبد القادر الرحاوي، ص ٣٦١، ٤٨٠؛

The World Of Ottoman Art (op. cit), (Michael Levey), Pp. 119.

(٢) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٨.

مراعاة الاختلاف مع النماذج السابقة، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء أو وحدات: حجرة السبيل التي تبرز منها كتلة من ثلاثة أضلاع تطل على الواجهة الجنوبية الشرقية لتحتوي على ثلاثة شبابيك تسييل، والحزان المربع الذي وضعت في واجهته الجنوبية الشرقية چشمة رخامية بصنوبر واحد يقع أسفله حوض التسييل، في حين يأخذ فناء السبيل الداخلي حول الحجرتين السابقتين هيئة حرف (U)، ومن ثم فإن تخطيطها متميز.

وهكذا كانت أسئلة الماء من بين العماير أو المنشآت التي قامت بدور بارز في تحقيق الرعاية الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، ذلك الدور الذي يعبر عن روح الإسلام وقيمه ومثله، والتي لولا نظام الوقف ما نجحت في تحقيق ذلك الدور واستمرار المنفعة ودوامها.

ج) المطاعم الخيرية (العماير أو العمارة)، والتابخانات (المسافر خانة):

حفلت الحضارة الإسلامية بالكثير من العماير التي انفردت وتميز بها المجتمع الإسلامي من دون غيره من المجتمعات البشرية عبر العصور، وقد استلهمت هذه العماير مقومات وجودها وازدهارها من طابع الرحمة والصفاء النفسي والروحي الذي اتصفت به شريعة الإسلام، هذا وقد ازدانت المدن الإسلامية الكبيرة بكثير من المنشآت الخيرية، والتي لعبت دورًا حيويًا في الحياة الاجتماعية لأفراد المجتمع الإسلامي، ومثل هذا النوع من العماير الوقفية والخيرية كان غاية في الإخلاص، إذ أنشئت برعاية الوقف الإسلامي ابتداءً؛ وتكلف الواقفون برعايتها، وليس أدل على ذلك من نص وقف عمارت نوربانو سلطان، إذ ذكرت الوقفية ما نصه: «وأما العمارة العامرة التي بنتها بجانب المسجد بما تشتمل عليه بكافة المشتملات ومأكل نظيف عديم المثال، وعلى خان وكنيف ومحطب، وما هو أليق بها وأنسب، ووقفتها على فقراء الفقراء والمساكين، وزمرة الضعفاء والمحتاجين من المقيمين والمسافرين والنازلين والصادرين»^(١).

(١) ويدل هذا النص بما لا يدع مجالاً للشك على أن الخان والمطبخ والتابخانه إنما هي من ملحقات العمارة الشريفة. لمراجعة نص الوقفية، ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٢٠، س ٦-١٤.

هذا وقد تعددت وتنوعت هذه المنشآت بشكل كبير، وكان من بين هذه المنشآت العمارت أو ما يطلق عليها اسم (دور المرق) أو (المطاعم الخيرية)، وقد استمرت هذه المنشآت في تأدية وظيفتها التي أنشئت من أجلها رغم وفاة منشئها، وذلك بفضل نظام الوقف الإسلامي الذي ازدهر مع ازدهار الحضارة الإسلامية، والذي ضمن مثل هذه العمائر دخلاً ثابتاً ومتزايداً لضمان استمرار بقائها في تأدية الخدمات لأفراد المجتمع كافة.

وهذا النوع من المنشآت الخيرية كان غالباً يبنى كجزء من مجموعة معمارية كبيرة^(١)، وكانت تختص بتقديم الطعام والشراب لعابري السبيل والمسافرين ولقاطني المسافرين خانة من المسافرين، وكانت أيضاً تقوم بخدمة المنشآت التابعة للوقف التي هي جزء منه؛ مثل: سكان الخانات من التجار والباعة، وسكان الخنقاوات من الدراويش، وطلاب المدارس وغيرهم والعاملين بها.

أما عن المسافر خانة فكان أولها بناءً على يد العثمانيين: تلك التي بناها السلطان أورخان في مدينة إزنيق سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، ثم تبعه بعد ذلك مجموعة من السلاطين والأغنياء وكبار رجال الدولة^(٢).

أما فيما يتعلق بطرز تلك العمائر الخيرية وأماطها فلا يختلف تخطيط هذه المطاعم الخيرية (عمارت) عن طراز المسجد على هيئة حرف (T)، وليس أدل على ذلك من أن بعض تلك المطاعم قد أصبحت مساجد^(٣).

ومن أول نماذج هذه العمائر في الأناضول: عمارت نيلوفر خاتون في إزنيق والمعروفة أيضاً بزاوية نيلوفر خاتون سنة ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م (سبق إيراد صورة لها)، وعمارة يعقوب جلبي في إزنيق قبل سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م، وقد انتشرت تلك المنشآت في كثير من المجمعات العثمانية ومنها: عمارت ضمن مجمع السلطان بايزيد في أدرنة، وعمارت ضمن المجموعة الخضراء في بورصة، وعمارت ضمن مجمع السليمانية، وعمارت ضمن مجمع نور عثمانية، وعمارت ضمن مجمع السلطان أحمد بإستانبول،

(1) Dictionary Of Islamic Architecture (op. cit), (Andrew Petersen), P. 115.

(٢) ينظر: الثقافة الإسلامية والعربية في البوسنة، صالح أحمد جولاقوفيتش، ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ٢١٣-٢١٤.

وعمارت ضمن مجمع سوكللو محمد باشا في Payas^(١).

إلا أنه لم يُشترط هذا التخطيط في بناء العمارات، وليس أدل على ذلك من العمارات التي تندرج ضمن حدود الدراسة، ممثلة في عمارت كلية خاصكي خرّم سلطان في أورتابازار بإستانبول (سبق إيراد صورة لها)، وعمارت كلية الوالدة العتيقة (نوربانو سلطان) في إسكدار (سبق إيراد صورة لها)، وكلتاهما من تخطيط منتظم الشكل ذي شكل مستطيل، يتوسطه صحن يحيط به رواق من ثلاث جهات تأتي خلفها الحجرات مثل عمارت نوربانو سلطان، إذ جاء الفناء فيها على هيئة حرف (T)، أو أربع جهات كما في عمارت خاصكي خرّم سلطان، التي تُعدّ أكبر وحدات الكلية المعمارية دلالة على أهميتها ودورها في الرعاية الاجتماعية والنفع العام للمنطقة، وقد جاء تقسيمها بشكل مزدوج متطابق، بمعنى أنها تتكون من قسمين متماثلين مثلها في ذلك مثل دار الشفاء.

وقد انتشرت نماذج هذه العمارت في أنحاء الدولة العثمانية كافة لا سيما في أوروبا، وأقيمت في منطقة البوسنة والهرسك - على سبيل المثال - عدة نماذج منها تضم عمارت للإطعام ومسافر خانه للمبيت مثل: عمارت ومسافر خانه غازي عيسي بك في سرايفو سنة ١٨٦٧هـ / ١٤٦٢م، وعمارت ومسافر خانه كراجوز بك في موستار، التي ترجع لتاريخ الوقف الذي أقامه في موستار^(٢) فيما بين عامي ٩٦٥-٩٧٨هـ / ١٥٥٧-١٥٧٠م^(٣)، وعمارت غازي خسرو بك وهي تختلف تمامًا عن طرز العمارات التي على هيئة حرف (T)، إذ إنها أخذت شكلاً وتخطيطاً يتلاءم مع الظروف البيئية والموارد المتاحة بما لا يحدث خللاً في تأدية وظيفتها التي أنشئت من أجلها، وجاءت على شكل مجموعة من الوحدات المتجاورة والتي تتكامل فيما بينها تأدية مهمتها، فكانت هذه العمارت تتكون من طابقين: الطابق الأول: عبارة عن ساحة واسعة تلتف حولها بأثكة ربما كانت تستخدم هذه الساحة لمبيت الدواب (إصطبل)، وتفضي هذه الساحة إلى ساحة أصغر منها في المساحة تؤدي إلى المطبخ ذي المساحة المستطيلة المقسمة إلى

(١) المرجع السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) ينظر: عمائر غازي خسرو بك، آية عبد العزيز حسب الله، ص ٣٢١.

(٣) ينظر: الثقافة الإسلامية والعربية في البوسنة، صالح أحمد جولاقوفيتش، ص ٢٢٤.

قسمين من الداخل، وفي مواجهة هذا المطبخ توجد حجرة أسفل الأرض كانت تستخدم كمخزن، أما الطابق الثاني: فكان يتم الوصول إليه عن طريق سلم خشبي، وهذا الجزء هو ما يطلق عليه اسم المسافر خانه أو نزل المسافرين، وقد خُصص هذا المكان لسكن المسافرين وعابري السبيل وغيرهم لمدة ثلاثة أيام من دون مقابل، وكانت هذه المنشأة عبارة عن حجرتين مسقوفتين بالخشب^(١).

وهكذا فقد قام المعمار بإنشاء تخطيط جديد وطرز مختلف لما كان متعارفاً عليه في عمارة العمارات أو ما يعرف باسم المطاعم الخيرية، ولكن لم يتعارض هذا التخطيط الجديد مع الوظيفة المنوط بهذه المنشأة القيام بها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على براعة وقدرة المعمار المسلم على الابتكار والتجديد.

ومن حيث عدد الحجرات في العمارات فإنها تختلف من واحدة لأخرى؛ تبعاً لحجم الوقف والتمويل من ناحية، والموقع الذي تنشأ عليه العمارات من ناحية أخرى، ويمكن تناول نماذج مما أنشئ من قبل نساء القصر العثماني كالآتي:

م	العمائر الوقفية	عدد قاعات الطعام	المطبخ	إجمالي الحجرات
١	عمارت خاصكي سلطان	٨	٦ حجرات، منها قاعتان كبيرتان وأربع أصغر	١٤
٢	عمارت مهروماه سلطان	٨	غير معلوم لكنها كانت تضم مطبخاً ونخبزاً	٨<
٣	عمارت وتابخانه نوربانو سلطان	١٠ + ١٠	٢ + ٢	٢٤

ثانياً: العمائر التجارية:

هي منشآت ذات غرض ربحي غالباً وأحياناً مجاني ينشأ كلاهما كجزء من الوقف، إما لتمويله وإما لتقديم خدمات مجانية، وطبقاً لحدود الدراسة فإنه لدينا منها نموذجان أو طرازان؛ هما الأراستا ممثلة في أراستا الوالدة الجديدة بإمينونو (البازار المصري) لخديجة تورخان، والخانات ممثلة في لبلييجي خان لخاصكي حرم سلطان الذي وقفته على كليتها، وخان نوربانو سلطان وقد كان في الأصل خاناً وقفياً بمنزلة

(١) ينظر: عمائر غازي خسرو بك، آية عبد العزيز حسب الله، ص ٣٢١-٣٢٢.

نزل للغرباء لا ربحي، وخان الوالدة الكبير أكبر خانات مدينة إستانبول لماهبيكر
كوسم سلطان.

(أ) الأراستا^(١):

تُعدّ الأراستا كمصطلح معماري تجاري وقفي من مستحدثات العمارة العثمانية، فلم تكن تُعرف قبل ذلك، وقد اعتمدت الأراستا في تخطيطها المعماري على صف من المحلات المتجاورة التي تنتظم على جانب شارع من الشوارع أو على جانبي ممر أوسط يكون مكشوفاً أو مغطى، وقد بنيت أول نموذج من نماذج الأراستا بمدينة إستانبول عقب فتح المدينة مباشرة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م على يد السلطان محمد الفاتح، إلا أنها تهدمت ولم يبق منها سوى اسم الموضع الذي كانت تُعرف به، وقد أنشأها السلطان محمد الفاتح لتكون محل عمل السراجين الذين يصنعون سروج الخيل ورحالها، ولذا عرفت باسم سراجخانه (Saraçhane)، حيث شرع هؤلاء في ممارسة حرفتهم داخل البازار المغطى الذي شيّده السلطان الفاتح، ثم لم يلبث أن أقام لهم السلطان سوقاً في الحي الذي يعرف باسمهم إلى اليوم قرب مجمعه المعماري الضخم بالمدينة سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ونقلهم إليها، ووقف ريع هذه الأراستا على جامع آيا صوفا، وكان عدد حوانيت تلك الأراستا يبلغ ٣٠٠ حانوت قبل الحريق الذي نشب بالمنطقة في نهاية القرن ١٧م سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م^(٢)، ووُزعت تلك المحلات على جوانب شوارع متجاورة، ولم تكن تُعرف الأراستا في تلك الفترة، حيث إن لفظة «الأراستا» كانت تطلق على زقاق بائعي المنسوجات المطرزة، إلا أنها من حيث التخطيط المعماري الذي عرفت به بعد ذلك فتعدّ سراجخانه أقدم نماذجها التي شيّدت في العهد العثماني^(٣)، وقد ذكرها الرحالة أوليا جلبي في رحلته، حيث رآها قبل الحريق الذي دمرها بعد عدة سنوات، وذكر أصناف العاملين بها

(١) لمراجعة جميع أشكال وتخطيطات نماذج الأراستا العمانية وتحليل أنماطها، ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، رسالة ماجستير، محمد أحمد ملكه، ص ٣٢١-٣٣٠، ص ٥٧٢-٥٥٥، الأشكال (٧٣-١٠٩).

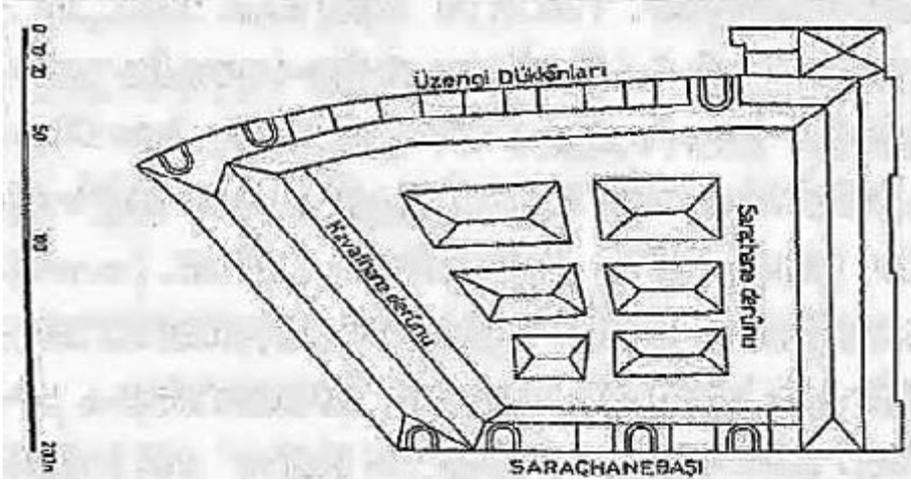
(٢) ينظر: الدولة العثمانية، أكمل الدين إحسان أوغلي، ج ١، ص ٧٥٢؛

Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, "Saraçhane".

(٣) ١٣ عصري هجري دي إستانبول حياتي بايام-صباح، علي بك رضا، ٣١ تشرين أول (أكتوبر) ١٩١٩م، إستانبول، ١٣٣٧-١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، ص ٣.

Istanbul Saraçhanesi Ve Saraçianna Dair Bir Araştırma, (M. Çağatay Uluçay), Td, İli/5-6, 1953, S. 148; Fetvalar Işığında Osmanlı Esnafı, (Tahsin Öz), İstanbul, 2003, S. 133.

من صناع السروج وبائعها، حيث كانت تستخدم كمكان صناعي وتجاري في الوقت نفسه تحت إشراف طائفة السراجين، وأن معظم العاملين بها كانوا من العرب^(١)، وقد حاول البعض وضع تصور لتخطيطها (مثل إيفردي) (صورة: ١٨٠).



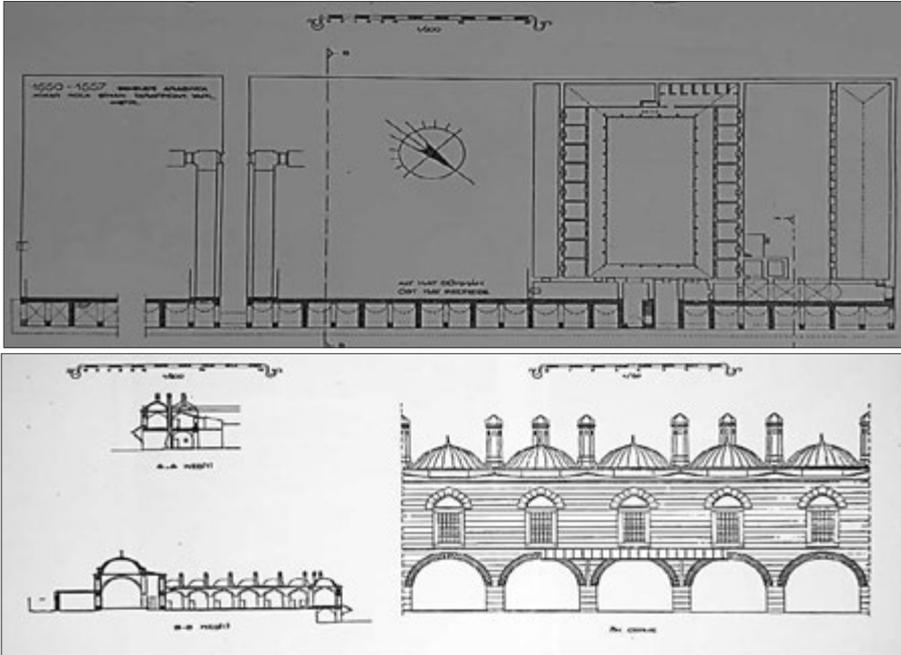
صورة (١٨٠): تخطيط تصوري لما كانت عليه سراجخانه
(نقلًا عن: المنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٥٥).

وتميزت الأراستا بتخطيطها المتميز المكون من شارع أو ممر تصطف على جانب منه أو على الجانبين المحلات في شكل متناسق ومتوازن، وقد توالى بناؤها في مختلف أقطار الدولة العثمانية، إلا أن مدينة إستانبول باعتبارها عاصمة الدولة حظيت بالحظ الأوفر من بنائها، فشيّد بها العديد من نماذج الأراستا ولا سيما ملحقة بالكليات المعمارية الكبرى: لتدر دخلاً ضمن نطاق منظومة الوقف الإسلامي بالمدينة، وتعدّ أول النماذج الباقية من الأراستا في مدينة إستانبول هو أراستا مجمع السلليمانية، وقد جاءت أراستا السلليمانية في أبسط شكل لتخطيط الأراستا التجارية مع وقوعها في مناطق متباعدة من المجمع الضخم الذي اكتمل بناؤه سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م، حيث جاء تكوينها البسيط من صف من المحلات المتجاورة التي تطل على شارع خارجي بفتحاتها المعقودة، حيث عرف الجزء الأول منها باسم سوق الأفيون (-Tiryaki Çar-İŞİ)^(٢) (صورة: ١٨١)، والتي استخدمت كمقاهٍ واشتهرت بها وذكرت لدى عديد

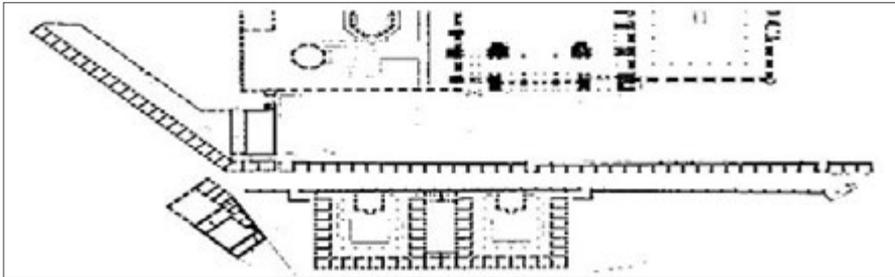
(١) ينظر: سياحتنامه سي، أوليا جلبي، برنجي جلد، ص ٢٨٤.

(2) Die Märkte Von Istanbul Und Der Bedeckte Bazar, (Orhan Erdeman), Yenilik Basimevi, Istanbul, 1965., P. 14; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), Pp. 257, 266.

من الرحالة الأوروبيين^(١)، وعلى الرغم من اختلاف وظيفتها مع اسم الأراستا الدال على المنسوجات، فإنها عرفت باسم الأراستا لإثبات انتمائها إلى الطراز المعماري المتميز الذي عرف به هذا التخطيط في أثناء العهد العثماني، في حين جاء الجزء الآخر من أراستا مجمع السلبيانية بالجزء الشرقي من المجمع وهو بنفس تخطيط الجزء الأول (صورة: ١٨٢).



صورة (١٨١): المسقط الأفقي لأراستا الأفيون (Tiryaki Çarşısı) بمجمع السلبيانية (نقلًا عن: المنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٥٧).



صورة (١٨٢): الجزء الثاني من أراستا مجمع السلبيانية (نقلًا عن: المنشآت التجارية العثمانية الباقية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٥٧).

(1) A Relation Of A Journey Begun Anno Dom: 1610, (George Sandys), Favre Books, London, 1615, P. 66; The Ottoman Commercial Buildings (op.cit), (Mohamed H. Al-Haddad & Mohamed Ahmed Malaka), P. 292.

إلا أن تخطيط الأراستا الذي عرفت به كمصطلح معماري بين الباحثين وبعضهم هو الشكل المتطور عن التخطيط البسيط السابق، وهو الذي يتألف من ممر أو وسط يكون مكشوفاً أو مغطى وتقع على جانبيه الحجرات والمحلات، ومثله داخل حدود الدراسة كلية الوالدة الجديدة «يني والدة»، التي اشتملت على أبداع نماذج الأراستا بمدينة إستانبول (سبق إيراد صورة لها)؛ إذ تأخذ نمطاً فريداً في تخطيطها من بين أنماط الأراستا الأخرى، حيث جاء تخطيط تلك الأراستا هيبئة لم يسبق وجودها على هيبئة ممرين أو شارعين مسقفين متعامدين على بعضهما ليكونا بذلك هيبئة حرف «L» تقع على جانبيه الداخلين محلات تجارية، وتلتصق بعض المحلات في أحد جوانب الضلع الأصغر منهما من الخارج، وعلى الرغم من أن البناء لم ينجز في مرحلته الأولى سنة ١٠٠٥-١٠١١هـ/١٥٩٧-١٦٠٣م فإنه جاء بالهيبئة التي صممها المعمار داود آغا منذ ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م^(١)، وعلى الرغم من أن وقفية خديجة تورخان سلطان التي أكملت بناء السوق سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م أشارت إلى الأراستا بكلمة (Çarşı) وليس أراستا^(٢)، فإن المؤرخ محمد آغا السلحدار أشار إليه باسم سوق الوالدة، وعرف كذلك باسم السوق الجديد^(٣)، وقد عرف منذ أواخر القرن ١١هـ/١٧م باسم البازار المصري؛ نظراً لبيع المنتجات القادمة عبر مصر بداخله^(٤)، وعرفت بتميزها بين أنماط الأراستا التجارية^(٥).

وفي أثناء فترة توقف أعمال البناء في البازار المصري ومجمع الوالدة الجديد، أمر السلطان أحمد الأول ببناء مجمعه أعلى التل الأول بمدينة إستانبول فيما بين أعوام ١٠١٨-١٠٢٥هـ/١٦٠٩-١٦١٦م، ليحتوي المجمع ضمن وحداته على أراستا تجارية تطل على ساحل بحر مرمرة وتتقدم الجامع الأزرق جهة الشرق، وقد احتوت وقفية السلطان - التي أرخت للمجمع وحددت أوقافه - من بين ألفاظه على كلمة

(1) Türk Mimarları, (Ahmed Refik), Istanbul, 1937, S. 31.

(2) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٧٢-٧٣.

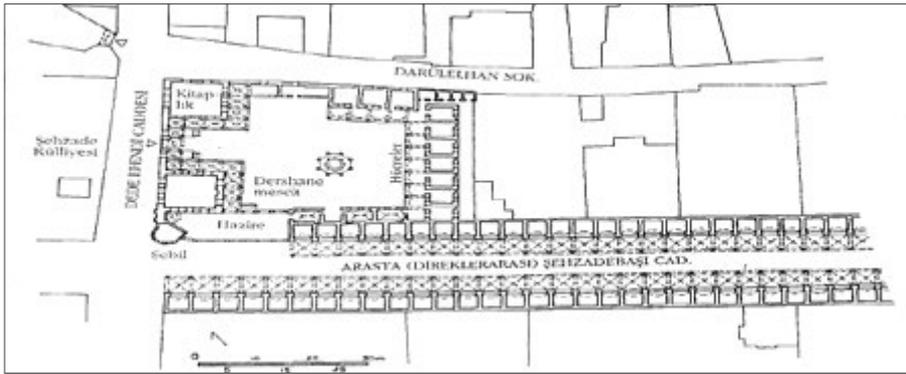
(3) ينظر: سلحدار تاريخي، فيندقلي محمد آغا سلحدار، برنجي جلد، إستانبول، ١٩٢٨م، ص ٢٠٨.

(4) حيث أورد تسمية تلك الأراستا باسم البازار المصري منذ النصف الثاني من القرن الـ ١١هـ/١٧م كل من: الرحالة التركي أوليا جلبي، والرحالة الأرمني إرميا جلبي (Ermya Çelebi Kömürçüyan)، ينظر: العارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٨؛ (Mustafa Cezar) pp. 166-167. Typical Commercial Buildings (op. cit).

(5) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 340.

أراستا، لتكون بذلك أول ذكر لكلمة الأراستا في الوثائق والوقفيات الرسمية^(١). وتُعدّ كلٌّ من أراستا السوق المصري وأراستا السلطان أحمد الأول من نماذج الأراستا المستقلة في عمارتها عن المجمع الذي ألحقت به، وهو الأمر الذي يميز نظام بناء الكليات أو المجمعات المعمارية في العهد العثماني، حيث لم يشترط بناء جميع وحدات المجمع ملتصقة ببعضها، وإنما تم الاكتفاء بارتباطها بالمجمع من خلال حجة وقف المنشئ، ومن النماذج القليلة المستقلة للأراستا تلك التي تُعرف باسم بازار علي باشا^(٢) بمدينة أدرنة (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م).

بينما جاءت أراستا الصدر الأعظم داماد إبراهيم باشا الملحقة بمدرسته بمنطقة شهزاده بإستانبول بدءاً من سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م بنمط مختلف (صورة: ١٨٣)؛ إذ جاء بناؤها في فترةٍ تغيرت فيها المميزات والسمات المعمارية عن السمات المعمارية التي كانت شائعة في أثناء عصر العمارة الكلاسيكية، بالإضافة إلى سعي المنشئ إلى الاقتباس من العمارة الأوروبية ذات الطابع الباروكي ولا سيما الموجود بفرنسا، حيث أرسلت البعثات إلى الخارج التي قامت بدورها في تغيير الطراز المعماري الذي عرف في العمارة العثمانية في الفترة اللاحقة والتي سميت باسم عصر اللالا أو عصر التوليب^(٣).



صورة (١٨٣): المسقط الأفقي لأراستا داماد إبراهيم باشا بإستانبول قبل أن تهدم. نقلاً عن: (Istanbul Ansiklopedisi)

(1) Typical Commercial Buildings (op. cit), (Mustafa Cezar), P. 134.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 398.

(3) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P.355.

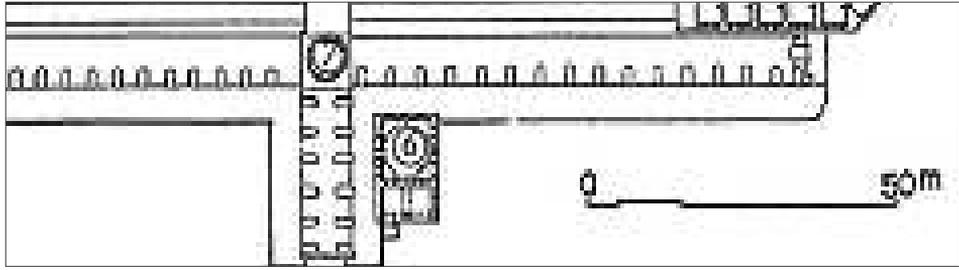
وانتشرت الأراستا التجارية بتخطيطها المعروف في معظم البلدان والمدن العثمانية، سواء في أوروبا الشرقية «منطقة البلقان» أم آسيا أم حتى في الأقطار العربية مع تمييز بعضها في موقعها بالنسبة للتخطيط المعماري للمنشآت التي ألحقت بها الأراستا، وتُعدّ أراستا مجمع السليمية بأدرنة من أجمل نماذجها الباقية، حيث بنيت الأراستا من قِبَل السلطان مراد الثالث^(١) (٩٨٢-١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م)، ووقفها على مجمع السليمية الشهير بمدينة أدرنة، وهي تقع إلى الغرب من المسجد وموازية له في الوقت ذاته^(٢)، ويبلغ طولها حوالي ٢٠٠ متر، حيث غطي الممر الأوسط بقبو برميلي طولي تقع على جانبيه المحلات، وهي تتميز في تخطيطها عن تخطيطات الأراستات الموجودة بمدينة إستانبول في وجود جزء آخر منها يتكون من صفين من المحلات، بكل صف منهما ٥ محلات على جانبي ممر أوسط مغطى، يُدخّل إليه عبر المدخل الرئيس الجنوبي للأراستا، ويتعامد هذا الجزء على الأراستا الطولية ليكونا معاً هيئة فريدة للأراستا عبارة عن تخطيط يشبه حرف «T» (صورة: ١٨٤)، ولعل هذا التمييز في تخطيط الأراستا يرجع إلى أنها صممت من قبل المهندس المعمار داود أغا، الذي وضع بعد تلك الأراستا تصميم أراستا البازار المصري بمدينة إستانبول، حيث جاءت مباني الأراستا التي شيدها في هيئة فريدة لم تتكرر بين الأراستات العثمانية على هيئة حرفي «T» و«L»، وهما قمة ما وصلت إليه عمارة الأراستا في العهد العثماني، وفي كتاب الوقف الذي تم إحصاؤه في الثاني من ذي القعدة سنة ١٠٧٧هـ/ ٢٥ أبريل سنة ١٦٦٧م عن أوقاف مجمع السليمية بأدرنة، فقد ذكر أن عدد المحلات والمسكن الموقوفة على المجمع يبلغ عددها ١٩٧ محلاً ومسكناً تدر دخلاً يقدر بحوالي ٨٠٤٠ آقجة، وقد أشار الكتاب إلى أراستا السليمية باسم الأراستا الجديدة (Arasta- i Cedid)، وذلك لبناء أراستا علي باشا بالمدينة قبلها^(٣)، وورد أن سبب تسميتها بذلك أنه كان يسبقها بالمدينة أراستا من الخشب أحرقت وتهدمت والتي كانت تُعرف بالأراستا العتيقة أو القديمة^(٤).

(1) Türk Çarşıları, Tepe Yayınları, (Gündüz Özdeş), İstanbul, 1953, Ankara, 1998, S. 20; Sinan's Art And Selimiye, The Economic And Social History Foundation, (Dogan Kuban), İstanbul, 1997, Pp. 127-162.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٦٧.

(3) Edirne Tarihi, (Osman Nuri Peremeci), İstanbul, 1940, S. 85-86; Edirne'de Osmanlı Devri Abideleri, (Oktay Aslanapa), İstanbul, 1949, S. 135-136; Türk Çarşıları, Tepe Yayınları (op. cit), (Gündüz Özdeş), S. 21; Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi, "Ali Paşa Çarşısı".

(٤) ينظر: سياحنامه سي، أوليا جلبي، مجلد ٣، ص ٤٦٢.



صورة (١٨٤): أراستا السليمية بأدرنة. نقلاً عن:
(Ahunbay, Selimeye mosque and its social complex. p. 57)

ب) الخانات:

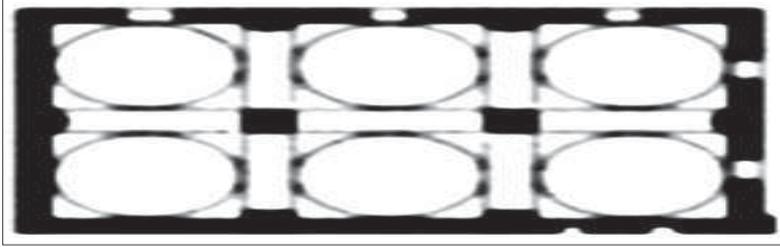
كانت خانات الأناضول قبل العهد العثماني، ولا سيما الخانات السلجوقية، تُبنى كعمائر وقفية أيضاً، لكنها تنقسم من حيث تخطيطها المعماري إلى طرازين اثنين لا ثالث لهما، وهما: طراز الخانات ذات الأفنية أو الصحون (سواء كان فناءً واحداً أم أكثر)، وطراز الخانات من دون الأفنية، وقد كان كل طراز منهما يحتوي على نمطين داخليين قُسمًا تبعًا لشكل الخان نفسه من الداخل وتساوي أروقته من حيث الاتساع والارتفاع أو اتساع الرواق الأوسط وارتفاعه عن باقي أروقة الخان^(١)، كما تميزت بقوة بنائها نظراً لوقوعها على الطرق التجارية المختلفة في الأناضول.

وقد سارت الخانات العثمانية بشكل كبير على هذا الشكل، إلا أن الخانات ذات الأفنية أو الصحون كانت أكثر ذيوغاً وانتشاراً من الخانات الأخرى، ففي الخانات التي أقيمت داخل المدن العثمانية عامة، ومدينة إستانبول خاصة، حتى القرن ١١هـ/١٧م كان عنصر الأفنية هو العنصر الأساسي الذي تتوزع حوله باقي وحدات الخان، مع تعددها وتنوعها ما بين خانات بفناء واحد أو فناءين، ووصل الأمر إلى أن أصبحت بعض الخانات تحتوي على ثلاثة أفنية، وكذلك تميزت تلك الخانات داخل المدن بانقسامها وظيفياً إلى نوعين؛ أولهما تجاري، والآخر ديني بغرض الضيافة الدينية، وكلاهما ذو تخطيط معماري واحد.

(١) ينظر: خانات الطرق في عهد سلاجقة الروم، فهم فتحى إبراهيم، ص ٤٩٨-٥١٩؛

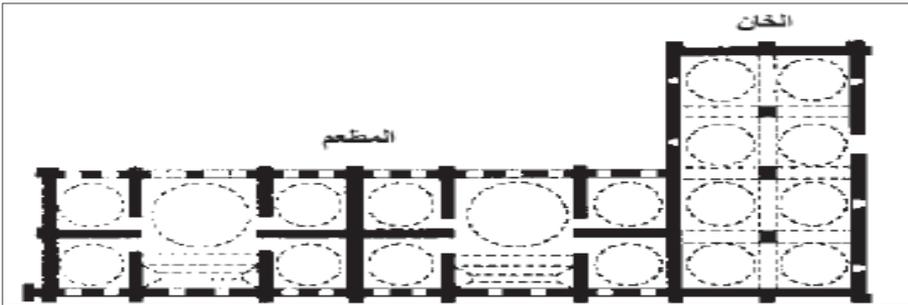
Anadolu Selçuki Hanları, (Halil Eldem), Türk Yurdu, Cilt. 14, Sayı, 104, 1915-16, S. 186; Karatay Kervansaray, (M. Ferit Uğur) & (M. Mesut Koman), Konya, 35, 1941, pp. 3026-3033; Notizien Zum Inner Anatolisch En Karavansaray, (Kurt Erdman), Beoba Chungen Auf Einer In Juli 1935, Kunstdes, 2, 1995, pp. 5-29; Cenubugarbi Anadolu'da Türk Mimarî Eserleri, (R. M. Riefstahl), Translated By C. T. Berklin, Istanbul Maarif Basimervi, Istanbul, 1941, S. 54.

وتنقسم طرز الخانات العثمانية وفقاً لما قسمها الباحث، وسبق له تناولها في رسالته للماجستير^(١) إلى:
١. نمط الخانات من دون الأفنية:



صورة (١٨٥): المسقط الأفقي لخان مجمع بايزيد الثاني (الباحث).

ويمثلها بمدينة إستانبول بعض خانات المجمعات المعمارية الكبرى، وكان أقدم هذه الأمثلة بالمدينة هو خان مجمع السلطان بايزيد الثاني (٩٠٦هـ / ١٥٠١م)^(٢) (صورة: ١٨٥)، حيث يتكون المسقط الأفقي للخان من مساحة مستطيلة ١٧ x ٢٥ م تنقسم إلى رواقين بواسطة بائكة مكونة من دعامتين مربعتين، ويغطي مساحة الخان ٦ قباب كبيرة الحجم نسبياً، جددت جميعها فيما بعد على يد السلطان عبد الحميد خان الثاني سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م، الذي قام بتحويل الخان إلى مكتبة عمومية، ومنها خان مجمع شهزادة محمد بن السلطان سليمان القانوني (٩٥١-٩٥٥هـ / ١٥٤٤-١٥٤٨م) (صورة: ١٨٦)، وهو يشبه إلى حد كبير الخان السابق، فيما عدا أنه أكبر حجماً منه وتغطيه ٨ قباب.

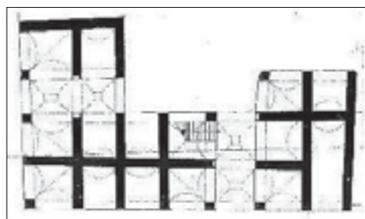


صورة (١٨٦): المسقط الأفقي لخان ومطعم مجمع شهزاده محمد (الباحث).

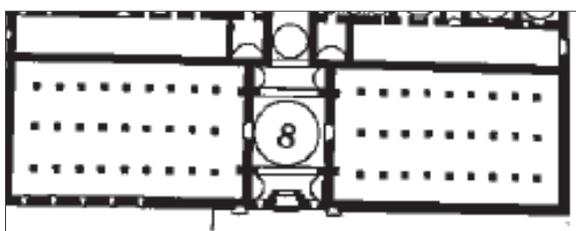
(١) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ٣٣١-٣٤٦، ص ٥٧٢-٦٧٠، الأشكال (١١٠-٣١٩).

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 184.

أما داخل حدود الدراسة فيندرج ضمن هذا النمط خان مجمع نوربانو سلطان (٩٧٨-٩٩١هـ/ ١٥٧١-١٥٨٣م) (صورة: ١٨٧) بمنطقة إسكدار بتخطيطه الأصلي، فكان يتكون من منطقتين مستطيلتين قسمت كل منطقة منها إلى أربعة أروقة بواسطة ثلاث بائكات من دعائم حجرية، ويتوسط المنطقتين ممر الدخول، وهو عبارة عن فتحة باب معقودة تطل على شارع (Eski Toptaşı Cad.) وتؤدي إلى دركاة مستطيلة مستعرضة يغطيها قبة برميلي نصف دائري، ويفتح القبو على منطقة مربعة يغطيها قبة كبيرة تنتهي بمنطقة أخرى مستطيلة مستعرضة تشبه الأولى ويغطيها قبة برميلي كذلك، وتؤدي بعد ذلك عبر ممر صاعد إلى صحن المدرسة الملحقة بالمجمع، ويتشابه جزأ الخان تماماً حتى أطلق على الخان لفظ الخان المزدوج^(١)، وقد تغير شكل الخان حالياً ليحتوي على فناء في كل جزء منه تحيط به الحجرات التي يتقدمها رواق، ومنها كذلك بمدينة إسطنبول بورمالي خان أو الخان الحلزوني (Bur-mali han) (صورة: ١٨٨) الذي شيده الصدر الأعظم رستم باشا بإسطنبول فيما بين ٩٦٣-٩٦٨هـ/ ١٥٥٦-١٥٦١م^(٢) ملحقاً بمجمعه بمنطقة إمينونو، وهو يقع إلى الجنوب من بيوك شوكور خان وإلى الشرق من جامع رستم باشا، وهو عبارة عن خان يأخذ هيئة حرف «U» من دون أن تتوسطه أي أفنية، وإنما ينقسم إلى عدد من الحجرات المربعة أو المستطيلة التي يغطيها إما أقبية متقاطعة أو أقبية برميلية.



صورة (١٨٨): المسقط الأفقي لبورمالي خان (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٩٥).



صورة (١٨٧): المسقط الأفقي للتخطيط الأصلي لخان نوربانو سلطان بإسكدار (الباحث).

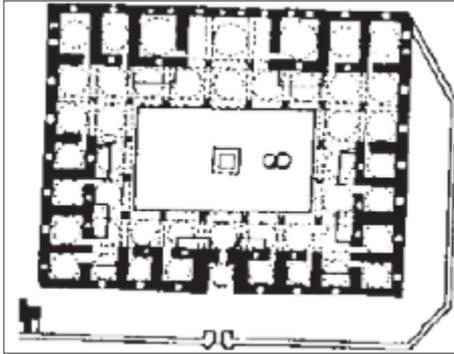
(1) Ibid, P. 277.

(2) 16. Yüzyıl Hanları Ve Küçük Çukur Han'ın Değerlendirilmesi, (Mimar Aysel Başer), Lisans Tezi, Restorasyon Yüksek Mimarlık Anabilim Dalı, Fen Bilimleri Enstitüsü, Mimar Sinan Üniversitesi, İstanbul, 2002., S. 68; Geçmişten Günümüze İstanbul Hanları (op. Cit), (Mehmet Fidan), S. 22; İstanbul Ansiklopedisi, Cilt 2, S. 339-340.

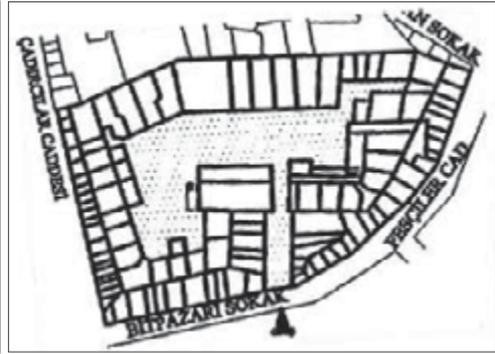
٢. نمط الخانات ذات الفناء الواحد:

وهو النمط الأكثر شيوعاً بين الخانات العثمانية عامة، وخانات إستانبول خاصة، حيث إن معظم الخانات جاء تخطيطها من صحن أو وسط منتظم أو غير منتظم الشكل تحيط به الحجرات من طابقين غالباً.

ويُعدّ أقدم الخانات التي بنيت بمدينة إستانبول من نمط الخانات ذات الفناء الواحد هو بودروم كروانسراي، الذي شيّده السلطان الفاتح بمدينة إستانبول بعد فتحها مباشرة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م (صورة: ١٨٩)، حيث يأخذ صحن الخان هيئة غير منتظمة الشكل الذي يحيط به البناء من طابقين في بعض المناطق وثلاثة في بعضها الآخر، ويُدخّل إلى الخان عبر مدخل من داخل البازار المغطى يطل على زقاق بدروم كروانسراي، ومنها كذلك سيمكشخانة التي شيّدها السلطان الفاتح سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٧٥م، حيث كان الفناء يتوسط الخان قبل أن تتهدم معظم أجزائه، ثم أصبح حالياً يتقدم البناء، وتحيط به الحجرات من ثلاثة طوابق من جهتين فقط، وهما الجهة الجنوبية والجهة الشرقية على هيئة حرف «L».



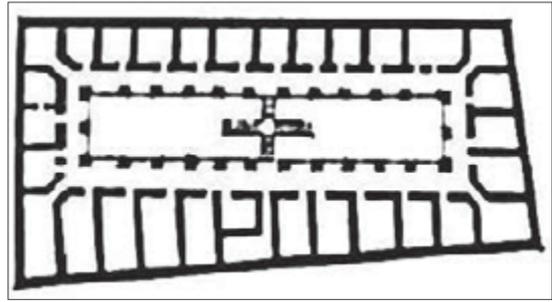
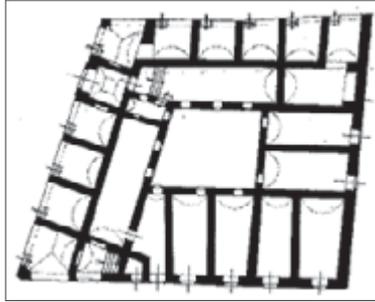
صورة (١٩٠): المسقط الأفقي لخان الضيافة الدينية بمجمع السلليمانية. نقلاً عن: (Kuban, Ottoman Architecture, p. 279)



صورة (١٨٩): المسقط الأفقي لبودروم كروانسراي داخل البازار المغطى (نقلاً عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٧٣).

وبنيت في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م بمدينة إستانبول على طراز الخانات ذات الفناء الواحد عدة نماذج، منها الخان الملحق بمجمع السلليمانية سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م (صورة: ١٩٠)، وهو أحد خانات الضيافة الدينية التي استخدمت من قبل السفراء الأجانب، وشيّد الصدر الأعظم رستم باشا خانه المعروف باسم كورشونلو خان

بغلطة قبل سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م (صورة: ١٩١)، وهو عبارة عن خان مستطيل غير منتظم الشكل يتوسطه صحن مستطيل الشكل تحيط به الحجرات في طابقين، ويتقدم الحجرات جهة الصحن أروقة من جميع الجهات، ويتميز هذا الخان باحتوائه على الدرج الصاعد للطابق العلوي في منتصف صحن الخان، ثم شيّد الوزير نفسه خانه الثاني الذي ألحقه بمجمعه بمنطقة إمينونو، وهو خان كوجك شوكور أو شوكور الكبير سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م (صورة: ١٩٢).



صورة (١٩٢): مسقط أفقي لخان شوكور الكبير بإمينونو. نقلاً عن: (Başir, 16 Yüzil, s. 87.)

صورة (١٩١): مسقط أفقي لكور شونلو خان بغلطة (نقلاً عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٨٩).

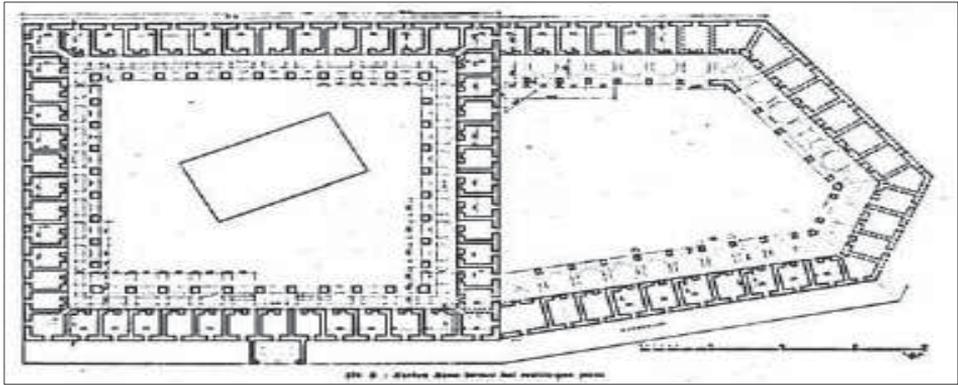
وأما داخل حدود الدراسة فيدخل في هذا النمط لبلييجي خان في منتصف القرن ١٠هـ/ ١٦م (سبق إيراد صورة له) والذي شيّد من قِبَل خرم سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني ملحقاً بكليتها المعمارية بالمدينة، وهو أحد الخانات الصغيرة التي جار عليها المستأجرون، وتأخذ من الخارج هيئة غير منتظمة الشكل يتوسطها فناء أقرب إلى مربع يحيط به طابقا البناء في بعض الجهات بينما يحيط به من بعضها الآخر أبنية حديثة، وأما في أثناء القرن ١١هـ/ ١٧م فقد شيّد بإستانبول خان كيليت أو القفل، حيث يتوسط الخان فناء يأخذ هيئة المستطيل الذي يمتد من الشرق للغرب ويحيط به بناء من طابقين، وقد جدد الجزء الغربي منه تماماً، ويتقدم الحجرات ممر يطل على الفناء ببائكة معقودة من جميع الجهات، عدا الجهة الغربية المجددة.

٣. نمط الخانات متعددة الأفنية أو الصحنون:

يتميز هذا النوع من الخانات باحتوائه على أكثر من فناء داخل الخان الواحد، وقد تعددت الخانات والأفنية في تلك الخانات لسببين: أولهما عدم انتظام المساحة

التي بني عليها الخان، وعدم انتظام مستوى أرضية الخان كذلك، فضلاً عن عمل كثير من المعالجات المعمارية، فقد تفادى المعمار ذلك توفيراً للتكاليف، وتم عمل فناء في الجزء المنخفض يؤدي عبر ممر صاعد إلى الصحن الآخر أو العكس، والسبب الثاني هو كبر حجم هذه الخانات نسبياً مما دفع المعمار إلى تقسيمها لعدة أجزاء يتوسط كلاً منها فناء، وهي بمدينة إستانبول نوعان: منها ما يحتوي على فناءين، ومنها ما يحتوي على ثلاثة أفنية، تبعاً لمساحة الخان وطبيعة المكان الذي أنشئ عليه الخان.

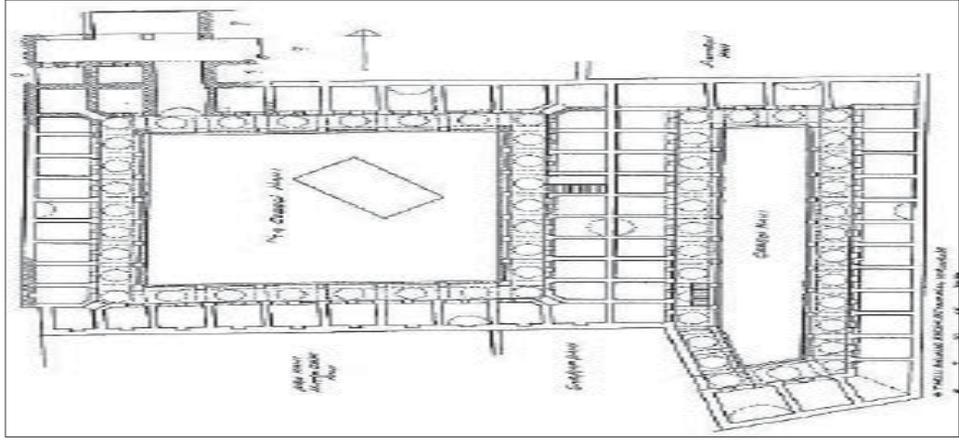
كما تتميز الخانات التي بنيت على طراز الخانات متعددة الصحن أو الأفنية بأنها تحتوي ضمن الأفنية على فناء مركزي كبير يُعدّ مركز الخان الرئيس، وقد أنشئت الخانات التي تنتمي إلى هذا الطراز بمدينة إستانبول بدءاً من القرن ٩هـ / ١٥م بعد فتح المدينة مباشرة، حيث إن أقدم خانات هذا الطراز بالمدينة هو كوركشو خان أو خان الفراء لمحمود باشا وزير السلطان الفاتح سنة ٨٧١هـ / ١٤٦٧م^(١)، والذي بناه كوقف لجامعه بالمدينة الذي شيده سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م^(٢) وبه فناءان (صورة: ١٩٣)، ثم أنشئ بالمدينة خلال القرن ٩هـ / ١٥م أيضاً خان بالكاباني أو خان العسل (Balkapani han)، ويتكون هذا الخان من صحنين أيضاً (سبق إيراد صورة له).



صورة (١٩٣): مسقط أفقي لكوركشو خان بإستانبول
(نقلاً عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٥٧٥).

- (1) Narrative Of Travels (Seyhatname)..., Evliya Çelebi, Translated By Joseph Von Hammer, London, 1846, Reprinted By Johnson Reprint Co., New York, 1968, P. 204.
(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 103.

وبنيت معظم الخانات في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م على طراز الخانات ذات الصحن أو الفناء الواحد، إلا أنه بقي منها أحد الخانات داخل أسوار البازار المغطى وهو جبيجي خان الذي شيده الصدر الأعظم رستم باشا سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م^(١) (صورة: ١٩٤)، ويتكون الخان من صحنين كبيرين يتم الدخول إلى أولهما من خلال مر صاعد مغطى بعدد من الأقبية.



صورة (١٩٤): مسقط أفقي لجبيجي خان بالبازار المغطى بإستانبول. نقلًا عن: (Yüksel, Osmanlı Mimarisinde, s. 473)

وجاء القرن ١١هـ/ ١٧م وبُنيت معظم الخانات من تخطيط يحتوي على خانات متعددة، وأصبحت سمة لهذا القرن، وقد بقي من هذا القرن خانان يُعدّان أكبر الخانات الباقية بمدينة إستانبول، وكلاهما يدخل ضمن طراز الخانات متعددة الصحنون، والتي تحتوي على ثلاثة أفنية وليس فناءين فقط.

ويندرج ضمن حدود الدراسة في هذا النمط من الخانات متعددة الأفنية خان الوالدة الكبير لماهيكر كوسم سلطان Kösem Mahpeyker Sultan زوجة السلطان أحمد الأول قبل وفاتها بقليل سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م^(٢) (سبق إيراد صورة له)، وقد أنشأته لاستثماره من قِبَل التجار والحرفيين الفرس، ولا سيما ذوي الصلة بالحرف المتعلقة بالنسيج والحياسة ليكون وقفًا على مجمعها بإسكدار، ويتكون الخان

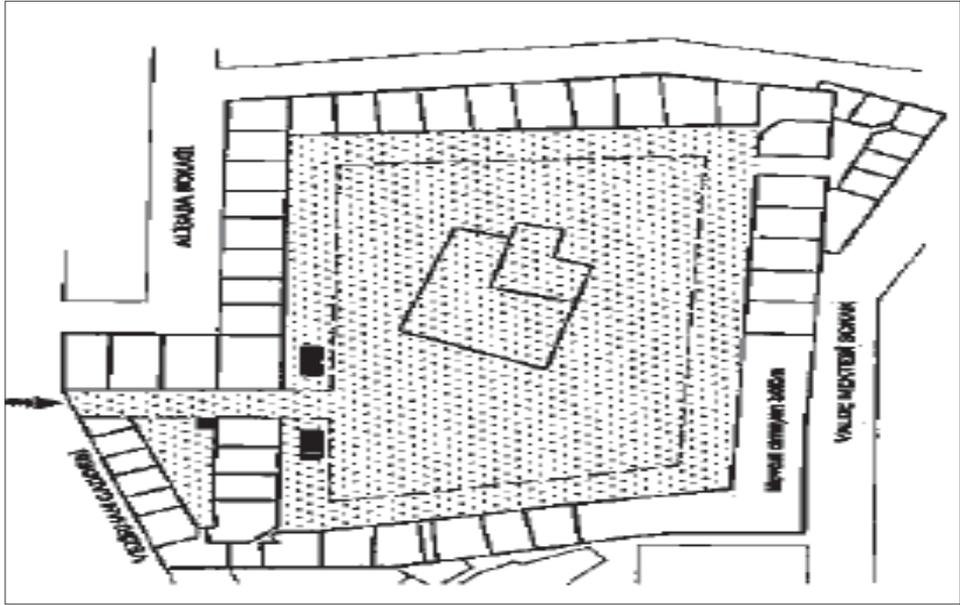
(1) Osmanlı Mimarisinde Kanüni Sultan Süleyman, (op. cit), (I. Aydın Yüksel), S. 472.

(2) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 136.

من مساحة كبيرة يتوسطها صحن مركزي كبير مكشوف مستطيل الشكل أقرب إلى مربع، ويحيط به بناء من طابقين ويتوسطه مسجد ملحق بالخان، ويقع إلى الجنوب منه فناء صغير مثلث المسقط يحيط به طابقان من الحجرات يتقدم بعضها رواق، ويُدخَل إلى هذا الفناء الصغير عبر المدخل الرئيس للخان بالواجهة الجنوبية، ويوجد مدخل آخر يربط بين الصحنين من الداخل عبر ممر صاعد يؤدي إلى الصحن أو الفناء المركزي الكبير، فيما يقع الفناء الثالث للخان إلى شمال الصحن المركزي حيث يُدخَل إليه عبر ممر في الركن الشمالي الغربي من الصحن الكبير.

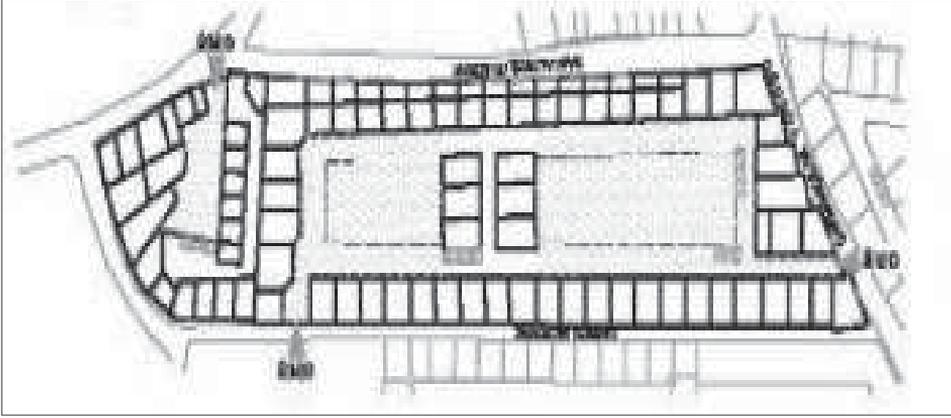
ويشبهه إلى حد كبير خان الوزير والذي أنشأه الصدر الأعظم كوبريللي محمد باشا (١٠٧٠-١٠٧١هـ/١٦٥٩-١٦٦٠م) (صورة: ١٩٥)، وأكمله بعده ابنه الصدر الأعظم كوبريللي فاضل أحمد باشا، وقد بني لإقامة السفراء الأجانب ولم يكن خاناً تجارياً في بدايته، إلا أنه تحول إلى سوق لبيع الرقيق^(١)، ويتكون الخان من مساحة كبيرة يتوسطها صحن كبير مكشوف مستطيل الشكل يحيط به بناء من طابقين، فيما يقع فناء آخران صغيرا الحجم إلى الخارج من الفناء المركزي بالركنين (الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي)، وتهدم الجزء الشمالي الشرقي إلا أن الفناء الجنوبي الغربي لا يزال باقياً ويُدخَل إليه عبر مدخل الخان المطل على شارع الوزير بالواجهة الغربية للخان، وهو فناء صغير مثلث الشكل يؤدي عبر ممر صاعد إلى الفناء المركزي الكبير الذي ترتفع أرضيته عن أرضية الفناء الأول.

(1) A Guide Along The Danube From Vienna To Constantinople, Smyrna, Athens, The Morea, The Ionian Island, And Venice. From The Notes Of A Journey Made In The Year 1836, With Maps Of The Route, (R.T. Claridge), London, F. C. Westley, 162, Piccadilly, Howlett And Son Painters, 1894, P.155.

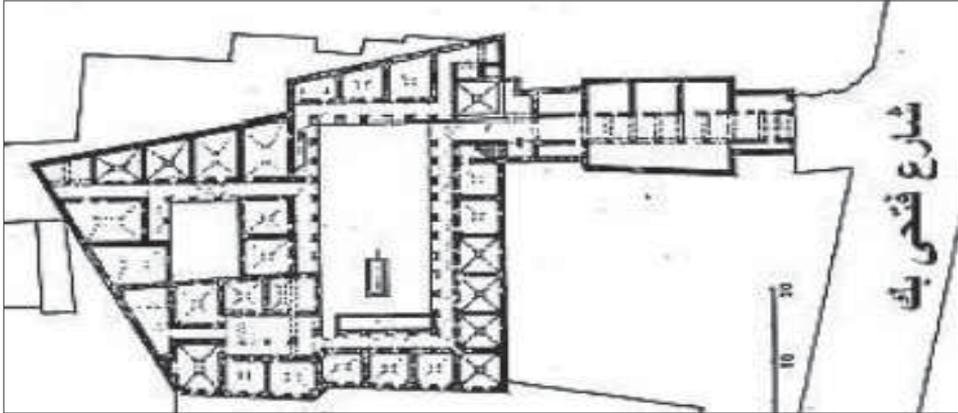


صورة (١٩٥): مسقط أفقي لخان الوزير بإستانبول. نقلاً عن:
(Benli, Istanbul Tarihi Yarimada'da, s. 120)

وبنيت في أثناء القرن ١٢هـ/ ١٨م بعض الخانات متعددة الصحن أو الأفنية ومنها داخل البازار المغطى شوكور خان (Çukur han)، كما أنشأ السلطان مصطفى الثالث في الفترة من ١١٧٥-١١٧٨هـ/ ١٧٦١-١٧٦٤م خانين كبيرين يقع أحدهما إلى الغرب من كوركشو خان، وهو بيوك يني خان، وهو عبارة عن خان فريد في التخطيط (صورة: ١٩٦) يحتوي في طابقه الأول والثاني على فناءين أحدهما شمالي مركزي مستطيل كبير الشكل، والآخر جنوبي أصغر حجماً، ويحتوي في طابقه الثالث على صحن ثالث إلى أقصى جنوب الخان نظراً لارتفاع أرضية هذا الجزء من الخان، في حين بني الخان الآخر ضمن مجمع السلطان الذي أنشأه بمنطقة لالاي ويعرف باسم تاشخان، وهو أحد أكبر خانات الضيافة الوقفية في المدينة وأهمها (صورة: ١٩٧)، وهو يحتوي كذلك على صحنين أو فناءين كبيرين أحدهما شرقي وهو الرئيس يأخذ المسقط المستطيل كبير الحجم، والآخر غربي صغير الحجم.



صورة (١٩٦): مسقط أفقي لبيوك يني خان بإستانبول. نقلاً عن:
(Benli, Istanbul Tarihi Yarimada'da s. 120)



صورة (١٩٧): مسقط أفقي لتاشخانه بمجمع لالالي بإستانبول
(نقلاً عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٢٣).

ثالثاً: العمائر الصحية (دُور الشفاء) أو البيمارستانات:

نهضت هذه البيمارستانات بدور بارز جليل الشأن في الحياة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، وكانت البداية بسيطة متواضعة تتناسب مع بساطة الدولة الإسلامية الناشئة في عهد الرسول ﷺ، ولما أصيب سعد بن معاذ في يوم الخندق أمر رسول الله ﷺ أن تُضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب، ويضيف ابن اسحاق فيذكر أن الذي كان يقوم على تربيته وعلاجه امرأة اسمها رُفيدة من قبيلة أسلم، وكان لها خيمة في المسجد تداوي الجرحى، وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به

ضبيعة من المسلمين، ويقول: وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخنق: «اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب»^(١)، وعلى ذلك تُعدّ هذه الخيمة أول بيمارستان في دار الإسلام، وإن لم يطلق عليها هذا الاسم في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية، ويضيف د. أحمد عيسى فيذكر أن الرسول ﷺ هو أول من أمر بالبيمارستان الحربي المتنقل، أما أول بيمارستان حقيقي في الحضارة الإسلامية فهو الذي أمر بإنشائه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق عام ٨٨هـ/٧٠٦م، وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لثلاثين يوماً وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق^(٢)، وانتشرت بعده البيمارستانات في الأقطار الإسلامية المختلفة، فمنها في مصر بيمارستان المعافر بالفسطاط، وكان «في خطة المعافر التي موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التي بالقرافة، وقد بناه الفتح بن خاقان في أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) وقد باد أثره»^(٣).

ومن البيمارستانات السلجوقية بيمارستان سيواس، وهو أول بيمارستان مستقل في الأناضول وأكبرها أيضاً (٦٨×٤٨م)، أمر بإنشائه السلطان عز الدين كيكافوس الأول سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، ومن البيمارستانات العثمانية البيمارستان الملحق بمجمع (كلية) السلطان بايزيد في أدرنة، وهو من البيمارستانات المتميزة من حيث تخطيطها، ويتصل بهذا البيمارستان مدرسة للطب^(٤).

وإذا ما انتقلنا إلى دمشق يقابلنا البيمارستان النوري الشهير ٥٤٩هـ/١١٥٤م، نسبة إلى السلطان نور الدين محمود بن السلطان عماد الدين زنكي، وقد وصفه ابن جبير بأنه أكبر وأحفل من البيمارستان القديم، ثم يضيف قائلاً: «وجرايته في اليوم

(١) أعلام النساء، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٤٥١، ج ٤، ص ٢٤٥-٢٤٦؛ والحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، محمد السيد الوكيل، جدة، ط ٥، ١٩٨٩م، ص ٩١-٩٢؛ والمظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عصر النبوة، خليل إبراهيم السامرائي وثائر حامد محمد، الموصل، العراق، ١٩٨٤م، ص ٦٩.

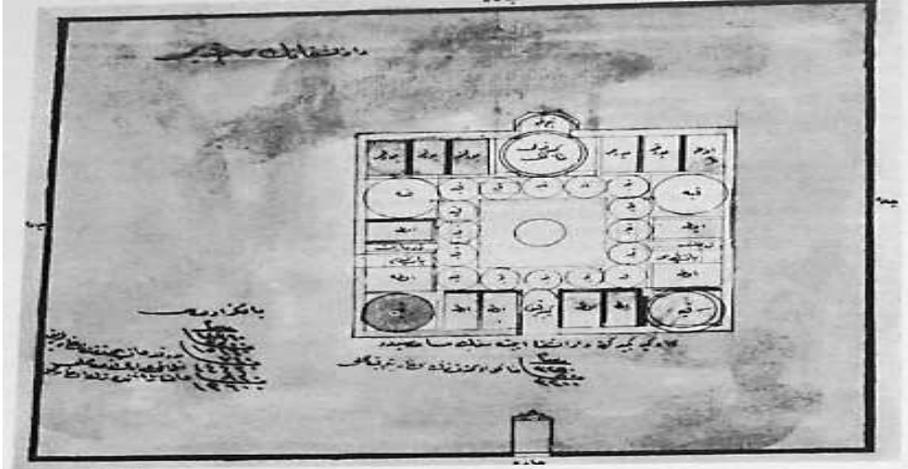
(٢) ينظر: المواعظ والاعتبار، تقي الدين المقرئ، ج ٢، ص ٦٩١.

(٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٩٢.

(٤) ينظر: صور مشرقة من حضارة بغداد في العهد العباسي، ميخائيل حنا عواد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨١م، ص ١١٦؛ وفنون الترك وعمايرهم، أوقطي أصلان أبا، ص ٧٥-٧٧، ١٠٢-١٠٤، ١٨٩، ١٩١؛ والعمارة في الحضارة الإسلامية، عبد القادر الرجاوي، ص ٢١٧-٢١٨.

نحو الخمسة عشر ديناراً، وبه قومه بأيديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية وغير ذلك، والأطباء يبكرون إليه كل يوم ويتفقدون المرضى، ويأمرون بإعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم...»^(١).

وكان السلطان نور الدين محمود قد وقف هذا البيمارستان على الفقراء من دون الأغنياء، اللهم إذا لم يجد الأغنياء الدواء اللازم لهم إلا في هذا البيمارستان، مما يؤكد الأهمية الاجتماعية لهذا البيمارستان، ومن هذا المنطلق شرب السلطان نور الدين نفسه من دواء هذا البيمارستان^(٢)، وأمر السلطان نور الدين محمود بإنشاء بيمارستان آخر في حماه ومثله في حلب^(٣).



صورة (١٩٨): تخطيط دار الشفاء أو مستشفى السلطان محمد الفاتح بإستانبول. نقلاً عن: Kuban, Ottoman Architecture, p. 180

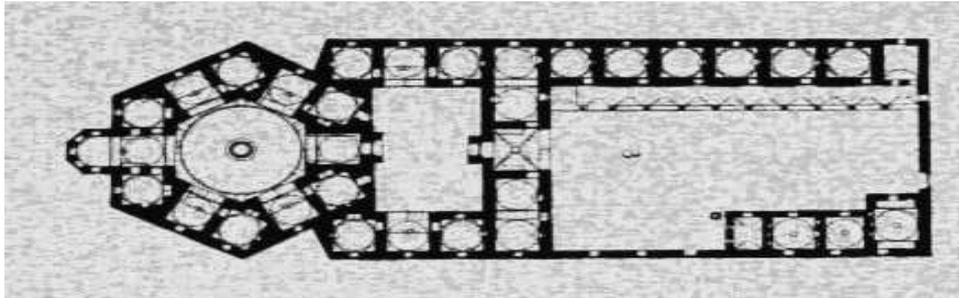
أما من حيث التخطيط؛ فإن دور الشفاء العثمانية كغيرها من البيمارستانات تشبه تخطيط المدارس والعمارات، ومن أهم دور الشفاء العثمانية بإستانبول مدارس الطب

(١) رحلة ابن جبير المسماة: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، محمد بن جبير الأندلسي الشهير، دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ، ص ٣٥٧.

(٢) ينظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ٢٨٧.

(٣) ينظر: من مآثر نور الدين الزنكي العمرانية في حماة البيمارستان النوري، كامل شحادة، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد ١٧، ج ١، ٢، دمشق، ١٩٦٧م، ص ٧٩-٩٤.

التي شيدها السلطان الفاتح في مجمه عقب فتح القسطنطينية (صورة: ١٩٨)، ودار الشفاء التي شيدها السلطان بايزيد الثاني ضمن مجمه أيضًا في إستانبول والتي تنفرد القاعة الرئيسة بها بأنها ذات تخطيط سداسي الصورة (صورة: ١٩٩)، وتتوسط دار الشفاء فناء ليبلغ مجموع الأفنية في دار الشفاء ثلاثة أفنية نتيجة تقسيمها لعدة أقسام كل منها يختص بعمل معين، منها ما هو مهني ومنها ما هو تعليمي، وأنشأ السلطان سليمان أيضًا دارًا للشفاء، وانتشرت دُور الشفاء بالمدن العثمانية.



صورة (١٩٩): تخطيط دار الشفاء أو مستشفى السلطان بايزيد الثاني بإستانبول. نقلًا عن: Kuban, Ottoman Architecture, p. 198

وإذا طبقنا الأمر على داري الشفاء الباقيتين ضمن أوقاف النساء المعمارية (موضوع الدراسة)، نجد أنهما من أجمل نماذج دُور الشفاء الباقية بمدينة إستانبول، خاصة المستشفى أو دار الشفاء التي شيدها خاصكي خرم سلطان سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م^(١)، أو سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م^(٢)، وذلك لتخطيطها غير منتظم الشكل أقرب إلى مستطيل شطف أحد أركانه الخارجية، وهو الركن الشمالي مراعاة لخط تنظيم الطريق (سبق إيراد صورة لها)، ويتوسط دار الشفاء صحن مكشوف تقع حوله وحدات المشفى في خمس جهات من المثلث، تشكل هيئة تشبه حرف (U) تقع فيها الحجرات في مستويين أحدهما خارجي جهة الجدران والآخر داخلي جهة الصحن، وإذا ما تم تقسيم المشفى فإننا نلاحظ مدى التماثل في بنائه، بمعنى لو قمنا بتقسيم دار الشفاء

(1) Kent Ve Mimarlik (op. cit), (Dogan Kuban), S. 107.

ربطت عدة آراء أخرى بين تاريخ إنشاء دار الشفاء وبين المدرسة ليؤرخوها بسنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م؛ اعتمادًا على النقش الحديث المعلق على ردهة الدخول لها، ويوجد نص آخر يؤرخ لإنشاء المشفى وترميمه، وهو نص حديث أُضيف عقب إجراء الترميم سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، وقد أرخت للإنشاء بسنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), P. 263.

بخط من منتصف الصحن لتماثل جزأها تمامًا في المساحة والتخطيط وعدد الحجرات، ولن يختلف في ذلك إلا أقصى غرب المشفى إذ تقع بهذا الموضع فتحة باب الدخول جهة العمارت.

أما عدد الحجرات الموجودة في دار الشفاء فإنها تبلغ نحو ٢٤ حجرة تتوزع حول فنائها في مستويات تلي بعضها، وذلك بواقع ٢٢ حجرة إلى جانب الحجرتين الكبيرتين اللتين مثلتا قاعات الاستقبال بالمستشفى، وتغطي هذه الحجرات قباب. وأما دار الشفاء بكلية نوربانو سلطان (سبق إيراد صورة لها) فهي عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسطها فناء أوسط مكشوف يحيط به رواق من جميع الجهات^(١)، وينقسم الرواق إلى مناطق مربعة تتقدم حجرات دار الشفاء، ويغطيه سقف مسطح، أما الحجرات فهي تلتف حول الرواق من جميع الجهات، وكل حجرة منها عبارة عن تخطيط مربع أو مستطيل بعضها غير منتظم الشكل، وتغطي كلاً منها قبة ضحلة تقوم على مثلثات كروية، ومن ثم فلا تكاد تخرج عن تخطيط المدارس العثمانية.

رابعاً: عمائر النظافة العامة (الحمامات):

عُرف بناء الحمامات العامة لغرض الاستحمام في مناطق الحضارات القديمة، ولا سيما منطقة بحر إيجه منذ العصر البرونزي في الألف الثالث قبل الميلاد، وحتى في أثناء العصر الفرعوني^(٢)، ثم تطورت هذه الحمامات تطوراً كبيراً في أثناء العصر الروماني^(٣)، وازداد الاهتمام بمثل هذه المنشآت، سواء من حيث عمارتها أم تزيينها من الخارج والداخل باستخدام الرخام النادر والمعادن الموشاة بالذهب، وما زالت في روما بعض حمامات الأباطرة الرومان مثل كراكلا ودقلديانوس وغيرها، وانحصرت الكتلة الرئيسة لعمارة الحمامات الرومانية في ثلاث قاعات مهمّة؛ أولها القاعة الباردة، وثانيها القاعة الدافئة، وثالثها القاعة الساخنة، إضافة إلى ثلاث وحدات إضافية اختصت أولها بخلع الملابس، والثانية بالممارسات الرياضية، والثالثة

(1) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), P. 278 .

(٢) للمزيد ينظر: النظافة في الحياة اليومية عند المصريين القدماء، إيمان أحمد أبو بكر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.

(٣) ينظر: الحمام التركي وملحقاته بحي الطريف - الدرعية، زهير كامل ياسين، وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية، طبعة بدون تاريخ، ص ٩٤.

للندوات والمحاضرات^(١).

انتقلت عمارة الحمامات بعد ذلك في العصر الإسلامي ولم تكن تلك الحمامات مظهرًا من مظاهر الترف فحسب، بل كانت ضرورة أوجبتها فريضة التطهر والاعتسال والحرص على النظافة في الإسلام، حيث إن ديننا الحنيف يأمرنا بالتطهر، ويحضنا القرآن الكريم في أكثر من آية على النظافة الدائمة عن طريق الوضوء والغسل، وحث الرسول ﷺ عليها في أكثر من حديث، وكان لهذا الحرص على النظافة أن اعتنى المسلمون بالحمامات، سواء كانت الخاصة التي تقام داخل القصور ومنازل القادرين، أم العامة التي يؤمها الشعب على اختلاف طبقاته^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أنه كان يعمل في الحمام عدد من الموظفين يقومون بتوفير الخدمات لمرتادي الحمام، ومن هذه الوظائف: المعلم (الحمامي)، الناطور، الرئيس، المزين، الزبال، القممي، وفي حمام السيدات كان يوجد المعلمة والناطورة والأسطى والبلانة^(٣).

وقد انتشرت الحمامات في أثناء العهد العثماني بشكل كبير إذ ورثوها عن السلاجقة^(٤)، ويمكن القول: إن الحمامات التي أنشئت في أثناء الفترة الأولى في الدولة العثمانية كانت تتشابه إلى حد كبير مع الحمامات السلجوقية ثم أخذت في التطور شيئًا فشيئًا، وقد اهتم الأتراك العثمانيون بإقامة الحمامات العامة والخاصة اهتمامًا كبيرًا، وتأنقوا في تشييدها وتزيينها، كما كان للسلطين الأتراك حمامات في قصورهم جعلوها آيات في الحسن والجمال، وذلك من خلال ارتفاع قبابها ونافوراتها الجارية، وقد أفاض أوليا جلبي وغيره من الرحالة في وصف حمامات مدينة إستانبول على النحو الذي سبق في الدراسة الوصفية.

وتتشابه الحمامات التركية في عناصرها المعمارية، فهي تحتوي على قاعة استقبال كبرى يطلق عليها في التركية اسم (Kamkan) وتعني الحجرة الباردة (أو المسلح أو

(١) ينظر: العمارة العربية في مصر «عصر الولاة»، فريد شافعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ١٨٥-٣٥٩.

(٢) ينظر: تراث العمارة الإسلامية، خالد عزب، ص ٤٣.

(٣) ينظر: من فنون العمارة الإسلامية حمامات السوق ودورها الحضاري «دراسة أثرية لحمامات العصرين المملوكي والعثماني»، عادل زيادة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٨٤-٨٩.

(4) Islamic Architecture In Bosnia (op. cit), (Amir Pašić), P. 87.

المسلخ)، وقد خصصت لخلع الملابس، وكانت هذه الحجرة الباردة تُعدّ أكبر قاعة في الحَمّام، وتستقبل على وجه الخصوص المرضى القادمين من أجل الاستشفاء بالحَمّام؛ وتتكون الحجرة الباردة من قاعة واحدة في العادة أو في بعض الأحيان أكثر من ذلك، حيث تتصل بالحجرة الباردة أكثر من قاعة داخلية، وقد اصطفت على طول الجدار إيوانات عريضة متسعة، وقد غطيت أرضيتها بحصر وسجاجيد، كما كانت تزود الحجرات الباردة الضخمة بحجرات خاصة أو خلوات من الخشب من أجل خلود القادمين للاستشفاء بهذه الحجرات الصغيرة^(١).

والحجرة الثانية من حجرات الحَمّام هي الحجرة الدافئة؛ وهذه الحجرة تقع ما بين الحجرة الباردة والحجرة الساخنة، لذلك فهي معتدلة الحرارة أو مائلة للدفء، وتوجد بهذه الحجرة أدوات النظافة المختلفة من أجل التدليك وإزالة الشعر وغير ذلك.

أما الحجرة الثالثة فهي الحجرة الساخنة، وهي أهم عنصر من عناصر الحَمّام، وتلتف حول هذه الحجرة مجموعة من الخلوات أو ما يطلق عليها المغاطس الفردية، وفي بعض الأحيان كان يفتح على هذه الحجرة مجموعة من الإيوانات تحتوي على أحواض مياه، وبهذه الإيوانات مساطب منخفضة من الرخام، كما زودت أيضًا بدكة حجرية تعمل كمنضدة للتدليك الطبي أو العلاجي.

وقد تأثرت الحَمّامات العثمانية في التسخين إلى حد كبير بنظام التسخين في الحَمّامات الرومانية، واستخدمت نظام (الهيوكاوست) أو الحجرات (القصاب الفخارية) التي تقع بأسفل الحجرة الساخنة، وتوجد بها ممرات يمر من خلالها الهواء الساخن تحت الأرضية، فيما كان يقع المستوقد خلف الحجرة الساخنة مباشرة، لذلك كانت الحجرتان (الساخنة والدافئة) تُستمد درجة حرارتهما من الهواء الساخن الذي يمر دائريًا تحت أرضية الحجرات^(٢).

(١) ينظر: الحَمّامات في مصر الإسلامية، سعاد محمد حسن حسنين، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٢) ينظر: العمار الإسلامية في قبرص «دراسة آثارية حضارية»، بدر عبد العزيز محمد بدر، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٧٩-٢٨٠.

ويمكن القول: إن الحمامات قد تبنى مستقلة، سواء كانت مفردة أم مزدوجة، وقد تُبنى ضمن المجمعات المعمارية (الكليات)، ونادراً ما يخلو مجمع من المجمعات المعمارية من بناء حمام به^(١)، وقد بلغ عدد الحمامات في أثناء القرن ١١هـ/ ١٧م ما يقرب من ٣٠٠ حمام في إستانبول وحدها^(٢)، وقد بُنيت الحمامات كمصدر من مصادر توفير الدخل لمنظومة الوقف، وللوقوف على أهمية الحمامات العامة بصفتها منشآت ربحية تدر دخلاً لمؤسسات الوقف الإسلامي يمكن التطبيق على الحمامات التي وَقَّفتها نوربانو سلطان على كليتها المعمارية، وهي: حمام كليتها بإسكدار، حمام تشيمبرلي تاش، الحمام الكبير، وحمام الاستحمام (Havuzlu)، وذلك من خلال دراسة إيراداتها من خلال سجلات الأوقاف المحفوظة بإستانبول في أثناء سنوات متفرقة، وإظهار نسبتها بالنسبة لإيرادات الموقوفات جميعها في أثناء السنوات نفسها، وهو ما يمكن تناوله في الجدول الآتي^(٣).

الحمام الكبير Büyük (Hamam)	حمام الاستحمام Havuzlu Hamam	تشيمبرلي تاش حمام Çemberitaş (Hamam)	حمام كلية نوربانو Nurbanu Küllüye (Hamam)	إجمالي الدخل بالآفجة	السنة
٣,٦٦٦ (٪١,١٤)	١,٨٣٣ (٪٠,٥٧)	٥,٨٣٣ (٪١,٨)	٤,١٦٦ (٪١,٢٩)	٣,٨٦٩,٩٧٥	١٦٣٢هـ/١٠٤١م
٣,٦٦٦ (٪١,١)	١,٨٣٣ (٪٠,٥٥)	٥,٨٣٣ (٪١,٧٥)	٣,٣٣٣ (٪١)	٣,٩٩٤,٠٤٠	١٦٣٩هـ/١٠٤٩م
٣,٨٣٣ (٪١,٠١)	٢,١٦٦ (٪٠,٥٧)	٧,٠٨٣ (٪١,٨٦)	٣,٣٣٣ (٪٠,٨٨)	٤,٥٦١,٣١٠	١٠٥٥-١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م
٣,٣٣٣ (٪٠,٩٦)	١,٦٦٦ (٪٠,٤٨)	٧,٠٨٣ (٪٢,٠٤)	٣,٨٣٣ (٪١,١)	٤,١٧٠,٦٩٨	١٠٥٧-١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م

(١) ينظر: العارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢.

(2) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 69.

(3) Bathing Culture Of Anatolian Civilizations, Architecture, History, And Imagination, (Nina Ergin), Ancient Near Eastern Studies, Supplement 37, Peters, Leuven-Paris-Walpole, 2011, P. 166.

٣,٨٠٠ (%١,٤٢)	١,٦٦٦ (%٠,٦٢)	١١,٦٧٧ (%٤,١٢)	٣,٣٣٣ (%١,٢٥)	٣,٢٠٣,٥٧٠ م١٦٥٢	١٠٦٢-١٠٦٣هـ/
٥,٨٣٣ (%٢,٠٦)	١,٦٦٦ (%٠,٥٩)	١١,٦٧٧ (%٤,١٢)	٣,٣٣٣ (%١,١٨)	٣,٣٩٩,٩١٦ م١٦٥٥/	١٠٦٤-١٠٦٥هـ
٤,٥٨٤ (%١,٦٤)	١,٦٦٦ (%٠,٦)	٨,٩٣٤ (٣,٢) (%٣,٢)	٣,٣٣٣ (%١,٢)	٣,٣٤٩,٩٩٦ م١٦٥٨	١٠٦٨-١٠٦٩هـ/
٣,٧٦٥ (%١,٤٨)	٢,٨٦٥ (%١,١٣)	٥,٠٠٠ (%١,٩٧)	٢,٥٠٠ (%٠,٩٨)	٣,٠٤٧,٥٩٤ م١٦٦٣	١٠٧٣-١٠٧٤هـ/
٣,٧٦٥ (%١,٠٦)	١,٨٣٣ (%٠,٥٧)	٥,٨٣٣ (١,٨) (%١,٨)	٤,١٦٦ (%١,٢٩)	٣,٨٦٩,٩٧٥ م١٦٣٢/	١٠٤١هـ/
٣,٧٥٠ (%٠,٩٦)	١,٨٣٣ (%٠,٥٥)	٥,٨٣٣ (%١,٧٥)	٣,٣٣٣ (١) (%١)	٣,٩٩٤,٠٤٠ م١٦٣٩/	١٠٤٩هـ/
٣,٣٣٣ (%١,٠٦)	٢,١٦٦ (%٠,٥٧)	٧,٠٨٣ (%١,٨٦)	٣,٣٣٣ (%٠,٨٨)	٤,٥٦١,٣١٠ م١٦٤٥	١٠٥٤-١٠٥٥هـ/

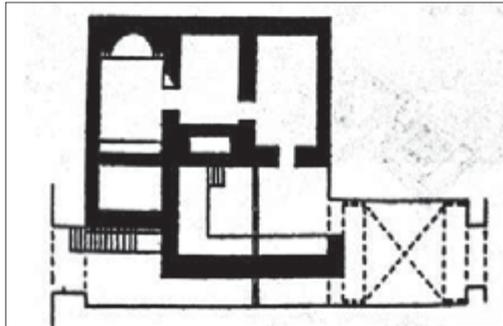
وأما عن طرز عمارة الحمامات، فهي تنقسم إلى طرازين أساسيين: الطراز المنفرد، والطراز المزدوج، ويمكن أن ينقسم كل منهما داخلياً خاصة الطراز المنفرد إلى التخطيط المتتابع في محور طولي، والتخطيط المتتابع في محور عرضي.

١. الحمامات المفردة:

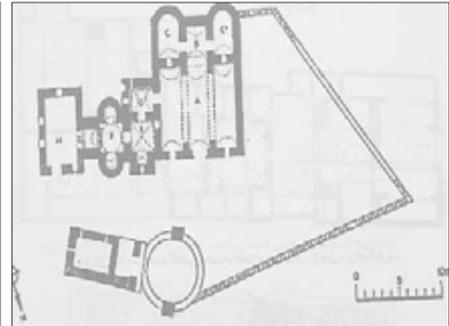
شهدت العمارة الإسلامية في مصر مولد هذه الحمامات اعتباراً من الفتح الإسلامي سنة ٢١هـ/ ٦٤١م، عندما أنشأ عمرو بن العاص حمام الفسطاط الذي أطلق عليه حمام الفار كناية عن صغر حجمه، وقد استمرت عمارة الحمامات في التطور في أثناء العهود الإسلامية المتعاقبة^(١)، وكانت البداية في ظهور الحمامات في

(١) ينظر: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٨٥. ولزبد من المعلومات عن الحمامات وأهميتها وتخطيطاتها والعاملين بها، ينظر: العمارة الإسلامية في قبرص، بدر عبد العزيز البدر، ص ٤٠٥-٤١٠؛ والحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العهد العثماني، منصور محمد عبد الرازق معوض، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م؛ وأعمال المنافع العامة بالقاهرة في القرن التاسع عشر، إبراهيم صبحي السيد غندر، رسالة (دكتوراة)، غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م؛ والحمامات الباقية بمدينة دمشق في العصرين المملوكي والعثماني، عادل زيادة، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.

الإسلام هي الحَمَامات الخاصة التي تبعت هذا الطراز المفرد، إذ كانت تلحق بالعمائر السكنية وخاصة القصور وذلك منذ العهد الأموي، ومن أشهر تلك النماذج حَمَام قصر عمر (٩٢-٩٦هـ/ ٧١٠-٧١٤م) (صورة: ٢٠٠)، وحَمَام الصرخ أو الصرح (١٠٧هـ/ ٧٢٥م)، وحَمَام قصر الحير الغربي (١٠٩هـ/ ٧٢٧م) من العهد الأموي، وحَمَام قصر الأخيضر (١٦١هـ/ ٧٧٧م) من العهد العباسي الأول (صورة: ٢٠١)، وحَمَام قصر الزهراء في قرطبة الذي يرجع للقرن ٤هـ/ ١٠م، وغيرها^(١)، ومن القرائن التي تدل على عظمة تلك الحَمَامات أن الخليفة الوليد بن عبد الملك لما بنى مسجد دمشق الكبير قال: «رأيتكم يا أهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال، تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحَمَاماتكم، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامسة»^(٢).



صورة (٢٠١): مسقط أفقي لحَمَام قصر الأخيضر العباسي (نقلًا عن: عمائر غازي خسرو بك، حسب الله، شكل ١٧٦).



صورة (٢٠٠): مسقط أفقي لحَمَام وقصير عمره ببادية شرق الأردن (نقلًا عن: المجمل في الآثار، الحداد، شكل ٩٩).

وانتشرت الحَمَامات المفردة بشكل كبير في الأقطار المختلفة للعالم الإسلامي^(٣)، وقد وجدت الحَمَامات في العمارة السلجوقية، وقبل أن يقوم السلاجقة ببناء حَمَامات خاصة بهم فإنهم استخدموا الحَمَامات البيزنطية القديمة بعد أن قاموا بإصلاحها

(١) ينظر: العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٧٣؛ وموسوعة العمارة الإسلامية، عبد الرحيم غالب، المطبعة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٣٩؛ ومنشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة، محمد سيف النصر أبو الفتوح، ص ١٦١-١٧٦.

(٢) العمائر الإسلامية في قبرص، بدر عبد العزيز بدر، ص ٤٠٦.

(٣) ينظر: تراث العمارة الإسلامية، خالد عزب، ص ٤٣.

وإدخال بعض التعديلات المعمارية عليها لتناسب مع استخدام المسلمين لها^(١)، ثم قام السلاجقة ببناء الحَمَّامات الخاصة بهم، وكانت الحَمَّامات السلجوقية عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة، تتكون من ثلاث غرف رئيسة وهي؛ غرفة خلع الملابس، تلي باب الدخول مباشرة، ثم الغرفة الدافئة ويتم الوصول إليها عبر ممر أو دهليز، ثم الغرفة الساخنة، وعادة ما تكون عبارة عن حجرة مربعة تغطيها قبة، وتشرف عليها في الغالب أربعة إيوانات، فضلا عن بعض الحجرات والخلاوي^(٢).

وجاءت غالبية الحَمَّامات السلجوقية وفق طراز الحَمَّامات المفردة، فيما جاء بعضها الآخر وفق طراز الحَمَّامات المزدوجة، ولم تقتصر نماذج هذه الحَمَّامات على العمارة السلجوقية، بل وجدت نماذج عدة من الحَمَّامات المفردة في أثناء العهد العثماني، وقد بُني أول الحَمَّامات العثمانية على يد أورخان غازي في بورصة سواء الحَمَّام القديم (صورة: ٢٠٢) أم الحَمَّام الجديد (صورة: ٢٠٣)، أما في إستانبول فإن أقدم حَمَّام باق بها على الطراز المفرد^(٣) هو حَمَّام محمود باشا (١٤٦٦م/٨٧١هـ)^(٤) (صورة: ٢٠٤)، وكان هذا الحَمَّام يؤدي وظيفته التي أنشئ من أجلها حتى عهد قريب^(٥)، وأما حاليًا وبعد تهدم نصفه تقريبًا فقد تغير نشاطه إلى مزاولة الأنشطة التجارية إذ تملأ قاعات الحَمَّام الأقمشة والملابس، وأصبح هذا الحَمَّام نموذجًا يحتذى به في عمارة الحَمَّامات بمدينة إستانبول، وقد بني أصلًا ليكون حَمَّامًا مزدوجًا، بحيث يجمع خدمات كاملة لراحة الرجال، وخدمات أخرى كاملة ومنفصلة لراحة النساء، وهذا الحَمَّام يتبع طراز الحَمَّامات ذات التخطيط المتتابع على محور واحد، ومن الجدير بالذكر أنه لم يتبق من عمارة هذا الحَمَّام سوى القسم الخاص بالرجال.

(١) ينظر: العمائر الدينية غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٧٢؛

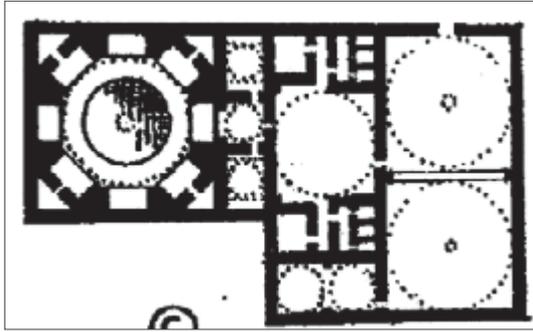
Anadolu Su Kültürü, Türk Hamamları Ve Yıkınma Geleneğinin Kökleri Ve Geleceği, (Fikret K. Yegül), Anadolu, 2009, Pp. 99-118.

(2) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsall), P. 70.

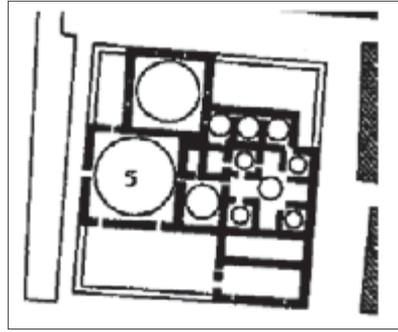
(٣) كان في الأصل حَمَّامًا مزدوجًا، ولكن تهدم حَمَّام النساء فأصبح حَمَّامًا مفردًا.

(٤) حَمَّام محمود باشا: يتكون الجزء المتبقي - وهو حَمَّام الرجال - من غرفة لتبديل الملابس، تغطيها قبة كبيرة يزيد قطرها على ١٥م، وترتكز على مقرنصات، ثم الحجرة الباردة، وتتميز هذه الحجرة بأنه يغطي مربعها الأوسط قبة تتقدمها نصف قبة تغطي الإيوان البارز، ثم الحجرة الساخنة (بيت الحرارة) وهي مثمثة التخطيط تغطيها قبة، ويخرج من هذا المثلث ذراعان متقابلان يحتويان على ست من الخلاوي، بواقع ثلاث بكل جانب، ويغطيها كلها قباب صغيرة، إضافة إلى المنافع والمرافق الأخرى بالحَمَّام. ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣٠-٢٣١.

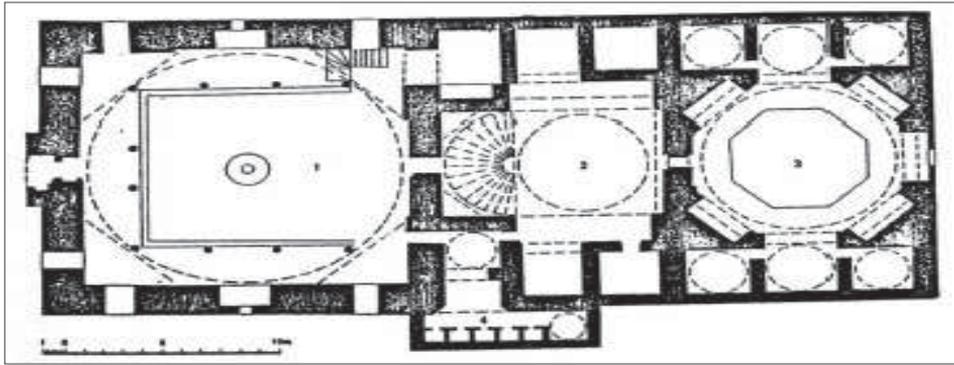
(5) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsall), P. 71.



صورة (٢٠٣): مسقط أفقي لبني حمام (الحمام الجديد) في بورصة (نقلًا عن: عمائر غازي خسرو، حسب الله، شكل ١٨٠).



صورة (٢٠٢): مسقط أفقي لحمام أورخان غازي في بورصة (نقلًا عن: عمائر غازي خسرو، حسب الله، شكل ١٧٩).



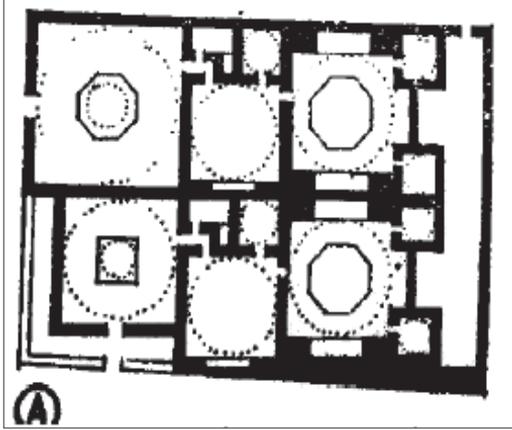
صورة (٢٠٤): مسقط أفقي لحمام محمود باشا بإستانبول حاليًا (نقلًا عن: العمارة الإسلامية في أوروبا، الحداد، ص ٣٨٥).

وأما داخل حدود الدراسة فإنه يندرج ضمن هذا الطراز نموذج واحد بني في أصله مفردًا، وللأسف فقد اندثر هذا الحمام ولم تتبق إلا أطلاله، وهو حمام النافورة Havuzlu سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م (سبق إيراد صورة له) الذي شيّده نوريان سلطان، ويمكن أن يندرج أيضًا ضمن هذا النمط چينيلي حمام وذلك بعد تهدم جزء كبير منه؛ إذ لم يعد حاليًا به إلا حمام الرجال.

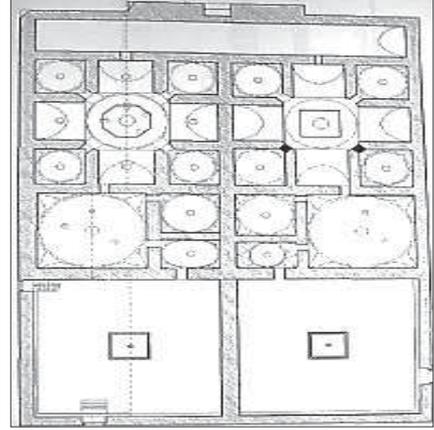
٢. طراز الحمامات المزدوجة:

انتشرت الحمامات المزدوجة بشكل كبير في أثناء العهد العثماني، وكانت تبنى هذه الحمامات ليتم الانتفاع من ريعها للإنفاق على المنشآت الأخرى ضمن مجمع معماري واحد، ومن أمثلة الحمامات السلجوقية ذات الطراز المزدوج حمام كلية

صاحب عطا في قونية^(١)، وهو أكبر الحمامات المزدوجة في عهد سلاجقة الأناضول^(٢) (صورة: ٢٠٥)، ومن الحمامات التي ترجع أيضاً لعهد السلاجقة حمام مدينة (Ilgin) (٣٣هـ/ ١٢٣٦م) بقونية، ولكن هذا الحمام قد تعرض لطمس معالمه الأصلية نتيجة كثرة الإضافات، وحمام ميرام Meram (٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م) (صورة: ٢٠٦)، ويُعدّ واحداً من ١٤ حماماً في قونية وحدها^(٣)؛ دلالة على انتشار الحمامات بالأناضول.



صورة (٢٠٦): مسقط أفقي لحمام ميرام بقونية (نقلًا عن: عمائر غازي خسرو، حسب الله، شكل ١٧٨).



صورة (٢٠٥): مسقط أفقي لحمام كلية صاحب عطا بقونية (نقلًا عن: عمائر غازي خسرو، حسب الله، شكل ١٧٧).

ومن النماذج الأولى لتلك الحمامات العثمانية ما أقيمت في مدينة بورصة، ومن أوائل تلك الحمامات حمام أورخان بك^(٤) (٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م) في بورصة (ينظر صورة: ٢٠٢)، ويني حمام أو الحمام الجديد (٧٣٧هـ/ ١٣٣٣م) لأورخان غازي

(١) هذا الحمام يعطي ملمحاً جيداً عن تخطيط الحمامات السلجوقية، وهو حمام مزدوج ينقسم إلى جزأين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وكانت تكسو أرضية غرفة الحجرة الباردة كسوات المرمر الرخامية وتتوسطها نافورة، ثم تؤدي هذه الغرفة عبر ممر إلى الغرفة الباردة ومنها إلى بيت الحرارة أو الغرفة الساخنة، وهي غرفة مربعة مغطاة بقبة يشرف عليها مجموعة من الإيوانات والخلاوي. ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٧٥.

(2) Anadolu Selçuklu Veziri Sahip Ata Fahreddi Ali' Nin Mimari Eserleri, (Alptekin Yavaş), Doktora Tezi, T.C, Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Sanat Tarihi Anabilim Dalı, Ankara, 2007, S. 156.

ومنشآت التصوف بمدينة القاهرة، هند علي منصور، ص ٥٠٠.

(3) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 70.

(٤) وقد تعرض هذا الحمام للحرائق عدة مرات، حتى تحول استشاره في الوقت الحالي ليتم فيه تداول الأنشطة التجارية بمنزلة سوق مغطى، أما عن تاريخ ذلك الحمام فلا توجد كتابات على ذلك الحمام توضح تاريخ بنائه، إلا أنه يعتقد أنه بُني في نفس فترة إقامة مسجد أورخان بك في بورصة، ومن حيث تخطيط الحمام فإنه يتبع طراز الحمامات المزدوجة. ينظر:

Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 71.

أيضاً (ينظر صورة: ٢٠٣)، ومن الحمامات المزدوجة حمام السلطان بايزيد الثاني (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) الذي يزيد قطر القبة فيه عن ١٥ م^(١)، وقد اعتمد المعمار سنان على هذا الأسلوب في تخطيطات الحمامات التي شيدها فيما بعد، ومنها نماذج حمامات النساء (قيد الدراسة)، ومن نماذج هذه الحمامات أيضاً حمام غازي خسرو بك سراييفو (٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م)^(٢).

ويندرج ضمن هذا الطراز في حدود الدراسة حمام خاصكي خرّم سلطان (٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م)، وهو ذو تتابع طولي (سبق إيراد صورة له)، إذ لا يقع الحمامان إلى جوار بعضهما وإنما يمتد حمام النساء إلى الجنوب من حمام الرجال، ويتميز الحمام بحجراته الساخنة مثمثة التخطيط؛ إذ يخرج من هذا المثلث أربعة أذرع على هيئة إيوانات صغيرة متعامدة، وتوجد فيما بين تلك الإيوانات أربع خلوات على هيئة حرف (T)، وتغطي المربع الأوسط بكل خلوة قبة صغيرة، أما أرضية الحجره فمكسوة بالرخام متعدد الألوان وفق النظام المشهر وقوام زخارفها الأشكال النجمية والمتشابكة، كما تتميز الحجره في عقود الإيوانات والخلوات بأنها عقود ناقصة تدرج تحت ما عرف باسم عقود بورصة، أما منطقة انتقال القبة فهي متميزة أيضاً إذ تقوم على حطات مقرنصة ذات ذيول هابطة تعلو عقود بورصة الأربعة، والقبة مفرغة إذ تفتح بها مجموعة من المضاي الزجاجية الشفافة، وقد أطلق على هذا النوع -اصطلاحاً- اسم (قماري أورشان)^(٣)، ومنها حمام مهرماه سلطان بأدرنة قاي (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)^(٤) (سبق إيراد صورة له)، ومنها حمام نوربانو سلطان الباقيان بمدينة إستانبول؛ أحدهما حمام تشيمبرلي تاش بمنطقة الفاتح بالجزء الأوروبي (سبق إيراد صورة له)، والآخر هو حمام الكلية بإسكدار (سبق إيراد صورتين له)، وكلاهما يندرج ضمن التخطيط المزدوج، ومنها أيضاً الحمام الخزفي أو الصيني شنيلي (Çinili) الأصلي لماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار (١٦٥٠هـ/ ١٦٦١م).

(١) ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٣١.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠١٩م، ص ٢١٩. وما يدل على أهمية الحمام -طبقاً لما ورد في السجلات الخاصة بحسابات الوقف آنذاك بالنسبة لوقف غازي خسرو بك- أن إيراده السنوي كان يتراوح ما بين ٦٠٠٠ و ٧١١٧ آقجة. ينظر: عمائر غازي خسرو بك، آية عبد العزيز حسب الله، ص ٣٣٣-٣٤٢.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢١٨.

(4) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 72.

المبحث الثالث

العمائر الجنائزية (التُّرب)

تُعدّ العمائر الجنائزية فرعاً مهماً من أفرع العمارة الإسلامية، ويقصد بالعمائر الجنائزية تلك الأبنية التي أعدت للإنسان عقب وفاته، ومنها ما كان مخصصاً لغسل جسد المتوفى وتجهيزه ثم القيام بتأدية صلاة الجنازة عليه في مصلى أو مسجد، وتنقسم الأماكن المخصصة لدفن المتوفى إلى قسمين؛ الأول وهو القبر نفسه، والثاني هو البناء المقام فوق القبر، وقد يكون هذا الأخير عبارة عن مدفن تعلوه قبة غالباً، ومن ثم يطلق عليه اسم القبة المدفن أو القبة الجنائزية أو القبة فقط على اعتبار أنها السمة المميزة للمدافن، ومن ثم أطلق الجزء على الكل^(١)، وقد أطلقت على العمائر الجنائزية في الأقطار العربية والإسلامية عدة مصطلحات، غير أن ما يهم منها في هذا المقام أنه شاع إطلاق لفظ (التُّربة) عليها في أثناء العهد العثماني، كما أطلق على شواهد القبور مصطلح باشلق أو نيشان^(٢).

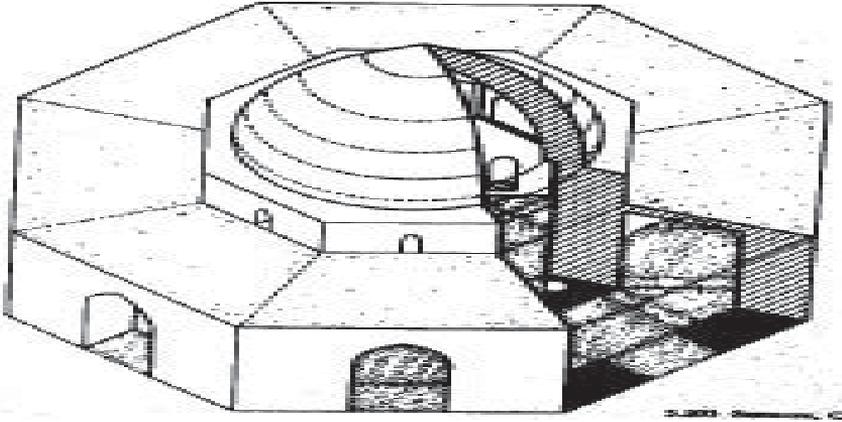
هذا وقد تعددت مخططات التُّرب فمنها ما يتبع الطراز التقليدي؛ وهو الذي تأخذ فيه التُّربة التخطيط المربع المغطى بقبة، أو الطراز غير التقليدي بأنماطه المتعددة ومن بينها التُّرب سداسية الأضلاع والمثمنة ومتعددة الأضلاع والأسطوانية والإيوانية، ومنها ما يتبع طراز التُّرب المفتوحة وغير ذلك من الأنماط المستقلة.

وقد كان لدول شرق العالم الإسلامي السبق الأول في وجود أقدم النماذج لمثل هذه العمائر ممثلة في قبة الصليبية في سامراء (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م) (صورة: ٢٠٧)، وهي أقدم مثل باقٍ في العمارة الإسلامية على العمائر الجنائزية، وهي تتبع الطراز غير التقليدي، حيث إنها تأخذ التخطيط المثلث من الخارج والتخطيط المربع من الداخل، ومن أقدم الأمثلة على الطراز التقليدي أيضاً في منطقة آسيا الوسطى قبة إسماعيل الساماني في مدينة بخارى قبل سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٣م^(٣).

(١) ينظر: العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٢٦.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ٢٠٠٢م، ص ٢٣٢.

(٣) ينظر: العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٣٢.



صورة (٢٠٧): منظور لقبة الصليبية في سامراء
(نقلًا عن: المجمل في الآثار، الحداد، شكل ٤٧).

١. الطراز التقليدي (المربع أو المستطيل):

على الرغم من وجود بعض التُّرب أو المقابر ذات الطراز التقليدي من مساحة مربعة أو مستطيلة تغطيها قبة، ويفتح بها فتحة باب تؤدي إليها، إلا أن الطراز متعدد الأضلاع كان الغالب في التُّرب العثمانية، وأما ما يخص حدود الدراسة فإنه لا توجد تُّرب تخص الواقات داخل عمائرهن الوقفية، فما وجد من التُّرب داخل مجمعي مهرماه سلطان بإسكُدار وأدرنة قابي لا يخصان الوقفة، ولم تدفن بأي منها، فأما التُّربتان المربعتان الملحقتان بمجمعي إسكُدار، فكلاهما عبارة عن تخطيط مربع الشكل تقوم على كل منهما قبة ترتكز على المثلثات التركية المقلوبة بأماكن الانتقال، وقد أنشئت التُّربتان بعد فترة من الزمن، وذكر أن إحداهما وهي الجنوبية تخص (سنان الدين يوسف) وهو أخو رستم باشا زوج الوقفة، والتُّربة الثانية وتقع إلى الشمال من التُّربة السابقة وهي تخص الصدر الأعظم (إبراهيم أدهم باشا) المتوفى سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م^(١).

وأما التُّربة الملحقة بمجمعيها في أدرنة قابي، فهي تأخذ شكلاً مستطيلاً يمتد من الشمال للجنوب يتقدمه مكتب الصبيان، ويبلغ طول أضلاعها ٩٠، ٨٠x٧، ١٥م، وتكون مع مكتب الصبيان هيئة حرف (L)، إذ تغطي التُّربة قبة مركزية في المتصف

(1) Üsküdar Mihri mah Sultan Kulliyesi (op. Cit), (Bekir Yilmazörnek), (S. 7.

على جانبيها أقبية، ويذكر بعض الباحثين أن الجانبين كانت تغطيها قباب^(١)، ويدخل إلى التربة عبر مدخل في الجهة الشمالية، وعلى جانبيه نافذتان تقابلها في الجهة الجنوبية ثلاث نوافذ، أما الجهتان الشرقية والغربية ففتح بكل منهما خمس نوافذ. وكذلك تدرج ضمن هذا النمط مع تفردا تربة خديجة تورخان سلطان إذ إنه تتقدمها سقيفة، ومن ثم تأخذ التربة تخطيطاً مربع الشكل، حيث تتكون من مربع سفلي فتح بضلعه الشمالي الشرقي فتحة باب الدخول تؤدي عبر دهليز إلى داخل التربة، كما فتح بمنتصف الجهة الجنوبية الغربية على محور المحراب إيوان أو تربة صغيرة مربعة الشكل تطل على التربة الرئيسة بعقد مدبب يفتح بكامله على التربة، وعلى جانبيه نافذتان، وبهذا الجزء تمت إضافة محرابان صغيران مكسوان ببلاطات خزفية تملؤها الزخارف النباتية.

٢. الطراز غير التقليدي (متعدد الأضلاع):

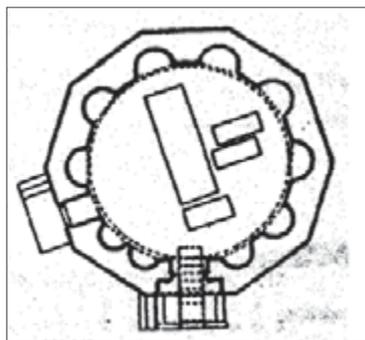
يعتبر الطراز غير التقليدي أو متعدد الأضلاع هو الطراز الأكثر شيوعاً وانتشاراً وإبداعاً في أثناء العهد العثماني، ولا سيما تربة السلاطين وزوجاتهم والصدور العظام والوزراء من بعدهم، وقد تبنى تلك التربة مستقلة أو ملحقة أو ضمن المجمعات المعمارية، وغالباً ما تأخذ هذه التربة التخطيط المثلث وقد تبنى بالحجر أو بالرخام، وتكسى بشتى أنواع الزخارف والكسوات الرخامية والخزفية والأشرطة الكتابية^(٢). ويرجع أقدم نموذج للأضلاع متعددة الأضلاع للعهد السلجوقي وتُعرف بالأضلاع البرجية؛ الضريح المعروف بجنبد قابوس أو برج المقبرة في إقليم جرجان بإيران جنوب شرق بحر قزوين المؤرخ بسنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٧م^(٣) (صورة: ٢٠٨)، ومن الأضلاع المثلثة من الداخل والخارج ضريح سلطوق في أرضروم والذي يعود

(1) Büyük Usta Mimar Sinan (op. cit), (Ahmet Emre Bilgili), S. 105.

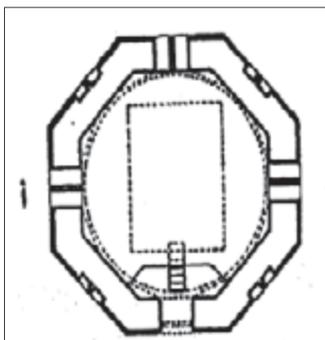
(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٣٥.

(٣) ويتكون تخطيطه المعماري من الداخل من شكل دائري، فيما يأخذ من الخارج شكلاً نجمياً يضيق قليلاً في أعلاه حتى ينتهي بقمة مخروطية الشكل، وله من الخارج عشرة أضلاع مثلثة القطاع، ويوجد على ارتفاع ثمانية أمتار من الأرض إزار كتابي، كما يوجد إزار آخر أسفل القبة المخروطية مباشرة، ويشتمل الإزاران على كتابات بالخط الكوفي تتضمن اسم المنشئ (الأمير قابوس بن وشمكير) وتاريخ البناء (سنة ٣٩٧هـ). ينظر: أثر الفن السلجوقي على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والملوكي في مصر، منى محمد بدر، رسالة (دكتوراة)، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص ٣١.

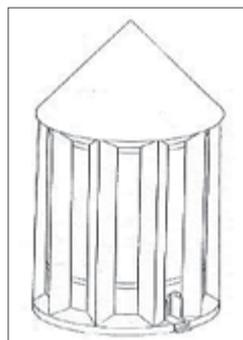
تاريخه للقرن ٦هـ/ ١٢م (صورة: ٢٠٩)، ومن الأضرحة ذات العشرة أضلاع من الخارج ضريح السلطان قليج أرسلان الثاني في قونية من القرن ٦هـ/ ١٢م، وهذا الضريح له عشرة أضلاع (صورة: ٢١٠)، وهناك أيضًا إحدى المقابر التي شيّدت للوزير خليفة غازي (٥٤٠هـ/ ١١٤٥-١١٤٦م) في أماسيا وتأخذ الشكل المثلث، وهناك ضريح آخر مثلث الأضلاع وله قمة مخروطية يعرف باسم ضريح قولاق ويرجع إلى نهاية القرن ٦هـ/ ١٢م، وفي مدينة ديوريكي مقبرة تُعرف باسم ست الملك التي دُفنت بها في نهاية القرن ٨هـ/ ١٤م، ولكن البناء يرجع إلى سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م وتأخذ التخطيط المثلث، وضريح دونر سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٧٦م في قيصرية، وله من الخارج اثنا عشر ضلعًا ويأخذ من الداخل الشكل الأسطواني، وضريح بادشاه خاتون في أرضروم، وضريح أولو في أخلاط سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م^(١)، وتربة خواند خاتون ضمن مجموعتها المعمارية في قيصرية سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، وتربة ملك غازي في قير شهر سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وتربة الأمير علي سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م^(٢).



صورة (٢١٠): تربة أو ضريح قليج أرسلان الثاني في قونية (نقلًا عن: أثر الحضارة السلجوقية، منى محمد بدر، ١٩٩٨م).



صورة (٢٠٩): تربة أو ضريح سلتيق بأرضروم (نقلًا عن: أثر الحضارة السلجوقية، منى محمد بدر، ١٩٩٨م).



صورة (٢٠٨): منظور لجنبد قابوس في جرجان (نقلًا عن: المجمع في الآثار الإسلامية، الحداد، شكل ٣٣٧).

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٣١-٣٣؛ ودراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ١٥٧-١٥٨.
(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد فتحي السباعي، ص ٥١٣.

وقد وصل من منطقة غرب الأناضول إبان فترة الإمارات التركمانية نموذج وحيد للتخطيط المضلع لثربة سداسية الأضلاع، وتمثّل ذلك في ثربة سلطان شاه ابنة محمد بك بن أيدين (الثربة الخاتونية) الملحقة بجامعة بمدينة بركي بالأناضول سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م^(١)، وضريح حليلة خاتون في كيواش سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٨م، ولكن هذا الضريح له اثنا عشر ضلعاً^(٢)، وقد وصلنا من مدن الإمارات التركمانية وعواصمها نماذج قليلة لهذا الطراز، ومنها نموذج وحيد في مدينة تيره ويمثله ثربة ياغي أغلو (Yağlıoğlu) والتي تؤرخ بالقرن ٨هـ/ ١٤م^(٣).

وقد شاع استخدام نمط الثرب ذات التخطيط متعدد الأضلاع في أثناء العهد العثماني، ومن أبداع النماذج الباقية وأشهرها المبكرة الثربة الخضراء (يشيل ترابه) في بورصة للسلطان محمد جلبي سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م^(٤) (صورة: ٢١١)، ومن الثرب ذات التخطيط سداسي الأضلاع ثربة كل من؛ أرطغرل غازي، والثربة الخاتونية في بورصة ٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م، وثربة شاهزاده مصطفى سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٩م، وقد دفن بها أبناء السلطان محمد الفاتح (مصطفى وعبد الله وعلم شاه)، وثربة جاجا

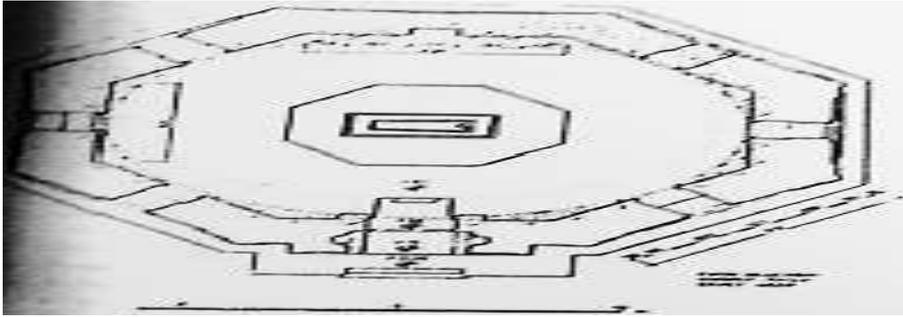
(١) وتخطيط هذه الثربة عبارة عن مساحة سداسية الأضلاع بصدورها في الضلع الشمالي دخلة عميقة، وعلى محورها بالضلع الجنوبي فتحة باب تؤدي إلى داخل الثربة، فيما تشتمل بقية الأضلاع الأخرى على نوافذ للإضاءة والتهوية بواقع نافذة بكل ضلع، ويتوج الثربة من أعلى قبة زُخرف ظاهرها بأشكال خوصات مفصلة، وتعدّ الثربة الخاتونية من أقدم نماذج هذا النمط من تخطيط الثرب سداسية الأضلاع في الأناضول، كما أنه لا توجد بين ثرب السلاجقة أي نماذج تتبع هذا التخطيط، حيث إن أغلب ما شاع من الشكل المضلع هو تخطيط الثرب من ثمانية أو عشرة أضلاع. ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٦١.

(٢) ينظر: أثر الفن السلجوقي، منى محمد بدر، ص ٣١-٣٣.

(٣) تقع هذه الثربة في مواجهة مقابر مدينة تيره، وليس على هذه الثربة تاريخ، ولكن أرخها الدكتور حقي أونكال بناءً على مخططها إلى فترة القرن ٨هـ/ ١٤م، وتتكون هذه الثربة من طابقين ويقع مدخلها بالضلع الغربي منها، وهو مدخل مزخرف بقطع رقيقة من شرائح الرخام، وتمتاز هذه الثربة باحتوائها على محراب معلق، يذكر حقي أونكال أن السبب في تعليقه هو انخفاض غطاء الطابق الأسفل، وقد استُخدم في بناء هذه الثربة مادتا الأجر والحجر، ويتوج الثربة من أعلى قبة تنتهي بعلم من الحجر. ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٦١.

(٤) تعتبر الثربة الخضراء في بورصة بمنزلة استثناء للأضرحة العثمانية المبكرة، وذلك لما تميّزت به من ضخامة وفخامة في زخارفها وكسوتها الخزفية، وتشكل الثربة مع بقية وحدات المجموعة المعيارية للسلطان محمد جلبي مجموعة معمارية فريدة تعتبر نهضة معمارية في العمارة العثمانية، تشغل هذه الثربة مساحة تبلغ حوالي ٣٢٨م، وتشمل هذه المساحة الثربة والحديقة المحيطة بها، والثربة عبارة عن بناء مثنى يبلغ طول كل جدار أو ضلع من أضلاعه حوالي ٢٠م، وارتفاع الجدران يبلغ نحو ١٥م، وترتفع رتبة القبة التي تغطي الثربة حوالي ٥٠م، ورقبة القبة تأخذ الشكل المدب من الخارج ويبلغ قطر هذه القبة ١٥م. ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ١٣٩-١٤١.

أوغلو علي باشا والتي تؤرخ بأواخر القرن ٩هـ / ١٥م^(١)، ومن التُّرب المئمة أيضًا في إستانبول؛ تُربة روم محمد باشا سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م^(٢)، وتُربة محمود باشا سنة ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م، وتُربة داود باشا سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م^(٣).



صورة (٢١١): مسقط أفقي للتُّربة الخضراء في بورصة. نقلًا عن:

Önkal, Osmanlı Haneden Türbeleri, s. 74

أما التُّرب التي ترجع للقرن ١٠هـ / ١٦م وما يليه فكثيرة، ومنها تُربة شاهزاده محمود بن السلطان بايزيد الثاني بإستانبول سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥-١٤٠٦م، وتُربة مصطفى الجديدة في إستانبول سنة ٩١٩هـ / ١٥١٣م، وقد بنيت هذه التُّربة لأبناء السلطان سليم الأول الثلاثة، الأمراء: أحمد وشاهنشاه وقرقود، ولكنها استمدت اسمها الحالي عندما دفن بها شاهزاده مصطفى بن السلطان سليمان القانوني عام ٩٥٩هـ / ١٥٥٢م^(٤)، وقد أقام قوجه معمار سنان عدة تُرب منها: تُربة خير الدين بربروسا باشا في بشكطاش سنة ٩٤٨هـ / ١٥٤٩م، وتُربة شاهزاده محمد بإستانبول سنة ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م، وتُربة خسرو باشا في يني باغجة سنة ٩٥٢هـ / ١٥٤٥م^(٥)، وتُربة شاهزاده لرسنة ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م، وتُربة رستم باشا سنة ٩٦٨هـ / ١٥٦١م^(٦)، وتُربة زال محمود باشا سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م، وتُربة أمير البحر قليج علي باشا

(١) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٢٣٥.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 114.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص ٢٣٦.

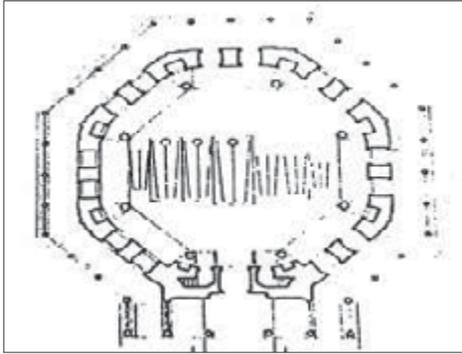
(٤) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥١١.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٥١٢.

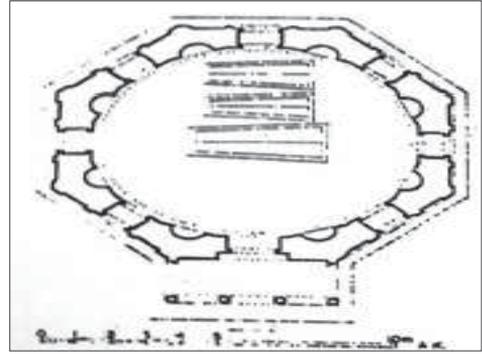
(٦) ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ١٥٨.

في طوبخانة سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٤م^(١)، وتُربة سوكللو محمد باشا في أيوب سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٢م.

وأما ما يندرج ضمن هذا الطراز داخل حدود الدراسة فترية خاصكي خرم سلطان سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م^(٢) التي تقع بمجمع السلمانية، وهي عبارة عن مئذنة فتحت بكل ضلع من أضلاعه نافذة، ويتم الدخول إليها عبر مدخل واحد، وهي تتميز عن التُربة السابقة بوجود رواق أو سقيفة تتقدم المدخل تطل على الخارج بياضكة معقودة من ثلاثة عقود تقوم على أعمدة رخامية (صورة: ٢١٢)، وتشبهها تربة زوجها السلطان العظيم سليمان القانوني سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م^(٣)، غير أنها تنفرد بوجود مزار حول التربة ممثلاً في الرواق أو السقيفة الخارجية المئذنة التي تلتف حول أضلاع التربة من جميع الجهات، ويتم الدخول إليها أيضاً عبر مدخل واحد (صورة: ٢١٣).



صورة (٢١٣): تربة السلطان سليمان القانوني بمجمعه في إستانبول. نقلاً عن: (Önkal, Osmanlı Haneden Türbeleri, s. 158)



صورة (٢١٢): تربة خاصكي خرم سلطان بمجمع السلمانية بإستانبول (نقلاً عن: عمارة التُرب، أبو زيد، شكل ٢٩).

- (١) وتتكون كل من هاتين الترتين من تخطيط متعامد أو صليبي من الداخل. ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥١٢.
- (٢) ذكرت إحدى الباحثات في دراستها عمائر المرأة الدينية بإستانبول: أن تربة خرم بكلية السلمانية (٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م) تتبع التخطيط التقليدي، وتشغل مساحة مربعة مغطاة بقبة، وهو أمر يجانبه الصواب، إذ إن تخطيط التربة واضح كما في المسقط الأفقي لها ذو شكل مئذنة تغطيه قبة وتتقدمه سقيفة واحدة. ينظر: عمائر المرأة الدينية في إسطنبول، ريهام يحيى عبد العال، ص ٣٢٥.
- (٣) ويتشابه مع هذه التربة في أنه يتقدمها ويلتف حولها رواق من الخارج ضريح بياله باشا بإستانبول (٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م). ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ١٥٩.

وقد تبين في أثناء هذا الفصل أهمية العماير الوقفية (موضوع الدراسة) وموقعها من العماير العثمانية الأخرى من حيث التخطيط المعماري، إضافة إلى تفرد لها في بعض التخطيطات أو تمثيلها لمراحل انتقالية بين تخطيطات قديمة وأخرى متطورة مثلت العماير الوقفية فيها حجر الزاوية، وهو الأمر الذي يتجلى في المساجد والمدارس والتكايا ودُور الشفاء، إضافة إلى التدليل على استمرارية التطور الطبيعي للعماير الإسلامية والامتداد التاريخي، بما يبرهن أن الوظيفة كانت سبب التطور إلى جانب إبداع المهندس المسلم، ولم يكن اقتباس التخطيطات من عماير غير إسلامية، وإنما مثلت العماير مثلها في ذلك مثل الوقف امتدادًا لحضارة الإسلام منذ نشأته الأولى.

الفصل الثالث

مواد البناء والعناصر المعمارية

تمهيد:

تأتي أهمية هذا الفصل من تحليل المواد الخام التي شُيّدت منها العمائر الوقفية: كالحجر والرخام والآجر بصفة أساسية، إلى جانب العناصر التي تكونت منها هذه العمائر، مثل: الواجهات بما تحتوي عليه وتضمّه من مداخل ونوافذ وتقسيمات رأسية وأفقية، ومن وسائل التغطيات التي مثلت القبة فيها نقطة فاصلة تُعدّ أهم ميزة في العمارة العثمانية عمومًا، والعمائر الوقفية (موضوع الدراسة) خصوصًا، مع تناول مناطق انتقال القباب باعتبارها الجزء المحوري الذي يحمل القبة أعلى المربع السفلي، وكذلك تناول الروافع التي مثلت الأعمدة أهم أشكالها، والعقود التي تميزت بأشكال متعددة منها العقود المدببة ونصف الدائرية والموتورة، والعناصر الخاصة التي تطلبتها وظيفة المسجد بشكل خاص كونه أهم العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، مثل: المحفل والمئذنة والمنبر والمحراب وكرسي المقرئ، وذلك مع تأصيل استخدام المواد الخام وظهور هذه العناصر المعمارية في العمائر الإسلامية، لا سيما التي سبقت العثمانيين وأثرت في العمارة العثمانية بشكل مباشر، ومقارنة ببعض النماذج العثمانية الأخرى للوقوف على انتشار هذه العناصر في العمارة العثمانية.

المبحث الأول

مواد البناء

تعددت وتنوعت المواد التي استخدمت في بناء العمائر العثمانية عمومًا ما بين: أحجار وآجر ورخام، والكثير من المواد المساعدة أو المكملة لعملية البناء والتشييد، وينطبق الأمر على العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني (موضوع الدراسة).

ويرجع هذا التعدد إلى عدة عوامل منها:

١- توافر المواد الخام:

حيث يتوقف استخدام المواد الخام المختلفة على حسب البيئة التي يتم فيها البناء؛ فمثلاً إذا كانت المناطق جبلية توافرت فيها الأحجار، وإذا كانت البيئة تتميز بكثرة أنهارها فإننا نرى استخدام الآجر، وإذا كانت هذه المناطق تشتمل على غابات فإننا نرى استخدام الأخشاب.

٢- طبيعة المبنى ووظيفته:

لكل مبنى وظيفة ذات متطلبات معينة، وإذا كان جوهر التخطيط الإسلامي عموماً يصلح لأداء أي وظيفة، إلا أن لكل وظيفة عناصرها المعمارية الخاصة التي تفيد في تقديم الخدمة المنوطة بها بالشكل المثالي وفق رغبات المنشئين، ولذا يجب أن تتوافر به حتى يتسنى لكل مبنى أو منشأة القيام بمهمتها على أكمل وجه، ولما كان الهدف الأول من بناء عمائرنا (قيد الدراسة) الوقف فإن الحرص على تأييد النفع كان أول اهتمامات الواقفات، ومن ثم فقد حرصن على إنشاء عمائرهن الوقفية من مواد متينة؛ فبنيت المساجد من الحجر حتى يكتب لها البقاء والاستمرار والدوام، وكذلك كل المنشآت الدينية، أما فيما يتعلق بالأسبلة وقاعات الحمامات الساخنة، فإنه نظراً لضرورة النظافة العامة والحرص على ذلك فكانت في الغالب تبنى بالرخام أو تكسى به، لأنه يوفر لتلك المنشآت النظافة التي يجب توافرها.

أهم المواد الخام المستخدمة في بناء العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول في أثناء القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م):

(١) الحجر:

شاع استخدام الأحجار على نطاق واسع في تشييد المنشآت الوقفية، لأن الحجر يعتبر عنصراً متكاملًا كمادة بناءية يسهل عليها تنفيذ الزخارف المختلفة، سواء كانت نباتية أم هندسية أم نقوشاً كتابية، كذلك الزخارف الأخرى ذات الصفة النباتية أو المعمارية بأنواعها المختلفة من دون الحاجة إلى مادة أخرى تضاف إليه^(١)، وقد عرف استخدام الحجر المقطوع منذ العصرين (الروماني والبيزنطي).

وعرف المسلمون استخدام الحجر في البناء منذ فترة مبكرة فاستخدم في بناء

(١) ينظر: الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المالك بمدينة القاهرة، سامي عبد الحليم، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص ١٢.

أغلب قصور الأمويين بالشام، ومنها قصير عمرة (٩٤-٩٧هـ/٧١٢-٧١٥م)، وحمّام الصرح (١١٠هـ/٧٢٨م)، وقصر الحير الشرقي (١١٠هـ/٧٢٨م)، وقصر خربة المفجر (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)^(١)، وبعض قصور العباسيين بالعراق ومنها قصر الأخيضر (١٦٠هـ/٧٧٧م)^(٢)، كما استمر البناء بالحجارة كمادة أساسية بالعمائر المصرية في أثناء العهد الفاطمي ومنها عمارة القصر الفاطمي الشرقي (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، وفي جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)^(٣)، وفي أسوار بدر الجمالي بالقاهرة (٤٨٠-٤٨٥هـ/١٠٨٧-١٠٩٢م)، واستمر بعد ذلك كمادة بناء رئيسة حتى العهد العثماني.

وفي الأناضول عرف السلاجقة استخدام الأحجار عن الرومان والبيزنطيين، وكان استخدام الأحجار هو أسلوب البناء والزخرفة في ذلك العهد في أثناء فترة النصف الأول من القرن ٧هـ/١٣م^(٤)، وقد اشتهرت بعض المدن بكونها مركزاً لصناعة الحجارة المنحوتة، وظهر ذلك واضحاً في بناء الجوامع والبوابات والمحاريب وزخرفتها وفي حصون المدن والخانات، ومن أشهر النماذج السلجوقية المشيّد بالحجر: تُربة خليفة غازي في أماسيا (٤٣٨هـ/١١٤٦م) وهي أقدم التُّرب الأناضولية، وخانقاه بويالي كوي بأفيون (٦١٢هـ/١٢١٦م)، وتُربة ترمطاي (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، وتُربة الملك غازي في قير شهر (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)^(٥).

وفي أثناء عهد الإمارات التركمانية، وخاصة في أثناء القرن ٨هـ/١٤م ساد أسلوب البناء والزخرفة بالحجر في أغلب عمائر تلك الفترة لا سيما في الواجهات، وتنوعت أشكالها وأحجامها ما بين أشكال مربعة ومستطيلة، وكثرت المدن التي استخدمت فيها تلك الطريقة في البناء ومنها المدن في منطقة غرب الأناضول: مدينة قره مان، ونيدا، ويارجوب^(٦).

(١) ينظر: الآثار الإسلامية خلال العهد الأموي في شرق وغرب العالم الإسلامي، عبد الله كامل عبده، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٣م، ص ١٣١-٢٥١.

(٢) ينظر: العمارة الإسلامية في العصور العباسي والفاطمي، أحمد عبد الرازق، دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٣.

(٣) ينظر: الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، عبد الناصر ياسين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٤٠٦.

(٤) ينظر: الحجر المشجر حلية معمارية بمنشآت المالك بمدينة القاهرة، سامي عبد الحليم، ص ١٢.

(5) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 43.

(٦) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٨٣.

وفي عمائر دراستنا نجد أن الحجر قد استخدم في معظمها لاسيما الحجر المقطوع قطعاً منتظماً، ونجد ذلك واضحاً في بناء واجهات المساجد وجدرانها، وواجهات المدارس وعناصرها، وجدران تكية نوربانو سلطان، وقد ذكرنا حول الاختلاف الذي دار حول تأريخ كلية نوربانو سلطان بإسكدار (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) أنه تم الاعتماد على تاريخ الفرمان الذي أصدره السلطان سليم الثاني سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م إلى قضاة إزميت؛ وينص على ضرورة إحضار المواد الخام اللازمة لبناء المسجد ولا سيما الأحجار^(١)، وفي جميع أجزاء مجمعات مهرماه سلطان بإسكدار وأدرنة قايي، ومجمع ماهبيكر كوسم سلطان، ومجمع يني والدة يامينونو.

ويذكر الرحالة Walsh في رحلته لمدينة إستانبول أن مبانيها - ومنها العمائر الوقفية (قيد الدراسة) - شُيّدت بقطع الحجارة الكبيرة والمائلة للمباني الحجرية^(٢)، فيما يذكر Charles Frankland أن بناء الخانات الكبرى بإستانبول (كخان الوالدة لماهيكر كوسم سلطان) جاء من الحجارة القوية مثلها في ذلك مثل المساجد والقصور، فيما جاءت غالبية المباني الأخرى من الخشب^(٣)، وفي مذكرات سيدة مونتاجو Lady Montagu^(٤) في بداية القرن ١٨م، ثم الرحالة الإنجليز الذين زاروا مدينة إستانبول في القرون التالية ولا سيما في بداية القرن ١٩م مثل: الرحالة Hobhouse والرحالة Richaerd Burgess والرحالة Robert Walsh والرحالة Charles Frankland، وكل من: الرحالة Miss Pardoe والرحالة W. H. Bartlett إذ أوردوا ما يؤكد ويدل ويظهر أن مباني مدينة إستانبول شُيّدت بمواد بناء قوية، وأوردوا أن الخانات والمدارس وغيرها تشابه في مواد البناء بالمساجد حيث يظهر من رسم الرحالة Bartlett بناءها بالحجارة القوية، في حين جاءت القباب والأقبية من الآجر الأحمر^(٥).

ويكفي للدلالة على أهمية العناية بالأحجار التي بُنيت بها المنشآت الوقفية (قيد

(1) The Atik Valide Complex (op. cit), (Özlem Özen), P, 74.

(2) Narrative Of A Journey From Constantinople To England, (Robert Walsh), London, 1839, P.198.

(3) Travels To And From Constantinople In The Years 1827 And 1828, (Charles Frankland), Vol. I, London, 1829, P. 209.

(4) The Lettrs Of Lady M. W. Montagu, During The Embassy To Constantinople, 1716-1718, (M. W. Lady Montagu's), Vol. 1, Published By John Sharpe, Pic Cadilly, London, 1820-1856, Vol. li, Published By By Richard Bentley, London, 1837, And By Mason Brothersm, New York, 1856.

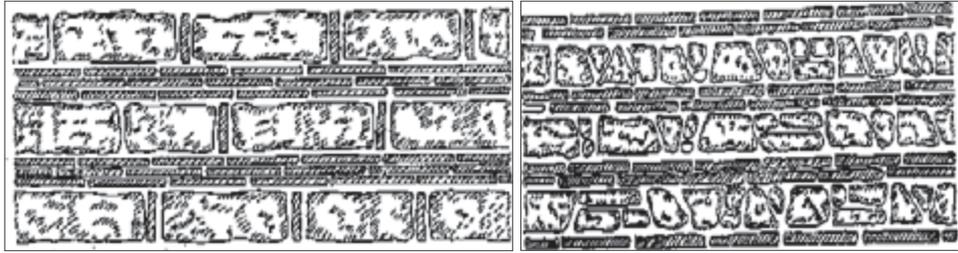
(٥) ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ٣٨٧.

الدراسة)، ومداومة تعاهد إصلاحها، تناول ما أوردته وقفية خديجة تورخان سلطان البليغة، إذ عيّنت الواقعة ضمن الموظفين أو الحرفيين في مجمعها الوقفي رجلاً يقال له (طاشجي) وهو متعهد إصلاح الحجارة، إذ إن كلمة طاشجي تعني حجّار، حيث ورد ما نصه: (وبري دخي طاشجي أولوب سنك تراشغله متعلق، أولان يرلر نقصان بدر اولدقجه تكميل ايله)^(١)، وتعني أنها عيّنت حجّاراً وشرطت عليه القيام بالعباية بالأحجار التي شُيّد منها المبنى والقيام بتنظيفها وكحتها، وإذا فُقد جزء منها وجب عليه أن يُكمل هذا الجزء المفقود ولا يتركه لئلا يزيد في سمك الجدار بما يحدث خللاً في البناء، ويتقاضى راتباً يومياً قدره ٦ آقجات.

أما الأسوار الخارجية فقد بنيت بالأحجار، وفي بعضها تناوبت فيه مدايمك الأحجار والآجر بنسب مختلفة (الصورتان: ٢١٤، ٢١٥)، منها نسبة ١:١، أو نسبة ١:٢، أو نسبة ١:٣، وهو ما يظهر مثلاً في واجهات الحمامات، مثل: حمام خاصكي سلطان، وحمام مهرماه سلطان، وحمامات نوربانو سلطان، وجدران مكتب السبيل بكلية نوربانو سلطان، وفي الواجهة الجنوبية الشرقية لجامع خاصكي خرّم سلطان، أما المآذن فقد شُيّدت غالبيتها من الأحجار أيضاً، وقد تميزت جميع الأسقف من الخارج، سواء قمم المآذن أم القباب أم الأقبية أم حتى الرفارف المنحدرة والأسقف الجمالونية بطبقات من ألواح الرصاص؛ نظراً لأهميتها في مقاومة العوامل الجوية، ولم تكتف الوقفات بذلك، بل عيّنت بعضهن عمالاً أو حرفيين مهمتهم تعاهد أمر الرصاص أعلى هذه التغطيات، ومن ذلك تعيين خديجة تورخان سلطان في وقفيتها بما نصه: «وبري دخي قورشونجي أولوب أبنية مبنية مزبورة وأوقاف مبنية مذكورة ده، قورشون عملي لازم أولدقده، توقف وتسويف وتقصير وتوقيف ايتميوب تعمير ايليه»^(٢)، وتعني أنها عينت شخصاً حاذقاً في أعمال الرصاص يقال له المرصص، يقوم بتعاهد الأبنية والأوقاف المذكورة ويصلحها بلا تسويف ولا تأخير ولا تقصير ولا توقيف، وليكن على عمله مواظباً وفي محل عمله ملازمًا، ويتقاضى راتباً يومياً قدره ٦ آقجات.

(١) وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥٠، الوجه الأيمن، س ٢-٤.

(٢) وقفية خديجة تورخان، ص ٤٩، الوجه الأيسر، س ٥-٨.



صورة (٢١٤): يوضح أسلوب البناء بالحجارة غير المنتظمة والآجر بنسبة (١:٢).
صورة (٢١٥): يوضح أسلوب البناء بالحجارة المقطوعة المهذبة بالتناوب مع الآجر بنسبة (١:٣).

وعلى الرغم من وقوع كتلات المداخل لغالبية منشآت الدراسة داخل كتلة حجرية كبيرة إلا أنه في معظمها كانت تتناوب فيه مداميك الحجر مع الرخام، أو مداميك الأحجار بأسلوب المشهر، لا سيما في صنجات عقود المداخل، وواجهات السقائف، كما في كلية مهرمه بإسكدار (٩٥٠-٩٥٤هـ/ ١٥٤٤-١٥٤٨م)، وتشكيل العقود الحاملة لمناطق انتقال القبة المركزية وأنصافها بمسجد نوربانو سلطان سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، وتشكيل العقود المدية لبوائك أروقة الحرم المغطى (بيت الصلاة).
(٢) الآجر:

الآجر بضم الجيم وتشديد الراء لفظة فارسية معربة معناها «اللبن إذا طبخ لكي يستخدم في البناء»، ومفرده آجرة، ومنه آجر الجدران والآجر الموارب، والمثقوب، والمجوف، والمزجج، والمستدير، والمقلوب، والمملوء، والمهذب ونحوه، وكان الآجر من أهم المواد الخام التي استخدمت في المباني المختلفة، وتتوافر المواد الخام التي يصنع منها الآجر، وهي الطين، والتي توفرها الأنهار، ويلاحظ اتجاه المعماري لاستخدام الآجر بكثرة في مناطق الانتقال، وفي التغطية، سواء بالقباب أم بالأقبية، ويرجع ذلك إلى أن قوابلها تكون أسهل في بناء هذه المناطق صعبة التنفيذ^(١).

أما عن فكرة البناء بالآجر فقد وجدت منذ أقدم العصور التاريخية، حيث تذكر بعض المراجع التاريخية أن فكرة حرق الطوب اللبن وجدت أيام البابليين واستخدمت في بناء برج بابل؛ وذلك لأنهم اكتشفوا أنه عندما كانت تحترق المباني المصنوعة من الطوب اللبن فإن القوالب تزداد في الصلابة، وقد استخدمت أيضًا في

(١) ينظر: معجم مصطلحات العمارة، عاصم رزق، ص ١١.

العمارة الفرعونية، وهناك دلائل في القرآن الكريم تدل على ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

وقد استخدم الآجر في بناء المنشآت الإسلامية منذ فترة مبكرة، حيث إنهم قد استصعبوا قطع الحجر وإعداده للبناء، فاستخدموا الطوب بنوعيه اللبن والآجر، وبنوا به جوامعهم الأولى ومنازلهم^(٢)، وشاع استخدام الآجر في جدران الأقبية الطولية والمتقاطعة في قصري المشتى الأموي والطوبة العباسي في بادية الشام، وكان يبنى على هيئة مداмик أفقية متراسة بعضها فوق بعض، وكان يتم تثبيتها بمونة من الجير والحمررة والرماد، أما في مصر فقد استخدم الآجر منذ الفتح العربي في بناء جوامع عمرو بن العاص في الفسطاط (٢١هـ/ ٦٤١م)، وجامع أحمد بن طولون (٢٦٣-٢٦٥هـ/ ٨٧٦-٨٧٩م)، وأجزاء كبيرة من جامع الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٠-٤٠٣هـ/ ٩٩٠-١٠١٣م)، وغيرها^(٣).

وفي أثناء عهد السلاجقة بالأناضول استخدم الآجر في بعض العمائر بكثرة، خاصة في الأماكن الداخلية، لا سيما العقود والأقبية والإيوانات والقباب ومناطق الانتقال والجدران، وكان يعيش معه أحياناً الطوب المزجج، ومن نماذجه باطن القبو الذي يغطي تربة بدر الدين مصلح مؤسس مدرسة صرغلي في قونية (٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)^(٤)، وكلية سيد بطال غازي بإسكي شهر في كل من المئذنة والمدافئ والمداخن، وفي رباط كهف عشاب في كهرمان مرعش، وفي كلية صاحب عطا في قونية، وذلك بكتلة الخانقاه في تغطية الدهليز بأقبية متقاطعة ونصف برميلية، وفي قبة الدرقاعة بنفس الخانقاه، وفي تربة صاحب عطا في قونية، وفي كلية جلال الدين الرومي بقونية في مناطق انتقال قباب المسجد والسمرخانه وقاعة العشاق، وفي زاوية الشيخ العظيم في توقات في العقود والأقبية^(٥).

(١) سورة القصص، الآية رقم ٣٨.

(٢) ينظر: الفنون الزخرفية في مصر قبل الفاطميين، محمد عبد العزيز مرزوق، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى،

١٩٨١م، ص ٣٩.

(3) A Short Account Of Early Muslim Architecture (op. cit), (K.A.C. Creswell) & (J.W. Allan), P. 274

(٤) ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ٢٩٣-٢٤٠.

(٥) ينظر: منشآت التصوف بمدينة القاهرة، هند علي منصور، ص ٤٥٧.

أما في أثناء عهد الإمارات التركمانية، وخاصة القرن ٨هـ/ ١٤م، كثر استخدام قوالب الآجر بالتبادل مع الحجر في البناء، وقد استمر هذا الأسلوب في أثناء العهد العثماني المبكر، وخاصة في تشييد الواجهات، حيث كان يوضع الآجر بشكل عمودي فوق بعضه أو على كل جانب من جوانبه، ومن نماذج ذلك جامع مراد الأول في بورصة (٧٦٢هـ/ ١٣٦٤م)^(١).

وقد استخدم الآجر بكثرة في المنشآت الوقفية لنساء القصر العثماني (موضوع الدراسة)، وذلك في بعض الجدران الخارجية والواجهات بالتناوب مع الحجر، أو في عمل إطار واجهات العنبر العلوية خاصة الحمامات، عن طريق وضع صفيين أو أكثر من الطوب الأحمر الذي تظهر زواياه من الخارج بيئة مقرنصة، وأما في التغطيات فإن عنصر البناء الأول والرئيس فيها هو الآجر، فيما عدا القباب الكبيرة الحجرية، إذ كانت تبنى غالبية القباب والأقبية من الآجر، ثم تتم كسوتها وتغطيتها بطبقة من الملاط تأتي عليها الزخارف.

(٣) الرخام:

الرخام مادة صخرية تكونت نتيجة التحول الحراري للحجر الجيري، وبصفة عامة فإن الرخام يعتبر من الصخور المتماسكة بدرجة تسمح بصقله، وعادة يغلب عليه اللون الأبيض أو الرمادي، وكثيراً ما يكون مجزئاً بمختلف الألوان، كما أنه يمتاز بجماله الطبيعي وصلابته ولمسه الناعم وسهولة تنظيفه، ويستخدم الرخام بعد استخراجها من المحاجر أولاً بقطعه في محجره، حيث يتم تحديد الجزء المطلوب بلون يختلف عن لون الرخام، حيث يحفر بعد ذلك بالعمق المطلوب وبدقة مناسبة لطبيعة مادة الرخام^(٢).

ويعتبر الرخام من أهم المواد الخام التي أكثر السلاجقة من استخدامها في عمائرهم وزخرفتها، بسبب نقاء لونه وصفائه، وأنه من أقدر المواد الخام على

(١) ينظر: العنبر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٨٤.

(٢) ينظر: الحليات المعمارية الزخرفية على عمائر القاهرة في العصر المملوكي الجركسي، جمال عبد الرحيم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٧.

مقاومة عوامل التعرية، بالإضافة إلى البريق الطبيعي لسطحه المصقول، ومن المأثور عن السلاجقة جهم للتأثير اللوني الذي يحدثه استخدام هذه المادة الخام بألوانها الطبيعية، وقد ساعد على ذلك توافر تلك المادة الخام في وسط آسيا وبلاد الشام والتركستان والأناضول^(١).

ومن أقدم النماذج المعمارية المزخرفة بالرخام في العهد السلجوقي؛ الجامع الكبير في أزرورم (٥٧٥هـ/١٩٧م)، وخان السلطان على طريق قونية-آقسراي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، ومدخل مدرسة صرجالي في قونية (٦٤٠م/١٢٤٣م)، ومدخل مدرسة قره طاي في قونية (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، ومدخل مدرسة صاحب عطا في قونية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)^(٢).

وقد أُستُخدم الرخام أيضاً في العمائر العثمانية، ومن نماذج ذلك: جامع السلطان بايزيد بأدرنة (٨٨٩-٨٩٤هـ/١٤٨٤-١٤٨٨م)، وجامع السلطان سليم الأول بإستانبول سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م، وجامع شاهزاده بإستانبول (٩٥١-٩٥٥هـ/١٥٤٤-١٥٤٨م)، وجامع السليمانية بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)، وجامع السليمانية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م)، ومسجد السلطان أحمد الأول بإستانبول (١٠١٨-١٠٢٧هـ/١٦٠٩-١٦١٧م)، ومسجد دولما باغجة بإستانبول (١٢٧١هـ/١٨٥٤م)، ومسجد أيازما بإستانبول (١١٧٤هـ/١٧٦١م)، ومسجد الحميدية الصغير بإستانبول (١٢٦٥هـ/١٨٤٨م)، ومسجد الحميدية الكبير بإستانبول (١٣٠٠-١٣١٢هـ/١٨٨٣-١٨٩٥م)^(٣).

وأما داخل حدود الدراسة، فقد أُستُخدم الرخام في عدة مواضع من العمائر،
مثل:

(١) ينظر: أثر الحضارة السلجوقية، منى محمد بدر، ج ٢، ص ١٧٢.

Ottoman Stone Acquisition In The Mid - Sixteenth Century, The Süleymaniye Complex In Istanbul, (Ilknur Aktuğ Kolay & Serpil Çelîk), Muqarnas - An Annual On The Visual Culture Of The Islamic World, Vol . 23, Brill, Leiden, 2002, P. 261.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٢٨.

(3) Materials Of Construction In Ottoman Architecture The Use Of Colored Marbles, (Ömür Bakirer), Seventh International Congress Of Turkish Art, Polish Scientific Publishers, Warsaw, 1990, P. 30.

١- النوافير أو المواضع أو الشاذروانات، وقد جاءت في غالبية منشآت الدراسة من الرخام الأبيض المحفور، وتتقدم غالبية صنادير هذه الشاذروانات مقاعد أو جلسات الوضوء أيضًا من الرخام.

٢- كسوة بعض جدران المساجد في غالبية المحافل والمحاريب، كما في جوامع جُلغم خاتون، وجامعي مهرماه سلطان بكل من إسكُدار وأدرنة قايي، وجامع نوربانو سلطان، وجامع خديجة تورخان سلطان «يني جامع»، وأستُخدم الرخام كإطار لفتحات النوافذ كما في جامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م.

٣- استخدمت الأعمدة الرخامية في حمل عقود البوائك لغالبية المساجد (موضوع الدراسة) والمدارس والتكايا ودُور الشفاء والشاذروانات وغيرها، وقد جاءت غالبية هذه الأعمدة من الأعمدة التي تعلوها تيجان ذات معينات.

٤- كسوة فتحات الأبواب وعمل الحشوات المستطيلة أو المربعة التي تحتوي على النصوص الإنشائية أو التأريخية، وقد سجلت عليها الكتابات بخط الثلث المذهب.

٥- بناء واجهات الأسبله والچشم، مثل: السبيل الملحق بحمام مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وسبيل ماهبيكر كوسم سلطان بإسكُدار، وسبيل الوالدة الجديد بإمينونو، ومختلف چشم الموجودة في هذه العماير ومن أهمها چشمه حمام خاصكي سلطان.

٦- كسوة الأجزاء السفلية من الجدران الداخلية وأرضيات الحمامات (موضوع الدراسة) حرصًا على النظافة العامة، وجاءت معظم أجزاء القاعات الساخنة بالحمامات من الرخام، إذ تتوسطها مسطبة أو دركاة مرتفعة رخامية لتتم عملية التدليك عليها، وكسيت جميع أرضيتها وجدرانها بمستوياتها السفلية والعلوية أيضًا بالرخام.

المبحث الثاني

العناصر المعمارية العامة

ويقصد بها العناصر التي تكونت منها عمارة المنشآت الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول، وجميع العمائر الأخرى المعاصرة لها أو السابقة لها، وتمثل في الواجهات بما تحتوي عليه من دخلات رأسية وتقسيات أفقية، ومداخل ونوافذ وغير ذلك، وكذلك تتضمن الروافع التي تحمل أسقف وفتحات المداخل والنوافذ بمختلف أشكالها وأنواعها، وأساليب التغطيات من أسقف مسطحة أو أقبية وقباب، والعناصر المساعدة في تكوين العناصر الأساسية كمناطق الانتقال بالنسبة للقباب مثلاً، وفي كل عنصر من العناصر مجموعة من العناصر الصغرى التي تتجمع لتكون الشكل المعماري لهذا العنصر.

أولاً: الواجهات:

تُعدّ الواجهات من أبرز العناصر المعمارية في أي منشأة أثرية، فالواجهة هي عنوان المنشأة، ومن خلالها يمكن تمييز نوع الأثر بل وتاريخه من النظرة الأولى، وقد أسهمت الواجهات بدور مهم في تطور العمارة الإسلامية، حيث تضم عناصر معمارية رئيسة مهمّة مثل: المداخل، والنوافذ، والقباب، والمآذن، والنصوص التأسيسية، ونصوص التجديد، وغيرها من العناصر^(١).

وكانت الواجهات الخارجية في العديد من نماذج العمارة الإسلامية المبكرة عبارة عن حوائط سميكة مرتفعة لا توجد بها أيّ فتحات، ثم تم عمل فتحات صغيرة على ارتفاع كبير، حتى إن شكل المسجد الجامع من الخارج كان أقرب إلى شكل الحصن، ثم أدخلت بعض العناصر المعمارية المستحدثة في تشكيل الواجهات، مثل: صدور مقرنصة، وكرانيش، ووزرات، ونصوص تأسيسية، وشرافات، وحليات، وأحجار مزررة، وغيرها، وذلك بأسلوب يتفق مع الامتداد الأفقي والرأسي للمنشأة حسب

(١) ينظر: المدارس العثمانية الباقية في مدينة دمشق «دراسة أثرية معمارية»، محمد عبد القادر منصور، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٦٨٢.

المساحة المتاحة معمارياً لكل واجهة^(١).

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن المعمار المسلم قد حرص بشدة عند إقامة المنشآت المختلفة على مراعاة خط تنظيم الطريق، وعمل جاهداً على ألا يتعدى عليه بأي طريقة كانت، فسارت تلك الواجهات على سمت الشارع احتراماً لمبدأ حق تنظيم الطريق، وهذا ما دعا إليه الفقهاء المسلمون، وأشاروا إليه في مؤلفاتهم^(٢)، وقد قام المعماري بتوفير ذلك إما عن طريق عمل ارتداد في جدران الواجهة، أو عمل شطف في جوانب المبنى تفاوتت أحجامها من واجهة إلى أخرى بحسب الغرض والوظيفة منها^(٣)، ومن ثم جاءت بعض الواجهات للعناصر الوقفية (قيد الدراسة) غير منتظمة، إلى جانب عدم تناسق العناصر الداخلية للمنشآت، وهو ما يظهر جلياً في منشآت كل من: جامع خاصكي حرّم سلطان، صحن ومدرسة مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وعماير مجمع نوربانو سلطان بإسكدار.

وقد اتسمت واجهات العماير العثمانية بالبساطة، واعتمدت في جمالها وزخرفتها على الكتل والخطوط المعمارية أكثر من اعتمادها على وفرة الموضوعات الزخرفية وكثافتها، فجاءت مداخلها بسيطة وعناصرها غير متكلفة في زخارفها، وترجع تلك البساطة إلى طبيعة الأقاليم المناخية في تلك المناطق حيث تكثر الأمطار والجليد، مما جعل العناصر والموضوعات الزخرفية تتركز في الداخل أكثر من ظهورها في الواجهات الخارجية^(٤)، وفضّل المعمار استخدام الزخارف الحجرية والرخامية والبلاطات الخزفية؛ لأنها الأكثر قدرة على تحمل العوامل الجوية^(٥).

ومن مميزات الواجهات العثمانية أيضاً قلة البوابات التذكارية، على الرغم من أن العثمانيين ورثة السلاجقة^(٦) الذين تميزوا بالمدخل التذكارية الضخمة البارزة

(١) ينظر: منشآت التصوف بمدينة القاهرة، هند علي منصور، ص ٥٠٢.

(٢) ينظر: أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العماير المملوكية البحرية، محمد محمد الكحلوي، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٧٦-٧٧.

(٣) ينظر: العماير الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٢٨٧-٢٨٩.

(٤) ينظر: العناصر المعمارية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العهد العثماني، طه عبد القادر يوسف عمارة، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، ص ١٠٧-١٠٨.

(٥) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٢٥٠.

(٦) ينظر: أثر الحضارة السلجوقية، منى محمد بدر، ج ٢، ص ١٥-١٧.

والمداخل الفخمة، ولكن العثمانيون حافظوا في الوقت نفسه على الشكل العام للبوابة مع تصغير حجمها وتصغير ممر دخولها، وأصبحت المداخل في أغلب الأحيان مسطحة ذات ارتفاع مناسب مع ارتفاع الواجهة، وصارت الواجهات بسيطة خالية من الزخرفة.

وتعتمد الواجهات الخارجية على الإطلالات التي تحيط بالمبنى، فكلما كانت المنطقة مفتوحة كانت الواجهة أبداع، وقد وقعت غالبية منشآت الدراسة في مواقع حرة، ومن ثم فقد تميزت بروعة واجهاتها التي تطل على الشوارع الخارجية (سابق) إيراد عدد من الصور لواجهات مختلفة).

وقد مثلت الواجهات انعكاسًا لأهمية المنشآت ومكانة أصحابها، ومن ثم فقد جاءت واجهات المساجد أهم الواجهات في العمائر الوقفية وأضخمها، وقد تشابهت في غالبيتها الواجهات الجانبية، أما الواجهة الجنوبية الشرقية فقد مثلت واجهة القبلة التي تحتوي على محراب المسجد، وتميزت الواجهات كافة بأنها عبارة عن كتلة حجرية ممتدة للأعلى وتتخللها عدة فتحات، إما نوافذ، وإما دخلات رأسية معقودة بعقود مدببة غير نافذة، وإما وجدت بها كتلة المدخل، وفي الواجهات التي لا تحتوي على مداخل نجد أن فتحات النوافذ بها جاءت في الأجزاء العلوية، وتنتهي الواجهات من أعلاها إما بشطف مقرنص، أو إطار مقرنص، أو مداميك الأجر الموضوعة بشكل مائل لتظهر زواياها في الخارج، وتأتي من أعلى ذلك كله القباب بتدرجها البديع في المساجد متعددة القباب، ولم تخرج عن هذا النمط إلا واجهات تكية نوربانو سلطان بإسكدار والتي لم تتخللها إلا نوافذ معدودة، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة هذه المنشآت الإنعزالية والحرص على عدم مخالطة من فيها للعالم الخارجي، وكأنه اعتكاف عن الدنيا الخارجية بزخرفها وما فيها.

وتختلف الواجهات من مبنى لآخر ومن موضع لآخر داخل المنشأة الوقفية نفسها، وقد لعبت واجهة القبلة باعتبارها الواجهة الرئيسة دورًا كبيرًا في تشكيل بنية المنشآت الوقفية، إذ تمثل قوة الواقفة ونفوذها ومدى عظم أمرها وقوة عمرانها، وقد انقسمت غالبية الواجهات - لا سيما في المساجد والمدارس - إلى أقسام رأسية تعتمد

على التقسيم الثلاثي، بحيث تأتي واجهة جزء المحراب في منتصف الواجهة من دون أن تتخللها نوافذ تتقدم المحراب، وعلى جانبي المحراب تأتي النوافذ في مستوى واحد أو مستويين، وعلى جانبي هذا القسم الأوسط قسمان جانبيان يتشابهان كما وكيفاً في فتحات النوافذ والإطلاقات الخارجية، وقد فتحت فيهما نوافذ متعددة في مستويات أفقية متعددة كما هو الحال في جميع المساجد الوقفية (موضوع الدراسة)، وتميز من بينها بروزات عن سمت جدار الواجهة نظراً لطبيعة المبنى ذاته، وخير مثال لها الواجهة الرئيسة لجامع نوربانو سلطان بإسكدار إذ يبرز من الواجهة إيوان المحراب، ليكون لهذا الإيوان من الخارج ثلاث واجهات تمثل جوانب الإيوان من الجهات الثلاث (الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية).

وتعدّ الواجهات عنصراً معمارياً يحتوي على عدد من العناصر المهمة التي تمثل في حد ذاتها عناصر ربط لمختلف مفردات المنشآت المعمارية، ومن ثمّ فهي تمثل عناصر الاتصال والحركة من ناحية (المدخل)، وعناصر التهوية والإضاءة إلى جانب الفناء المركزي من ناحية أخرى (النوافذ)، ويمكن تناول ذلك على النحو الآتي:

أ) المدخل:

يذكر الزبيدي أن لفظ «المدخل» لغوياً يدل على الموضع والحيز الذي يجتاز من خلاله المكان الذي يحدد به، ويذكر أيضاً أنه في أحيان كثيرة تستعمل لفظة (الباب) كاستعارة لفظية للدلالة على (المدخل)، وهذا ما لا يجوز فيه لأنهما يختلفان من حيث مفهومهما الحقيقي واللفظي^(١).

أما الرازي في «مختار الصحاح» فيذكر أن لفظة المدخل معنوية ومضافة إلى غيرها، كأن يقال (مدخل الكتاب)، فمعنى المدخل هنا هو الدخول وموضع الدخول، في حين أن لفظة (البوابة) تعني صفة مشتقة من الاسم (باب) للدلالة على التضخيم، وهي على وزن فعالة (مثال: عالم، علامة) هذا الوزن يفيد التكثير والتضخيم والتشديد^(٢).

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرضي الزبيدي، الطبعة الأولى، دار النشر بيروت، لبنان، ١٩٧٥م، ص ٢٣.

(٢) ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٤٥.

وقد تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية بضخامتها، وغالبًا ما ارتفعت أطرها وعقودها وحناياها الغائرة محرابية الشكل، حتى بلغت ارتفاع جدران الواجهة وربما جاوزتها ارتفاعًا، وقد استعملت في زخرفتها جميع العناصر المعمارية الإسلامية وفنونها، مثل: الأقواس المتداخلة والفسيفساء والرخام والحليات الحجرية والجصية والخزف، وبشكل خاص المقرنصات ذات الدلايات^(١). وفيما يتعلق بالمداخل عند سلاجقة الأناضول التي تأثر بها العثمانيون، فقد كانت مداخلهم تشبه مداخل الخيم عند البدو، وفي الخيمة أيضًا كان المدخل المزخرف له شكل مميز، وبذلك فإن هناك تشابهًا بين المداخل الحجرية في ذلك الوقت ومداخل الخيمة، وقد تميزت المداخل في ذلك الوقت بارتفاعها الشاهق حيث وصل ارتفاعها في بعض الأحيان إلى ثمانية أمتار وعرضها إلى أربعة أمتار وسمكها إلى مترين، كما تميزت بوجود هذه المداخل في نهاية حجر^(٢) شديد العمق غالبًا وينتهي من أعلى بمقرنصات متعددة الحطات، حيث كانت تتدرج حطات المقرنصات وتأخذ شكلًا مخروطيًا تتدرج فيه الحطة الأولى وتزداد كل حطة عن التي تسبقها، وكانت تصل أحيانًا إلى الحطة العاشرة أو أكثر من ذلك، وغالبًا ما يحمل عقد المدخل عمودين مدججين في الأركان، ويتوسط حجر المدخل من أسفله فتحة الباب، وهي في الغالب معقودة، ويحيط بالبوابة إطار سداسي الشكل يتكون من قطعة أو عدة قطع مستطيلة، كما كان يعلوها عقد مزور بصنجات معشقة ملونة، كما تزخرف كوشتي العقد زخارف متنوعة ما بين نباتية وهندسية^(٣).

(١) الدلايات: هي امتداد لعقد واجهة المقرنص، وتعبير أدق هي رجلي عقد المقرنص ولكن برؤية تشكيلية مبتكرة، وهي في ذلك تشبه الدلايات التي تنزل من سقوف بعض المغارات القديمة، ومن هنا جاءت التسمية الأجنبية للمقرنصات (Stalactites)، ولقد ظهرت المقرنصات لأول مرة بعرض باب مدفن جنبادي كابوس في جورجان بإيران، وفي مصر ظهرت لأول مرة بكنورنيش الجزء السفلي من منئذة الجبوشي بالعهد الفاطمي. ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، الكتاب الأول، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) ويُعد مدخل ثربة خليفة غازي في أماسيا (١١٤٥-١١٤٦م) هو أقدم حجور المداخل التي وصلتنا من عهد سلاجقة الروم ذات المقرنصات، ثم توالى ظهورها بعد ذلك بالخانات والمحاريب والأسبله (الجشحات)، ومنها مدخل خان بلطان في طريق قونية - أفسري، وفي سبيل مجموعة صاحب عطا في قونية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وفي محراب جامع صرغلي. ينظر: فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢٦-٣٢؛ وأثر الحضارة السلجوقية، منى محمد بدر، ج ٢، ص ١٤٦.

(3) Anadolu Selcuklulari' Nin Taş Tezyinati, (Semra Ögel), Taruk Kurumu Basimevi, Ankara, 1966, Ss. 157-169

أما عن المداخل في العهد العثماني تحديداً فقد تميزت بالبساطة وعدم التكلف لا سيما بعد فتح القسطنطينية، على عكس المداخل السلجوقية التي كانت تتسم بالضخامة والفخامة وكثرة الزخارف، وعلى الرغم من استمرار التقاليد القديمة من حيث النسب المستطيلة والمربعة، فإن المداخل أصبحت مسطحة نسبياً ووظيفياً وتساعد على تلبية الهدف المنشود من وجودها، فبنيت كتلات المداخل عالية نسبياً لتعطي طابعاً تذكاريّاً، أما باب المدخل الفعلي فهو بحجم طبيعي يغلق عليه مصراعا باب من الخشب، غالباً ما كانا يزينان بزخارف هندسية بسيطة⁽¹⁾.

وفيما يتعلق بظاهرة تعدد الأبواب؛ فهي ظاهرة قديمة في الأناضول، ومن أمثلتها: جامع سيواس (٥٩٣هـ/١١٩٧م) حيث يوجد بالحرم أربعة مداخل، ومسجد علاء الدين كيقبادي نيده، حيث إن مدخله الرئيس في الجهة الشمالية، كما يشتمل المسجد على مدخل آخر في الركن الشمالي منه، وظهرت أيضاً الأبواب المحورية بفناء جامع عيسي بك بغرب الأناضول (٧٧٦هـ/١٣٤٧م)، وجامع أوج شرفلي في أدرنة (٨٤٢-٨٥١هـ/١٤٣٨-١٤٤٧م)، وجامع الفاتح في إستانبول (٨٦٨-٨٧٦هـ/١٤٦٣-١٤٧١م)، حيث احتوى صحنه أيضاً على أربعة مداخل، وجامع بايزيد الثاني بإستانبول (٩٠٧-٩١٢هـ/١٥٠١-١٥٠٦م)، حيث اشتمل بيت الصلاة على مدخلين محوريين بمنتصف الضلعين (الجنوبي الغربي والشمالي الشرقي)، في حين اشتمل الحرم المكشوف على أربعة مداخل^(٢)، وجامع السلمانية في إستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م) الذي يشتمل المسجد فيه على ثلاثة مداخل وللصحن أربعة مداخل، وجامع السلماية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م)، حيث إن المسجد يشتمل على أربعة مداخل^(٣)، ووجدت تلك الظاهرة أيضاً في مسجد السلطان أحمد بإستانبول (١٠١٨-١٠٢٧هـ/١٦٠٩-١٦١٧م) وغيرها من

(1) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 81.

(٢) ينظر: مساجد بغداد في العهد العثماني «دراسة معمارية أثرية» (٩٤١-١٠٣٢هـ/١٠٤٨-١٣٣٥م)، اعتماد يوسف أحمد القيصيري، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩٨؛ والمساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٣٦.

(٣) ينظر: فنون الترك وعمارتهم، أوقطاي أصلان أبا، ص ٢١٠.

المساجد العثمانية^(١)، وفي مصر وُجِدَت أيضًا تلك الظاهرة في المساجد المصرية ذات الطراز العثماني الوافد كما في جامع سليمان باشا الخادم (٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م)، حيث اشتمل المسجد على مدخلين، في حين اشتمل الحرم على ثلاثة مداخل، ومن الجدير بالذكر أن هناك بابًا مشتركًا بين المسجد والحرم، وجامع سنان باشا في بولاق (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م)، حيث يشتمل على ثلاثة مداخل تفتح على السقيفة المحيطة بالمسجد^(٢).

وأما داخل حدود الدراسة فإن المداخل تُعدّ من العناصر المتكررة المهمة في المنشآت الوقفية وغيرها بمدينة إستانبول، وقد تنوعت أحجامها وأشكالها تبعًا للموقع الموجودة فيه، إلى جانب تعددها من مبنى إلى آخر (سبق إيراد صور عدة لأنواع مختلفة من المداخل)، حيث اختلفت المداخل الرئيسة للمنشآت عن مداخل الحجرات، وتميزت المداخل الرئيسة بضخامتها داخل كتل حجرية مرتفعة وصلت في بعض المنشآت إلى ما بين ٥-٥، ٦م، مثل: مدخل الكتلة الثانية من مجمع خاصكي سلطان بأورتابازار، وغالبًا ما تؤطرها عقود إما موتورة أو نصف دائرية وأحيانًا مدببة، وتكون العقود من صنجات معشقة، وأحيانًا يقع على جانبيها دخلات غائرة محرابية الشكل^(٣)، مثل: مدخل خان الوالدة لماهبيكر كوسم سلطان بإستانبول، والذي تعلوه حجرة علوية بارزة يحملها عدد من الكوابيل الحجرية المتدرجة، أو دخلات معقودة بعقود نصف دائرية فتحت بوسطها نافذة مستطيلة مغطاة بالمصعبات المعدنية، مثل: مدخل الكتلة الثانية من مجمع نوربانو سلطان التي تفضي إلى الخان وفناء العمارت.

وقد تميزت غالبية المنشآت بالنسبة لوضعية المداخل وعددها بما يأتي:

١- وجدت في غالبية المساجد المداخل المحورية التي يقع منها اثنان على محور واحد في الجهتين الجانبيتين، فيما يقع المدخل الثالث (إن وجد) في منتصف الجهة

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٣٥.

(٢) ينظر: العمائر الدينية العثمانية بمدينة القاهرة «دراسة أثرية فنية»، شادية الدسوقي عبد العزيز كشك، رسالة (المجستير)، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٥.

(٣) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، ج ١، ص ١١.

المقابلة للمحراب وهي الجهة الشمالية الغربية، ومن أجمل هذه المساجد؛ مسجد الوالدة الحديد (يني والدة جامع) بإمينونو، إذ يحتوي بيت الصلاة فيه على مدخلين يقعان على محور واحد في الجهتين الجانبيتين يفضيان إلى داخل الحرم المغطى، وأما صحن الجامع (الحرم الخارجي) فيتم الدخول إليه عبر ثلاثة مداخل محورية، اثنان منها في الجانبين، فيما ينصّف المدخل الثالث الواجهة الشمالية الغربية ويقع على محور المحراب، وأما الحرم المكشوف (الصحن) بمسجد نوربانو سلطان بإسكدار فيتم الدخول إليه أيضاً عبر ثلاثة مداخل محورية، اثنان جانبيين، فيما ينصف المدخل الثالث الضلع الشمالي الغربي ويقع على محور المحراب، ويربط المدخل الأخير بين المدرسة وحرم الجامع المكشوف، وأما البازار المصري فيتميز بتعدد المداخل، وقد فتح به ستة أبواب، حيث يُدخَل إلى الضلع الغربي للسوق من بوابة سوق السمك عبر مدخل يبلغ اتساعه ٧٠, ٢م يغلق عليه مصراعان من الخشب المصفح بالحديد، ويبلغ اتساع كل مصراع منهما ٤٢, ١م فيما يبلغ ارتفاعه ٧٥, ٣م، وينتهي هذا الضلع ببوابة بائعي الكتان، أما الضلع الجنوبي الطويل فيحتوي على أربعة مداخل، هي بوابة خاصكي وبوابة بائعي الحصير، وبوابة يني جامع، وتقابلها بوابة سوق الزهور، وهي جميعها بوابات صغيرة الحجم فيما عدا بوابة خاصكي (باب الحياة)، التي تُعدّ أكبر بوابات السوق والتي تشبه باب الدخول من بوابة سوق السمك، وتتوج كتلات المداخل في مختلف العمائر الوقفية عقوداً إما نصف دائرية أو عقود مدببة، فيما تتوج فتحات المداخل عقود موتورة من مداميك وصنجات حجرية، وتميزت المداخل الكبيرة الخارجية بأنها تفضي إلى دركاة غالباً ما تكون مربعة، يغطيها قبة صغيرة أو قبو متقاطع وأحياناً قبو برميلي، مثل: دركاوات المدخلين الكبيرين بالبازار المصري، ودركاوات مدخلي بيت الصلاة بجامع خديجة تورخان سلطان بإمينونو، ودركاة المدخل الجنوبي الغربي لجامع مهرماه سلطان بإسكدار.

٢- وُجد في بعض المنشآت مدخل واحد أو مدخلان، ربما لخصوصية بعض هذه المنشآت (ذات الأغراض التعليمية أو الصحية، أو لصغر مساحتها وعدم ضرورة تعدد المداخل كما في بعض المساجد)، ومن هذه النماذج ضمن حدود الدراسة

كل من: بيت الصلاة بمسجد نوربانو سلطان، ومسجد ماهبيكر كوسم سلطان، وبيت الصلاة بمسجد مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وأيضاً مسجدها بإسكدار ذي المدخلين، أحدهما بمنتصف الضلع الشمالي الغربي، والآخر بالضلع الجنوبي الغربي، وأما مكاتب الصبيان الموجودة داخل حدود الدراسة ممثلة في: مكتب كلية مهرماه بإسكدار، ومكتب كلية مهرماه بأدرنة قايي، ومكتب الصبيان بكلية نوربانو سلطان، ومكتب الصبيان بكلية ماهبيكر كوسم سلطان، فجميعها تميزت بوحدة المدخل لخصوصية هذه المنشآت التعليمية، وهو الأمر نفسه بالنسبة لتكية نوربانو سلطان، ودار الشفاء بمجمعها بإسكدار، ودار الشفاء بمجمع خاصكي خرّم سلطان؛ نظراً لضرورة الحفاظ على الهدوء والسكينة بما يساعد على أداء وظائف تلك المنشآت على الوجه الأكمل، وينطبق الأمر نفسه على لبلييجي خان يامينونو لخاصكي خرّم سلطان، إذ يحتوي على مدخل واحد؛ نظراً لوجود المباني في الاتجاهات الأخرى كافة، وأما خان الوالدة الكبير لماهبيكر كوسم سلطان فبه مدخلان بكل جهة من جهاته - بحيث يؤدي كل مدخل منهما إلى أحد الفناءين الصغيرين - أحدهما مدخل تذكاري كبير وهو المدخل الرئيس.

٣- تميزت المساجد وحيدة المداخل بوقوع دخلتها على محور المحراب، مثل: مدخل جامع خاصكي سلطان، ومدخل جامع جلفم خاتون، ومدخل جامع (بيت الصلاة) مهرماه سلطان بأدرنة قايي.

٤- تميزت الحمامات لخصوصيتها البالغة من حيث تقسيمها تبعاً للجنس الذي يستخدمها، فقد تمتعت بازدواجية المدخل في جميع نماذج الحمامات المزدوجة داخل حدود الدراسة، إذ وجد مدخل خاص بحمام الرجال، ومدخل آخر خاص بحمام النساء، إذ يؤدي كل مدخل من هذه المداخل إلى الحجرة الباردة بالحمام وهي غرفة تغيير الملابس، ثم يتم الانتقال بعد ذلك عبر المداخل الداخلية إلى الوحدات الأخرى داخل كل حمام.

٥- تميزت المدارس أيضاً هي الأخرى في غالب الأحوال بوحدة المدخل أو مدخلين على أقصى حد، وذلك في نماذج الدراسة، أما مداخل الحجرات فهي

نموذج أصغر من المداخل الكبرى، إذ إن كل حجرة لها مدخلها الخاص ذو عتب مستقيم تغلق عليه مصاريع خشبية.

٦- وأما في التُّرْب فإنها تمتعت بوحدة المدخل، سواء في تربة خاصكي خرم سلطان بمجمع السلمانية، أم في تربة خديجة تورخان سلطان الملحقه بمجمعها في إمينونو، وكلا مدخليهما يتقدمه رواق يطل على الخارج ببائكة ثلاثية.

٧- ومن حيث الأبعاد التقريبية لبعض المداخل في نماذج من العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني فيمكن تناولها في الجدول الآتي:

م	المبنى الوقفي	موضع المدخل	أبعاد المدخل
١	جامع جُلغم خاتون بإسكدار.	المدخل الخارجي للفناء.	الاتساع ٤٣، ١م، والارتفاع ٣٧، ٢م.
٢	جامع جُلغم خاتون.	مدخل السقيفة التي تتقدم المسجد.	الاتساع ٨٥، ١م، والارتفاع ٢٥، ٣م.
٣	جامع جُلغم خاتون.	فتحة باب الدخول للمسجد.	الاتساع ١٠، ١م، والارتفاع ٢م.
٤	جامع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار.	مدخل المسجد.	الارتفاع ٩٠، ٣م.
٥	الكتلة الثانية من كلية خاصكي خرم سلطان.	كتلة المدخل الرئيس وفتحة المدخل.	ارتفاع الكتلة نحو ٣٠، ٦م، وارتفاع المدخل ٤م.
٦	الكتلة الثانية من كلية خاصكي خرم سلطان.	المدخل الثاني بمنتصف الواجهة يواجه مدخل المسجد.	الارتفاع ٣م.
٧	الكتلة الثانية من كلية خاصكي خرم سلطان.	كتلة المدخل الثالث بأقصى شرق الواجهة.	الارتفاع ٧٠، ٥م.
٨	لبليجي خان لخاصكي خرم سلطان بإمينونو.	المدخل الوحيد بالواجهة.	يبلغ اتساعه ٥٠، ٢م، ويعلوه عتب مستقيم.
٩	حمام خاصكي خرم سلطان بالسلطان أحمد.	كتلة المدخل وفتحة باب الدخول لحمام الرجال.	كتلة المدخل باتساع ٣، ٥م وارتفاع ٤، ٥م. وفتحة المدخل باتساع ١، ٦م وارتفاع ٢، ٧م.

م	المبنى الوقفي	موضع المدخل	أبعاد المدخل
١٠	حمام خاصكي خرم سلطان.	مدخل حمام النساء.	يبلغ الاتساع ١,٢٥م والارتفاع ٢,١٥م.
١١	جامع مهرماه سلطان ياسكدار.	المدخل بالواجهة الشمالية الغربية.	يبلغ الاتساع ٢,٦٠م والارتفاع ٣,٢٥م.
١٢	كلية مهرماه سلطان بأدرنة قايي.	كتلة المدخل وفتحة باب الدخول بالقسم الأوسط بالواجهة الشمالية الشرقية.	يبلغ ارتفاع كتلة المدخل ٧,٨٠م، فيما تكون فتحة المدخل ٣,٣٠م.
١٣	حمام مهرماه سلطان بأدرنة قايي.	مدخل حمام الرجال.	يبلغ اتساع فتحة باب المدخل ١,١٠م وارتفاعها ٢م.
١٤	جامع نوربانو سلطان ياسكدار.	مدخل الواجهة الشمالية الغربية بين الفناء وبيت الصلاة.	يبلغ اتساع فتحة الباب ٢,١٠م وارتفاعها ٣,٨٠م.
١٥	الكتلة الثانية لكلية نوربانو سلطان ياسكدار.	مدخل الكتلة الثانية الذي يؤدي إلى الخان والعمارت.	يبلغ اتساع فتحة باب الدخول ٣م وارتفاعها ٤م.
١٦	حمام نوربانو سلطان ياسكدار.	مدخل حمام الرجال.	يبلغ اتساع فتحة الباب ١,٣٠م وارتفاعها ٢,٢٠م.
١٧	حمام تشيمبرلي تاش لنوربانو سلطان.	مدخل الحمام.	يبلغ اتساع فتحة الباب ١,٥٨م وارتفاعها ٢,٣٥م.
١٨	چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان ياسكدار.	كتلة باب الدخول وفتحته من الواجهة الشمالية الغربية.	يبلغ اتساع كتلة المدخل ١,٧٠م وارتفاعها ٣,٢٥م، فيما يبلغ اتساع فتحة باب الدخول ١,٦٠م وارتفاعها ٢,٦٠م.
١٩	خان الوالدة الكبير لماهبيكر كوسم سلطان بمنحدر محمود باشا.	مدخل الواجهة الجنوبية.	يبلغ اتساع فتحة الباب ٢,٦٠م وارتفاعها ٣,١٠م، وبأحد مصراعيه مدخل خوذة صغير يبلغ اتساعه ٠,٦٧م وارتفاعه ١,٢٠م.
٢٠	سوق الوالدة لخدجية تورخان يامينونو (البازار المصري).	بوابة سوق السمك المطلة على القرن الذهبي.	يبلغ اتساع فتحة الباب ٢,٧٠م وارتفاعها ٣,٧٥م.

ب) النوافذ:

لجأ المعمار العثماني إلى طراز المسجد المغطى بالقباب لحماية المصلين من البرد الشديد والأمطار طبقاً للعوامل المناخية في تركيا وأوروبا، وقد فرض ذلك على المعمار أن يقوم بإيجاد حلول لتوفير الضوء اللازم لإنارة المسجد وخلوات الطلاب بالمدارس وخاصة في أوقات النهار، لا سيما أنها كانت بعيدة نسبياً عن الفناء المركزي وخاصة مع ضرورة غلق الأبواب، وكانت الإضاءة الطبيعية هي المفضلة بعيداً عن استخدام البلاطات الخزفية المذهبة التي تعكس الضوء، فكان لا بد من إيجاد طريق لإدخال ضوء النهار إلى داخل وحدات تلك المنشآت، فتم عمل مجموعة من فتحات النوافذ على مستويات مختلفة من البناء وذات أحجام وأشكال متنوعة، فمنها النوافذ المستطيلة، ومنها الشمسيات والقمريات والمطاوولات المفردة والمزدوجة، ولذا فإنه يلاحظ أن العقود الكبيرة الحاملة للقباب وأنصافها تمتلئ بشبكة من النوافذ والقمريات والشمسيات التي تساعد على نشر الضوء الهادئ وتوزيعه في طول المسجد وعرضه، بالإضافة إلى قيامها بعملية تهوية المكان في الداخل^(١) (سبق إيراد عدة صور بهذا الخصوص).

١- نوافذ المستويات السفلية:

عادة ما تكون النوافذ في الطابق السفلي مستطيلة في دخلات غير معقودة غالباً، وأحياناً تكون معقودة، وغالباً ما تكون مغطاة بمصبغات معدنية ويغلق عليها من الداخل ضلف خشبية^(٢)، وهو ما وجد في العنبر الوقفية كافة (موضوع الدراسة)، فيما عدا التكية الملحقة بمجمع نوربانو سلطان للأسباب المذكورة سابقاً.

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٥٣.

(٢) من الملاحظ أن النوافذ ذات المصبغات المعدنية والضلف الخشبية لا تظهر غالباً إلا في الطوابق السفلية من المبنى، حتى لا تشكل ثقلاً على البناء وتؤدي إلى تصدعه، ولعل من بعض أغراض استعمال النوافذ المعدنية في الطوابق السفلية هو الحفاظ على تلك الطوابق التي يسهل الدخول منها من قبل اللصوص لقرها من الأرض. ينظر: النوافذ وأساليب تغطيتها في عمارت سلاطين المماليك بمدينة القاهرة «دراسة معمارية فنية»، مایسة محمود محمد داوود، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٧٢-٧٣.

٢- نوافذ المستوى العلوي:

وهي أصغر حجماً من نوافذ المستويات السفلية وتقع أعلى منها، لا سيما في الكتلة الوسطى بجدران القبلة في المساجد، ومعظمها يكون مستطيلاً أو معقوداً بعقود مدببة وهي الأكثر وجوداً، وأحياناً عقود نصف دائرية، وتتميز النماذج الموجودة بمساجد الدراسة بأنها مغطاة بالحصص المفرغ والمعشق بالزجاج الملون في تشكيلات زخرفية نباتية وهندسية غاية في الدقة والإبداع، بما يدل على عظمة رعاية الوقف للجماليات العمائر وفنونها، وليس أدل على ذلك من مساجد مهرماه سلطان، خاصة مسجدها بأدرنة قاي الذي يُعدّ من أروع تجليات العمارة العثمانية، وعمائر سنان في استخدام الحصص المعشق بالزجاج الملون، وكذلك مسجد الوالدة الجديد (بني جامع) في إمينونو.

ويمكن توضيح مواضع بعض هذه النوافذ وأشكالها في الجدول الآتي:

م	المبنى الوقفي	موضع النوافذ	شكل النوافذ	تغشية النوافذ
١	لبليجي خان.	أعلى المدخل.	X مستطيلة الشكل ٨٠ ١٠٠ سم.	مصبغات معدنية.
٢	حمام خاصكي سلطان.	الحجرة الباردة للرجال.	٣ نوافذ سفلية بشكل عقود مدببة تعلوها نافذة علوية.	مصبغات معدنية.
٣	حمام خاصكي سلطان.	الحجرة الباردة للنساء.	نافذتان علويتان معقودتان بعقود مدببة تعلوها نافذة علوية.	مصبغات معدنية.
٤	جامع مهرماه سلطان ياسكُدار.	القسمان الجانبيين بالواجهة الجنوبية الشرقية.	نوافذ سفلية مستطيلة.	مصبغات معدنية.
٥	جامع مهرماه سلطان ياسكُدار.	داخل كوة تعلو نوافذ القسمين الجانبيين بالواجهة الجنوبية الشرقية.	قمرية مستديرة.	جص مفرغ ومعشق بالزجاج الملون.
٦	جامع مهرماه سلطان ياسكُدار.	المئذنة.	مزغلية ضيقة.	لا تحتاج لتغشية لصغرها.

م	المبنى الوقفي	موضع النوافذ	شكل النوافذ	تغشية النوافذ
٧	مدرسة مهرماه بإسكدار.	على جاني المدخل الأصلي.	٧ نوافذ مستطيلة.	مصبغات معدنية.
٨	مجمع مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	المستوى العلوي بواجهة القسم الأوسط الذي به المدخل.	٣ نوافذ مستطيلة داخل تجاويف معقودة.	مصبغات معدنية.
٩	جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	المستوى السفلي بالواجهة الشمالية الشرقية.	نوافذ مستطيلة بواقع نافذتين بكل تجويف.	مصبغات معدنية.
			نوافذ مطاولة معقودة بعقود مدبية تعلو النوافذ السابقة.	جص معشق بالزجاج الملون يشبه خلايا النحل.
١٠	جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	المستوى العلوي بالواجهة الشمالية الشرقية.	٧ نوافذ مطاولة بهيئة عقود مدبية.	جص معشق بالزجاج الملون بأشكال زخرفية مختلفة.
			٥ نوافذ مطاولة بهيئة عقود مدبية تعلو ال ٧ نوافذ السابقة، وعلى الجانبين قمرتان مستديرتان، تعلوها ٣ نوافذ مطاولة معقودة بعقود مدبية على جانبيها قمرتان مستديرتان.	جص معشق بالزجاج الملون بأشكال زخرفية مختلفة.
١١	جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	المستوى السفلي بالواجهة الجنوبية الشرقية.	نوافذ مستطيلة داخل تجاويف.	مصبغات معدنية.
			نوافذ تعلو السابقة بهيئة المطاولات ذات العقود المدبية.	جص معشق بالزجاج الملون يشبه خلايا النحل.
١٢	جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	رقبة القبة.	٢٤ نافذة بهيئة العقود المدبية.	جص معشق بالزجاج الملون يشبه خلايا النحل.
١٣	حمام مهرماه سلطان بأدرنة قابي.	المستوى العلوي بالواجهة الجنوبية الشرقية.	نافذتان معقودتان بعقود مدبية.	مصبغات معدنية.

م	المبنى الوقفي	موضع النوافذ	شكل النوافذ	تغشية النوافذ
١٤	جامع نوربانو سلطان.	المستوى الأوسط لإيوان المحراب بالواجهة الجنوبية الشرقية.	نوافذ مستطيلة سفلية.	مصبغات معدنية.
			نوافذ مستطيلة تعلو النوافذ السابقة.	جص معشق بالزجاج الملون.
١٥	جامع نوربانو سلطان.	رقبة القبة.	١٩ نافذة معقودة.	جص معشق بالزجاج الملون.
١٦	چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان.	الواجهة الجنوبية الشرقية.	نوافذ مستطيلة بالمستوى السفلي.	مصبغات معدنية.
			نوافذ مستطيلة بالمستوى العلوي.	جص معشق بالزجاج الملون.
١٧	يني جامع لخدجيحة تورخان سلطان.	المستوى السفلي الواجهة الشمالية الشرقية للصحن.	نوافذ مستطيلة سفلية.	مصبغات معدنية.
			نوافذ بشكل عقود مدببة تعلو السابقة.	جص معشق بالزجاج الملون.

ثانياً: الروافع والعقود:

تُعدّ الروافع والعقود من أهم الوحدات والعناصر المعمارية التي تقوم عليها الأسقف، إلى غير ذلك من الوحدات والعناصر المكوّنة للعناصر الوقفية (موضوع الدراسة) وغيرها، والعقد عبارة عن عنصر معماري مقوس^(١) يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها، ويتألف العقد من صنجات أو فقرات أو قوالب، سواء من الآجر أم الحجر^(٢)، وهي كذلك أحد أهم مفردات عناصر العمارة^(٣) حيث إن للفن الإسلامي في مجال العقود ابتكارات وأشكالاً رائعة، كما لعبت العقود أدواراً مهمّة في تاريخ العمارة الإسلامية، وهي العناصر التي ما زالت لها قيمتها في محاولات التطوير والتحوير والاستيحاء منها بأشكال تتماشى مع

(١) ينظر: مساجد القاهرة ومدارسها-المدخل، أحمد فكري، مطبعة معهد دون بوسكو، الإسكندرية، ١٩٦١م، ص ٢٧-٢٩.

(٢) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري،، ك ٢، ص ٦١.

(٣) ينظر: الأبعاد الفكرية في الفن الإسلامي، معجب عثمان الزهراني، رسالة (ماجستير)، قسم التربية الفنية، كلية التربية-جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٤١.

محاولات تطوير الطراز نفسه، وهي أيضًا من العناصر التي تُعدّ جوهرية وإنشائية، وتميزت في المنشآت الوقفية (قيد الدراسة) بنوعين أساسيين من العقود هما العقود نصف الدائرية والعقود المدببة، فيما استخدم العقد المتور فقط أعلى المداخل أو الأبواب.

وينسب أقدم مثل للعقود المدببة إلى العصر البيزنطي في الشام، وهي نسبة مفتعلة، حيث وجدت بعض النماذج التي تسبق ذلك، وهي العقود الموجودة في أعلى الواجهة الخلفية لإيوان كسرى في موضع المدائن المعروف حاليًا بسلمان باك^(١)، ثم استقر ونما وازدهر في الشرق الإسلامي بمختلف أشكال العمارة الإسلامية^(٢).

أ) الروافع:

استخدمت الحوائط والجدران بشكل أساسي كروافع للمباني والعمائر الوقفية، بل تُعدّ الأسلوب الأساسي المتبع في إنشائها، وكذلك كان الاهتمام بحجر الزاوية في ربط الواجهات المتعددة، وقد أثار سمك هذه الجدران والحوائط على ارتفاع العمائر والمنشآت بما يبرز أهميتها في ضخامة المبنى وإبراز أهميته من ناحية، وإمكانات الواجهات المادية من ناحية أخرى، وإلى جانب الجدران والحوائط فقد استخدمت الدعامات الحجرية كروافع تحمل العقود والأسقف بالمنشآت الوقفية المختلفة بمدينة إستانبول، لا سيما في رفع القباب المركزية الكبيرة داخل الحرم المغطى (بيت الصلاة) بالمسجد الوقفية لنساء القصر العثماني (قيد الدراسة)، وقد استخدمت في غالبية المساجد (موضوع الدراسة)، كما استخدمت بعض الدعامات في رفع بعض عقود البوائك التي تطل على الصحن في المساجد الكبرى، مثل: عقود بوائك السقيفة الخارجية في المنتصف والجانبين التي تطل على الصحن بجامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي بواقع ٤ دعامات، واستخدمت كذلك في رفع العقود المدببة لبوائك خان الوالدة الكبير لماهييكر كوسم سلطان، إذ تقوم جميعها على دعامات حجرية مربعة يبلغ سمكها مترًا تقريبًا.

(١) ينظر: العمارة العربية الإسلامية «ماضيها وحاضرها ومستقبلها»، فريد محمود شافعي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م، ص ١٩٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠١.

أما الأعمدة فهي ما يدعم بها السقف أو الجدار، ولقد اتخذ العمود تسميات عدة؛ فهو عمود في المشرق، وسارية في المغرب، وشمعة في لبنان، وأسطون أو أسطوانة على لسان بعض الكتاب، وفي العهود الإسلامية المبكرة كانت قد استعملت جذوع النخيل كأعمدة كما في المسجد النبوي ومسجد عمرو بن العاص بالفسطاط، وبعد ذلك لجأ المسلمون إلى استعمال الأعمدة اليونانية والرومانية والبيزنطية المجلوبة من بنايات سابقة، ثم ما لبث أن اعتمد البناء الإسلامي على أعمدة ذات تصميمات نابعة من الفن الإسلامي نفسه^(١).

هذا وقد استخدمت الأعمدة على نطاق واسع جداً في العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) لا سيما الأعمدة الرخامية (سبق إيراد عدة صور لها)، ومن ثم فهي تُعدّ -إلى جانب الحوائط- الركيزة الأساسية لرفع التغطيات والعقود بمختلف أنواع هذه العمائر فيما عدا المنشآت التجارية، ويمكن ملاحظة ذلك في النقاط الآتية:

١- استخدمت الأعمدة الرخامية في رفع بوائك أجنحة بيوت الصلاة في المساجد، وجاءت غالبيتها من الأعمدة التي لها تيجان مميزة على شكل معينات، وهذه التيجان مستمدة من المثلثات الكروية الموجودة في المرحلة الانتقالية من المربع إلى دائرة القبة، وهذا النوع من التيجان غير معروف إلا في العمارة العثمانية^(٢)، وتطلق عليه بعض المراجع اسم التيجان ذات المعينات (تشبه البقاوة) Baklavli başlik^(٣) (صورة: ٢١٦)، وقد وجد ذلك النوع من تيجان الأعمدة بالمساجد العثمانية خارج موضوع الدراسة، ومنها على سبيل المثال: في جامع قره أحمد باشا في إستانبول (٩٦٢-٩٧٩هـ/١٥٥٤-١٥٧١م)، وفي جامع رستم باشا بإستانبول (٩٧٠هـ/١٥٦٢م)^(٤)، وفي جامع صوقللو محمد باشا في قادرغا بإستانبول (٩٧٩هـ/١٥٧١م)^(٥)، كما استخدم في المساجد العثمانية خارج تركيا، ومنها: مسجد إسحاق باشا في بيتولا بمقدونيا (٩١١هـ/١٥٠٦م)، وعمائر مجمع غازي

(١) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، لك٢، ص٤٩.

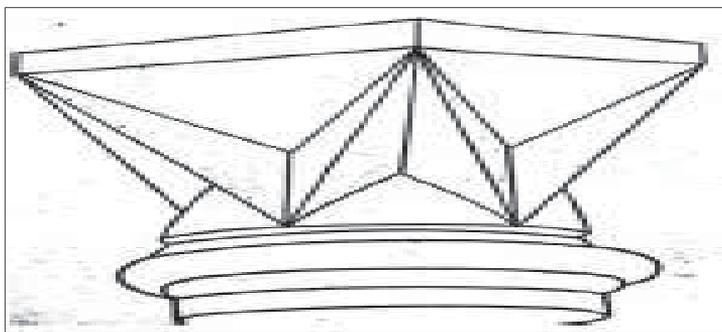
(2) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 80; The Mosque In Early Ottoman Architecture (op.cit), (Aptullah Kuran), P 104-109

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص٥٧٣.

(4) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 213.

(٥) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص٢٧٠.

خسرو بك سرايفو، وجامع زنجيرلي في سيريز (القرن ١٠هـ/١٦م)، حيث إن عقود السقيفة محمولة على أعمدة من الرخام الأبيض ذات تيجان ذات معينات، ومسجد أحمد بك في كستنجه ببلغاريا (٩٨٢-٩٨٤هـ/١٥٧٥-١٥٧٧م)، والجامع الجديد في كموتيني باليونان (أواخر القرن ١٠هـ/١٦م وأوائل القرن ١١هـ/١٧م)^(١)، ومسجد سنان باشا (كنيسة السيدة العذراء حاليًا) في أوزونجه (أوزون حاليًا) ببلغاريا (١٠٠٣هـ/١٥٩٥م)، ومسجد شريف خليل باشا في شمله (شومن) ببلغاريا (١١٥٧-١١٨٩هـ/١٧٤٤-١٧٥٥م)^(٢).



صورة (٢١٦): تفاصيل لأحد التيجان ذات المعينات.

٢- لم تقتصر تيجان الأعمدة المستخدمة في رفع العقود على الشكل ذي المعينات، وإنما تميزت عمائر خاصكي خرم سلطان بوجود عدد من الأعمدة لها تيجان مختلفة، ومنها تيجان الأعمدة التي تقوم عليها بوائك رواق المدرسة بمجمعها بأورتابازار؛ إذ إن تيجانها منحوتة على شكل أزهار اللوتس، وكذلك تيجان الأعمدة الجرانيتية التي تحمل عقود بوائك الحجر المفتوحة بمكتب الصبيان الخاص بها.

٣- استخدمت بعض الأعمدة الجرانيتية الكبيرة في رفع بعض القباب المركزية لبعض المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني، مثل: قبة مسجد مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وقبة مسجد نوربانو سلطان بإسكدار، كما وجدت الأعمدة الجرانيتية تحمل عقود بوائك المربع المفتوح بمكتب الصبيان لخاصكي خرم سلطان، وكذلك بعض أعمدة المدرسة وهي أعمدة تتميز بتيجان على هيئة زهور اللوتس.

(1) Byzantine Influences On Early Ottoman Architecture (op. cit), (Ahmed Ameen), Pp. 104-124.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٧٣-٥٧٤.

٤- استخدمت بعض الأعمدة البازلتية، ومن أهم نماذجها في البائكة التي تقسم مساحة مسجد خاصكي حرّم سلطان إلى مربعين متماثلين؛ إذ تقوم عقودها على عمودين من البازلت.

٥- استخدمت الأعمدة الرخامية في رفع عقود البوائك الخارجية والسقائف التي تتقدم مساجد مهرماه بإسكدار وماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار وخاصكي حرّم سلطان، وعقود البوائك المطلّة على الصحن بجامع مهرماه بأدرنة قايي وجامع الوالدة يامينونو، وعقود بوائك الحمامات كحمام خاصكي سلطان، وعقود بوائك الثّرب كتربة خاصكي سلطان وثّربة خديجة تورخان.

٦- استخدمت الأعمدة كعنصر رفع أساسي لحمل أسقف وبوائك الشاذروانات الملحقة بالجوامع والمدارس وباقي العمائر الوقفية (قيد الدراسة)، وكذلك استخدمت في واجهات الأسبلة والچشم، وفي حمل جواسق المنابر الرخامية، وغير ذلك من العمائر (قيد الدراسة).

٧- استخدمت بعض الأعمدة ذات التيجان المقرنصة في بعض عمائر الدراسة، ومن أهمها جامع الوالدة الجديد يامينونو، إلى جانب عدد من المنشآت الأخرى داخل إستانبول وخارجها، مثل: جامع أوج شرفلي بأدرنة (٨٤١-٨٥١هـ/١٤٣٨-١٤٤٧م)، حيث ظهرت تلك التيجان في الأعمدة التي تحمل المظلة المطلّة على الحرم، وفي جامع بايزيد الثاني بإستانبول (٩٠٧-٩١٣هـ/١٥٠١-١٥٠٧م)، وجامع شاهزاده بإستانبول (٩٥١-٩٥٥هـ/١٥٤٤-١٥٤٨م)، وجامع السليمانية بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)، وفي جامع السليمانية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م)، وجامع محمد بك في سيريز باليونان (٨٩٨هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م)^(١)، ومسجد أحمد بك في دوبيونيجه ببلغاريا أواخر القرن ٩هـ/١٥م، حيث إن سقيفة المسجد محمولة على أعمدة ذات تيجان مقرنصة، وجامع يحيي باشا في أسكوب بمقدونيا (٩٠٩هـ/١٥٠٣-١٥٠٤م)^(٢)، كذلك وجدت في بعض العمائر السلجوقية كما في مدخل الجامع الكبير في مدينة ديوركي (٦٢٥-٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، وفي مدينة أفيون

(1) Byzantine Influences On Early Ottoman Architecture (op. cit), (Ahmed Ameen), P. 71.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٧١.

عام (٦٤٠-٦٤١هـ/١٢٤٣م)^(١)، كما وجدت نماذج من هذه التيجان ببعض عمائر الإمارات التركمانية بوسط الأناضول فظهر بمسجد شاه في نيدا من أعمال أسرة بني قرمان، وفي أعمدة المقدم بجامع عيسي بك في سلجوق (٧٧٦هـ/١٣٧٥-١٣٧٦م)، وفي العمودين اللذين يتقدمان مدخل جامع إلياس بك ضمن كليته في بالاط (٨٠٦هـ/١٤٠٤م)^(٢).

ب) العقود:

العقد عنصر معماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر، ويشكل عادة فتحات البناء أو يحيط بها، ويتألف العقد من عدة أحجار كل واحدة تسمى فقرة أو صنجة، وفي العهد الأيوبي ظهرت الصنجات المزرة الملونة بالتناوب، وهي عبارة عن أحجار مفصصة الأطراف متداخلة فيما بينها، ولقد استعملت العقود في العمارة الإسلامية بأشكال مختلفة؛ فهناك العقد المستقيم ويسمى عتب، والعقد المدبب سواء كان بمركزين أم بأربعة مراكز، والعقد نصف الدائري، والعقد المنكسر، والعقد حدوة الفرس، والعقد المفصص، والعقد الموتور، والعقد العاتق وهذا النوع من أنواع العقود يعمل غالبًا في نقل الأحمال بعيدًا عن الاعتبار حرصًا على سلامتها^(٣)، ولعبت العقود أدوارًا مهمة في تاريخ العمارة الإسلامية، وهي العناصر التي لا زالت لها قيمتها في محاولات التطوير والتحويل والاستيحاء منها بأشكال تتماشى مع محاولات تطوير الطراز نفسه، وهي أيضًا من العناصر التي تُعدّ جوهرية جمالية وإنشائية.

يتكون العقد من عدة أجزاء، منها: صنجة العقد، ومفتاح العقد، والجاران، وخصر العقد، ورجل العقد، ومنحنى التفتيح، والتتويج، والسهم، والوتر، ونقطتا الاتصال، وخط الاتصال، والسنبوسكة^(٤).

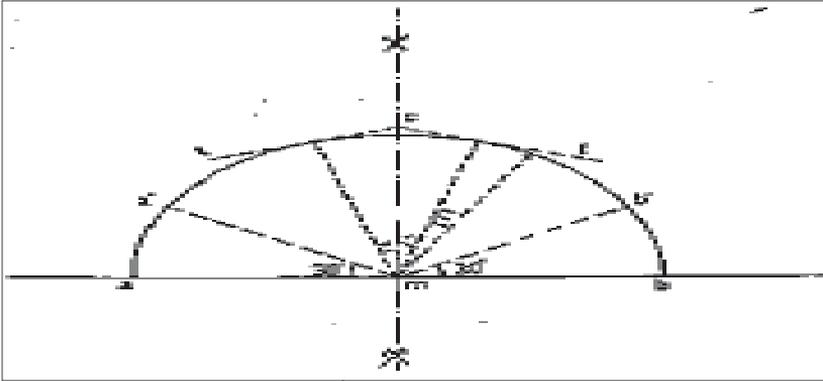
(1) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Unsal), P. 80.

(٢) ينظر: العماير الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٢٣.

(٣) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، ج ٢، ص ٦١.

(٤) ينظر: الخصائص المعمارية للعقود والقباب الكلاسيكية، عاصم نايف البرغوثي، مجلة العصور، مج ١، ج ٢، دار المريخ للنشر، لندن، ١٩٨٦م، ص ١٤٤.

١ - العقد نصف الدائري (صورة: ٢١٧):



صورة (٢١٧): طريقة تنفيذ العقد نصف الدائري (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٣)، (Güran, Türk Hanlarının, S. 190)

وجدت نماذج متعددة للعقد نصف الدائري في المنشآت الوقفية لنساء القصر العثماني في إستانبول، ولعب دورًا كبيرًا في تشكيل بنية العمائر الوقفية، إذ استخدم في العقود الكبيرة الحاملة للقباب المركزية وأنصافها، مثل: عقود واجهة محفل النساء بجامع نوربانو سلطان، وكذلك العقود الكبيرة الحاملة للقبة المركزية وأنصافها بالجامع نفسه، وبعض النوافذ في القسم الأوسط على جانبي محراب مسجد نوربانو سلطان، وفتحات الأبواب التي تؤدي إلى الصحن بالمسجد نفسه، وعقود نوافذ القسم الشمالي، ومضاهايات فتحات النوافذ بهذا القسم الممثل لحجرات الطلاب الملحقة بالجامع داخل الحرم المكشوف بمسجد مهرماه بأدرنة قاي، وفي عقود بائكة السقيفة الخارجية لجامع مهرماه بأدرنة قاي المطللة على الصحن، ونوافذ رقاب القباب الركنية الصغيرة وأنصاف القباب إلى جانب رقبة القبة المركزية بجامعها في إسكدار، وعقود بوائك لبليبيجي خان لخاصكي حرّم سلطان وخان الوالدة الكبير لماهيكر كوسم سلطان، وفتحات النوافذ بالبازار المصري لخديجة تورخان سلطان، وفتحات الأبواب التي تؤدي إلى بيت الصلاة بجامع الوالدة الجديد بإمينونو.

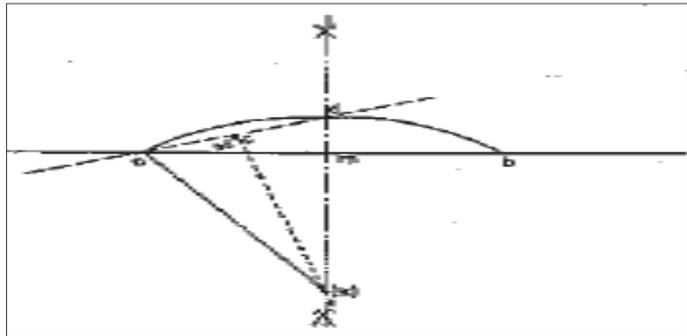
وعند تأصيل استخدام العقد نصف الدائري في العمائر الإسلامية عمومًا، فإن هذا النوع من العقود قد انتشر في العمارة الإسلامية عبر مختلف العصور والأقطار، ويوجد أقدم مثال للعقد نصف الدائري في العمارة الإسلامية القائمة منذ القرن الأول الهجري كما في قبة الصخرة (٧٢هـ/ ٦٩١م)، وبعدها وجد في قصر الحير

الشرقي (١١٠هـ/ ٧٢٨-٧٢٩م)^(١)، وعرف في مصر في فتحات برج باب الفتوح (٤٨٠-٤٨٥هـ/ ١٠٨٧-١٠٩٢م)، وظهر يتوج فتحات بعض النوافذ بالمدرسة العراقية ببغداد ومنها نوافذ المدرسة المستنصرية، كما ظهر بالعمائر المغربية يتوج بعض الأبواب والنوافذ بالمساجد الموحدية والمساجد والجموع المرينية^(٢).

وقد عُرف هذا النوع من أنواع العقود في الأناضول منذ عهد سلاجقة الروم، فظهر يتوج فتحة السبيل الملحق بطاش مدرسة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨)، كما ظهر هذا العقد بصورة قليلة إبان عهد الإمارات التركمانية، ومن نماذجه: عقود الأروقة بجامع محمد بك بن أيدين ببيركي، وهي عقود نصف دائرية تميل إلى الشكل البيضاوي، وفي عقود نوافذ تربة سلطان شاه الملحقة بالجامع نفسه، وفي عقود بعض النوافذ بالواجهة الشمالية بجامع عيسي بك في سلجوق، وظهر أيضًا هذا العقد يتوج مدخل تربة رواق (Revak) سلطان بمانيسيا^(٣)، وانتشر فيما بعد في العمائر العثمانية باعتبارها وارثة للتقاليد المعمارية السلجوقية في الأناضول، وانتشرت معها تلك التقاليد المعمارية إلى أقطار العالم العثماني كافة، لا سيما في العمائر الموقوفة التي تنشأ برعاية الأسرة الحاكمة؛ حفاظًا منها على التقاليد المعمارية الإسلامية الموروثة، وإن بذلوا في تطويرها جهودًا غير مسبوقه من حيث التعدد الشكلي والتنوع الوظيفي والثراء الزخرفي، حتى غدت العمائر الوقفية ميدانًا مفتوحًا لدراسة التقاليد المعمارية الإسلامية في أثناء العهد العثماني.

٢- العقد الموتور (صورة: ٢١٨):

صورة (٢١٨): طريقة تنفيذ العقد الموتور (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٣)؛ (Güran, Türk)؛ (Hanlarınin, S. 191)



(١) ينظر: العمارة العربية الإسلامية، فريد شافعي، ص ٢٠٣.

(٢) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٣٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٣٢-٣٣٣.

العقد الموتور هو عقد منخفض ذو مركز واحد أو عقد غير كامل الاستدارة^(١)، وهو أضعف العقود متانة، ويندرج ضمن أشكال العقد المستدير، ويعزوه البعض إلى العقد نصف الدائري، وغالبًا ما يؤطر فتحات المداخل ويعلوه إما نفيس لتوزيع الأحمال على الجدران أو عقود أخرى، أو يتم بناؤه من صنجات معشقة بحيث يكون اتساع العقد العلوي أكبر من السفلي، ومن ثم يكون تحمله للضغط الناتج عن الجدران العلوية أقل على باطن العقد، ويعمل العقد الموتور على نقل الأحمال بعيدًا عن الأعتاب؛ حرصًا على سلامتها، ولهذا العقد أشكال مختلفة من حيث مقدار سهمه وتناسبه مع الوتر، ومن حيث نوع العقد ذاته ونوع بنائه، ويجب أن تتجه لحامات الصنج في العقد نحو نقطة الإشعاع، ويعرف هذا العقد في وثائق العهد العثماني بالعقد الرومي^(٢).

وقد وجد هذا العقد في عمائر نساء القصر العثماني الوقفية (قيد الدراسة)، لا سيما في المداخل مثل: مدخل جامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، ومدخل مكتب الصبيان بمجمع مهرماه ياسكدار، واستخدم كعقد لمقدم المنابر في مساجد الدراسة، كمنبر خديجة تورخان سلطان، ومدخل بعض الحمامات كمدخل حمام تشيمبرلي تاش، ومدخل حمام كلية نوربانو سلطان ياسكدار، ومدخل الكتلة الثانية لمجمع نوربانو سلطان التي تضم الخان والعمارت والمشفى، والعقد الأوسط من عقود بائة السقيفة الخارجية لجامع نوربانو بالمجمع نفسه، والعقد الأوسط في الجهة المقابلة أيضًا، وغير ذلك. وقد كان لظهوره في المداخل خاصة أهمية محورية في العمائر الوقفية، إذ إنه يعمل على تقليل ارتفاع باب المدخل بما يعمل على التوفير المادي من ناحية، وتأمين المدخل تبعًا لذلك، وضرورة وجود كتلة تعلوه يؤطرها عقد آخر إما مدبب أو نصف دائري للمساعدة في حمل الضغط الناتج عن ثقل الجدار أعلى هذا العقد من ناحية ثانية، ومن ثم فإن وجوده أدى إلى تنوع العقود في الموضع نفسه

(١) ينظر: العمارة العربية بمصر، ولفرد جوزيف دلي، ترجمة: محمود أحمد، إشراف: محمد أبو العائم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٧٠.

(٢) ينظر: مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الأثرية والنصوص الوثائقية والتاريخية، محمد حمزة إسحاق الحداد، مكتبة زهراء الشرق، ط٣، ٢٠٠٦م، ص٩٦.

بواقع عقد أكبر مدبب أو نصف دائري يؤطر كتلة المدخل، ويقع بمنتصف الكتلة فتحة الباب التي يؤطرها العقد المتور.

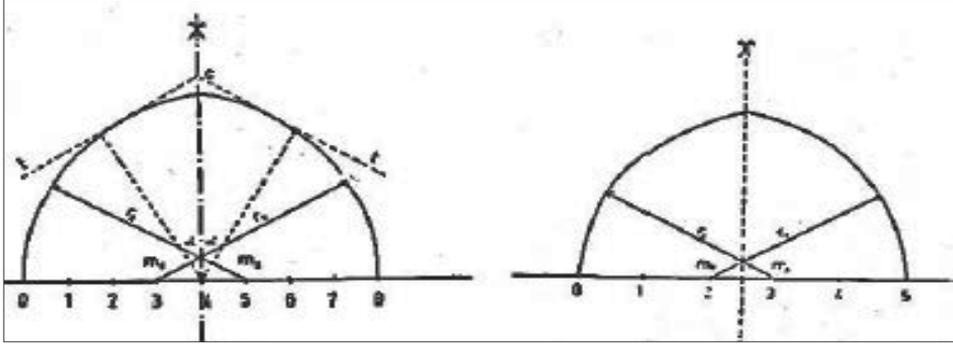
وأما من حيث المصدر الذي استقت منه العنائر الوقفية هذا العقد وتأثرت به فإنها ترجع إلى العمارة السلجوقية، إذ ظهر هذا النوع من العقود في الأناضول في أثناء عهد سلاجقة الروم، ومن نماذج العنائر التي ظهر بها هذا العقد: فتحة الباب بكل من: المدخل الرئيس بالجامع الكبير في بنيان، وجامع علاء الدين في نيدا، وبالمدخل الشرقي بالجامع الكبير في مالطيا، وبالمدخل الشرقي بالجامع الكبير في أقي شهر^(١)، كما استخدم هذا النوع من العقود إبان عهد الإمارات التركمانية؛ حيث ظهر يتوج فتحة باب المدخل الشرقي بجامع محمد بك بن أيدين في بركي (٧١٢هـ/١٣١٢م)، وباب تربة شاه خاتون الملحقة بالجامع نفسه، والمدخل الشمالي بجامع أحمد غازي في ميلاس (٧٨٠هـ/١٣٧٨م)، ومدخل الزاوية الإسحاقية بمانيسا (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، وفي فتحات الحوانيت بالمستوى الأول بالواجهة الغربية بجامع عيسى بك في سلجوق، وفي المدخل الرئيس بجامع الفقيه إسحاق في كوتاهية، وفي المدخل الشرقي والغربي من جامع أشرف أغلو في بي شهر، وظهر يتوج فتحة الباب بالمدخل الرئيس بالمدرسة الخاتونية في قره مان^(٢).

ومن نماذجه في العنائر العثمانية الأخرى على سبيل المثال؛ جامع علاء الدين في بورصة، حيث استخدم العقد المتور في تتويج فتحات الأبواب والنوافذ بالواجهة الشمالية للجامع والمشرفة على السقيفة، وفي فتحة الباب بالتربة الخضراء في بورصة (٨٠٥-٨٢٤هـ/١٤٠٢-١٤٢١م)، وفي نوافذ جامع شاهزاده بإستانبول (٩٥١-٩٥٥هـ/١٥٤٤-١٥٤٨م)، وجامع السلمانية بإستانبول (٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، وجامع السلماية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م)، وجامع نور عثمانية بإستانبول (١١٦٢-١١٦٩هـ/١٧٤٨-١٧٥٥م)^(٣).

(١) ينظر: العنائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(3) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), pp. 208-225



الصورتان (٢١٩، ٢٢٠): أسلوب تنفيذ العقد المدبب ذي المركز الواحد وذو الثلاثة مراكز (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٣)؛ (Güran, Türk Hanlarının, S. 188- 189)

٣- العقد المدبب (الصورتان: ٢١٩، ٢٢٠):

يعتبر العقد المدبب^(١) أكثر أمثلة العقود الموجودة بالعمائر الوقفية (قيد الدراسة)، سواء في المساجد، والبوئات الداخلية والخارجية، أم كإطار لفتحات النوافذ المستطيلة أم كشكل للنوافذ المعقودة، أم كتلة مداخل الأبواب، أم في بوئات المدارس والعمارات والتكايا والترب. ويرجع ذلك إلى أهميته في توزيع الحمل وتخفيف الضغط الناتج عن مركز العقد باعتباره أضعف أجزاء العقد تحملاً للضغط المعماري، وذلك عبر التدبيب الذي يوجد في منتصفه بما يعمل على توزيع الأحمال على الجانبين وصولاً إلى رجلي العقد والروافع التي يقوم عليها، وإلى جانب ذلك فإن فيه لمحة جمالية ربما

(١) ظهر العقد المدبب في العمارة الساسانية بالعراق قبل ظهور الإسلام، حيث أُستُخدم في طاق كسرى ليتوج تسعاً من الدخلات العليا بالجدار الخلفي للقصر، ولكن هناك بعض الآراء لمؤرخي الفنون الأوربيين تعارض ذلك، حيث يذكرون أن أقدم مثال للعقد المدبب ظهر في كنيسة قصر ابن وردان في الشام سنة ٥٦١-٥٦٤م. وفي العصر الإسلامي ظهر في المسجد الأموي بدمشق ٩٦هـ/ ٧١٤م، حيث يذكر الدكتور فريد شافعي أن أقدم ظهور للعقد المدبب كان بواجهة المجاز القاطع المطل على الصحن في المسجد الأموي (٩٦هـ/ ٧١٤م)، وظهر في قصر عمرة (٩٤-٩٧هـ/ ٧١٢-٧١٥م)، وظهر أيضاً في منارة محضة التي تؤرخ مع قصر الأخيضر في حوالي سنة ١٦٦هـ/ ٧٨٠م، وفي قصر الأخيضر (١٦١هـ/ ٧٧٨م). وظهر استخدام العقد المدبب في مصر في العصر الإسلامي، فكان في بعض عقود شبليخ جامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية (من أعمال عبد الله بن طاهر، ٢١٢هـ/ ٨٢٧م)، والعقود التي تتوج الفتحات والدخلات ببئر مقياس النيل بجزيرة الروضة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، واستخدم في عقود مسجد أحمد بن طولون، وانتشر بشكل كبير خلال العهدين الفاطمي والأيوبي، وانتشر هذا العقد خلال العهد المملوكي انتشاراً كبيراً، وأصبح من مميزات العمائر الدينية والمدنية في تلك الفترة، ولم ينته استخدام هذا العقد بانتهاه العهد المملوكي، وإنما شاع استخدامه بكثرة أيضاً خلال العهد العثماني، كما ظهر في عمائر غرب العالم الإسلامي العقد المدبب أيضاً، مثل: جامع القيروان في عهد زيادة الله الأغلبي سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٧م. ينظر: موسوعة العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ١٧١؛ والعمارة العربية الإسلامية، فريد شافعي، ج ١، ص ٢٠٧؛ والعمارة الإسلامية في قبرص، بدر عبد العزيز بدر، ص ٤٤٩.

تفوق شكل العقد نصف الدائري، من خلال بروز منتصفه العلوي بما يكسر روتين العقد نصف الدائري، بما يبعث إلى الارتياح عند النظر إليه وتدبر شكله وبنائه. يتميز العقد المدبب بأنه ذو نهاية رفيعة مدببة^(١) إما بمركز واحد أو بثلاثة مراكز، ويتكون من مستقيمين مائلين (قوسين)^(٢) بزواوية معينة يتقابلان فيها إلى أعلى، كما أن رجليه تتكونان من خطوط رأسية مستقيمة، ويُعرف بأنه العقد ذو التنفيخ (يقصد به باطن العقد أو المنحنى السفلي له)، والتجريد (يقصد به المنحنى العلوي أو الخارجي للعقد، ويُعرف أيضًا بالتتويج)^(٣)، ويكون على هيئة أقواس من دوائر تقع مراكزها في داخل أو خارج فتحة العقد، ويُعدّ هذا النوع من أنواع العقود من مميزات العمارة الإسلامية البارزة.

وقد تأثرت العمارة العثمانية وفضلت -مثلها في ذلك مثل العمارة السلجوقية- العقد المدبب أو العقد المدبب المتنفخ^(٤)، وقد عرف استخدام هذا النوع من العقود إبان عهد سلاجقة الروم، وخاصة في تتويج فتحات الأبواب وحجور المداخل، ومنها: الجامع الكبير في ديوريكي (٦٢٦-٦٢٨ هـ/١٢٢٩ م)، وفي مدخل مدرسة أرتكوش (٦٢١ هـ/١٢٢٤ م)، وفي المدخل الرئيس بالجامع الكبير في آق شهير، وفي عقد الإيوان بمدرسة قره طاي في قونية (٦٤٩ هـ/١٢٥١ م)^(٥).

وانتشر العقد المدبب في عمائر الإمارات التركمانية في: جامع حاج إلياس بك وفيروز بك في ميلاس في كل من السقيفة الخارجية التي تتقدم كلا المسجدين، وفي عقود الزيادة الغربية بجامع دوغان بك في تيره، وفي حجر المدخل لثربة سلطان شاه الملحقة بجامع محمد بك بن أيدين في بركي، وفي المدخلين (الغربي والشرقي) بجامع عيسي بك في سلجوق، وفي المدخل الشمالي بجامع حاج إلياس بك في ميلاس، وفي فتحة باب ثربة محمد بن أيدين، وفي إيوان مدرسة أحمد غازي في بجين، وفي

(١) ينظر: المصطلحات المعيارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣ هـ/١٢٥٠-١٥١٧ م)، محمد محمد أمين وولي علي إبراهيم، دار النشر بالجامعة الأمريكية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠ م، ص ٨١-٨٢.

(٢) ينظر: موسوعة العمارة الإسلامية، عبدالرحيم غالب، ص ٢٧٩.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات العمارة، عاصم رزق، ص ١٩٧.

(٤) ينظر: جامع الملكة صفية، هدايت تيمور، ص ٩٠.

(٥) ينظر: العناصر المعيارية ودورها في مجال زخرفة الفنون، ربيع حامد خليفة، ص ٨٠.

تُربة صاروخان بك في مانيسا (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، وتُربة السبع بنات (يدي قزلىر) في مانيسا أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م، وفي تُربة علي خان في تيره (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، وتُربة سليمان شاه في تيره (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، والمدخل الرئيس بجامع أشرف أوغلو في بيشهر، وفي جامع لاله أغا في مدينة موت (٧٥٧-٧٩٣هـ/ ١٣٥٦-١٣٩٠م)^(١).
 وظهر في العمارة العثمانية في كل من: الرواق الخارجى بالجامع الأخضر في أزنيق (٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)، وفي القبة المركزية في جامع أوج شرفلي (٨٤١-٨٥١هـ/ ١٤٣٨-١٤٤٧م)، وجامع شاهزاده بإستانبول (٩٥١-٩٥٥هـ/ ١٥٤٤-١٥٤٨م)، وجامع السلليمانية في إستانبول (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)^(٢)، وفي القبة المركزية بجامع السليمية في أدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/ ١٥٦٩-١٥٧٤م)، ومسجد السلطان أحمد بإستانبول (١٠١٨-١٠٢٧هـ/ ١٦٠٩-١٦١٧م)، وفي عقود مسجد لاله لي بإستانبول (١١٧٣-١١٧٧هـ/ ١٧٥٩-١٧٦٣م)^(٣).

ج) العلاقة بين العقود المستخدمة في العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول:

تمثل تلك العلاقة علاقة ازدواجية وتدعيم لا تنافر وجود، إذ لا يمنع وجود أنواع العقود إلى جانب بعضها البعض في العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، وهو ما كشفت عنه الدراسة في العمائر كافة، وجمع المعمار بين مختلف نماذج العقود، وصاغها بشكل مبدع تألقت معه نماذجها، ويمكن أن يتم تناول العلاقة بينها في النقاط الآتية:

١- جاءت التجاويرف الرأسية المختلفة في الواجهات المتعددة للعمائر الوقفية -موضوع الدراسة- وكتلات المداخل بعقود، إما نصف دائرية وإما مدببة، مثلت العقود المدببة أكثر نماذجها.

٢- تشكلت المداخل نفسها أو فتحات الأبواب الخارجية التي تؤدي إلى داخل غالبية نماذج العمائر الوقفية بعقود موتورة إما حجرية وإما رخامية نفذت بصنجات معشقة.

(١) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٣٠-٣٣١.

(2) A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (Godfrey Goodwin), P. 225

(٣) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٥٨٨.

- ٣- جاء بعض المداخل التي تؤدي للحجرات الداخلية في العمائر الوقفية كالمدارس والخانات والتكايا وغيرها بعقود مدببة أو نصف دائرية غالبًا.
- ٤- جاءت غالبية النوافذ لا سيما في المستويات العلوية من العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) سواء في المساجد أم العمائر الأخرى بعقود، إما مدببة وإما نصف دائرية.
- ٥- شاعت العقود المدببة ونصف الدائرية في البوائك التي مثلت واجهات الأروقة والسقائف بمختلف العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، ولم يمنع هذا من وجود العقد الموتور جنبًا إلى جنب معها لا سيما في عقود بائكة السقيفة الخارجية في جامع نوربانو سلطان، إذ جمعت عقودها بين العقود المدببة والموتورة بواقع ١٢ عقدًا مدببًا، تحصر بينها عقدًا موتورًا واحدًا ربما لتمييز عقد المدخل.

د) انتشار العقود في العمائر الوقفية (موضوع الدراسة):

تُعدّ العقود جزءًا أصيلاً لا يخلو منه مبنى وقفي، إذ تعتمد العناصر والوحدات المكونة للعمائر الوقفية على العقود حتمًا، فإذا كانت المداخل والنوافذ عناصر ضرورية في العمائر فإن العقود هي التي تشكل هذه العناصر في غالبية النماذج، لا يعني هذا أنه اشترط أن تكون المداخل والنوافذ هيئة معقودة، فهناك نوافذ أخذت هيئة مستطيلة ليتوجها أعتاب مستقيمة لا عقود، وهو الحال لبعض المداخل وإن كانت نماذجها نادرة، ولكن حتى في تلك الحالات فقد كانت العقود تأتي كشكل زخرفي يُوّطر هيئة النافذة لكسر الجمود الناتج عن استقامة النافذة من ناحية، ولعمل تدعيم جزئي لعتب النوافذ لإطالة عمرها الافتراضي من ناحية ثانية.

أما مواضع وجود العقود بالعمائر الوقفية (موضوع الدراسة) (سبق إيراد عدة صور بشأنها)، فيمكن تناول بعضها في الجدول الآتي:

نماذج العقد المتور	نماذج العقد المدب	نماذج العقد نصف الدائري
<p>- فتحة باب الدخول لجامع جُلفم خاتون، والمدخل الخارجي المؤدي إلى الفناء.</p> <p>- مدخل جامع خاصكي سلطان، وكذلك فتحة المدخل الرئيس للكتلة الثانية.</p> <p>- فتحة باب الدخول لحمام الرجال بحمام خاصكي سلطان، وكذلك مدخل حمام النساء.</p> <p>- مدخل مكتب الصبيان لمهرماه سلطان ياسكُدار.</p> <p>- مدخل جامع مهرماه ياسكُدار.</p> <p>- مدخل جامع مهرماه بأدرنة قايي.</p> <p>- مدخل جامع نوربانو سلطان والمدخل الثلاثة التي تؤدي إلى صحن الجامع.</p> <p>- مدخل تكية نوربانو - مدخل خان وعمارة مجمع نوربانو سلطان.</p> <p>- مداخل كل من: حمام نوربانو ياسكُدار، وحمام تشيمبرلي تاش.</p> <p>- أحد عقود بائكة السقيفة الخارجية بجامع نوربانو سلطان (العقد الأوسط).</p>	<p>- إحدى نافذتي الواجهة الشمالية الشرقية لجامع خاصكي سلطان.</p> <p>- إطار كتلات المداخل الثلاثة للعناصر الأخرى بمجمع خاصكي سلطان.</p> <p>- تجويف الجشمة الملحقة بسور الكتلة الثانية لمجمع خاصكي سلطان.</p> <p>- عقود بائكة رواق مدرسة خاصكي سلطان المطلة على الصحن وعددها ٢٠ عقدًا.</p> <p>- بائكة الواجهة الشمالية الشرقية لمكتب الصبيان بمجمع خاصكي سلطان، وهي ٣ عقود تركز على أعمدة جرانيتية.</p> <p>- عقود مداخل قاعات الاستقبال بمستشفى خاصكي خرم سلطان.</p> <p>- عقود بائكة الرواق المطل على صحن عمارت خاصكي سلطان.</p> <p>- عقود بائكة الواجهة الرئيسة لحمام خاصكي سلطان وعددها ٥ عقود، وكذلك نوافذ الواجهتين (الشمالية والجنوبية).</p> <p>- فتحات الأبواب الداخلية بين حجرات حمام خاصكي.</p> <p>- إطار لزخرفة بعض التجميعات الخزفية بجدران تربة خاصكي سلطان، ونوافذ التربة.</p> <p>- عقود سقائف جامع مهرماه ياسكُدار.</p> <p>- مدخل جامع مهرماه ياسكُدار.</p> <p>- بعض النوافذ العلوية بالواجهة الجنوبية الشرقية بجامع مهرماه ياسكُدار.</p> <p>- إطار يحدد نوافذ مدرسة مهرماه ياسكُدار.</p>	<p>- عقود رواق الواجهة الشرقية في ليليجي خان، وعددها ٧ عقود.</p> <p>- عقود رواق الواجهة الشمالية في ليليجي خان وتطل ب ٣ عقود، وكذلك الواجهة الغربية.</p> <p>- عقود مداخل الحجرات العلوية لليليجي خان.</p> <p>- نوافذ المستويات العلوية بجامع مهرماه سلطان ياسكُدار، والتي يغشها حص معشق بزجاج ملون.</p> <p>- نوافذ رقبة القبّة بجامع مهرماه سلطان ياسكُدار، وعددها ١٦ نافذة إلى جانب نوافذ أنصاف القباب.</p> <p>- نوافذ واجهة القسم الشمالي (المدرسة) بمجمع مهرماه بأدرنة قايي.</p> <p>- نوافذ مكتب الصبيان في المستوى العلوي بمجمع مهرماه بأدرنة قايي.</p> <p>- العقود الستة الحاملة للقبّة المركزية بجامع نوربانو سلطان.</p>

نماذج العقد المتور	نماذج العقد المدب	نماذج العقد نصف الدائري
- مدخل الكتلة الأولى لمجمع ماهيكر كوسم سلطان .	- عقود البوائك المطلة على صحن مدرسة مهرماه بإسكدار.	- بعض النوافذ العلوية بجامع نوربانو سلطان.
- مدخل جينيلي جامع لمهبيكر كوسم سلطان.	- تجاويف المستوى العلوي بالقسم الأوسط للواجهة الرئيسة بمجمع مهرماه بأدرنة قاي.	- مدخل الحجره الباردة لحمام نوربانو والمداخل التي تربط بين قاعات الحمام.
- مدخل خان الوالدة الكبير، وكذلك المداخل الداخلية بالخان نفسه.	- العقود العلوية بجامع مهرماه بأدرنة قاي إلى جانب نوافذ رقبة القبه، وهي ٢٤ نافذة في الرقبة.	- العقود الحاملة لقبه الحجره الساخنة بحمام تشيمبرلي تاش، وعددها ٢١ عقدًا، وتعد من أهم ما يميز بها الحمام.
- مداخل جامع خديجة تورخان سلطان.	- عقود الجهات الجانبية (الجناحين) بجامع مهرماه بأدرنة قاي.	- مدخل حمام تشيمبرلي تاش.
- يؤطر جميع أبواب مقدم المنابر بالجوامع الوقفية (موضوع الدراسة).	- السقيفة الخارجية بجامع نوربانو سلطان، وبها ١٢ عقدًا مديًا.	- مدخل مكتب الصبيان لمهبيكر كوسم سلطان وهو من الرخام.
- بعض مداخل سوق الوالدة خاصة مدخل بائعي الكتان (أو سوق الكتان)، وبوابة يني جامع، وفتحة باب الدخول إلى باب الحياة.	- واجهة محفل النساء لنوربانو سلطان.	- بعض نوافذ حمام ماهيكر كوسم سلطان.
- شبابيك التسبيل بسبيل خديجة تورخان، وكذلك مدخل السبيل.	- عقود التي تتخلل القبو الطولي الذي يغطي ممر سوق الوالدة لخديجة سلطان.	- النوافذ العلوية بيني جامع لخديجة تورخان سلطان.
- مدخل مؤقتخانه خديجة تورخان سلطان.	- مدخل سوق السمك والنافذتان على جانبيه بسوق الوالدة، وكذلك تجويف كتلة باب الحياة.	- بوابة سوق الزهور بسوق الوالدة (البازار المصري).
	- العجشة الداخلية والعجشة الخارجية بسبيل خديجة تورخان.	

ثالثًا: التغطيات:

تنوعت أساليب التغطيات التي استخدمت في المنشآت الوقفية بمدينة إستانبول، إلا أن أكثر ما تميزت به أساليب التغطيات هو مدى مواءمتها وملاءمتها للعوامل الطبيعية الموجودة بالمدينة، حيث إن أساليب تلك التغطيات اعتمدت في أسلوب بنائها وتنفيذها على الفكر المعماري للمهندس الذي نفذها، مع حرص الواقفات

على تغطيتها الخارجية بطبقة من الرصاص، وتعيين أحد الحرفيين في هذا المجال للتعهد اليومي والصيانة الدورية لهذه المنشآت، والذي عُرف في وثائق الوقف باسم قورشونجي^(١) وتعني المرصص.

وتميزت غالبية المنشآت الوقفية - قيد الدراسة - وغيرها من العمائر العثمانية بالقباب وأنصافها، سواء في تغطية قلب المسجد والجناحين، أم في الأسقف والأروقة الخارجية، أم في أروقة الصحن والأفنية، أم في أروقة المدارس وحجراتها ودُور الشفاء والتكايا والمنشآت التجارية وغيرها، إلا أنه وجدت الأقبية المتقاطعة أيضًا في بعض المناطق، إلى جانب الأسقف المنحدرة أو المائلة.

١) الأسقف الخشبية المنحدرة أو المائلة:

وهي قليلة الاستعمال في المنشآت (موضوع الدراسة)، ومن ثم كان البدء بها، إذ وجدت في ثلاثة نماذج رئيسة داخل المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول في القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م، وقد تمثل ذلك في تغطية كلا الرواقين أو السقيفتين الخارجيتين بمسجد مهرماه سلطان بإسكدار، وجامع نوربانو سلطان بإسكدار، وجامع ماهيكر كوسم سلطان (چينيلي جامع) بإسكدار أيضًا، وتلاهما النموذج الرابع في تغطية السقيفة أو الرواق الخارجي الذي أضيف أمام سقيفة الجامع الأصلية.

واستخدمت أيضًا الأسقف المنحدرة كتغطية لبعض الشاذروانات في أجزائها الطرفية، فيما تعلو مركزها الخارجي قبة، مثل شاذروان صحن ومدرسة مهرماه سلطان بأدرنة قاي، وكذلك استخدم السقف الخشبي المائل في تغطية سبيل خديجة تورخان سلطان بإمينونو.

٢) الأقبية:

استخدمت الأقبية في العمائر الدينية والخيرية على نطاق ضيق (سبق إيراد صورة لها)، وتكاد تخلو منها إلا في أجزاء محدودة لا سيما القبو المتقاطع والقبو الطولي نصف الدائري، إذ يغطي المربع الأوسط بالرواق الداخلي لجامع مهرماه سلطان

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان، ص ٤٩، الوجه الأيسر، س ٥-٨.

بإسكدار قبو متقاطع بدلاً من القبّة، وغطيت الغرفة الموجودة إلى الغرب من مكتب الصبيان بمجمع مهرماه بأدرنة قباي بقبو متقاطع، وغطي المربع الأوسط في الرواق الذي يتقدم تُربة خاصكي حرّم سلطان أيضًا بقبو متقاطع، ومربع المدخل داخل الرواق الجنوبي الشرقي لعمارت خاصكي سلطان ضمن مجمعها في أورتابازار أيضًا فيغطيه قبو طولي، واستخدم كذلك في تغطية دركاة المدخل الذي يقع بين المسجد ومكتب الصبيان بالمجمع نفسه، ووجدت الأقبية المتقاطعة والطولية بكثرة في المنشآت التجارية، وتمثل ذلك في تغطية دركاوات المداخل لكل من لبلييجي خان، وخان الوالدة الكبير إذ تغطيها أقبية متقاطعة، أما الأقبية الطولية فقد وجدت في تغطية الرواق الممتد في الجهة الجنوبية من لبلييجي خان ويبلغ اتساعه ١,٧٠م، كما استخدم في أغلب حجرات البازار المصري لخديجة تورخان سلطان يمينونو وتغطية ممر البازار الطولي، كما استخدمت الأقبية في تغطية بعض أجزاء القاعات الدافئة في الحمامات (ضمن حدود الدراسة) كحمام مهرماه سلطان بأدرنة قباي، وغطيت دركاة الدخول لخان وعمارت نوربانو سلطان بإسكدار بقبو نصف دائري أيضًا، كما تغطي حجرات دار الحديث ودار القراء أقبية برميلية أيضًا لا قباب، وهو ما يُعدّ سمة لحجرات هذه المنشآت.

(٣) القباب:

القبّة عبارة عن بناء دائري المسقط مقعر من الداخل ومقرب من الخارج، والقبّة هي أحد الأشكال الخاصة التي استخدمت في تغطية أسقف الكثير من المباني على مر العصور، ويرجع أن القباب الأولى نشأت في بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى، كما ظهرت أيضًا في العمارة الرومانية وكانت مادتها من الحجر، وقد تميزت العمارة البيزنطية^(١) باستخدام القباب الكاملة وأنصافها من الآجر، وكذلك القباب الضحلة التي كانت تبدو من الخارج على هيئة قصع^(٢) ضحلة.

(١) وتتميز كل من العمارة البيزنطية والإسلامية باختلاف قبابها عن القباب الرومانية، حيث كان الرومان يقيمون القباب فوق الحوائط الصلبة، أما في القباب البيزنطية والإسلامية فكان يتم بناء أفواس صغيرة فوق أركان المربع ثم تبني القبّة. ينظر: تشريح العمارة، جورج مانسل، ترجمة: محمد بن حسين البراهيم، دار قابس للنشر والطباعة والتوزيع، ط١، ٢٠١١م، ص٤٦.

(٢) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص٦٠٧.

وقد كان لاستخدام القباب في العمارة الإسلامية رؤية خاصة، فهي لم تكن حلاً بيئياً ومناخياً أو إنشائياً ووظيفياً فقط، بل مثلت أيضاً رمزاً روحياً يرمز إلى السماء، خاصة في المناطق المسقوفة من المسجد، حيث تعتبر صورة مصغرة لما كان يراه العربي في صحرائه من اتساع في الأفق واستدارة السماء فوقه^(١)، كما كان ذلك فهماً منه وإدراكاً لمعاني آيات القرآن الكريم، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٢)، ونتيجة للرؤية الإسلامية للقبّة فلقد جاءت استعمالاتها مميزة وفريدة عن قباب الحضارات السابقة، وتعتبر قبّة الصخرة التي شيّدت سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م أقدم مثل باق للقباب في العمارة الإسلامية^(٣)، أما أول استخدام لها في المساجد فكان أمام وأعلى المحاريب؛ تأكيداً على أهميتها ومكانتها كما في الجامع الأموي وجوامع القاهرة، وغيرها من الجوامع التي انتشرت في مختلف الأقطار الإسلامية، ووجدت في العمارة المدنية كالقصور بداية من العهد الأموي كما في قصر عمرة ببادية الأردن وقصر الأخيضر بالعراق من العهد العباسي، أما في مصر فقد وجدت القباب في مداخل أبواب أسوار القاهرة، وانتشرت في أثناء العهد الأيوبي واستخدمت في تغطية الأبراج الدفاعية، حيث كان يعلو برج الظفر قبّة حجرية^(٤). وعلى الرغم من تعدد أنواع العمائر التي استخدمت القباب كعناصر تغطية لها، فإن المدافن^(٥) كانت ذات الحظ الأوفر من تغطيتها بالقباب، حتى أطلق عليها مصطلح القبّة المدفن أو قباب المدفن، والتي تعددت وتنوعت فيها أشكال القباب إضافة إلى زخرفتها وتزيينها لتكون في حلة قشبية أعجزت الغرب بتعقيدات وجمالية زخارفها النباتية والهندسية، حيث استخدمت قباب ذات الشكل الكروي والبيضاوي والبصلي والهرمي والمضلع، ومن أشهر قباب المدافن وأجملها في مصر من العهد المملوكي كلاً من: قبتي دفن السلطان برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٢٢هـ).

(١) ينظر: الفن الإسلامي: قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، سمير الصايغ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٧٠.

(٢) سورة الرعد، جزء من الآية رقم ٢.

(٣) ينظر: الفن الإسلامي: أصوله، فلسفته، مدارسه، أبو صالح الألفي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، طبعة بدون تاريخ، ص ٩٤.

(٤) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، ك ٢، ص ٧٩.

(٥) راجع ذلك بالتفصيل في (القباب في العمارة المصرية الإسلامية: القبّة المدفن-نشأتها وتطورها، محمد حمزة الحداد).

١٤٣٨م) والسلطان قايتباي الذي تولى السلطنة سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م^(١)، وشرع في بناء تربته في صحراء المماليك^(٢) سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م^(٣).

ومع ذلك فإنه لم تصل القباب في العمارة الإسلامية إلى أوج ازدهارها وتطورها إلا في العمارة العثمانية، وقد كان للطابع البيئي المناخي أثرٌ في ذلك؛ نظراً لشدة البرودة في الأقطار العثمانية ولا سيما في العاصمة نفسها، إلى جانب الموروث المحلي الذي حرّك المهندسين المعماريين بدافع الغيرة للتغلب على القباب البيزنطية القديمة كقبة آياصوفيا وغيرها من قباب الكنائس، وخاصة على يد المعمار قوجة سنان، حتى صار طراز المساجد العثمانية مختلفاً عن الطرز التقليدية في الأقطار الأخرى من العالم الإسلامي، حيث عرف طراز المسجد القبة، والمسجد ذي الحرم والصحن والذي تميز فيه الحرم بتغطيته بقبة مركزية كبيرة إلى جانب أجزاء القباب على جوانبها وفي بعضها قباب صغيرة في الأركان أو الجوانب^(٤)، وقد اتجه العثمانيون لاستخدام القباب في التغطية بدلاً من الأسقف المسطحة؛ نظراً لبرودة الجو الشديدة وكثرة الأمطار التي لا يتناسب معها وجود الأسقف المسطحة، لذلك فقد اتجه المعماريون إلى استخدام القبة كوسيلة أساسية في التغطية^(٥)، وكانت القباب عادة تكسى بطبقة من الملاط قبل تغطيتها بالبلاطات الخزفية ذات اللون الواحد أو بالقرميد كما في العهد العثماني المبكر، أو بألواح من الرصاص كما في العهد العثماني الكلاسيكي، ومن الملاحظ أنه عادة ما يكون ارتفاع القبة الرئيسة ثلاثة أضعاف ارتفاع القباب الصغيرة، وذلك لمقابلة الضغط الطارد (الرفس) الناشئ من القبة الرئيسة.

(١) ينظر: سلسلة الجانات في العمارة الإسلامية: قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي، محمد حمزة الحداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٨٠، ٢٠٤.

(٢) ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الشيخ نجم الدين الغزي، تحقيق: الدكتور جبرائيل سليمان جبور، ج١، بيروت، ١٩٤٥م، ص٢٩٩.

(٣) ينظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن إياس، ج٣، ص٤٥.

(٤) لمعرفة المزيد عن الطرز المعمارية للمساجد في العهد العثماني، وخاصة طراز المسجد القبة وطراز الحرم أو المسجد الجامع بين الحرم والصحن المكشوف إلى أن عُرف باسم المسجد المدرسة في العمارة العثمانية، راجع: المجلد في الآثار والحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص٥١٠-٥٢٧؛ العمارة الإسلامية في أوروبا، محمد حمزة الحداد، ص١٦٨-٢١٩؛ والعمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص١٩-١٢٣؛ والجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص٢١٦-٢٢٣.

(٥) ينظر: جامع الملكة صفية، هدايت تيمور، ص٦٦.

ويرى العلماء أن أسلوب التغطية بالقباب والارتفاع بها إنما يهدف إلى خلق إحساس بالطمأنينة والسمو والروحانية، ويتجلى هذا في محاولات المهندسين العثمانيين في الارتفاع بقبابهم حتى يزداد الفراغ أسفلها^(١).

وتميزت جميع العمائر (موضوع الدراسة) بتغطية أغلب أجزائها بالقباب التي تقوم إما على مثلثات كروية وإما حنايا ركنية مفصصة وإما حنايا نصف دائرية، ومن ثم فإن القبة تحتاج إلى منطقة انتقال^(٢)؛ إذ إن غالبية المناطق التي تقوم عليها القبة إما ذات تخطيط مربع أو مستطيل، ومن ثم فعند وضع القبة أعلى هذه التخطيطات فإن أركان التخطيط السفلي تظل فارغة من ناحية، وتُمثل نقطة ضعف تتهاوى بسببها القبة من ناحية أخرى لعدم وجود ما يحملها، ومن ثم كانت القباب بحاجة إلى مناطق الانتقال، وهي تتمثل في ثلاثة أنواع رئيسة:

أ) الحنايا الركنية:

وهي أكثر انتشارًا في مصر ودول المغرب إلى جانب وجودها في غالبية نماذج شرق العالم الإسلامي، وهي الحنايا الركنية ساسانية الأصل التي بلغت أقصى مراحل تطورها في العصر الإسلامي^(٣)، حيث يعتبر استخدام الحنايا الركنية في العمارة الإسلامية من التأثيرات الساسانية عليها^(٤)، ويوجد أقدم مثل باق لها في العمارة الإسلامية بالمدخل الرئيس بقصر الجوسق الخاقاني^(٥) المعروف بباب العامة سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، وقبة المحراب بجامع القيروان كأقدم قبة مضلعة في العمارة الإسلامية تتكون من ٢٤ ضلعًا^(٦)؛ إذا صح تأريخها بسنة ٢٢١هـ/٨٣٦م.

(١) ينظر: التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، نادر محمود عبد الدايم، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار-جامعة القاهرة، (١٩٨٩-١٩٩٠م)، ص ١٦٦.

(٢) ينظر: العمارة العربية، فريد شافعي، ص ٥٦١-٥٦٢؛ والقباب في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ٨٩.

(٣) ينظر: القباب في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ٩٠-٩٢.

(٤) ينظر: العمارة الفارسية القديمة، كمال الدين سامح، مجلة المنتدى، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٨م، ص ٦٨-٧٠.

(٥) ينظر: العمارة العربية، فريد شافعي، ص ٢٠٠-٢٦١؛ والعمارة الإسلامية في مصر، كمال الدين سامح، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ٨٣؛ ومداخل العمائر المملوكية بالقاهرة الدينية من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م-٧٨٤هـ/١٣٨٢م، محمد سيف النصر أبو الفتوح، رسالة (ماجستير)، كلية الآثار-جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٠٣.

(٦) ينظر: مساجد القاهرة ومدارسها-العصر الفاطمي، أحمد فكري، القاهرة، ج ١، ١٩٦٥م، ص ١٣٦؛ وبحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، السيد عبد العزيز سالم، مجموعة بحوث ألفت في ندوة «الحضارة الإسلامية في ذكرى أ. د. أحمد فكري»، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢١.

استخدمت الحنايا الركنية في حدود ضيقة داخل عمائر نساء القصر العثماني الوقفية بإستانبول، ومن أمثلة وجودها؛ في مناطق انتقال قباب القاعات الباردة بحمام خاصكي سلطان بإستانبول؛ إذ تشغل كل قاعة باردة مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٥٠، ١٢م، تعلوه قبة بارتفاع ١٤م تقوم على حنايا ركنية تنتهي من أسفلها بذيل من صفيين من المقرنصات، ويتوسط خوذة القبة شخشيخة أو فانوس زجاجي شفاف للإضاءة متوج بقبيبة صغيرة، وتشبهها أيضاً قباب القاعات الباردة بحمام تشيمبرلي تاش لنوربانو سلطان، وقباب القاعات الساخنة بحمام نوربانو سلطان بمجمعها في إسكدار، وقبة الدرس خانه بمدرسة نوربانو سلطان، إذ إن منطقة انتقال قبتها من أربع حنايا ركنية بواقع حنية في كل ركن تقوم بوظيفة منطقة الانتقال، ليتحول المربع السفلي إلى رقبة مثمثة تأتي فوقها خوذة القبة نصف الدائرية، وتشبهها حنايا قبة السمع خانه بتكية نوربانو سلطان أيضاً.

واستخدم نوع من الحنايا الركنية متميز كمنطقة انتقال لقبة خاصكي خرّم سلطان (سبق إيراد صور لها)، وهي الحنايا المحارية أو الصدفية المشعة، وتُعدّ النموذج الثاني في تركيا بعد مجمع جوبان مصطفى باشا في ضاحية كبزة بالأناضول، والتي يعتقد أنها من تأثير العمارة المصرية على عمائر العثمانيين؛ إذ شغلتها خمس حطات من المقرنصات في هيئة فريدة لتشبه المحارة^(١)، واستخدمت الحنايا الركنية أيضاً في القبة التي تغطي تربة خديجة تورخان سلطان بإمينونو وهي على هيئة حنايا ذات عقود مدببة.

وأما في أنصاف القباب حول القبة المركزية فقد استخدمت الحنايا الركنية لترتكز عليها الأنصاف في عدد من نماذج الدراسة، منها أنصاف القباب حول القبة المركزية بجامع مهرماه سلطان بإسكدار، إذ قام كل نصف قبة على حنيتين في الجانبين إلى جانب الأعمدة التي تحمل القبة المركزية بالجهة الأخرى.

ب) المثلثات الكروية:

مثّلت المثلثات الكروية غالبية مناطق الانتقال في عمائر النساء الوقفية (قيد الدراسة) (سبق إيراد صور لها)، ولم يكن هذا النوع شائعاً قبل العهد العثماني، أما

(١) ينظر: العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون، ربيع حامد خليفة، ص ٩٦.

في العمائر العثمانية فقد صارت ميزة من ميزاتها استخدام المثلثات الركنية حتى نسبت لها فعرفت بالمثلثات التركية، وأما عن أصل هذه المثلثات وابتكارها فقد تناوله عدد من الباحثين^(١)، حيث ذكر (كريزويل) أن أقدم مثل لها يوجد بقصر النوايجس في عمان، وقد أرجعه بعض العلماء إلى القرن ٢م، فيما أرجعه كريزويل إلى نهاية القرن ٣م، حيث شاع استخدامه في سوريا وفلسطين^(٢)، وقد بلغت المثلثات الكروية^(٣) مكانة عظيمة، فاستخدمت في معظم مناطق الانتقال؛ حيث إنها أسهل في تنفيذ القباب نظراً لسهولة تنفيذها وتحويل المربع إلى رقبة مستديرة منخفضة تقوم عليها القبة مباشرة من دون الحاجة إلى عمل رقبة طويلة الشكل، وقد أكثر العثمانيون من استخدامها، سواء في القباب الكبيرة المرتفعة أم القباب غير المرتفعة بمختلف أنواع العمائر داخل حدود الدراسة.

وقد وجدت المثلثات الكروية كمناطق انتقال لجميع القباب الضحلة بنماذج العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، سواء في أروقة المساجد أم المدارس والتكايا ودور الشفاء وغيرها أم في تغطية الحجرات الصغيرة بالمدارس والعمارات والتكايا، وأما في القباب المركزية فقد مثلت المثلثات الكروية أكثر نماذج مناطق الانتقال بها فيما عدا قبة جامع خاصكي خرم سلطان، وقد استخدمت مثلثات الأركان لتسجيل نقوش كتابية وزخارف نباتية متعددة، لا سيما أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة.

ج) المقرنصات:

لا تمثل المقرنصات وحدها منطقة لانتقال القبة، وإنما تأتي منحوتة كزخرفة لتملأ مناطق الانتقال بحيث تخفي خلفها المناطق الرئيسة لانتقال القباب، ألا وهي المثلثات الركنية والحنايا الركنية، وقد درج الباحثون على اعتبارها منطقة انتقال إلا أن الأصوب أنها حلية زخرفية، وهي من أجمل ما أبدعت فيها العمارة الإسلامية، ويشبه المقرنص الواحد - إذا أخذ مفصلاً عن مجموعته - المحراب الصغير أو جزءاً طويلاً

(١) ينظر: مساجد القاهرة قبل عصر المماليك، محمد عبد العزيز مرزوق، القاهرة، ١٩٤٢م، ص ٧٤؛ والعمارة العربية الإسلامية، فريد شافعي، ص ١٣٩-١٤٢؛ والتراث المعماري الإسلامي، صالح لمعي مصطفى، ص ٢٠١.

(٢) القباب في العمارة الإسلامية، محمد حمزة الحداد، ص ٩٠، حاشية رقم (٨٨).

(٣) عرفت في العمارة العثمانية باسم المثلثات التركية؛ نظراً لشيوع استخدامها كمناطق انتقال للقباب، وإن اختلفت عن المثلثات الكروية المألوفة في أنها تمتد إلى الأعلى ليصير للقبة رقبة مرتفعة.

منه، وتستخدم المقرنصات في صفوف مدروسة التوزيع والتركيب لتبدو كل مجموعة من المقرنصات وكأنها بيوت النحل، وقد استعملت المقرنصات كعنصر زخرفي في تجميل الواجهات وزخرفتها أسفل الشرفات وفي المآذن، وأحياناً كانت تقوم مقام الكواويل، كما استعملت كعنصر إنشائي في تيجان الأعمدة وتحويل المسقط المربع إلى دائرة لإمكان تغطيتها بالقبة، ولذلك جمعت المقرنصات بين وظيفتها الإنشائية والزخرفة الناتجة عن الظل والنور؛ نتيجة للسطوح البارزة والمرتدة بين وحداتها المتجاورة والمتراصة أفقيًا ورأسيًا^(١).

لم تُعرف المقرنصات بالعمارة الإسلامية في مصر إلا في أواخر القرن ٧هـ/ ١٣م وأوائل القرن ٨هـ/ ١٤م، وظهرت أقدم الأمثلة الباقية لهذا النوع من مناطق الانتقال في المدخل المقرنصة في طاقية مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦-٧٠٩هـ/ ١٣٠٦-١٣٠٩م)، وهي عبارة عن نصف قبة يحملها أربع حطات من المقرنصات تشكل في مجموعها هيئة مثلث مقلوب^(٢)، وانتشرت بعد ذلك في العمائر المملوكية انتشاراً كبيراً، وظهرت المقرنصات كمناطق انتقال بالعمائر الأناضولية في أثناء عهد الإمارات التركمانية في كل من: جامع عيسي بك في سلجوق (٧٧٦هـ/ ١٣٧٥-١٣٧٦م)، وجامع أحمد غازي بك بميلاس (٧٨٠هـ/ ١٤٧٨م)، وجامع فيروز بك في ميلاس (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)^(٣)، وظهرت أيضاً المقرنصات كمناطق انتقال في أثناء العهد العثماني في كثير من النماذج، منها على سبيل المثال: جامع رستم باشا في إستانبول (٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م)، وجامع السليمية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/ ١٥٦٩-١٥٧٤م).

أما داخل حدود الدراسة فهي نادرة في الاستخدام كمناطق انتقال للقباب، ويمثلها مقرنصات حنايا منطقة الانتقال بمسجد خاصكي سلطان إذ مثلت الحنايا الركنية في منطقة الانتقال بحطات المقرنصات، فيما استخدمت المقرنصات داخل العمائر الوقفية في مناطق متعددة لكن لا تقوم بوظيفة منطقة الانتقال، مثل جوانب طاقيات المحاريب بالمساجد إذ ملأتها حطات المقرنصات، مثل: طاقية محراب مسجد

(١) ينظر: موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) ينظر: موسوعة العمارة الإسلامية، محمد حزة الحداد، ص ٢٠٠.

(٣) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٤٦-٣٤٧.

خاصكي سلطان، وطاوية محراب مهرماه سلطان بأدرنة قايي، ومحراب مسجد نوربانو سلطان بإسكُدار ذي الست حنايا المقرنصة في طاقيته، ويشبهه تمامًا محراب جامع خديجة تورخان سلطان (يني جامع) بإمينونو، وتعلو صفوف المقرنصات أيضًا صدور مقدم المنابر الموجودة بالمساجد، كمنبر مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وكإطار يزخرف بعض الواجهات الخارجية للعمائر من الأعلى كواجهة حَمّام خاصكي سلطان بإستانبول، ومنطقة انتقال تحمل شرافات المآذن بالمساجد الوقفية (قيد الدراسة)، كمئذنة خاصكي خرّم سلطان، والمئذنة الوحيدة لمسجد مهرماه سلطان بأدرنة قايي، ومآذن مسجد نوربانو سلطان بإسكُدار، ومآذن مسجد خديجة تورخان سلطان بإمينونو، وطاقية مدخل مدرسة مهرماه سلطان بإسكُدار، وطاقية مدخل مسجد نوربانو سلطان بإسكُدار، ومدخل يني جامع (سبق إيراد صورة لها) وغيرها.

وقد كان للقباب دور مهم في بنية العمائر الوقفية نفسها، إذ كانت التغطية بالقباب أمرًا بديهيًا، ومن ثمّ كان على المهندس المصمم للعمائر أن يراعي في تخطيطه تريع المنطقة الوسطى لتغطيتها بقبة، ومن ثم نجد أن جميع التخطيطات من الداخل قامت إما على مربع أو مستطيل حتى ولو كان الشكل الخارجي غير منتظم، فقد كان على المعمار أن يعالجه بما يتوافق مع التغطية بالقبة، ويؤكد هذا الأمر تناول بعض مساحات من المناطق الوسطى أو تخطيطات العمائر الوقفية عمومًا، ونجدها كالاتي:

م	المبنى الوقفي	اسم المساحة (الموضع)	مقدار المساحة
١	جامع جُلُفم خاتون	المساحة المركزية بالمسجد	مستطيل بطول ٩م وعرض ٨, ٧م
٢	جامع خاصكي خرّم سلطان	مساحة المسجد والسقيفة	مستطيل بطول ٢٠, ٥٠م وعرض ١٥م
٣	حَمّام خاصكي خرّم سلطان	الحجرة الباردة للرجال	مربع طول ضلعه ١٢, ٥٠م
٤	حَمّام خاصكي خرّم سلطان	الحجرة الدافئة	مستطيل بطول ١٤, ٩٠م وعرض ٤, ٤٠م
٥	مسجد مهرماه بإسكُدار	مساحة المسجد والسقيفة	مربع طول ضلعه ٢٣, ٥٠م
٦	مسجد مهرماه بأدرنة قايي	مساحة بيت الصلاة	مستطيل بطول ٣٤, ٣٠م وعرض ٢١, ٧٠م

م	المبنى الوقفي	اسم المساحة (الموضع)	مقدار المساحة
٧	مسجد مهرماه بأدرنة قايي	مربع القبة المركزية	مربع طول ضلعه ٠٢,٠٦ م
٨	التربة الملحقة بكلية مهرماه بأدرنة قايي	التربة بالسقيفة	مستطيل بطول ٠٨,٥١ م وعرض ٠٩,٧ م
٩	حمام مهرماه بأدرنة قايي	الحجرة الباردة للرجال	مربع طول ضلعه ٠٤,٢١ م
١٠	مسجد نوربانو سلطان	بيت الصلاة المغطى	مستطيل بطول ٧٢ م وعرض ٤٢ م
١١	حمام نوربانو سلطان بإسكدار	الحجرة الساخنة	مربعة طول ضلعها ٠٥,٧ م
١٢	حمام تشمبرلي تاش	الحجرة الباردة للرجال	مربع طول ضلعه ٠٣,٢١ م
١٣	چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان	مربع القبة المركزية	مربع طول ضلعه ٠٩,٦١ م
١٤	يني جامع لخديجة تورخان	بيت الصلاة المغطى	مربع طول ضلعه ٨٧,٥٣ م
١٥	يني جامع لخديجة تورخان	مربع القبة المركزية	مربع طول ضلعه ٠٤,٢٧ م

أما القباب الكبرى التي استخدمت كتغطيات لنماذج العماير الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول في القرنين ١٠-١١هـ/١٦-١٧م (موضوع الدراسة) فقد اختلفت أقطارها وارتفاعاتها، ويمكن تناول بعضها في الجدول الآتي:

م	موضع القبة	الارتفاع	القطر
١	قبة جامع خاصكي خرم سلطان.	١٤ م	١١,٣٠ م
٢	قبة قاعة الدرس لخاصكي سلطان.	١١,٤٠ م	٦,٨٠ م
٣	قبة تربة خاصكي خرم بالسليمانية.		٩,٢٠ م
٤	القبة المركزية بمسجد مهرماه بإسكدار.	٢٤,٣٠ م	١١,٦٠ م
٥	القبة المركزية بمسجد مهرماه بأدرنة قايي.	٣٧ م	٢٠,١٩ م
٦	القبة المركزية بمسجد نوربانو بإسكدار.	١٩ م	١٢,٧٠ م
٧	القباب الجانبية بجامع نوربانو سلطان.	١٠,٥٠ م	٥ م
٨	قبة جامع ماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار.	١٢,٥٠ م	٩ م
٩	القبة المركزية بيني جامع لخديجة سلطان.	٣٨,٦٠ م	
١٠	أنصاف القباب بيني جامع.	٢٦,٢٠ م	
١١	القباب الركنية بيني جامع.	١٨ م	
١٢	قباب رواق الصحن بيني جامع.	١١,٥٠ م	

المبحث الثالث

العناصر المعمارية والوظيفية الخاصة

يُقصد بالعناصر المعمارية والوظيفية الخاصة تلك العناصر التي توجد في بعض العمائر الوقفية، خاصة المساجد (قيد الدراسة)، ولا توجد (أو لا يشترط وجودها) في بعضها الآخر، نظرًا لكونها عناصر تمس جوهر الوظيفة التي تؤديها كل منشأة لا جوهر التخطيط، فإذا سبق أن قلنا بصلاحيه التخطيط لأداء أي وظيفة فإننا أكدنا ضرورة إضافة بعض العناصر الخاصة التي تتطلبها كل وظيفة لأداء وظيفتها على النحو الأمثل، ومن هذه العناصر في المسجد كل من: المئذنة، والمحراب، والمنبر، وكرسي الوعظ، والمحفل، أما في المدرسة والتكية فليس بهما عناصر ضرورية إلا فيما يتمثل في الدرس خانة والسمع خانة، وحجرات الطلاب والمريدين، وقد جاءت بسيطة عبارة عن ساحة مربعة أو مستطيلة تغطيها قباب، وتتشابه معها حجرات المرضى بدار الشفاء ومحلات المنشآت التجارية، وأما في المطعم الخيري فإن حجراته مشابهة أيضًا لمثل هذه الحجرات السابقة فيما عدا كبر حجم المطبخ، وفي السبيل ألحق به خزان عبارة عن مساحة مربعة يغطيها سقف مسطح كما في سبيل خديجة تورخان سلطان، وفي الحمامات تعددت الحجرات والخلوات الصغيرة، سواء تلك التي خصصت لتغيير الملابس، أو خلوات الاستحمام مع ضرورة التكسيات الرخامية ووضع دكة التدليك بمنتصف القاعة الساخنة، وإضافة المستوقد وخزان الماء إلى خارج القاعات الساخنة.

ومن ثم رأيت أنه من الأفضل تناول العناصر المميزة للمساجد في فصل خاص لها على نحو سريع؛ إذ إن تركيزنا الأساسي في الدراسة حول الوقف وعلاقته بالعمران، ودراسة العمائر معماريًا.

أولاً: المحافل:

المحفل هو المكان المرتفع الذي يُجلس عليه، ويطلق بعض الباحثين والعلماء عليها الدكك، يكون أحدها المحفل الرئيس (سبق إيراد صورة له) الذي يمتد في الطابق

العلوي حول الجهات الثلاث من المسجد عدا جهة القبلة، والذي نصت وثائق الوقف الخاصة بعمائر نساء القصر العثماني على استعماله من قبل المقرئين للختمات الثلاث بعد صلوات الصبح والظهر والعصر، وختمات أوقات الضحى، والأدعية، وموضع جلوس الموحدين أثناء القيام بجلوسات أذكارهم وفقاً لشروط الوقف^(١)، وكان لها وظائف أخرى، مثل: تلاوة المراسيم السلطانية وإنشاد التواشيح الدينية والابتهالات، ورفع الأذان الثاني يوم الجمعة، إلى جانب استخدامها كمصليات للنساء^(٢).

والنوع الثاني هو محفل السلطان أو أهله ممثلاً في الواقات أصحاب الإنشاء والوقف؛ والثالث ذلك المؤذنين سواء تم عليها الأذان أم التبليغ لترديد نداءات الإمام أثناء الصلاة لتوصيلها إلى الصفوف الخلفية البعيدة، إذ لم تكن مكبرات الصوت معروفة في العصور السابقة، كما كانت تستعمل الدكة أيضاً في جلوس المقرئين الذين كانوا يقرؤون القرآن والأدعية حسب شرط الواقف، ولقد اختلف موضع دكة المبلِّغ^(٣) في المساجد فكانت توضع في رواق القبلة في المساجد ذات الأروقة أو في نهاية إيوان القبلة في المساجد ذات الإيوانات، وفي أي من الوضعين السابقين كانت توضع على محور المحراب، وتصنع الدكة عادة من الخشب^(٤) أو الرخام أو الحجر، وتحمل بواسطة أعمدة رخامية أو حجرية أو خشبية، ويصعد إليها بواسطة سلم ولها درابزين ذو ارتفاع منخفض.

وقد وجدت هذه الدكك في عهد الإمارات التركمانية حيث ظهرت في بعض المساجد، مثل: جامع أشرف أوغلو في بيشهر (٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)، وجامع محمود بك في قسبة كوي بقسطموني (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، وجامع إسحاق بك ضمن كليته بهانيسا (٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، وجامع أحمد غازي بك في ميلاس

(١) لمراجعة التفاصيل كافة، ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٠-٤٤.

(٢) ينظر: دراسة عن بعض دكك المؤذنين في العصرين المملوكي الجركسي والعثماني بمدينة القاهرة، حسني نويسر، حوليات إسلامية، المجلد ٢٥، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٢-١٤.

(٣) دكة المبلِّغ: هي موضع مختص داخل المسجد أو المدرسة بالجهة الخلفية في مقابل المحراب، وتكون هذه الدكة مرتفعة ليحملها عدد من الأعمدة، وتكون أحياناً من الرخام وأحياناً أخرى من الخشب، حيث يقوم أو يصلي عليها المبلِّغ حتى يقوم بترديد تكبيرات الإمام في الصلاة ليتسنى لجموع المصلين في الصفوف الخلفية متابعة تكبيرات الإمام، ومن ثم متابعة الصلاة.

(٤) ينظر: دراسة عن بعض دكك المؤذنين في العصرين المملوكي الجركسي والعثماني بمدينة القاهرة، حسني نويسر، ص ١٩.

(٧٨٠هـ/١٣٧٨م)، وجامع إسماعيل بك في كورنخاديد (Küreihadit) كوي بقسطموني (٨٥٥هـ/١٤٥١م)^(١).

وقد انتشرت المحافل بشكل كبير في المساجد والجموع العثمانية، ومن النماذج التي ترجع إلى القرن ٨هـ/١٤م محافل جامع السلطان بايزيد الأول في مودرنو (٧٨٤هـ/١٣٨٤م)، ومن النماذج التي ترجع للقرن ٩هـ/١٥م محافل جامع محمد الفاتح بإستانبول (٨٦٨-٨٧٦هـ/١٤٦٣-١٤٧١م)^(٢)، وفي أثناء القرن ١٠هـ/١٦م وجدت المحافل في نماذج متعددة، منها: الموجودة في جامع شاهزاده (٩٥١-٩٥٥هـ/١٥٤٤-١٥٤٨م)^(٣)، وجامع السليمانية بإستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)، وجامع سنان باشا في بشيكتاش بإستانبول (٩٦١-٩٦٣هـ/١٥٥٣-١٥٥٥م)، وجامع رستم باشا بإستانبول ٩٧٠هـ/١٥٦٢م، وجامع السليمانية (٩٥٦-٩٦٥هـ/١٥٥٠-١٥٥٧م)، وجامع السليمانية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م).

أما في مساجد الدراسة فقد وجدت بنماذج عدة أهمها محافل مسجد مهرماه سلطان بإسكدار، وهي خشبية تمتد على جانبي المدخل بالجهة الشمالية الغربية من الجامع، إذ يصعد إليها بدرج من كل جهة، وأما محفل جامع مهرماه بأدرنة قابي فهو رخامي يحتل مساحة نصف الجناحين تقريباً إلى جانب الجهة الشمالية الغربية ليأخذ حول القبة المركزية هيئة حرف (U) فيما يحيط بالمحفل سياج حشبي، وتتميز محافل جامع نوربانو سلطان بإسكدار بالتنوع بين المحفل الرئيس الرخامي على هيئة حرف (U) وله درابزين رخامي، ومحفل السلطان الذي أضافه على طراز الباروك السلطان محمود الثاني، وهو يقع بالجهة الجنوبية الغربية ليحتل موقعاً من المحفل الرئيس الكبير، وكلاهما من الرخام، ويأتي محفل ماهبيكر كوسم سلطان من الخشب ليذكرنا بمحفل مهرماه سلطان، وهو يقع بالجهة الشمالية الغربية في جزأين على جانبي المدخل ويقوم على أعمدة رخامية، وأما محفل جامع الوالدة الجديد (خديجة تورخان سلطان) بإمينونو فهو رخامي ويعتبر أكبرها وأجملها على حد سواء.

(١) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٢) ينظر: مساجد بغداد في العهد العثماني، اعتماد القيصري، ص ٩٢.

(3) Selimiye At Edirne Its Genesis And An Evaluation Of its Style, (Doğan Kuban), 1st Congress Internationale D'art Turc, Provence, 10-15 September 1971, Editions De L'universite De Provence, 1976, P. 109.

ثانياً: المحارِب:

تعتبر كلمة المحراب من المصطلحات التي تدل على المسجد والاعتكاف أو الاختلاء للتعبد، وقد تناولها كثير من اللغويين العرب بالشرح والتفسير، وقد اتفقوا جميعاً على أنها كلمة عربية وأدجوها تحت مادة حَرَبَ، وراحوا يقدمونها على هذا الأساس معتمدين على ورودها في أشعار العرب أيام الجاهلية، وعلى تكرارها في القرآن الكريم أكثر من مرة؛ إذ ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم أربع مرات بصيغة المفرد ومرة واحدة بصيغة الجمع، قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾^(١)، ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلْتِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾^(٢)، ﴿فَنَجَّحَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾^(٣)، ﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُوا أَلْحَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾^(٤)، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ﴾^(٥).

والمحراب هو الحنية أو التجويف في جدار القبلة^(٦) المتجه إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة^(٧)، وهو من العناصر المعمارية التي لا يمكن أن يستغني عنها أي مسجد أو مدرسة أو منشأة دينية بوجه عام؛ لأن المحراب هو العلامة التي ترشد المصلين لاتجاه القبلة، وقد وجدت المحارِب منذ السنة الأولى للهجرة في أول مسجد بني في الإسلام وهو مسجد قباء^(٨)، وأما عن تكوين المحراب فهو يتكون من:

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ٣٩.

(٣) سورة مريم، جزء من الآية رقم ١١.

(٤) سورة ص، الآية رقم ٢١.

(٥) سورة سبأ، الآية رقم ١٣.

(٦) ويرجع أول استعمال للمحارب المحوفة إلى القرن الأول الهجري؛ ويعتبر أقدم محراب محوف باقٍ هو المحراب الموجود في الضلع الجنوبي من المئمن الخارجي لقبة الصخرة ٧٢هـ / ٦٩١م، ويليه محراب الجامع الأموي بدمشق، ثم محراب المدينة المنورة الذي أضيف في عهد عمر بن عبد العزيز، عند تجديد عمارة المسجد النبوي الشريف سنة ٩١هـ / ٧٠٩م أيام ولايته على المدينة المنورة أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. ينظر: العمارة العربية الإسلامية، فريد شافعي، ص ١٥٢.

(٧) ينظر: المحارِب في العمارة الدينية بالغرب الإسلامي، سليمان مصطفى زيبس، مقالة بالمؤتمر العربي للأثار بالبلاد العربية، تونس، ١٩٦٣م، ص ٥٥٤-٥٥٦.

(٨) عندما بنى الرسول ﷺ مسجد قباء وضع في جدار القبلة قطعة حجرية، وكذلك فعل أبو بكر وعمر، وأكمل باقي الصحابة بناء المحراب، والذي كان الهدف من بنائه أن يصبح علامة تدل المسلمين على اتجاه القبلة، ولذلك يعتبر أول محراب بُني في الإسلام. ينظر: العمارة العربية في مصر، فريد شافعي، ص ١٥١. وهناك من يرجع معرفة المحراب لما بعد عهد الخلفاء

١- الطاقية: وهي القمة المنحنية هرمية الشكل أو نصف القبة التي تتوج البدن، وتُعرف كذلك باسم الخوذة^(١).

٢- الحنية: تأخذ الشكل المضلع غالباً في نماذج الدراسة، أو نصف الدائري أو المستطيل أحياناً.

٣- الأعمدة: تكون على جانبي الحنية، وترتكز عليها طواقي المحاريب.

٤- الإطارات والأشرطة الزخرفية.

وقد تنوعت المحاريب من حيث الشكل^(٢)؛ فمنها المحاريب المسطحة، ومن أمثلتها محراب قبة الصخرة المسطح الموجود في المغارة السفلية تحت الصخرة، ومنها المحاريب المجوفة، ومنها ما هو ذو تجويف نصف دائري، ومنها ما هو متعدد الأضلاع، إلا أن المحاريب الموجودة في المجمع (محل الدراسة) جميعها محاريب مجوفة. وقد تنوعت المادة الخام التي صنعت منها المحاريب أيضاً، فمنها: الحجر والرخام والبلاطات الخزفية والفسيفساء والجص، وغيرها من المواد المختلفة لتنفيذ العناصر الزخرفية على تلك المحاريب.

أما من حيث تأصيل وجودها في الأناضول فقد وجدت المحاريب الحجرية إبان عهد الإمارات التركمانية في محراب جامع إلياس في بالاط (٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م)، وقد وجدت في بعض النماذج التي ترجع للدولة العثمانية في أثناء القرن ١٠هـ/ ١٦م، ومنها على سبيل المثال: محراب جامع الجناح أحمد باشا في أنقرة، ويذكر الباحثون أن هذا المحراب نموذج فريد في العمارة العثمانية الكلاسيكية^(٣).

الأربعة. ينظر: إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب، الإمام جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عماد طه فرة، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ١٤.

(١) ينظر: أشغال الرخام في العمارة الدينية في مدينة القاهرة في عهد محمد علي وخلفائه «دراسة أثرية فنية»، إبراهيم وجدي إبراهيم حسانين، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٥.

(٢) كانت المحاريب الإسلامية بالمساجد الإسلامية في البداية عبارة عن طاقة صماء أو حنية تتوجها نصف قبة، ثم حدث تطور على أشكال المحاريب، فأصبح يتصدره عقد مدبب يرتكز على عمودين، فيما كُسي بزخارف جصية يحيط بعقدتها إطار من الكتابات الكوفية، ثم تطور شكل المحراب مرة أخرى إذ انكمش الإطار المستطيل، وتحولت أنصاف القباب بطاقيات المحاريب إلى محارات شمسية تنبثق ضلوعها من دائرة وسطى، كما تحولت عقود طاقة المحراب المتتابعة إلى مجموعة من العقود المقرنصة أو الطاقات المسطحة، وقد تنوعت أشكال المحاريب بالبلدان الإسلامية من حيث الشكل والزخارف. ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٦٢٨.

(٣) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٦٢.

وشاعت المحاريب الرخامية ذات الطاقية التي تأخذ شكلاً هرمياً في أثناء العهد العثماني - وهي مأخوذة من محاريب الأناضول - جنباً إلى جنب مع المحاريب المكسوة ببلاطات الخزف، ومن المحاريب ذات الكسوات الرخامية: محراب المسجد الكبير في سينوب (٦٦٦هـ / ١٢٦٧م)، محراب جامع فيروز بك في ميلاس (٧٩٧هـ / ١٣٩٧م) بالأناضول، ومحراب جامع السلمية بأدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ / ١٥٦٩-١٥٧٤م)^(١)، محراب مسجد عتيق علي باشا في إستانبول، ومحراب جامع سلجوق سلطان في إستانبول، ومحراب جامع شاهزاده بإستانبول (٩٥١-٩٥٥هـ / ١٥٤٤-١٥٤٨م)، ومحراب جامع أوج شرفلي في أدرنة، ومحراب مسجد قرا أحمد باشا في طوب قابي بإستانبول، ومحراب مسجد زال محمود باشا في إستانبول، ومحراب جامع الوالدة الجديد في إسكندار لرابعة سلطان في القرن ١٢هـ / ١٤م^(٢)، ومحراب مسجد السلمية بنيقوسيا بقبرص (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م)، ومحراب الجامع الكبير بمدينة لارناكا بقبرص (١٢٥١هـ / ١٨٢٥م)^(٣).

وأما داخل حدود الدراسة (سبق إيراد عدة صور للمحاريب) فقد جاءت معظم المحاريب من الرخام، وجاءت الحنية مضلعة غالباً من ٥ أضلاع، ومن أمثلتها: محراب جامع مهرماه سلطان في إسكندار (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م)، ومحراب جامعها في أدرنة قابي، ومحراب جامع خاصكي سلطان بأورتابازار، ومحراب جامع جُلغم خاتون، ومحراب جامع نوربانو بإسكندار (إسكي جامع)، ومحراب جامع خديجة تورخان يامينونو (يني جامع)، وتميزت المساجد (موضوع الدراسة) بوجود أكثر من محراب أهمها الرئيس داخل بيت الصلاة، وفي بعضها وجدت محاريب داخل السقيفة أو الرواق الخارجي على جانبي المدخل، ولكن المحاريب لم تقتصر على المساجد، فقد احتوت التُّرب أيضاً ممثلة في تربة خاصكي سلطان، وتربة خديجة تورخان سلطان على محاريب لتدل على جهة القبلة للدعاء، واستخدم عنصر المحراب كدخلة زخرفية على جانبي مدخل خان الوالدة الكبير بإستانبول، كما استخدمت المحاريب كعنصر

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٦٢٨.

(2) Ottoman Architecture (op. cit), (Dogan Kuban), pp. 180-184.

(٣) ينظر: العمارة الإسلامية في قبرص، بدر عبد العزيز بدر، ص ٤٧٢-٤٨٠.

زخرفي على سجاجيد الصلاة العثمانية في النوع المعروف باسم سجاجيد موجور وطوزلا وميلاس^(١).

ولم يختلف من ذلك إلا محرابان: المحراب الخزفي في چينيلي جامع وهو المحراب الوحيد -ضمن حدود الدراسة- الذي كسي بالبلاطات الخزفية وليس الرخام، وهو أمر ليس جديداً في عمارة المساجد الإسلامية، وإنما وجدت بعض المحاريب الأخرى التي كسيت ببلاطات الخزف داخل إستانبول وخارجها في أثناء العهد العثماني، ووجدت أيضاً قبل العهد العثماني، ومن أمثلة المحاريب التي كسيت ببلاطات خزفية من العهد السلجوقي حنية محراب جامع كوك الملحق بمدرسة وتربة كوك للوزير صاحب عطا بقونية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وعلى جانبي محراب الخانقاة (٦٧٨-٦٧٩هـ/١٢٧٩-١٢٨٠م)، محراب جامع محمد بك بن أيدين في بركي (٧١٢هـ/١٣١٢م). وتنوعت أشكال البلاطات الخزفية ما بين بلاطات سداسية الشكل أو مربعة أو نجمية، وانتشرت التكسيات بالبلاطات الخزفية في عهد إمارات الأناضول حتى وصلت إلى العثمانيين، وكان من أوائل محاريب العثمانيين التي كسيت بالبلاطات الخزفية محراب جامع أوج شرفلي (١٤٣٧-١٤٤٧م)^(٢)، أما قمة النضج في صناعة البلاطات الخزفية العثمانية فقد كانت في القرن ١٠-١١هـ/١٦-١٧م، لاسيما مع الانتشار والكثرة في إنتاج مدينة إزنيق، التي صنعت فيها البلاطات التي زينت مسجد السلطان أحمد (الجامع الأزرق) سنة ١٠١٧هـ/١٦٠٨م، والجامع الخزفي لماهيكركوسم سلطان سنة ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م.

وهناك محراب آخر تميز ضمن نماذج محاريب مساجد الدراسة عن باقي المحاريب، وهو محراب جامع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار، إذ إن المحراب من الجص وليس من الرخام أو الخزف، ومن ثم فهو أحد النماذج الفريدة في المحاريب العثمانية عموماً، ومحاريب مساجد نساء القصر العثماني خصوصاً، فهو عبارة عن محراب بسيط من الجص من حنية نصف دائرية يعلوها طاقية مقرنصة من سبعة

(١) ينظر: سجاجيد الصلاة، محمد مصطفى، ص ١٧-١٨.

(2) Turk Sanati (op. cit), (Oktay Aslanapa), S. 92-93; Turkish Tiles, (Tahsin Oz), Ankara, 1950, p. 3, 12, 16.; The Evolution of Turkish Art and Architecture, (Metin Sozen), Istanbul, 1987, P. 246.

والفنون الإسلامية في العهد العثماني، ربيع حامد خليفة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٧م، ص ١٢، ٢٢، ٢٩.

صفوف متتالية يتدلى من قممها شمعدان، ويؤطر الحنية جفتان بارزان مذهبان ملئت المساحة بينهما بزخارف نباتية بالحفر البارز، وتقع حنية المحراب داخل كتلة المحراب التي تأخذ هيئة مستطيلة الشكل، يزخرفها من الجانبين شريط من زخارف نباتية متشابكة منفذة باللون الأخضر الغامق واللون الأبيض على أرضية ذهبية اللون.

م	الجامع الذي يوجد به المحراب	نوع المحراب «التكسية»	شكل المحراب «قطاع المحراب»
١	جامع جُلغم خاتون	الرخام	محراب مضلع
٢	جامع خاصكي خرّم سلطان	الجص	محراب نصف دائري
٣	جامع مهرماه بإسكدار	الرخام	محراب مضلع
٤	جامع مهرماه بأدرنة قابي	الرخام	محراب مضلع
٥	جامع الوالدة القديم لنوربانو	الرخام	محراب مضلع
٦	چينيلي جامع لماهيكركوسم سلطان	الخزف	محراب مضلع
٧	يني والدة جامع لخديجة تورخان	الرخام	محراب مضلع

وتقع كافة المحاريب داخل كتلة المحراب بمنتصف الجدار الجنوبي الشرقي من كل مسجد، إذ يمثّل هذا الجدار اتجاه القبلة، فيما عدا جامع نوربانو سلطان، إذ يبرز إيوان المحراب عن سمت جدار الواجهة الجنوبية الشرقية للخارج، ومن ثم فقد خُصّص للمحراب إيوان.

ثالثاً: المنابر:

كلمة منبر عربية الأصل، حسبما ورد في معجم أساس البلاغة «للزخشي»، نبر فلان نبرة: نطق نقطة بصوت رفيع، ورجل نبار بالكلام، ومنه المنبر، وانتبر الخطيب أي: ارتفع على المنبر، ويقول اللغويون العرب: «كل شئ رفع شيئاً فقد نبره»، والنبر مصدر، والمنبر مرقاة الخاطب، سمي منبراً لارتفاعه وعلوه، وانتبر الأمير: ارتفع فوق المنبر^(١)، وفي رسم الحروف عرفت هذه الكلمة، حيث إن «النبرة» هي الهمزة سواء بسواء، وفيما عدا هذه الاستعمالات القليلة للمنبر بمعنى الارتفاع لا نجد

(١) ينظر: المساجد في الإسلام، طه الوالي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص١٩١.

له ذكرًا في اللغة، كما أن اللفظ لا وجود له في القرآن الكريم^(١)، ولما كانت المنابر من العناصر الضرورية المهمة بالجوامع فقد لاقت عناية كبيرة من قبل صانعيها ومزخرفيها على مرّ العهود الإسلامية المتعاقبة^(٢).

والمنابر تحف فنية تجمع بين عنصري الوظيفة والجمال، فمن حيث الاصطلاح؛ فالمنبر عبارة عن منصة تتسع لوقوف الخطيب وجلسه، وعادة ما يقع المنبر بالقرب من المحراب، حيث إن العلاقة بينهما وثيقة ومتراطة، إذ يستحب أن يكون المنبر على يسار المحراب تلقاء يمين المصلي إذا استقبل القبلة^(٣)، ويتكون المنبر من باب يغلق عليه مصراعان يطلق عليهما باب المقدم تعلوه شرفات تحملها صفوف من المقرنصات، ويؤدي هذا الباب إلى درج صاعد على جانبيه درابزين، ويتعامد مسقط الدرج مع جدار القبلة، ويؤدي هذا الدرج إلى جلسة الخطيب، وعادة ما تأخذ الشكل المستطيل تشتمل جوانب بعضها على مجموعة من الزخارف، وتعلو المنبر قبة صغيرة تُعرف باسم الجوسق^(٤)، ويحمل هذا الجوسق أعمدة عادة ما يتوجها عقود مدببة، ويتوج الجوسق خوذة تعددت وتنوعت أشكالها، لكنها أخذت الشكل المخروطي (الهرمي المضلع)^(٥) في نماذج الدراسة، وأسفل جلسة الخطيب يوجد بابا

(١) ينظر: المساجد، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، صلاح الدين البحيري، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثالثة، رقم ١٢، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٧٠.

(٣) ينظر: موسوعة عناصر العمارة، يحيى وزيري، ج ٢، ص ٢٧.

(٤) يعتبر أقدم ظهور للجوسق في المنابر كان في الجامع العمري بمدينة قوص (١٥٥٠هـ/١٥٥٠م)، ويأتي بعده جوسق منبر جامع نور الدين في حماة بالشام (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، ينظر: أشغال الخشب في العمائر الدينية العثمانية بمدينة القاهرة، شادية الدسوقي عبد العزيز كشك، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، ١٩٨٥م، ص ٦١.

(٥) شاع استخدام القمم الهرمية (المدببة) في تتويج المنابر التركية خلال القرنين ٩، ١٠هـ/١٥، ١٦م، ومنها على سبيل المثال: منبر جامع المرادية في بورصة (٨٢٩هـ/١٤٢٦م)، ومنبر رستم باشا في إستانبول (٩٧٠هـ/١٥٦٢م)، ومنبر جامع السلليمانية في إستانبول (٩٥٧-٩٦٥هـ/١٥٥٧-١٥٥٧م)، وجامع السلمية في أدرنة (٩٧٧-٩٨٢هـ/١٥٦٩-١٥٧٤م)، كما شاعت هذه الخوذة ببعض المنابر الرخامية في مصر خلال العهد العثماني، ومنها منبر جامع سارية الجبل (٩٣٥هـ/١٥٢٨م)، ومنبر جامع الملكة صفية بالدواية (١٠١٩هـ/١٦١٠م). أما أقدم ظهور لشكل الخوذة المدببة بالمنابر فكان في خوذة منبر جامع نور الدين في حماة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، ولم يقتصر الأمر على المنابر فقط بل وُجد أيضًا في المآذن، ومنها على سبيل المثال: المآذن الأربع بجامع السلمية في أدرنة (٩٨٣هـ/١٥٧٤م)، وظهرت أيضًا في تغطيات بعض التُّرب، حيث شاع الشكل الهرمي المدب في التُّرب السلجوقية ومنها تُربة ست الملك في ديوريكي (٥٩٢هـ/١١٩٥م)، وتُّربة قليج أرسلان الثاني في قونية، وتُّربة كيكاسوس الأول في سيواس (٦١٤هـ/١٢١٧م)، وقد شاع شكل هذه الخوذة

الروضة وريشتا المنبر، وقد اتخذت الريشتان شكل المثلث قائم الزاوية، ونلاحظ أن المزخرفين حرصوا على ملء هاتين الريشتين بشتى أنواع الزخارف، وتمت مراعاة كل المقاييس الدقيقة في صناعة تلك التحف الفنية وزخرفتها، حتى أصبحت المنابر عملاً فنياً راقياً يليق بالوظيفة السامية التي صُنعت من أجلها^(١).

أما من حيث المادة الخام فقد استخدم في صناعة هذه المنابر مواد كثيرة، مثل: الرخام والحجر والخشب^(٢)، ولكل واحدة منها خاصيتها التركيبية وتقنياتها الصناعية الزخرفية، كما استعملت مختلف أنواع الزخارف لتزيينها من عناصر نباتية وهندسية وكتابية.

وتشير المصادر العربية إلى أن أول منبر هو منبر الرسول ﷺ، حيث روى ابن سعد بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جِذْعِ فِي الْمَسْجِدِ قَائِماً فَقَالَ: «إِنَّ الْقِيَامَ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ»، فَقَالَ لَهُ تَمِيمُ الدَّارِيُّ: «أَلَا أَعْمَلُ لَكَ مَنبَرًا كَمَا رَأَيْتَ يُصْنَعُ بِالشَّامِ»، وَيَبْدُو أَنَّ الأَمْرَ قَدْ رَاقَ لِلرَّسُولِ ﷺ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَحْقُقَهُ مِنْ دُونِ مَشَاوِرَةِ أَصْحَابِهِ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ ابْنُ سَعْدٍ بِقَوْلِهِ: «فَشَاوَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ فَرَأَوْا أَنَّهُ يَتَّخِذُهُ» نَظْرًا لِكثْرَةِ النَّاسِ وَحَاجَتِهِمْ إِلَى رُؤْيَيْهِ وَسَمَاعِهِ وَهُوَ يَخْطُبُ، وَمِنْ هَذَا تَبَيَّنَ لِلرَّسُولِ ﷺ ضَرُورَةُ اتِّخَاذِ الْمَنبَرِ لِإِبْلَاحِ صَوْتِهِ إِلَى الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ الْمَنبَرُ الَّذِي اتَّخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَلَّفُ مِنْ دَرَجَتَيْنِ وَمَجْلِسٍ، أَي: ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ كَمَا شَاهَدَهَا الْهَرَوِيُّ، وَكَانَ طَوْلُهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ النَّجَّارِ: «ذِرَاعَيْنِ وَشِبْرٍ وَثَلَاثَ أَصَابِعٍ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَطَوَّلُ صَدْرِهِ وَهُوَ مَسْنَدُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا جَلَسَ شِبْرٌ وَإِصْبَعَانِ»^(٣).

بعض العائثر خارج حدود الأناضول وخاصة بالعائثر الجنائزية، ومنها التُّرْبُ الإيرانيّة. ينظر: أشغال الخشب في العائثر الدينية، شادية الدسوقي كشك، ص ٦٣-٦٤؛ والعائثر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٧٤-٣٧٥؛ والمساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٦٤٠.

(١) ينظر: منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني «دراسة أثرية فنية»، خيرة ابن بلة، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، القاهرة، العدد ١٣، فبراير، ٢٠١٢م، ص ١٩١.

(٢) ينظر: المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركي، نعمت محمد أبو بكر، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١١.

(٣) عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، محمد هزاع الشهري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٧٦-٧٨.

أخذت المنابر في التطور عبر مختلف العهود الإسلامية بعد ذلك، سواء من حيث الشكل العام لها وأسلوب زخرفتها، أم المادة الخام وطريقة الصنع، ويُعدّ المنبر الخشبي الموجود حالياً في جامع القيروان أقدم المنابر الأصلية التي ما زالت قائمة حتى اليوم^(١).

وشاعت المنابر الرخامية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومن المنابر التي ترجع لعهود الإمارات التركمانية منبر جامع أحمد غازي في ميلاس (٧٨٠هـ/١٣٧٨م)^(٢)، أما العهد العثماني فقد كثرت فيه المنابر الرخامية وخاصة في أثناء فترة القرون ٩-١١هـ/١٥-١٧م، ومن نماذجها: منبر جامع الفاتح بإستانبول (٨٦٧-٨٧٥هـ/١٤٦٢-١٤٧٠م)، ومنبر جامع مراد باشا (٨٧١هـ/١٤٦٥م)، ومنبر جامع عتيق علي باشا بإستانبول (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، ومنبر مسجد رستم باشا في إستانبول (٩٥٧هـ/١٥٥٠م)، ومنبر جامع السلليمانية الذي يرجع للقرن ١٠هـ/١٦م، ومنبر جامع كراجوز بك في موستار بالبوسنة (٩٦٤هـ/١٥٥٧م)، ومنبر مسجد السليمة في نيقوسيا بجزيرة قبرص (٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، ومنبر جامع السليمة بأدرنة (٩٨٣هـ/١٥٧٤م)^(٣)، ومنبر مسجد إبراهيم أفندي في موستار بالبوسنة (١٠٢٩هـ/١٦٢٠م)، ومنبر جامع نور عثمانية (١١٦٩هـ/١٧٥٥م)، ويتميز هذا المنبر بظهور التأثيرات الأوروبية^(٤).

وجاءت غالبية منابر المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول من الرخام تتكون من مقدم وصدر يؤديان إلى باب المقدم، ومنه عبر درج إلى جلسة الخطيب التي يعلوها الجوستق، وعلى جانبي الدرج تقع ريشتا المنبر ويعلوها الدرايزين عبارة عن قاطوع رخامي مائل مفرغ بزخارف هندسية، وبأسفل بعض جلسات الخطيب بابا الروضة، ومن أهم نماذج هذه المنابر: منبر جامع جُلغم خاتون (٩٤٩-٩٦٣هـ/١٥٤٢-١٥٥٥م)، ومنبر جامع مهريماه سلطان في إسكدار

(١) ينظر: موسوعة التراث المعماري، عفيفي البهنسي، مؤسسة عين، دمشق، ٢٠٠٤م، مج ٢، ص ٥٤٦.

(٢) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣٦٧-٣٦٩.

(٣) ينظر: أشغال الخشب في العمائر الدينية، شادية الدسوقي كشك، ص ٦٣-٦٤.

(٤) ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ٢٤٤، ٣٣٩.

(٩٥٤هـ/١٥٤٨م)، وأدرنة قاي (٩٧٣هـ/١٥٦٥م)، ومنبر جامع نوربانو سلطان (٩٩١هـ/١٥٨٣م)، ومنبر جامع ماهيكر كوسم سلطان، ومنبر جامع خديجة تورخان سلطان يامينونو (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م).

أما منبر جامع خاصكي حرّم سلطان؛ فهو متميز عن المنابر السابقة، إذ يقع بصدر المساحة الأصلية للجامع، وهو منبر خشبي من الخشب النقي ذو زخارف بسيطة ويتبع الشكل التقليدي للمنابر العثمانية؛ إذ يتكون من باب المقدم تعلق عليه ستارة من القطيفة تزدان بزخارف من كتابات دينية ورسوم الكعبة، ويتميز أيضًا في شكل الجوستق إذ يقوم على قاعدة تشبه زهرة اللوتس المقلوبة.

م	الجامع الذي يوجد به المنبر	نوع المنبر	موقع المنبر	الجوستق والقمة
١	جامع جُلغم خاتون	رخامي	الركن الجنوبي من المسجد	عنتق مضلع من ٨ أضلاع تعلوه خوذة مخروطية بقمة مدبية
٢	جامع خاصكي حرّم سلطان	خشبي	جوار المحراب	جوستق تعلوه خوذة مخروطية بقمة مدبية
٣	جامع مهرماه بإسكدار	رخامي	جوار المحراب	عنتق مقام على قوائم تعلوه خوذة مخروطية بقمة مدبية
٤	جامع مهرماه بأدرنة قاي	رخامي	جوار المحراب	عنتق مقام على قوائم تعلوه خوذة مخروطية بقمة مدبية
٥	جامع الوالدة القديم لنوربانو	رخامي	جوار المحراب	جوستق مضلع سداسي يعلوه قمة مخروطية مدبية
٦	چينيلي جامع ماهيكر كوسم سلطان	رخامي	جوار المحراب	جوستق مضلع يعلوه قمة مخروطية فريدة تكسوها البلاطات الخزفية
٧	يني والدة جامع لخديجة تورخان	رخامي	جوار المحراب	جوستق مضلع يعلوه قمة مخروطية مدبية

وعلى هذا النحو يمكن القول: إن المنابر الموجودة بالعرائر الوقفية لنساء القصر العثماني في إستانبول -موضوع الدراسة- (ينظر مثلاً صورة: ٢٢١) تتكون من:
١- القاعدة (Kaide)؛ أو جلسة المنبر السفلية أو أساس المنبر.

٢- باب المقدم (Giriş kapısı)؛ وهو عبارة عن مدخل يغلق عليه مصراعان خشبيان تزينهما الزخارف الهندسية والنقوش الكتابية وغيرها، ويعلو باب المقدم صدر مقرنص يتوّجه، وتغلق عليه أحياناً ستارة من القטיפفة إلى جانب المصراعين الخشبيين.

٣- الدرج؛ وهو السلم الصاعد الذي يسلكه الخطيب، ويربط بين باب المقدم وجلسة الخطيب.

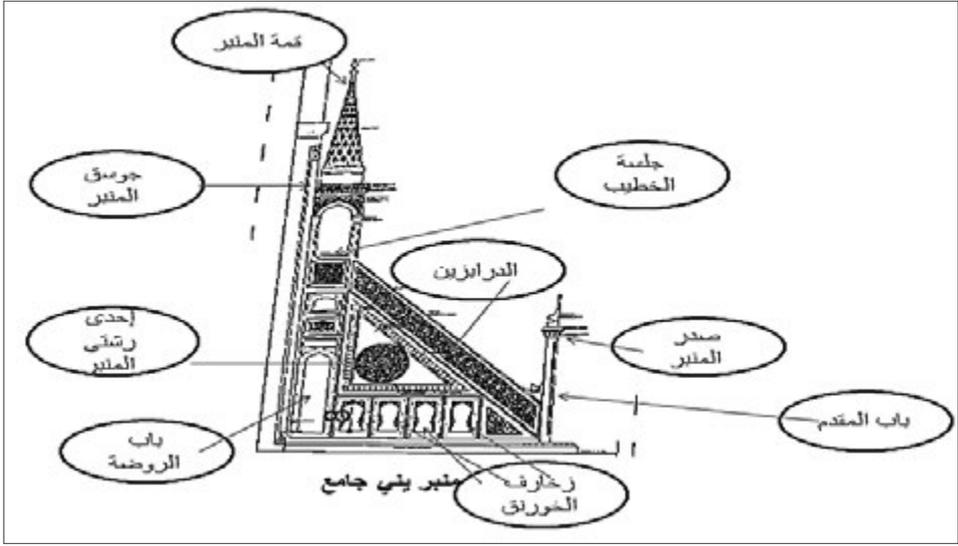
٤- جلسة الخطيب (Koş korkulğu)؛ وهي الكرسي الذي يجلس عليه الخطيب قبل الشروع في الخطبة، وفي جلسة الاستراحة بين الخطبتين، وعادة ما يكون مستطيل الشكل تشتمل جوانبه على مجموعة من الزخارف النباتية والهندسية.

٥- الجوسق (Koşq)؛ وهو يعلو جلسة الخطيب ويتوجها، وعادة ما يكون عبارة عن عنق مضلع يرتكز على قوائم أو أعمدة الجلسة، وهي إما تكون ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة، والغالب فيها ٤ أعمدة، ويتوج الجوسق شكل مدبب يشبه قمم المآذن العثمانية يخرج من مركزها سفود نحاسي ذو انتفاخات تنتهي بهلال.

٦- الدرايزين (Merdiven Korkulugu)؛ وهو السياج الرخامي أو الخشبي أو الحجري الذي يحدد المنبر من الجانبين، وعادة ما يكون من المادة الخام نفسها التي تصنع منها ريشتا المنبر.

٧- ريشتا المنبر (Yan Aynalıklar)؛ وهما أكبر أجزاء المنبر؛ إذ تُمثّلان جانبيه، وتأخذ كل ريشة منهما الشكل المثلث قمته عند باب المقدم، وقاعدته تنتهي أسفل جلسة الخطيب، وتحتويان على الزخارف الهندسية والكتابية وغيرها.

٨- بابا الروضة (Gecit (DOLAP)؛ ويكونان أسفل جلسة الخطيب بامتداد الريشتين، ويكونان صغيرين إما نافذين، وإما يفتحان على خزانات تُحفظ فيها بعض الأشياء الخاصة بالمسجد.



صورة (٢٢١): مكونات المنابر بالجوامع الوقفية (موضوع الدراسة).

رابعاً: كراسي الوعظ أو دكك المقرئين:

تُعرف بدكة أو كرسي المقرئ، ولكنها تُعرف عند الأتراك بكرسي الوعظ؛ وهي من التحف المنقولة التي يستلزم وجودها في المساجد الجامعة ليجلس عليها القارئ لقراءة القرآن قبل صلاة الجمعة^(١)، وكانت تستخدم أيضاً في جلوس المدرسين لإلقاء الدروس الدينية كما هو الحال في كراسي المقرئ الموجود في نماذج الدراسة (سبق إيراد صور لها).

وقد جاء تصميم هذه الدكك بشكل عام ملائماً للوظيفة التي تؤديها؛ فهي عبارة عن مقعد مسطح الشكل يسمح بجلوس القارئ أو الواعظ عليه متربعا^(٢)، وأمامه -إذا كان قارئاً- كرسي للمصحف الشريف، وقد صمم لحمل المصحف مفتوحاً أمام القارئ حتى يتسنى له القراءة فيه^(٣)، وعلى هذا الأساس فقد كان الشكل العام لدكة المقرئ عبارة عن صندوق مسدود من الجهات الأربع ذي هيئة مربعة أو مستطيلة

(١) ينظر: التراث المعماري الإسلامي في مصر، صالح لمعي مصطفى، ص ٦.

(2) Mohammedan Architecture In Egypt And Palestine, (M. S. Brigges), Vol 1, Oxford, P. 75.

(٣) ينظر: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، حسن الباشا، الدار العربية للكتاب، ٥ مجلدات، القاهرة، ١٩٩٩م، ٢م، ص ٢٧٤.

تحمله أربعة قوائم أساسية بالأركان تنتهي من أسفل بأرجل قصيرة ومخروطية تحمل الدكة عن الأرض، وتنتهي من أعلى بأشكال رمانات، بالإضافة إلى الدرابزين الذي يلتف حول المقعد، وقد جاء كرسي المصحف على شكل حرف (V) ليتلاءم مع وضع المصحف مفتوحًا، أما فيما يتعلق بهادة الصنع فكانت تلك الدكك تصنع من الخشب أو الحجر.

وأما عن تاريخ وجود هذه الدكك فإنها ظهرت وبكثرة في أثناء عهد دولتي المماليك البحرية والبرجية بمصر والشام، وهذا يجعلنا نقول: إنها من الابتكارات المملوكية^(١)، ويعتبر كرسي المقرئ الموجود في مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٢هـ/١٣٥٦-١٣٦١م) من أقدم النماذج لهذه القطع الفنية^(٢).

بدأ تصميم دكة الوعظ يأخذ شكلاً جديداً في العهد العثماني، إذ أصبحت الدكة تصمم من دون وجود موضع لحمل المصحف، وكان المصحف يوضع على حامل منفصل عن الدكة، وكان يعين لحمل المصحف موظف خاص^(٣)، وقد تميزت صناديق مصاحف الجوامع (موضوع الدراسة) بأنها جزئية أي: إن كل جزء بها يقع في مجلد منفرد، وليس أدل على ذلك من نص وثنائق الوقف على تعيين موظف تحت اسم (حامل الأجزاء) يقوم بحمل أجزاء المصحف وتوزيعها على القراء أوقات القراءة والختامات، ولما علمنا أن كل ختمة كان يقوم بها ثلاثون قارئاً كما في نصوص الوقفيات، علمنا أن المصاحف كانت مقسمة إلى أجزاء، وربما يكون هناك مصاحف أخرى في مجلد واحد، أما ما نصت عليه وثنائق الوقف فذكرناه لأهميته في بابه، وما يهمننا أيضاً في هذا الموضوع أن أغلب مساجد الدراسة وُجدت بها كراسي المصحف مسنودة إما على إحدى الدعامات أو الأعمدة الحاملة للقبة المركزية، وإما على أحد الجدران،

(١) ينظر: أثار المصحف في مصر في عصر المماليك «دراسة أثرية فنية»، فايزة الوكيل، رسالة (ماجستير) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١م، ص ٤٩.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) يكون هذا الموظف من ضمن الثلاثين قارئاً ولكنه يتقاضى راتبين: أحدهما بصفته قارئاً مثل بقية القراء، والراتب الثاني نظير حمله للأجزاء وتوزيعها على القراء قبل القراءة، ثم إرجاعها إلى موضعها مرة أخرى داخل صندوق المصحف، لحفظه من قبل موظف آخر حارس على الصندوق والأجزاء يعرف في نصوص الوقف بالصندوقي. يمكن مراجعة الوقفيات، ومنها: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٠-٥٤.

مثل كراسي المقرئ بكل من: مسجد مهرماه سلطان بإسكدار (٩٥٤هـ/ ١٥٤٨م)، وهي دكة مربعة تتركز على أربع أرجل خشبية زخرفت بالتفريغ لتكوين أشكال هندسية متنوعة وتشبهها دكة مسجدها بأدرنة قايي (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، وكذلك مسجد خاصكي خرم (٩٦٥هـ/ ١٥٥٨م)، وأيضاً دكة جامع نوربانو سلطان الخشبية والتي تتميز بزخارف الخورنق، وهي نفسها دكة كل من: جامعي ماهبيكر كوسم سلطان، وجامع الوالدة الجديد بإمينونو (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م).

ومن ذلك يتضح أن جميع الدكك التي تستخدم للوعظ أو القراءة في نماذج الدراسة هي دكك خشبية تزينها الأشكال الهندسية والخورنقات والشرافات وغيرها.

خامساً: المآذن:

المئذنة موضع الأذان للصلاة^(١)، ومن الألفاظ التي أطلقت على هذا التكوين المعماري أيضاً: منارة^(٢)، وصومعة^(٣)، وقد ارتبط الأذان بها ارتباطاً وثيقاً، وصار من السنة والشعائر المتممة لفريضة الصلاة، فمن خلاله يعلم الناس أوقاتها فيسعون إلى المساجد لأدائها مع الجماعة^(٤)؛ إذ صارت موضع الإعلام والإعلان؛ إعلام برؤية المؤذن أعلى المئذنة فيلبي المسلمون النداء لرؤيته، وإعلان بصوت المؤذن لتلبية النداء بسماعه.

وتعدّ المآذن من العناصر المعمارية الإسلامية التي تستحق الاهتمام والدراسة لما لها من طرز وأنهاط مختلفة ميزت عمارة كل عصر عن الآخر، ولا يكاد يخلو جامع أو

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٥٣.

(٢) كانت تطلق هذه اللفظة على المآذن، حيث كانت تضاء بالأنوار عند الغروب في رمضان وتظل مضاءة حتى طلوع الفجر، ثم تطفأ إيداناً ببدء يوم جديد من أيام الصيام. ويرجع البعض تسميتها بالمنارة إلى أن المسلمين أعطوا المئذنة اسماً يرمز إلى معنى الهداية إلى نور الإسلام؛ لأنها المكان العالي الذي يرتفع فيه صوت المؤذن بعبارات التوحيد لله ﷻ والتصديق الإقرارى بأن محمد ﷺ رسول الله، فهم أرادوا من إطلاق اسم المنارة على المئذنة الناحية الرمزية والمعنوية التي تتمثل بها. ينظر: المساجد في الإسلام، طه الوالي، ص ٢٤٩.

(٣) تطلق على المآذن في بلاد المغرب العربي والأندلس، ويرجع ذلك إلى أن أغلب مآذن المغرب الإسلامي ذات شكل مربع يشبه أبراج الصوامع وكانت تأتي جهة الصحراء، ومن ثم كان يتم استخدامها لوظيفة الاستكشاف الحربي ورؤية العدو وهو قادم من بعيد، إلى جانب كونها حصناً في حد ذاتها لقوة بنائها وصلابة موادها الخام كالأحجار.

(٤) ينظر: موسوعة المآذن العثمانية، محمد أحمد عبد اللطيف، المجلد الأول، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٢م، ص ٢٣.

مدرسة من وجودها^(١) بل في أحيان أخرى لم يكتفِ المعمار بوجودها فقط بل عمد إلى زخرفتها، حتى أضحت على مرّ العصور شاهداً على رخاء الدولة أو فقرها^(٢). وقد اختلفت الآراء حول أصل المئذنة، وقد اتجه أصحاب الرأي الأول إلى أن أصل المئذنة هو منارة الإسكندرية، فيما تبني أصحاب الرأي الثاني القول بأن أصل المئذنة الإسلامية مشتق من الأبراج المسيحية المربعة التي كانت قائمة في سوريا قبل الفتح الإسلامي، كما هو الحال في أبراج المعبد الوثني بدمشق^(٣)، وهناك رأي ثالث يذكر أن فكرة المآذن مأخوذة من فكرة بناء الفنارات وأبراج الإشارة المعروفة في العصور السابقة، وبخاصة الأبراج في أركان التُّرب والمدافن التدمرية^(٤).

دخلت المآذن متأخرة على بناء المساجد، ويعتقد أن أولها تلك التي بناها زياد بن أبيّة بالحجارة في مسجد البصرة عند تجديده سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م، ثم تلا ذلك بناء أربع صوامع في أركان جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط بمصر سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م على يد مسلمة بن مخلد الأنصاري، أما أقدم مئذنة في العالم الإسلامي وما زالت محتفظة بشكلها الأول بالرغم من التعديلات التي طرأت عليها فقد أقامها عقبه بن نافع ما بين سنتي ٥٠-٥٥هـ/ ٦٧٠-٦٧٥م بمسجد القيروان، وهي تُعدّ نموذجاً لمآذن مساجد المغرب العربي والأندلس، وفي زمن الوليد جعل عمر بن عبد العزيز - أثناء ولايته على المدينة - لمسجد الرسول ﷺ حين بناه أربع منارات؛ في كل زاوية منه منارة، وقد انتهى من بنائها سنة ٩١-٩٣هـ/ ٧١٠-٧١٢م، وذلك في الوقت نفسه الذي اتخذ فيه الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) للمسجد الأموي بدمشق مئذنتين ولم يقم ببنائها بل كاتنا أبراج المبنى القديم^(٥)، أما

(١) ينظر: الأبعاد الجمالية للمئذنة في العمارة الإسلامية، صفا لطفى عبد الأمير، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠١٠م، ص ٥٥٥.

(2) The Minarets Of Cairo, (D.B. Abouseif), The American University In Cairo, Cairo, 1982, Pp. 10-13.

والقيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٩-١٢٩.

(٣) ينظر: تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، عبد الله كامل موسى عبده، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٤م، ص ٧٨-٨٨.

(٤) ينظر: المساجد في الإسلام، طه الوالي، ص ٢٥٣.

(٥) ينظر: لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات، مصطفى حسن البدوي، ط ١، الوابل الصيب للنشر، القاهرة،

٢٠٠٨م، ص ١٠.

في بلاد العراق وبلاد فارس فقد أخذت المآذن شكلاً أسطوائياً وأحياناً ملوياً إذا كان السلم يدور حول البدن من الخارج كما في مسجدي سامراء وأبي دلف بالعراق^(١)، وقد اقتبس أحمد بن طولون الفكرة نفسها عندما قام ببناء مئذنة مسجده والتي تعتبر أقدم مآذن مصر.

صارت المئذنة جزءاً متمماً للمسجد وعنصراً أساسياً من عناصره شأنها شأن المحراب والمنبر ابتداء من العهد الأموي، وأخذ الخلفاء والملوك والسلاطين وغيرهم من الأعيان والأثرياء من المسلمين يتنافسون في العناية بها والتفنن في بنائها وزخرفتها بأشكال هندسية مختلفة مع تزيينها بأجمل الزخارف والنقوش والرسوم^(٢).

أما المآذن التركية فقد امتازت بالجمال والرشاقة مع استقامتها ونهايتها المخروطية على شكل القلم الرصاص المبري^(٣)، إذ تغيرت المآذن في العهد العثماني عمّا عهدناه في العهود الإسلامية السابقة والتي كان يغلب عليها الشكل المربع والمضلع^(٤)، فاتخذت المآذن العثمانية شكل برج أسطواني يستدق قطره من أعلى لينتهي بقمة مخروطية مدببة تنتهي بهلال^(٥)، وأما عن تكوينها المعماري فتتكون من قاعدة مربعة تنتهي بأشكال هرمية صغيرة تحول القاعدة المربعة إلى بدن متعدد الأضلاع يقترب من الشكل الأسطواني أو البدن الأسطواني ذي قنوات، وينتهي بشرفة ترتكز على صفوف من المقرنصات أو التضليعات البارزة، وتزين الشرفة زخارف هندسية

(١) ينظر: موسوعة عناصر العمارة، يحيى وزيري، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) ينظر: المساجد في الإسلام، طه الوالي، ص ٢٥٥.

(٣) ينظر: موسوعة عناصر العمارة، يحيى وزيري، ج ٢، ص ١٠١.

(٤) ينظر: قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، عبد القادر الريحاي، ج ٢، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٥٦٨.

(٥) كان الهلال يرمز للسيادة عند قدماء الإغريق والرومان والفينيقيين والبيزنطيين، كما استخدمت الأهلة قديماً عند العرب، حيث نُقش على نقود عرب اليمن، بل وكان الهلال يرمز لديهم إلى الدين، واستخدم الهلال في إيران كطلسم لرد الأوبئة والكوارث، ويرتبط الهلال عند المسلمين بالأعياد وبدايات الشهور العربية، كما يجدد أوائل السنوات الهجرية وهو التقويم الإسلامي، ولذلك يعتبر الهلال في نظر المسلمين بشيراً للخير والسرور، وعُرفت زخرفة الهلال عند السلاجقة كعنصر زخرفي، واستمر استخدامه في شتى الفنون الإسلامية حتى العهد العثماني، حيث كان يرمز الهلال في تلك الفترة لنور العقل أو الوجود الإنساني، كما أصبح شعاراً للدولة العثمانية كلها. ينظر: التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، نادر عبد الدايم، ص ٧٦-٧٧.

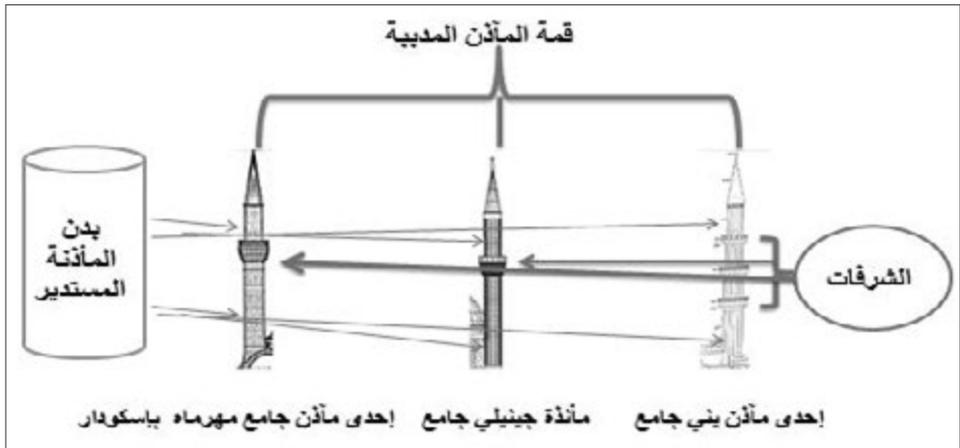
محفورة ومقرنصات، وتنتهي المئذنة من الأعلى بقمة مخروطية مدببة مغطاة بألواح من الرصاص^(١).

وتميزت غالبية المساجد العثمانية بوحدة المئذنة، ولم يكن مسموحًا بتعدد المآذن إلا للسلطين العثمانيين أنفسهم، وأما نساء القصر العثماني فكانت أولاهن إنشاءً لمئذنة في العاصمة إستانبول مهرماه سلطان وذلك بمسجدها في إسكدار؛ دلالة على مكانتها عند أبيها السلطان سليمان وعلى مكانتها التي تبوأتها في الدولة العثمانية، وكذلك والدتها خاصكي سلطان، وتلاهما بعد ذلك عدد من النساء اللاتي أقمن أكثر من مئذنة في جوامعهن مثل: نوربانو سلطان وخديجة تورخان سلطان، وتميز من بين الجوامع العثمانية عمومًا من حيث تعدد المآذن مسجد السلليمانية (٩٦٤هـ/١٥٥٧م) ذو الأربع مآذن، ومسجد السلطان أحمد (الجامع الأزرق) ذو الست مآذن (١٠٢٧هـ/١٦١٧م).

وأما مساجد الدراسة، فقد تنوعت من حيث عدد المآذن وشرقاتها أيضًا (سبق إيراد عدة صور لها)، فجاء مسجد جُلفم خاتون بإسكدار، وجامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وجامع خاصكي خرّم سلطان وجامع ماهبيكر كوسم سلطان (الجامع الصيني) من مئذنة واحدة تطلت إلى الأعلى، أما جامع مهرماه سلطان بإسكدار، وجامع نوربانو سلطان بإسكدار، وجامع الوالدة الجديد (يني جامع) في إمينونو فقد جاء بكل منها مئذنتان على طرفي الجدار الشمالي الغربي لبيت الصلاة، سواء برزت قواعدهما عن الجدران أم لا، ومن ثم فهو ما يدل على مكانة نساء القصر العثماني في أثناء تلك الفترة، إذ ضاهين بعمائرهن عمائر السلاطين، بل تفوقت عمائرهن عليها في بعض الأحيان كما في مجمعي نوربانو سلطان، وخديجة تورخان سلطان.

(١) ينظر: العمائر الدينية في غرب الأناضول، جمال صفوت سيد، ص ٣١٣.

م	الجامع الذي توجد به المئذنة	عدد المآذن	عدد الشرفات	شكل قمة المئذنة
١	جامع جُلُفم خاتون	مئذنة واحدة	شرفة واحدة	نصف دائرية
٢	جامع خاصكي خرم سلطان	مئذنة واحدة	شرفة واحدة	مدببة «قلم رصاص»
٣	جامع مهرماه بإسكُدار	مئذنتان	شرفة واحدة	مدببة «قلم رصاص»
٤	جامع مهرماه بأدرنة قايي	مئذنة واحدة	شرفة واحدة	مدببة «قلم رصاص»
٥	جامع الوالدة القديم لنوربانو	مئذنتان	شرفة واحدة	مدببة «قلم رصاص»
٦	چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان	مئذنة واحدة	شرفة واحدة	مدببة «قلم رصاص»
٧	يني والدة جامع لخديجة تورخان	مئذنتان	ثلاث شرفات	مدببة «قلم رصاص»



صورة (٢٢٢): مكونات المآذن بالجامع الوقفية لساء القصر العثماني بإستانبول.

الفصل الرابع

النقوش

تمهيد:

مثّلت النقوش بشقيها الكتابي والزخرفي أهمية خاصة في العمائر الوقفية، إذ تضمنت النقوش الكتابية مضامين عدة، أهمها المضامين الدينية التي مثّلت في غالبيتها اقتباسات قرآنية، ومضامين تاريخية تؤرخ للإنشاء أو التجديد، وقد نقشت الكتابات بخطين بارزين ضمن أنواع الخط العربي وهما الثلث والنستعليق، وأما النقوش الزخرفية فتنقسم إلى نقوش نباتية أبدع المعمار والفنان العثماني فيها إبداعاً منقطع النظير حتى صارت تلك الزخارف تُعرف بالملكة النباتية العثمانية في الزخرفة، وتُمثّل الاهتمام الراقي بالفن الزخرفي للعمائر وتزيينها من قبل الواقفات، وذلك إلى جانب الزخارف الهندسية التي مثّلت امتداداً لما هو معروف من قبل في العمارة الإسلامية للتأكيد على براعة المعمار والفنان العثماني في صياغته لمختلف مفردات الفن والزخرفة وتنفيذها في العمائر بحرفية عالية، إلى جانب التأثير والتأثر بالفنون الإسلامية السابقة والمعاصرة لا سيما الفن المملوكي في مصر والشام والحجاز، والفن السلجوقي بالأناضول.

المبحث الأول

النقوش الكتابية

الخط والكتابة وجهان لعملة واحدة، وهما عصارة فكر الإنسان الذي فكر في الإبداع منذ الأزل، وسيبقى يفكر في خلود الذكر والأثر إلى الأبد^(١)، وقد اهتم ديننا الحنيف بالعلم والكتابة والخط، وقد ذكر ذلك في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال:

(١) ينظر: رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، أحمد شوحان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص ١٤.

قال تعالى:	﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾ ^(١)
قال تعالى:	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ ﴾ ^(٢)
قال تعالى:	﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْتُلُونَ ﴾ ^(٣)
قال تعالى:	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٤)
قال تعالى:	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرَانِ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ^(٥)

وورد في السنة أن النبي ﷺ حَضَّ أصحابه على تعلم الخط، ومن ذلك قوله: «كان نبي من الأنبياء يخط فممن وافق خطه فذاك»^(٦)، وقال: «إن من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة وأن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا بلغ»^(٧)، وغير ذلك مما ورد عنه ﷺ أو عن أصحابه.

ويقول القلقشندي عن الكتابة: «أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتده من وافر كرمه وأفضاله، فقال ﷺ: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ ﴾»^(٨).

وقد ذكر كثير من المؤرخين أهمية الخط ومكانته، فيذكر «الطبيبي» أن «الخط كالروح في الجسد، فإذا كان الإنسان جميلاً، ولا سيما إذا كان جميل الرأي حسن الهيئة، كان في العيون أعظم وفي النفوس أكبر وأفخم، وإذا كان ضد ذلك سئمت النفوس

(١) سورة العلق، الآيتان ٣-٤.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية رقم ٢٨٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية رقم ٤٨.

(٤) سورة الأعراف، جزء من الآية رقم ١٤٥.

(٥) سورة الأنبياء، الآية رقم ١٠٥.

(٦) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: بحاشية الحل المفهم لصحيح مسلم، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مج ١، تعليق العلامة محمد زكريا الكاندهلوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، طبعة بدون تاريخ، ص ٣٠؛ وتاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر المكي الخطاط الكردي، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، ١٩٣٩م، ص ٧.

(٧) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط ٣، ٢٠٠٠م.

(٨) سورة العلق، الآيتان ٣-٤.

(٩) أثر القرآن الكريم في الخط العربي، كمال الجميلي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، السنة الخامسة والسادسة، عدد ديسمبر ٢٠١٣م، ص ٣٠٣.

ومقتته الصدور، فكذلك الخط إذا كان حسن الرصف، مليح الوصف، منتفح العيون، أملس المتون، كثير الائتلاف، قليل الاختلاف، هشت إليه النفوس واشتهته الأرواح، حتى إن الإنسان ليقروؤه مستزيداً منه ولو كثر، من غير سأم يلحقه ولا ضجر، وإن كان قبيحاً مجته الأفهام، ولفظته العيون والأفكار، وسئمه قاربه، وكره معانيه، وإن كان فيه من الحكمة عجائبها، ومن الألفاظ غرائبها، ووصف أحمد بن إسماعيل خطأ حسناً، فقال: لو كان نباتاً لكان زهراً، ولو كان معدناً لكان تبراً، أو مذاقاً لكان حلواً، أو شراباً لكان صفواً، وأما القلم فهو أفضل آلات الكتابة، وقيل هو أول ما خلق الله تعالى وأمره، وبدأ بذكره^(١).

وعلى مدار التاريخ الإسلامي بمختلف عصوره؛ كان هناك اهتمام كبير بالكتابة والخط والخطاطين، سواء لكتابة المصحف الشريف أم لكتابة المراسلات أم غيرها من الأمور الرسمية المتعلقة بالدولة^(٢)، إضافة إلى ذلك فقد ازدهرت الكتابة مع انتشار الثقافة وزيادة الطلب على المعرفة^(٣)، وقد نال فن الكتابة أكثر تقديرًا مما ناله فن التصوير^(٤)، لذلك فقد قامت الزخارف الكتابية بدور كبير في تاريخ العمارة والفنون الإسلامية^(٥).

(١) جامع محاسن كتابة الكتاب، محمد بن حسن الطيبي، تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م، ص ١٤. لمعرفة المزيد من الكتب عن الخط ونشأته وتطوره، ينظر: ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق، دمشق، ١٩٥١م، ص ٢٩-٤٨؛ ونزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، شهاب الدين أحمد التيفاشي، تحقيق: جمال جمعة، ط ١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن - قبرص، ١٩٩٢م؛ وفن الخط، مصطفى أوغور درمان، تقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، إستانبول، ١٩٩٠م؛ الخط العربي: أصوله، نهضته، انتشاره، عفيفي البهنسي، ط ٢، دار الفكر بدمشق، ١٩٩١م؛ وتاريخ الخط العربي وآدابه، عبد القادر المكي الكردي، ص ١٣-٨٨؛ وتاريخ الخط العربي، صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٨٠م؛ والخط العربي: نشأته وتطوره، عادل الألوسي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م؛ وأطلس الخط والخطوط، حبيب الله فضائلي، ترجمة: محمد التونجي، دار طلاس - دمشق، ط ٢، ٢٠٠٢.

(٢) ينظر: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العهد الأموي، صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٤٢، ٧٦؛ والخط والخطاطون، حبيب أفندي بيداييش، ترجمة وتقديم: سامي محمد جلال، مراجعة: الصنصافي أحمد القظوري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م.

(٣) ينظر: معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، عفيفي البهنسي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، المقدمة، ص (ز).

(٤) ينظر: الفنون الإسلامية، م. س. ديباندا، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: أحمد فكري، دار المعارف المصرية، ١٩٥٤م، ص ٧٦.

(٥) ينظر: الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، علي أحمد الطايش، مكتبة زهراء الشرق، ط ٢، ٢٠٠٣م، ص ١٥.

هذا وقد تعددت أنواع النقوش الكتابية الإسلامية فمنها: النقوش الصخرية، والنقوش الشاهدية، ونقوش الإنشاء والتعمير، والنقوش الإعلامية، وتنقسم هذه النقوش إلى ثلاثة أنواع هي: نقوش الصوى أو الأميال ونقوش المراسيم والنقوش الوقفية، ونقوش السكة، والنقوش على الفنون التطبيقية أو الزخرفية^(١)، وقد كان لتلك النقوش أهمية بالغة في تصحيح الأخطاء الشائعة، وحسم الخلاف بين المؤرخين، وإثبات ما أورده المؤرخون وتأكيده^(٢).

أما عن الخط في العهد العثماني، فقد ورث العثمانيون الخط عن مدرسة تبريز التي ازدهرت ليس في الخط فحسب، وإنما في صناعة الكتاب أيضًا، بل ونشطت فيما يتعلق بالكتاب من صناعة الورق والكرتون والخط والزخرفة والتجليد والرسوم والتذهيب وغير ذلك، وصار الأتراك يمثلون مدرسة مستقلة ذات شهرة متميزة في خط الثلث، ولكبار الخطاطين الأتراك مصاحف كثيرة محفوظة إلى الآن في المتاحف التركية، وكان للدولة دور كبير في ازدهار الخط وتطوره في العهد العثماني وذلك لما ناله الخطاطون من احترام السلاطين، فنالوا منهم الحظوة، وإغداق العطايا، وجعلوهم من المقربين منهم، وأسندوا لهم العمل في الدواوين التابعة للدولة، وبرواتب عالية^(٣).

لذلك يعتبر العهد العثماني هو عصر نضوج الخط العربي في العصور المتأخرة، ونستطيع أن نسميه العصر الذهبي للخط العربي؛ وذلك لاتساع رقعة الدولة وكثرة أجناسها طوال فترة الحكم التي بلغت أربعة قرون، وكان من العوامل التي أدت إلى ازدهار الخط العربي وتطور زخرفته: البعد عن التصوير، ودفع تقريب الحكام والسلاطين للخطاطين وإغداق الأموال عليهم إلى أن تبارى الخطاطون في إظهار الإبداع الفني والتقنية المتميزة في أداء الخط^(٤)، إضافة إلى ذلك فإن الخطاط العثماني قد تخطى مرحلة التقليد إلى مرحلة التحسين التي أوصلته بدورها إلى مرحلة الابتكار^(٥)،

(١) ينظر: النقوش الأثرية مصدرًا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، المجلد الأول، ط١، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص١٦-٢٠.

(٢) لمعرفة التفاصيل، وناذج لذلك، ينظر: المرجع السابق، ص٢٠-٢١٠.

(٣) ينظر: رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، أحمد شوحان، ص٣٨-٣٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٤٠.

(٥) ينظر: الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر الإسلامي، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٢٨-١٢٩، ١٧٦.

وقد دفع ذلك الأستاذ «أوغوردorman» إلى القول: «إن القرآن نزل في الحجاز، وقرئ في مصر، وكتب في إستانبول»، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد من التجديد والتطوير في الخطوط، بل قام العثمانيون بابتكار نوعين من الخط، هما: خط الرقعة، والخط الديواني، كما أعادوا صياغة خطوط موجودة في أشكال جديدة مبتكرة مثل الخط المثني.

ومن نعمة الله علينا أن جعلنا من أهل الخط العربي واللغة العربية التي أنزل الله بها كتابه، يقول الكندي: «لا يوجد خط على الإطلاق يتميز بسرعة الكتابة ويتحمل التحليل والتدقيق مثل الخط العربي»، ويقول ابن إسحاق: «إن أول من كتب المصحف في صدر الإسلام واشتهر بملاحة الخط خالد بن أبي الهياج زمن الوليد بن عبد الملك، وكان كاتب أشعاره، ثم لم يلبث الأمر أن وزنت بعض الأقلام حتى وصل عدد الأقلام الموزونة الأصلية إلى اثنين وعشرين خطأً، تم وضع صفات لبعضها وذكرت أسماؤها باعتبارها خطوط منفصلة لتبلغ سبعة وثلاثين، ولكنها في الحقيقة اثنان وعشرون خطأً»^(١).

أولاً: الكتابات من حيث الصورة:

يمكن تناول النقوش الكتابية المسجلة على العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول من حيث الشكل والمضمون، فأما الشكل فقد نفذت جميع الكتابات الدينية والتاريخية سواء نصوص الإنشاء أم التجديد بخط الثلث الجلي فيما عدا ثلاثة نقوش سجلت بخط النستعليق الفارسي، ومن ثم فبعد استعمال الثلث سمة لهذه العمائر الوقفية (قيد الدراسة) التي لم تستخدم الخطوط الأخرى التي شاعت في العمارة العثمانية إلا في أحوال نادرة، ونفذت إما بلغة عربية لا سيما الاقتباسات القرآنية والعبارات الدينية، وإما بالتركية العثمانية في نصوص الإنشاء والتجديد.

١) خط الثلث الجلي:

خط الثلث أحد الأقلام الستة^(٢) وأشهرها وأفضلها رونقاً وأصعبها تنفيذاً، ولا

(١) الخط والخطاطون، حبيب أفندي بيداييش، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) ظل الخط العربي يرتقي أيام العباسيين ببغداد بارتقاء دولتهم، كما تنوع حتى صار أكثر من عشرين نوعاً، مما جعل الوزير ابن مقلة يحصرها، ويستخلص منها ستة أنواع، هي: الثلث، والنسخ، والتوقيع، والريحاني، والمحقق، والرقاع. ينظر:

يُعدّ الخطاط خطأً بحق حتى يتقنه ومن ثم فقد أطلق عليه (إمام الخطوط)^(١)، وأما عن أصل تسميته بهذا الاسم فقد شاع بين الباحثين أنه عرف بذلك لمقارنة حجمه بخط الطومار^(٢)، والطومار يبلغ سن قلمه أربعاً وعشرين شعرة من شعر البرزون وهو نوع من الخيل، أي: إن قلم الثلث يبلغ عرض سن قلمه ثماني شعرات، ويُعدّ قلم الطومار من أكبر الخطوط حجماً ومنه اشتقت مجموعة الخطوط اللينة^(٣)، إلا أن هذا الرأي لم يعد الأصوب طبقاً للآراء الحديثة، إذ إن الثابت عن خط الثلث أنه مشتق من كلا الخطين: المعقلي القائم المسطح والكوفي ذي الحروف المدورة، وقد جاء خط الثلث باشتغال ثلثي خطوطه على الاستدارة المشتقة من الخط الكوفي المدور، فيما جاء بحروفه ثلث سمات الخط المعقلي المسطح^(٤).

فلما كان خط الثلث من الخطوط اللينة مع بقاء ثلث حصته من الخط المسطح فقد عُرف بخط الثلث لذلك؛ إذ ظلت حروفه محتفظة -رغم كونه خطأً ليناً- بثلث قائم ومسطح، هذا من حيث التسمية وتصحيح أصل تسميته واشتقاقه.

أما من أهم سمات خط الثلث فتتمثل في قابلية حروفه للتركيب، كما تبدأ قمم حروفه بزلفة يتشني طرفها إلى أسفل، ويظهر ذلك في حرف الألف المفردة المبتدأة، واللام المبتدأة، والراء والزاي، وقمم طوابع الطاء والظاء على عكس خط النسخ^(٥)، ويكتب هذا الخط في السطر أحياناً بفاصلة، وأحياناً بفاصلة قليلة، وأحياناً يتداخل

شواهد القبور الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر (٥٦٧-٩٢٣هـ/١١٧١-١٥١٧م) «دراسة أثرية فنية»، علاء الدين عبد العال، رسالة (ماجستير)، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣م، ص ٦٦.

Sacred Script, Muhaqqaq In Islamic Calligraphy, (N. Mansour), Ed. Mark Allen, I.B.Tauris & Co Ltd, London, New York, 2011, Pp. 25-32.

- (١) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٤٠٤.
- (٢) الطومار، يعرف بأنه الكامل من قطع الورق، وهي طبقة من الكاغد، وقدرها مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر الخيل، ويصنع من لب الجريد الأخضر أو القصب الفارسي، ويوجد به ثلاثة شقوق أو أكثر قدر ما يحتاج إليه القلم من الحبر ليكتب به. ينظر: النقوش الشاهدية في طرابلس الغرب إبان العهد العثماني الأول والعهد القرنمالي (٩٥٨-١٢٥١هـ/١٥٥١-١٨٣٥م) «دراسة آثارية فنية»، سهام عبد الله جاد عبد الله، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٢٠٠.
- (٣) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شهاب الدين أحمد القلقشندي، ج ٣، ص ٤٨.
- (٤) ينظر: الخط والخطاطون، حبيب أفندي بيدابيش، ص ١٠٥.
- (٥) ينظر: الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري (٧-١٨م)، مایسة محمود داود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٥٩.

الكلام أو يلتف على بعضه بعضًا، وتدخله الحركات الإعرابية والضوابط والترينيات والحروف الخفيفة الصغيرة^(١).

وقد لعب خط الثلث الجلي دورًا رئيسًا مهمًا في تاريخ الفن الإسلامي، تمثلت أوضح صورته في استخدامه بمنزلة فنّ كتابي شارك بفاعلية وإيجابية منذ أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م في تزيين العمائر الإسلامية وزخرفتها، إضافة إلى مشاركته أيضًا في زخرفة سائر منتجات الفنون الإسلامية الأخرى، والواقع أن طبيعة الثلث وبنية حروفه تنفرد من بين أنواع الخط العربي الأخرى بإمكانية تجليها أي لكتابتها جليّة كبيرة الحجم، وبقابليتها للتراكيب متعددة الأشكال بصورة لا يمكن لسائر الأنواع الأخرى من الخطوط احتماؤها، ويحتمل أن يكون هذا من أهم العوامل التي لفتت أنظار الفنان المسلم إلى إمكانية استخدام هذا الخط وإحلاله بصورة واسعة محل الخط الكوفي الذي كان سائدًا بصوره المتعددة في القرون الخمسة الأولى للهجرة في كتابات العمائر الإسلامية، فضلًا عن أن خط الثلث منذ نشأته كفن زخرفي قد مر بمراحل من النضج والتطور أهلته لكي يكون فنًا جميلًا حقق أغراضه الزخرفية والوظيفية من تسجيل تاريخ إنشاء الأثر أو تعميره أو تسجيل لوفاة أو لنص تذكاري، وإلى غير ذلك من الأغراض التي استخدمت من أجلها الكتابات التاريخية، وفي الوقت نفسه كان سريع التقبل بالنسبة للذوق الإسلامي العام الذي سرعان ما أقره وارتضاه وفضّله بصورة أكبر على ما عداه من سائر أنواع الخط العربي الأخرى^(٢).

وقد كان للمدرسة المصرية في خط الثلث بزعامة الخطاط الفذ ابن الصائغ (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) أكبر الأثر في انتقال هذا الخط إلى تركيا، حيث وصلت جودة الخط بعد ابن الصائغ إلى ابن الشيخ حمد الله الأماسي «قبله الكتاب»^(٣).

أما في العهد العثماني فقد ذكر هذا النوع من الخط باسم الثلث الجلي أو جلي الثلث أو الجلي، وما زالت هذه التسمية متداولة بين الخطاطين - فقط - بدلًا من

(١) ينظر: المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا، أميرة عماد السباعي، ص ٧٦١.

(٢) ينظر: كتابات العمائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٤.

(٣) ينظر: دور مصر التاريخي والحضاري في مجال الكتابة والخط العربي، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مجلة حروف عربية، العدد ٢٠، السنة السابعة، دبي ٢٠٠٨م، ص ٣٤-٣٥.

الثلاث الجليل^(١)، ووردت آراء أخرى حول تسميته بالجلي؛ وأرجع أصحاب هذه التسمية ذلك لكون الأترك قد جعلوا عرض القلم في بعض كتابات الجدران والمحاريب بين ١٠ و ٢٥ سم، وبذلك حققوا كلمة الجلي التي تطلق على ما يكتب بالخط العريض الكبير في أغلب كتابات الثلاث، إضافة إلى سعة حروفه على ما تقتضيه من الموازين ووضع الكتابة في مواضعها من الوحدات المعمارية في المنشآت^(٢).

اشتهر بخط الثلاث في العهد العثماني كوكبة كبيرة، وكان من أشهر هؤلاء الخطاطين: الخطاط يحيى الصوفي المعروف باسم (ياقوت الأماسي)، والخطاط يحيى بن يحيى الصوفي، والخطاط حمد الله الأماسي^(٣)، والخطاط أحمد قره حصارى، والخطاط حسن جلبي، والخطاط درويش علي أفندي، والخطاط حافظ عثمان^(٤)، وهؤلاء هم المشهورون، وأما غيرهم فقد بلغوا المئات؛ منهم الخطاط سيد إبراهيم نفس زاده الذي ألّف رسائل في تجويد الخط (ت: ١٠٦٠هـ)، والخطاط إبراهيم بن مصطفى تلميذ حافظ عثمان (ت: ١١٤٦هـ)، والخطاط مير إبراهيم الحنيف الذي كان أستاذًا بسائر الخطوط (ت: ١١٨٩هـ)، والخطاط إبراهيم المزّه من بورسة (ت: ١١٦٠هـ)، والخطاط سيد إبراهيم من أماسيا (ت: ٩٣٥هـ)، والخطاط إبراهيم كمالى في إستانبول (ت: ١١٤٣هـ)، والسultan أحمد خان الثالث الذي تلقى الخط عن حافظ عثمان وكتب مصحفين أرسلهما للروضة الشريفة، وكان يكتب عددًا من النقوش ويذهبها لتعلق في المساجد السلطانية بإستانبول، ومن نماذجها في جامع آيا صوفيا (رأس الحكمة مخافة الله)، وفي جامع والدة جلنوش سلطان ياسكُدار (الجنة تحت أقدام الأمهات)، وكتب أمام الباب الهمايوني، وتواريخ العيون الموجودة في ميناء إسكُدار^(٥) (السبيل الذي شيّده أمام جامع مهرماه سلطان)، وغير ذلك الكثير من الخطاطين.

(١) ينظر: كتابات العمائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٥٣٤.

(٢) ينظر: الجامع المدرسة في إستانبول، أميرة عماد السباعي، ص ٤٠٥؛

Osmali Belgelerinin Dili (Diplomatik), (Mübahat Kütükoğlu), Kubbealti Akademisi Kültür ve San'at Vakfı, İstanbul, 1994, S. 55-56.

(٣) ينظر: بدائع الخط العربي، ناجي زين الدين المصرف، دار القلم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣١.

(٤) ينظر: دراسات في فنون وتاريخ الآثار المعمارية (النقوش الكتابية على العمائر الدينية العثمانية)، محمد السيد البسطويسي، دار الكتاب الحديث، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٣٥-٣٧.

(٥) ينظر: الخط والخطاطون، حبيب أفندي بيداييش، ص ١٧٢-١٧٣، ١٧٥، ١٧٨-١٧٩.

وقد حظي الثلث بالنصيب الأوفر في وجوده كعامل أساسي لزخرفة وتزيين العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول وتسجيل نقوشها التاريخية والدينية وغيرها، ويمثّل مقارنة بالخط الثاني في النقوش ما يقرب من نسبة ٨٨٪، ويتضح ذلك في النماذج التي تأتي في عنصر الكتابات من حيث المضمون.

٢) خط نستعليق:

ظهر خط التعليق الفارسي في إيران في أثناء القرن ٧هـ/ ١٣م، وكان من مميزاته ميل حروفه من اليمين إلى اليسار في اتجاهها من أعلى إلى أسفل^(١)، أما خط نستعليق فهو أحد الخطوط التي استنبطت من خط النسخ القديم وخط التعليق معاً، ويرجع الفضل في ابتكار خط نستعليق إلى الخطاط مير علي التبريزي المتوفى سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، والذي كان من أعظم أساتذة الخط في القرن ٩هـ/ ١٥م في بلاط تيمورلنك، على الرغم من أن باكورة ظهوره تعود إلى القرن ٧هـ/ ١٣م إلا أنه لم تشكل أصوله وقواعده إلا على يد الخطاط «مير علي»، حتى خلع عليه أهل عصره لقب «قدوة الكتاب»، وهو من أكثر أنواع الخطوط رشاقة عن غيره من أنواع الخطوط اللينة والذي يحتفظ بصفات خطي النسخ والتعليق معاً، وتجلت في حروفه الأناقة بصورة جذابة، وأصبح شائع الاستعمال في أثناء هذا القرن وما تلاه^(٢).

وقد تطور خط نستعليق على يد كثير من مشاهير الخطاطين في أثناء القرن ٩هـ/ ١٥م، ومن أشهرهم: سلطان علي المشهدي الذي كان يعمل ببلاط حسين ميرزا في هراة، وجعفر البيسنقري التبريزي، وإبراهيم سلطان بن شاه رخ، وعبد الكريم الخوارزمي وولده عبد الرحمن اللذين عملا في تبريز واشتهرا بما أدخلاه من تحسينات على خط نستعليق^(٣).

ويُعدّ الخطاط سامي أفندي الذي سجل توقيعه على بوابتين من بوابات البازار

(١) ينظر: الفنون الإسلامية، م. س دياند، ص ٧٩.

(٢) ينظر: أطلس الخط والخطوط، حبيب الله فضائي، ص ٤١٧؛ والفنون الزخرفية، محمد عبد العزيز مرزوق، ص ١٧٦، حاشية رقم (١).

(٣) ينظر: الفنون الإسلامية، م. س دياند، ص ٨١.

المغطى بإستانبول أحد أشهر الخطاطين العثمانيين الذين أتقنوا خط نستعليق، إلى جانب الطغراء السلطانية^(١).

ونظراً لأنه مشتق من خطي النسخ والتعليق معاً فقد وجدت تسميته في الأشعار والمرقعات القديمة باسم «نسخ تعليق» أو «نسخ تعليق»، ثم خفف الاسم بعد ذلك إلى «نستعليق»، وعُرف في العهد العثماني باسم «التعليق فقط»، بينما يعرف لدى الإيرانيين باسم الخط الفارسي على أساس أن بداية اختراعه كانت على أيديهم، ويهمنا في الأمر معرفته بين الخطاطين العثمانيين حيث لا يزال إلى اليوم يُعرف لدى خطاطي تركيا باسم «التعليق»، وهي التسمية التي ورثها عن الخطاطين القدامى^(٢).

وعن القيم الجمالية في خط نستعليق فيشبهه بعض الباحثين الإيرانيين بأنه العروس بين أنواع الخطوط الإسلامية الأخرى، كما يشبهه بعض الباحثين الأتراك «بموسيقى الخطوط»، فهو خط لوحظت فيه عبقرية الإنسان المسلم وذوقه العالي نتيجة إحساسه بما يمكن أن يبدعه ويتكره، وفي مقارنة بسيطة بخط الثلث يمكن ملاحظة الخصائص المتعلقة بالتركيب البنيوي لحروفه، حيث تتميز حروف خط نستعليق بالآتي^(٣):

١- الحروف مثل: «الألف» و«الدال» و«الراء» و«النون» و«الواو» و«الباء» و«الماء» في خط نستعليق ليس فيها زلف، كما في مثيلاتها المبتدأة في حروف خط الثلث.

٢- صغر وطمس حروف «الفاء» و«القاف» و«الواو» المبتدأة، بالإضافة إلى طمس حروف «العين» و«الغين» الوسطية في نستعليق، بخلاف الثلث الذي يعطي كل حرف حقه من حيث الحجم وسعة استدارته.

٣- خطاف حرف «الياء» الراجعة ساقط في نستعليق، بخلافه في خط الثلث فهو موجود.

(1) Encyclopedia of the Ottoman Empire (op. cit), (Gabor Agoston & Bruce Masters), P. 117.

(٢) ينظر: أطلس الخط والخطوط، حبيب الله فضائلي، ص ٤٤٤.

(٣) ينظر: كتابات العمائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٧٣٢-٧٣٣.

٤- حروف «الياء» و«الدال» و«الكاف» و«الواو» و«الهاء» المنتهية تكتب في رسمها ساقطة أو مختزلة أو مجردة ومتأكلة في النستعليق، بخلاف خط الثلث فهي ظاهرة موجودة بطبيعتها.

٥- تستطيل في خط النستعليق الأجزاء الأمامية لأمثال حروف «السين» و«القاف» و«الكاف» و«الهاء».

٦- تتسع صحون أو كاسات حروف «السين» و«القاف» و«الكاف» و«اللام» بدرجة زائدة تتجاوز معها السطر وتنزل إلى الأسفل.

وهكذا بالنظر إلى التركيب البيوي لخط النستعليق بالنسبة إلى خط الثلث يكون قد اتخذ طريقاً آخر له تجريدته الخاصة به، والتي تميزه عن خط الثلث وغيره من الخطوط الأخرى، وكذلك فإنه ثمة جمالية تُحسّ في حروف خط النستعليق وكلماته تولدت عما سبق ذكره من صفاته التشريحية ومكوناته البيوية، وهذه الجمالية تتمثل في الرقة والنعومة اللتين تُريان في خط النستعليق، وكذلك الإحساس بسكونه وهدوئه مع دلال طبيعي فيه يعمّق في النفس شعوراً بنوع من الجمال لا يُحس في أنواع الخطوط الأخرى، ويمكن القول: إن خط النستعليق قد استمد مقوماته الجمالية من قسمين أساسيين: أولهما: تناسب الحروف وتوازنها، وهذا خاضع لحسن التصرف في رسمها بالكلمات وفق القواعد والأصول التي يراعيها الخطاط بنفسه ومدى حذقه وذوقه، بحيث يخرجها بصورة جميلة في هيئتها العامة بالسطور وكأنها عقد منظوم، وثانيهما: موسيقية السطور وهي من أهم العوامل التي تكسب خط النستعليق مقوماته الجمالية بشكل عام، وخلاصة القول فإن الجمال في خط النستعليق إنما هو تناسب في الخطوط وتوازن بها، وكذلك حركتها مع البساطة والوحدة الموجودة في الهيئة العامة للخط، وإن جميع أسرار خط النستعليق تكمن في حُسن تأليف خطوطه المنحنية وتنسيقها في حُسّ حركي^(١).

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٧٣٤.

ثانياً: الكتابات من حيث المضمون وأماكن وجودها بالعمائر (أهم النماذج):

أما من حيث مضمون الكتابات وأماكن وجودها في العمائر الوقفية (موضوع الدراسة)، فإنه بادئ ذي بدء يمكن القول: إن جلّ النقوش، إن لم تكن كلها، قد جاءت في المساجد والأسبلة والحمامات، إذ إنها الميدان الذي يبدع فيه الخطاطون وتقرأ من قبل الناس، ومن حيث المضمون فيما أنها كتابات تاريخية لإنشاء المنشأة أو تجديدها ومن ثم تحتوي على الأسماء والألقاب، وإما كتابات دينية دعائية واقتباسات قرآنية، وفيما يأتي أهم نماذجها التي نقشت بخط الثلث:

النقش الأول:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
تأريخ الإضافة والتجديد للمسجد بسنة ١٠٢١هـ/١٦١٢م.	التركية العثمانية.	أعلى مدخل جامع خاصكي خرم سلطان.
نص النقش من ثلاثة أسطر (الترجمة):		
<p>أنشأت السلطانة المرحومة هذا الجامع ووقفته كعمل خيري وأثر حسن سنة تسعمئة وخمس وأربعين هجرياً، بُني بيت الدين والأخيار هذا إذ لم يسع الجماعة من كثرتها.</p> <p>الوصي عليه هو الحارس حسن بك وقال أثاري على تاريخ إتمامه زهي عالي وبيت الله للأبرار^(١).</p>		

النقش الثاني:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني، وعبارات دعائية وتأريخ الإنشاء سنة ١١٨٠هـ.	العربية.	أعلى الجشمة المجاورة للمدخل الرئيس بمجمع خاصكي سلطان.

(١) عمائر المرأة الدينية، ريهام يمينا عبد العال، ص ١٠٣. وسبق أن قلنا عند حساب التأريخ بالأحرف الموجودة كافة فإنه يعطي ١٠٨١هـ، وهو ما لا يتفق مع تاريخ التجديد والإضافة ١٠٢١هـ، ومن ثم فقد لا يحتمل قيمة حرفي اللام في كلمة للأبرار، ويكون الصواب أبرار.

نص النقش من أربعة أسطر:	
س ١	﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ^(١) .
س ٢	قد أحيا روح زوجة السلطان الطاهرة وجعل الآفاق تلتفت لشرب الماء العذب.
س ٣	قد سالت عين ماء الحياة مثل ماء زمزم شربت جميع الكائنات ماء الحياة من يد خضر.
س ٤	عام ١١٨٠ هـ.

النقش الثالث:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دينية ممثلة في كلمة التوحيد، وعبارات دعائية وتاريخ الإنشاء سنة ٩٦٠ هـ.	التركية العثمانية.	أعلى مدخل حَمَّام خاصكي سلطان.

نص النقش من ثلاثة أسطر، تعلوها كلمة التوحيد:

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

س ١	اكر كورمك دلرسك روضة فردوس رضواني	كلوب حَمَّام سلطانه صفا بول ايله سيراني
س ٢	روان اولمش اچنده سلسبيل وكوثر ارماغي	سقيهم ربهم در ايجه اول ابك الحاني
س ٣	هدايي كيردي كوردي باغ عدنك عيني دراني	ددي تاريخ حَمَّام بهشت آباد سلطاني ٩٦٠

ترجمة النقش:

س ١	إذا أردت أن ترى روضة فردوس الرضوان.	تعال إلى حَمَّام السلطنة وجد الصفاء والمتعة.
س ٢	جری بداخله نهر الكوثر وسلسيله.	سقاهم ربهم بداخله ألخان هذا الماء.
س ٣	دخل هدايي فرأى جمال عين جنة عدن.	وأرّخه حَمَّام الجنة السلطانية المعمورة ٩٦٠ هـ ^(٢) .

النقش الرابع:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات تاريخية لتأسيس المسجد سنة ٩٥٤ هـ.	العربية.	أعلى مدخل مسجد مهرماه سلطان بإسكُدار.

(١) سورة الإنسان، جزء من الآية رقم ٢١.

(٢) نقل الترجمة عن: الحَمَّامات العامة في مدينة إستانبول، إيهان إسمايل محمد، ص ٢١١.

نص النقش من خمسة أسطر:

س ١	أسس بنیان هذا المسجد الجامع المشيّد الأركان صاحبة الخيرات والحسنات ^(١) درة تاج السلطنة ^(٢) .
س ٢	عظيمة الشأن عصمة الملك والدينا والدين ^(٣) خانم سلطان ^(٤) ، خصها الله بمزيد الإحسان بنت
س ٣	خاقان الخواقين في الخافقين سلطان السلاطين ^(٥) في المشرقين عامر معمورة الأرض بالعدل والإحسان مؤسس
س ٤	بنیان الأمن والأمان لأهل الإيخان السلطنة ابنة السلطان سليمان خان ^(٦) بن سلطان سليم
س ٥	خان خلد الله خلافته خلود الزمان، وتم بمنة المّان في شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة أربع وخمسين وتسعمئة من الهجرة النبوية ٩٥٤هـ.

النقش الخامس:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	أعلى محاريب غالبية نماذج الدراسة؛ كمحراب مسجد مهرماه بإسكدار (٩٤٥هـ/١٥٤٨م)، محراب مسجد ماهيكر كوسم سلطان (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، محراب مسجد نوربانو سلطان (٩٩١هـ/١٥٨٣م).
		نص النقش: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ ^(٧) .

- (١) وهذا اللقب من الألقاب التي ترتبط بتعاليم الإسلام ارتباطاً وثيقاً، وظهر هذا اللقب ومرادفاته مع النهضة الإسلامية التي تدعو إلى تعاليم الإسلام الأولى، والتي قامت على يد السلاجقة ومن بعدهم، وهو دلالة على كثرة خيرات وعطايا من تلقبت به. ينظر: الألقاب الإسلامية، حسن الباشا، ص ٥٥١.
- (٢) إذ إنها بنت السلطان العظيم سليمان القانوني.
- (٣) وهو من ألقاب النساء، التي اشتهرن بها. ينظر: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٥٥١.
- (٤) لفظ فارسي معناه سيدة. ينظر: الألقاب الإسلامية، حسن الباشا، ص ٣٧٤.
- (٥) وهي ألقاب تدل على مدى الهيمنة والسيطرة، وقد أطلقت على رؤساء الترك من المسلمين. ينظر: الألقاب الإسلامية، حسن الباشا، ص ٢٧١؛ والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٥٥١.
- (٦) كلمة «خان»، لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءاً من الإمبراطورية المغولية، وهو بنفس مقصود لقب القان، أو الخاقان، ومعناه رئيس الرؤساء أو أعظم الحكام الذي كان يطلق على حاكمهم الأعلى. وهناك من الباحثين من يفرق بين «الخان» من جهة و«القان أو الخاقان» من جهة أخرى، باعتبار الأخير أعلى في الدرجة، ولكن في الواقع فقد وردت الألقاب الثلاثة مقترنة بأسماء حكام المغول الكبار، مثل: أوكتاي، وكيوك، ومنكو وغيرهم. ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤م، ج ٢، ص ٣٠٧، حاشية رقم ٤؛ والألقاب الإسلامية، حسن الباشا، ص ٢٧٢.
- (٧) سورة آل عمران، الآية رقم ٣٩.

النقش السادس:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دينية بواقع اسم الجلالة، أو النبي ﷺ، أو اسم أحد الخلفاء الراشدين بكل مثلث من مثلثات مناطق الانتقال.	العربية.	مناطق انتقال القباب المركزية بأغلب مساجد الدراسة؛ وهي بهذا النص في مسجد نوربانو سلطان ياسكُدار (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م).
نص النقش: الله جل جلاله، محمد رسول الله، أبو بكر رضي الله عنه، عمر رضي الله عنه، عثمان رضي الله عنه، علي رضي الله عنه.		

النقش السابع:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	باطن القبة المركزية بجامع مهرماه سلطان ياسكُدار.
نص النقش:		
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ^(١) .		

النقش الثامن:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	بواطن أنصاف القبة المركزية بجامع مهرماه سلطان ياسكُدار.
نص النقش:		
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ ^(٢) .		

(١) سورة النور، الآية رقم ٣٥.

(٢) قرآن كريم، سورة آل عمران، جزء من الآية رقم ١٩٣.

النقش التاسع:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات تاريخية لتأسيس المسجد سنة ٩٥٤هـ.	العربية.	أعلى مدخل مسجد مهرماه سلطان ياسكُدار.
نص النقش من خمسة أسطر:		
س ١	حبذا منبع ماء الحياة... لتشرب الألسنة الظمآنه ماءه في كل نفس.	
س ٢	مهرماه سلطان شيدت مشرب بلقىس هذا... فليكن مجرى الماء.	
س ٣	وهبه الحق أيضًا في هذا التاريخ... فلتجر عين ماء الحياة.	
س ٤	سنة ١٠٩٢هـ.	

النقش العاشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	باطن القبة المركزية بجامع مهرماه سلطان بأدرنة قباي.
نص النقش		
<p>﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ يَأْتِيهِ فِيهَا زُجَاجَةٌ زُجَاجَةٌ كَأَنَّهُ كُوتٌ دَرِيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).</p>		

النقش الحادي عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	باطن القبة المركزية بجامع نوربانو سلطان ياسكُدار ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م.
نص النقش:		
<p>بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^(٢).</p>		

(١) سورة النور، الآية رقم ٣٥.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٤١.

النقش الثاني عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	التكسيات الخزفية أعلى النافذتين حول المحراب بجامع نوربانو سلطان بإسكُدار ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م.
نص النقش:		
أعلى النافذة الأخرى		أعلى النافذة جهة المنبر
١- مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْرَ نِعْمَتِهِ، ٢- عَلَيْكُمْ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١﴾ ^(١) .		١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ ثَقْتِي. ٢- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

النقش الثالث عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	التكسيات الخزفية التي تَوَطَّرَ المستوى السفلي لجدار المحراب بجامع نوربانو سلطان بإسكُدار ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م.
نص النقش:		
<p>بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾^(٢).</p>		

النقش الرابع عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	بواطن أنصاف القباب بجامع نوربانو سلطان بإسكُدار ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م.

(١) سورة الفتح، الآيات ١-٢.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ٢٥٥.

نص النقش:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ (١)، صدق الله العظيم، وبلغ رسوله النبي الكريم.

النقش الخامس عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دعائية وتاريخ الإنشاء سنة ٩٩٢ هـ.	التركية العثمانية.	أعلى مدخل حمام تشيمبرلي تاش.

نص النقش من ثلاثة أسطر:

١ س	بمحمد الله بكون سلطان مراد دورنده	بو حمام فر عجب جاي لطيف اولدي.
٢ س	جهان طور دقجه ايلر نامني مرحومه يل إحيا هواسي خوش بناسي دلکش وابي نظيف اولدي.	
٣ س	كورت اتمامني ساعى داعي ديدي تاريخن	ياپلدي والده سلطان حمامي شريف اولدي (٢) ٩٩٢ هـ.

ترجمة النقش (٣):

١ س	بمحمد الله اليوم في عهد السلطان مراد	أصبح هذا الحمام خالص الزخرفة ومدهشاً ولطيفاً.
٢ س	يُحْيِي اسم المرحومة إلى الأبد	أصبح طيب الهواء جذاب البناء لطيف الماء.
٣ س	وقال الساعي الداعي إلى إتمام قبته تاريخاً	صار واكتمل حمام السلطانة الوالدة الشريف.

النقش السادس عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات تاريخية بسنة ١٠٥٠ هـ، وعبارات دعائية.	التركية العثمانية.	أعلى مدخل كلية چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان ياسكدار.

(١) سورة الأنعام، الآيتان ٧٩-٨٠.

(٢) ويحتوي شطر البيت الأخير على تاريخ اكتمال بناء الحمام بحسب الجمل، وعند حسابه نجده يعطي تاريخ ٩٩٣ هـ الموافق ١٥٨٥ م، وعلى هذا ونظراً للورود تاريخ ٩٩٢ هـ بالأرقام في النص يمكن القول: إن تاريخ البدء في البناء كان سنة ٩٢٢ هـ / ١٥٨٤ م، واستغرق البناء مدة تمتد من عام إلى عامين فاكتمل وانتهى سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م.

(٣) النص والترجمة نقلاً عن: الحمامات العامة في مدينة إستانبول، إيمان إسمايل محمد، ص ٢٤١.

نص النقش من ثلاثة أسطر:

س ١	(مادر سلطان ابراهيم خان) (حضرت سلطان اكرم والده) (بوبناء حقي بايدي خير ايجون) (تا اوله بيت عبادت عابده).
س ٢	دعوات اوله بش وقتده رحمته) (منزل اوله عابده وزاهده) (يابدي مكتب چشمه حّام وسبيل) (كيم اكا حق لطف هم احسان ايدي).
س ٣	(اهل خيري يونده طاعت ايده ني) (داخل ايت يا رب جنان خالده) (فوزيا لفظا ومعنى تاريخي) (اولدي بيك الليده خير الوالدة).

ترجمة النقش:

س ١	(والدة السلطان إبراهيم خان) (والدة حضرة السلطانة الكريمة) (سيّدت هذا البناء لوجه الحق تعالى) (ليكن بيت عبادة للعابدين).
س ٢	(فادعوا لها بالرحمة في أوقات الصلاة الخمسة) (فهذا منزل العبادة والزهد) (أقامت مدرسة وچشمه وحمّام وسبيل) (ليكن لها حق اللطف والإحسان).
س ٣	(فيارب أدخل أهل الخير) (الطائعين جنات النعيم الخالدة) (فأرخ له الشاعر فوزي لفظاً ومعنى قائلاً) (صارت خير الوالدة في سنة ألف وخمسين) ^(١) .

النقش السابع عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
تعريف بالواقفة وتأريخ للمسجد، وعبارات دعائية.	التركية العثمانية.	أعلى مدخل چينيلي جامع بإسكدار.

نص النقش من سطرين:

س ١	(هميشه حضرت والأجناب والده سلطان) (خلوص اوزره لوجه الله خيرات ايتمه درشاني) (يابوب بوجامعي اكه ينجه املاك وقف ايتدي).
س ٢	(موفق ايتدي خيراته اني توفيق رباني) (تمام اولنجه ديدي هممتا تاريخيني هاتف) (بو جامعه اولان طاعت اوله مقبول سبجاني).

(١) كتابات العمائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٢٣٦.

ترجمة النقش^(١):

س ١	(حضرة و جناب والدة سلطان) (التي وَفَّقَتْ خيرات كثيرة خالصة لوجه الله) (فقد بنت هذا الجامع وَوَفَّقَتْ عليه كَمَا من الأملاك).
س ٢	(فقد وفقها التوفيق الرباني للخيرات) (وعندما تم البناء قال الشاعر هاتف تاريخه بلا شبيهه) (فليتقبل الله كل من أطاعوه في هذا المسجد).

النقش الثامن عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	التكسيات الخزفية في چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان، إذ تضمنت عددًا من الاقتباسات القرآنية، منها هذا النقش.
نص النقش (يدور النص حول جدران المسجد من الجهات الأربع، ويبدأ من المنطقة بين المنبر والمحراب ويلتف عكس عقارب الساعة):		
<p>(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿١﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَهَدْيِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٤﴾ وَيُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿١٠﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ يَا اللَّهُ ظَلَمَ السَّوَاءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوَاءِ وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ فَوَإِذَا أُوتِيَ بَأْسٌ شَدِيدٌ تُقْبَلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ نَطِعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَئِدْبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾</p>		

(١) النص والترجمة نقلًا عن: المساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٤٨.

(٢) سورة الفتح، آية ١ وجزء من آية ٢.

(٣) سورة الفتح، جزء من آية ٢-٤.

(٤) سورة الفتح، الآيات من ٥-٧.

(٥) سورة الفتح، جزء من آية ١٥-١٨.

النقش التاسع عشر:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني.	العربية.	أعلى النوافذ على جانبي المحراب بجامع خديجة تورخان (بني جامع) بإمينونو ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.
نص النقش:		
الاقباسات القرآنية أعلى النافذة اليمنى جهة المحراب:		
الحشوة العلوية: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ^(١) .		
الحشوة السفلية: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا﴾ ^(٢) .		
الكتابات الدينية أعلى النافذة اليسرى:		
الحشوة العلوية: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.		
الحشوة السفلية: ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.		

النقش العشرون:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دينية تضم عددًا من أسماء الله الحسنى.	العربية.	أعلى مدخل تربة خديجة تورخان سلطان بإمينونو ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.
نص النقش:		
<p>(بسم الله الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد).</p>		

(١) سورة الجن، الآية رقم ١٨.

(٢) سورة الجن، الآية رقم ١٩.

النقش الحادي والعشرون:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
اقتباس قرآني لسورة الملك كاملة.	العربية.	التكسيات الخزفية داخل جدران تربة خديجة تورخان سلطان يمينونو ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.
نص النقش:		
<p>(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ... قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَابَ مَاؤُكُمُ عَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣﴾﴾^(١).</p>		

النقش الثاني والعشرون:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دعائية.	العربية.	أعلى بوابة بائعي الكتان بأراستا خديجة تورخان سلطان يمينونو ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م، ووجدت في عدة مواضع أخرى بمجمعها الوقفي أيضًا.
نص النقش: يا مفتح الأبواب افتح لنا خير باب.		

النقش الثالث والعشرون:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
تأريخي بسنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.	العربية.	أعلى المدخل الرئيس الشمالي الغربي لبيت الصلاة بجامع الوالدة الجديد في إمينونو.
نص النقش:		
س ١	(شيد بنيانه على التقوى) (ماله من مشابه أبدأ) (هو في الحسن غاية قصوى) (حار فيه وفي تأنقه).	
س ٢	(جالب الخير دافع البلوى) (جامع قد حوت قواعده) (كل حسن قد اكتسى وصفا) (جامع سويت محاسنه).	
س ٣	(عمره ربهما كما تهوى) (وجراها بكل مكرمة) (عالم السر عالم النجوى) (حسن قال فيه تاريخًا).	

(١) سورة الملك كاملة.

وأما نص التاريخ فسجل بحساب الجُمَّل بصيغة (جامع البر معلم التقوى)، وهي تقع في حجر المدخل إلى اليسار من الداخل كتكملة للنقش أعلى المدخل.

س ١	كل راء رواءه عزوا.
س ٢	أجزل الله أجر من سوى.
س ٣	جامع البر معلم التقوى.

النقوش المسجلة بخط نستعليق؛ وهي نادرة جدًا في المنشآت الوقفية لنساء القصر العثماني (موضوع الدراسة) لا تتعدى نسبة ١٢٪ من النقوش، ويمثلها ثلاثة مواضع كما يأتي:

النقش الأول:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
تأريخ لتجديد المسجد سنة ١٢٨٥هـ.	التركية العثمانية بخط ١ لنستعليق .	أعلى مدخل مسجد جُلغم خاتون ياسكُدار .

نص النقش من أربعة أسطر:

س ١	بو گلغم جامعي يانميش ايدي برخيلى سال اقدم.	بحمد الله معمور اولوب اولدي عبادتكاه
س ٢	نقود وافرہ صرف ايليوب انشايه چوق آدم.	نيجه اصحاب خير وهمت عرض اشترك ايتدي
س ٣	كلتانہ شبیه اولدي يابيلدي جامع گلغم.	پنيحا كل كبي تاريخ اجلدي باغ طعمده
س ٤	سنة ١٢٨٥هـ.	

ترجمة النقش:

س ١	جامع جُلغم بعد الحريق الذي أصابه منذ أعوام كثيرة.	س ١	تم بحمد الله تعالى إعادة تعمير	
س ٢	وصرف العديد من الرجال نقودًا وفيرة على تعميره.	س ٢	وقد اشترك أصحاب الخير والهمة في هذا	
س ٣	وصار جامع جُلغم يشبه حديقة الزهور.	س ٣	وسطعت الدنيا كحديقة غناء بهذا الفعل المبارك	
س ٤	سنة ١٢٨٥هـ.		س ٤	

النقش الثاني:

المضمون	اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
كتابات دينية ممثلة في كلمة التوحيد، وعبارات دعائية وتاريخ الإنشاء سنة ٩٩١هـ.	التركية العثمانية بخط نستعليق.	أعلى مدخل مسجد نوربانو سلطان بإسكدار.

نص النقش من ثلاثة أسطر:

س ١	نوربانو او ذات بر عصمت	طرف خيره ايليوب نيت.
س ٢	ايتدي بو معبد لطيفي بنا	جذا رأي أحسن وزيبا.
س ٣	أثر خاصيدر بو خير كزين	اولدي تاريخ زهي بهشت برين ٩٩١ ^(١) .

ترجمة النقش:

س ١	نوربانو صاحبة العصمة والعز	التي تنوي دائما فعل الخير.
س ٢	شيدت هذا المسجد اللطيف	فما أجمله وما أحسن منظره.
س ٣	وهو أثر يدل على الخير الظاهر	وصار تاريخه جنة عالية ٩٩١هـ.

النقش الثالث:

اللغة المسجل بها النقش	موضع النقش
التركية العثمانية بخط نستعليق.	أعلى واجهة خزان السبيل الملحق بسبيل وقف خديجة تورخان سلطان بإمينونو.

نص النقش من ثلاثة أسطر:

س ١	ام بر جود محمد خان كيم	ذاتيدر عالمده ذو القدر الجليل	في سبيل الله بنياد ايلدي	راه حقهه بويله بر عالي سبيل.
س ٢	تشنكان ايجون جنانندن متصل	اقددي اول ميز ابه اب سبيل	كيمسه يه اولمز ميسر دنيه ده	بويله چشمه بويله بر خير جميل.
س ٣	سعي مشكور اولوبن حق حضرتي	ويره عقباده اجورات جزيل	انك اتمامن كوروب تاريخ ايجون	ديدي هاتف كان خيرا في سبيل ١٠٧٤هـ.

(١) كتابات العائر الدينية، محمد علي حامد بيومي، ص ٢١٩؛ والمساجد العثمانية الباقية، محمود السيد محمد، ص ٢٠٨، أما الترجمة فيتصرف بمعرفة الباحث.

ترجمة^(١) النقش:

س ١	والدة السلطان محمد خان كثير الجود	صاحب القدر الجليل في العالم	شيدت في سبيل الله ابتغاء وجه الله.	سبيلًا عظيمًا كهذا
س ٢	أسالت الماء الزلال في هذا الحوض	من أجل الظمان لتتصل بالجنان	لم يكن ميسرًا في الدنيا لأي شخص	أن يبني عين ماء على هذا النحو الجميل.
س ٣	فليكن سعي حضرتها مشكورًا	وليثبها الله تعالى الجزء الجزيل في الآخرة	رأى هاتف اكتماله وقال من أجل التاريخ	كان خيرًا في سبيل ١٠٧٤ هـ.

المبحث الثاني

النقوش والزخارف النباتية والهندسية

عرف العديد من الحضارات التي سبقت الإسلام أنواعًا متعددة من الزخارف النباتية والهندسية، إلا أنه لم يكن لتلك الزخارف هذا الشأن والامتداد والتنوع الذي تميزت به في الفنون الإسلامية، وقد يدخل في مجال الزخرفة أشكال كانت في جوهرها إنشائية، وإذا دخلت عناصر جديدة فإنها تتلاءم على خير وجه مع العناصر الذاتية، بحيث يتألف موضوع منها يتحقق للجميع فيه التناسب مع التطور، والتي بلغت على يد الفنان المسلم متنهاها^(٢).

أولاً: النقوش والزخارف النباتية:

هي كل زينة أو حلية زخرفية تعتمد في رسمها أو نقشها على العناصر النباتية كالسيقان والأوراق والأزهار والثمار^(٣) بمختلف أشكالها وصورها، سواء كانت بشكلها الطبيعي أم بعيدة عن صورتها الأصلية، والزخارف النباتية زخرفة قديمة

(١) الترجمة بتصرف عن: الكتابات التركية العثمانية على أسبلة إستانبول، صباح علي الطباخ، ص ١٠٩؛ وعمارة الأسبلة العثمانية، دعاء صلاح خالد، ص ١٠٦.

(٢) ينظر: الفن الإسلامي في أسبانيا، مانويل جوميث مورينو، ترجمة: لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز، دار الكتاب العربي، القاهرة، طبعة بدون تاريخ، ص ١٣، ١٨٣.

(٣) ينظر: الأبعاد الفكرية في الفن الإسلامي، معجب الزهراني، ص ١٨٥.

قدم الإنسان وُجدت في فنون العصور المختلفة، إلا أن العثمانيين أتقنوها إلى درجة كبيرة، وجاءت تلك الزخارف على أيديهم أكثر مرونة وأقرب إلى الحقيقة، وتعدّ الزخارف النباتية أكثر أنواع الزخارف انتشاراً في العهد العثماني، حتى عرفت فترة في التاريخ العثماني باسم عصر اللالا نسبة إلى زهور اللالا أو التوليب «Tulip»^(١)، وقد انتشرت الزخارف النباتية على فنون معظم العصور والدول السابقة على الإسلام إلا أنها بلغت على يد الفنانين المسلمين درجة سامية من الجمال الفني، وابتكروا لها صورة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهي التي تُعرف باسم التوريق والتي أطلق عليها الغرب نسبة إلى العرب اسم أرابيسك (Arabesque)^(٢)، وقد بدأ ظهورها منذ سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م^(٣) في الزخارف الجصية بمدينة سامراء، والتي تعمدت في زخرفتها على تكرار عنصر أضفاف المراوح النخيلية، وكانت هذه الزخرفة تتألف من عناصر زخرفية مكونة من أفرع نباتية محورة عن الطبيعة وأوراق نباتية ذات فصين تتداخل أو تتشابك معاً بطريقة هندسية^(٤).

وقد تعددت الأشكال النباتية المستوحاة من الطبيعة في الفن الإسلامي، فكانت استجابة الفنان المسلم لتأمل خلق الله ﷻ، على أن ما تحفل به الطبيعة من روائع وما يوجد بها من جمال عندما يتأمله الإنسان يجد فيه أحسن مجال للاعتبار والاتعاظ وهداية النفس، والحس الإيماني العميق المتروى القائم على التبصر والتأمل والاقتناع^(٥).

ويمكن أن تنقسم تلك الزخارف النباتية إلى قسمين رئيسين، أولهما الزخارف النباتية المحورة، والثاني الزخارف النباتية القريبة من الواقع^(٦).

(1) Turkish Islamic Architecture (op. cit), (Bahçet Ünsal), P. 19.

(٢) للمزيد عن زخرفة التوريق أو الأرابيسك ينظر: سر الزخرفة الإسلامية، بشر فارس، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بمصر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٥-١٧؛ والزخرفة الإسلامية الأرابيسك، محمود إبراهيم حسين، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٣) ينظر: الفنون الإسلامية، سعد ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٢٠١.

(٤) ينظر: الفنون الزخرفية الإسلامية، علي أحمد الطائش، ص ٢٠.

(٥) ينظر: أثر العقيدة الإسلامية في فن الزخرفة عند المسلمين، نجاة شاكر زيدان، مجلة الدارة، مجلة فصلية محكمة، السنة الثالثة، العدد الرابع، صفر ١٣٩٨هـ/يناير ١٩٧٨م، ص ٧٧.

(٦) والحق أنني اتبعت الباحثة هند علي سعيد في هذا التقسيم لبيانه على وجه الدقة أشكال تلك الزخارف وتقسيمها على أساس أسلوب التنفيذ لها، سواء أكانت محورة أم قريبة من الواقع. وللإستزادة ينظر: الزخارف النباتية على الفنون

أ) الزخارف النباتية المحورة:

إن المتمعن في الزخارف النباتية المحورة ذات الطابع التجريدي يدرك أنها لم تكن زخارف عشوائية لملء الفراغ، وإنما إيجاد لتنوع زخرفي إلى جانب الزخارف الكثيفة الواقعية الأخرى، وقد استلهم الفنان المسلم هذه الزخارف من تعاليم دينه الحنيف، مما أضفى عليها الوقار والقدسية وجعلها محببة ومفهومة لدى المسلمين، كما أبهرت الغرب وأثارت حيرته إلى جانب إعجابه.

وقد صُممت تلك الزخارف بأسلوب بديع تحكمه مبادئ معينة التزم بها الفنانون كافة، حيث كانت تُشكّل من تنسيق الأشكال النباتية داخل مزلعات هندسية محددة، مع تكرار التموجات الخطية تكررًا تختلط فيه البداية والنهاية مما يحقق فكرة اللانهاية في امتداد العناصر^(١)، مع تعانق الأغصان والفروع وملء الفراغات وتماثل العناصر والمجموعات^(٢).

وقد تمثلت الزخارف النباتية المحورة على المنشآت الوقفية العثمانية (قيد الدراسة) بمدينة إستانبول في زخرفة الرومي^(٣) (صورة: ٢٢٣)، التي اقتبست من المعنى الحرفي لها رومي، وهو الاسم الذي أطلق على سلاحقة الأناضول^(٤)، وكذلك زخرفة الأرابيسك^(٥) التي نفذت على غالب الجدران والمناطق المزخرفة بعمائر النساء الوقفية (قيد الدراسة) بإستانبول، وقد تناوها الباحثون بتسميات عديدة حيث تُعرف باسم الزخارف العربية المورقة^(٦)، ويستعمل كذلك مصطلح الرقش العربي^(٧) أو العربسة^(٨) في المغرب العربي، أو زخرفة التوريق العثمانية^(٩) للدلالة على الزخرفة نفسها.

التطبيقية في آسيا الصغرى خلال العهد العثماني، هند علي سعيد، رسالة (ماجستير) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص ٢٤١-٣٧٧.

(١) ينظر: التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، نادر عبد الدايم، ص ٦٨.

(٢) ينظر: الزخارف النباتية على الفنون التطبيقية في آسيا الصغرى، هند علي سعيد، ص ٢٤٣.

(3) Les Arts Decorative Turcs, (C. E. Arseven), Milli Egitim Basiment, Istanbul. 1950, P. 51.

(٤) ينظر: الخزف التركي، سعاد ماهر، مطابع مذكور، القاهرة، ١٣٧٠هـ / ١٩٦٠م، ص ١٠٦؛ سيد، العمائر الدينية، ص ٤٣٣.

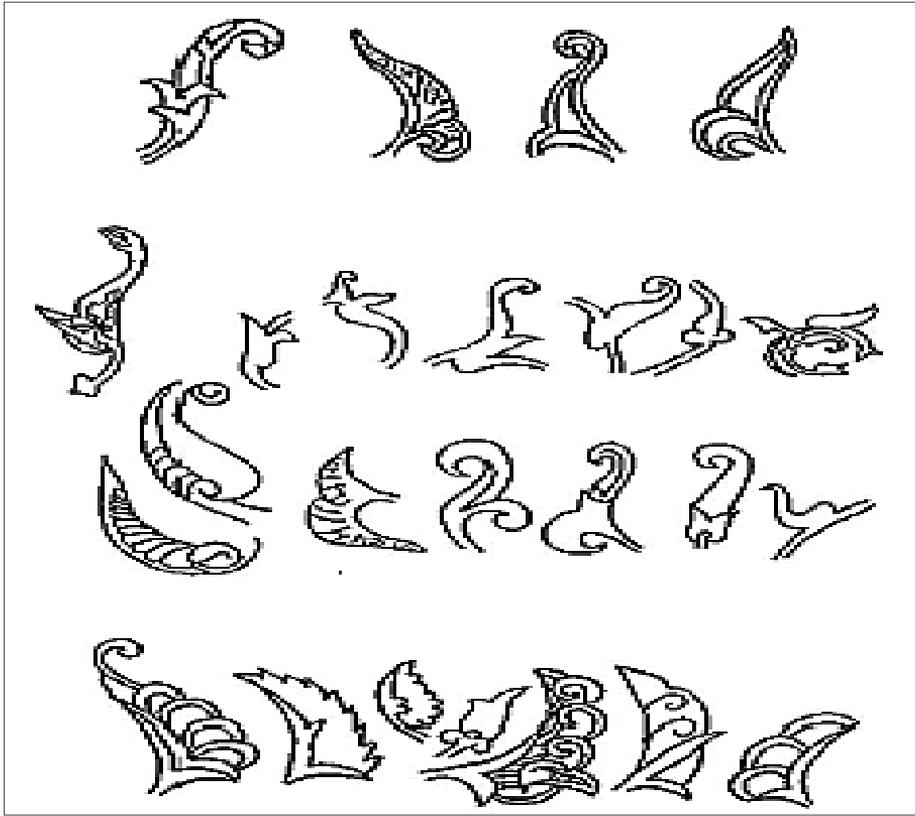
(٥) ينظر: فنون الإسلام، زكي محمد حسن، دار الرائد العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨١م، ص ٢٥٠.

(٦) ينظر: أشغال الخشب في العمائر الدينية العثمانية، شادية الدسوقي كشك، ص ١٦٠.

(٧) ينظر: الرقش العربي وفلسفة الفن الإسلامي، عفيف البهنسي، مجلة العربي، العدد ٣٧٥، فبراير ١٩٩٠م، ص ١٩١-١٩٢.

(٨) ينظر: مجلة فنون عربية، صلاح استيتيه، العدد السادس، المزمرة الثانية، ١٩٨٢م، ص ٩٩.

(٩) ينظر: الفنون الزخرفية في العهد العثماني، محمد عبد العزيز مرزوق، ص ٧٦.



صورة (٢٢٣): العناصر النباتية المكونة لزخرفة الرومي المتطورة عن أنصاف المراوح النخيلية (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٦).

وقد اعتمدت هذه الزخرفة على العناصر النباتية المستوحاة من عالم النباتات كالأزهار والثمار والأوراق والأشجار والسيقان، إضافة إلى أشكال الطيور والحيوانات المحورة والبعيدة عن الواقع إلى درجة يصعب التعرف عليها، حيث تبدو زخارف نباتية بحتة قوامها الأفرع النباتية المحورة والأوراق النباتية ذات الفصين والبراعم النباتية وأنصاف المراوح النخيلية المنفذة بشكل محور تشبه منقار الطائر في أشكال متعكسة^(١)، وتتداخل هذه الوحدات الزخرفية مع بعضها، فهو فن يقوم على اختصار خطوط الزخرفة النباتية المؤلفة من براعم وأوراق متفرعة ومتصلة ومتنوعة دائمة الاتصال^(٢).

(١) ينظر: دراسات في الفن التركي، عبد الله عطية عبد الحافظ، ص ٧٢.
 (٢) ينظر: الزخارف النباتية على الفنون التطبيقية، هند علي سعيد، ص ٢٤٥.

وجاءت هذه الزخارف المحورة ممثلة في زخرفتي الرومي والهاتاي^(١) في جميع عمائر الدراسة، فوجدت في بواطن العقود الحاملة للقباب وبواطن القباب وأنصافها تتخلل الزخارف الهندسية وتملأ مساحتها بشكل متداخل في عمائر خاصكي خرم سلطان، وعمائر مهرماه سلطان لا سيما الجوامع في بواطن القباب وإطارات النوافذ في المستويات العلوية من جامع مهرماه سلطان بأدرنة قاي، وعمائر نوربانو سلطان لا سيما الجامع وعلى البلاطات الخزفية التي تكسو جدار المحراب، وعلى البلاطات الخزفية في جينيلي جامع لماهيكركو كوسم سلطان إلى جانب الجدران، وعلى عمائر خديجة تورخان سلطان، وعلى زخارف السبيل والبلاطات الخزفية بتربة خديجة تورخان بإمينونو.

وعلى الرغم من تنوع العناصر النباتية والعناصر الأخرى المكونة لهذه الزخرفة، إلا أنها تعتمد بشكل أساسي على أنصاف المراوح النخيلية والتي تمتد في تماوج بين العناصر الأخرى، ويحتاج تنفيذ تلك الزخرفة إلى دقة متناهية من الفنان إلى جانب مرونة أسلوب تنفيذها نظرًا لتكوينها بشكل هندسي متكرر، وهو الأمر الذي يدل إلى جانب دقة رسمها في كل منها على أن الفنانين استعملوا أسلوب الزخرفة بالقالب في تنفيذ تلك الزخارف، حيث لا يمكن رسمها جميعًا بتلك الدقة على يد فنان بكل جزء أو منطقة زينت بها تلك الزخارف.

ب) الزخارف النباتية القريبة من الواقع^(٢):

استخدم العثمانيون أسلوبًا واقعيًا يمثل الطبيعة أصدق تمثيل بل يمثلها في أبهى صورة وأجمل حلّة، وقد اعتمد الفنان العثماني على هذا النمط من الزخرفة بصورة أساسية في مختلف منتجات الفنون التطبيقية إلى جانب العمائر المختلفة، حتى شكلت نسبة تلك الزخارف إلى الزخارف الأخرى المستخدمة في الزخارف عامة ما يقرب

(١) وهي زخارف نباتية محورة بها مسحة صينية قوامها الزهور والأوراق النباتية المحورة بطريقة صينية تشبه السحب الصينية، وهي أكثر تعقيدًا من زخرفة الرومي، وقد استعملت أول الأمر في بلاد التركستان الشرقية التي كان يطلق عليها «الخطا أو الهاتا»، ومن ثم أخذت الاسم منهم. ينظر: الفنون الزخرفية في العهد العثماني، محمد عبد العزيز مرزوق، ص ٧٧؛ والخزف التركي، سعاد ماهر، ص ٦٦؛ وعمائر المرأة الدينية، ربهام يمينا عبد العال، ص ٣٨٠، حاشية رقم ١، مرحلة من ص ٣٧٩.

(٢) وهو الطراز الذي تسميه د. سعاد ماهر بطراز الرسوم النباتية والزهور. ينظر: الخزف التركي، سعاد ماهر، ص ١١٦.

من ٧٥٪^(١)، وقد ظهر هذا الأسلوب الواقعي في الزخارف النباتية في العهد العثماني في أثناء النصف الثاني من القرن ١٠ هـ/ ١٦ م، وقد اختلف مؤرخو الفنون حول الأسباب التي أدت إلى استخدام الأسلوب الواقعي في الفن العثماني، فمنهم من يرى أن هذا الأسلوب الجديد وليد تأثير الفن العثماني بفنون عصر النهضة في أوروبا^(٢)، ومن جهة أخرى يتفق مجموعة من الباحثين الترك وعلى رأسهم جلال الدين أرسفان وأوقطاي أصلان أبا وتحسين أوز، على أن هذا الأسلوب الفني الجديد إنما هو انعكاس لما طبع عليه الشعب العثماني من حب الطبيعة منذ بداوته وعشقه الشديد للزهور ومختلف أنواع الورود التي كانت تنمو في بيئة بلاده، وتمثل ذلك في عناية السلاطين أنفسهم ووزرائهم بالزهور، وتشجيع زراعتها واستنباط سلالات جديدة منها، وإقامة الحفلات للزهور، ومنح المكافآت المالية لأصحاب أجمل تلك النباتات^(٣).

وقد تمثلت تلك الزخارف القريبة من الواقع أو المحاكية له في أشكال النباتات والتوريقات والوريدات متعددة البتلات والأوراق مختلفة الأحجام، وأبرزها الورقة الرحيمة المسننة التي تُعدّ أكثر عناصر الزخارف النباتية استخدامًا، والأزهار ولا سيما زهور القرنفل واللالا والرمال والخرشوف، والورود بمختلف أشكالها، وباقات الورد الجوري أو الزهريات، إلى جانب رسوم الأشجار ومن أهمها أشجار السرو والنخيل، وثمار الفاكهة مثل: الرمان والكمثرى وغيرها^(٤).

ومن المميز في تنفيذ تلك الزخارف الواقعية أنها لم تُتمثّل وحدها مستقلة بل كان الفنان يمزج فيما بينها بمهارة فائقة، بل نفذت كوحدة نباتية متكاملة ملتوية أو حلزونية أو متقاطعة، وعلى الرغم من أن الروح الزخرفية سادت معظم التصميمات الفنية فإن الفنان في كثير من الأحيان كان يرسم هذه العناصر وكأن الحياة تدب فيها^(٥).

(١) ينظر: الفنون الإسلامية في العهد العثماني، ربيع حامد خليفة، ص ٧٥.

(٢) ينظر: الخزف التركي، سعاد ماهر، ص ٧٢.

(3) Les Arts Decorative Turcs (op. cit), (C. E. Arseven), P. 59.

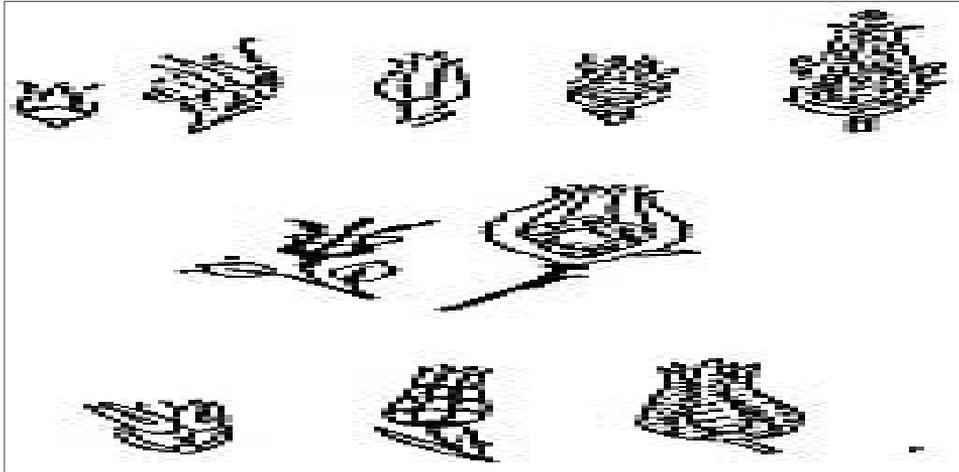
(٤) ينظر: فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، شادية الدسوقي كشك، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ٢٨٣.

(٥) ينظر: الزخارف النباتية على التحف التطبيقية، هند علي سعيد، ص ٢٥٩.

(١) الزهور:

لم يُعرف على مر التاريخ شعب أحب الزهور وأغرم بها مثلما أحبها بنو عثمان، فقد كانت عندهم رمزاً للولاء والحب والإخلاص، وقد عرف عن الأتراك شغفهم بالزهور وإقبالهم الشديد عليها، ومنذ سنة ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م في أثناء عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٤هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م) تم الإقبال على استنبات أنواع جديدة من الزهر والورود^(١).

وقد نفذت الأزهار زخرفياً بمجموعة من المراحل منها مرحلة البرعم قبل أن تتفتح الأزهار، ومنها مرحلة التفتح الجزئي والتي تكون فيها أوراق الزهرة الداخلية مغلقة ومن ثم فهي تتجه رأسياً، وتظهر أكثر ما يكون في زهور اللالا والقرنفل عنها في الزهور الأخرى، ومرحلة التفتح بعدما تكون الزهرة تامة التفتح، وتكون الزهرة فيها مركزية يظهر منتصفها بشكل لا يوجد في المرحلتين السابقتين.



صورة (٢٢٤): نماذج لزهرة اللالا في الفنون العثمانية
(نقلاً عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٧).

(١) ينظر: التأثيرات الإيرانية والصينية على خزف إزنيك خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (١٦-١٧م)، آمال منصور محمد، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٦٤.

وقد استخدمت زهرة اللالا (صورة: ٢٢٤) في الزخارف الموجودة أعلى نوافذ حرم الصلاة بجامع خاصكي خرم سلطان، وفي تربتها بمجمع السليمانية، وفي جامع مهرماه سلطان بإسكدار، وفي البلاطات وزخرفة التغطيات الجصية لبعض نوافذ جامع مهرماه بأدرنة قاي، وفي جامع نوربانو سلطان، وفي البلاطات الخزفية في جينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان، وفي مواضع متفرقة كثيرة من جامع خديجة تورخان بإمينونو، إذ وجدت على غالبية البلاطات الخزفية التي تكسو جدران الجامع، والدعامات، والبلاطات الخزفية بتربتها أيضًا.

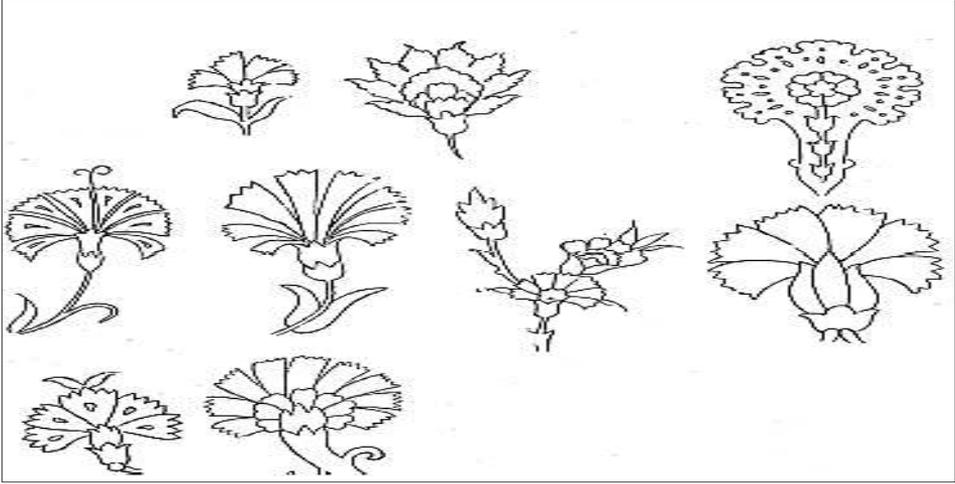
وإلى جانب زهرة اللالا فقد استخدمت زهرة القرنفل هي الأخرى على نطاق واسع (صورة: ٢٢٥)، لتأتي في المرتبة والأهمية بعد زهرة اللالا مباشرة، حيث نفذت بعدة أشكال هي الأخرى، وهي زهرة تنبت في بعض جزر الهند وتشبه الياسمين^(١)، ولهذه الزهرة تاريخ طويل من الاستنبات حيث زرع منها نحو ٣٠٠ نوع مختلفة الألوان، فمنها الأبيض والأصفر الفاتح عبر ظلال والوردي والأحمر^(٢)، ولأزهارها عطر فواح، وتعني في التركية «Karanfil»، ويرجع بعض المؤرخين أنها وجدت في فرنسا وشمال إيطاليا من عصور بعيدة، في حين يرجع البعض الآخر أصل وجودها إلى شمال إفريقيا ومنها انتشر إلى أنحاء العالم كافة، والحقيقة أن النهضة الحقيقية لإنتاج أحدث أنواع القرنفل وتحسين أصنافه لم تبدأ إلا في القرن ١١ هـ / ١٧ م، على الرغم من وجودها منذ بداية العصر الإسلامي في زخارف فسيفساء قبة الصخرة^(٣)، حيث أخذت بوادر الأصناف الجديدة تظهر في الأسواق وازداد الاهتمام بها، وبدأ الهواة والمحترفون يتسابقون في إقامة المعارض لأزهارهم، وخصصت جوائز ثمينة لأجودها، وقد أغرم بها العثمانيون الذين وصلت إليهم عن طريق التأثيرات الفارسية المقتبسة من الفن الصيني^(٤).

(١) ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «في الحيوان والنبات والمعادن»، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، ج ٢٠، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٣٨٤.

(٢) ينظر: الزخارف النباتية على التحف التطبيقية، هند علي سعيد، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) ينظر: النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن ٨-١١ هـ / ١٤-١٧ م «دراسة أثرية فنية»، عائشة عبد العزيز أحمد التهامي، مخطوط رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٧٩.

(٤) ينظر: الزخارف النباتية على التحف التطبيقية، هند علي سعيد، ص ٢٧٤-٢٧٥.

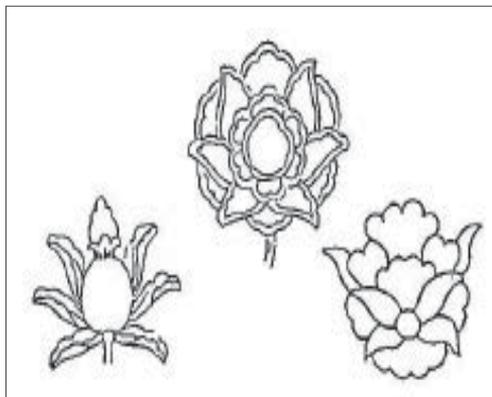


صورة (٢٢٥): نماذج لزهرة القرنفل في الفنون العثمانية
(نقلًا عن: الجامع المدرسة، السباعي، شكل ٢١٤).

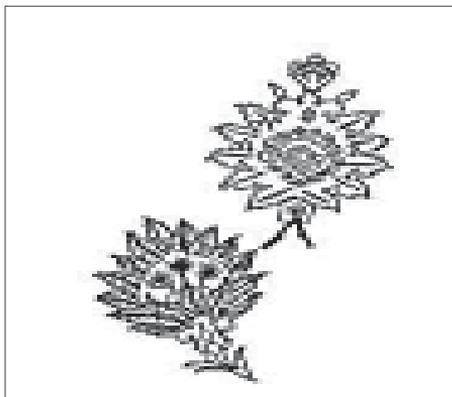
وانتشرت زهرة القرنفل إلى جانب زهرة اللالا في عمائر الدراسة، فوجدت ضمن عناصر زخرفة القبة المركزية وإطار نوافذ المستوى العلوي بجامع خاصكي سلطان، وفي سقف المحفل بجامع مهرماه بإسكدار إلى جانب قباب السقيفة، وفي البلاطات الخزفية بالجوامع التي تميّزت بتكسياتها، مثل: جامع نوربانو سلطان، وجامع ماهبيكر كوسم سلطان، وحمّام ماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار، وجامع وتربة خديجة تورخان سلطان بإمينونو، إلى جانب زخرفة مسند (مؤخر) كرسي المقرئ وأسقف المستوى الأول للرواق الداخلي لبيت الصلاة بجامع خديجة تورخان سلطان.

وكذلك وجدت بعض الأزهار الأخرى إلى جانب زهرتي اللالا والقرنفل، ومن أمثلة تلك الأزهار كلٌّ من: زهرة الخرشوف (صورة: ٢٢٦) وهي تتخلل زخرفة الرومي وأشكال المزهريات، وزهرة الرمان (صورة: ٢٢٧) التي ترمز إلى الخصوبة عند سكان منطقة آسيا الوسطى^(١).

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٩٩.



صورة (٢٢٧): أشكال مختلفة لزهرة الرمان (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٧٠٠).



صورة (٢٢٦): زهرة الخرشوف المحورة والمركبة (نقلًا عن: المنشآت التجارية، محمد أحمد ملكه، ص ٦٩٩).

٢) الوريدات متعددة البتلات والأوراق النباتية:

تنوعت الوريدات متعددة البتلات بشكل عام ما بين ثلاث وأربع وخمس وست بتلات في الغالب، حيث نفذت وهي تتخلل الفروع النباتية مع الأزهار في شكل متناسق، وتختلف أحجام الوريدات، فمنها ما نفذ بحجم صغير، ومنها ما نفذ بشكل أكبر، وقد أحدث الفنان العثماني تنوعًا كبيرًا في تصميم تلك الوريدات فجاءت بعض الوريدات ثلاثية البتلات تشبه الورقة النباتية ثلاثية الفصوص، في حين أن بعضها اتخذت بتلاتها أشكالًا مختلفة.

أما الأوراق النباتية فقد كانت من أهم العناصر الزخرفية النباتية في العهد العثماني، فقد نفذها الفنان في بعض الأحيان بأسلوب طبيعي من حيث الشكل واللون، وتتخذ مظاهر وأشكالًا مختلفة، فمنها الأوراق البسيطة ومنها الأوراق المركبة، وفي أحيان كثيرة لم يكن الفنان يتقيد بلونها الطبيعي ولا بأحجامها الأصلية بالألوان البيضاء على أرضية زرقاء، وأحيانًا بالألوان الحمراء على أرضية زرقاء اللون، فكان الفنان يضيف إليها من خياله الفني ما يجعلها أكثر رشاقة من الناحية الزخرفية، وترتبط الأوراق بالسيقان والأفرع، حيث كانت تنفذ بأسلوب تشابك السيقان والأفرع وامتدادها وتداخلها بحيث يتفق مع الانحناءات والأقواس.

وقد مثلت الوريدات عنصرًا مهمًا انتشر كزخرفة في غالبية منشآت الدراسة، سواء

في الحمامات التي تكتنف محراب جامع جُلُفم خاتون بإسكُدار، أم العِشمة الملحقة بمجمع مهرماه سلطان بإسكُدار، وفي زخرفة النوافذ في المستوى الأوسط والعلوي بجدار القبلة لجامع مهرماه بأدرنة قاي، وفي خوذة قبة جامع نوربانو سلطان، وخوذة قبة چينيلي جامع بإسكُدار، وفي سقف محفل جامع خديجة تورخان^(١).

وفي أحيان أخرى كان الفنان يرسمها وهي تخرج من المزهريات بأسلوب محور عن الطبيعة، ولعله كان يرى في ذلك جمالاً جديداً من وحي الخيال، وكان الفنان يمزج بين الأوراق النباتية والزخارف الزهرية في رسم زخارف نباتية أخرى داخل الأوراق لتصبح أوراقاً مركبة^(٢)، وقد كان من أهم تلك الأوراق النباتية التي فضلها العثمانيون في زخارفهم أوراق العنب والأكانتس والأوراق ثلاثية وخماسية الفصوص بالإضافة إلى الأوراق الرمحية المسننة، وقد مثلت الأوراق النباتية نسبة كبيرة بين الزخارف النباتية في جميع عمائر الدراسة، سواء في الجدران أم العناصر المعمارية العامة والخاصة داخل المساجد، أم على التكسيات الخزفية، أم متخللة لزخارف بواطن العقود، أم كأرضية ترسم عليها الزخارف، أم كإطار للزخارف الموجودة.

كما وجدت كذلك الأوراق الثلاثية والخماسية، وكانت الأوراق النباتية الثلاثية أكثرها وقد نفذت بشكل يشبه نصل السيف^(٣)، وهو شكل متطور عن أنصاف المراوح النخيلية ذات الفصين بعد اختزال الفص الصغير^(٤)، وقد استخدمت تلك الزخرفة على نطاق ضيق في أثناء العهد السلجوقي وخاصة على رسوم الخزف السلجوقي في القرن ٧هـ/ ١٣م، كما شاع استخدامها في شكل الورقة الكأسية المستخدمة على فن النحت السلجوقي^(٥)، ومنه انتقلت إلى العهد العثماني وشاعت على مختلف الفنون العثمانية، وإن كان أكثرها على البلاطات الخزفية والواجهات المحفورة.

(١) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ٣٨٣.

(٢) ينظر: المناظر الطبيعية في التصوير العثماني في تركيا ومصر «دراسة أثرية فنية مقارنة»، أمين عبد الله رشدي، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ١٥٥.

(٣) ينظر: المدارس الباقية في قونية والقاهرة، طلال محمود الشعبان، ص ٤١٠-٤١١.

(٤) ينظر: الزخارف النباتية على التحف التطبيقية، هند علي سعيد، ص ٣٣٣.

(٥) ينظر: أثر الفن السلجوقي، منى محمد بدر، ص ١٢٦-١٥٣.

ثانياً: النقوش والزخارف الهندسية:

لعبت النقوش والزخارف الهندسية دورًا كبيرًا في حياة الفنان المسلم، واستخدمها بكثرة بسبب ما أشيع حول كراهية التصوير في الإسلام^(١)، وقد تنوعت الزخارف الهندسية المستخدمة على جدران العمارات الوقفية (موضوع الدراسة) فشملت: الخطوط بأنواعها (المستقيمة، والمائلة، والمنكسرة، والتموجة)، ومن المربع والمستطيل والمعين والمثلث والدوائر والعقود بأشكالها المختلفة، إلى جانب الأشكال السداسية والمثمنة ومتعددة الأضلاع.

استخدمت الزخارف الهندسية في فنون ما قبل الإسلام بطريقتين: الطريقة الأولى بسيطة عبارة عن تكرار لشكل هندسي كالمثلث مثلاً، في اتجاه واحد أو أكثر وبالوضعية ذاتها، والطريقة الثانية هي الأكثر تطوراً وهي تكرار خط بحيث يمثل شكلاً معيناً بطريقة منتظمة، ويتكون من خلالها شكل زخرفي غير تقليدي، وقد انتشر هذا النوع من الزخرفة في الفنون الإغريقية والرومانية^(٢)، وأخذ المسلمون هذه الزخارف وطوروها حتى ابتكروا زخارف هندسية لم تكن معروفة من قبل، ومن أشهر الزخارف الهندسية الموجودة بعمائر الدراسة:

(١) الأطباق النجمية:

مثّلت زخرفة الأطباق النجمية أهم الزخارف والنقوش الهندسية وأكثرها انتشاراً^(٣)، التي كانت تنفذ إما محفورة وإما بأسلوب التفريغ والتخريم، كما تطورت الزخارف الهندسية على يد الفنان المسلم حتى صارت ترسم لذاتها وأصبحت عنصراً زخرفياً أساسياً من عناصر الزخرفة في الفنون الإسلامية، وبلغت ذروة هذه الزخرفة في العصر الإسلامي في عنصر الأطباق النجمية وهي التراكيب الهندسية الأشكال المتعددة والمجمعة على هيئة نجوم^(٤)، وكانت بداية ظهور الأطباق النجمية في مصر في القرن ٦هـ / ١٢م على محراب السيدة رقية سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م^(٥)، وبدأت

(١) ينظر: فنون الإسلام، زكي حسن، ص ٢٤٨.

(٢) ينظر: الأبعاد الفكرية في الفن الإسلامي، معجب الزهراني، ص ١٨٥.

(٣) ينظر: الخزف التركي، سعاد ماهر، ص ١٠٦.

(4) Elements De L'art Arabe, Le Trait Des Entre Laces, (Jules Bourgoïn), Firmin-Didot Et Cie, Paris, 1918.

(٥) ^٥ ينظر: الفنون الإسلامية، سعاد ماهر، ص ٢٠٣؛ وفن الصدفكاري، شادية الدسوقي كشك، ص ٨٧٢-٨٧٣.

هذه الزخرفة على الأخشاب بأسلوب الحشوات المجمعثة ثم انتشر كزخرفة إسلامية تستخدم بأسلوب الرسم أو النقش أو التكسية على الحوائط والجدران أو في بواطن الأقبية والقباب^(١).

أما في عمائر الدراسة فقد وجدت في عدد من المنابر الرخامية في الدرايزين وريشتي المنابر، وقد نفذت فيهما بأسلوب التفرغ والتخريم، وقد وجدت محفورة على مصاريع النوافذ بكلية مهرماه سلطان بإسكدار، وجامع كلية نوربانو سلطان بإسكدار أيضًا، وفي حشوات مصاريع مداخل بيت الصلاة بمسجد خديجة تورخان سلطان بإمينونو.

(٢) الزخارف النجمية:

استخدمت أشكال النجوم المختلفة (سداسية- مثمانية) كعنصر زخرفي في العمائر (موضوع الدراسة)، وجاءت متداخلة مع الزخارف الهندسية الأخرى، تنشأ النجوم عند تقاطع الدوائر المتقاطعة أو المتداخلة، كما في درايزين شرفة مؤذنة خاصكي سلطان، ودرابزين منبر مهرماه سلطان بإسكدار.

وجاءت الزخارف النجمية في مواضع أخرى وبمواد خام مختلفة، وتمثل ذلك في وجودها ضمن التفرغات التي نشأت عن طريق تكسية نوافذ رقبة قبة مهرماه سلطان في أدنة قابي بالحص، وقد تم ملأ فراغات هذه الزخارف بالزجاج الملون لتعطي قيمة فنية عالية وتضيف هبة وهيمنة لرونق القبة، وجاءت أيضًا في مناطق الانتقال الحاملة لأنصاف القباب في جامع نوربانو سلطان بإسكدار كعنصر زخرفي إلى جانب غيره من الزخارف الهندسية، وفي إمينونو وجدت أيضًا في زخرفة أنصاف القباب بجامع خديجة تورخان سلطان^(٢).

(٣) زخرفة الخورنق والبخاريات:

تشبه زخرفة الخورنق هيئة قريبة من البخاريات، ووجدت معًا جنبًا إلى جنب في زخرفة بواطن كثير من القباب المركزية وأنصافها في العمائر الوقفية (موضوع

(١) ينظر: مدينة حيس اليمينية «تاريخها وآثارها الدينية»، عبد الله عبد السلام صالح، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص ٥٤.

(٢) ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ص ٣٨٦.

الدراسة)، إذ نفذت على هيئة أشرطة أو أفاريز تُوَطر بداية خوذة القبة من فوق الرقبة مباشرة كما في جامع مهرماه سلطان بإسكدار، وجامع خاصكي خرم سلطان في أورتابازار، إذ جاءت كإطار لباطن القبة من فوق الرقبة مباشرة باللون الأحمر وتملؤها الزخارف النباتية المحورة من زخارف الرومي، وجامع نوربانو بإسكدار، وجامع خديجة تورخان بإمينونو، ولم تقتصر على زخرفة بواطن القباب، بل وجدت أيضًا بأسلوب التفريغ في زخرفة ريشتي منبر جامع مهرماه سلطان بأدرنة قابي، وأما البخاريات فقد وجدت تملأ بواطن العقود في هيئة أشرطة أو أفاريز متتالية بالتناوب مع أفاريز أخرى، وقد ملئت جميع مساحة هذه الزخارف بالزخارف النباتية ممثلة في زخارف الرومي والزهور والثمار التي اشتهرت بها المملكة النباتية العثمانية، وهو ما يدل على مدى حب الفنان العثماني للزخرفة والتزيين، إذ ما كان يترك موضعًا بدون زخرفة، وجاءت البخاريات في مواضع أخرى كعنصر زخرفي، إذ لم يقتصر استخدامها على بواطن العقود، فتراها تملأ الأماكن الموجودة بين نوافذ رقبة قبة جامع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار، وزخرفة رقبة قبة جامع مهرماه بأدرنة قابي، ووجدت زخارف البخاريات أيضًا منفذة على بعض البلاطات الخزفية، مثل: البلاطات التي تكسو جدار المحراب بجامع نوربانو سلطان بإسكدار، ووجدت في القرن ١١هـ / ١٧م أيضًا في زخرفة قباب الرواقين الجانبيين بصحن جامع خديجة تورخان بإمينونو.

(٤) زخرفة الجوامع المستديرة ومتعددة الأضلاع:

استخدمت الجوامع كثيرًا في العماير الوقفية (قيد الدراسة)، فاستخدمت في زخرفة مناطق انتقال القباب لتسجل فيها نقوش كتابية تتضمن أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، وأحيانًا لفظ الجلالة، وأحيانًا صيغة (محمد رسول الله)، وقد وجدت في مناطق الانتقال بجامع نوربانو سلطان بإسكدار، وجاءت أسماء الخلفاء الراشدين بواقع اسم مع صيغة الترضي داخل جامة متعددة الأضلاع بكل ركن من أركان منطقة الانتقال بجامع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار، وجاءت الجوامع المستديرة كزخرفة أعلى المحاريب في بعض مساجد الدراسة، مثل محراب جامع

جُلِّفم خاتون بإسكُدار، واستخدمت الجمامات كعنصر زخرفي يزين بواطن القباب وأنصافها لتنقش أو تكتب فيها بالألوان الاقتباسات القرآنية المذكورة سابقاً في مبحث النقوش الكتابية في جامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وجامع نوربانو سلطان بإسكُدار وجامع خديجة تورخان بإمينونو.

وقد استخدم نوع من الجمامات المتداخلة أو المتقاطعة لتشكيل فيما بينها زخارف أخرى هندسية مختلفة، وقد جاءت هذه الجمامات في الغالب دائرية الشكل منفذة بالتخريم أو التفريغ، وظهرت أكثر ما يكون في درابزينات المنابر الرخامية: كمنبر جامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، ودرابزينات شرفات المآذن ودرابزينات المحافل كذلك، كمئذنة خاصكي سلطان، ومئذنة نوربانو سلطان، ومحفل جامع خديجة تورخان سلطان بإمينونو.

(٥) زخرفة المعينات:

وقد وجدت زخرفة المعينات بكثرة، إذ إن غالبية تيجان الأعمدة الرخامية التي ترفع عقود بوائك المنشآت (قيد الدراسة) نقشت عليها زخارف المعينات، حتى عرفت الأعمدة بها ونسب إليها نوع من التيجان عرف باسم التيجان ذات المعينات (تشبه البقلاوة)، إلا أنها ظهرت كعنصر زخرفي أيضاً نفذ بالحفر أو التفريغ في عدد من المنشآت الوقفية لنساء القصر العثماني (قيد الدراسة)، وجاءت مثلاً بدرابزين منبر جامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، ودرابزين شرفات مآذن جامع نوربانو سلطان بإسكُدار، ودرابزين شرفات المئذنتين بجامع خديجة تورخان بإمينونو.

وقد جاءت براعة المسلمين في استخدام الزخارف الهندسية زخرفياً كامتداد لما برعوا فيه من علوم، ولا سيما علم الرياضيات، ووصلوا في ذلك إلى مرتبة لا تكاد تدانى طبقاً لما طبقوه، ولم تكن الزخارف عند الفنانين المسلمين وحدات منفصلة ومكررة كما هو الشأن عند غير المسلمين غالباً، وإنما وُضِح فيها الفنان المسلم عناصر الإنسيابية والاستمرار، فالمتتبع للخط في هذه الرسوم يجد أنه يعطي إحساساً بالاستمرار إلى ما لا نهاية، وقد يقف وقفة قصيرة ولكنه ما يلبث أن يستمر واثباً أحياناً فوق الخطوط الزخرفية الأخرى أو عابراً من تحتها أو متجاوزاً معها فتظلم

فيه صفة السعي الدائم والإنطلاق المستمر، بحيث لا يُعرف منه بداية الزخرفة ولا تُدرك فيها النهاية^(١).

وإلى جانب الزخارف السابقة فقد وجدت الزخارف الزجاجية أو الدالية في بعض الزخارف، ومنها -على سبيل المثال- الإطار الذي يعلو چشمة خاصكي خرم سلطان، ووجدت المقرنصات أيضًا كعنصر زخرفي تنتهي به واجهات العمار الخارجية أو جدرانها الداخلية، والمهم من ذلك أن الفنان العثماني لم يقتصر على تلك الزخارف الهندسية حال تنفيذها كعنصر زخرفي على العمار، وإنما نفذها فوق أرضية مملوءة بالزخارف النباتية المختلفة بلون مختلف عن لون الزخارف الهندسية، وملاً الفراغات الداخلية بينهما بزخارف أخرى أيضًا لتتناغم الزخارف مع بعضها البعض لتظهر في أجمل هيئة تبهر الناظر لها وتخطف بصره لساعات في محاولة إدراك ماهيتها وأسلوب تنفيذها ومعرفة بداياتها ونهاياتها، ووجدت الزخارف النجمية أيضًا في أكثر من موضع من بواطن القباب ورقاب القباب في منشآت الدراسة.

(١) ينظر: أثر العقيدة الإسلامية في فن الزخرفة، نجاة شاكر زيدان، ص ٨٢.





ملحق الدراسة

يتناول ملحق الدراسة أرباب الوظائف طبقاً لوثائق الوقف وشروط التوظيف والراتب اليومي، تطبيقاً على وثائق وقف بعض العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول

ملاحظة: وردت الصفات والتسميات والمهام الخاصة بأرباب الوظائف بوثائق الوقف الخاصة بالعمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول (قيد الدراسة)، ومن ثم فإن دراستها تفيد في تحديد قيمة الوقف وضخامته، وأما من حيث الرواتب فإن القيمة ذكرت لكل وظيفة بعينها منفصلة عن غيرها، واعتمدت الوقفيات على العملات الفضية كتحديد قيمة الراتب اليومي، فضمت بعض الوقفيات اسم (الدرهم الفضي) كما في وقفتي كل من خاصكي خرم سلطان، ونوربانو سلطان، وهي اللفظة الغالب استعمالها حتى في بعض الوقفيات المسجلة بالتركية العثمانية، كما ورد مصطلح (الآقجة) أيضاً، وهو الاسم التركي للنقد الفضي الأبيض، وهو الذي ورد بوقفية خديجة تورخان سلطان، ومن ثم فأى كلمة منها تحل محل الأخرى ولا اختلاف في القيمة أبداً ولا المعنى.

الجزء الأول

الوظائف

تنقسم الوظائف إلى مستويات وأنواع ومنها: الوظائف الإدارية، والحرف الخدمية، والمهن المختلفة بين مهن تعليمية وأخرى طبية، إضافة إلى حرفيين وصناع وغير ذلك مما زخرت به وثائق الوقف.

أولاً: الوظائف الإدارية العامة

وهي الوظائف التي تسيّر وتدير العمل بالعمائر الموقوفة، وعلى رؤوس أصحاب هذه الوظائف يقع عاتق العمل وانضباطه وجمع ريعه وإنفاق مصارفه من رواتب وممرات وغير ذلك، وكان العمل بهذه الوظائف دائماً أي: يتابع كل ربّ وظيفة أعماله على مدار اليوم من دون تقصير، فليس لعمله وقت ينتهي فيه من عمله

ما دام على قيد الوظيفة وما استمرت الموقوفات والأوقاف، وتكون بعض هذه الوظائف في موضع العمائر الموقوفة، وبعضها بعيداً كالجباة مثلاً والذين يتم تعيين كل جابٍ منهم في موضع على حسب وجود المسبلات وإيراداتها؛ وذلك لجني ثمرات المسبلات الموقوفة على الأوقاف المعمارية، وفي غالب الأمر ينقسم هؤلاء إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: ومهمته الإشراف على الأوقاف كالمتولي أو نائبه أو الناظر.

القسم الثاني: ومهمته جباية المسبلات والغلات: وهم كما عرفتهم وثائق الوقف جباة الأوقاف.

القسم الثالث: وهم الكتّاب (أو المحاسبون بالمعنى الحديث): وهم على درجات يعلوهم كاتب المتولي يليه كاتبو الجباة.

(١) المتولي: وهو أعلى الوظائف وأرفعها درجة وأكثر الموظفين راتباً، إذ إنه المسؤول الأول والمباشر عن جميع ما يدخل ضمن إطار وقفه، ولا بد أن تتوافر فيه شروط معينة لاعتباره في الوظيفة، ومما ورد في وقفية خاصكي خرم سلطان أنها: «شرطت أن ينصب لإقامة مصالح كافة الموقوفات بجملتها، ورعاية مهات عامة المسبلات برمتها؛ في البناء والتعمير والاستغلال والشمير والقبض والبسط والحفظ والضبط والأخذ والعطاء والاستيفاء والإيفاء والحل والعقد والقبول والرد والجمع والتفريق، وغير ذلك من كل جليل ودقيق، متولي عاقل أمين كامل ذو رأي رزين.... صائب رصين، ممتاز فيما بين أهل زمانه، مبرز على أمثاله وأقرانه معروف بالأمانة والديانة، وموصوف بالاستقامة والصيانة، مأمون الميل إلى الحرام، مصون الذيل عن ارتكاب الآثام، لا يقصر في أداء خدمته، ولا يتوانى في تفريغ ذمته عما وجب في عهده، يجري في الدخل والخرج على أوضح السنن، ويسعى فيها مهما أمكن، ويجد في تعمير الأوقاف وتحصيل الغلات ولا يفوت وقفية في جهة من الجهات، ويستغل (كل) واحد من مستغلات الأوقاف بما يليق به من وجوه الاستغلال على الوجه الشرعي الحلال بغير مساهلة ولا إهمال في أمر من الأمور وعمل من الأعمال»^(١)،

(١) صورة وقفية خاصكي خرم سلطان، ص ٦، ٢-٩.

وقامت بعض الواقفات بتعيين ناظر (مشرف عام) على الوقف إلى جانب المتولي، وكان راتبه أقل من المتولي الأول، كما هو الحال في وقف خديجة تورخان سلطان؛ إذ يتقاضى الناظر ٥٠ آقجة يوميًا، أما المتولي فيتقاضى ١٢٠ آقجة، وغالبًا ما يشغل وظيفة الناظر أغا دار السعادة بصفته مسؤولاً عن أعمال السلطنة الوالدة خارج القصر العثماني^(١).

(٢) كاتب المتولي: وهو لفظ يطلق على كل من يشتغل بالكتابة والتحرير^(٢)، ويشترط أن يُختار من «الأمناء الثقات والعدول الأثبات، موصوف بما فُصل من الصفات، عارف بقوانين الرقم والكتاب، خائف من عذاب الله يوم يقوم الحساب، يكتب في دفتره كل قليل وكثير ونقير وقطمير، من غير تسويق ولا تأخير»^(٣).

(٣) جابي الأوقاف: وهو محصل ورادات الأوقاف وإيجاراتها، ويطلق أيضًا على محصلي الجزية وجامعي الخراج^(٤)، وكان يعين لهذه الوظيفة أكثر من جابٍ تبعًا للمسبلات والموقوفات على اختلاف وتعدد أماكنها وأحجامها، فقد كانت جبايتها تقسم على عدد من الجباة كل منهم يختص بمنطقة أو بعدد معين من المسبلات، وقد كانت لهم شروط ضمتها وثائق الوقف، هي الشروط نفسها الواجب توافرها في المتولي^(٥).

(٤) كاتب الجابي: ويكون ملازمًا للجابي يكتب ما يمليه عليه من دون تأخير، ولا بد من أن تنطبق عليه شروط تعيين كاتب المتولي نفسها^(٦)، وفي حال وجود أكثر من جابٍ فإنه يعين لكل جابٍ كاتبٌ.

(٥) شيخ العمارة: وقد اشترط الواقف فيه أمورًا معينة، ويخصه في وقفية خاصكي سلطان ما نصه: «أن ينصب فيها - أي العمارة - شيخ صالح تقي أمين مستقيم نقي

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٢٩.

(٢) ينظر: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ٩٠١.

(٣) صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ١١-١٢.

(٤) ينظر: المعجم الموسوعي، صابان، ص ٧٧.

(٥) يمكن مراجعة ذلك في صورة وقفية خاصكي خرم سلطان، ص ٦، س ١٣-١٦.

(٦) صورة وقفية خاصكي خرم سلطان، ص ٦، س ١٦ وما بعده.

متورع قانع متوكل متشرع غير طامع، ساكن النفس واسع الأخلاق متواضع للناس على الإطلاق، لين الجانب، هين المنال، رفيق الكلام، طيب المقال، كثير التملق والالتيام، هش بش بسّام، لا فظٍ جاس جاف، ولا غليظ قاس قاف، حلیم سليم غير غضوب، مجتنب عن هتك الأعراض وكسر القلوب، غير متعرض للناس بالقدح والطعن، طاهر اللسان من الشتم واللعن»^(١).

٦) وكيل الخرج: وينبغي أن يُعرف بالأمانة والاتصاف بالديانة، يتولى شراء ما يُصرف في العمارة من المأكولات وغيرها من اللوازم والمهمات^(٢)، وقد يتكرر وكيل الخرج، وبالتالي كاتب وكيل الخرج في عدد من العمائر الوقفية داخل المؤسسة أو الكلية المعمارية الوقفية تبعاً لاحتياجها، فكما تضم العمارة وكيل الخرج وكاتباً له، فإن دار الشفاء أيضاً تضم وكيلاً للخرج وكاتباً له؛ وذلك نظراً لحاجتها اليومية للتسوق والنفقة، ومن ثم احتياجها لمن يختص بشؤون الدخل والخرج فيها وحساباتها إلى غير ذلك^(٣).

٧) كاتب الخرج: وهو شخص يقوم بكتابة جميع ما يدخل للعمارة وما يخرج منها فرعاً وأصلاً، بحيث يتولى حسابات العمارة ويكون مسؤولاً عنها^(٤).

ثانياً: الوظائف الدينية:

وهي الوظائف التي يعمل أصحابها غالباً داخل المسجد أو يقوم أصحابها بالعمل ووهب الثواب للواقف، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

١) الخطيب: وحددت وثائق الوقف أن يكون «موصوفاً بالعلم والزهد والصلاح ومعروفاً بالحلم والرشد والفلاح، يخطب في أيام الجمع والأعياد على ما هو الديدن المعتاد»^(٥).

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٤٣-٤٧.

(٢) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٤٧-٤٩.

(٣) وقد تضمنت وقفية خاصكي سلطان تعيين وكيل خرج وكاتب له بدار الشفاء من دون الاستفاضة في شروط تعيينها، نظراً إلى ضرورة أن تنطبق عليهم الشروط المذكورة للتوظيفتين أنفسهما في العمارة العامرة، ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٣-٤٤.

(٤) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٥٠؛ ص ٨، س ١.

(٥) صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ٢٩-٣٠.

(٢) إمام المسجد: ويشترط أن يكون معروفًا بأنه «عالم نقى تقى دين ومتشرع متورع متدين، عالم بأركان الصلوة وواجباتها وسننها ومستحباتها، يؤم جماعة المسلمين في الصلوات الخمس المكتوبة، وسائر ما يؤدي بالجماعة في الصلوات المعهودة المرغوبة»^(١).

(٣) المؤذن: ويمكن أن يكون أكثر من مؤذن واحد في المنشأة الواحدة، فقد عين في مسجد خاصكي خرّم سلطان مؤذنان، وفي مسجد مهرماه بإسكدار أربعة مؤذنين، فيما بلغ عددهم في وقف خديجة تورخان سلطان ١٢ مؤذنًا^(٢)، ولا بد من توافر شروط معينة فيمن يتولى هذه الوظيفة كما حددتها وثائق الوقف، منها أن يكون معروفًا بأنه عالم «بالأوقات المعهودة، موصوف بالأوصاف المحمودة»^(٣)، وفي حال تعدد المؤذنين فتكون طريقة العمل فيما بينهم «بأن يؤذن كل واحد مع الطهارة بطريقة المناوبة على المنارة»^(٤).

(٤) المعرف (وهو يقوم بدور المبتهل حاليًا): ويشترط أن يكون صالحًا يشتغل كل يوم جمعة بما جرت عليه عادة المعرفين من الحمد والصلوة على الرسول ٢ والدعاء للواقف وأولي الأمر، وكان يشترط فيه أن يكون حسن الصوت طيب الألبان، ويشترك معه المؤذنون، وقد يعين في المسجد أكثر من معرف واحد، فقد اشترطت خاصكي خرّم سلطان أن يعين بمسجدها ثلاثة معرفين^(٥).

(٥) الحفظ أو القراء: إذ اشترط وثائق الوقف تعيين عدد من حملة القرآن المجيد الحميد، ومهارة علم القراءة والتجويد، ويكون أفضلهم في معرفة الفرقان المبين رئيسًا للبقية أجمعين، يقرأ كل منهم كل يوم في أيام الجمعة قبل الصلاة عشر آيات من القرآن، أو عشرين أو أكثر حسب مساعدة الزمان، بحسن الأداء وطيب الألبان،

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ٣٠-٣٢.

(٢) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٣٤، س ٢٠؛ ص ٣٥، س ١٤-١٤. وشرطت الواقعة أن يتم تقسيمهم إلى مجموعتين، وبكل مجموعة ٦ مؤذنين، ويكون أكبرهم وأفضلهم رئيسًا على البقية، ويعملون على طريقة المناوبة، أما يوم الجمعة فينبغي حضور الجميع للأذان وترديد الأدعية مع المنعت، إلى غير ذلك من المهام التي ينبغي اشتراكهم فيها.

(٣) صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ٣٢-٣٣.

(٤) صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ٣٣-٣٤.

(٥) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٦، س ٣٤-٣٦؛ س ٤١-٤٢.

على أسلوب تستلذه الآذان، ويهدون ثواب تلاوتهم وميافي قراءتهم إلى روح النبي ﷺ وأصحابه وآله أجمعين^(١)، ويتبع ذلك طبقاً لشروط الوقف، ويرأسهم أكبرهم أو أعلمهم ويعرف بشيخ القراء.

٦) الموحد (واهب ثواب التوحيد): إذ شرط الواقفون تعيين عدد من الرجال تكون وظيفتهم أن يكرروا كلمة التوحيد ألف مرة ويهبون ثواب هذا العمل لحضرة الواقف، كما هو الحال في وقف خاصكي سلطان^(٢).

٧) المصلي (واهب ثواب الصلاة): وهي وظيفة يقوم أربابها بصلاة عدد من الركعات تبعاً لشروط الوقف وإهداء ثواب صلاتهم لروح الواقفات، وبلغ عددهم في وقف خاصكي اثنين، إذ إن من شروطها «يعين أيضاً رجلان تقيان ظاهرًا الذنب نقيان، موصوفان بالزهد والصلاح والرشد والفلاح، يحضران الجامع الشريف كل يوم بالذات، ويصليان عشرين ركعة في النوافل والتطوعات بتسام الخضوع وكمال الخشوع حسبما هو المعهود في الجوامع السلطانية والمساجد الشريفة الخاقانية، ويهبان ثوابهما لروح حضرة الواقفة»^(٣).

٨) واهب ثواب الحج: وهي من الوظائف أو البنود التي وضعها الواقفون ضمن بنود الصرف والنفقة من ريع الأوقاف التي تجري غلاتها على الوقف، ومما ورد في شأن هذه الوظيفة بوقف خاصكي سلطان: «أن يدفع كل سنة مائة دينار تام الوزن كامل المعيار لرجل صالح أمين، معروف بالزهد والتقوى والدين، مراعي لأحكام الشريعة الشريفة الغراء، متمسك بعروة الملة الحنفية البيضاء، حنفي المذهب سني الاعتقاد، ثابت القدم على سنن الرشاد، وبريء من عقائد أهل الضلال والبدعة، ومكائد أصحاب الرياء والسمعة، مسلم مخلص حنيف متوكل على ربه اللطيف، عارف بمناسك الحج على التفصيل، قادر على أداء أفعاله من غير دليل، قد حج ذلك مرة أو مرات، بشرط أن لا يكون بين جهة من الجهات كي لا يلزم تعطيل خدمته مع إحرازه لوظيفته والاحتياط بإقامة شخص مقامه لينال بذلك مرامه، فإن

(١) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٦، ٣٧-٤٠؛ ص ٤٢-٤٧.

(٢) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٦، ٤٩-٥٠.

(٣) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، ٥-٨.

مرتكب مثل هذه الأفعال بمعزل عن الاتصاف بما شرط من الخصال، فيجب أن يُختار من هو جامع المجموع، ليحتج لها على الوجه المشروع بكمال الخضوع وتمام الخشوع، مراعيًا لأركانه وواجباته من غير إخلال بشيء من مبادئه وأسبابه»^(١).

ثالثاً: الوظائف أو المهن التعليمية:

وهي مجموعة المهن التي يقوم أصحابها بالتعليم والتدريس، أو التلقي والمدارسة، ومن ثم فيكون وجودها إما في المدرسة وإما في مكتب الصبيان، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

(١) المدرس: وهو أجلُّ أصحاب المهن التعليمية الموجودة بالمدارس الإسلامية، وعلى قدر شرفها يكون علو راتب أصحابها، فهم يلون المتولي مباشرة في الراتب، وقد اشترطت وثائق الوقف شروطاً من حيث أخلاق صاحب المهنة، أو أسلوب التدريس مما يدل على أهمية تحصيل العلم لدى الواقفات، ومنها ما ورد في وثيقة وقف خاصكي سلطان: «شرطت الواقفة... أن ينصب فيها - أي المدرسة - من بين جماهير العلماء والأعلام، ومشاهير الفضلاء الفخام، مدرس موصوف بكمال الفضل وفضل الكمال، معروف بوفور العلم والدين بين الأقران والأمثال، مرعي عند صدور الدهر، مرضي لدى موالي العصر، مبرّز على أقرانه، متعَيّن في زمانه، ذو فطنة وقادة، وطبيعة نقادة، واقف على مواقف التحقيق، راصد في مراصد التدقيق، كشاف للمشكلات الدينية، حلال للمعضلات اليقينية، متدرب في عويصات الفنون المحتجبة، وارد أستار الكمون، قادر على الدراسة والإفادة في أي فن كان من الفنون المعتادة، يثابر على دراسة العلوم الشرعية، ويواظب على إفادة المعارف المرعية، في الكتب الفاخرة التي جرت العادة بدراستها، والعيالم الآخرة التي استمرت السادة بإفادتها، في نظائر هاتيك المدرسة الرفيعة، وأتراها الشريفة المنيعة، ولا يخجلي عن الاشتغال وقتاً من الأوقات، وإن كان ذلك أقصر من إيهام القطاة، سوى الأيام المعتادة للتعطيل، فإن الاستراحة فيها من مبادئ التحصيل»^(٢).

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٩، س ٨-١٦.

(٢) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٢٦-٣٤.

(٢) المعيد: ويكون من أنجب الطلاب وأنبغهم، وأحسنهم خُلُقًا، ومهمته أن يعيد الدرس على أقرانه بعد فراغ المدرس منه، «ويتعين للإعادة أمثلهم في الفضائل، وأكرمهم في الأخلاق والشئائل»^(١).

(٣) الطلاب: ويأتون في الدرجة الثانية أهمية في المدرسة لكونهم المتلقي الذي شُيِّدَت لأجل تلقيه العلم هذه الأوقاف، ومن ثم فقد كان الطلاب يُختارون بعناية فائقة، وتُصرف لهم رواتب ومصروفات لضمان انقطاعهم وتفرغهم لتحصيل العلم، وبلغ عددهم في مدرسة خاصكي سلطان ١٦ طالبًا: «ويكون في حجرات المدرسة ستة عشر من الطلبة المستعدين لمزاولة العلوم وممارستها، القادرين على مطالعة الكتب التي جرت العادة بمدارسها»^(٢)، «يلازمون الدرس على الوجه المرعي، ولا يتركونه بغير عذر شرعي، ويقرؤون مع المدرس عند الفراغ من الدرس سورة الفاتحة مع الإخلاص ثلاث مرات، ويصلون على حضرة النبي عليه الصلوات وأكمل التحيات، ويهدون ثواب ذلك إلى روح حضرة الواقعة»^(٣).

(٤) معلم الصبيان: ويقوم بعمله داخل الكتاب (مكتب الصبيان)، ومهمته مقارنة للمدرس غير أنه يقوم الطلاب ويأديهم، ويعلمهم القرآن الكريم وبعضًا من اللغة والصرف، وجاء في شروط تعيينه بوقف خاصكي خرم سلطان: «وأما دار التعليم فيعين لها معلم من أهل القراءة والتجويد ماهر في معرفة القرآن المجيد منعوتًا بالنعوت الجليلة، متخلق بالأخلاق الجميلة، يعلم صبيان المسلمين ويلقنهم الكتاب المبين مع اللغة والصرف على حسب قدرته، ويخفف لهم جناح شفقتهم ورأفته، وينظر إليهم كما ينظر إلى أولاده، في غير فرق بينهم في تعليم وإرشاد، يراعي قوانين التعليم والتأديب، ويهذب أخلاقهم بأكمل تهذيب، ويهتم بشأنهم الاهتمام الحقيقي، ويكون لهم كأنه وليٌّ حميم بل أب شفيق، ولا يدع بينهم من مراهق ويافع، ولا من يتصف بالشقاوة والشنايع»^(٤).

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٣٦-٣٧.

(٢) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٣٥-٣٦.

(٣) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٣٦-٣٩.

(٤) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ١٩-٢٤.

٥) الخليفة: وهو يخلف معلم الصبيان، ويشبه دوره في الكتاب كدور المعيد في المدرسة، فيعيد على الصبيان الدرس، «ويعين لها -لدار التعليم- من الصلحاء الثقات والأمناء الأثبات خليفة تجري على هذا النسق، يعيد على الصبيان الدرس والسبق، ولا يعدل عن المنهاج المزبور في تضاعيف السطور»^(١).

رابعاً: الوظائف والحرف الخدمية:

١) القيم: من أهم الوظائف الخدمية في المنشآت الدينية، ففي المسجد يكون له دور كبير، واشترطت خاصكي حرّم سلطان في وظيفتها على أن يعين بمسجدها «رجلان أمينان قيّمان سراجيان، يفتحان الأبواب ويغلقانها وقت الحاجة إلى الفتح والغلق حسبما يقتضيه مصالح الخلق، ويوقدان السراج والقناديل من غير إخلال ولا تعطيل، وقيمان مراسم خدمة الجامع الشريف من الكنس والتنظيف، ويأتيان بصندوق الأجزاء بين أيدي القراء، وبعد القراءة يرفعانه، وفي محله يضعانه»^(٢).

٢) الساقى: ومهمته أن يصب الماء في السقاية الواقعة عند الجامع الشريف كل يوم مقدار الكفاية^(٣).

٣) مراقب الموظفين: وهي من أهم الوظائف التي فاضت الوثائق بذكر خلال أصحابها، ومما ورد في شروط هذه الوظيفة بوقف خاصكي سلطان: «ويعين أيضاً رجل أمين من العلماء المتشرعين ويكون رقيباً ومهيماً على عامة أصحاب الوظائف المذكورين، ويجرضهم على إقامة خدمتهم ويحثهم على تفريغ ذمتهم عما وجب في عهدتهم، ويضع نقطة في الأيام التي وقع فيها الإخلال بالوظيفة ليحفظ وظيفة أيام التقصير، ولا يراعي في ذلك الباب خاطر أحد من الأصحاب، كائناً من كان، ممن عز وتاب، وإلا فيعزله المتولي، ويناب مكانه برجل مسلم لا يخاف في الله لومة لائم»^(٤).

٤) البواب: وهي من الوظائف الخدمية بالمدارس الشريفة، والعمارة وغيرها من المنشآت، وقد اشترط فيه عدة شروط تبعاً للمنشأة الموجود بها، ففي مدرسة خاصكي

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٢٤-٢٥.

(٢) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ١٠-١٣.

(٣) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ١٤-١٥.

(٤) صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ١٥-١٨.

سلطان اشترط فيه الأمانة والصدق، ووظيفته أن يغلق ويفتح باب المدرسة وقت الحاجة، ويكنس المدرسة وينظفها مرة كل يوم^(١).

٥) الكيلارجي (أمين الكيلار): وهو الموكل بحفظ بيت المؤونة والطعام، وينبغي أن يتصف بالديانة والصيانة، وبدار الشفاء كيلارجي آخر يحفظ مؤونتها^(٢).

٦) تلميذ الكيلاري: وهو يعاون الكيلاري في مهمته، ويكون تحت طاعته ورهن إشارته فيما يخص حفظ بيت المؤونة.

٧) الطباخ: وغالبًا يشغل هذه الوظيفة أكثر من شخص واحد، بحيث يرأسهم الأكثر خبرة والأقدم عملاً ويمكن أن يعمل بطريقة المناوبة، ويشترط أن يكون الطباخ أستاذًا في صنعته وماهرًا في زخرفة الطعام^(٣)، ويوجد طباخون في دار الشفاء أيضًا مهمتهم إعداد الطعام للمرضى^(٤).

٨) الخباز: وينطبق عليه نفس شروط الطباخ في مهنته، ويعين أكثر من شخص للتناوب فيما بينهم، ويوجد بعمارة خاصكي سلطان طباخان وخبازان^(٥).

٩) المساعد: إذ يتم تعيين مساعد لكل من الطباخ والخباز يساعده في إنجاز مهمته، ويكون تلميذًا يتعلم من أستاذه فنون صنعته ولوازم إتقانها^(٦).

١٠) النقيب: وفي الغالب كان يعين نقيبًا أمينًا مستقيمًا بكل عمارة، وقد اشترطت خاصكي سلطان تعيين نقيبين بعمارتها، بحيث يكون أحدهما نقيب اللحم والآخر نقيب الخبز^(٧).

١١) الغسّال أو (كاسه شوي): ومهمته غسل الأواني والقصاص بالمطبخ، ويساعد في شق الحطب^(٨).

١٢) ناقل الأواني أو (كاسه تاشيجي): وهم الموظفون الموكلون بنقل الأواني من المطبخ إلى المكان المخصص لغسلها داخل العمارة الشريفة.

(١) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٧، س ٤٠-٤٢.

(٢) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٤.

(٣) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١-٣.

(٤) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٤.

(٥) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٣-٤.

(٦) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٢، س ٤.

(٧) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤-٥.

(٨) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٥-٦.

(١٣) المنقي: وغالبًا ما يشغل هذه الوظيفة شخصان، يقوم أحدهما بتنقية الأرز والآخر بتنقية الحنطة^(١).

(١٤) الحمال: ومهمته أن يأتي باللحم من القصاب^(٢) (الجزار)، وهو لقب يطلق على الشخص الذي ينقل الأشياء والمتاع من موضع لآخر، سواء على ظهره أم على رأسه أم على دابة^(٣).

(١٥) جناقجي: وهو الفاخوري أو الخزاف، ومهمته صناعة الأواني اللازمة للمطبخ وتوفيرها، ويختلف عددهم من وقف لآخر، فاشتملت عمارة خاصكي حرّم سلطان على ثلاثة من هؤلاء^(٤).

(١٦) الفراش: ومهمته الكنس والتنظيف باستمرار، ويشترط أن يجتهد في عمله، ويمكن أن يشغل هذه الوظيفة أكثر من فراش واحد، فيكون أحدهم في العمارة، والآخر خارج العمار الموقوفة، والثالث بدار الشفاء^(٥).

(١٧) فراش كنيف (الكناف): هو من يقوم بتنظيف الكنيف والخلاء، ويدخل في جملة الفراشين وراتبه كراتبهم^(٦).

(١٨) الدقاق: ويكون عمله في الطاحونة الملتحقة بالعمارة، إذ يقوم بالدق والتشهير لما يلزم من معدات الطعام ومكوناته^(٧).

(١٩) كاتب الأنبار: وهو الذي يقوم بكتابة الدخل والخرج من مخازن الأنبار أو المواد المخزنة داخل العمارة الشريفة^(٨).

(٢٠) حافظ الشعير: وهو الذي يحفظ أنبار الشعير، ويطعم دواب المسافرين من الشعير بقسمة الحصة اليومية عليهم، من دون تمييز لدواب أحد الضيوف عن غيره^(٩).

(١) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٦.

(٢) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٧.

(٣) ينظر: الفنون الإسلامية، الباشا، ج ٢، ص ٤٢٩.

(٤) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٧-٨.

(٥) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٥٠.

(٦) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥٦، س ١٢-١٥.

(٧) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١٠.

(٨) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٣، س ١١-١٤.

(٩) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٤، س ٢-٥.

(٢١) إبريقجي: وهي وظيفة داخل العمارة الشريفة، ونصت وقفية نوربانو سلطان على وجوده؛ إذ يقوم بإحضار الماء في إبريق لمن يريد الطهارة أو غسل يديه داخل العمارة الشريفة^(١).

(٢٢) أخورجي أو الإصطبلي، ويكون أكثر من شخص واحد ممن يعرفون بالصلاح والأمانة والقدرة على الخدمة في إصطبل العمارة ليكون عملهم بالتناوب، ومهمة هذه الوظيفة الأساسية حفظ الإصطبل ومراكب المسافرين ودوابهم وحراسته وتنظيفه^(٢).

(٢٣) السباك أو بولو كباشي أو صويونجي^(٣): ويعرف في وثيقة وقف خاصكي سلطان بأنه مصلح مجاري الماء، ويسند إليه القيام بمصالح دولاب الحمام^(٤)، وبوقف نوربانو سلطان هو من يقوم بإصلاح أنابيب ووصلات الماء بالمجمع، ويختلف عددهم بحيث يتولّى كل منهم موضعاً معيناً داخل المجمع^(٥).

(٢٤) الجراق أو الشاگرد: وهم مساعدو السباكين وتلامذتهم، بحيث يتعلمون منهم المهنة وفي الوقت ذاته يساعدونهم على إتمام مهماتهم^(٦).

(٢٥) شاذّ العمارة أو المرمتجي: ويكون ملجأً بعدد كبير من الحرف الأساسية في البناء والتشييد، فينبغي أن يكون نجاراً وبنائاً وحجاراً ليقوم بخدمة ترميم الأوقاف ومرمتها، وإصلاح المسبلات برمتها، ويتعهد أصولها كل حين وأوان من غير تكاسل في ذلك وتوان، ومهما وقف على خلل يسير يسارع إلى المرمة والتعمير كي لا يؤدي التسويف والتأخير إلى ضرر عظيم وشر كثير^(٧)، وقد يتم تعيين أكثر من شخص لهذه الوظيفة حيث وصل العدد أحياناً إلى ثلاثة أساتذة في صناعاتهم، ويعاونهم الكاتب في ذلك^(٨).

(١) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٤، س ٨-١٠.

(٢) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٤، س ١١-١٣، وقد عينت نوربانو سلطان رجلين لهذه الوظيفة.

(٣) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٩، س ٥-١٠، ومسؤوليتهم إصلاح مجاري الماء وأنابيبه وتعاهدها؛ لئلا ينقطع الماء أبداً لأي سبب من الأسباب.

(٤) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١٠-١١.

(٥) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٨، س ١-٦.

(٦) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٩، س ١١-١٤.

(٧) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١١-١٤.

(٨) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٨، س ١-٥.

٢٦) كاتب مرماتيان: أو كاتب المرمات وهو الكاتب الذي يسجل جميع ملاحظات المرمتجية ويدونها في دفتره، ثم يعرضها على المتولي، ويكتب أيضًا جميع ما يتم إصلاحه، وما يحتاج إلى إصلاح طبقًا لتعليمات المرمتجية، ويتقاضى أجرًا أكبر من أجر المرمتجي، نظرًا لما عنده من علم في الكتابة والحساب^(١).

٢٧) برده جي: وهو الشخص المتعهد بتنظيف وإصلاح الستائر الموجودة بالجوامع والترب الوقفية (قيد الدراسة)، وأحيانًا يكون أكثر من شخص واحد^(٢).

٢٨) الجاجي، وهو المزجج أو المسؤول عن أشغال الزجاج من أدوات إنارة أو زجاج النوافذ وغيرها، وعليه أن يصلح ما يفسد بلا تأخير، وأن يتعاهد تفقدها لثلاثين سنة منها شيء^(٣).

٢٩) طاشجي، وهو متعهد الحجر، إذ عليه مراقبة الجدران والأحجار التي تُشيد منها المبنى، وإذا رأى نقصًا بسبب أي شيء عليه أن يستكمل الجزء المفقود بلا تأخير ولا تقصير، ويُعلم المتولي بذلك^(٤).

٣٠) المعتمد: ومهمته اعتماد التعمير والمرمات التي يستقر عليها شادّ العمارة والأوقاف^(٥).

٣١) الخاني: وهو فراش الخان والقائم على أموره، وفي وقف خاصكي سلطان أطلقت الوظيفة على الفراش القائم على أمر بلبيجي خان^(٦)، وهناك خاني آخر للخان الموجود بمنطقة بشكطاش^(٧).

(١) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٨، س ٦-٩. ويتقاضى الكاتب راتبًا قدره ١٠ آقجات يوميًا، فيما يتقاضى كل مرمتجي راتبًا قدره ٦ آقجات فقط يوميًا.

(٢) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٨، س ١١-١٤، (الوجه الأيسر، س ١-٤)؛ ووقفية نوربانو سلطان، ص ٧٢، س ٣-٤.

(٣) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٨، س ١٨-٢٠؛ ص ٤٩، س ١.

(٤) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٩، س ٢-٥.

(٥) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١٥-١٦.

(٦) وهو الخان التجاري الذي وُقف ضمن مصادر الدخل على أوقاف خاكي خرم سلطان، وهو يقع في منطقة إمينونو قرب مجمع بني جامع وخليج القرن الذهبي، وقد شيدته الواقعة. ينظر: المنشآت التجارية العثمانية، محمد أحمد ملكه، ص ١٩٦-١٩٩؛

Istanbul Ansiklopedisi, "Leblebici Han", Cilt, 5, s. 199-200 ; Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture (op. cit), (Firüzan Sümertaş), pp. 78-79 ; A History Of Ottoman Architecture (op. cit), (John Freely), pp. 28, 32, 218

(٧) لمراجعة التفاصيل، ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١٦-١٨.

(٣٢) المزملائي أو السيلجي أو الساقى: وهو طبقاً لوقف خاصكي سلطان مسبل الماء الذي يحمل كل يوم ثلاثة أحمال من الماء لزاوية جعفر بابا في السجن^(١) ليشرب منها المساجين، وفي هذا إشارة لعظمة الوقف الإسلامي ومدى إسهامه في تلبية الاحتياجات الأكثر ضرورة لجميع أطراف المجتمع وأفراده، إذ خصص هذا (البند) للوقف على المساجين، وقد ورد في بعض الوقفيات بمسمى السيلجي، ويكون أكثر من شخص^(٢).

(٣٣) شربتجي: وهي وظيفة موسمية ليست دائمة، إذ يعين لها في أوقات المواسم فقط كشهر رمضان المعظم عدد من الأشخاص يسقون الناس العسل والشربات، ووردت تفاصيل عملهم في وقف خديجة تورخان سلطان إذ عيّنت منهم ستة أشخاص يعملون طوال ليالي شهر رمضان من كل عام، ويتقاضى كل واحد منهم أجرًا على عمله في أثناء شهر رمضان قدره ١٠٠ آقجة^(٣).

(٣٤) مانع النقوش: وهي وظيفة مسؤولية أصحابها الحفاظ على الشكل العام للعمائر من العبث، إذ يراقب أصحابها الجدران الخارجية لمنع السفهاء أو الأطفال من النقش عليها^(٤)، وإذا حدث ذلك فمهمة أصحابها إزالة هذه النقوش؛ حفاظًا على الشكل الزخرفي والفني للجدران.

(٣٥) متعهد قارورات المرضى وأنيتهم: وهي من الوظائف الخدمية بدار الشفاء، فقد اشترطت وقفية خاصكي سلطان على أن يتم تعيين رجلين مهمتها تعاهد قارورات المرضى وما يجري مجراها، ولا يتخلف عن الخدمة واحد منهما في النهار، وأما في الليل فيتناوبان^(٥).

(٣٦) قورشونجي: وهو المرصص، ومهمته أن يعتني بأسطح العمائر الموقوفة، وينظفها ويعتني بالأواح الرصاص التي تغطي الأسقف لمقاومتها للعوامل الجوية^(٦).

(١) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ١٨-١٩.

(٢) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥٦، س ١٦-٢٠؛ وقد عينتهم ملحقين برتبها ضمن مجمعها الوقفي بإمينونو، وقد عينت أربعة سبيلجية يقومون بسقيا الناس على طريقة المناوبة في فريقين.

(٣) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥٧، س ٨-١٢.

(٤) ينظر: وقفية نوربانو سلطان، ص ٩٦، س ١-٦.

(٥) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٨-٤٩.

(٦) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٨، الوجه الأيسر، س ٤-٧، وفي حال عدّ أسطر الوجهين تكون في ص ٤٨، س ١٤-١٧.

(٣٧) الجنائني أو البستاني: وقد نصت وثائق الوقف على وجوده لخدمة الجنائين التي يضمها الوقف، ومما ورد في وثيقة وقف خاصكي عن شروط تعيينه: «يخدم الجنية الواقعة أمام الجامع الشريف والجنية التي بجنبه والجنية الواقعة أمام العمارة العامرة»^(١).

(٣٨) مزبله كش^(٢) أو عامل النظافة: وهو من أجل ما يبرهن على عظمة الوقف الإسلامي وحرصه على نظافة المجتمع، فاشترطت وثائق الوقف أن يُعيّن: «رجل يرفع المزابل الواقعة في دار الشفاء والعمارة والمدرسة ويلقيها في محلها»^(٣).

(٣٩) نقطه جي: وهو ملاحظ الموظفين، يقوم يومياً بأخذ حضور الموظفين وغيابهم ثم مدى إتقانهم للعمل الموكل إليهم، وإذا وضع نقطة أمام أحد الموظفين تكون دلالة على عدم حضوره أو إخلاله لمهام وظيفته، ومن ثم يخصم منه راتب هذا اليوم^(٤).

(٤٠) الباخوري، وهو العطار أو المعطر الذي يشعل البخور في جميع الأنحاء والأماكن المنصوص عليها في الوقفية كالمحفل والمحراب، وكافة أنحاء المسجد عند الصلوات وقراءة الختمات ويوم الجمعة وغير ذلك، وكان يصرف له راتب يومي قدره ١٠ آقجات إلى جانب ٨ آقجات أخرى للوزام البخور يومياً^(٥)، وقد يختلف الراتب من وقف لآخر.

(٤١) الصراف أو المحاسب: وهو الشخص المسؤول عن الرواتب وإعطاء كل شخص راتبه طبقاً لملاحظات النقطه جي^(٦)، ويشترط أن يكون أستاذاً ماهراً في علم الحساب، مراعيًا لمال الوقف.

(١) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٥٠؛ ص ٩، س ١.

(٢) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٥١، س ١١-١٤. وشترط أن يكون عامل النظافة قوي البدن؛ ليتحمل تبعات العمل ومشاقه، ويتقاضى راتباً كبيراً يقدر ب ١٠ آقجات يومياً، حيث يحمل المزابل من حرم الجامع الكبير والسوق إلى المكان المخصص لها.

(٣) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٩، س ٢-١؛ ووقفية نوربانو سلطان، ص ٩٤، س ١٤؛ ص ٩٥، س ١.

(٤) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٤، س ٧-١٤. ويكون عمل ملاحظ الموظفين مراقبة الموظفين في المسجد، وهناك نقطه جي آخر للتربة. ينظر: وقفية خديجة تورخان، ص ٥٦، س ٩-١٣؛ ووقفية نوربانو سلطان، ص ٧١، س ٤-١١.

(٥) ينظر: وقفية خديجة تورخان، ص ٤٣، س ٦-١٠؛ ص ٤٤، س ١-٣.

(٦) ينظر: وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٤٦، س ١٣-١٧. ويتقاضى المحاسب راتباً قدره ١٠ آقجات.

خامساً: المهنة الطبية:

(١) الطبيب: ويشترط أن يكون حاذقاً ماهراً في علم الطب مشخصاً للأمراض الحادثة على المرضى وما يتعلق بها من الأطعمة والأشربة الموافقة، وعين في دار الشفاء بوقف خاصكي سلطان: «طبيبان حاذقان، وبالرعاية والعناية لائقان، معروفان بالفطنة والكياسة، موصوفان بالفراهة والفراسة، عالمان بقوانين الطب والحكمة بحرّاً، محيطان بتفاصيل مسائلها خبرّاً، عارفان بخصوصيات أحوال المزاج، ماهران في ترتيب مبادئ العلاج، متدربان في أحوال الأشربة والمعاجين، واقفان على ملاءمتها ومبانيها لأحوال المحتاجين، قد أكدا علومهما بكثرة التجربة ومزاولة الأعمال، وأيدا معارفهما بمعاينة الأهواء ومشاهدة الأحوال، وأسناً في تحصيل العلم والعمل أزمناً، وتمهلاً في تكميلها آونة، ويكون كل واحد منهما على الاتفاق، سليم النفس كريم الأخلاق، ميمون النقية حسن الخصال، مأمون القائلة جميل الفعال، رقيق القلب لين الجانب، ناصح لبيب للأقارب والأجانب، حلو المنطق لذيد الكلام، طلق المحيّا مقبول الأنام، ينظر إلى كل مريض وسقيم بنظر الرأفة كأنه ولي حميم، لا يواجههم بوجه عبوس قمطير، ولا يشافهم بما يورث نوع وحشة وتنفير؛ قرب كلمة يتضمنها الكلام هي أثقل على السقام من الداء المقام، بل يخاطبهم بالطف عبارة وأشرف خطاب، ويسلك بهم مسلك الرفق في السؤال والجواب، فكم من قال وقيل، هو أشهى لدى العليل من زلال وسلسبيل، ويخفف لهم جناح الرأفة والرعاية، ويمد عليهم رواق العناية والحماية، يحضر كل واحد منهما كل يوم يمضي عقيب كل يوم يمر وينقضي (إلى)»^(١) دار الشفاء المذكورة ويباشر المصالح المأمورة، ويتعهد أحوال المرضى والسقام،... ويشاهد النبض والقارورة وغيرهما من العلامات^(٢) المشهورة، ويسألهم عن أحوالهم صغيراً وكبيراً، وينقر عنها نقيراً وقطميراً ثم يعالج كلاً منهم بما يلائمه من العلاج اللائق على الوجه الفائق والأسلوب الرائق، وإن اقتضى الحال تكرار الحضور يسارع إليه في غير توان ولا فتور، يراعي كل منهما كافة هذه الشرائط المحررة، ويحافظ على مراعاة جميع هاتيك الضوابط المقررة، في كل يوم من

(١) غير موجودة في نص الوثيقة.

(٢) في أصل الوثيقة: (العلايم).

الأيام المندرجة في تضاعيف الشهور والأعوام من غير إخلال بشرطة... من جملتها وضابطة فردت من زمرتها، فمن أخلّ بأمر من الأمور المعدودة، وأهمل في إقامة خدمة من الخدمات المعهودة، فما أخذه من الوظيفة يكون سحتاً وحرماً، وسيلقى في الآخرة عذاباً وغراماً»^(١).

(٢) الكَحَّال (طبيب العيون): وهي من المهن التخصصية بدور الشفاء والبيهارستانات الإسلامية على مرّ تاريخها الطويل، وغالباً ما يكون عددهما اثنان بحيث يكون أحدهما رئيساً، ويعملان بطريقة المناوبة^(٢).

(٣) الجِرَّاح: وهي مهنة تخصصية أيضاً إلى جانب الكَحَّال، وكان عدد الجراحين اثنين فما فوق، ويعملون بطريقة المناوبة أيضاً^(٣)، وفي هذا إظهار لمدى حرص الواقفات على أن تكون مؤسساتهم الطبية مفتوحة للجماهير طيلة الوقت، مع متابعة المرضى المحتجزين داخل المشفى ليلاً، وعن الشروط الواجب توافرها في الكَحَّالين والجِرَّاحين فهي نفس شروط الطبيب على وجه التفصيل المذكور إلى جانب إتقان التخصص المطلوب، مع ذكر التهديد والوعيد على النحو الذي سبق^(٤)، ويعرف الرئيس أو الجِرَّاح الأول باسم (جراح باشي)^(٥).

(٤) طباخ الأشربة الطبية (الأعشاب): ووظيفته أن يقوم بطبخ الأشربة طبقاً لتوصيف الأطباء لحالة المرضى، إذ يقومون بتحديد الشراب المناسب للمريض ومن ثم يقوم طباخ الأشربة بصنعه، وفي الغالب يشغل هذه المهمة شخصان^(٦).

(٥) دَقَّاق الأدوية (الصيدلي): وقد عيّنت وقفية خاصكي خرم سلطان دقّاقين يبلغ راتبهما اليومي مجتمعين أربعة دراهم فضية^(٧).

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٢٠-٣٨. ويلاحظ تضمن نص الوقفية لتهديد يحمل في داخله باعاً على إتقان العمل، وتحويلاً من عقاب الله U، والناظر لأمر النص يجد أن التهديد والتخويف لم يأتيا إلا في أثناء ذكر شروط الأطباء؛ لما لهذه المهنة من خطورة لكون الإهمال فيها يؤدي -بلا منازع- إلى زيادة الآلام على المرضى وربما هلاكهم، وفي هذا إشارة لطيفة إلى مدى بلاغة وثائق الوقف وروعيتها ودقة ألفاظها ومناسبتها للحدث بها يلزمه.

(٢) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٣٨-٤٠.

(٣) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٠-٤١.

(٤) هكذا نصّت وثائق الوقف. ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٢-٤٣.

(٥) ينظر: المعجم الموسوعي، صابان، ص ٨٢.

(٦) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٣.

(٧) ينظر: صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٥.

٦) المرض: وقد أطلقت عليه وثيقة الوقف اسم قِيم دار الشفاء، وقد اشترطت خاصكي خرم سلطان تعيين «أربعة رجال كل واحد منهم قِيم بمصالح المرضى ومهامهم ولوازمهم وضرورياتهم، يراقبون أحوالهم في كل آن، ولا يفارقونهم حيناً من الأحيان، ولا يتخلف عن الخدمة أحد من القوم في ساعة من الساعات في اليوم، وأما الليالي فيخدم في كل ليلة منها اثنان على وجه المناوبة بلا مساهلة ولا توان»^(١).

الجزء الثاني

رواتب أرباب الوظائف والمهن والحرف، طبقاً لوثائق الوقف لنساء القصر العثماني بإستانبول في أثناء القرنين (١٠ - ١١هـ/١٦ - ١٧م) [قيد الدراسة]

يمكن تناول أرباب الوظائف ورواتبهم في الجدول الآتي، اعتماداً على تقسيم أرباب الوظائف والمهن والحرف، تبعاً لطبيعة عمل كل منهم أو لموضعه في الكلية المعمارية الوقفية وتسلسل ذكرهم بوثائق الوقف.

أولاً: مرتبات أرباب الوظائف بوقف خاصكي سلطان:

١) الموظفون الإداريون بوقف خاصكي خرم سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي (بالدرهم الفضي)	المهام
١	متولي الوقف	١	٥٠	يتولى شؤون الوقف جميعه.
٢	كاتب	١	١٠	يكتب كل ما يلزم متولي الوقف.
٣	جاب	١	٥	يجمع إيرادات مستغلات الوقف بنواحي إستانبول.
٤	كاتب	١	٥	يكتب لجابي الأوقاف.
٥	جاب	١	٤	يحصل غلات القرى في قضاء....
٦	جاب	١	٤	يحصل غلات الأوقاف بقرية أومورجي ومزرعة قباقيجي.
٧	جاب	١	٤	يحصل غلات الأوقاف الواقعة بلواء آيدين بالأناضول.

(١) صورة وقفية خاصكي، ص ٨، س ٤٥-٤٨.

٢) الموظفون بمسجد خاصكي خرم سلطان طبقاً للوقفية ورواتبهم:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضي)	المهام
١	خطيب	١	١٠	يؤدي خطبة الجمعة والأعياد.
٢	إمام	١	٨ + ٣ (نظير إشرافه على ال ٣٠ حافظاً)	يؤم جماعة المسلمين في الصلوات الخمس المكتوبة وسائر ما يؤدي بالجماعة في الصلوات المعهودة المرغوبة.
٣	مؤذن	٢	٥	الأذان بينها بالمناوبة.
٤	أشخاص ذوو صوت حسن	٣	١	يجتمعوا مع المؤذنين لنداء الجُمع والأعياد.
٥	رئيس حفاظ ومجودي القرآن	١	٥	يقرأ مع الحفاظ ويشرف عليهم.
٦	حافظ ومجود للقرآن	٦	٢	يقرأ كل منهم كل يوم في أيام الجمعة قبل الصلاة عشر آيات من القرآن، أو عشرين أو أكثر حسب مساعدة الزمان، ويهدون ثواب تلاوتهم إلى النبي وآله وأصحابه.
٧	معرف	١	٤	يؤدي خدمة التعريف بعد تمام قراءة القرآن الكريم.
٨	قارئ مجود للقرآن بقيادة الإمام	٣٠	٢	يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن بعد صلاة الظهر، ويهدي ثواب القراءة لروح الواقعة.
٩	رئيس الموحدين	١	٢	يكرر كلمة التوحيد ألف مرة على الوجه المعروف المعلوم، ويهب ثوابها لروح حاضرة الواقعة.
١٠	الموحدون	٦	١,٥	يكرر كل واحد منهم كلمة التوحيد ألف مرة على الوجه المعروف المعلوم، ويهبون ثوابها لروح حاضرة الواقعة.
١١	قارئ	١	٤٠ (كراتب شهري وليس كراتب يومي)	يقرأ كل يوم عشر آيات من الفرقان المجيد على الكرسي الموضوع في الجامع الشريف عقيب صلاة العشاء الآخرة.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضي)	المهام
١٢	قارئ	١	٣	يقرأ على الكرسي سورة يس عقيب صلاة الفجر.
١٣	قارئ	١	٢	يقرأ سورة عمّ عقيب صلاة العصر.
١٤	واهب الثواب (مصلّ)	٢	٦	يصليان عشرين ركعة في النوافل والتطوعات ويهبان ثوابهما لروح حضرة الواقفة.
١٥	قارئ	٤	٢	قراءة سورة الأنعام كل يوم من مسكنهم، لا يشترط حضورهم للمسجد.
١٦	قيّم	٢	٤	فتح أبواب المسجد وغلقها عند الحاجة، وإنارة السرج والقناديل والكنس والتنظيف، وإحضار صندوق الأجزاء للقراء وإرجاعه إلى موضعه بعد انتهاء القراءة.
١٧	ساقٍ	١	٢	يصب الماء في السقاية الواقعة عند الجامع الشريف كل يوم مقدار الكفاية.
١٨	مراقب	١	١	مراقبة جميع الموظفين وحثهم على الإخلاص في تأدية واجباتهم.
١٩	مصروفات أخرى		٥	ويصرف إلى مصارف السرج والقناديل وحصير الجامع.

٣) الموظفون بدار التعليم (الكتّاب/ مكتب الصبيان) بوقف خاصكي خرّم سلطان طبقاً للوقفية ورواتبهم:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١	معلم	١	٦	يؤدب الصبيان ويعلمهم القرآن وبعض اللغة والصرف.
٢	خليفة	١	٢	يعيد على الصبيان الدرس بعد المعلم.

٤) الموظفون بمدرسة خاصكي خرم سلطان طبقاً للوقفية ورواتبهم:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١	مدرس	١	٥٠	يدرس العلوم الشرعية إلى جانب النقلية التي تخدم العلوم الشرعية.
٢	معيد	١ (ويكون أنبغ الطلاب)	٥	يعيد الدروس على باقي زملائه من الطلاب ويدرّس معهم.
٣	طالب	١٥ + المعيد	٢	يطلبون العلم ويدرسون الكتب.
٤	بواب	١	٢	يفتح ويغلق باب المدرسة وقت الحاجة، ويكنس المدرسة وينظفها مرة كل يوم.

٥) الموظفون بعمارة خاصكي خرم سلطان طبقاً للوقفية ورواتبهم:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١	شيخ العمارة	١	١٠	شيخ العمارة والمشرف عليها.
٢	وكيل الخرج	١	٦	يتولى شراء ما يصرف في العمارة من المأكولات وغيرها من اللوازم والمهمات.
٣	كيلارجي أو أمين الكيلار	١	٤	يحفظ بيت المؤونة والطعام.
٤	تلميذ الكيلارجي	١	٢	يساعد الكيلارجي في حفظ بيت المؤونة والطعام.
٥	كاتب	١	٤	يكتب الوارد والصادر.
٦	الطباخ الأول	١	٥	الإشراف والطبخ.
٧	الطباخ الثاني	١	٤	الطبخ.
٨	تلميذ الطباخ	٢	١	يساعدان الطباخين.
٩	خباز	٢	٤	يخبزان خبز العمارة.
١٠	تلميذ الخباز	٢	١	يساعدان الخبازين.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١١	نقيب	٢	٢	أحدهما نقيب الخبز والآخر نقيب اللحم.
١٢	غاسل	١	٢	يغسل القصاع والأواني ويشق الحطب.
١٣	عامل	٢	٢	ينقيان الأرز والحنطة مما يشوبهما.
١٤	حمال	١	٢	يأتي باللحم إلى العمارة.
١٥	بواب	١	٢	يلتزم باب المطبخ.
١٦	جناقجي	٣	١	هو الفاخوري أو الخزّاف: ومهمته صناعة الأواني اللازمة للمطبخ وتوفيرها.
١٧	فراش	٢	٢	أحدهما يكنس جوانب العمارة باستمرار، والآخر ينظف الكنيف (دورة المياه) باستمرار أيضًا.
١٨	عامل	٢	٢	أحدهما مهمته التقشير والدق بالطاحونة، والآخر يصلح دولا ب الحّمّام.

٦) الوظائف العامة الأخرى بوقف خاصكي خرّم سلطان:

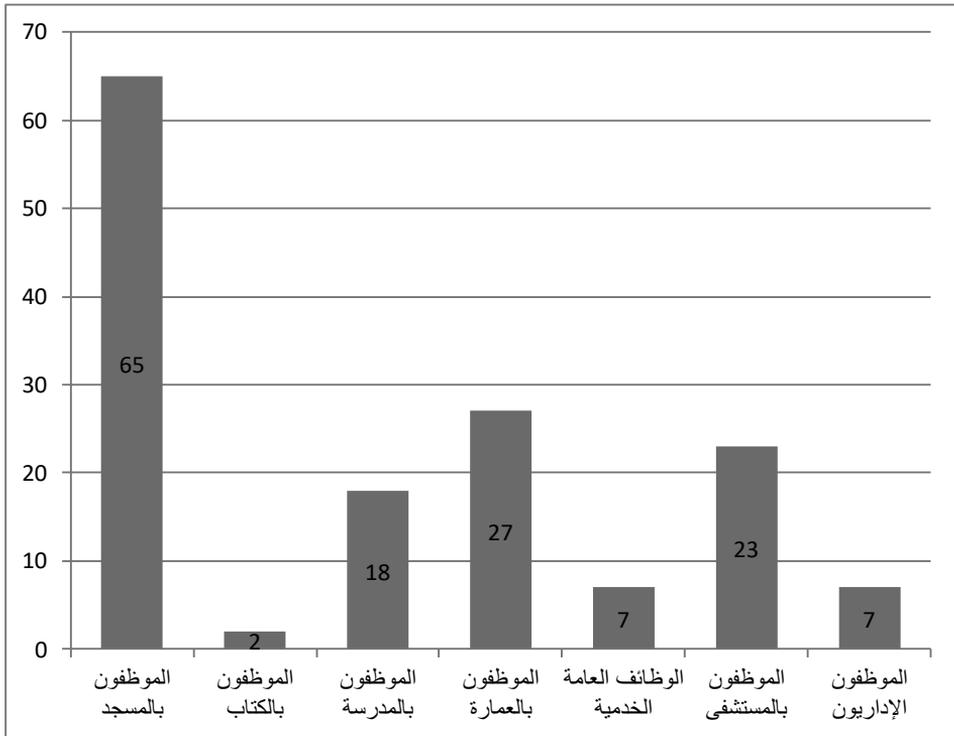
م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١	نجار	١	٤	يقوم بخدمة ترميم الأوقاف ومرمتها.
٢	كاتب الخرج	١	٢	يكتب عن حال ترميم الأوقاف ومرمتها.
٣	معمد	١	٢	مهمته اعتماد الترميم والمرمات.
٤	خاني	١	٣	فراش لخان المجمع بالمدينة.
٥	خاني	١	١,٥	فراش وخاني لخان بشيكطاش.
٦	سيلجي (مزملاتي)	١	٣	يحمل كل يوم ٣ أحمال مياه لزاوية جعفر بابا في السجن.
٧	جنائني	١	١,٥	يخدم جنينة الجامع والجنينة التي بجنبه و جنينة العمارة.

٧) الموظفون بمستشفى (دار الشفاء) خاصكي خرم سلطان طبقاً للوقفية ورواتبهم:

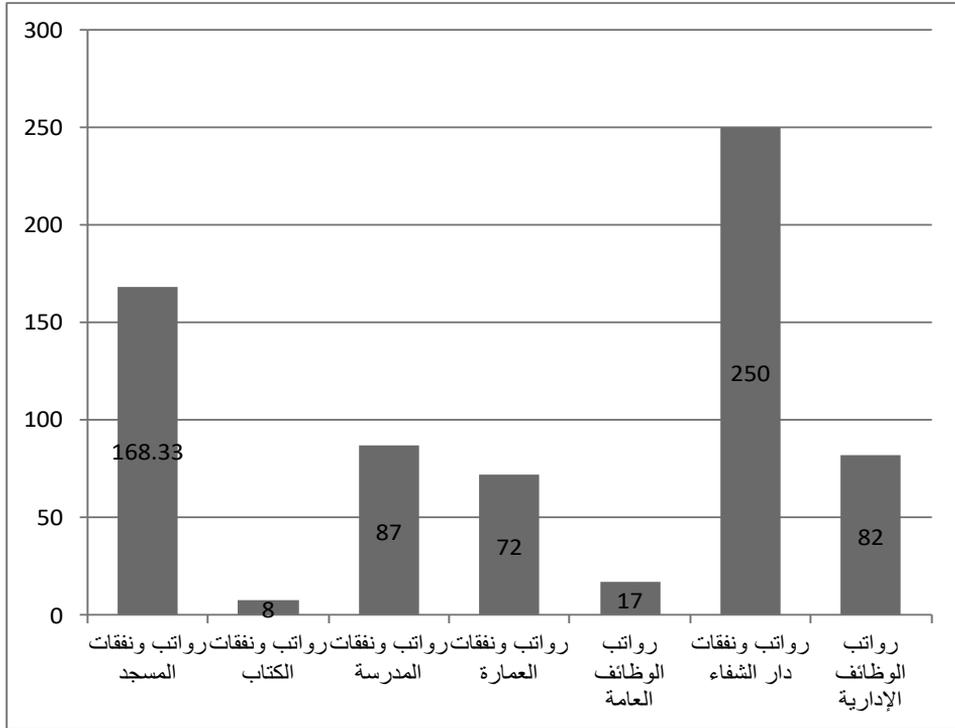
م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي لكل شخص (بالدرهم الفضة)	المهام
١	رئيس الأطباء	١	٢٥	الكشف على المرضى وصرف الأدوية والمشروبات والمعاجين.
٢	طبيب	١	١٥	الكشف على المرضى وصرف الأدوية والمشروبات والمعاجين.
٣	رئيس الكحالين	١	٥	الكشف على العين وصرف الأدوية المناسبة.
٤	كحال	١	٣	الكشف على العين وصرف الأدوية المناسبة.
٥	رئيس الجراحين	١	٥	إجراء الجراحات اللازمة كافة.
٦	جراح	١	٣	إجراء الجراحات اللازمة كافة.
٧	طباخ الأشربة الطبية	٢	٣	طبخ الأشربة الطبية حسب توصيات الطبيب المعالج.
٨	كاتب	١	٣	يكتب ما يخرج وما يدخل من المخازن.
٩	وكيل الخرج	١	٣	هو المفوض بإخراج ومتابعة كل ما في المخازن.
١٠	كيلاري	١	٣	أمين المخزن أو حارسه.
١١	طباخ	٢	٢,٥	يطبخان أطعمة المرضى.
١٢	دقاق الأدوية	٢	٢	يدقان ويطحنان الأدوية.
١٣	قيّم	٤	٣	مراقبة المرضى وملازمتهم جميعاً نهاراً وبيتناوبون اثنان في كل ليلة.
١٤	عامل	٢	٢	يتوليان قارورات المرضى ومعداتهم نهاراً وبيتناوبان واحد في كل ليلة.
١٥	فراش	١	٢	يكنس وينظف دار الشفاء.
١٦	بواب	١	٢	يلتزم باب دار الشفاء.
١٧	مصروفات أخرى		١٥٠	لمصروفات الأدوية والأشربة وغيرها بدار الشفاء.

٨) مصروفات ونفقات إضافية بوقف خاصكي خرم سلطان:

م	الوظيفة/ أو البند	العدد	الراتب أو القيمة	المهام أو المنوط فعله بالمبلغ
١	حاج	١	١٠٠ دينار ذهبي تام المعيار	يخرج عن الواقفة سنويًا.
٢	الكسوة	١٠	-	يتم كسوة ١٠ من فقراء الأيتام الموجودين بدار التعليم (مكتب الصبيان) بما يليق من الثياب.



رسم بياني يوضح عدد الموظفين بكل منشأة يوميًا طبقًا لوقفية خاصكي خرم سلطان من مجموع (١٤٩) موظفًا (عمل الباحث)



رسم بياني يوضح حجم الإنفاق اليومي لوظائف كل منشأة طبقاً لوقفية خاصكي خرم سلطان، من أصل إنفاق يومي يبلغ (٦٨٤) درهماً فصيلاً شاملة رواتب الموظفين والنفقات الأخرى المنصوص عليها بالدرهم الفضي في الوقفية، من دون غيرها مما لم تحدد قيمته أو حدد بالدينار الذهبي (عمل الباحث)

٩) غلات وجهات إيرادات أوقاف خاصكي خرم سلطان على كليتها الوقفية بإستانبول، وجامعها الوقفي بأنقرة:

وقفت حضرة الواقعة عالية الشأن سامية المكان خلد الله ظلال جلالها في عزة لا ترام، ودولة لا تضام، لمصالح هذه البقاع المباركة الفائقة (أي: العمائر الوقفية)، والأبنية الشريفة اللائقة، عدة من أصناف الأوقاف، بنية وافية وعزم كافٍ في مختلف البقاع؛ وقد جاءت معظم أوقافها بمدينة إستانبول على عكس نماذج أوقاف النساء الأخريات، إذ جاءت غالبية أوقافهن خارج المدينة، لا سيما في أوروبا العثمانية، وتذكر الوقفية جملة هذه الموقوفات بتحديد مواضعها تحديداً دقيقاً، ومن ثم يمكن تناولها تفصيلاً كنموذج بالتطبيق على وقفية خاصكي سلطان، ثم إجمالها في النماذج الأخرى، وهذه الموقوفات جاءت على النحو الآتي:

م	نوع الموقوفات أو المسبلات أو مصدر الدخل	العدد
١	خان تجاري	(٢) أحدهما لبليبيجي خان بحجراته ودكاكينه، والآخر خان بشيكطاش بكامل غرفه فوقانية والتحتانية ودكاكينه.
٢	دكان	١١٧
٣	منزل أو بيت (صغير أو كبير، وبعض المنازل بها أكثر من بيت)	٢٠
٤	اصطبل (داخل أحد المنازل)	١
٥	بئر ماء	١
٦	حمام	٢ (ملتصقان؛ أو حمام مزدوج).
٧	بناء كامل (بكامل مرفقاته)	(٢) أحدهما يعرف باسم (فايق خانه)، والآخر (سلاح خانه).
٨	فرن خبازي	٧
٩	حجرات	٩٦
١٠	مخزن	١٦
١١	قرى	(٢٣) تقع في أقضية مختلفة.
١٢	مزرعة	٣

وأما تفصيل مواضعها وتسمياتها، ومشمولاتها؛ فقد جاء نصها في الوقفية كالآتي: «فمنها جميع الخان الجديد الواقع في محلة دايه خاتون^(١) في محلات المحمية المذكورة لازالت محمية ومعمورة، المبني - أي الخان - على ساحة بعضها من أوقاف عبد السلام بيك، وبعضها من أوقاف خضر بيك، وبعضها من أوقاف رئيس السقائين؛ المشتمل - أي الخان - على اثنتين وخمسين غرفة فوقانية وتحتانية، وعلى أحد وعشرين دكانًا ومقاطعة أرض في كل سنة ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرين درهماً... ومنها جميع الحمايين المتلاصقين المبنيين على الأرض المشتراة من ياسف وفروستي وشيتامي أبناء مناهيم بن ياسف الواقعة في محلة... باشا، من محلات المحمية المرقومة بقرب من باب اليهود، أحدهما للرجال والآخر للنساء، بجنبها أحد وعشرون دكانًا وسبعة

(١) وهو لبليبيجي خان، وقد سبق ذكره في الدراسة الوصفية والتحليلية.

بيوت، ومنها المنزل الواقع في محلة توبخانه من محلات المحمية المحكية المشتمل على اصطبيل فوقه غرفة، وعلى بئر ماء المضبوط للخزانة العامرة من مخلفات بحى الطباخ الأميري المنتظم في سلك ملك الحضرة العلية المشار إليها بالتمليك السلطاني، حسبما فُصل في تضاعيف الحكم الشريف الخاقاني، ومنها جميع البناء المعروف بفايق خانه المبني في ساحل البحر خارج باب اليهود في أبواب المدينة المطهرة على عرصة^(١) كانت من أوقاف آيا صوفيا مقاطعة في كل عام ستون درهماً، ومنها جميع المنزل الواقع في محلة (أيولانقة) من محلات المحمية المحكية المشتمل على بيتين علوي وسفلي، وعلى ثلاثة بيوت آخر سفلية، وفرن خبازي، وأربعة دكاكين، وبيت آخر معروف بتبرير خانه يؤخذ لأجله على الرسم المعتاد كل سنة في جهة أوقاف آيا صوفيا أربعمئة درهم، ومنها جميع الدكاكين الثلاثة المبينة على أرض كانت من أوقاف الحاج مبارك الواقعة بقرب المدرسة الشريفة المذكورة مقاطعة ساحتها في كل سنة سبعمئة وعشرون درهماً، ومنها بناء جميع الدكاكين الثلاثة المبينة على ساحة كائنة في أوقاف المرحوم رئيس البستانيين بقرب من العمارة الشريفة ومقاطعة أرضها أربعمئة واثان وستون درهماً^(٢)، ومنها جميع الحجرات العشر المبينة بقرب من الجامع الشريف، ومنها بناء الحجرات الاثنتين والثلاثين الفوقانية والتحتانية والدكاكين الواقعة بجملتها في السوق المعروف بقرامان بازاري المشترية من مصطفى وعلي ابنا الحاج أولياء، ومقاطعة أرضها الكائنة من جملة أوقاف آيا صوفيا في كل سنة مائتان وثمانون درهماً، ومنها البيت الخراب الذي ينقى فيه بالوعة الحجرات وقت الحاجة، ومنها الفرن الخبازي الواقع ثمة -أي جهته-، ومنها جميع الحجرات الأربع والخمسين الفوقانية والتحتانية والدكاكين الستة عشرة والمخازن التسعة والفرنين الخبازين الواقعة بقرب من الدار الشاعية الأميرية بالمحمية المحكية، ومنها جميع الدكاكين الخمسة والثلاثين والمخزن المعروف بكرسة أنباري مبنية على عرصة كائنة في أوقاف آيا صوفيا واقعة خارج باب الخطب من أبواب المحمية المزبورة،

(١) أي: قطعة أرض.

(٢) عائدة على الدكاكين، بمعنى أن قيمة استتجار أرضية الدكاكين تبلغ المقدار المحدد بالدرهم الفضي.

ومقاطعة أرضها في كل سنة سبعمائة وخمسين درهماً^(١)، ومنها جميع الدكاكين الأربعة والثلاثين والدكان الرواس ثمة في أرض كائنة في أوقاف آيا صوفيا المزبورة مقاطعتها في كل عام ألفان ومائتان وثمانون درهماً، ومنها جميع المخازن الستة الواقعة بقرب قبان الدقيق بالمحمية المزبورة، ومنها جميع الفرن الخبازي الواقع بقرب من الباب المشهور بابا قابوسي من أبواب المدينة المرقومة، ومنها جميع المنزليين المشتملين على أربعة أبواب من البيوت الكائنة في محلة آق كرمان بقرب من باب أدرنة من أبواب المحمية المحكمية...، ومنها الفرن الخبازي الواقع في المحلة المزبورة، ومنها جميع البناء المعروف بسلاح خانة الواقع خارج باب أدرنة المزبورة، ومنها جميع الفرن الخبازي الواقع في قصبة أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها جميع المنزل الواقع في محلة لونجة من محلات غلطة المحروسة المشتمل على بيتين فوقانيين وبيت تحتاني، ومنها جميع المنزل المبني على العرصة المشتراة من صاري زاني الأفرنجي المشتمل على بيتين علويين وبيت سفلي، ومنها جميع المنزل الكبير المبني على ساحة كائنة في أوقاف آيا صوفيا المرقومة المشتمل على بيوت متعددة ومقاطعة عرصته في كل سنة مائة وعشرون درهماً، ومنها جميع المنزل الواقع في محلة سنان القاضي بمقابلة الموضع المعروف بطوبخانة خارج حصن غلطة المحروسة... بما يتصل به من سبعة أبواب في الحجرات والدهاليز، ومنها جميع الخان في الموضع المعروف ببشك طاش من مضافات المحروسة المزبورة المستغني جميع ما ذكر عن التعيين والتعريف، لاشتغال كل واحد منها فيما بين الوضيع والشريف، بالانتفاء إلى حضرة الواقفة المرقومة نوعها الجميلة في صدر هذا الرق المنشور، خلد الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أيام دولتها إلى انصرام حبل الأعوام والشهور، ومنها أراضي القرى العشر المتقاربة الواقعة في قضاء (أصيوبي) من أعمال سهسرة؛ وهي قرية واصلتوز، وقرية أنالج، وقرية وردوينيره، وقرية بيوند ولوتي واسمها الآخر غور ينوز، وقرية يوبثوليه واسمها الآخر ويزونجة، وقرية فالو واسمها الآخر جامرلي، وقرية بقاجق، وقرية قوناق، وقرية فوزجق، وقرية جنرلق، ومنها جميع القرى الإحدى عشرة المتجاورة الواقعة في قضاء إيدوس من أعمال

(١) عائدة أيضاً على الدكاكين.

اللواء المرقومة؛ وهي قرية مستوري، وقرية كوزكه، وقرية صوجللي، وقرية يكيجه، وقرية أمانة، وقرية برواد، ومناستر، وروجيان ايولاش اندريه، وقرية جرتة واسمها الآخر نكه كومي، وقرية أركح بكاري، وقرية إسكي حصار، ومنها جميع القرى المعروفة بقرية إيمنوس الواقعة بالقضاء المزبور، ومنها المزرعة المشهورة بمزرعة أرقلي من توابع القرية المرقومة، ومنها جميع القرية المعروفة بقرية أمورحي من توابع قضاء جورما، ومنها المزرعة المسماة بمزرعة قباقجي الواقعة في قضاء سيلوري، ومنها جميع المزرعة الواقعة في كستل من أعمال لواء أيدين في ولاية أناطولي المعروفة بقاوسنجق جفتلكي، المنتظم: جميع ما فصل من القرى والمزارع في^(١) معارض ولا منازع في سلك ملك حضرة الواقعة المشار إليها، لا زالت سجار العواطف الإلهية فايضة عليها بالتمليك السلطاني والعطاء الخاقاني المستغني كله عن الوصف والتحديد، لاشتهارها عند كل قريب وبعيد، ولتحرير صدورها ورسومها، ولتسطير معالمها وتخومها في تضاعيف المنشور المنير بآتم تحرير وأكمل تسطير، بحيث يزيل الخفاء ويرفع الإبهام، ويكشف حقيقة الحال كالحمد التام، الحاوي لشرايط الإنعكاس والإطراد، ومنع الأغيار وجمع الأفراد، بجملة ما لهذه المذكورات سابقا ولاحقا في الحدود والمرافق، والتوابع واللواحق، والطرائق والمسالك وسائر ما لا بد في ذلك، ذكر أو لم يذكر، سطر أو لم يسطر، وفقًا صحيحًا محكمًا شرعيًا وحبسًا صريحًا مبرمًا مرعيًا، وتسبيلًا مقررًا مرضيًا^(٢).

ثانيًا: أرباب الوظائف بمجمع وقف مهرماه سلطان ياسكدار:

(١) أرباب الوظائف بمدرسة مهرماه سلطان:

يلاحظ أن الوقفية قد بدأت بتفصيل أرباب الوظائف بالمدرسة قبل الجامع، ومن ثم فهي إشارة إلى أن المدرسة هي أصل إنشاء المجمع، وليس الجامع؛ إذ سبق حتى الحديث عنها ذكر متولي الوقف وكاتبه ورواتبهم، كما يلاحظ أن نص الوقفية التي بين أيدينا إنما هي صورة عن الوقفية، وإنما أصل الوقفية، وذيلها، محفوظ (بأرشيف) المديرية العامة للأوقاف بأنقرة تحت رقم:

(١) لعل الأولى والصواب: من غير.

(٢) صورة وقفية خاصكي، من ص ٤، السطر الأخير، حتى ص ٦، السطر الأول.

Defter no. 635- 2,8 no`lu Vakfiye, s. 49

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	مدرس	١	٥٠	شرطت الوقفية أن يكون متديناً تقياً ورعاً عالماً بالعلوم العقلية والنقلية، وماهراً في التعليم، وغير ذلك مما سبق ذكره في شروط تعيين المدرسين.	يلاحظ أن الوقفية ذكرت الراتب اليومي للعاملين بالآقجة، ومع ذلك فقد ورد لفظ الدرهم في ذكر تقويم مستلزمات الطبخ في العمائر الشريفة، ومن ثم ففي الوقفية إشارات عن تعدد استخدام المصطلحات.
٢	معيد	١	٥	ويكون أنبغ الطلاب وأنجبههم فيعيد الدرس على الطلاب.	
٣	طالب	١٤	٢	يدرسون العلم داخل المدرسة، ويُصرف عليهم من مال الوقف	
٤	قيم	٢	٢	وهو القائم بأمر المدرسة من حراسة وفتح وغلق الباب	
٥	عامل نظافة	١	١	لتنظيف وكنس المدرسة متى دعت الحاجة إلى ذلك	

(٢) أرباب الوظائف في جامع وقف مهرماه سلطان بإسكدار:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
١	واعظ	١	١٠	موصوف بالعلم والتقوى معروف بالزهد والورع، نعماني المذهب، يقوم بالوعظ في الليالي المباركة وأيام الجمعيات والأعياد، ويقرأ الفاتحة على أرواح الأنبياء والأولياء وآل عثمان، ويختم الوعظ بسورتي الفاتحة والإخلاص.
٢	خطيب	١	٩	فاضل صالح تقي متدين، يتقن فن الخطابة في الجمع والأعياد والمناسبات والمراسم.
٣	إمام	١	٨ ^(١)	يشترط شهرته بالعلم والعمل والفقهاء والنزاهة، طيب اللسان متقن للقرآن، عالم بالقراءات والروايات، عارف بأركان الصلاة يؤم المسلمين بنفسه لا يعين نائباً عنه.

(١) ذكرت الباحثة ريهام مجيا في رسالتها: «عمائر المرأة»، في الجزء الخاص بجامع مهرماه سلطان بإسكدار (وتكرر الأمر في الملحق) أن راتب الإمام ٦ آقجات، وقد جانبها الصواب في ذلك، فالراتب مسجل في الوقفية بالتركية العثمانية بصيغة (ووظيفه يومية سي سكر آقجة)، وسكر هي الرقم ٨ بالتركي، ويمكن مراجعة النص في أصل صورة وثيقة الوقف الخاصة بأوقاف مهرماه سلطان في: صورة وقفية مهرماه سلطان، ص ٢٢، س ٥، الكلمات ٣-٦.

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالأقجة	الشروط والمهام
٤	قارئ	٧	٤ للرئيس ^(١) ١,٥ للباقيين	يشترط مهارتهم في التجويد والترتيل، يجتمعون كل جمعة لقراءة القرآن المجيد في المحفل المنيف في الجامع، يقرأ كل واحد منهم عشر القرآن، ويقوم الرئيس بافتتاح القراءة ويختم بالفاتحة.
٥	مؤذن	٤	٤	يشترط فيهم الصلاح والفلاح والرشاد، يقومون بخدمتهم على أكمل وجه عن طريق المناوبة في فرقتين في حين يجتمعون معاً يوم الجمعة ^(٢) ، ويشترط معرفتهم بالمواعيت.
٦	مؤقت: أو ساعتجي	١	٤	يشترط صلاحه وورعه وعلمه في الساعات والتوقيت، يراقب الوقت ويُعلم المؤذنين بدخول وقت الأذان دونها تأخير ولا تقديم، وقد اشتمل مجمعها المعماري على مزولة (ساعة شمسية) من الرخام الأبيض يستعملها الساعتجي.
٧	قارئ	٣٠	(٣) للرئيس والداعي وموزع الأجزاء	يشترط معرفتهم بصحيح القراءات وحسن التلاوة، يجتمعون في الجامع بعد صلاة الصبح ليقراً كل منهم جزءاً من القرآن الكريم، يفتح رئيسهم القراءة، ويختم أفصحهم لساناً بالدعاء لآل عثمان والسلطان سليمان والواقفة، ثم يختم بالفاتحة والدعاء، ويعين منهم رجلاً موزعاً للأجزاء مسؤولاً عن التفريق قبل القراءة، والجمع بعد القراءة.
			(٢) أقجة للبقية	
٨	معرف	١	٢	يُعرف نعت الأنبياء جميعاً، ثم نعت النبي ﷺ بعد ختم القرآن الكريم والجمع، ويُعرف الأئمة والمجتهدين والسادة العثمانيين ويدعو لهم ويدعو للواقفة ثم يختم بقراءة الفاتحة.
٩	قارئ	١	٢	يقرأ كل يوم جزءاً من القرآن أمام الجامع ويهب ثواب القراءة للواقفة.

(١) يعرف الرئيس باسم «سيرمخفل» Sermahfel.

(٢) من الباحثين من أخذ الأمر على عكس واقعه، فذكر أنه لا يشترط حضورهم يوم الجمعة، إذ ذكروا ما نصه: «وفي أيام الجمعة لا يقوموا بالصلاة أو الخطبة ولا الأذان». ينظر: عمائر المرأة الدينية، ربهام بجيا عبد العال، ص ١٨٤.

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالأقجة	الشروط والمهام
١٠	قارئ	٣٠	(٢) للرئيس وموزع الأجزاء ١,٥ للبقية	يشترط معرفتهم بصحيح القراءات وحسن التلاوة، يجتمعون في الجامع بعد صلاة العصر ليقرأ كل منهم جزءاً من القرآن الكريم، يفتح رئيسهم القراءة، ويختتم بالدعاء لآل عثمان والسلطان سليمان والواقفة، ثم يختم بالفاتحة والدعاء، ويعين منهم رجلٌ موزعٌ للأجزاء مسؤولٌ عن التفريق قبل القراءة، والجمع بعد القراءة.
١١	قارئ	٢	٢	يشترط حفظها وإتقانها لتلاوة القرآن الكريم، يقرأ أحدهما جهراً سورة يس بعد صلاة الصبح، ويقرأ الثاني جهراً سورة عمّ بعد صلاة العصر.
١٢	موحد	٧	١	يشترط صلاحهم ومعرفتهم بالدبابة والاستقامة، ويجتمعون بعد صلاة الظهر، فيقول كل واحد كلمة ويهبون الثواب التوحيد ألف مرة، ثم يصلون على النبي للواقفة.
١٣	نقطه جي	١	١	يراقب حضور الموظفين وأداءهم كل في موقعه، ويضع نقطة أمام المتغيب أو المقصر في عمله، وبناءً على النقط التي يضعها فمن ترك وظيفته مرتين يتم تأديبه، وإذا تركها ثلاث مرات يتم عزله.
١٤	حافظ الكتب والمصاحف	١	٢	ويشترط إيمانه وتقواه وحرصه على الكتب والمصاحف.
١٥	قيم	٢	٣	يشترط عليهما القيام بأعمال القِيم والحفظ وفتح الأبواب وغلقها.
١٦	وقاد	٢	٣,٥	وهما يعملان في الإطفاء والإيقاف للقناديل وما يلزم الإنارة.

٣) أرباب الوظائف في معلم خانة^(١) الوقفية، أي: دار الصبيان أو المكتب:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
١	معلم الصبيان ومؤدبهم	١	٣	يكون رقيقاً ليناً لا يضرب ضرباً مبرحاً مؤماً ولا يتهاون في الخطأ، وعليه أن يحافظ على فلذات أكباد المؤمنين، ويعلمهم الخط والكتابة وغير ذلك.
٢	خليفة المؤدب	١	٢	وهو يعاون المؤدب في تأديب الصبيان وتربيتهم في غير تدخل منه في واجبات المؤدب الأول.
٣	محفظ القرآن	١	٣	يكون فاضلاً متديناً، معروفاً بالعلم والحلم، عالماً بالقرآن وسائر واجبات الدين، مجوداً وملحناً يحفظ الصبيان القرآن.
٤	خليفة المحفظ	١	٢	وهو يتابع تحفيظ الصبية القرآن تحت إشراف المحفظ، وبلا تدخل منه في واجبات المحفظ.
٥	كناس	١	١	وهو مسؤول عن التنظيف وغلق باب المعلم خانة.

٤) أرباب الوظائف الإدارية بوقف مهرماه سلطان:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
١	متولي الوقف	١	٤٠	وهو متولي الوقف ويشترط عدله وتدينه وصلاحه وحسن سيرته، ليكون مسؤولاً عن جميع ما يدخل ضمن نطاق الوقف.
٢	كاتب المتولي	١	١٠	وهو كاتب المتولي يكتب كل صغيرة وكبيرة بلا إهمال ولا تقصير ولا تأخير.
٣	جاب ^(٢)	٥	٥	وتم توزيعهم بواقع جاب في كل موضع من موقوفات الوقف ومسبلاته، يجمعون الإيرادات في مواعيدها، وكان كل واحد منهم مسؤولاً عن عدد من القرى والمزارع وغيرها، ويشترط أن يكونوا أشخاصاً موثقاً فيهم ومخلصين وصادقين لا ينحرفون عن الطريق الصالح.

(١) وهو اللفظ الوارد في الوقفية.

(٢) كانت وظيفة الجابي موجودة بالعائز والمؤسسات الوقفية العثمانية، حتى تم إلغاؤها بموجب المادة رقم ٢٢ من قانون الأوقاف بتاريخ ٥ يونيو ١٩٣٥م، ومن ثم سيطرت الحكومة التركية على الأوقاف، وقامت هي بتعيين الكتبة والجابين من طرفها ممثلة في المديرية العامة للأوقاف.

Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op.cit), (Bekir Yilmazörnek), S.71.

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
٤	كاتب الجابي	٥	٤	وهم كاتبو الجباة يعملون معهم ليسجل كل واحد في دفتره كافة ما يخص الموضوع المسؤول عنه بإشراف الجابي.
٥	مشرف الجباة ^(١) وهو الصوباشي ^(٢)	١	٥	وهو المشرف على الجباة السابقين ويتابع عملهم.

٥) أرباب الوظائف بعمارت وقف مهرماه سلطان:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
١	شيخ العمارت	١	٨	يشترط أن يكون مؤمناً طاهراً بشوشاً مستقيماً، يأتي إلى العمارة بعد العصر خاصة أيام رمضان وبعد صلاة العيد وموسم النصف من شعبان (برات) وأول جمعة في شهر رجب (رغايب)، وعليه أن يشرف على كل العمارت، ويذوق الطعام بنفسه ليتأكد من الملح والطعم، ولو وجد تقصيراً ينبه على الطباخين تنبيهاً بليغاً، ولو رأى ضرورة تغيير أحد الطباخين فإنه يُعلم المتولي بذلك.
٢	وكيل الخرج	١	٦ ^(٣)	وهو المسؤول عن الخرج والدخل في العمارت ويعمل تحت شيخ العمارت.
٣	كاتب وكيل الخرج	١	٥	يكتب جميع ما يدخل إلى العمارت أو ما يخرج منها من دون تأخير في دفتره.
٤	كيلارجي	١	٤	وهو حافظ المأكولات بالعمارت.
٥	كيلارجي شاگرد	١	٢	وهو مساعد الكيلارجي.

(١) لم يرد مسماه الوظيفي في نص الوقفية، وإنما تم ذكر وظيفته بأنه مشرف على الجباة.

(٢) Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op.cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 75.

(٣) ذكرت إحدى الباحثات أن راتب وكيل الخرج ١٥٠ آقجة، وقد جانبها الصواب في ذلك؛ إذ إن راتب شيخ العمارت نفسه ٨ آقجات، ووقع ذلك نتيجة الترجمة غير الصائبة. ينظر: عمائر المرأة الدينية، ربهام يحيا عبد العال، ملحق الدراسة، في ترجمتها - حسب ترقيمها- للصفحة رقم ١٧، السطر قبل الأخير.

٢	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام
٦	أنبارجي	١	٢	وهو أمين مخزن الأنبار أو البضائع والمستلزمات، ويشترط معرفته بالأوزان والمكاييل.
٧	إيتمكجي ^(١)	٤	٥ للرئيس ٤ للبقية	وهم الخبازون، إذ يشترط نظافتهم، وحرصهم على عدم حدوث التلوث، ويرأسهم أقدمهم، وقد ورد هذا المصطلح في وثائق من الأرشيف العثماني، وكان هنالك نقابة لهم أو طائفة ^(٢) .
٨	آشجي ^(٣)	٤	٥ للرئيس ٤ للبقية	وهم الطباخون، ينبغي أن يكونوا أساتذة في الطبخ، نظيفي المظهر، ممتنعين عن إحداث التلوث، ويرأسهم أقدمهم.
٩	كتأس ^(٤)	١	٣	وهو منظم العمارة وكناسها.
١٠	حمال	٢	١	يحملون لوازم الطبخ من مخزن الأنبار للمطبخ، أولهم حمال كش، والثاني معاون له يعرف في الوقفية باسم هيمه كش.
١١	كاسه كش	٤	١	وهم حاملو الأواني في العمارت ^(٥) .
١٢	قزغان ^(٦) شوي	١	٢	وهو غاسل الأواني الكبيرة (أواني الطبخ)، ومنها اشتقت الكلمة التي لا تزال تستخدم في الأوساط المصرية باسم (قازان).
١٣	كاسه شوي ^(٧)	٢	١	وهو غاسل الأواني الصغيرة (أواني تقديم الطعام).

- (١) لم تفرق الباحثة بين هذه الوظائف، وربما اختلط الأمر عليها فلم تذكر الخبازين. ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، الملحق.
- (٢) ورد هذا المصطلح ضمن إيصال لأحد هؤلاء (إيتمكجي) في الأرشيف العثماني، وثيقة رقم AS-3268136-2.
- (٣) ورد هذا الاسم في الوقفية، في حين يذكر بصيغة أخرى أيضاً هي آشتجي، ويعرف الرئيس بأشتجي باشي. ينظر: Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op.cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 86.
- (٤) لم يرد مسماه الوظيفي في نص الوقفية، وإنما وردت مهامه.
- (٥) ذكر بعض الباحثين أنهم يعاونون الحمالين، والأصوب أن وظيفتهم حمل الأواني لا مساعدة الحمالين. ينظر: عمائر المرأة الدينية، ريهام يحيى عبد العال، ملحق الدراسة.
- (٦) وقد أورد شمس الدين سامي، أن هذا اللفظ معناه: الآنية الضخمة أو الكبيرة. ينظر: قاموس تركي، شمس الدين سامي، درسعادت (إستانبول)، ١٣١٧هـ، ص ١٠٦٩.
- (٧) ذكر بعض الباحثين أن أصحاب هذه الوظيفة يساعدون الطباخ في شوي اللحوم، وقد جانبهم الصواب. ينظر: عبد العال، ريهام يحيى، عمائر المرأة، ملحق الدراسة.

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالأقجة	الشروط والمهام
١٤	نقيب	٢	٢	أحدهما نقيب اللحم (گوشت) ^(١) ، والأخر نقيب الخبز (نان) ^(٢) .
١٥	قيم	١	٢	وهو مسؤول حفظ العمارت وحراستها وفتح أبوابها وغلقها.
١٦	فراش	٤	٣	ويتم توزيعهم كالآتي: ٢ في مسافر خانه، ٢ في الخان فسيح البينان.
١٧	آخوري	١	٣	وقد ورد في وقيات أخرى باسم آخورجي، وهو الإصطبلي، ويكون الإصطبل ملحقًا بالخان، وعلى الآخوري العمل داخل الإصطبل وخارجه ويقوم بجميع أعماله المنوطة به.

٦) النفقات الأخرى داخل العمارت يوميًا:

م	البند	السعر أو القيمة	ملاحظات
١	دقيق	١٢ كيلة يتم تنقيتها، وغالبًا ما يصل صافيها إلى ١٠ كيلات للخبز، بحيث يقسم نصفها صباحًا ونصفها مساءً، لأنه كانت تقدم وجبتان.	(١) ما ورد هنا ليس جميع البنود المشروطة. (٢) ذكرت بعض البنود بالوزن وبعضها بالسعر وبعضها بغير ذلك. (٣) حددت الوقفية قيمة واسم الكيلة المستخدمة، بأنها كيلة إستانبول ^(٣) ، وهي تساوي ٢٠ أوقية، والأوقية تعادل وزن ٤٠٠ درهم.
٢	ملح	يصرف ٦ أوقيات لكل ١٠ كيلات صافية من الدقيق	
٣	فلفل	٥ دراهم ^(٤)	
٤	مصطكى	٥ دراهم	
٥	حمص	٢ شنكر	
٦	بصل	٥ أواق	
٧	معدنوس	٢ آقجة	
٨	زبادي	٢٠ أوقية	
٩	أسفناخ	٤ آقجات	

(١) قاموس تركي، شمس الدين سامي، ص ١٣٠٤.

(٢) وهي لفظة فارسية تعني الخبز، وتأتي في بعض الوثائق باسم ناني عزيز.

(٣) وردت صيغة إستانبول في الوقفية، وكذلك وردت في وقفية خديجة تورخان سلطان أيضًا، دلالة على استعمالها أحيانًا إلى جانب قسطنطينية المحمية.

(٤) وردت قيمة المشتريات بالدرهم، رغم ورود المرتبات بالأقجة.

م	البند	السعر أو القيمة	ملاحظات
١٠	قرع	٣٠ أوقية	يضاف ضمن الشروط حال دخول موسم القرع فقط.
١١	قورت	٢٠ أوقية	
١٢	بند خاص بيوم ١٢ ربيع الأول	يجمع العلماء والوعاظ والصلحاء والحفاظ يدعون ويصلون على الرسول ﷺ طوال اليوم والليلة جهراً بالتأني والتمكين، ويقوم بعض المؤذنين بالمدح ونعت الرسول ويقرؤون عُشراً من القرآن (٣ أجزاء). ويتم صرف مبلغ ١٣٠٠ آفجة لمستلزمات هذا اليوم سنوياً، لتغطي مكافآت الأشخاص، والبخور اللازم، والطعام على ما جرت به العادة لهذا اليوم بين الأنام.	يتم صرف هذا (البند) في يوم ١٢ ربيع الأول من كل عام احتفالاً بمولد النبي ﷺ.

(٧) أبواب الوظائف الأخرى:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي لكل شخص بالآفجة	الشروط والمهام
١	مرمتجي	٢	٢	تم توزيعها إلى قسمين؛ أحدهما مسؤول عن تعاهد وإصلاح مجاري وشبكة الماء، وقد ورد في الوقفية باسم (صويولي)، والآخر هو المرصص ومتعهد سائر المرمت الأخرى.
٢	حارس	١٢	١,٥	وقد شرطت الواقفة في أواخر الوقفية أنه إن جاءها أمر الله وقبضت الملائكة روحها لتلحق بفاطمة وخديجة وسائر أمهات المؤمنين والصالحات، يتم تعيين اثني عشر شخصاً يتعاهدون التربة الشريفة والروضة المنيفة التي ستدفن بها ^(١) على سبيل المناوبة، ويقومون بالدعاء لها ^(٢) .

(١) لم تحدد الوقفية تربة معينة ولا موضعاً معيناً، وإنما جاء الحديث عاماً من دون تحديد.

(٢) لم يرد في نص صورة الوقفية إلا ما ذكرته؛ وإنما زاد بعض الباحثين - اعتماداً على ذيل الوقفية المحفوظ بالمديرية العامة للأوقاف - أن الواقفة شرطت إذا ما قبضت روحها فإنه يتم تعيين ٢٤ قارئاً يقرؤون القرآن عند تربتها الشريفة، بحيث لا تنقطع القراءة منها أبداً، وبعض من الوظائف الأخرى. ينظر:

Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi (op.cit), (Bekir Yılmazörnek), S. 98-99.

٨ جهات الصرف على أوقاف أخرى متضررة (أو هلكت أوقافها وانقطعت إيراداتها):

شرطت الموافقة ترميم جامع خواجه قاسم بقسطنطينية المحمية، وقامت بتعيين:

م	(البند)/ الوظيفة	العدد	الراتب اليومي بالآقجة	ملاحظات
١	إمام	١	٢	يتقاضون رواتبهم من أوقاف مهرماه سلطان.
٢	مؤذن	١	٢	
٣	قيم	١	٢	
٤	لوازم الحصر والفرش وغير ذلك	-	٢	يتم صرف ٢ آقجة يوميًا لسائر اللوازم ليصرف منها ويتم ادخار المتبقي لمصالحها.

كما شرطت الموافقة أيضًا تعيين بعض الوظائف في مدرسة أخرى غير مدرستها بإسكدار، وهي المدرسة المشتملة على ١٢ حجرة ودرس خانة، وعيّنت فيها:

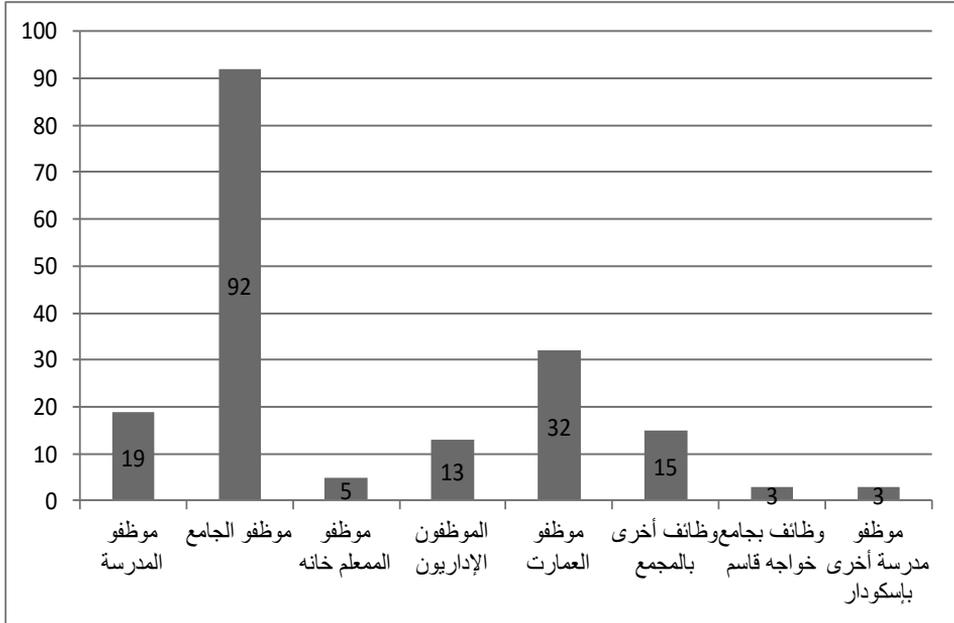
م	(البند)/ الوظيفة	العدد	الراتب اليومي بالآقجة	ملاحظات
١	مدرس	١	٤٠	يتقاضون رواتبهم من أوقاف مهرماه سلطان، ويلاحظ ارتفاع راتب المعلم تقديرًا للعلم وأهله.
٢	دانشمندن ^(١) : وهو معاون المدرس	١	٢	
٣	بواب	١	١,٥	

٩ موقوفات مهرماه سلطان ومسبلات إيرادات أوقافها:

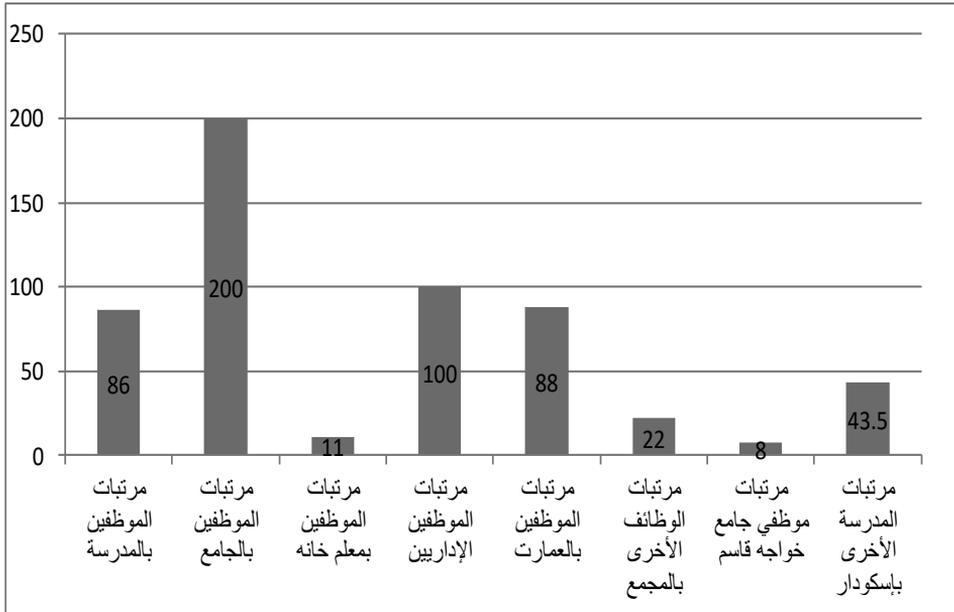
أما عن الموقوفات ومسبلات الإيرادات فتجلى عن الوصف، فتشتمل على عدد من القرى، والضياع، والعقارات، والحمامات، والأفران الخبازية، والسفن التي تستخدم لنقل الناس والدواب وغيرهم بأجر، وغير ذلك مما ورد في وقيتها، وقد انقسمت تلك الموقوفات على الأفضية، وقد تعددت مواقعها، وجاءت كالاتي:

(١) وهو معاون المدرس أو مساعده. ينظر: قاموس تركي، شمس الدين سامي، ص ٦٠٠.

م	اسم القضاء الذي توجد به الموقوفات	رسم القضاء كما جاء في الوقفية
١	قضاء فيلبه	در قضا فيلبه
٢	قضاء تاتار بازاري	در قضا تاتار بازاري
٣	قضاء صماقو	در قضيا صماقو
٤	قضاء چرنوي	در قضا چرنوي بسمي اوجج
٥	قضاء سلانيك	در قضا سلانيك
٦	قضاء نورقوب	در قضا نورقوب
٧	قضاء عورت حصاري	در قضا عورت حصاري
٨	قضاء تيمور حصاري	در قضا تيمور حصاري
٩	قضاء ينيشهير در قضاء (يگيشهير)	در قضا ينيشهير
١٠	قضاء كليورده	قضا كليورده
١١	قضاء ينيشهير (يگيشهير)	قضا يگيشهير



رسم بياني يوضح عدد الموظفين بكل منشأة يومياً طبقاً لوقفية مهرماه سلطان من مجموع (١٨٢) موظفاً (عمل الباحث)



رسم بياني يوضح الراتب اليومي بكل منشأة طبقاً لوقفية مهرماه سلطان من مجموع (٥٥٨, ٥) آقجة (عمل الباحث)

ثالثاً: مرتبات أرباب الوظائف والمهن والحرف بوقف نوربانو سلطان «عتيق والده سلطان»:

١) الموظفون الإداريون بوقف نوربانو سلطان بإسكدار طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	متولي الوقف	١	١٠٠	الرئيس أو المدير العام.
٢	كاتب	١	٢٠	كاتب المتولي.
٣	جاب	١	٥	جامع الإيرادات من إسكدار.
٤	كاتب السجلات	١	٥	كاتب سجلات الوقف بإسكدار.
٥	الجابي	١	٥	جامع إيرادات المزارع الموقوفة بقضائي إسكدار ويوروس.
٦	الكاتب	١	٥	كاتب إيرادات المزارع الموقوفة بقضائي إسكدار ويوروس.
٧	الجابي	٢	٥	جامع إيرادات القرى الواقعة بقضاء يانبولو.
٨	الكاتب	٢	٥	كاتب إيرادات القرى الواقعة بقضاء يانبولو.
٩	الجابي	١	٥	جامع إيرادات الأوقاف بقضاء رودسجق.
١٠	الكاتب	١	٥	كاتب إيرادات الأوقاف بقضاء رودسجق.
١١	متول	١	٣٠	لمصالح القرى المعروفة بيني إيل في سيواس.
١٢	الكاتب	١	١٥	كاتب متولي مصالح القرى المعروفة بيني إيل في سيواس.
١٣	الكاتب	٢	٥	يكتب إيرادات القرى المعروفة بيني إيل في سيواس.
١٤	الناظر	١	٤٠	وهو المشرف على المجمع، أغا دار السعادة وهو (محمد أغا) في الوقفية.

٢) أرباب الوظائف بمسجد وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	خطيب	١	٢٠	يخطب في الناس خطبة الجمعة.
٢	إمام	٢	١٠	يؤمان الناس في الصوات المكتوبة على طريقة المناوبة.
٣	مؤذن	٨	٥	يؤذنون في جميع الصلوات على طريقة المناوبة فيما يجتمعون جميعاً في الجمعة والأعياد.
٤	مصلّ	٥	٤	يصلي كل منهم ٢٠ ركعة في اليوم ويهدي ثواب الصلاة للواقفة.
٥	رئيس الحفاظ (القراء)	١	٦	يقرأ في صلوات يوم الجمعة.
٦	قارئ (حافظ)	٩	٣	يقرأ القرآن تحت إشراف رئيس القراء.
٧	قارئ (حافظ)	١	٥	ينشد بمدح النبي ﷺ.
٨	المعرف	١	٥	يمدح ويدعو للسلطان والواقفة.
٩	القيم	٤	٥	يقوم بمساندة عمال المسجد ومراقبتهم، وكذلك يراقب أداء الحراس وعمال الخدمات.
١٠	المشرف على منطفي السجاد	٣	٣	أحدهم يشرف صباحاً، والآخر وقت الظهيرة، والثالث بعد الظهر.
١١	منظف السجاد	٢٧	٢	يتناوبون صباحاً ووقت الظهيرة وبعد الظهر بواقع ٩ أشخاص كل وقت.
١٢	قارئ للقرآن	٩٠	٣ للمشرفين	يهدون ثواب القراءة للواقفة، بحيث يقرأ كل ثلاثين منهم في أحد الأوقات النهارية جزءاً لتتم الختمة بعد الصلاة.
			٢ للقراء	
١٣	قارئ للقرآن	٦	٢	يهدى ثواب القراءة للنبي وأزواجه.
١٤	حافظ المصحف	١	٣	مسؤول عن صندوق حفظ المصحف.
١٥	بخوريّ (معطر أو مبخر المسجد)	١	٨	عليه تبخير المسجد.
١٦	موقت (متابع للوقت)	١	٧	يُعلم المؤذنين بدخول الوقت وينبغي أن يكون له دراية بالمواقيت وحسابها.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١٧	حارس المصاحف	٢	٤	مسؤول عن حفظ نسخ المصاحف الموقوفة بالمسجد عقب قراءة القراء منها.
١٨	قارئ	١	٢	يقرأ آخر آيتين من سورة البقرة عقب صلاة الجمعة.
١٩	حافظ	١	٢	يقرأ سورة يس بعد صلاة الفجر.
٢٠	حافظ	١	٢	يقرأ ١٠ آيات من القرآن بعد صلاة الظهر.
٢١	حافظ	١	٢	يقرأ سورة الملك بعد الغروب.
٢٢	حافظ	١	٢	يقرأ سورة عمّ بعد صلاة العصر.
٢٣	مراقب	١	٣	يراقب العاملين بالمسجد ويعاقب المتخاذلين، ويوصي بفصل من لا يؤدون واجباتهم باجتهد.
٢٤	بيردجي	١	٣	شخص يهتم بتعليق وإصلاح الستائر.
٢٥	عامل	٤	٤	يوقدون الشموع والقناديل بالمسجد.
٢٦	فراش	٤	٤	يقومون بكنس المسجد من الداخل.

٣) أرباب الوظائف بمدرسة وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	مدرس	١	٦٠	القيام بالتدريس، ويكون عالماً بحديث رسول الله ﷺ.
٢	رئيس المعيدين	١	٢	ويعتبر مساعداً للمدرس، وهو أفضل الطلاب جميعاً.
٣	معيد	٥	٢	يقومون بمراجعة دروس الطلاب أوقات الراحة، وهم أفضل خمسة طلاب بعد الأول.
٤	طالب	١٠	١	يدرسون العلم الشرعي والعقلي بالمدرسة.
٥	الحارس	١	٢	يقوم بحراسة المدرسة ومقتنياتها، كما يجرس جدرانها من العبث.
٦	البواب	١	٢	يفتح ويغلق باب المدرسة في مواعيدها المحددة ويقوم بتنظيف المدرسة.

٤) أرباب الوظائف بدار الحديث بوقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	المدرس	١	٤٠	القيام بالتدريس، ويكون عالماً بحديث رسول الله ﷺ.
٢	الطلاب	١٢	٢	وهم طلاب الحديث المشتغلين بتعلمه.
٣	حافظ الكتب	١	٣	يقوم بحماية وحراسة كتب الحديث الشريف بدار الحديث.

٥) أرباب الوظائف بدار القراء بوقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	شيخ القراء	١	٣٠	يقوم بتعليم الحفاظ القرآن الكريم.
٢	حافظ	١٠	٢	وهم في مرحلة القراءة والتدريب.

٦) أرباب الوظائف بكتاب (مكتب الصبيان) وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	معلم	١	٨	يكون معلماً للصبيان ومؤدباً لهم، ويشترط إتقانه لتلاوة القرآن وعلم الحساب ويكون خبيراً في معاملة الصبيان.
٢	قلقة	١	٣	مساعد المعلم.
٣	معلم الخط	١	٢	يعلم الصبيان الخط.
٤	بواب	١	١	يفتح ويغلق باب المكتب في أوقاته المعلومة، وعليه تنظيف المكتب يومياً.

٧) أرباب الوظائف بخانقاة وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	الشيخ	١	٢٥	وهو شيخ الدراويش.
٢	الفقراء	٣٢	٢	من الصوفية والدراويش.
٣	بواب	١	٢	يفتح ويغلق باب الخانقاة في الأوقات المحددة، وعليه تنظيفها والعناية بأمورها يومياً.

٨) أرباب الوظائف بمستشفى (دار الشفاء) وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	رئيس الأطباء (باشحكيم)	١	٢٠	ممارس عام.
٢	طبيب	١	١٥	ممارس عام.
٣	رئيس الكحالين	١	٥	يشخص ويعالج أمراض العيون.
٤	كحال	١	٤	يشخص ويعالج أمراض العيون.
٥	رئيس الجراحين	١	٥	ويعرف في وثائق الوقف باسم جراح باشي.
٦	جراح	١	٤	يقوم بإجراء العمليات الجراحية، وما يدخل في نطاق تخصصه.
٧	وكيل الخرج	١	٣	يشترى متطلبات دار الشفاء.
٨	كاتب وكيل الخرج	١	٣	يكتب ما يشتريه وكيل الخرج لمصالح دار الشفاء، ويدرج في دفتره ما يقع من الدخل والخرج.
٩	مراقب المرضى (المرضى)	٤	٣	يراقبون المرضى ويعتنون بشؤونهم نهائياً مجتمعين، ويتناوب كل اثنين منهم كل ليلة.
١٠	صيدلي (إجزخاني)	٢	٣	مهمتها طبخ الأشربة والمعاجين تبعاً لتعليمات الطبيب.
١١	طباخ	٢	٣	مهمته إعداد الطعام المخصص للمرضى وفق تعليمات الطبيب.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١٢	شاشرجي (غاسل الملابس)	٢	٣	يغسلان ثياب المرضى والفرش وغير ذلك.
١٣	دقاق الأدوية	٢	٢	يدق الأدوية ويطحنها تبعاً لتعليمات الطبيب المعالج.
١٤	فراش	١	١	مهمته الكنس والتظيف باستمرار.
١٥	حمامي	١	٢	يسخن الماء المعد للمرضى ويدلكهم.
١٦	ناقل الأواني (كاسة كاشي)	١	١	ينقل آنية المرضى.
١٧	ممرض	٢	٣	يعطيان الأدوية للمرضى نهائياً، ويتناوب كل واحد منهم مع الآخر ليلاً.
١٨	كيلارجي (حافظ الأنبار)	١	٤	هو أمين المخزن أو حارسه، يعلم الدخول والخروج على وجه التفصيل والإجمال.
١٩	إمام	١	٤	يؤم خدم دار الشفاء والمرضى في الصلاة عند استطاعتهم تأديتها في مكان معد لذلك.
٢٠	مؤذن	١	٢	يؤذن للصلاة بدار الشفاء.

٩) أرباب الوظائف بعمارت (مطعم) وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	ناظر العمارة	١	١٥	وهو شيخ العمارة يراقب الخبازين والطباخين وغيرهم من العاملين.
٢	وكيل الخرج	١	٥	يقوم بشراء مختلف المواد التي تتطلبها العمارت.
٣	كاتب وكيل الخرج	١	٥	يكتب مشتريات وكيل الخرج.
٤	كيلارجي (حافظ أنبار العمارة)	١	٦	يحفظ مخزن العمارة بكل محتوياته.
٥	مهرجج	١	٢	وتعني أمر مخزن المشتريات.
٦	قاطع أو كاسر الحطب	١	١	يقوم بجمع الحطب اللازم للعمارات وإعداده للاستخدام مباشرة.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
٧	أمين الحطب	١	٢	يخرج الحطب وقت الحاجة مع معرفة الخارج والباقي.
٨	دقاق الحنطة	٢	٢	يدقان الحنطة ويقشران الخضراوات.
٩	حافظ النخالة	١	١	وهو الذي ينخل الدقيق ويحفظه من التلوث.
١٠	رئيس الخبازين	١	٥	رئيس ومراقب عمل الخبازين.
١١	خباز	٥	٤	ويقوم كل منهم بمهمته اللازمة في إعداد الخبز.
١٢	رئيس الطباخين	١	٦	ويشرف على الطباخين الذين يعملون تحت يده.
١٣	طباخ	٥	٥	يقوم كل منهم بطبخ ما يميله عليه الرئيس وفق شروط الواقف.
١٤	نقايي	٤	٣	اثنان لنقابة اللحم واثنان لنقابة الخبز.
١٥	كاسه شوي	٢	٤	غاسل الأطباق وسائر أواني العمارة.
١٦	كاسه تاشيجي	٤	١	يتقلون الأواني من المطبخ إلى المكان المخصص لغسلها فيه.
١٧	عامل	٤	٢	مهمتهم تنقية الأرز بجدد وفصل الفاسد عن الصالح منه.
١٨	حمال	٢	٢	أحدهما يحمل اللحم والآخر يحمل الدقيق.
١٩	كيلارجي	١	٤	يحفظ الحنطة والدقيق في مخزنها.
٢٠	كاتب الأنبار	١	٥	يكتب الخرج والدخل من مخازن الأنبار.
٢١	حافظ الشعير	١	٢	يحفظ أنبار الشعير ويطعم دواب المسافرين من الشعير بقسمة الحصاة عليهم من دون تمييز.
٢٢	فراش مقيم	٢	٢	ينظفان مطبخ العمارة ويكنسانه باستمرار.
٢٣	إبريقجي	٢	٢	يحضران الماء لمن يريد الطهارة أو غسل يديه داخل العمارة.
٢٤	آخورجي	٢	٢	يحفظان الإصطبل ويحرسانه وينظفانه.
٢٥	عامل النظافة	٢	٢	ينقلان الكناسة والمزابل من العمارة إلى موضع المزابل.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
٢٦	بواب	٣	٢	عليهم فتح وغلق باب العمارت والأبواب الداخلية في الأوقات المعلومة، وعليهم حفظ ما في العمارت وتنظيفها يومياً.

(١٠) أرباب الوظائف بتابخانة (مقر المتصوفة المسافرين) وقف نوربانو سلطان ورواتبهم طبقاً للوقفية (جاءت في الوقفية ضمن موظفي العمارة):

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	فراش	٤	٤	يقوم بكنس وتنظيف التابخانه يومياً.
٢	وقاد القناديل	٢	٤	يقوم بإضاءة القناديل ليلاً وإطفائها مع طلوع الفجر، ويعهد إليه بتنظيفها والعناية بها وتزويدها بالزيت اللازم متى دعت الحاجة إلى ذلك.

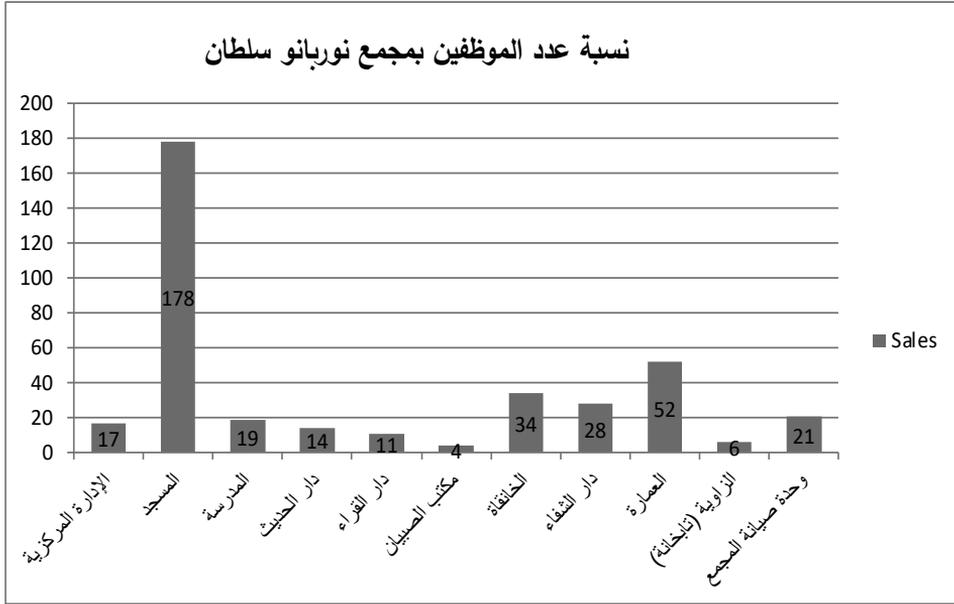
(١١) أرباب الوظائف الأخرى لخدمة سائر المصالح الوقفية بوقف نوربانو سلطان:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
١	فراش	٢	٤	يكنسان وينظفان العمارة من خارج الأبنية.
٢	قورشونجي	١	٤	يكنس أسطح العمارة وباقي العمائر وينظف الأبنية من الخارج.
٣	مانع النقوش	١	٢	يراقب الجدران ليمنع السفهاء من النقش عليها ويزيل ما ينقش.
٤	مرمتجي	٢	٣	وهما شادا العمارة يرمان ما تحتاج إليه الأبنية من ترميم.
٥	رئيس الأسطاوات (الساكين) (بولوكباشي)	١	١٠	يشرف على إصلاحات أنابيب الماء ووصلاته للمجمع.

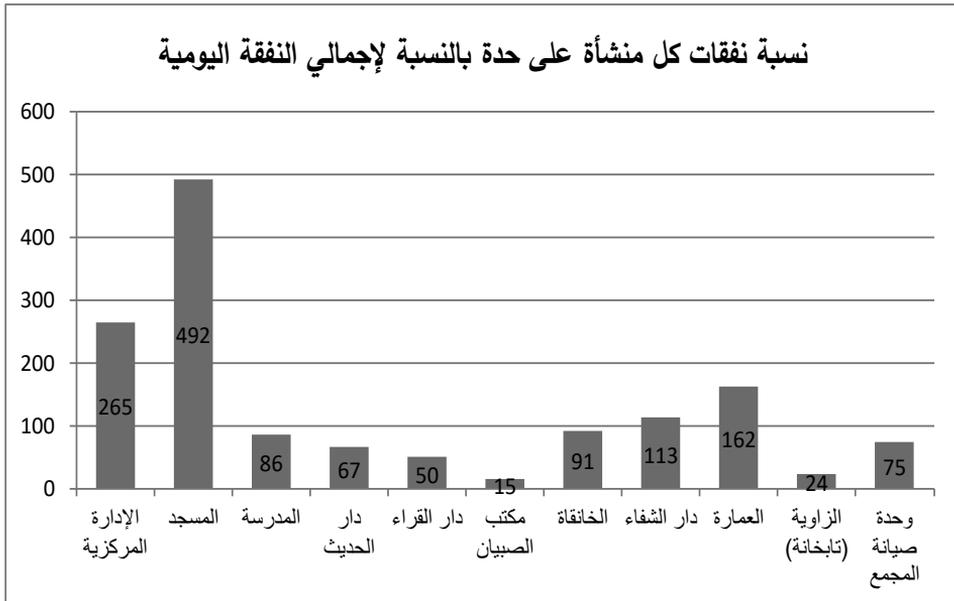
م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالدرهم	المهام
٦	أسطى (سباك)	٦	٥	يقومون بإصلاح أنابيب الماء وصيانتها؛ اثنان لمراقبة أنابيب توصيل الماء للمسجد والمدرسة والعمارة، واثنان للحمام، واثنان لمصادر الماء.
٧	جراق	٧	٢	وهم مساعداو الأسطاوات السابقين.
٨	بواب	١	١	يراقب دار الحديث ودار القراء.

١٢) حجم النفقات اليومية (المذكورة في الجداول السابقة فقط) بمجمع (كلية) عتيق والدة بإسكدار:

م	المنشأة (أو الوحدة)	عدد الأشخاص	النفقات اليومية بالدرهم
١	الإدارة المركزية	١٧	٢٦٥
٢	المسجد	١٧٨	٤٩٢
٣	المدرسة	١٩	٨٦
٤	دار الحديث	١٤	٦٧
٥	دار القراء	١١	٥٠
٦	مكتب الصبيان	٤	١٥
٧	الخانقة (الرباط)	٣٤	٩١
٨	دار الشفاء (المستشفى)	٢٨	١١٣
٩	العمارة (بيت الضيوف)	٥٢	١٦٢
١٠	الزاوية (تابخانة) [وهي خاصة بالدرراوئش الرحالة المتنقلين وليس المقيمين في المجمع]	٦	٢٤
١١	وحدة الصيانة العامة (وحدة متابعة الكلية)	٢١	٧٥
١٢	الإجمالي	٣٨٤	١٤٤٠



رسم بياني لنسبة عدد الموظفين بكل منشأة في مجمع نوربانو سلطان (عمل الباحث)



رسم بياني يبين نسبة نفقات كل منشأة على حدة بالنسبة لإجمالي النفقة اليومية بمجمع عتيق والدة سلطان (عمل الباحث)

١٣) المسبلات والموقوفات على كلية نوربانو سلطان الخيرية وعمائرها:

نظرًا لضخامة العمائر الوقفية لنوربانو سلطان وكثرة الموظفين الموجودين داخلها واحتياج العمائر إلى المرمات المتكررة للمحافظة عليها، فإنه كان لزامًا عليها أن توفر مصدر الدخل الثابت والمؤبد الذي يضمن استمرار تأدية أعمالها الخيرية لوظائفها، وقد جاء أكثر من ٨٠٪ من الإيرادات من خارج قسبة إسكدار، إذ وقعت معظم الموقوفات وجهات الإيراد خارج إستانبول نفسها، منها: الأراضي والحمامات والدكاكين والمطاحن والمنازل والمزارع والمراعي والحدائق والمصانع والمخابز، وغير ذلك مما ورد في وثيقته الوقفية؛ ويمكن لبيان ضخامة هذا الأمر ذكر مجمل هذه الموقوفات - وليست جميعها - التي تناثرت في أنحاء الدولة العثمانية كافة ما بين الأفضية المختلفة، وذلك على النحو الآتي:

م	نوع الموقوفات وجهات الإيراد	العدد
١	قطعة أرض (عرضة أرض).	٣
٢	رباط أو خان تجاري.	٣
٣	مزرعة (Çiftlik).	٥
٤	مدبغة (دباغان).	٦
٥	مطحنة.	١
٦	دكان.	٦٤
٧	مخبز (فرن خبازي).	٣
٨	حمام عام.	٥ حمامات؛ ذكرنا منها أربعة في الدراسة التحليلية إلى جانب حمام خامس غير معروف.
٩	خان (نزل) ربحي.	١
١٠	حجرات بالإيجار.	١٣٠
١١	قرية أو بلدة كاملة بمشتملاتها.	١٤
١٢	منزل (ليست بمعنى بيت) وإنما دلالة على موضع محدد معلوم بمعنى (نطاق) أو مساحة معلومة.	٤
١٣	مزرعة [Mezra'a] (قد تكون مزرعة ماشية).	٢
١٤	مغزل (بمنزلة مصنع نسيج) [Eğrek].	١٣
١٥	مقاطعة بجميع ما فيها.	٢
١٦	مرعى عشبي.	٢
١٧	سلخانة (مذبح).	٣
١٨	موضع المعروف باسم (Serhane).	٢
١٩	موضع المعروف باسم (Şemhane).	٢

رابعاً: أرباب الوظائف بالوقف العظيم لخديجة تورخان سلطان:
 (١) أرباب الوظائف الإدارية العامة بوقف خديجة تورخان سلطان:

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	ناظر الوقف: وهو وكيل الواقفة	١	٥٠	أن يكون أغا دار السعادة، وهو المشرف العام على الوقف وله بعض الموظفين يختص بتعيينهم.	هو في نص الوقفية محمد أغا، وهو وكيل الواقفة في التسجيل وغير ذلك.
٢	متولي الوقف	١	١٢٠	ينبغي أن يتصف بالأمانة والتقوى، ويكون من أولي المعارف والمآثر، وحاوياً للمكارم والمفاخر، وعليه أن يقوم بعمله على طريق مستقيم، وهو المشرف على الوظائف كافة، ومسؤول التوظيف الأول في غالبها، ومسؤول عن سائر الموقوفات والمسبلات ومرمتها وعمارتها.	هو في الوقفية حسن أفندي.
٣	جاب	١	١٢٠	يشترط فيه الصلاح والتدين والأمانة وكمال الاستقامة، يكون عالماً بالحساب والكتابة، يكون عالماً بجميع المسبلات وأوقات تحصيلها.	يعين من قبل الناظر وليس المتولي، ويُعدّ الجابي العام، أو رئيس الجبابة. شرطت الواقفة أن يرسل الجبابة الإيراد إلى أغا دار السعادة، وهو بنفسه يشرف على إنفاق الرواتب، ويوقع بالإمضاء على ذلك، ثم يوقع بعده السيد محمد الأمين بن صنع أفندي قاضي الروملي السابق.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٤	كاتب للجابي	١	٣٠	يشترط فيه الديانة والأمانة، وأن يكون موصوفًا بالصلاح والاستقامة، وكاتبًا ماهرًا لديه علم بأسلوب الدفاتر وعلم الحساب، يكتب جملة وتفصيلاً محصول الأوقاف والإيرادات والمصروفات قليلة كانت أم كثيرة.	وهو كاتب الجابي العام.
٥	روزناجي كاتب	١	٢٠	يكتب إيرادات الوقف ومصروفاته أيًا كانت وتمن أخذت ولمن أعطيت في دفتر مؤرخ بيوميات الإيرادات والمصروفات.	وهو كاتب اليوميات، ويعاون الكاتب الأول.
٦	جاي ومعمد المشاهرات	١١	١٠	واشترطت الواقعة أن يكون كل واحد منهم قادرًا على جمع الغلات وتحصيلها.	وتم توزيعهم بحيث يختص كل واحد منهم بجزء من العمل.
٧	كاتب جباة المشاهرات	١	١٠	وهو كاتب لمعمد المشاهرات.	لم يرد توظيف كتاب لباقي الجباة.
٨	صراف (محاسب)	١	١٠	واشترطت الواقعة أن يكون ماهرًا في فن الحساب، يقوم بعمله بكل بصيرة ودقة، ويقوم بحساب ما يحتاج إلى حساب.	يقوم بحساب كافة ما يجري من معاملات محاسبية بالوقف.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٩	وكيل الخرج	١	٢٠	يشترط أن يشتهر بالرشد والكياسة ويسعى لتحقيق الكفاية، ويقوم بشراء ما يستلزم من السوق ودفع أثمان البضائع في وقتها مع كتابة وقت الشراء بدقة.	يكون عمله بالجامع الشريف.
١٠	كاتب وكيل الخرج	١	١٠	وهو يساعد وكيل الخرج، ويقوم بكتابة جميع ما يشتريه أو يدفعه وكيل الخرج، ويقوم بتسجيل المشتريات أيًا كانت ولمن أعطيت.	يؤدي عمله في الكتابة والتسجيل وفق شروط الواقفة.
١١	أنبارجي	١	١٠	يشترط صلاحه وعفافه، وأن يكون مؤمناً نظيفاً، يقوم بحراسة مخزن الأنبار ويخرج من المخزن عند الحاجة نوعية السلع المطلوبة، ويقوم بعدّ السلع المعدودة، ووزن ما يحتاج إلى وزن.	يؤدي عمله في حراسة المخازن وفق شروط الواقفة.
١٢	كاتب الأنبار	١	١٠	وهو يعمل بمساعدة الأنبارجي فيسجل في دفتره ما يقوم الأنبارجي بإخراجه عدداً أو وزناً.	ويؤدي عمله في تسجيل ما يخرج من المخازن وما يتبقى داخلها وفق شروط الواقفة.

٢) أرباب الوظائف بالجامع الشريف بوقف خديجة تورخان سلطان:

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	خطيب وإمام الجمع والأعياد	١	٤٠	لا بد أن يتصف بالعلم والزهد، وأن يكون مجوداً للقرآن عالماً به، موصوفاً بالتقوى معروفاً بالصلاح، له وقار ظاهر، يخطب الجمعة والأعياد على منوال الشرع الشريف، ويقوم بوظيفته بنفسه لا يتخلف عنها إلا لعذر شرعي أو سبب قوي، ولا ينوب مكانه أحد في الخطبة.	ويؤدي عمله وفق شروط الواقفة رحمها الله تعالى ضمن ما اشترطته من مهام.
٢	واعظ	١	٥٠	يكون عالماً ذا نور ظاهري وباطني، نعماني المذهب، لا تُعرف عنه الرعونة ولا الرياء، يعظ الناس يوم الجمعة بعد الصلاة ليعطر العقول وينير القلوب بوعظه وتفسيره.	يجب أن يكون فقيهاً عالماً بالتفسير والحديث.
٣	شيخ القراء	١	٣٠	اشترطت الواقفة معرفته بالعربية وبراعته في الفنون الأدبية، وأن يكون حافظاً للقرآن المجيد، فريداً في قرائته، ذا علم بالقراءات، يعلم القراءات لعشرة حفاظ يطلبون العلم، وشرطت الواقفة أن يحافظ على تجديد وضوئه وتسريح لحيته واستعمال الروائح الطيبة.	وهو المشرف العام على القراء.
٤	حفاظ وطلاب القراءات	١٠	٣	يحضرون حلقة الشيخ بصفة الملازمة للاستفادة والتعلم.	-
٥	عالم مدرس	١	٨٠	اشترطت الواقفة أن يكون عالماً في العلوم العقلية والنقلية، عالماً بالأصول والفروع، يعلم العلوم والفنون اليقينية وعلم الكلام والمناظرة طيلة أيام العمل، فيها عدا العطلات الرسمية بلا عذر شرعي، وإلا فإنه يهدر الوقت ويضيعه.	-

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٦	إمام	٢	٣٠	يشترط أن يتصف كل منهما بالعلم والحلم، والزهد والورع، يقومان بإمامة المسلمين في الصلاة من غير الجمعة والأعياد بطريقة المناوبة على طريقة أهل السنة والجماعة، ويقرآن بعضاً من القرآن على النحو الذي سألين، وألا يتخلف واحد منهم عن وظيفته أو ينوب مكانه نائب، إذ إن قيامه بصفته شرطاً لوظيفته.	يقوم كل إمام منها بقراءة ما يأتي: - بعد الفجر يقرآن سورة يس. - بعد الظهر عُشر شريف (٣ أجزاء). - بعد العصر سورة النبأ. - بعد العشاء في الليالي الطويلة سورة الملك، وفي الليالي القصيرة آخر آيتين من سورة البقرة (أمن الرسول...).
٧	رئيس المؤذنين	٢	١٢	شرطت الواقعة أن يتصف كل واحد بالديانة والصلاح، والمهارة في فن المقامات وعلم الميقات، ويكونان أكثر المؤذنين لياقة ومناسبة للرئاسة، يرأسان المؤذنين ويؤذنان معهم.	يصرف لها راتب مثل المؤذنين لكل منهم ١٠ آقجات إلى جانب آقجتين لكل منهم للرئاسة.
٨	مؤذن	١٠	١٠	يتصفون بالصفات السابقة نفسها، ويؤذنون مع الرئيسين في الأوقات الخمسة بطريقة المناوبة في فرقتين، كل منها من ٦ مؤذنين، بحيث يرفعون النداء من أعلى المنارات.	يجتمعون كلهم يوم الجمعة، وفي الثلث الأخير من الليل قبيل صلاة الصبح ليمجدون ويقدمون الحق تبارك وتعالى، ويهللون ويمجدون الله، ويناجون قاضي الحاجات جل وعلا.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٩	مبلّغ	٤	٥	يكونون ملتحقين بالمؤذنين، بواقع اثنين في الحرم واثنين في المسجد.	-
١٠	الساعاتجي أو المؤقت	١	١٥	لا بد أن يتصف بالتدين والصلاح، وأن يكون عالماً بدرجات ودقائق الأوقات، مترصداً لأوقات الصلوات، يُعلم المؤذنين بأوقات النداء بلا تأخير ولا تقديم، ويتحرز عن التهاون والتقصير.	-
١١	شيخ القراء والقراء	١٠	١٠ للشيخ ٨ لكل قارئ من البقية	شرطت الواقفة ما يأتي: ١- أن يكونوا حافظين لكتاب الله ماهرين بقراءته مرتلين له عن ظهر قلب. ٢- يقرأون أعلى المحفل الشريف. ٣- يقرأ كل واحد منهم عشر القرآن (٣ أجزاء) فيتخمون في الجلسة الواحدة.	يمكن تسميتهم بالقراء أو الحفاظ إذ ذكر الوصفان في نص الوقفية.
١٢	المنعت	١	١٠	شرطت الواقفة حسن صوته، وإتقانه لفن المقامات، يقوم بعد إتمام القراء السابقين من الختمة باختتام التلاوة بالنعوت والأدعية والصلاة على رسول الله ﷺ.	-
١٣	الدعاجي (الداعي)	١	١٠	شرطت الواقفة أن يكون عذب اللسان واضح البيان سليم الأخلاق نبيل الصفات، قادراً على إنشاء التعاريف، وله مهمتان: ١- قبل صلاة الجمعة وبعد نعت الرسول ﷺ يدعو للسلطان. ٢- بعد صلاة الجمعة يدعو لسائر المؤمنين والمؤمنات ويحثهم دعاءه بقراءة الفاتحة.	ويؤدي عمله المكلف به وهو نعت الرسول ثم الدعاء للسلطان ثم سائر المؤمنين والمؤمنات ويحثهم بالفاتحة وفق شروط الواقفة

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١٤	قيّم	٧	٨	شرطت الواقعة أن يكونوا ذوي صحة وقوة جسمانية جيدة، يؤدون مهماتهم بلا تكاسل ولا خذلان، وهم مسؤولون عن تأمين ما يوجد في الجامع من حصير وغيره لئلا ينقص منه شيء.	تم توزيعهم كالآتي: - ٢ لمراقبة الطبقات العليا من المسجد. - ١ في محفل السلطان. - ٤ قيّمين يعملون في مجموعتين ٢/٢ بطريقة المناوبة يفتحون أبواب الجامع ويغلقونها وقت الحاجة.
١٥	فراش	٩	٨ لثانية منهم	يقومون بكنس المسجد وتنظيفه وتطهيره كالآتي: - ٤ لبيت الصلاة بالمسجد. - ٢ للحرم. - ٢ للطوابق العليا. - أما الأخير فتابع للجامع أيضًا من دون ذكر اسم وظيفته.	وهم مسؤولو التنظيف بالمسجد وطوابقه.
		٦	للاخير فقط		
١٦	وقاد القناديل	٨	٨	يقومون بخدمة مصالح الوقادة والإنارة، يوقدون القناديل في الأوقات اللازمة يوميًا، ويقومون بفك القناديل وتنظيفها مرتين شهريًا، وينقسمون إلى فريقين: ٦ للجامع، ٢ للطبقات.	واشترطت الواقعة أن يقوموا بفك القناديل وتنظيفها على الأرض ثم يتم تعليقها في موضعها بعد التنظيف.
١٧	جراغ القبة	١	٥	وهو شخص يتولى العناية بشريا القبة.	وهو خاص بإضاءة ثريا القبة الكبيرة.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١٨	قارئ	٩٠	٥ لكل رئيس وموزع أجزاء وعددهم تسعة	يشترط تحقيقهم الإيوان والتدين وإتقان القرآن الكريم، وأن يكونوا معروفين بالصلاح والعفاف، يقرأ كل شخص منهم جزءاً في ثلاث مجموعات بحيث تحتّم كل مجموعة القرآن في جلستهم، ويبدأ الرئيس الجلسة وبعد الانتهاء يقوم بدعاء ختم القرآن الكريم.	مواقيت القراءة: ١- بعد صلاة الصبح، ويهدون ثواب القراءة للرسول ﷺ. ٢- بعد صلاة الظهر، ويهدون ثواب الختمة لبقية الأنبياء والمرسلين. ٣- بعد صلاة العصر، ويهدون ثواب القراءة لآل بيت الرسول ﷺ وأصحابه والأولياء خاصة الخلفاء الراشدين الأربعة. - وفي هذا إظهار بأن المصحف كان منه نسخ منفصلة للأجزاء، بحيث يأخذ كل قارئ جزءاً يتلوه.
١٩	موّحد	٢٠	٥ للرئيس ويكون أكثرهم ورعاً وأفضلهم وأصلحهم. ٣ للبقية	يشترط أن يكون كل منهم تقيّاً، ذا ملكة في الذكر والتذكرة، يجتمعون وقت الضحى في الجامع الشريف ليكرر كل منهم بخشوع وخضوع تامّين كلمة التوحيد ٣٥٠٠ مرة بإجمالي ٧٠ ألف مرة في اليوم، وبعد الإتمام يقومون بالدعاء للواقفة ويهبون الثواب لها.	شرطت الواقفة ألا ينطق أحدهم بكلمة حتى يكملون العدد المطلوب، ولا يقوم واحد منهم ولا ينصرف إلا للضرورة موجبة.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٢٠	قارئ	٦٠	٣ للرئيس وموزع الأجزاء بكل فرقة. ٢ للبقية.	وشرطت الواقعة تمتعهم بصحة القراءة وحسن التلاوة، يجتمعون في أوقات معلومة بالجامع الشريف في مجموعتين كل مجموعة من ٣٠ قارئ يرأسهم الشيخ، ويأتيهم بالأجزاء موزع الأجزاء أو الصندوقي، ويقرأ كل واحد منهم جزءاً ولا يتحدثون مطلقاً أثناء التلاوة ليكملوا ختمتين يومياً.	ينقسم هؤلاء القراء إلى مجموعتين: الأولى: تهدي ثواب القراءة لروح السيدة فاطمة سلطان ابنة السلطان إبراهيم المدفونة في ثربة السلطان مصطفى خان قرب آيا صوفيا الكبير. الثانية: يهدون ثواب القراءة لروح أغا دار السعادة محمد أغا عبد المعين.
٢١	نقطه جي (متابع الوظائف واليوميات)	١	١٠	يشترط أن يكون صادق القول مأمون الانتقام، مؤمن أمين كثير الاهتمام، يداوم على مراقبة أهل الوظائف، فيضع نقطة أمام كل موظف يتقاعس عن عمله في دفتر يوميات الموظفين، ويسلم الدفتر آخر الشهر للمتولي.	ونصت الوقفية على أنه لا تعطى الأجرة لمن وضعت أمامه نقطة في هذا اليوم، بما يؤكد أن قبض الرواتب كان شهرياً وإن ذكرت قيمة الراتب يومياً.
٢٢	بخوري	١	١٠	شرطت الواقعة أن يكون متديناً أميناً ماهراً في فن التبخير، يقوم بتبخير المسجد يوم الجمعة وفي أوقات قراءة القرآن في المحفل، وأثناء الوعظ والنصيحة فوق الكرسي، وأمام المحراب، ويشعل البخور بكل مكان في الجامع الشريف.	يصرف له للوازم البخور وغير ذلك مما يلزمه يومياً، بخلاف راتبه ٨ آقجات.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٢٣	حارس أجزاء المصحف	٢	٨	يشترط أن يكون أميناً مدرّكاً لمهام وظيفته، يراقب المصحف الشريف من أن تناله السرقة، أو يساء إليه.	يعملان بطريقة المناوبة.
٢٤	حافظ الكتب (أمين الكتب)	١	١٥	يشترط إلى جانب التدوين والصالح ألا تُعرف عنه رذيلة ولا خائنة، وأن يكون عارفاً بمؤلفات الكتب عنده فيحفظ الكتب بالجامع الشريف، ولا يعبرها لأحد إلا إن كان طالب علم بشرط أن يترك المستعير رهناً، وليحافظ على صيانة الكتب وألا يعطي كتاباً بدون رهن.	ويعتني بالكتب حفظاً ودفعاً ورداً حال الاستعارة، وتقع في عهده كافة الكتب الموجودة بالجامع
٢٥	كاتب	١	١٠	يشترط استقامته وتدنيه، وأن يكون ماهراً بفن الكتابة، يكتب في دفتره الكتب الموجودة وعدد نسخها، وإذا تمت استعارة شيء منها يدون اسم المستعير وعنوان الكتاب أو الجزء المستعار والرهن المتروك.	وهو بمثابة كاتب سجل المكتبة، ليسجل في دفتره كافة الكتب الموجودة، والمستعارة.
٢٦	مجلّد	١	١٠	يشترط أن يكون أستاذاً في صنعته، يجلّد أجزاء المصاحف والكتب التي تحتاج إلى تجليد، ويرمم ما يحتاج منها.	وهي من أهم عمليات حفظ الكتب، ومن أجلّ أجزاء الكتاب المخطوط لأنها تحفظه وتحميه.
٢٧	مانع ومزيل النقوش	١	٦	وتكون وظيفته لازمة بحيث يراقب جدران المسجد، ويمنع السفهاء من النقش على الجدران ولو لزم الأمر يقوم بضرهم لمنعهم، وإذا وجد نقشاً على الجدران فمهمته إزالته.	وهو يمنع السفهاء والصبيان من الكتابة على الجدران.

م	الوظيفة	عدد الأشخاص	الراتب اليومي لكل شخص بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٢٨	بواب	٢	٨	يتعاهدان أبواب الحرم ويقومان بفتح الأبواب وقت صلاة الصبح ويغلقانها بعد صلاة العشاء على حسب ما هو مقرر معلوم، ويقومان بعملها بطريق المناوبة.	وذلك لفتح أبواب المسجد وغلقتها في أوقاتها المعلومة، ومن ثم يقع على عاتقها حفظ المسجد وحراسته

٣) أرباب الوظائف في مكتبخانه وقف خديجة تورخان سلطان:

م	الوظيفة	العدد	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام
١	معلم الصبيان	١	١٥	يشترط أن يكون متديناً مستقيماً موصوفاً بالديانة والاستقامة والصلاح والعفة، يعلم الصبيان القرآن والآداب والأركان والفرص والسنة والخط واللغة وغير ذلك مما يجب تأسيس الطالب عليه.
٢	خليفة	١	١٠	ووظيفته أن يعيد الدرس على الصبيان بعد فراغ المعلم، ويسعى مجدداً في تربيتهم وتعليمهم.
٣	قيّم	١	٦	وهو القائم بأمر المكتب، يقوم بمسح المكتب وتنظيفه وكنسه يومياً، ويغلقه بعد صلاة العصر.
<p>مصرفات أخرى بمكتب الصبيان في مواسم محددة:</p> <p>(١) في شهر رمضان من كل عام يتم إخراج نفقة تصرف على كل من يتعلم القرآن بمكتب الصبيان، والمعلم، والخليفة، والقيّم، وتصرف لهم أعطيات وكسوة وغيرها في حدود مبلغ وقدره ٢٥ ألف آقجة، وهو مبلغ كبير جداً بالنسبة لهذا الأمر، لكنه يرهن على مدى عظم الأوقاف الإسلامية وخيراتها.</p> <p>(٢) منحة الصيف: وهي منحة كانت تصرف قبل دخول فصل الصيف للصبيان والمعلم والخليفة والقيّم في حدود ٣ آلاف آقجة.</p> <p>(٣) في الشتاء: يتم صرف مبلغ وقدره ٣ آلاف آقجة لمصاريف الشمع والفحم، وغير ذلك مما هو ضروري لاستمرار العمل.</p>				

٤) الوظائف العامة في أكثر من مبنى وقفي داخل مجمع خديجة تورخان سلطان، أو الوظائف الأخرى خارجها:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	مرمتجي (المرمم)	٣	٦	ويكون كل واحد منهم من أهل الصنعة خبيراً، يقومون بإجراء المرمات بلا تأخير ولا تراخ، مع إعلام المتولي بتفاصيل ما يحتاج إلى تعمیر أو ترميم.	يعرف أيضاً باسم شادّ العمارة لاسيما في وثائق الوقف المملوكية.
٢	كاتب مرمتيان (كاتب المرممين)	١	١٠	وهو يقوم بكتابة جميع ما يتطلبه عمل المرممين.	ويلاحظ أن راتبه أكبر من راتب المرمم نفسه، وذلك لفضل ما عنده من علم في الكتابة والحساب، وهذا ما يظهر أهمية العلم لدى الواقفة وحرصها على تمييز أهله.
٣	برده جي	١	٦	يقوم بإصلاح الستائر المعلقة على أبواب الجامع والتربة الشريفة وداخلها، فيصلح ما يحتاج إلى إصلاح أو يجدد ما يحتاج إلى تجديد.	هو الشخص المسؤول عن الستائر.
٤	فورشونجي	١	٦	يقوم بالعناية بألواح الرصاص التي تغطي القباب وغيرها من الأسقف بلا تسويق ولا تأخير.	وتعني المرصص.
٥	جارجي	١	٦	يقوم بإصلاح جميع المشغولات الزجاجية الموجودة بالجامع والتربة والمكتبخانه والسبيل عندما تحتاج إلى ذلك من غير تهاون ولا تكاسل، وعليه أن يعمر ويرمم ويكمل ويتمم الزجاج.	وتعني المزجج.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٦	طاش جي	١	٦	يقوم بالعناية بالأحجار التي شيّد منها المبنى ويقوم بتنظيفها وكحتها، وإذا فقد جزء منها عليه أن يكمل هذا الجزء المفقود.	وتعني الحجار، ويمكن أن ترد أيضا بالرسم طاشجي.
٧	صويونجي	٢	٨	ينبغي أن يكون كل منهما أستاذًا في صنعتة، وهما مسؤولان عن مجاري الماء فيصلحان ما يحتاج إلى إصلاح ويتعاهدان فحصها.	وهو متعهد إصلاح أنابيب ومجري المياه (السباك).
٨	شاگرد (مساعد الأسطى)	٢	٢	وهما يساعدان السباكين ويتعلمان منهما الحرفة.	اشتملت الوقفية على لائحة الترقيات في الحرف الموجودة بالكلية الوقفية، فإذا ما مات أستاذ، أو تم تبديله فتم ترقية أفضل وأمهر المساعدين (شاگرد) ليشغل محل الأستاذ، ويحل محله مساعد آخر، ويتقاضى كل منهما راتب الوظيفة الجديدة التي شغلها.
٩	حارس القلعة	١	١٠	يجرس أبواب القلعة ويفتحها ويغلقها في وقتها بلا تراخ ولا تساهل، وليحذر من الخيانة.	-
١٠	مزبله كش (عامل النظافة)	١	١٠	وهو المسؤول عن نقل المزابل ورفعها من الحرم الكبير بالجامع، ومن السوق إلى الموضع المخصص لها بعيدًا عن التجمعات السكنية والعمائر الوقفية.	في هذه الوظيفة ما يدل على حرص منظومة الوقف الإسلامي على النظافة العامة، إضافة إلى مراعاة الواقفة لمجهود الوظيفة، ومن ثم فقد جاء راتبها كبيرًا نسبيًا.

٥) أرباب الوظائف بسوق^(١) خديجة تورخان سلطان:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	حارس	٢	٨	يكون كل منهما متفرداً في الحراسة متميزاً على أقرانه، يجرسان أبواب السوق، واحد منهم ذهاباً والآخر إياباً، ويفتحان الأبواب من بعد صلاة الصبح، ويغلقانها بعد صلاة العشاء.	وهي وظيفة مهمة لكون السوق دائماً موضعاً تشتهر فيه السرقة والعبث، وأيضاً حدوث مشاحنات وغيره ذلك.
٢	فراش	٦	٨	يقومون بوظيفتهم كل يوم بلا تراخ بواقع اثنان للسوق، وأربعة لدورات المياه.	يُعرف الفراشون المسؤولون عن تنظيف دورات المياه في الوقفية باسم (كنيفلر فراشي)، ويكون عملهم بالمناوبة.

٦) أرباب الوظائف بالتربة الوقفية لخديجة تورخان سلطان:

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
١	تربه دار	١	١٠	يكون موصوفاً بالصلاح والعفاف والأمانة، ممدوح الخصال مقبول الأطوار، يباشر عمله على وجه الاستمرار في التربة الشريفة.	وهو المسؤول عن التربة.
٢	تربه بكجيلري: وهم: الدعاة والحراس	٣٠	٣	يشترط صلاحهم ومعرفتهم بالطاعة وحسن العبادة، يقومون بالدعاء بخالص التركيز وصفاء الذهن ونقاء الظاهر بالرحمة والمغفرة لحضرة الواقفة، وعليهم مراعاة الأدب وقت العمل، ولا ينبغي أن يتناول أحد منهم الطعام أثناء المداومة.	وهؤلاء الثلاثون ينقسمون إلى فريقين بكل فريق ١٥ رجلاً، يحضر من كل فرقة من الفرقتين ثلاثة أشخاص يومياً بواقع ٣ من الفجر إلى المغرب، و٣ من المغرب إلى الفجر، وتتم المناوبة بينهم كل ٥ أيام.

(١) ورد في الوقفية تسميته بسوق السمك (باليق بازاري)، وذلك عند تعيين حدود الجامع من ناحية الصحن أو الفناء؛ فذكرت الوقفية ما يعني: «الجامع الشريف قرب بازار السمك». ووقفية خديجة تورخان، ص ٢٤.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٣	قارئ	٩٠	٥ للرئيس وحامل الأجزاء بكل فرقة	يشترط صلاحهم وإتقانهم لقراءة القرآن الكريم، يقرأ كل واحد منهم جزءاً بلا سرعة ولا تعجيل، وليحذروا من النطق بكلام دنوي طيلة مداومة وظيفتهم، وينقسمون إلى ثلاث فرق تختم كل فرقة منهم القرآن، الفرقة الأولى بعد صلاة الصبح، والفرقة الثانية بعد صلاة الظهر، والفرقة الثالثة بعد صلاة العصر، ولكل فرقة رئيس يكون أفضلهم يبدأ باستفتاح القراءة ويختتم بالدعاء، وحامل الأجزاء يوزع الأجزاء عليهم قبل القراءة، ويجمعها بعد القراءة ليضعها في صندوق الأجزاء.	تقوم الفرقة الأولى بإهداء ثواب الختمة إلى النبي ﷺ، وتهدي الفرقة الثانية ثواب الختمة إلى أرواح جميع الأنبياء والرسل، وتهدي الفرقة الثالثة ثواب الختمة إلى أرواح الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين.
٤	موحد	٢٠	٥ للشيخ ٣ للبقية	يأتون وقت الضحى إلى التربة الشريفة في أول قبة (قبة الرواق الخارجي)، ويقوم كل واحد منهم بالتسبيح والتحميد والتهليل والتوحيد، وتكرار كلمة التوحيد ٣٥٠٠ مرة بواقع ٧٠٠٠٠ لهم جميعاً، ولا ينصرف واحد منهم أو يتكلم قبل قضاء الذكر المحدد له.	ويهدون ثواب الأذكار لروح الواقعة.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٥	نقطه جي	١	٨	وهو مراقب موظفي التربة يأخذ حضورهم يومياً ويراقب اجتهادهم في تأدية وظيفتهم وإلا فيضع نقطة أمام اسم الموظف المقصر أو المتغيب، ويرفع دفتره على رأس كل شهر للمتولي ليصرف الراتب بناءً على أيام العمل الكاملة لكل موظف.	وهي وظيفة مهمة جداً تفيد مراقبة العمل، إذ يأخذ حضور وغياب الموظفين لتتم محاسبتهم فعلياً على حسب أيام العمل التي يؤديونها.
٦	بخوري	١	٦	يشترط أن يكون نظيفاً طريفاً خفيف البدن يقوم بتبخير التربة الشريفة أوقات التلاوة والذكر والليالي المباركة.	يصرف إلى جانب راتبه يومياً ٦ آقجات أخرى للوازم البخور.
٧	حافظ المصاحف	١	٥	وهو حافظ المصاحف في التربة ومتعهدا من أن تالها يد التخريب أو النقصان.	يقوم بحراسة المصاحف الشريفة، وجمعها وترتيبها في خزائنها.
٨	قارئ	٤	٥	يتقن كل واحد منهم التجويد، ويحضرون إلى التربة الشريفة ويقرأون على وجه الترتيل بصوت حسن ومرتفع بالتناوب كالاتي: - بعد صلاة الصبح يقرأ أحدهم سورة يس. - بعد انتهاء القارئ الأول من سورة يس يقرأ الثاني سورة الفتح. - بعد صلاة الظهر يقرأ القارئ الثالث سورة الملك. - بعد صلاة العصر يقرأ القارئ الرابع سورة النبأ.	ويهدون ثواب التلاوة لروح الواقعة.

م	الوظيفة	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	الشروط والمهام	ملاحظات
٩	قيّم	٢	٨	عليهم حراسة باب التربة والعمل بمهام القيّم.	شرطت الواقفة في الوظائف الثلاث أن يتمتع أصحابها بقوة البدن الظاهرة لتحمل مسؤوليّة العمل وتبعاته.
١٠	فراش	٦	٨	فراشان لكسس التربة وتنظيفها، وفراشان لتنظيف حرم التربة وكنسه، وفراشان لتنظيف دورات المياه (فراش كنيف).	
١١	سراجي	٢	٨	يقومان بإضاءة التربة والعناية بأدواتها.	

(٧) أرباب الوظائف بالسبيل الوقفي لخديجة تورخان سلطان، وما يرتبط به من نفقات أخرى:

م	الوظيفة أو البند	عدد الموظفين	الراتب اليومي بالآقجة	المهام
١	سبيلجي	٤	١٠	يقومون بسقي المارة بالتناوب بينهم، ويشترط نظافتهم ولياقتهم.
٢				شرطت الواقفة أن يتم تعيين مبلغ وقدره ٢٠ ألف آقجة لإحضار الثلج إلى السبيل (غالبًا هو تخصيص سنوي).
٣				شرطت الواقفة إذا جاء شهر رمضان المعظم، فيتم تعيين ٦ أشخاص بوظيفة (شربتجي) بواقع اثنين أمام كل باب من أبواب الجامع في ليالي رمضان، ويقومون بتوزيع الشربات وعسل آتنة، ويتقاضى كل منهم راتبًا قدره ٦٠٠ آقجة في الشهر بواقع ٢٠ آقجة يوميًا، (ووظيفتهم موسمية متعلقة بشهر رمضان المعظم).
٤				عيّنت الواقفة سنويًا مبلغًا وقدره ٣ آلاف آقجة لشراء عسل آتنة خصوصًا، والذي يوزع أمام أبواب المسجد في ليالي رمضان.
٥				شرطت الواقفة أنه إذا جاء شهر رمضان في الصيف فيؤخذ من الثلج المذكور عاليه، ويوضع في الشربات ليقدم المشروب للناس باردًا.

٨) نفقات أخرى طبقاً لوثيقة الوقف، لكنها خارج العمائر الوقفية:

م	بند الوقف وشرطه
١	شرطت الواقفة صرف راتب يومي قدره ٢٠ آفجة للمدعوة السيدة توكل خاتون، ما دامت على قيد الحياة.
٢	شرطت الواقفة أن يصرف سنوياً مبلغاً وقدره ١٢ ألف آفجة على مساكين وفقراء إسكدار.
٣	أشارت الوقفية إلى وقفية سابقة لخديجة تورخان مؤرخة بشهر جمادى الآخرة سنة ١٠٦٦ هـ كان وكيل الوقف بها المدعو علي أغا بن عبد المنان، ما يعني أن الوقفية التي بين أيدينا هي الوقفية الجديدة لها، ومن ثم فهي المعتمدة.
٤	شرطت الواقفة تخصيص مبلغ وقدره ٥٢٠٠ قطعة ريال كبير غروش ^(١) تستثمر بريعها، بحيث يكون الربح بنسبة (١٠:١)، فالعشرة يتم استرباحها لتكون (١١)، ويتم تخصيص الأرباح لتصرف على عدد من القراء يخدمون القرآن، فيقرأ كل قارئ جزءاً، ويهدون الثواب إليها، وذلك في القصر الشريف، وذلك بواقع ١٥ قارئاً في الحجرية الكبيرة يتقاضى كل منهم راتباً يومياً وقدره ٥، ٢ آفجة، و ١٥ قارئاً بالحجرية الصغيرة يتقاضى كل منهم يومياً ٥، ٢ آفجة أيضاً، ويتابع عملهم نقطه جي يتقاضى راتباً يومياً قدره آفجتان، ويعين رجل داعي يدعو للسلطان والواقفة بعد انتهاء القراء من الختمة ويتقاضى راتباً يومياً قدره آفجتان، ويتولى هذه الأعمال متولٍ مستقل يتقاضى ٧ آفجات يومياً، ويعين جابٍ لتحصيل ريع المال الموقوف يتقاضى راتباً يومياً قدره ٣ آفجات، ويتقاضى هؤلاء رواتبهم بصفة شهرية على نحو ثابت، ولا يتم تغيير رواتب أحد منهم قط إلا المتولي وقت الحاجة إلى زيادة.
٥	ووقفت رحمها الله مبلغاً وقدره ٧٨٠٠ ريال كبير كامل العيار والوزن كل عام لخدمة حجاج بيت الله الشريف على طريق الحج الشامي في موسم الحج، بحيث يأخذ السقاباشي مقابل وظيفته منهم في أثناء الموسم راتباً وقدره ٣٠٠ ريال كبير، وأما المبلغ المتبقي (٧٥٠٠) ريال فيصرف لبقية مستلزمات سقي الحجاج، ويستأجر من ضمنها ٦٥ جملاً؛ تحمل خمسة منها خيام السقاين، وال ٦٠ جملاً الباقية تحمل الماء الذي يكفي حجاج بيت الله الحرام ضمن القافلة على طريق الحج الشامي ذهاباً وإياباً.
٦	وعينت رحمها الله في الجامع الحرام ٤٠ قارئاً يتلو كل واحد منهم سورة الأنعام، ثم يدعو للسلطان بدوام السلطان والصحة والحماية من المرض، وقد عينت راتباً لكل منهم قدره خمس حسنات ^(٢) ، وعينت منهم صندوقياً، ومعرفاً؛ ولكل منها حسنتان إضافيتان.

(١) وهي عملة ذهبية مخصصة لهذا الأمر.

(٢) الحسنة؛ وردت في الوقفية باعتبارها وحدة محاسبية من دون تحديد قيمتها نقداً، وكانت تصرف كل عام، ومن ثم فهي وحدة كبيرة، إذ يتقاضى القارئ على مدة قراءته في الموسم أو العام خمس حسنات.

٧	عينت الواقفة من مجاوري الحرم الشريف ٩٠ قارئاً ممن يتقنون التجويد والتلاوة، يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن، وينقسمون إلى ثلاث فرق؛ الأولى تهب ثواب الختمة إلى شفيع المذنبين <small>ﷺ</small> ، والثانية تهدي ثواب الختمة للخلفاء الراشدين، والثالثة تهب ثواب الختمة للواقفة عليه الشأن عميمة الإحسان، ويصرف لكل قارئ منهم ٥ حسنات، ويكون من داخل كل فرقة شيخ (رئيس)، ومعرّفان وصندوقي؛ وتصرف حستان إضافيتان لكل واحد من الأربعة، ويصرف لشيخ الحرم مكافأة قدرها ١٤ حسنة بصفته مشرفاً على هذه الأعمال.
٨	وعينت رحمها الله أيضاً في الحرم المدني ٤٠ قارئاً في تربة النبي <small>ﷺ</small> ، يتلو كل واحد منهم سورة الأنعام، ويدعون للسلطان بدوام السلطنة والصحة ودفع البلاء والمرض، يتقاضى كل منهم خمس حسنات كل عام، ويكون أحدهم معرّفاً، إضافة إلى آخر صندوقي نظير حستين إضافيتين لكل منهما.
٩	وعينت الواقفة من مجاوري الحرم المدني الشريف ٩٠ قارئاً ممن يتقنون التجويد والتلاوة يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن، وينقسمون إلى ثلاث فرق؛ الأولى تهب ثواب الختمة إلى شفيع المذنبين <small>ﷺ</small> ، وتهدي الثانية ثواب الختمة للخلفاء الراشدين، فيما تهب الفرقة الثالثة ثواب الختمة للواقفة عليه الشأن عميمة الإحسان، ويصرف لكل قارئ منهم ٥ حسنات، ويعين من بينهم معرّف وصندوقي لكل فرقة؛ وتصرف حستان إضافيتان لكل واحد منهما، ويصرف لشيخ الحرم المدني مكافأة قدرها ١٤ حسنة بصفته مشرفاً عليهم.
١٠	يصرف في ليالي رمضان والأيام المباركة لإضاءة قناديل التربة الشريفة والجامع المدني الشريف والمنارتين ولو ازم ذلك ٣٠٠٠ أوقية زيت روغن، ومبلغ ٢٥ ألف آقجة للشمع والقناديل وسلاسل تعليق القناديل، كما أمرت الواقفة بصرف مبلغ ٤٠٠٠ آقجة لمكافآت القائمين على إشعال القناديل ورواتبهم في ليالي رمضان والأيام المباركة.

٩) شروط أخرى للواقفة من أجل تعمير المباني الوقفية وتنميتها وإدارتها في المستقبل بما يشير إلى مدى جمال هذا الوقف، وبعض حالات الإبدال أو الاستبدال في صرف المال:

م	بند الوقف وشرطه
١	شرطت الواقفة -رحمها الله- ألا يتم إهمال ترميم المباني الوقفية أبداً.
٢	شرطت الواقفة على المتولي ضرورة تنمية الوقف تبعاً لمدخرات الأوقاف وزوائدها، بحيث يشتري من الأراضي المعروضة للبيع وإضافتها لأوقاف الجامع سنوياً بما قيمته ١٥ ألف آقجة.
٣	شرطت الواقفة -رحمها الله- أنه بعد نزول قضاء الله وانتهاء أجلها؛ فإن أغا دار السعادة أيًا كان فهو المسؤول عن إدارة هذه الأوقاف وتعميرها.

م	بند الوقف وشرطه
٤	شرطت الواقفة -رحمها الله تعالى- أنه إذا تهدم أحد المباني الوقفية وتعذر على المتولي والناظر إعادة بنائه لأي سبب قوي يمنع من ذلك؛ فإنه يتم صرف المبلغ الذي كان سيصرف لإعادة بنائها على فقراء المسلمين.

١٠) موقوفات خديجة تورخان سلطان ومسبلاتها:

قامت الواقفة لأجل عمائرها الخيرية الوقفية داخل إستانبول المحمية وخارجها بتخصيص عدد من العرصات والأماك والعقارات والضياع والقرى والدكاكين والأسواق، وخصصت بعض الرسوم الأخرى التي تأتي من البحر دلالة على وقفها لسفن تجارية أو نقلية، وقد قامت بوقف بعض الأملاك بمدينة إستانبول، وبعضها خارج مدينة إستانبول، وهي أكثرها، وقد قامت بتوكيل أغا دار السعادة محمد بن عبد الرحمن بتسجيل الوقف ومتابعته وتحريره وما إلى ذلك، وقد قام السلطان محمد خان بالتوقيع بصحة الوقف بعدما تقررت صحته شرعاً؛ إذ كتب السلطان ما نصّه: «طالعت وحكمت بصحة هذا الوقف وشروطه المذكورة كتبه الغازي محمد خان»، ومن ثم فبعدما تقرر بحسب الشرع الشريف الأنور، وعلى وفق الدين المنيف الأزهر، ملكية الواقفة التامة الخالصة للموقوفات والمسبلات المذكورة، سواء ما يتعلق بالأصل أو ما يتعلق بالحقوق، وبعد تبين خلوها من الديون وغير ذلك، فقد تم الوقف وأبرم وقفاً صحيحاً شرعياً على مر الليالي والأيام، وحسباً صريحاً مرعياً على الاستمرار والدوام، بجميع الحدود والحقوق واللواحق والتوابع مما يقبل التمليك والتملك والنقل والانتقال، سواء كان بالفرعية أو الأصالة والتبعية والاستقلال، جعل الله هذه الأوقاف معمولة معمورة، وصير أعمال حضرة الواقفة بكرمه وفضله مقبولة مبرورة»^(١).

وقد جاء من أوقافها داخل مدينة إستانبول عددٌ من العرصات (قطع الأراضي) التي تم تعيين حدودها وإيجارها وما إلى ذلك، ومقهى، إلى جانب سوق السمك الملحق بكليتها المعمارية، وأما خارج مدينة إستانبول في منطقة الروملي (أوروبا العثمانية) فقد جاءت جهات الإيراد في مواضع متفرقة؛ فقد ورد مثلاً منها قسبة أزدين بمزارعها، وفي قضاء (أزدين) تم وقف عدد من القرى الأخرى بلغت أربع

(١) وقفية خديجة تورخان سلطان، ص ٢٨.

قرى بمشتملاتها ومزارعها إلى جانب رسوم أربعة موانئ بحرية وغير ذلك؛ وهي «قرية غرديك مع مناستر، وقرية يادلوياني، وقرية إفرانجي، ومحصول موانئ أزددين ومملحه وجتلك ودشتياني، وخصصت على أعمالها الخيرية أيضًا في قضاء (بيشهر؛ يكيشهر) بتوابعه؛ أربع عشرة قرية بكامل لواحقها وتوابعها؛ وهي: قرية فوقرو، وقرية صاريجه لر، وقرية منتشالو، وقرية صاروخانلو، وقرية شيخ عليسر، وقرية كوله لر، وقرية جوللر، وقرية صاري أوجلدر، وقرية عبد اللر، وقرية اطه دبه، وقرية بوري زنلر، وقرية ونوكرميد، وقرية مناستر افلامبور، وقرية ديشقاد».

وأما في قضاء (وَلَيْن) فقد خصصت الواقعة إيرادات ٥ قرى كاملة، ومزرعتين هي: «قرية الحاج موسى، وقرية إينه خانلو، وقرية جلتكجي، وقرية كوبك اوبه سي، وقرية قيون اري، ومزرعة دينك، ومزرعة صاري كول»، ووقفت خديجة تورخان سلطان أيضًا إيراد قصبه (الأصونيه در) المركزية، إلى جانب بعض القرى بتوابع قضاء (الأصونيه يه) تبلغ ثلاث عشرة قرية بكامل توابعها ومزارعها وهي: قرية كليالونامر ديكر جركاني، وقرية ميراخورلو، وقرية بازارلوفقيه أوباسي، وقرية الحاج براقلو، وقرية قره حسين، وقرية طوشلر، وقرية كربلير، وقرية داودكلي نامرديكر، وقرية لوادي، وقرية شكا بزرك، وقرية فونياجى، وقرية ليغودي، وقرية بروتور»، وغير ذلك مما ضَمِنَ دخلاً يغطي نفقات العمائر الخيرية وجهات البر الأخرى التي حددتها الواقعة، رحمها الله تعالى.

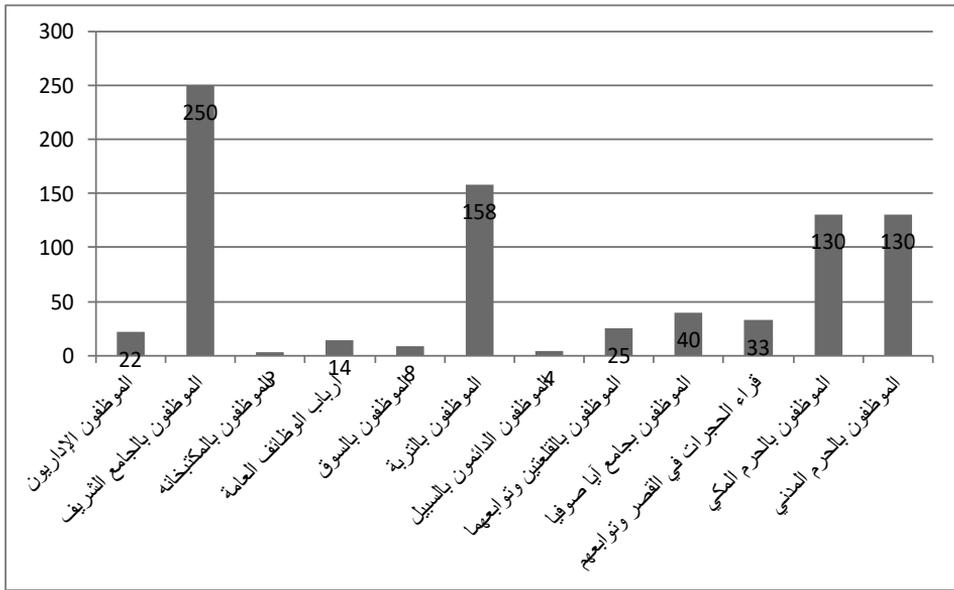
وَوَقَّفت إلى جانب ذلك أيضًا قصبه «براغمه» بجميع ماتحويه، ومزرعة بما تشتمل عليه من الأواني والأدوات والماليك والمواشي والآلات مما يتبع قضاء (ترحالة)، وقصبه (صومه)، ومزرعة، و٧٩ دكانًا، ومقهى، وحديقة بها أشجار مثمرة وغير مثمرة بجميع لواحقها، وغير ذلك؛ وقد ورد في الوقفية تخصيص هذه الموقوفات الأخيرة على توظيف عدد محدد من أرباب الوظائف على جامع آيا صوفيا تضمن ٣٠ قارئًا يتقاضى كل منهم آقجتين يوميًا، وقارئين يقرأ أحدهما سورة يس بعد صلاة الصبح، والآخر يقرأ سورة الفتح بعد صلاة الظهر، ويتقاضى كل منهما راتبًا يوميًا قدره آقجتان يوميًا، وعيَّنت الواقعة ٤ دعاغى للدعاء يتقاضى كل منهم آقجتين يوميًا، وذلك إلى جانب عدد ١ نقطه جي، ١ بخوري، ١ حافظ الأجزاء، ويتقاضى كل واحد من الثلاثة آقجة واحدة يوميًا، ويُعين لهذه المصالح متولٌ يتقاضى راتبًا

يومياً قدره ٨ آقجات بشرط أن يكون المتولي متفرغاً تماماً لهذا العمل، وشرطت أن يتولى الإشراف على هذه الأعمال كتخدا السلطانة الوالدة أياً كان.

(١١) الوظائف المتعلقة بالقلاع التي أنشأتها الواقعة عند مدخل مضيق الدردنيل:

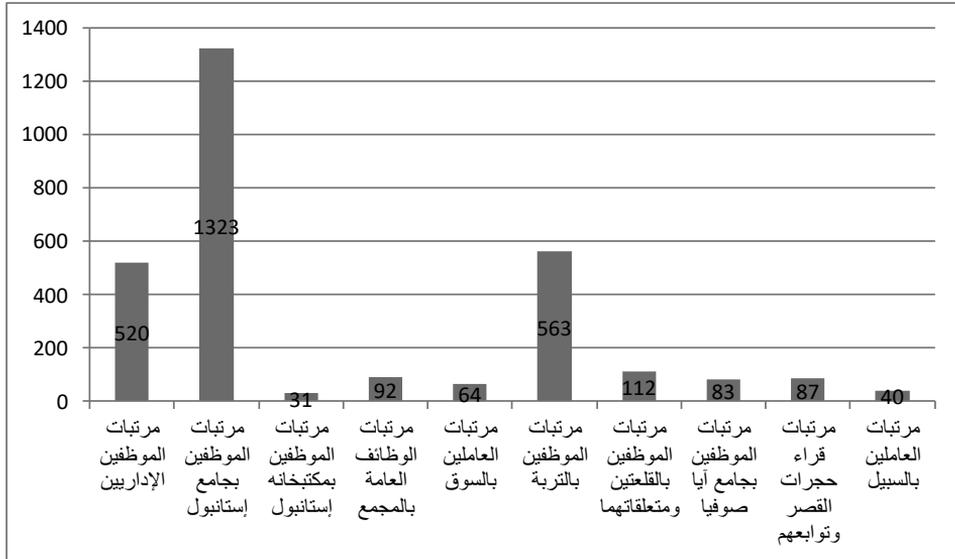
<p>شرطت الواقعة -رحمها الله- أن يبنى بكل قلعة جامع ومكتب، وقد أوردت الوقفية اسم القلعتين؛ فعرفت إحداهما بالقلعة السلطانية، والأخرى بقلعة سد البحر.</p>	
<p>شرطت الواقعة أن يكون متولي الوقف الموجود في إستانبول هو نفسه متولي أوقاف القلاع، ولكنها أمرت بتعيين (قائم مقام) كئائب عن المتولي، يتقاضى راتباً قدره ٢٠ آقجة يومياً، ويُعيّن له كاتب يتقاضى ٨ آقجات يومياً، ومصالح الموقوفات جاب يتقاضى ٦ آقجات يومياً.</p>	
قلعة سد البحر	القلعة السلطانية
<p>شرطت أن يعيّن في الجامع واعظ يتقاضى ٢٠ آقجة يومياً، ومعرّف يتقاضى ٦ آقجات يومياً، وأربعة قراء للقرآن يتقاضى كل منهم ٤ آقجات يومياً، ويكون أحد القراء مسؤولاً عن المحفل نظير آقجة واحدة إضافية، وعينت اثنين؛ أحدهما يصلي على الرسول ﷺ ويدعو له، والثاني يدعو لدولة السلطان، ويقرأ كل منهما بصوت مسموع سورة يس نظير راتب يومي قدره ٤ آقجات لكل منها، وقيماً يتقاضى ٦ آقجات يومياً.</p>	<p>شرطت أن يعيّن في الجامع واعظ يتقاضى ٢٠ آقجة يومياً، ومعرّف يتقاضى ٦ آقجات يومياً، وأربعة قراء للقرآن يتقاضى كل منهم ٣ آقجات يومياً، ويكون أحد القراء مسؤولاً عن المحفل نظير آقجة واحدة إضافية، وعينت اثنين؛ أحدهما يصلي على الرسول ﷺ ويدعو له، والثاني يدعو لدولة السلطان، ويقرأ كل منهما بصوت مسموع سورة يس نظير راتب يومي قدره ٤ آقجات لكل منها، وقيماً يتقاضى ٦ آقجات يومياً.</p>
<p>أما المكتب؛ فشرطت أن يعيّن فيه معلّم مكتب يتقاضى راتباً يومياً قدره ١٥ آقجة، وفراش كنيف يتقاضى راتباً ١٠ آقجات يومياً.</p>	<p>أما المكتب؛ فشرطت أن يعيّن فيه معلّم مكتب يتقاضى راتباً يومياً قدره ١٥ آقجة، وفراش كنيف يتقاضى راتباً قدره ١٠ آقجات يومياً.</p>
<p>شرطت الواقعة -رحمها الله- أن يصرف للوازم الجامعين في ليالي رمضان والليالي المباركة ما يكفي من إضاءة قناديل المآذن، ويتم شراء الشمع وزيت القنادل وسلاسل تعليق القنادل بالجامع الشريف ما يكفي.</p>	
<p>شرطت الواقعة أيضاً أنه إذا زادت نقود بعد استكمال جميع المصروفات فيتم إرسالها إلى متولي أوقاف جامع إستانبول، وإذا لم تفي المدخولات بمستلزمات العاملين بالقلعتين ورواتبهم يتم استكمالها من أوقاف جامع إستانبول.</p>	

١٢) المسبلات والموقوفات وجهات الإيراد التي حددتها الواقفة للقلعتين وملحقتهما: قامت الواقفة -رحمها الله- بتخصيص بعض الأملاك والعقارات والأبنية والمسقفات على القلعة السلطانية، منها حمام مزدوج، وقرية اسنلو وغير بدن، وعدد من الدكاكين، ومبلغ ٣٨٤٨ آقجة، ونصف محصول تيمار، ومحصول احتساب باج، وبازار، وفرن خباز، وبقضاء بيغاديح وَقَفَت قرية أو مزرعة كوسه إسماعيل، وأما قلعة سد البحر؛ فوَقَفَت عليها حماما وعدة دكاكين وأوقافاً أخرى في مواضع ممتازة^(١)

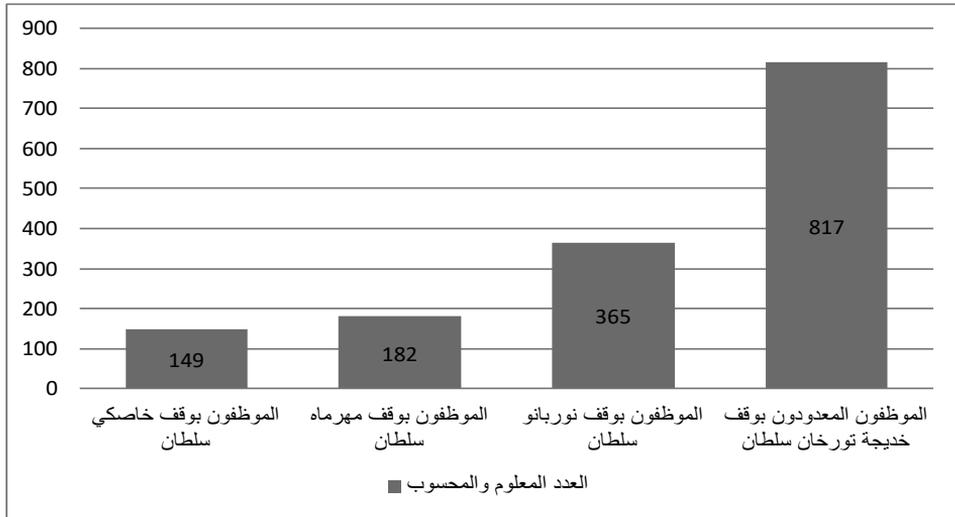


رسم بياني يوضح عدد الموظفين بكل مكان داخل المجمع الوقفي وخارجه تحت البنود المذكورة وعددهم (٨١٧) موظفًا، وهناك غيرهم ممن لم يحددوا (عمل الباحث)

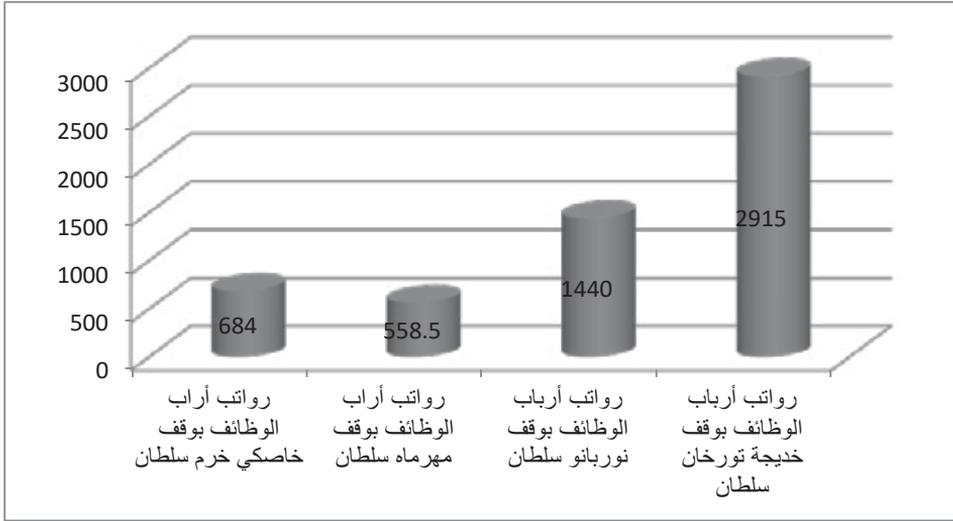
(١) الوقفية، ص ٦٤-٦٥.



رسم بياني للرواتب اليومية داخل كل وحدة من الوحدات المذكورة من إجمالي مبلغ ٢٩١٥ آتجة (تم حساب جميع الرواتب حتى الرواتب غير الدائمة باعتبارها موجودة في اليوم المحسوب)، مع ملاحظة عدم ذكر أرباب الوظائف الذين حددت رواتبهم بوحدات حسابية أو عملات نقدية أخرى غير الآتجة (الدرهم الفضي)



رسم بياني بعدد الموظفين المعلومين بكل من وثائق الوقف الأربع الوارد أرباب الوظائف فيها (الباحث)



رسم بياني يوضح قيمة الرواتب اليومية لما هو محدد قيمته بالدرهم الفضي (الآقجة) بالأوقاف الأربعة الواردة في ملحق الدراسة، بما يبين العظمة والضحامة لوقف خديجة تورخان سلطان التي تُعدّ صاحبة أكبر وقف نسائي في تاريخ الدولة العثمانية، وربما النساء جميعاً على مرّ الأيام

A decorative Islamic geometric pattern in a circular frame, featuring intricate floral and geometric motifs. The pattern is rendered in a light gray color against a white background. The central part of the image is a large white circle containing the text.

خاتمة الدراسة

تناولت الدراسة موضوع العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول في أثناء القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م) دراسة أثرية معمارية وفنية، وقد اعتمدت الدراسة على الوصف والتحليل المقارن، وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج وأهمها:

(١) شملت الأوقاف أنواع العمائر كافة، ولم تقتصر على نوع من دون الآخر، وقد كانت الغلبة للمنشآت الدينية المجانية.

(٢) كان في إنشاء الوقف مهام وخطط إستراتيجية لتأكيد هوية المدن والمناطق الإسلامية، وتأكيد السيطرة الإسلامية عليها كما هو الحال في مجمع الوالدة الجديد لخديجة تورخان سلطان، الذي دلّ على انتهاء سيطرة اليهود على منطقة القرن الذهبي.

(٣) دلّ مصطلح الوقف في العمائر - قيد الدراسة - على ضرورة تأييد النفع، ومن ثم فإن الواقفات حرصن على تسجيل أوقافهن رسمياً بحجج وقفية قطعية الثبوت والدلالة، ووقفن على عمائرهن الخيرية مسبلات وموقوفات تدر دخلاً يكفل استمرار أداء المنشآت الوقفية لخدماتها بلا انقطاع، مثل: المساجد والمدارس والتكايا ومكاتب الصبيان والأسبلة ودور الشفاء.

(٤) أسهمت نساء القصر العثماني بدور كبير في الوقف إلى جانب السلاطين وغيرهم من رجال الدولة وغيرهن من النساء الأخريات، وقد كانت الغلبة لأمهات السلاطين لكون أم السلطان هي السيدة الأولى في القصر العثماني وأكثر النساء دخلاً في الدولة.

(٥) أسهم الوقف في تطور عمران مدينة إستانبول وامتداده أفقيًا ورأسيًا، وقد مثلت العمائر الوقفية اللبنة الأولى لنشوء بعض المدن والقصاب والقرى، لا سيما في منطقة البلقان.

(٦) كان الحفاظ على العين الموقوفة ضمن أهم أولويات الواقف إذ إنها أصل الوقف وإذا فسدت فسد الوقف كله، ولأجل ذلك اشترطت كل واقفة تعيين بعض الموظفين الذين يختصون بمتابعة العمائر ومراقبتها والعمل على ترميمها

- وصيانتها، كلما دعت الحاجة إلى ذلك.
- (٧) أضافت وثائق الوقف مصطلحات جديدة لأرباب الوظائف المختلفة وحددت شروط توالي الوظائف والمهام المنوطة بكل وظيفة.
- (٨) مثلت وثائق الوقف دستوراً شاملاً لتنظيم حركة العمل داخل العمائر الوقفية، بدءاً من الموظفين ودرجاتهم ومراتبهم وأسلوب الرقابة عليهم ولائحة المعاملات المالية والنظم المحاسبية وأساليب الترقى وكيفية حدوثه داخل المؤسسة الوقفية.
- (٩) حافظت منظومة الوقف على الشكل الجمالي والفني وسعت إلى إظهار العمائر في أبهى صورة لبيان عظمة الوقف ومدى احترام الواقفات للعمائر الموقوفة، وقمن بتعيين أرباب وظائف للحفاظ على مختلف العناصر والمواد التي بنيت منها العمائر، إلى جانب منع تشويه الصورة العامة للمبنى الموقوف خارجياً وداخلياً، مثل: النقطة جي، والمرماتيان، والقورشونجي والطاشجي.
- (١٠) أسهم الوقف في ازدهار الحركة الفنية والمهنية، وذلك عن طريق العناية بكثير من العناصر متعددة المواد الخام من أحجار ورخام وأخشاب وآجر ورصاص وزجاج وغير ذلك.
- (١١) جاءت غالبية العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني في مدينة إستانبول في أثناء القرن ١٠هـ/١٦م في عهد السلطان سليمان القانوني ممثلة في زوجته جُلُفم وخاصكي خرم، وابنته مهرماه سلطان.
- (١٢) شيّد المعمار العظيم سنان العمائر الوقفية كافة لنساء القصر العثماني في أثناء القرن ١٠هـ/١٦م، فيما تابع أعماله بعد ذلك المعمار داود أغا وغيره من مهندسي القصر العثماني.
- (١٣) جاء المسجد على رأس المباني الوقفية، وقد مثل نواة الوقف في العمائر (قيد الدراسة)، وجاء موقعه في أعلى وأهم نقطة في المجمع الوقفي كله، ليبدو من بعيد كأنه عصب المجمع المعماري كله.
- (١٤) تعددت مواقع بناء العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) بمدينة إستانبول، وجاءت أربع كليات معمارية ووقفية في الجزء الآسيوي من المدينة، وثلاث

في الجزء الأوروبي على مواضع مختلفة، كما تضمنت الكليات الوقفية عمائر في أماكن مختلفة غير الموضع الذي أنشئ فيه المسجد، لا سيما المباني الربحية كالحمامات والخانات التجارية.

(١٥) خضعت تسميات الجوامع أو المجمعات المعمارية الوقفية (موضوع الدراسة) إلى خمسة اعتبارات رئيسة، هي المنشئ، والموقع، والحجم، والتتابع الزمني، وأهم الملامح الفنية أو الزخرفية التي يتميز بها عن غيره من المساجد، وعلى هذه الاعتبارات ذكرت أمثلة كثيرة في التاريخ العثماني.

(١٦) لم يقتصر إسهام نساء القصر العثماني على الأوقاف الدينية الخيرية، وإنما تعدى الإسهام ذلك إلى نماذج أكثر إبداعاً تمثل في الوقف العسكري لخديجة تورخان سلطان لقلعتين حربيتين تؤمنان مدخل مضيق الدردنيل جهة بحر إيجه، بما يبرز مدى مساهمة المرأة العثمانية في الوقف من ناحية، وإدراكها لأهم مستجدات الأمور وألويات الوقف من ناحية ثانية.

(١٧) تعددت أنماط عمارة المساجد الوقفية وتخطيطاتها (موضوع الدراسة)، وجاءت أنماطها كافة مندرجة تحت طراز المسجد القبلة بأنواعه المختلفة، اللهم إلا في مسجد جُلغم خاتون، إذ يغطيه من الداخل سقف مسطح ومن الخارج سقف جمالوني منحدر.

(١٨) اختلفت أحجام المساجد وعدد المآذن وغير ذلك من التفاصيل، تبعاً لمكانة الواقفة والعوامل المؤثرة على المبنى من حيث المكان والمساحة المتاحة ومراعاة خط تنظيم الطريق، إضافة إلى التبعات النفسية والمكانة الاجتماعية للواقفة.

(١٩) مثلت المدارس أهمية كبيرة بين العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إسطنبول في موضوع الدراسة، وجاءت متنوعة من حيث انفصالها إنشائياً عن المساجد في كل من: مجمعات مهرماه سلطان ونوربانو سلطان وماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار، ومجمع خاصكي خرم سلطان بأورتابازار بالجزء الأوروبي، فيما جاء نموذج واحد اشتركت فيه المدرسة مع حرم المسجد المكشوف متمثلاً في مجمع مهرماه سلطان بأدرنة قاضي في الجزء الأوروبي من المدينة.

(٢٠) تنوعت المدارس أيضًا إلى مدارس مغلقة داخل أربعة جدران تحيط بها، ومدارس مفتوحة تدرج ضمن التخطيطات التي تشبه هيئة حروف لاتينية، وأبرز مثال لها مدرسة ماهبيكر كوسم سلطان بإسكدار على هيئة حرف (V)، في حين جاءت الخلاوي في بعض المدارس في ثلاث جهات حول الرواق والصحن، ومن ثم فإن الخلاوي تشكل هيئة حرف (U)، ولكن المدرسة تقليدية الطراز والتخطيط لوجود أربعة جدران خارجية ملتصقة.

(٢١) ضمت غالبية المجمعات الوقفية مكاتب للصبيان بمنزلة الكتاتيب الأولى أو المدارس الابتدائية، وجاء تخطيطها بسيطاً يمكن أن تدرج غالبيتها ضمن النمط البسيط لطراز المسجد القبة، وجاءت منفصلة عن المسجد لضرورة الحفاظ على المسجد من عبث الصبيان من ناحية، وضمان الهدوء التام وتفريغ الصبيان واحتوائهم في مكان محدد للتعلم من ناحية ثانية.

(٢٢) ضمت غالبية العمائر الوقفية عناصر العمارة المائية الخيرية، سواء كوحدات معمارية منفصلة كالأسبلة، أم متخللة الجدران الخارجية للمباني أو السور الذي يحيط بها مثلة في الجشم، وجاءت مواقعها على الجدران الخارجية لخدمة المارة إلى جانب أفراد المجمع الوقفي.

(٢٣) تهدمت -مع الأسف- عمائر وقفية كثيرة كانت ضمن الكليات الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول، إما بفعل الحرائق والزلازل المتتالية، وإما تعرضت للتهدم الجزئي أو الكلي في أثناء أعمال توسعة الشوارع التي تحيط بالعمائر الوقفية بما يمثل تعدياً كبيراً على الأوقاف، وأثبتت الدراسة استباحة بعض الولاية أو الأحكام للعمائر الوقفية والاستيلاء عليها بحجة القيام بأعمال ذات نفع عام كتوسعة الطرق.

(٢٤) أثبتت الدراسة صلاحية التخطيط الإسلامي لأداء أي وظيفة، مع إضافة بعض العناصر التي تساعد في أداء مهام كل وظيفة على الشكل الأمثل والمرئجي.

(٢٥) اعتمدت العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) على القباب كعنصر أساسي في تغطيتها، إلى جانب بعض الوسائل الأخرى كالأقبية والأسقف الخشبية.

(٢٦) كشفت الدراسة عن اعتماد الحمامات العثمانية في التسخين على نظام الهيوكست (Hipocaust System)، والمعروف في العمارة العثمانية باسم الجهنملك (Ce-hennemlik) الذي استخدم منذ القدم في تسخين الحمامات عبر القصاب الفخارية.

(٢٧) مثلت العمارات الخيرية ودور الشفاء أبسط أنواع الرعاية الاجتماعية الخيرية بأوقاف نساء القصر العثماني وأهمها، كونها تمس الجانب اليومي الحرج من حياة الناس ممثلًا في المأكل والصحة.

(٢٨) قامت الأوقاف بدور جليل في العناية بالعمائر الموقوفة وإصلاحها وترميمها بصفة دورية لا سيما في المنشآت الدينية للحفاظ عليها حتى وقتنا الحاضر، وبينت الدراسة أن مدخولات الوقف قد لا تفي بنفقات الترميم والصيانة بما كان يستدعي جمع التبرعات أحيانًا وفتح باب المساهمة في تكاليف الترميم والصيانة.

(٢٩) تُعدّ العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني (قيد الدراسة) من أضخم المجمعات الوقفية في العمارة العثمانية كلها ومن أكثرها جمالًا وإبداعًا فنيًا وتفردًا معماريًا وتعدّادًا وظيفيًا، بما يبرز مكانة المرأة في الدولة العثمانية، إضافة إلى حرصها على ضخامة الوقف وشموليته.

(٣٠) اشتملت غالبية العمائر الوقفية (قيد الدراسة) على واجهات مختلفة نظرًا لوقوعها على شوارع خارجية وأخرى داخلية، وجاءت واجهاتها إما من الحجر أو بالتبادل بين الحجر والآجر، فيما تتخللها المداخل والنوافذ المستطيلة والمعقودة، واعتمدت الواجهات على التقسيم الثلاثي أو المزدوج في وضعها الرأسي والأفقي.

(٣١) تميزت العمائر الوقفية بوجود المداخل المحورية في غالبية العمائر الوقفية (قيد الدراسة)، خاصة المساجد الكبرى: كمسجد نوربانو سلطان، ومسجد خديجة تورخان سلطان.

(٣٢) تنوعت المساجد الوقفية لنساء القصر العثماني (قيد الدراسة) ما بين البساطة

كمسجد جُلُفم خاتون، والثراء الزخرفي والإبداع الفني في أرقى مراحلها في مسجد خديجة تورخان سلطان.

(٣٣) تعددت العقود المستخدمة في العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني، لا سيما العقود المدببة ونصف الدائرية في كتلات المداخل وفتحات النوافذ، فيما شاع العقد الموتوري في تأطير فتحات الأبواب.

(٣٤) أحدث المعمار سنان توازنًا فريدًا وتحديثًا منقطع النظير ليتفوق على نفسه بمرور الوقت في تخطيطات العمائر الوقفية وتغطياتها (قيد الدراسة)، وأسهمت بفعله العمائر الوقفية (قيد الدراسة) في تطور طرز تخطيطات العمائر الإسلامية.

(٣٥) لم تخرج العمارة الوقفية لنساء القصر العثماني (موضوع الدراسة) عما هو مألوف وسائد، سواء من حيث التخطيطات أم العناصر المعمارية مع باقي العمائر الأخرى، ولم تحدث نوعًا يثير الاختلاف عما كان سائدًا حتى قبل العهد العثماني، فيما عدا التنوع والضخامة وشمولية أوقافهن لشتى مجالات الحياة. (٣٦) انتشرت الحمامات العامة في مدينة إستانبول كعمائر تندرج ضمن الأوقاف الكبرى لنساء القصر العثماني، وقد تميزت أماكنها بالأهمية الشديدة ووقوعها إما في الأماكن الأكثر أهمية وازدحامًا بالسكان وإما على مسالك الطرق.

(٣٧) وُجدت صلة بين مساحة المربع السفلي الذي يحدد قطر القبة التي تقوم عليه وارتفاع القبة، وقد تمثلت العلاقة بينهما طرديةً، فإذا زادت مساحة المربع السفلي زاد معها قطر القبة مما عمل بالضرورة على ارتفاعها، ويتحدد ذلك حسب تخطيط المبنى وتأسيسه إلى جانب مكانة الواقفات وأهميتهن وإمكاناتهن.

(٣٨) تندرج غالبية الحمامات الوقفية لنساء القصر العثماني (قيد الدراسة) -من حيث أصل إنشائها- ضمن الحمامات المزدوجة، فيما عدا حمام النافورة (Havuzlu) لنوربانو سلطان.

(٣٩) تنوعت المساجد الوقفية (قيد الدراسة) -من حيث احتوائها على المآذن- ما بين نماذج بمئذنة واحدة كجامع جُلُفم خاتون بإسكدار، وجامع خاصكي سلطان بأورتابازار، وجامع مهرماه سلطان بأدرنة قايي، وچينيلي جامع لماهبيكر كوسم

سلطان بإسكدار، وجوامع ثنائية أو مزدوجة المآذن كجوامع مهرماه سلطان بإسكدار، ونوربانو جامع بإسكدار، وخديجة تورخان سلطان يامينونو. (٤٠) تأخذ المآذن كافة قمماً مخروطية مدببة على هيئة قلم الرصاص، فيما عدا قمة مئذنة جلفم خاتون، وتحتوي جميعها على شرفة واحدة فيما عدا مآذن خديجة تورخان، فبكل مئذنة ثلاث شرفات.

(٤١) جاءت غالبية فتحات المداخل والأبواب معقودة بعقود موتورة تقع داخل كتلات توظرها عقود مدببة غالباً وأحياناً نصف دائرية، فيما أخذت معظم فتحات النوافذ أشكالاً مستطيلة أو معقودة بعقود مدببة ونصف دائرية إلى جانب القمريات المستديرة.

(٤٢) أُستُخدمت المداخل المحورية في الجوامع من دون غيرها من المنشآت الأخرى التي قل عدد مداخلها لتصل إلى مدخل واحد فقط، لا سيما في العماير ذات الوظائف التي تتطلب الهدوء أو الحفظ، مثل: مكاتب الصبيان والمدارس والتكايا ودُور الشفاء وبعض الخانات.

(٤٣) لم يظهر مدخل الخوخة الصغير إلا في خان الوالدة كأثر من الوظيفة على العناصر المعمارية، إذ لم يكن الباب الكبير يُفتح إلا لإدخال البضائع والعربات والدواب، فيما يدخل الناس ويخرجون من المدخل الصغير، الذي وُضع داخل أحد مصراعي المدخل الجنوبي الكبير للخان.

(٤٤) غشيت فتحات النوافذ السفلية كافة بمصعبات معدنية تغلق عليها ضلف خشبية قوية لحماية العماير، فيما جاءت النوافذ العلوية من الجص المفرغ والمعشق بزجاج ملون يكوّن أشكالاً زخرفية مختلفة، لتجمع العماير بين المتانة والجمال الزخرفي.

(٤٥) تضمنت المساجد عناصر معمارية ووظيفية خاصة طبقاً للوظائف التي تتم داخل المسجد، واحتوت على المنابر ودكك الوعظ أو المقرئين، والمحافل.

(٤٦) أُستعمل المحفل الرئيس من قبل المقرئين لختم القرآن بعد الصلوات، وختامات أوقات الضحى، والأدعية، وموضع جلوس الموحّدين أثناء القيام بجلسات

أذكارهم، وفقاً لشروط الوقف كما نصت وثائق الوقف الخاصة بعمائر نساء القصر العثماني.

(٤٧) جاءت جميع المنابر الموجودة بجوامع نساء القصر العثماني مجاورة للمحراب على يساره، فيما عدا جامع جُلغم خاتون فجاء منبرها بالركن الجنوبي.

(٤٨) تميز منبر وحيد ضمن حدود الدراسة بتكسيته بالبلاطات الخزفية وهو منبر چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان، التي أرادت أن تتميز على غيرها من الواقفات الأخرى.

(٤٩) تنوعت أشكال المحاريب وتكسياتها إذ جاءت غالبية نازجها من الرخام، فيما عدا محراب جامع خاصكي سلطان فهو من الجص، ومحراب چينيلي جامع لماهبيكر كوسم سلطان الذي تكسوه البلاطات الخزفية، وجاءت جميعها من قطاع هندي مصلع فيما عدا المحراب الجصي بجامع خاصكي سلطان فهو نصف دائري.

(٥٠) صُنعت دكك المقرئين كافة من الخشب، وتزينها أشكال هندسية منفذة بالترغيب قوامها أشكال الخورنقات والشرافات وأجزاء الأطباق النجمية وغيرها، فيما تركز الدكك على أرجل خشبية، وقد أسندت إما على جدار القبلة وإما على الدعائم الوسطى للحفاظ عليها.

(٥١) جاءت غالبية النقوش الكتابية المسجلة على العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول من حيث الشكل بتنفيذها بخط الثلث الجلي المذهب المنفذ بالحفر على الرخام أو الحجر، وجاء بعضها بخط نستعليق.

(٥٢) تضمنت الكتابات المسجلة على عمائر الدراسة إما مضامين دينية تُمثل اقتباسات قرآنية أو عبارات دعائية أو أسماء الله الحسنى واسم النبي ﷺ وأسماء الخلفاء الراشدين، وإما نقوشاً تاريخية لتأسيس المسجد أو تدوين تاريخ التجديد.

(٥٣) استخدمت غالبية المنشآت الوقفية (قيد الدراسة) التأريخ بحساب الجُمَّل الكبير المشرقي (أبجد هوز)، عن طريق وضع كلمات وتركيبها بحروف عربية تشتمل في مجموعها الحسابي على تاريخ الانتهاء من التشييد أو التجديد.

(٥٤) تعددت الزخارف الهندسية التي زينت العنائر الوقفية (موضوع الدراسة)، وجاءت غالبيتها بأشكال البخاريات والجمامات الدائرية ومتعددة الأضلاع وزخارف الأطباق النجمية وأجزائها.

(٥٥) مثلت الزخارف النباتية أكثر عناصر الزخرفة في العنائر الوقفية (موضوع الدراسة)، خاصة المساجد، ولم تخرج عن المؤلف مما اشتهر من المملكة النباتية العثمانية، وانقسمت إلى زخارف محورة كزخارف الرومي وهي أكثر العناصر الزخرفية النباتية وجودًا، تليها الأوراق النباتية والشمار والأزهار خاصة أزهار اللالا والقرنفل.

(٥٦) أثبتت الدراسة مدى اهتمام الوقف وعنايته بالعنائر الوقفية كونها موضع تقديم خدمات الوقف، ويمثل ذلك أفضل ما يكون في متانة البناء وتقويته لحفظه أطول مدة ممكنة بما يتضمن مفهوم الحفظ المستدام، إذ تصبح العنائر ذات صلابة في مواجهة الأخطار الطبيعية والبشرية على حد سواء.

(٥٧) اهتم الواقفون بتعمير العين الموقوفة ومداومة الحفاظ عليها، من خلال توظيف الحرفيين والصناع، الذين يقع على عاتقهم تفقد العنائر يوميًا وكشف أي ضرر بها، ووضع أولوية للترميم والصيانة واستبدال ما قد يفقد منها.

(٥٨) اهتم الوقف ليس فقط بالنواحي المعمارية بل وبالنواحي الجمالية والزخرفية، سواء في التشكيلات المعمارية أم في التكسيات الزخرفية المتنوعة أم في النقوش الزخرفية والكتابية وتعدد الألوان المتداخلة بكل مبنى وقفي، لتزيد من بهائه وجماله لإظهار عظمة الوقف في شموليته وديمومته.

(٥٩) مثلت وثائق الوقف دستور العمل ونظامه وسيره بالعنائر الوقفية بجميع ما تشتمل عليه من آليات الثواب والعقاب ومراقبة العمل وكيفية دفع الأجور ولائحة الترتيبات، وما إلى ذلك في جميع ما يخص أو يتعلق بكل وقف منها.

(٦٠) تجلت عظمة الوقف في تعيين مسؤولين يختصون بمراقبة المباني لئلا يفسدها فاسد لضمان عدم تشويه المنظر الخارجي للأوقاف، فيما تم توظيف آخرين للعناية بالعنائر من الداخل، وذلك إلى جانب الصناع والحرفيين في المواد الخام

كافة التي بنيت منها العمائر الوقفية، من شادّ العمارة والبناء والنجار، والحجار، والمزجج، والمرصص، والسباك، ومُتعهد إصلاح الستائر وتنظيفها.

(٦١) أثبتت الدراسة أن العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بإستانبول شملت إلى جانب عملية الحفظ المستدام؛ قواعد التنمية المستدامة للوقف وآلياتها ومناهجها، عبر تخصيص مبالغ مالية سنويا من فائض الأوقاف لتنمية الوقف بشراء عقارات وأراضٍ جديدة في حدود مبالغ مالية نصّت عليها الوقفيات لضمان عملية التنمية المستدامة، وهو ما يظهر بوضوح في وقف خديجة تورخان سلطان، عبر تخصيصها مبلغ ١٥ ألف آقجة سنوياً لشراء عقارات وأراضٍ تدخل ضمن إطار الوقف.

وبالجملة يمكن القول: إن العمائر الوقفية (موضوع الدراسة) تسهم وبقوة في دراسة تاريخ العمارة الإسلامية الخيرية في العهد العثماني من ناحية، وتعطي ملمحاً شاملاً عن مدى إسهام الأوقاف في الحياة العامة للناس وما مثّله للدولة العثمانية من ناحية ثانية، وتؤكد أهمية المرأة ودورها الرائد في المجتمع العثماني في العصور الوسطى، ومدى إدراك المرأة لاحتياجات المجتمع الفعلية، وتحديد أولويات النفقة والصراف من ناحية ثالثة، وغير ذلك، بما يدل على أن المجتمع العثماني كان مجتمعاً قائماً على الوقف من أوله إلى آخره، من صغيره إلى كبيره، بدءاً من الكتاب وهو اللبنة الأولى لتعليم النشء، إلى المدرسة، إلى دار القراء، إلى دار الشفاء للتمرس على الطب ودراسته، إلى المكتبة ومدارسه الكتب، ومن ماء الشرب كمطلب حياتي، إلى العمارات ووجباتها المجانية، إلى التداوي في دور الشفاء مجاناً، إلى الصلاة والتعبد والجلوس في حلقات الذكر، إلى التكايا والخوانق للعزلة والانقطاع للتأمل والذكر والخلوة بالنفس، وصولاً في نهاية المطاف إلى الثُرب والمقابر، فكان الوقف ملازماً للمرء من مولده حتى وفاته، بما كفل حياة اجتماعية متوازنة، فإذا غابت الدولة عن رعاية الفقراء وُجد الوقف، وإذا لزم الجيش مؤونة فثمّ الوقف، وإجمالاً يمكن القول: إن حياة الدولة العثمانية كانت في الوقف.

The background features a central white circle with a thick grey border. Above and below this circle are intricate, symmetrical floral and geometric patterns in shades of grey, resembling traditional Islamic art. The patterns consist of stylized leaves, scrolls, and floral motifs.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الدينية الشرعية:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) صحيح الإمام البخاري، طبعات مختلفة.
- (٣) صحيح الإمام مسلم.

ثانياً: المصادر العربية والعثمانية المخطوطة:

- (٤) تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف، عبدالرؤوف المناوي، مخطوط محفوظ في مكتبة الأزهر الشريف، القاهرة، رقم ٧٠٩ / ٥٥٨١.
- (٥) صورة وقفية السلطان محمد الفاتح، نسخة مصورة (Fotokopi) برقم ١٢٦٠، مكتبة السليمانية، إستانبول.
- (٦) صورة وقفية خاصكي خرم سلطان بمجموعة أسعد أفندي رقم ٣٧٥٢، مكتبة السليمانية، إستانبول.
- (٧) صورة وقفية مهرماه سلطان بمجموعة أسعد أفندي رقم ٣٧٥٢، مكتبة السليمانية، إستانبول.
- (٨) وقفية خاصكي خرم سلطان بمجموعة بغدادلي وهبي رقم ١٥٤٧، مكتبة السليمانية، إستانبول.
- (٩) وقفية خديجة تورخان سلطان بمجموعة والده تورخان رقم ١٥٠، ميكروفيلم رقم ١٤٥٧، مكتبة السليمانية، إستانبول.
- (١٠) وقفية نوربانو سلطان، دفتر الأوقاف رقم ٢١١٣، دليل أرشيف المديرية العامة للأوقاف، أنقرة.

ثالثاً: المصادر العربية والعثمانية والفارسية المطبوعة:

- (١١) إتحاف الأحلاف في أحكام الأوقاف، عمر أفندي حلمي، المطبعة الأميرية، إستانبول، ١٨٨٩م.
- (١٢) آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- (١٣) أحكام الأوقاف، أبو بكر أحمد بن عمرو الخصاف الشيباني، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٣٢٢هـ.
- (١٤) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، مج ٧، ١٩٨٠م.
- (١٥) إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: عماد طه فرة، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ط ٢، ١٩٩٠م.
- (١٦) إغاثة الأمة بكشف الغمة، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م.

- ١٧) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ١٨) الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي (ت: ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، جزءان، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباته، نشر: مكتبة دنيس، ج ٢، عمان، ١٩٩٩م.
- ١٩) البحر المورود في الموائيق والعهود (العهود الصغرى)، عبد الوهاب بن أحمد الشعراي (ت: ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١، ٢٠٠٣م.
- ٢٠) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، طبعة دار المعارف، القاهرة، ج ١٢، ١٩٧٤م.
- ٢١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري (ت: ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٨٢-١٩٨٤م.
- ٢٢) تاريخ الخط العربي وآدابه، الخطاط محمد طاهر بن عبد القادر المكي الكردي، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، ١٩٣٩م.
- ٢٣) تاريخ روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، مير محمد بن سيد برهان ميرخواند، شيوه شرو نكشارش كم نظير در أدبيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩هـ.
- ٢٤) تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، علاء الدين عطا ملك الجويني، تحقيق وتصحيح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: السباعي محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، وزارة الثقافة، مج ٣، القاهرة، ١، ٢٠٠٧م.
- ٢٥) تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي ابن العبري (ت: ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وقف على طبعه ووضع حواشيه: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط ٢، ١٩٥٨م.
- ٢٦) تراجم رجال القرنين: السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن أبو شامة، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٧٤م.
- ٢٧) تقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبو الفداء، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٣٢.
- ٢٨) تليفق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، محمد مكّي الرمزي، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ٢٩) ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، المعهد الفرنسي بدمشق، دمشق، ١٩٥١م.

- (٣٠) جامع محاسن كتابة الكتاب، محمد بن حسن الطيبي، تقديم: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢م.
- (٣١) حديقة الجوامع، حافظ حسين بن إسماعيل إيوانساري، مطبعة عامرة، إستانبول، ١٢٨١هـ.
- (٣٢) الحلل الهندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد السراج الأندلسي الوزير (ت: ١١٤٩هـ/١٧٣٧م)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٣٣) الخط والخطاطون، حبيب أفندي بيداييش، ترجمة وتقديم: سامي محمد جلال، مراجعة: الصنصافي أحمد القطوري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- (٣٤) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٣م)، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، ط٢، ج٣، ١٩٩٨م.
- (٣٥) خطط الشام، محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ج٦، ط٢، ١٩٨٢م.
- (٣٦) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، أبو عبد الله محمد بن فضل الله الأمين المحببي (ت: ١١١١هـ/١٦٩٩م)، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م.
- (٣٧) الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد الدمشقي النعمي (ت: ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، تحقيق ونشر: جعفر الحسيني، مطبعة الترقى، دمشق، سوريا، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.
- (٣٨) الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ثريا فاروقي، ترجمة: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- (٣٩) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج: بحاشية الحل المفهم لصحيح مسلم، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، مج١، تعليق: العلامة محمد زكريا الكاندهلوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، طبعة بدون تاريخ.
- (٤٠) رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.
- (٤١) رحلة ابن جبير المسماة: تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، محمد بن جبير الأندلسي الشهير، دار صادر، بيروت، طبعة بدون تاريخ.
- (٤٢) روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين، مشهور بتاريخ نعيمه، مصطفى نعيمه، إستانبول، جلد ٤، ١١٤٧هـ/١٧٣٤م.
- (٤٣) سلحدار تاريخي، فيندقلي محمد أغا سلحدار، برنجي جلد، إستانبول، ١٩٢٨م.
- (٤٤) السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ج٢، ١٩٣٤م.
- (٤٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: بشار عواد معروف ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، ج٣، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٤٦) شرح الخرشبي «وهو شرح على المختصر الجليل لأبي ضياء سيدي الخليل»، الخرشبي أبو عبد

- الله محمد، مطبعة بولاق، القاهرة، ط ٢، ١٣١٧ هـ.
- (٤٧) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تقي الدين محمد بن علي الفاسي (ت: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨ م)، ج ١، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٨٥ م.
- (٤٨) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أحمد بن إبراهيم أبو البركات الحنبلي (ت: ٨٧٦ هـ/ ١٤٧١ م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٦ م.
- (٤٩) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شهاب الدين أحمد بن علي الفلقشندي (ت: ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م)، القاهرة، ج ٧، (١٩١٣-١٩١٩ م).
- (٥٠) عثمانلي مؤلفلري، محمد بروسه لي طاهر، إيكنجي جلد، معارف عمومية نظارت جليله سي طرفقدن طبعنه همت بيورلشدر، مطبعة عامره، إستانبول، ١٣٣٣ هـ.
- (٥١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، الخزرجي محمد بن الحسن، تحقيق: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩١١ م.
- (٥٢) العناية شرح الهداية، أكمل الدين البائري، ج ٨، د. ت. د. ط.
- (٥٣) عوارف المعارف، عمر بن محمد السمهروزي (ت: ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦ م.
- (٥٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ١٢، تحقيق: عبد القادر شيبية الحمد، طبع على نفقة صاحب السمو الأمير سلطان بن عبد العزيز، فهرسة مكتبة الملك فهد أثناء النشر، ط ١، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- (٥٥) فتوح مصر وأخبارها، عبد الرحمن ابن عبد الحكم (ت: ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م)، تقديم وتحقيق: محمد صبيح، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- (٥٦) قاموس اللغة العثمانية المسمى: الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، محمد علي الأنسي، طبعة بدون تاريخ، قاموس تركي، شمس الدين سامي، درسعادت (إستانبول)، ١٣١٧ هـ.
- (٥٧) كتاب الجغرافيا، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، طبعة بدون تاريخ.
- (٥٨) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م)، ج ٧، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٨٨ م.
- (٥٩) كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، محمد نجيب المطيعي، ج ١٦، وهو الجزء الخامس من تكملة هذا الشرح للمطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، المملكة العربية السعودية، د. ت. ج ١٦.
- (٦٠) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الشيخ نجم الدين الغزي، تحقيق: الدكتور جبرائيل سليمان جبور، ج ١، بيروت، ١٩٤٥ م.
- (٦١) كوجوك آسيا، شارل تركسيه، ترجمة: سعاد على، برنجي جلد، توركييا بيوك ملت مجلسي حكومتى، معارف وكالتي نشر إيدن، إستانبول مطبعة عامرة، ١٣٣٩ هـ.

- (٦٢) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار المعارف، القاهرة، ج٩، طبعة بدون تاريخ.
- (٦٣) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط١، دار النشر بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
- (٦٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، دار النشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- (٦٥) معجم البلدان، الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، مج٤، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- (٦٦) المغرب في تشكيل المغرب، ناصر بن عبد السيد المطرزي (ت: ٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، تحقيق: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، حلب، سوريا، ١٩٧٩م.
- (٦٧) المغني، موفق الدين أبو محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٩٨١م.
- (٦٨) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، دار الرائد العربي، بيروت، ط٥، ١٩٨٢م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، طبعة بولاق، ١٢٠٧هـ.
- (٦٩) نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، شهاب الدين أحمد التيفاشي، تحقيق: جمال جمعة، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، ١٩٩٢م.
- (٧٠) نصوص من أخبار مصر، الأمير جمال الدين أبو علي موسى المأمون البطائحي (ت: ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، طبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، طبعة بدون تاريخ.
- (٧١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ج٤، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
- (٧٢) عصري هجري دي إستانبول حياتي بايام- صباح، علي بك رضا، ٣١ تشرين أول ١٩١٩م، إستانبول، ١٣٣٧ - ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م.
- رابعاً: المراجع العربية والمعرّبة:
- (٧٣) الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، عزيز سامح التري، ترجمة: د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- (٧٤) الأتراك العثمانيون وحضارتهم، كارل بروكلمان؛ نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٤٩م.
- (٧٥) الآثار الإسلامية خلال العهد الأموي في شرق وغرب العالم الإسلامي، عبد الله كامل عبده، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١٣م.
- (٧٦) الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، محمود الحسيني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.

- (٧٧) الأسبلة في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة (وهو الجزء الرابع من سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية)، محمد حمزة إسماعيل الحداد، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- (٧٨) إستانبول: عبق التاريخ.. روعة الحضارة، الصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (٧٩) إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية، برنارد لويس، ترجمة: سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨٢م.
- (٨٠) الإسلام في يوغوسلافيا من بلغراد إلى سراييفو، محمد الأرنؤوط، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٩٣م.
- (٨١) إسهامات العلماء الأكراد في بناء الحضارة الإسلامية، أحمد عثمان البرزنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- (٨٢) أطلس الخط والخطوط، حبيب الله فضائلي، ترجمة: محمد التونجي، دار طلاس - دمشق، ط٢، ٢٠٠٢.
- (٨٣) أطلس تاريخ الإسلام، حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- (٨٤) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب الطباخ، دار القلم العربي، حلب، ج٤، ط٢، ١٩٨٩م.
- (٨٥) أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١، ط١، ١٩٩١م.
- (٨٦) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، حسن الباشا، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م؛ دار النهضة العربية، ج٢، ١٩٦٦م.
- (٨٧) أوقاف المسلمين في بيروت في أثناء العهد العثماني «سجلات المحكمة الشرعية في بيروت»، ن حلاق، (تقديم ودراسة وتحقيق)، المركز الإسلامي للإعلام والإنهاء، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٨٨) الأوقاف النبوية وأوقاف الخلفاء الراشدين، عبد الله محمد سعد الحجيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
- (٨٩) أوقاف النساء في مكة المكرمة في العهد العثماني ودور المرأة فيها، أميرة بنت علي مداح، مكتبة دار القاهرة، القاهرة، ٢٠١٠م، ط١، ٢٠١٠م.
- (٩٠) الأوقاف في مقدونيا خلال الحكم العثماني، أحمد شريف، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، سلسلة الترجمات (١٦)، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- (٩١) أوقاف نساء السلاطين العثمانيين، وفتية زوجة السلطان سليمان القانوني على الحرمين الشريفين، ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- (٩٢) الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م): دراسة تاريخية وثائقية، محمد محمد أمين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- (٩٣) الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العهد العثماني، محمد الصادق عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.

- ٩٤) بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مجموعة بحوث ألفت في ندوة «الحضارة الإسلامية في ذكرى أ. د. أحمد فكري»، السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- ٩٥) بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، محمد حمزة إسماعيل الحداد، دار نهضة الشرق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٩٦) بدائع الخط العربي، ناجي زين الدين المصرف، دار القلم، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م.
- ٩٧) بغداد في كتابات الرحالة العرب والأجانب من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر الميلادي، عبد الجبار ناجي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣م.
- ٩٨) تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٦م.
- ٩٩) تاريخ الخط العربي، صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٨٠م.
- ١٠٠) تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل إينالجيك، ترجمة: د. محمد م. الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ١٠١) تاريخ الدولة العثمانية، روبر مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، ١٩٩٣م.
- ١٠٢) تاريخ الدولة العثمانية، علي سلطان، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، المؤسسة العربية للتوزيع، ليبيا، ٢٠٠٧م.
- ١٠٣) تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٩٠م.
- ١٠٤) تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، المحامي، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١م.
- ١٠٥) تاريخ العمارة المصرية القديمة، إسكندر بدوي، ج ١، ترجمة: محمود عبد الرازق وصلاح رمضان، القاهرة ١٩٩١م.
- ١٠٦) تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، عباس إقبال، ترجمة: د. عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٠م.
- ١٠٧) تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥-١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥-١٩٢٥م)، عباس إقبال، ترجمة وتعليق: د. محمد علاء الدين منصور، مراجعة: أ. د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٠٨) تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد، عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، ١٩٧٩م.
- ١٠٩) تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، ابن الخوجة محمد، المطبعة التونسية، تونس، ١٩٣٩م.
- ١١٠) تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، أحمد سعيد سليمان، مكتبة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

- (١١١) التحولات الفكرية في العالم الإسلامي - أعلام وكتب وحركات وأفكار (من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري)، عليان الجالودي (تحرير)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ٢٠١٤م.
- (١١٢) تراث العمارة الإسلامية، خالد عزب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- (١١٣) التراث المعماري الإسلامي في مصر، صالح لمعي مصطفى، طبع جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٥م؛ دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- (١١٤) التربية الإسلامية: نظمها، فلسفتها، تاريخها، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- (١١٥) تشريح العمارة، جورج مانسل، ترجمة: محمد بن حسين إبراهيم، دار قابس للنشر والطباعة والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.
- (١١٦) تبيين الطالب وإرشاد الدارس، مختصر الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي، عمار محمد النهار، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠١٤م.
- (١١٧) الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المالك بمدينة القاهرة، سامي عبد الحليم، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1984م.
- (١١٨) الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه، محمد السيد الوكيل، جدة، ط٥، ١٩٨٩م.
- (١١٩) الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- (١٢٠) الحريم في القصر العثماني، ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- (١٢١) الحضارة الإسلامية «إبداع الماضي وآفاق المستقبل»، عبد الحليم عويس، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
- (١٢٢) الحضارة العربية الإسلامية، علي حسن الخربوطلي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- (١٢٣) الحثام التركي وملحقاته حي الطريف - الدرعية، زهير كامل ياسين، وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية، طبعة بدون تاريخ.
- (١٢٤) الخزف التركي، سعاد ماهر، مطابع مذكور، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٦٠م.
- (١٢٥) الخط العربي: أصوله، نهضته، انتشاره، عفيف البهنسي، ط٢، دار الفكر بدمشق، ١٩٩١م.
- (١٢٦) الخط العربي: نشأته وتطوره، عادل الألوسي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
- (١٢٧) خطط دمشق، أكرم حسن العلي، دار الطباع، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.
- (١٢٨) دائرة المعارف الإسلامية المعربة.
- (١٢٩) دراسات في العمارة الإسلامية، عبد السلام أحمد نظيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

- (١٣٠) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، سعيد عبد الفتاح عاشور، وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.
- (١٣١) دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العهد الأموي، صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٩م.
- (١٣٢) دراسات في فنون وتاريخ الآثار المعمارية (النقوش الكتابية على العمارات الدينية العثمانية)، محمد السيد البسطوسي، دار الكتاب الحديث، ط١، ٢٠٠٩م.
- (١٣٣) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، أكمل الدين إحسان أوغلي (إشراف وتقديم)، مركز إرسिका للأبحاث بإستانبول، ترجمة: صالح سعداوي، طباعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٢، ٢٠١١م.
- (١٣٤) الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.
- (١٣٥) رحلة الخط العربي من المسند إلى الحديث، أحمد شوحان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- (١٣٦) روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني، شركة نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- (١٣٧) الزخرفة الإسلامية الأرابيسك، محمود إبراهيم حسين، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- (١٣٨) سجاجيد الصلاة التركية، مجموعات متحف الفن الإسلامي (١)، محمد مصطفى، مطبعة وزارة المعارف العمومية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- (١٣٩) سر الزخرفة الإسلامية، بشر فارس، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بمصر، القاهرة، ١٩٥٢م.
- (١٤٠) سكب العبرات للموت والقبر والسكرات، سيد بن حسين العفّاني، مج٢، مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
- (١٤١) سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية، نزار قازان، دار الفكر اللبناني، لبنان، ١٩٩٦م.
- (١٤٢) السلطان المنصور قلاوون (تاريخ - أحوال مصر في عهده - منشآت المعمارية)، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة مذبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- (١٤٣) السلطان محمد الفاتح «فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح»، محمد مصطفى صفوت، منشورات الفاخرية، الرياض، ودار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
- (١٤٤) السلطانان خرّم ومهرماه (قرينة القانوني وسليته)، جان ألبجونج، ترجمة: د. وليد عبد الله القط، تحرير: إسماعيل كابار، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.
- (١٤٥) سلطنة الحرّيم في الدولة العثمانية، حسن أحمد حافظ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٣م.

- ١٤٦) الصحراء المصرية جبانة البحوث في الواحة الخارجة، أحمد فخري، ترجمة: عبد الرحمن عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ١٤٧) صحيح الترغيب والترهيب، الإمام محمد ناصر الدين محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٤٨) صور مشرقة من حضارة بغداد في العهد العباسي، ميخائيل حنا عواد، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨١م.
- ١٤٩) طراز المسجد القبة في المدينة المنورة والهفوف (الكتاب الأول) «دراسة تحليلية للتخطيط وأصوله في العمارة الإسلامية»، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة زهراء الشرق، ط ٢، ٢٠٠٤م.
- ١٥٠) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، نعيم زكي فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- ١٥١) العثمانيون - رجالهم العظام ومؤسستهم الشاخنة، عثمان نوري طوباش، ترجمة: د. محمد حرب، مراجعة وتصحيح: محمد أوقومش، دار الأرقم للطباعة والنشر، إستانبول، ٢٠١٦م.
- ١٥٢) عصر المغول، سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ، جورج لاين، ترجمة: تغريد الغضبان، مدارك بدي، وكلمة بأبوظبي للطبع والنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات، ط ١، ٢٠١٢م.
- ١٥٣) العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي، أحمد عبد الرازق، دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠٢م.
- ١٥٤) العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، منشورات جامعة الكويت، ٢٠٠٢م، مج ١، (طبع بزهره الشرق، القاهرة، ٢٠١٩م).
- ١٥٥) العمارة الإسلامية في مصر، كمال الدين سامح، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- ١٥٦) العمارة العربية الإسلامية «ماضيها وحاضرها ومستقبلها»، فريد محمود شافعي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م.
- ١٥٧) العمارة العربية الإسلامية، عبد القادر الريحاوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م.
- ١٥٨) العمارة العربية بمصر، ولفرد جوزيف دلي، ترجمة: محمود أحمد، إشراف: محمد أبو العائم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ٢٠٠٠م.
- ١٥٩) العمارة العربية في مصر «عصر الولاة»، فريد محمود شافعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
- ١٦٠) عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، محمد هزاع الشهري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ١٦١) العمارة في الحضارة الإسلامية، عبد القادر الريحاوي، منشورات جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ١٩٩٠م.

- ١٦٢) العمارة في مصر القديمة، محمد أنور شكري، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ١٦٣) العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، الخليج العربي للطباعة، ٢٠٠٩م.
- ١٦٤) العمارة والفنون في دولة الإسلام، سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م.
- ١٦٥) فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط ١٠، ج ٣، ١٩٩٣م.
- ١٦٦) الفن الإسلامي في أسبانيا، مانويل جوميث مورينو، ترجمة: لطفي عبد البديع والسيد محمود عبد العزيز، دار الكتاب العربي، القاهرة، طبعة بدون تاريخ.
- ١٦٧) الفن الإسلامي: أصوله، فلسفته، مدارسه، أبو صالح الألفي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، طبعة بدون تاريخ.
- ١٦٨) الفن الإسلامي: قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، سمير الصايغ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ١٦٩) فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية، شادية الدسوقي كشك، دار القاهرة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ١٧٠) فن الخط، مصطفى أوغور درمان، تقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، إستانبول، ١٩٩٠م.
- ١٧١) فنون الإسلام، زكي محمد حسن، دار الرائد العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٨١م.
- ١٧٢) الفنون الإسلامية في العهد العثماني، ربيع حامد خليفة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٧م.
- ١٧٣) الفنون الإسلامية، سعاد ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١٧٤) الفنون الإسلامية، م. س. ديباند، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: أحمد فكري، دار المعارف المصرية، ١٩٥٤م.
- ١٧٥) فنون الترك وعمائرهم، أوقطاي أصلان أبا، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إرسيكا)، إستانبول، ١٩٨٧م.
- ١٧٦) الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، علي أحمد الطائش، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣م.
- ١٧٧) الفنون الزخرفية الإسلامية بمصر في العصر الأيوبي، عبد الناصر ياسين، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002م.
- ١٧٨) الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر الإسلامي، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١٧٩) الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني، محمد عبد العزيز مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

- ١٨٠) الفنون الزخرفية في مصر قبل الفاطميين، محمد عبد العزيز مرزوق، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- ١٨١) في الفكر الإسلامي، محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف مطبعة فضالة، ج ١، المملكة المغربية، ١٩٩٦م.
- ١٨٢) قاموس الأمكنة والبقاع الواردة في كتاب فتوح البلدان، علي بهجت، القاهرة، ١٩٠٦م.
- ١٨٣) القباب «أشكالها، مصادرها، تطورها»، صالح لمعي مصطفى، بيروت، ١٩٧٧م.
- ١٨٤) القباب المخروطية في العراق، عطا الحديني؛ وآخرون، بغداد، ١٩٧٤م.
- ١٨٥) القباب في العمارة المصرية الإسلامية: القبة المدفن - نشأتها وتطورها حتى نهاية العصر المملوكي، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٨٦) قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- ١٨٧) قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، عبد القادر الريحاي، ج ٢، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ١٨٨) الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري (٧-١٨م)، مایسة محمود داود، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ١٨٩) الكتابات في الحرمين الشريفين وما حولهما، عبد اللطيف عبد الله دهيش، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة مكة المكرمة، ١٩٨٦م.
- ١٩٠) لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات، مصطفى حسن البدوي، ط ١، الوابل الصيب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ١٩١) ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، سلسلة عالم المعرفة، ١٤٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٠م.
- ١٩٢) المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية، محمد الصادق عفيفي، نشر المؤلف، ١٩٨٠م.
- ١٩٣) المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، أيمن فؤاد سيد، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٩٤) مدخل إلى الآثار الإسلامية، حسن الباشا، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ١٩٥) مدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنقوش الأثرية والنصوص الوثائقية والتاريخية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة زهراء الشرق، ط ٣، ٢٠٠٦م.
- ١٩٦) المدن التراثية في العالم الإسلامي، خالد عزب، كتاب إلكتروني عن: www.Kotobarabia.Com.

- (١٩٧) المدينة الإسلامية، محمد عبد الستار عثمان، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٨م.
- (١٩٨) مدينة حيس اليمينية «تاريخها وآثارها الدينية»، عبد الله عبد السلام صالح، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م.
- (١٩٩) المرأة في مصر في العصر الفاطمي، نريمان عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- (٢٠٠) المرأة والوقف.. العلاقة التبادلية (المرأة الكويتية أنموذجاً)، إيمان محمد الحميدان، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠١٦م.
- (٢٠١) المرأة ودورها في المجتمع المغولي طبقاً لمصادر المغول وقوانين الياسا، صلاح الدين محمد نوار، منشأة المعارف بالإسكندرية للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٩م.
- (٢٠٢) مساجد القاهرة قبل عصر المماليك، محمد عبد العزيز مرزوق، القاهرة، ١٩٤٢م.
- (٢٠٣) مساجد القاهرة ومدارسها- المدخل، أحمد فكري، مطبعة معهد دون بوسكو، الإسكندرية، ١٩٦١م.
- (٢٠٤) مساجد صنعاء: عامرها وموفوها، الحاج محمد بن أحمد الحجري، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.
- (٢٠٥) المساجد في الإسلام، طه الوالي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- (٢٠٦) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعد ماهر، ج٥، وزارة الأوقاف «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية»، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٢٠٧) المساجد، حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١م.
- (٢٠٨) المسجد الجامع بالقيروان، أحمد فكري، القاهرة، ١٩٣٦م.
- (٢٠٩) المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، محمد محمد أمين؛ ليلى علي إبراهيم، دار النشر بالجامعة الأمريكية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠م.
- (٢١٠) المظاهر الحضريّة للمدينة المنورة في عصر النبوة، خليل إبراهيم السامرائي؛ نائر حامد محمد، الموصل، العراق، ١٩٨٤م.
- (٢١١) معالم بغداد في القرون المتأخرة، عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، ٢٠٠٠م.
- (٢١٢) معاهد تزكية النفوس في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، دولت عبد الله، القاهرة، ١٩٨٠م.
- (٢١٣) معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- (٢١٤) معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مصطفى الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

- (٢١٥) المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان، مراجعة: عبد الرزاق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م.
- (٢١٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، ج١، القاهرة، ١٩٦٠م.
- (٢١٧) معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين، عفيف البهنسي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- (٢١٨) معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم حنفي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.
- (٢١٩) معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- (٢٢٠) المغول بين الانتشار والانكسار، موسوعة الحروب الصليبية (٢)، علي محمد الصلابي، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- (٢٢١) المغول، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
- (٢٢٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بيروت، مج٥، ١٩٧٠م.
- (٢٢٣) المكايل والموازن الشرعية، علي جمعة، القدس للإعلان والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
- (٢٢٤) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- (٢٢٥) من فنون العمارة الإسلامية حمّامات السوق ودورها الحضاري «دراسة أثرية لحّمّامات العصرين المملوكي والعثماني»، عادل زيادة، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٩م.
- (٢٢٦) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، بدران عبد القادر، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
- (٢٢٧) المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية- المستشفيات وكلية طب الشام، أكمل الدين إحسان أوغلي، لجنة تاريخ بلاد الشام، دمشق، ٢٠٠٢م.
- (٢٢٨) المؤسسات والعلاقات الجديدة في مقدونيا وشبه جزيرة البلقان بعد وصول العثمانيين، ماتكوفسكي أليكسندر، الأكاديمية المقدونية للعلوم والفنون، إسكوبيا، ١٩٨٦م.
- (٢٢٩) موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٢٣٠) موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، محمود شاكر، مج٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٢٣١) الموسوعة التاريخية الجغرافية، مسعود الخوند، بيروت، لبنان، ج٥، ١٩٩٥م.
- (٢٣٢) موسوعة التراث المعماري، عفيف البهنسي، مؤسسة عين، دمشق، مج٢، ٢٠٠٤م.

- (٢٣٣) موسوعة العمارة الإسلامية في مصر - من الفتح العثماني إلى نهاية عهد محمد علي (٩٢٣- ١٢٦٥هـ/١٥١٧-١٨٤٨م)، المدخل، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠١٥م.
- (٢٣٤) موسوعة العمارة الإسلامية، عبد الرحيم غالب، المطبعة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.
- (٢٣٥) موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، حسن الباشا، الدار العربية للكتاب، 5 مجلدات، القاهرة، ١٩٩٩م.
- (٢٣٦) موسوعة المآذن العثمانية، محمد أحمد عبد اللطيف، مج ١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
- (٢٣٧) الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، راغب السرجاني (تقديم)، مراجعة وإشراف: قاسم عبد الله إبراهيم ومحمد عبد الله صالح، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ج ٢، ط ٧، أبريل ٢٠٠٧م.
- (٢٣٨) موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، يحيى وزيري، الكتاب الأول، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.
- (٢٣٩) النظافة في الحياة اليومية عند المصريين القدماء، إيهان أحمد أبو بكر، مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.
- (٢٤٠) نظرية الوظيفية بالمعنى الديني المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، محمد عبد الستار عثمان، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- (٢٤١) النقود المتداولة في مصر العثمانية، أحمد السيد الصاوي، ط ١، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- (٢٤٢) النقوش الأثرية مصدر للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مج ١، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م.
- (٢٤٣) الوثائق في خدمة الآثار، دراسات في الآثار الإسلامية، عبد اللطيف إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٩م.
- (٢٤٤) وسائل السفر عند المسلمين - تاريخها وآثارها «دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية»، عبد الناصر ياسين، القسم الأول، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- (٢٤٥) الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، عكرمة سعيد صبري، دار الفنائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٨م، ط ٢، ٢٠١١م.
- (٢٤٦) الوقف الإسلامي: تطوره وإدارته وتنميته، منذر قحف، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- (٢٤٧) وقف المرأة في عالم الإسلام (مقاربة جديدة لمكانة المرأة في الإسلام)، محمد الأرنؤوط، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٤م.
- (٢٤٨) الوقف وال عمران الإسلامي، محمد نوبى حسن، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- (٢٤٩) الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، رفعت موسى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م.

خامساً الرسائل العلمية العربية (ماجستير، دكتوراة):

- (٢٥٠) الأبعاد الفكرية في الفن الإسلامي، معجب عثمان الزهراني، رسالة (ماجستير) بقسم التربية الفنية، كلية التربية - جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- (٢٥١) أثار المصحف في مصر في عصر المهاليك «دراسة أثرية فنية»، فايزة الوكيل، رسالة (ماجستير) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١م.
- (٢٥٢) أثر الفن السلجوقي على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر، منى محمد بدر، مخطوط رسالة (دكتوراة)، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٩٩١م.
- (٢٥٣) أعمال المنافع العامة بالقاهرة في القرن التاسع عشر، إبراهيم صبحي السيد غندر، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.
- (٢٥٤) أوقاف السلطان سليمان القانوني وحرمة في مكة المكرمة (٩٢٥هـ - ١٥٢٠م / ١٩٧٤هـ - ١٥٦٦م)، فاطمة الزهراء عسوس؛ صليحة عدواس، مذكرة مكتملة لنيل درجة (الماجستير) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ٨ ماي (مايو) ١٩٤٥م، قلمة، الجزائر، ٢٠١٧م.
- (٢٥٥) الأوقاف خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، أحلام نعيمى، مذكرة مكتملة لنيل درجة (الماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر (بسكرة)، الجزائر، (٢٠١٢ - ٢٠١٣م).
- (٢٥٦) الأوقاف في فلسطين في عهد المهاليك (٦٤٨ - ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، فايز إبراهيم الزامل، رسالة (ماجستير) بالجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م.
- (٢٥٧) البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية (١ - ٦٥٦هـ / ٦٢٢ - ١٢٥٨م)، مؤمن أيسس البابا، رسالة (ماجستير) بقسم التاريخ والآثار، كلية الآداب - الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، ٢٠٠٩م.
- (٢٥٨) التأثيرات الإيرانية والصينية على خزف إزنيك خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة (١٦ - ١٧م)، آمال منصور محمد، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.
- (٢٥٩) التأثيرات العقائدية في الفن العثماني، نادر محمود عبد الدايم، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، (١٩٨٩ - ١٩٩٠م).
- (٢٦٠) تذاكر المعمار سنان «دراسة وترجمة إلى العربية»، محمد السيد جاد، رسالة (ماجستير) بقسم اللغات الشرقية، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (٢٦١) تطور المدارس في العالم الإسلامي منذ نشأتها حتى الفتح العثماني، صلاح السيد رمضان، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٠م.
- (٢٦٢) تطور المئذنة المصرية بمدينة القاهرة من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، عبد الله كامل موسي عبده، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

- (٢٦٤) التكية المولوية «دراسة آثارية حضارية»، ماهر سعيد هلال عوض الله الخولي، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.
- (٢٦٤) الجامع المدرسة في إستانبول خلال النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أميرة فتحي عماد السباعي، رسالة (ماجستير)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
- (٢٦٥) جامع الملكة صفية، هدايت تيمور، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م.
- (٢٦٦) الحليات المعمارية الزخرفية على عمائر القاهرة في العصر المملوكي الجركسي، جمال عبد الرحيم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م.
- (٢٦٧) الحَمَامَات الباقية بمدينة دمشق في العصرين المملوكي والعثماني، عادل زيادة، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.
- (٢٦٨) الحَمَامَات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العهد العثماني، منصور محمد عبد الرازق معوض، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١١م.
- (٢٦٩) الحَمَامَات العامة في مدينة إستانبول خلال العهد العثماني في ضوء نماذج منتقاة من حَمَامَات السلاطين والصدور العظام (دراسة آثارية معمارية مقارنة)، إيمان إسماعيل علي محمد، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآداب- جامعة سوهاج، ٢٠١٩م.
- (٢٧٠) الحَمَامَات العامة في مدينة طرابلس الشام في العصرين المملوكي والعثماني «دراسة أثرية فنية»، حمادة محمد محمد هجرس، رسالة (ماجستير) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 2011م.
- (٢٧١) الحَمَامَات في مصر الإسلامية، سعاد محمد حسن حسنين، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.
- (٢٧٢) دراسة مقارنة لأساليب التخطيط في العمارات الدينية السلجوقية والمصرية حتى نهاية العصر المملوكي، فهيم فتحي إبراهيم، رسالة (دكتوراة) منشورة، كلية الآداب- جامعة سوهاج، ٢٠٠٠م.
- (٢٧٣) دراسة مقارنة للسماط الفنية في خط الثلث عند ابن البواب والخطاطين الأتراك، مختار عالم إسماعيل، متطلب تكميلي للحصول على درجة (الماجستير) في التربية الفنية، كلية التربية - جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١١م.
- (٢٧٤) دور المرأة في مصر خلال العصر المملوكي الأول (٦٤٨- ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠- ١٣٨٢م): دراسة تحليلية، سجي محمد لطيف التميمي، رسالة (ماجستير) بجامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٦م.

- (٢٧٥) رسوم عمائر إستانبول الدينية في تصاوير المخطوطات العثمانية، منى السيد عثمان، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠١٠م.
- (٢٧٦) الزخارف النباتية على الفنون التطبيقية في آسيا الصغرى خلال العهد العثماني، هند علي علي سعيد، رسالة (ماجستير) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- (٢٧٧) شواهد القبور الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر (٥٦٧- ٩٢٣هـ/ ١١٧١- ١٥١٧م) «دراسة أثرية فنية»، علاء الدين عبد العال، رسالة (ماجستير)، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٣م.
- (٢٧٨) الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية، علي المليجي، رسالة (دكتوراة) بكلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.
- (٢٧٩) الطراز العثماني في منشآت التعليم بالقاهرة (٩٢٣- ١٢١٣هـ/ ١٥١٧- ١٧٩٨م) «دراسة أثرية معمارية»، مرفت محمود عيسى، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار- قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.
- (٢٨٠) عمارة الأسبلة العثمانية الباقية بمدينة إستانبول من أواخر القرن (١٠هـ/ ١٦م) حتى الربع الأول من القرن ١٤هـ/ ٢٠م (دراسة أثرية معمارية وفنية)، دعاء صلاح سعد خالد، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠١٧م.
- (٢٨١) عمارة التُّرب العثمانية الباقية بمدينة إستانبول خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين «دراسة أثرية معمارية فنية مقارنة»، محمد عبد الشكور أبو زيد، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠١٦م.
- (٢٨٢) العمارة الحربية لمدينة إستانبول في العهد العثماني، شيباء عطا حمدان، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار- جامعة القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- (٢٨٣) العمائر الإسلامية في قبرص «دراسة آثارية حضارية»، بدر عبد العزيز محمد بدر، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- (٢٨٤) العمائر الدينية العثمانية بمدينة القاهرة «دراسة أثرية فنية»، شادية الدسوقي كشك، رسالة (ماجستير) بقسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٤م.
- (٢٨٥) العمائر الدينية في غرب الأناضول إبان عهد الإمارات «دراسة آثارية معمارية وفنية»، جمال صفوت سيد، رسالة (دكتوراة) بكلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.
- (٢٨٦) عمائر المرأة الدينية بإستانبول في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي «دراسة آثارية معمارية»، ريهام يحيا عبد العال، رسالة (ماجستير) بقسم الآثار، كلية الآداب- جامعة أسيوط، ٢٠١٦م.
- (٢٨٧) عمائر غازي خسرو بك الباقية بمدينة سراييفو «دراسة آثارية معمارية وفنية مقارنة»، آية عبد العزيز حسب الله، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار- جامعة القاهرة، ٢٠١٧م.

- (٢٨٨) العناصر المعمارية المستخدمة في عمارة مساجد القاهرة في العهد العثماني، طه عبد القادر عمارة، رسالة (دكتوراة) غير منشورة من قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٨ م.
- (٢٨٩) فن التجليد في العصر الصفوي مجموعات متاحف القاهرة ودار الكتب المصرية «دراسة فنية مقارنة»، سامح فكري طه البنا، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- (٢٩٠) الكتابات التركية العثمانية على أسبلة إستانبول مع ترجمة الكتابين الأول والثاني من سلسلة «أسبلة إستانبول» لأورجون باريشتا، صباح علي الطباخ، رسالة (دكتوراة) بقسم اللغة التركية وآدابها، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠١٢ م.
- (٢٩١) كتابات العماير الدينية العثمانية بإستانبول، محمد علي حامد بيومي، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩١ م.
- (٢٩٢) مجمع (كليت) فليج علي باشا بإستانبول - دراسة أثرية معمارية فنية (٩٨٨-٩٩٦هـ/١٥٨٠-١٥٨٧م)، محمد القعقاعي بدران، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠١٧ م.
- (٢٩٣) مداخل العماير المملوكية بالقاهرة الدينية من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م - ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، محمد سيف النصر أبو الفتوح، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥ م.
- (٢٩٤) المدارس الباقية في قونية والقاهرة خلال عصر سلاجقة الروم والمالليك البحرية «دراسة أثرية معمارية مقارنة»، طلال محمد محمود الشعبان، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥ م.
- (٢٩٥) المدارس العثمانية الباقية في مدينة دمشق «دراسة أثرية معمارية»، محمد عبد القادر منصور، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ٢٠١٠ م.
- (٢٩٦) المدرسة العثمانية منذ عصر الفاتح حتى وفاة القانوني (١٤٥١-١٥٦٦م) في ضوء المصادر التركية، أحمد عبد الله إبراهيم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة بقسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب - جامعة عين شمس، ٢٠٠٥ م.
- (٢٩٧) المدرسة العثمانية منذ عصر الفاتح وحتى وفاة القانوني (١٤٥١-١٥٦٦م) في ضوء المصادر التركية، أحمد عبد الله إبراهيم نجم، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥ م.
- (٢٩٨) المدرسة المنصورية بمدينة جبن باليمن، إبراهيم أحمد محمد المطاع، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤ م.
- (٢٩٩) المساجد الجامعية بمدينة تونس في العصر الحفصي «دراسة أثرية معمارية»، عامر حسن عجلان، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١١ م.

- (٣٠٠) المساجد العثمانية الباقية في بلغاريا «دراسة آثارية معمارية فنية مقارنة»، أميرة فتحى عماد السباعي، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠١٥ م.
- (٣٠١) المساجد العثمانية الباقية في ضاحية إسكدار بإستانبول في الفترة (٧٥٢-١٢٢٣هـ/١٣٥٢-١٨٠٨م)، محمود السيد محمد، رسالة (ماجستير) غير منشورة بكلية الآثار - جامعة سوهاج، ٢٠١٨ م.
- (٣٠٢) مساجد بغداد في العهد العثماني «دراسة معمارية أثرية» (٩٤١-١٠٣٢هـ/١٠٤٨-١٣٣٥م)، اعتماد يوسف أحمد القصيري، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨١ م.
- (٣٠٣) المنابر في مصر في العصرين المملوكي والتركي، نعمت محمد أبو بكر، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٥ م.
- (٣٠٤) المناظر الطبيعية في التصوير العثماني في تركيا ومصر «دراسة أثرية فنية مقارنة»، أمين عبد الله رشيدى، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م.
- (٣٠٥) المنشآت التجارية العثمانية الباقية بمدينة إستانبول حتى أواخر القرن ١٢هـ/١٨م (دراسة آثارية معمارية وفنية)، محمد أحمد بهاء الدين ملكه، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠١٦ م.
- (٣٠٦) المنشآت التجارية بمدينة القاهرة في القرن التاسع عشر الميلادي (١٣هـ/١٩م) «دراسة أثرية حضارية»، ضياء محمد جاد الكريم زهران، رسالة (دكتوراة)، كلية الآثار - جامعة القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧ م.
- (٣٠٧) المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، أمال العمري، رسالة (دكتوراة) - جامعة القاهرة، ١٩٧٤ م.
- (٣٠٨) منشآت التصوف بمدينة القاهرة من الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر «دراسة أثرية حضارية»، هند علي منصور، رسالة (ماجستير) بكلية الآثار - جامعة القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- (٣٠٩) منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، محمد سيف النصر أبو الفتوح، رسالة (دكتوراة) بكلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط، ١٩٨٠ م.
- (٣١٠) المنشآت العثمانية الدينية في أعمال المعمار سنان، أحمد محمد زكي، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١ م.
- (٣١١) المؤسسات الصوفية في مصر في العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) ودورها في الحياة العامة، محمود سعود مبارك الحسيني، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة آل البيت، الأردن، ٢٠١٧ م.
- (٣١٢) النسيج في العالم الإسلامي منذ القرن ٨-١١هـ/١٤-١٧م «دراسة أثرية فنية»، عائشة عبد العزيز أحمد التهامي، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤ م.

- (٣١٣) النقوش الشاهدية في طرابلس الغرب إبان العهد العثماني الأول والعصر القرماني (١٩٥٨-١٢٥١هـ/١٥٥١-١٨٣٥م) «دراسة أثرية فنية»، سهام عبد الله جاد عبد الله، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م.
- (٣١٤) النوافذ وأساليب تغطيتها في عمارت سلاطين المماليك بمدينة القاهرة «دراسة معمارية فنية»، مایسة محمود محمد داوود، رسالة (دكتوراة) غير منشورة، قسم الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.
- (٣١٥) وقف المرأة في دمشق في العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ/١١٧٤-١٢٦٠م)، عودة رافع عودة الشرعة، رسالة (ماجستير) بكلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٨م.

سادسًا: أبحاث المجلات والدوريات والمدخلات والأوراق العلمية:

- (٣١٦) الأبعاد الجمالية للمئذنة في العمارة الإسلامية، صفا لطفي عبد الأمير، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠١٠م.
- (٣١٧) الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز الزايدي، مجلة أوقاف، السنة السادسة، العدد ١١، نوفمبر ٢٠٠٦م.
- (٣١٨) أثر العقيدة الإسلامية في فن الزخرفة عند المسلمين، نجاة شاكر زيدان، مجلة الدارة، مجلة فصلية محكمة، السنة الثالثة، العدد الرابع، صفر ١٣٩٨هـ/يناير ١٩٧٨م.
- (٣١٩) أثر القرآن الكريم في الخط العربي، كمال عبد جاسم الصالح الجميلي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، السنة الخامسة والسادسة، عدد ديسمبر ٢٠١٣م.
- (٣٢٠) أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمارت المملوكية البحرية، محمد محمد مرسي الكحلوي، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م.
- (٣٢١) الأسبلة السلبيانية الباقية بالقدس الشريف، محمد حمزة إسماعیل الحداد، ضمن أعمال ندوة «فلسطين عبر عصور التاريخ»، مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب- جامعة القاهرة، في الفترة (٤-٦ نوفمبر ١٩٩٥م).
- (٣٢٢) أسبلة القاهرة المملوكية، محمد عبد الستار عثمان، مجلة المتحف العربي، السنة ٢، العدد ٣، الكويت، جمادى الأولى- رجب ١٤٠٧هـ/يناير- مارس ١٩٨٧م.
- (٣٢٣) إسهام المرأة في المجال العمراني والثقافي في العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ/١١٧٤-١٢٦٠م)، أحمد رضا أحمد عمر، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، العدد الأول، ٢٠١٦م.
- (٣٢٤) أشغال الرخام في العمارة الدينية في مدينة القاهرة في عهد محمد على وخلفائه «دراسة أثرية فنية»، إبراهيم وجدي إبراهيم حسنين، رسالة (ماجستير) غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.
- (٣٢٥) أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد السلطان سليم الثاني، محمود سيد الدغيم، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، عقدها اتحاد المؤرخين

- العرب، ٦- ٨ نوفمبر ١٩٩٣م، القاهرة، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- (٣٢٦) أضواء على منجزات سنان المعارية، عبد الله كوران، مجلة البناء، السنة ٦، العدد ٣١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- (٣٢٧) امرأة مصرية تتزعم مظاهرات، عبد المنعم ماجد، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد ٢٤، ١٩٧٧م.
- (٣٢٨) أوقاف النساء في مدينة إستانبول في النصف الأول من القرن السادس عشر، فاروق بيليجي، مجلة أوقاف، السنة العاشرة، العدد ١٩، ذو الحجة ١٤٣١هـ/ نوفمبر ٢٠١٠م.
- (٣٢٩) أوقاف النساء: المرأة، المعرفة، السلطة، دورية المرأة والحضارة، زينب أبو المجد، جمعية دراسات المرأة والحضارة، ٢٠٠٠م.
- (٣٣٠) الأوقاف والتوازن المجتمعي بمدينة تطوان، خالد الرامي، ضمن أعمال الندوتين، المجتمع التطواني والتطور العمراني والمعماري من القرن ١٦ إلى القرن ٢٠، أعمال الندوتين أيام ٩- ١٠ ديسمبر ٢٠٠٥م، ١٤- ١٦ ديسمبر ٢٠٠٦م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط١، ٢٠٠٩م.
- (٣٣١) الأوقاف والرعاية الصحية، أحمد عوف عبد الرحمن، بحث بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، السنة الثالثة، العدد ٦، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٤م.
- (٣٣٢) البيمارستان السلجوقي في الأناضول، فهم فتححي، المؤتمر العالمي للتاريخ والحضارة الإسلامية الذي عقد في جامعة مالايا في كوالالمبور، ماليزيا، ١٠- ١١/ ١٠/ ٢٠١١م.
- (٣٣٣) تطور العمارة الإسلامية بتطور وظائفها، سعد محمد ماهر، مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، مج ١٨، ١٩٧١م.
- (٣٣٤) تطور مساحة الفراغ المركزي في المساجد العثمانية بإستانبول، أحمد محمد زكي، مجلة المشكاة، المجلة المصرية للآثار الإسلامية، تصدر عن مكتبة الإسكندرية، مج ٤، ٢٠٠٩م.
- (٣٣٥) الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بهال الوقف في المغرب، محمد الحجوي، مجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، السنة الرابعة، العدد ٧، نوفمبر ٢٠٠٤م.
- (٣٣٦) الخصائص المعمارية للعقود والقباب الكلاسيكية، عاصم نايف البرغوثي، مجلة العصور، المجلد ١، الجزء ٢، دار المريخ للنشر، لندن، ١٩٨٦م.
- (٣٣٧) دار التوقيت (المؤقتخانه) العثمانية بمدينة إستانبول في القرنين ١٢- ١٣هـ/ ١٨- ١٩م «دراسة آثارية مقارنة»، هبة حامد عبد الحميد، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد ٢٢.
- (٣٣٨) دراسة عن بعض دكك المؤذنين في العصرين المملوكي الجركسي والعثماني بمدينة القاهرة،

- حسني نويسر، مجلة حوليات إسلامية، المجلد 25، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٩١م.
- (٣٣٩) درب زبيدة أبرز طرق الحج في التاريخ، سامي الصقار، مجلة هدي الإسلام، الأردن، المجلد ٥٠، العدد ٩، ٢٠٠٦م.
- (٣٤٠) الدور السياسي والإداري لزوجات خانات المغول خلال العهد العباسي (٦٢٦-٦٥٠هـ/١٢٢٨-١٢٥٢م) «سيورقوتيتي بيغي، وأوغول غايميش أنموذجًا»، سعاد هادي حسن الطائي، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، العدد الرابع، ٢٠١٢م.
- (٣٤١) الدور العلمي للمرأة في التراث البغدادي (العهد العباسي أنموذجًا)، رشا عيسى فارس، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الرابع، ٢٠١٧م.
- (٣٤٢) دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، ثامر نعمان مصطفى، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، جامعة واسط، العراق، العدد ٢٣، ٢٠١٣م.
- (٣٤٣) دور الوقف النسائي في نشأة المدارس العلمية في دمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين، كرم حلمي فرحات أحمد، بحث مقدم لمؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، أقامته كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ٩-١٠ مايو ٢٠١١م.
- (٣٤٤) دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة، عبد الله بن إدريس الداودي، بحث مقدم إلى مسابقة أبحاث الوقف في دورتها السادسة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، متاح للاطلاع على الرابط الآتي: Azerty1960.Skyrock.Mobi/2760081310-Posted-On-2010-01-18.Html، الاطلاع بتاريخ: ٢٠/١١/٢٠١٦م، الساعة: ١٢:٠٠.
- (٣٤٥) دور الوقف في نشوء المدن الجديدة في البوسنة (سرايفو نموذجًا)، محمد موفق الأرنؤوط، بحث بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، العدد ٨، السنة الخامسة، مايو ٢٠٠٥م.
- (٣٤٦) دور مصر التاريخي والحضاري في مجال الكتابة والخط العربي، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مجلة حروف عربية، العدد ٢٠، السنة السابعة، دبي ٢٠٠٨م.
- (٣٤٧) السقايات المغربية بمدنتي فاس ومراكش «دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة»، محمد محمد مرسي الكحلأوي، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد الرابع، ١٩٩٥م.
- (٣٤٨) سيدات القصور ودورهن في الحياة العامة في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٦٢-٥٦٧هـ/٩٧٢-١١٧١م)، نهلة أحمد عبد الباقي؛ عليان عبد الفتاح الجالودي، بحث منشور في المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد ٧، العددان (٢، ٣)، ٢٠١٣م.
- (٣٤٩) الصوفية في بلاد الشام في العصر المملوكي (أحوالهم وأوقافهم وعلاقاتهم)، عودة رافع عودة الشرعة، مجلة آداب ذي قار، كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق، العدد ٢١، ٢٠١٧م.

- ٣٥٠ طراز المساجد السلجوقية ببلاد الأناضول، علي الطايش، بحث في كتاب ندوة «الأثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي»، دار طيبة، ١٩٩٨م.
- ٣٥١ عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون، صلاح الدين البحيري، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثالثة، الرسالة رقم ١٢، الكويت، ١٩٨٢م.
- ٣٥٢ العمارة الفارسية القديمة، كمال الدين سامح، مجلة المتدى، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٧٨م.
- ٣٥٣ عمارة الوقف في العصر السلجوقي في بلاد الأناضول، فهم فتحى، مجلة التسويق الإسلامي، تصدرها الهيئة العالمية للتسويق الإسلامي، المملكة المتحدة، لندن، المجلد الخامس، العدد ٢، مايو ٢٠١٦م.
- ٣٥٤ العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية، ربيع حامد خليفة، بحث في مجلة كلية الأثار - جامعة القاهرة، العدد السادس، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.
- ٣٥٥ فن الصدفكاري في ضوء مجموعة متحف قصر المنيل بالقاهرة، شادية الدسوقي كشك، مقالة منشورة بمجلة كلية الآداب - جامعة حلوان، العدد ١٢، ٢٠٠٢م.
- ٣٥٦ قيم الوقف والنظرية المعمارية - صياغة معاصرة، نوبى محمد حسن، مجلة أوقاف، السنة الخامسة، العدد ٨، مايو ٢٠٠٥م.
- ٣٥٧ المجتمع الإسلامي في واحة الأوقاف، محمود الزين، ضمن أبحاث ندوة «الوقف الإسلامي» التي نظمتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة (٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م)، فندق إنتركونيننتال العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧م.
- ٣٥٨ مجلة فنون عربية، صلاح استيتيه، العدد السادس، الملزمة الثانية، ١٩٨٢م.
- ٣٥٩ المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب الإسلامي، سليمان مصطفى زبيس، مقالة بمؤتمر العربي للآثار بالبلاد العربية، تونس ١٩٦٣م.
- ٣٦٠ المدارس التركية العثمانية ذات التخطيط المثلث بالتطبيق على مدرستي قايي أغاسي بأماسية ورستم باشا بإستانبول، منى محمد بدر، بحث ضمن أعمال ندوة «الأثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي»، ٣٠ نوفمبر - ١ ديسمبر ١٩٩٨م.
- ٣٦١ المدارس السلجوقية في الأناضول «دراسة معمارية وثائقية»، فهم فتحى إبراهيم، بحث ألقى في المؤتمر الدولي الثالث للتراث المعماري «تجارب وحلول للحفاظ والتأهيل»، كلية الهندسة، الجامعة الإسلامية بغزة، أبريل ٢٠١١م.
- ٣٦٢ المرأة والوقف - التجربة المغربية، خديجة مفيد، مقال بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بالكويت، السنة السادسة، العدد ١٠، مايو ٢٠٠٦م.
- ٣٦٣ المساجد المبكرة الباقية في آسيا الوسطى وأهميتها في دراسة تطور العمارة الإسلامية، محمد حمزة إسماعيل الحداد، ضمن أعمال كتاب المؤتمر الدولي «المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز - الماضي والحاضر والمستقبل»، جامعة الأزهر، ١٩٩٣م.

- (٣٦٤) مساهمات المرأة في الوقف الإسلامي العلمي (نماذج عبر التاريخ)، عفاف عبد الغفور حميد، بحث مقدم إلى مؤتمر «أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية»، تنظيم كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، في الفترة (٦-٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ/ ٩-١٠ مايو ٢٠١١م).
- (٣٦٥) المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، محمود عامر، مجلة دراسات تاريخية، العددان (١١٧، ١١٨)، كانون الثاني (يناير) - حزيران (يونيو) ٢٠١٢م.
- (٣٦٦) من مآثر نور الدين الزنكي العمرانية في حمّاه البيمارستان النوري، كامل شحادة، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد ١٧، ج ١، ٢، دمشق، ١٩٦٧م.
- (٣٦٧) منابر مساجد الجزائر في العهد العثماني «دراسة أثرية فنية»، خيرة بن بلة، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، القاهرة، العدد ١٣، فبراير، ٢٠١٢م.
- (٣٦٨) المؤسسات الوقفية في العهد العثماني - العمارة العامرة في بيت المقدس وأثرها في الحياة الاجتماعية، عبير قطناني، مجلة دراسات بيت المقدس، فلسطين، العدد ١٧، المجلد الأول، ٢٠١٧م.
- (٣٦٩) نشأة الكلية المعمارية ووظائفها خلال العهد العثماني، محمود السيد محمد، بحث منشور بمجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة، العدد ٢٤، ٢٠٢١م.
- (٣٧٠) نظام الوقف في الدولة العثمانية، محمد حسن القدو، مقالة من صفحتين عن: موقع ترك برس الإخباري، بتاريخ: ٢٣ مارس ٢٠١٥م، الاطلاع بتاريخ: ١٩/١١/٢٠١٦م.
- (٣٧١) الوقف الثقافي والعلمي - أهميته وأنواعه، أحمد بن عبد العزيز الحداد، ضمن أبحاث ندوة «الوقف الإسلامي» التي نظمتها كلية الشريعة والقانون بجامعة الإمارات في الفترة (٦-٧ ديسمبر ١٩٩٧م)، فندق إنتركونننتال العين، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٧م.
- (٣٧٢) الوقف الصحيح وغير الصحيح بين المصالح الشخصية والتطبيقات الفقهية «دراسة حالة وقف بيت لحم وبيت جالا بين عامي (١٩٤٨م و١٩٦٧م)»، موسى سرور، مجلة الناصرية، تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، طباعة مكتب الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، العدد السابع، جوان (يونيو) ٢٠١٦م.
- (٣٧٣) الوقف على الفقراء والعامّة وأبناء السبيل خلال العهد العثماني، محمد أحمد ملكه، بحث بمجلة أوقاف، تصدر عن الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، العدد ٣٦، السنة ١٩، رمضان ١٤٤٠هـ/ مايو ٢٠١٩م.
- (٣٧٤) الوقف على المسجد في المغرب والأندلس وأثره في التنمية والتوزيع، محمد أبو الأجنان، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، تونس، بحث منشور ضمن كتاب على موقع: www.Islamonline.Net
- (٣٧٥) الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، إبراهيم بن محمد المزيني، بحث في ندوة «المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية»، مكتبة الملك عبد العزيز - المدينة المنورة، السعودية، خلال الفترة (٢٥-٢٧ المحرم ١٤٢٠هـ).

- ٣٧٦) الوقف ومسيرة الحياة (الخلافة العثمانية نموذجًا)، عيسى القدومي، مقالة بمجلة الفرقان الأسبوعية الكويتية، النشر بتاريخ: ٥/١٢/٢٠١١م، الاطلاع بتاريخ: ١٩/١١/٢٠١٦م.
- ٣٧٧) البالي التركي دراسة آثارية مقارنة بالمنشآت الماثلة والمعاصرة له، إبراهيم صبحي غندر، مجلة العصور، مج ١٨، ج ١، ٢٠٠٨م.

سابعًا: المصادر الأجنبية وكتب الرحالة:

- 378) A Guide Along The Danube From Vienna To Constantinople, Smyrna, Athens, The Morea, The Ionian Island, And Venice. From The Notes Of A Journey Made In The Year 1836, With Maps Of The Route, (R.T. Claridge), London, F. C. Westley, 162, Piccadilly, Howlett And Son Painters, 1894.
- 379) A Journey through Albania, and Other Provinces of Turkish in Europe and Asia, to Constantinople during the Years 1809 and 1810 Vol. II, (J. Hobhouse), London, printed for James Cawthorn, Cockspur Street, 1813.
- 380) A Relation Of A Journey Begun Anno Dom: 1610, (George Sandys), Favre Books, London, 1615.
- 381) Anadolu Selçuki Hanları, (Halil Eldem), Türk Yurdu, Cilt. 14, Sayı, 104, 1915- 16.
- 382) Au Pays Des Osmanlis, G. Souhesmes, Paris 1894.
- 383) Beauties of the Bosphorus, (Julia Pardoe), Original Drawings by W. H. Bartlett, London, George Virtue, 1839.
- 384) Constantinople, (Edwin Grosvenor), Roberts Brothers, Boston, Vol.1, 1895.
- 385) Die Baukunst Konstantinopels, (C. Gurlitt), Berlin, 1908- 12.
- 386) Die Tagebuch einer Reise nach Konstantinopel und Kleinasien, (Hans Dernschwamm), Munich- Leipaig, 1923.
- 387) Elements De L'art Arabe, Le Trait Des Entre Laces, (Jules Bourgoin), Firmin- Didot ET Cie, Paris, 1918.
- 388) Evliya Çelebi Seyahatnamesi, (Mehmet Zilli Oğlu Evliya Çelebi), Sadeleşiren, Tevfik Temel kuran, Necati Akbaş, Üçdal Neşriyat, Istanbul 1976.
- 389) Greece And The Levant; Or, Diary Of A Summer's Excursion İn 1834, (R. Burgess), Vol.2, London, 1835.
- 390) Mauern Und Tore Am Goldenen Horn Zu Konstantinopel, Nachrichten Der Akademie In Göttingen- Phil- Hist. Klasse, (A. M. Schneider), Göttingen, 1950.
- 391) Narrative Of A Journey From Constantinople To England, (Robert Walsh), London, 1839.
- 392) Sultanlar Kentine Yolculuk 1578- 1581, (Salomon Schweiger), translated by T. Noyan, 2004.
- 393) The Lettrs Of Lady M. W. Montagu, During The Embassy To Constantinople, 1716- 1718, (M. W. Lady Montagu's), Vol. 1, Published By John Sharpe, Pic Cadilly, London, 1820- 1856, Vol. II, Published By By Richard Bentley, London, 1837, And By Mason Brothersm, New York, 1856.
- 394) The Modern Traveller, A Description, Geographical, Historical, And Topographical, Of The Various Countries Of The Global İn Thirty Volumes, (J. Conder), Vol.14, London, The Bequest Of Evert Jansen Wendell, 1918.
- 395) The Ottoman Empire, The Sultans, The Territory, And The People, The Religious Tract Society, (Miss Maria Gilman Nutting), London, 1839.
- 396) Travels To And From Constantinople İn The Years 1827 And 1828, (Charles Frankland), Vol. I, London, 1829.

ثامنا: المراجع والرسائل العلمية الأجنبية والتركية الحديثة

- 397) 16. Yüzıl Hanları ve Küçük Çukur Han'ın Değerlendirilmesi, (Mimar Aysel Başer), Lisans TEZİ, Restorasyon Yüksek, Mimarlık Anabilim Dalı, Fen Bilimleri Enstitüsü, Mimar Sinan Üniversitesi, İstanbul, 2002.
- 398) A History Of The Ottoman Empire, (John Freely), Wit Press, USA, 2011.
- 399) A Short Account Of Early Muslim Architecture, (K.A.C. Creswell) & (J.W. Allan), The American University Press, 1989.
- 400) Abideleri Ve Kitabeleri Ile Üsküdar Tarihi, (Ibrahim Hakkı), Türkiye Yeşilay Cemiyeti Yayınları, İstanbul 1976.
- 401) An Introduction To Religious Foundations In To The Ottoman Empire, (John Robert Barnes), E.J. Brill, Leiden, Netherlands, 1986.
- 402) Anadolu Medreseleri, (Aptullah Kuran), I.Cilt , Ankara , 1969.
- 403) Anadolu Muvakkithaneleri, (Zeki Tomar Erdal), T.C selçuk üniversitesi fen bilimleri enstitüsü Mimarlık Tarihi Anabilim dali, konya, 2011
- 404) Anadolu Osmanlı Dönemi Mimarisinde Mekan Analizi, Han Ve Kervansaray Yapılarında Uygulama, (M. Gülay Keleş Usta), Karadeniz Teknik Üniversitesi Fen Bilimleri Enstitüsünde "Doktora Tezi", Mimarlık Anabilim Dalı, Mimarlık Programı, Trabzon, 1994,
- 405) Anadolu Selçuki Hanları, (Halil Eldem), Türk Yurdu, Cilt. 14, Sayı, 104, 1915- 16.
- 406) Anadolu Selçukluları'ın Taş Tezyinati, (Semra Ögel), Taruk Kurumu Basımevi , Ankara , 1966.
- 407) Anadolu Selçuklu Veziri Sahip Ata Fahreddi Alı'nın Mimari Eserleri, (Alptekin Yavaş), Doktora Tezi, T.C, Ankara ünivesitesi sosyal Bilimler Enstitüsü sanat Tarihi Anabilim Dalı, Ankara, 2007.
- 408) Anadolu Su Kültürü, Türk Hamamları Ve Yıkınma Geleneğinin Kökleri Ve Geleceği, (Fikret K. Yegül), Anadolu, 2009.
- 409) Asurvey Of Persian Art, (A. U. Pope), vol I, London And New York, 1938.
- 410) Avrupa'Da Osmanlı Mimari Eserleri, Bulgaristan, Yunanistan, Arnavudluk, (Ekrem Hakkı Ayverdi), Cilt IV , İstaanbul, 1982.
- 411) Avrupa'Da Türk İzleri, (Altan Araslı), Ankara, 2001.
- 412) Avrupa'da Osmanlı Mimari Eserleri, Yugoslavya, (Ekrem Hakkı Ayverdi), İstanbul, 1918.
- 413) Beyond Harem Walls, Ottoman Royal Women And The Exercise Of Power, (Leslie P. Peirce), In "Gendered Domains, Rethinking Public And Private In Women's History", Ed, D. O. Helly And S. M. Reverby, New York, Ithaca, 1992.
- 414) Bildlexikon zur Topographie Istanbul, (W. Müller- Wiener), Tübingen, 1977.
- 415) Brick Vaults And Domes In The Giza Necropolis, (A. Badawy), Cairo, 1953.
- 416) Büyük Usta Mimar Sinan "Proje Yetkilisi", Proje Paydaşları, (Ahmet Emre Bilgili), İstanbul, Eylül 2015.
- 417) Byzantine Influences On Early Ottoman Architecture Of Greece ,(Ahmed Ameen), Faculty Of History And Archaeology Department Of Archaeology And The History Of Art , University Of Athens , Ph.D Athens, 2010.
- 418) Çarşı, Pazar, Ticaret Ve Kapalıçarşı, (Kenan Mortan) & (Önder Küçükerman), Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, Ankara, 2007, İstanbul, 2010.
- 419) Çarşılarla Anadolu, Bedestenler, Hanlar, Kapalıçarşılar, Halkbank, (Özcan Yurdalan) İstanbul , 2011.
- 420) Cenubugarbi Anadolu'da Türk Mimarı Eserleri, (R. M. Riefstahl), Translated By C. T. Bertin, İstanbul Maarif Basımevi, İstanbul, 1941.
- 421) Constantinople, (Edwin Grosvenor), Roberts Brothers, Boston, Vol.1, 1895.

- 422) Daily Life In The Ottoman Empire, (Mehrada Kia), California, USA, 2001.
- 423) Dictionary Of Islamic Architecture, (Andrew Petersen), London And New York , 1996.
- 424) Die Maerkte Von Istanbul Und Der Bedeckte Bazar, (Orhan Erdeman), Yenilik Basimevi, Istanbul, 1965.
- 425) Diđerleri, Yüzyillar Boyunca Üsküdar, (Mehmet Nermi Haskan), Cilt,1,2,3, Üsküdar Belediyesi, Üsküdar Arađtırmaları Merkezi, Istanbul, 2001.
- 426) Edirne Tarihi, (Osman Nuri Peremeci), Istanbul, 1940.
- 427) Edirne ve Pasa Livasi, vakıflar - mülkler - mukataalar, (M. Tayyip Gokbilgin), Published online by Cambridge, 1952.
- 428) Female Patronage In The Classical Ottoman Architecture: Five Case Studies In Istanbul, (Firüzan Melike Sümertaş), A Thesis Submitted To The Graduate School Of Social Sciences Of Middle East Technical University, 2006.
- 429) Fetvalar Işığında Osmanlı Esnafı, (Hakki Önkal), Istanbul, 2003,
- 430) Fiskiyeli Turk Cesmeleri, (Yılmaz Önge), Vakıflar Dergisi, XXII, Ankara, 1991,
- 431) Foreign Merchants And Minorities In Istanbul During The Sixteenth And 17th Centuries, (R. Mantran), Christians And Jews In The Ottoman Empire Ed. Benjamin Braude And Bernard Lewis, 2 Vols. New York, Vol. 1, 1982..
- 432) From A To Z Of The Ottoman Empire, (Selçuk Akşın Somel), Scarecrow Press, Inc. U.K. 2003.
- 433) Gazi Husrev-Beg, (Behija Zlata), Sarajevo, 2010.
- 434) Geçmişten Günümüze Istanbul Hanları, (Mehmet Sadettin Fidan), Istanbul, Ticaret Odası, Istanbul, 2009.
- 435) Gender And Sexual Propriety In Ottoman Royal Women's Patronage, (Leslie P. Peirce), In "Women Patronage, And Self- Representation In Islamic Societies", Ed. D. Fairchild Ruggles, New York, State University Of New York Press, 2000.
- 436) İlk 250 Senenin Osmanlı Mimarisi, (Ekrem Hakki Ayverdi) & (I. Aydın Yüksel), Istanbul, 1976.
- 437) Instigators In Doing Good, Power, Piety, Patriarchy, And Royal Women'S Charitable Endowments In Bahri Mamluk Cairo (From The Reign Of Shaagar Al- Durr To The Reign Of Sultan Al- Ashraf Sha Ban, 648- 778 A.H/1250- 1377 CE), (Alexis Anne Lefort), A Thesis Of Master At Department Of Anthropology, College Of Liberal And Fine Arts At The University Of Texas At San Antonio, 2013.
- 438) İslam Türk Edebiyatı Metinlerinde Ahı Kelimesinin Yeri, (Necola Pakolcay), Türk Kültürü Ve Ahılık, XXXI,Ahılık Bayramı Senpozyumu Tebliđeri, 13- 15 Eylül 1985, Istanbul, 1986.
- 439) Islamic Architecture In Bosnia And Herzegovina, (Amir Pašić), Ircica , Istanbul , 1994.
- 440) Islamic Architecture In The Balkans And Bosnia And Herzegovina, (Kemal Zukić), ISESCO, 2000.
- 441) Islamic Architecture, Forms, Functions And Meaning, (Robert Hillenbrand), Edinburgh University Press, 1994.
- 442) Istanbul Ansiklopedisi, Türkiye Ekonomik Ve Toplumsal Tarih Vakfı, Istanbul, 1994.
- 443) Istanbul Camileri I- II, (Hakki Önkal), Ankara, 1962.
- 444) Istanbul Çeşmeleri, (O. Barışta), Ankara, 1991
- 445) Istanbul City Guide, (Hakan Alan), Istanbul, 2009.
- 446) Istanbul Gateway To Splendou A Journey Through Turkish Architecture, (Ahmet Ertuğ), Bosphorus Books, Istanbul, Turkey, 1986.
- 447) Istanbul Hamamları, Türkiye Turing Ve Otomobil Kurumu Yayınları, (Mehmet Nermi Haskan), Istanbul, 1995.
- 448) Istanbul İmparatorluklar Başkenti", (Stefanos Yerasimos), Tarihi Vakfi Yurt Yayınları 103, Istanbul, 2000.

- 449) Islam Ansiklopedisi.
- 450) Istanbul Medreseleri, (Mübahat Kütükoğlu), Asra Erisen, Turk Tarih Kurumu Basimevi Ankra , 2000.
- 451) Istanbul Saraçhanesi Ve Saraçlarına Dair Bir Araştırma, (M. Çağatay Uluçay), TD, III/5- 6, 1953.
- 452) Istanbul Üsküdar Çinili Camii, (Ayla Yılmaz), Yüksek Lisans Tezi, T. C. Gazi Üniversitesi, Eğitim Bilimleri Enstitüsü, El Sanatları Eğitimi Bölümü, Ankara, 2011.
- 453) Istanbul vakıfları tahrir defteri: 953, 1546, târihli/nesredenler, (Ömer Lutfi Barkan) & (Ekrem Hakki Ayverdi), İstanbul, Baha matbaasi, 1970.
- 454) Istanbul Yemiş Çarşısı, (Göksel Kılınc), Mimar Sinan Üniversitesi, Fen Bilimleri Enstitüsü, Yüksek Lisans Tezi, İstanbul, 1988.
- 455) Istanbul Yeni Cami Ve Hunkar Kasri, (Ibeahim Ateş), Vakıflar Genel Müdürlüğü Yazı İşlerini Fiilen İdare Eden, İstanbul, 1977.
- 456) İstanbul'un 100 Hamamı, İstanbul'un Y.Zleri ~ 46, (Akif Kuruçay), Bu Kitap İstanbul 2010 Avrupa Kültür Başkenti Ajansı'nın Katkılarıyla Hazırlanmış Ve Basılmıştır.İstanbul, 2011.
- 457) İstanbulun 550. Fetih Yılı İçin, Osmanlı Mimarısında Kanûni Sultan Süleyman Devri (926-974/1520- 1566), (I. Aydın Yüksel), İstanbul, Cilt. Vi, İstanbul Baksi, 2004.
- 458) Kadınlar Saltanatı, (Ahmet Refik Altınay), Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 2011.
- 459) Karatay Kervansaray, (M. Ferit Uğur) & (M. Mesut Koman), Konya, 35, 1941.
- 460) Kazancıgil (Ratip), Edirne İmaretleri, İstanbul, 1991.
- 461) Kent Ve Mimarlık Uzerine İstanbul Yazıları, (Dogan Kuban), Bahar Dermirhan (Editor), İstanbul, 2010.
- 462) Klasik Dönemde Bursa”Da Bir Semt Hisar, (Saadet Maydaer), Uludağ Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, İslâm Tarihi Ve Sanatları Anabilim Dalı, İslâm Tarihi Bilim Dalı, Bursa, 2008.
- 463) Kösem Sultan İç Savaş Dönemi 1623- 1632, (Halil Inalcık), Ntv Tarih Dergisi, Ntv Yayınları, İstanbul- Mart 2012.
- 464) Living In The Ottoman Ecumenical Community, (Vera Costantini) & (Markus Koller), Essay In Honor Of Suraiya Faroghi, Printed By Brill, Leiden, Boston, 2008.
- 465) Manisa Tarihinde Vakıflar ve Hayırlar, (İbrahim Gokcen), Marifet Basimevi, 1946.
- 466) Mimar Sinan Hayati ve Eserleri, (Rıfki Melül Meric), Ankara, 1965.
- 467) Mimar Sinan, (Aptullah Kuran), Hürriyet Vakfı Yayınları, İstanbul 1986.
- 468) Mimar Sinan, (Turgut Cansever), Albaraka Türk, İstanbul, 2005.
- 469) Mimarî “Hazine - I Evrak Vesikalarına Gore”, (Ahmet Refik Altınay), Sander Yayınları, İstanbul, 2013.
- 470) Mohammedan Architecture In Egypt And Palestine, (M. S. Brigges), Vol 1, Oxford.
- 471) Osmali Belgelerinin Dili (Diplomatik), (Mübahat Kütükoğlu), Kubbealti Akademisi Kültür ve San'at Vakfı , İstanbul , 1994.
- 472) Osman`S Dream, The Story Of The Ottoman Empire, 1300- 1923, (Caroline Finkel), London, John Murray, 2005.
- 473) Osmanlı Devleti Hizmetindeki Akkoyunlu Umerası, (M. Tayyip Gokbilgin), Türkiyat Mecmuası, İx., İstanbul 1951.
- 474) Osmanlı Devleti'nin Saray Teşkilatı, (İsmail Hakki Uzunçarşılı), Türk Tarih Kurumu Basimevi, Ankara, 1988.
- 475) Osmanli Devri Mimarisi, İnkilap Kitabevi, (Oktay Aslanapa), İstanbul, 2004.
- 476) Osmanlı Haneden Türbeleri, (Hakki Önkal), Kültür Bankanlığı Yayınları, Sanat Tarihi Dizisi 22, Ankara, 1992.

- 477) Osmanlı İmparatorluğu Tarihi, (Johann Wilhelm Zinkeisen), (Çev. Nilüfer Epçeli), Yeditepe Yayınevi, İstanbul 2011.
- 478) Osmanlı Külliyelerinin Kuruluşu, (G. Cantay), Ankara: Atatürk Kültür Merkezi Başkanlığı Yayınları, 2002.
- 479) Osmanlı Mimarisi, (Ekrem Hakki Ayverdi) İstanbul, Cilt, IV. 1973.
- 480) Osmanlı Tarihi III, (İsmail Hakki Uzunçarşılı), Cilt 2, Kısım XVI. Yüzyıl Ortalarından XVIII Yüzyıl Sonuna Kadar, Türk Tarih Kurumu, Ankara, 1954.
- 481) Ottomaans- Nederlandse Economische Betrekkengen Inde Vroeg- Modern Period 1571- 1699, (Mehmed Bulut), Rambus Te Hilversun, Amsterdam, 2001.
- 482) Ottoman Cyprus, A Collection Of Studies On History And Culture, (Eftihios Gavriel) & Others, Publications By Turkish And Middle Eastern Studies Department University Of Cyprus, Nicosia, 2009.
- 483) Ottoman Turkey, (Godfery Goodwin), Scorpion Publication Limited, London, 1977.
- 484) Ottoman Women Builders, The Architectural Patronage Of Hadice Turhan Sultan, (Lucienne Thys- Şenocak), Ashgate Publishing Company, USA, 2006.
- 485) Padişahların Kadınları Ve Kızları, (M. Çağatay Uluçay), Ötügen Neşriyat, İstanbul, 2011.
- 486) Payitaht- I Zemin Eminönü, (Kasim Demirci) Editör, İstanbul, 2008.
- 487) Relation D 'Un Vayage Fait Au Levant, (J. Thevenot), Paris, 1664.
- 488) Roxolana In European Literature History And Culture, (Galina I. Yermolenko), Ashgate E- Book, 2010.
- 489) Sacred Script, (N. Mansour), Muhaqqaq In Islamic Calligraphy, Ed. Mark Allen, I.B.Tauris & Co Ltd, London, New York, 2011.
- 490) Schenkungsurkunde Sultan Ibrahims Für Die Valide Mahpeyker Sultan "Kösem" Von 1049/1640, (W. Caskel), Documenta Islamica Lnedita, Berlin, 1952.
- 491) Selcuk Hatun Sultan, (Ahmed Tevhit), Cuz 15, İstanbul, 1928.
- 492) Şifaiyye Adlı Esere Göre Dağ Keçisi ve Yılanda Panzehir Özellikli Taşlar, (Muhittin Eliaçık), İdil Dergisi,, 01- 05- 02.
- 493) Sinan Çağı, (Gülru Necipoğlu), Osmanlı İmparatorluğu'nda Mimarî Kültür, (Çev. Gül Çağalı Güven), Bilgi Üniversitesi Yayınları, İstanbul, 2013.
- 494) Sinan The Architect Of Suleyman The Magnificent And The Ottoman Golden Age, (John Freely), Photos By Ara Guler, Dünya Sirketler Gurbu, Thames and Hudson LTD, London and New York, 1992, İstanbul, 1996.
- 495) Sinan The Grand Old Master of Ottoman Architecture, (Aptullah Kuran), Ada press publishers, 1987.
- 596) Sinan's Art And Selimiye, The Economic And Social History Foundation, (Dogan Kuban), İstanbul, 1997.
- 497) Strolling Through İstanbul, The Classic Guide To The City, (Hillary Sumner- Boyd)& (John Freely), Revised And Updated Edition, Republished By Tauris Parke Paperbacks, London, 2010
- 498) Su Güzeli İstanbul Sebilleri, (Ömer Faruk Şerifoğlu), İstanbul, 1995.
- 499) Talas Ta Turk Devri Yapıları, (K. Turkmen), Vakıflar Dergisi, Xxvi, Ankara, 1997.
- 500) Tarihi Belleğimiz İçinde Büyük Valide Han, (Ayşegül Baykan) & Others, Tarihi Vakfi Yurt Yayınları, İstanbul, 2010.
- 501) Tarihi Eserleriyle Üsküdar, Sanat Yönetimi Ve Fotoğraf, (Ayten Altıntaş), in "Abdullah Kılıç, Üsküdar Belediyesi'nin Kültür Hizmetidir", İstanbul, Mart 2017.
- 502) Tarihi Türk Ticaret Yapıları Kapsamında Kastamonu Hanları, (Hüseyin Asar), Yüksek Lisans TEZİ, Mimarlık Anabilim Dalını, Fen Bilimleri Enstitüsü, Selçuk Üniversitesi, Konya, 2011.

- 503) Tarihi Ve Medeniyetin Beşiği Çarşılar, (Hüseyin Öztürk), İstanbul, Ticaret Odası, 2011.
- 504) The Age Of Sinan, Architectural Culture In The Ottoman Empire, (Gülru Necipoğlu), Princeton University And Oxford , 2005.
- 505) The Arts Of Persia, (R. W. Ferrier), Yale University Press, New Haven And London, 1989.
- 506) The Atik Valide Complex In Üsküdar, (Özlem Özen), Tez Yüksek Lisans, Boğaziçi University Institute Of Social Sciences, İstanbul, 2002.
- 507) The Atik Valide Mosque Complex: Atestament Of Nurbanu's Prestige, Power And Piety, (Pinar Kayaalp- Aktan), The Center For Middle Eastern Studies, Harvard University, 2005.
- 508) The Conquest Of Constantinople, (Geoffrey of Villehardouin) In "Jonesville And Villehardouin, Chronicles Of The Crusades", (Translated With An Introduction By, M. R. B. Shaw; Penguin Books, 1975.
- 509) The Dome, A study In The History Of Ideas, (B. Smith,), Princeton, New Jersey, 1950.
- 510) The Evolution Of Turkish Art And Architecture, (Metin Sozen), İstanbul, 1987.
- 511) The Imperial Harem Women And Sovereignty In The Ottoman Empire, (Leslie P. Peirce), New York, Oxford University Press, 1993.
- 512) The Madrasas Of The Ottoman Empire, Foundation For Science Technology And Civiliation, (Ekmeleddin Ihsan Oğlu), April 2004.
- 513) The Minarets Of Cairo, (D. B Abouseif), The American University In Cairo, Cairo, 1982.
- 514) The Mosque In Early Ottoman Architecture, (Aptullah Kuran), The University Of Chicago Press, 1968.
- 515) The Muslim Architecture Of Egypt, (K.A.C. Creswell), Vol. li Oxford, 1959.
- 516) The Rise Of Colleges, Institutions Of Learning In Islam And The West, (George akdisi), Edinburgh University Press, 1981. <http://hdl.handle.net/2027/Heb.00913.0001.001>.
- 517) The Seven Hills Of İstanbul, A Study Of The Byzantine And Turkish Monuments Of The City, (Sumner- Boyd Hilary), Unpublished Manuscript, Bosphorus University Library, 1976.
- 518) The World Of Ottoman Art, (Michael Levey), Thames And Hudson, London, 1976.
- 519) Tradition, Continuity And Change In The Physical Environment, The Arab Muslim City, (Saleh Ali El- Hathloul), Ph.D. Thesis Submitted To The Department Of Architecture At M.I.T. 1981.
- 520) Turhan Sultan, (Filiz Karaca), DİA, C. 41, İstanbul 2012,
- 521) Türk Çarşıları, (Gündüz Özdeş), Tepe Yayınları, İstanbul, 1953, Ankara, 1998.
- 522) Türk Çarşılarında Dua Kubbeleri, (Yılmaz Önge), Önasya, Sy. 6, Ankara, 1970.
- 523) Türk han ve Kervansarailari, Türk Sanati Tarihi Araştırma ve İncelemeleri, (Feridun Akozan), İstanbul Güzel Sanatlar Akademisi Türk San`ati Tarihi Enstitüsü, Aslı Üjeleri, İstanbul, 1963.
- 524) Türk Hanlarının Gelişimi Ve İstanbul Hanları Mimaresi, (Ceyhan Güran), Vakıflar Genel Müdürlüğü Yayınları, İstanbul, 1976.
- 525) Türk Kültür Sistemi İçinde Vakfın Yeri, (B. Yediyıldız), Vakıflar Dergisi, no. 20, Ankara, 1988.
- 526) Türk Mimarisi, (S. Kemal Yetkin), Ankara, 1970.
- 527) Türk Mimarları, (Ahmet Refik Altınay), İstanbul, 1937.
- 528) Türk Sanatı Tarihi, (C. E. Arseven), İstanbul, 1986.
- 529) Turkey From Seljuks To The Ottomans, (Henri Stierlin), Koln, Lisboa, London, Newyork, Paris, and Tokyo, 1998.
- 530) Turkish Islamic Architecture In Seljuk And Ottoman Times 1071- 1923, (Bahçet Unsal), London , 1970.
- 531) Turkish Tiles, (Tahsin Oz), Ankara, 1950,
- 532) Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi.
- 533) Türkiye Eğitim Sisteminin Gelişmesine Tarihî Bir Bakış, (Faik Reşit Unat), Mkb, Ankara, 1964.

- 534) Turkiyede Vakif A Bideler Ve Eski Eserler, (Y. Tuken), C. IV, Ankara, 1985.
- 535) Typical Commercial Buildings Of The Ottoman Classical Period And The Ottoman Construction System, (Mustafa Cezar), Istanbul, 1983.
- 536) Üsküdar Atik Valide Külliyesinin Yerleşim Düzeni Ve Yapım Tarihi- Zerine, (Aptullah Kuran), Suat Kemal Yetkin Armağanı, Ankara, 1984
- 537) Üsküdar Merkez Mahalleleri Osmanlı Dönemi Su Uygurlığı Eserleri, (H. Besim Çeçener), Üsküdar Belediyesi, Istanbul, 2007.
- 538) Üsküdar Mihrimah Sultan Kulliyesi, (Bekir Yılmazörnek(, Yüksek Lisans Tezi, T. C. Istanbul Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Istanbul, 2010.
- 539) Üsküdar, Atik Valide Camii Özgün Kalem İşleri Ve Turk- Islam Bezeme Sanatındaki Yeri, (Candan Nemlioğlu), Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmali Merkezi, Part 1, Cilt 1, Istanbul, 2004.
- 540) Üsküdar'daki Valide Sultan Külliyeleeri, (Can Alpgüvenç), Akademik Araştırmalar Dergisi, Sayı 48, 2011.
- 541) Valide Sultan, (J. Deny), Islam Ansiklopedesi, XIII, stanbul, 1986, s. 178- 187.
- 542) Xv- Xvi. Asırlarda Edirne Ve Paşa Livası, (M. Tayyip Gokbilgin), Istanbul, 1952.

تاسعا: الأبحاث العلمية الأجنبية والتركية وأهم المواقع الإلكترونية

- 543) 16. Yüzyılda Batı Ve Güney Sancaklarında Belirli Aralıklarla Kurulan Pazarlar, İçel, Hamid, Karahisar- I Sahib, Kütahya, Aydın Ve Mentşe, (Suraiya Faroghi), Odtü Gelişme Dergisi, Özel Sayısı, 1978.
- 544) 17. Yüzyılda Bir Vâlide Sultanın Günlük Hayatı: Vâlide Hadıce Turhan Sultan, (İsmail Kıvrım), History, Studies, Volume 5, Issue 2, March 2013.
- 545) A Karaite Itinerary Through Turkey In 1641-2, (B. Lewis), In Vakıflar Dergisi, III, Ankara, 1956.
- 546) An Ottoman Building Complex Of The 16th : The Sokollu Mosque And Its Dependancies In Istanbul, (Doğan Kuban), Ars Orientalis, Vol. 7, Michigan, 1968.
- 547) Bathing Culture Of Anatolian Civilizations, Architecture, History, And Imagination, (Nina Ergin), Ancient Near Eastern Studies, Supplement 37, Peters, Leuven- Paris- Walpole, 2011.
- 548) Bayezid II.Nin Ailesi, (Cağatay Uluçay), Tarih Dergisi, X. Sayı. 14, Istanbul, 1959.
- 549) Celebi Mehmed'in Kızı Selcuk Hatun Kimle Evlendi, (I. Hakkı Uzuncarşılı), Belleten Xxi, Ankara, 1957.
- 550) Charitable Women And Their Pious Foundations In The Ottoman Empire: The Hospital Of The Senior Mother, Nurbanu Valide Sultan, (Ömer Düzbakar), Journal Of The International Society For The History Of Islamic Medicine, Vol. 5, 2006.
- 551) Çelik , Serpil , Ottoman Stone Ocquisition In The Mid – Sixteenth Century, The Süleymaniye Complex In Istanbul, (Ilknur Aktuğ Kolay), Muqarnas – An Annual On The Visual Culture Of The Islamic World , Vol 23, Brill , Leiden , 2002.
- 552) Early Turkish Building In Trabzon, (Selina Baliance), Belleten, Cilt, Xxix – Sayı, 113 – Yıl, Ocak 1965.
- 553) Haseki Darüşşifasi, (Belgin Demisar), Dünden Bugüne Istanbul Ansiklopedisi, Turkey Ekonomik Ve Toplumsal Tarih Vakfı, Istanbul,1993.
- 554) hayalleme.tumblr.com
- 555) Houses, Streets And Shoops In Byzantine Constantinople From Fifth To The Twelfth Centuries, (K. R. Durak), Journal Of Medieval History, Issue 30, 2004.
- 556) <http://www.Britannica.Com/Place/Ancient- Rome>

- 557) <http://www.startimes.com>
- 558) Interpreting Monuments, Charitable Buildings, Monuments, And The Construction Of collective Memory In The Ottoman Empire, (Hakan T. Karateke), Wiener Zeitschrift Für Die Kunde Des Morgenlandes, Department Of Oriental Studies, University Of Vienna, Vol. 91 , 2001.
- 559) Les Mosques De Constantinople, Albert Gabriel, Revue Des Études Byzantines Année 1928 (150).
- 560) Materials Of Construction In Ottoman Architecture The Use Of Colored Marbles, (Ömür Bakirer), Seventh International Congress Of Turkish Art , Polish Scientific Publishers , Warsaw ,1990.
- 561) Notizien Zum Inner Anatolish En Karavansaray, Beobachungen Auf Einer In Juli 1935, (Kurt Erdman), Kunstdes, 2, 1995.
- 562) Osmanice.com
- 563) Osmanlı'dahayırseverlik Kudüs'te Bir Haseki Sultan Imareti, (Amy Singer), (Çev. Dilek Şendil), Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 2004.
- 564) Primary Education System In Ottoman Empire, (Selami Sönmez), International Journal Of Humanities And Social Science, Vol. 3, No. 5, March 2013.
- 565) Review the book: Ottoman Women Builders: The Architectural Patronage of Hadice Turhan Sultan by LucienneThys- Senocak, (Melanie Michailidis), Journal of the Society of Architectural Historians, Vol. 67, No. 3, September 2008.
- 566) Selimiye At Edirne İts Genesis And An Evaluation Of its Style, (Doğan Kuban), Congress Internationale D'art Turc, Provence, 10- 15 September1971, Editions De L'universite De Provence , 1976.
- 567) Serving Up Charity, The Ottoman Public Kitchen, (Amy Singer), The Journal Of Interdisciplinary History, Vol. 35, No. 3, Poverty And Charity, Judaism, Christianity, And Islam, Winter, 2005.
- 568) Sinan As Anti-Classicalist, (Jale Erzen), In Muqarnas V, An Annual On Islamic Art And Architecture, Edited By Oleg Grabar, Leiden, E.J Brill, 1988
- 569) Some Early Ottoman Monuments In Bulgarian Thrace, Stara Zagora, Jambol And Nova Zagora, (Michael Keil), Belleten, Xxxviii, Sayı 152, Ankara: T.T.K. 1974.
- 570) svilengradda mustafa pasa Koprusu, (Semavi Eyice), Belleten, Gilt XXV III, sayı, ! 109 - 112, Ankara, 1964.
- 571) The Earthquake Of 10 July 1894 In The Gulf Of Izmit (Turkey) And Its Relations To The Earthquake Of 17 August 1999, (A. Ambraseys), Journal Of Seismology, 5 (1), January, 2001.
- 572) The Growth In Istanbul's Commercial Capacity 1700–1765: The Role Of New Commercial Construction And Renovation, (Rhoads Murphey), Acta Orientalia Academiae Scientiarum Hungaricae, Volume 61: Issue 1- 2, March 2008.
- 573) The Mosque Of Kel Hasan Ağa In The Village Of Rogova , (Michael Keil), Studies On The Ottoman Architecture Of The Balkans , Variorum Publishing Group, 1990.
- 574) The Oldest Munements Of Ottoman- Turkish Architecture In The Balkans, (Michael Keil), Sanat Tarihi Yilligi, Xii, İstanbul, 1983.
- 575) The Ottoman Commercial Buildings In Istanbul, A Study According To Writings And Paintings Of Travelers, (M. H. Al- Haddad) & (Mohamed Ahmed Malaka), Proceeding Of Adved15 International Conference On Advances In Education And Social Sciences, Was Held In İstanbul In 12- 14 October 2015, Pp. 286- 295, From http://www.Ocerint.Org//Adved15_Epublication/Papers/284.Pdf.
- 576) The Textile Market In İstanbul And Bursa In The First Half Of The 17th Century, (Sohma Miki Lida), An Introduction, Supported By Grant- In- Aid For Japan Society For The Promotion Of Science Fellows (19- 45095).

- 577) The Waqf Institution In Early Ottoman Edirne, (Haim Gerber), Asian And African Studies, XVII, 1983.
- 578) Un Monument Ottoman A Komotine Thrace Grecque, (C. H. Bakirtzis) & (P. Xydias), A Ctes Du Ler Congress International, Zaghouan, 1997.
- 579) Urban Development In Bulgaria In The Turkish Period: The Place Of Turkish Architecture In The Process, (Michael Keil), "International Journal Of Turkish Studies", Vol 4, 1989.
- 580) Üsküdar'daki Çini Süslemeli, (Latife Aktan), Camiler Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, CILT 1, İstanbul, 2004.
- 581) Üsküdar'ın Hamamları, Hamam Mekanları Ve Çalışanları, (Gülhan Benli), Uluslararası Üsküdar Sempozyumu, VII, 2- 4 Kasım 2012, 1352'den Bugüne Şehir, İstanbul, 2012..
- 582) Valide Sultanların Kurduğu Vakıfların Kadına Yönelik Sosyal Hizmetleri, (Musa Şahin) & (N. Ebrar Kaya), Yalova Sosyal Bilimler Dergisi, Yıl,7 Sayı,12.
- 583) Yenice Vardar, Aforgotten Turkish Cultural Centre In Macedonia Of The 15th And 16th Century, (Michael Keil), Studia Byzantina Et Neohellenica, Neerlandica, 3. Leiden, 1971.

قائمة

الكتب والدراسات الصادرة
عن الأمانة العامة للأوقاف
في مجال الوقف
والعمل الخيري التطوعي

قائمة الكتب والدراسات الصادرة عن الأمانة العامة للأوقاف في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي

أولاً: سلسلة الرسائل الجامعية:

- ١- دور الوقف الإسلامي في تنمية القدرات التكنولوجية، (ماجستير)، م. عبد اللطيف محمد الصريخ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م [الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م].
- ٢- النظارة على الوقف، (دكتوراه)، أ.د. خالد عبد الله الشعيب، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م [الطبعة الثانية، منقحة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م. الطبعة الثالثة، منقحة ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م].
- ٣- دور الوقف في تنمية المجتمع المدني «الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت نموذجاً»، (دكتوراه)، د. إبراهيم محمود عبد الباقي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٤- تقييم كفاءة استثمارات أموال الأوقاف بدولة الكويت، (ماجستير)، د. عبد الله سعد الهاجري، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م [الطبعة الثانية، منقحة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م].
- ٥- الوقف الإسلامي في لبنان (١٩٤٣-٢٠٠٠م): إدارته وطرق استثماره «محافظة البقاع نموذجاً»، (دكتوراه)، د. محمد قاسم الشوم، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٦- دراسة توثيقية للعمل التطوعي في دولة الكويت: مدخل شرعي ورصد تاريخي، (دكتوراه)، د. خالد يوسف الشطي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م [الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م].
- ٧- فقه استثمار الوقف وتمويله في الإسلام (دراسة تطبيقية عن الوقف في الجزائر)، (دكتوراه)، د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ٨- دور الوقف في التعليم بمصر (١٢٥٠-١٧٩٨م)، (ماجستير)، عصام جمال سليم غانم، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- ٩- دور المؤسسات الخيرية في دراسة علم السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية: دراسة حالة مؤسسة فورد (١٩٥٠-٢٠٠٤م)، (ماجستير)، ريهام أحمد خفاجي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ١٠- نظام النظارة على الأوقاف في الفقه الإسلامي والتطبيقات المعاصرة (النظام الوقفي المغربي نموذجاً)، (دكتوراه)، د. محمد المهدي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ١١- إسهام الوقف في تمويل المؤسسات التعليمية والثقافية بالمغرب خلال القرن العشرين (دراسة تحليلية)، (ماجستير)، عبد الكريم العيوني، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ١٢- تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق (مع الإشارة إلى حالة الأوقاف في الجزائر وعدد من الدول الغربية والإسلامية)، (دكتوراه)، د. فارس مسدور، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- ١٣- الصندوق الوقفي للتأمين، (ماجستير)، هيفاء أحمد الحجري الكرد، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- ١٤- التنظيم القانوني لإدارة الأوقاف في العراق، (ماجستير)، د. زياد خالد المفرجي، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ١٥- الإصلاح الإداري لمؤسسات قطاع الأوقاف (دراسة حالة الجزائر)، (دكتوراه)، د. كمال منصور، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ١٦- الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجًا)، (ماجستير)، أحمد بن مهني بن سعيد مصلح، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ١٧- التأمين التعاوني من خلال الوقف الإسلامي (المشكلات والحلول في ضوء تجربتي باكستان وجنوب إفريقيا)، (ماجستير)، مصطفى بسام نجم، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٣م.
- ١٨- وقف حقوق الملكية الفكرية (دراسة فقهية مقارنة)، (دكتوراه)، د. محمد مصطفى الشقيري، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ١٩- الأمانة العامة للأوقاف في دولة الكويت ودورها في تنمية المجتمع (التنمية الأسرية نموذجًا)، (ماجستير)، محمد عبد الله الحججي، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- ٢٠- الأمر السامي بتطبيق أحكام شرعية خاصة بالأوقاف (دراسة مقارنة مع تطبيق ما تقوم به الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت)، (ماجستير)، مريم أحمد علي الكندري، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
- ٢١- أحكام تعاضد الأوقاف وتطبيقاته المعاصرة (دراسة فقهية)، (ماجستير)، عبد الرحمن رخيص العنزي، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
- ٢٢- الوقف النقدي واستثماره في ماليزيا (خطة مقترحة لتطبيقه في نيجيريا)، (دكتوراه)، د. عبد الكبير بللو أديلاني، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م.
- ٢٣- الوقف والحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خلال العصر الأيوبي (٥٧٠-٦٥٨هـ / ١١٧٤-١٢٥٩م)، (ماجستير)، مبارك عشوي فلاح جازع، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- ٢٤- القواعد والضوابط الفقهية وأثرهما في أحكام الأوقاف ومدوناتهما، (دكتوراه)، د. حبيب غلام رضا نامليتي، ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م.
- ٢٥- مرفق الوقف في الفقه والقانون ودوره في تحقيق المنفعة العامة (دراسة مقارنة)، (دكتوراه)، د. سيدي محمد محمد عبيدي، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م.
- ٢٦- العمل المؤسسي للوقف بين نظريات إدارة الأعمال والمقتضيات الشرعية، (دكتوراه)، د. آمال عبد الوهاب عمري، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.
- ٢٧- العمائر الوقفية لنساء القصر العثماني بمدينة إستانبول خلال القرنين (١٠-١١هـ / ١٦-١٧م) «دراسة آثارية معمارية وفنية»، (دكتوراه)، د. محمد أحمد بهاء الدين عوض السيد ملكه، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.

ثانياً: سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف:

- ١- إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية، د. فؤاد عبد الله العمر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م [الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م].
- ٢- الاتجاهات المعاصرة في تطوير الاستثمار الوقفي، د. أحمد محمد السعد ومحمد علي العمري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣- الوقف والعمل الأهلي في المجتمع الإسلامي المعاصر (حالة الأردن)، د. ياسر عبد الكريم الحوراني، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٤- أحكام الوقف وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي المعاصر (حالة جمهورية مصر العربية)، عطية فتحي الويشي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٥- حركة تقنين أحكام الوقف في تاريخ مصر المعاصر، علي عبد الفتاح علي جبريل، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٦- الوقف ودوره في دعم التعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، خالد بن سليمان بن علي الخويطر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م [الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م].
- ٧- دور الوقف في مجال التعليم والثقافة في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة (دولة ماليزيا المسلمة نموذجاً)، د. سامي محمد الصلاحات، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٨- التطور المؤسسي لقطاع الأوقاف في المجتمعات الإسلامية (حالة مصر)، مليحة محمد رزق، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٩- التطور المؤسسي لقطاع الأوقاف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة (دراسة حالة المملكة العربية السعودية)، محمد أحمد العكش، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ١٠- الإعلام الوقفي (دور وسائل الاتصال الجماهيري في دعم وتطوير أداء المؤسسات الوقفية)، د. سامي محمد الصلاحات، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م [الطبعة الثانية، منقحة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م].
- ١١- تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية (دراسة حالة)، د. أسامة عمر الأشقر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م [الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م] [الطبعة الثالثة، منقحة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م].
- ١٢- استثمار الأموال الموقوفة (الشروط الاقتصادية ومستلزمات التنمية)، د. فؤاد عبد الله العمر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ١٣- اقتصاديات نظام الوقف في ظل سياسات الإصلاح الاقتصادي بالبلدان العربية والإسلامية (دراسة حالة الجزائر)، ميلود زكري وسميرة سعيداني، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- ١٤- دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة في المملكة العربية السعودية، أ. د. نوبي محمد حسين عبد الرحيم، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- ١٥- دور الوقف في إدارة موارد المياه والمحافظة على البيئة، أ. د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- ١٦- أثر سياسات الإصلاح الاقتصادي على نظام الوقف (السودان حالة دراسية)، الرشيد علي سنقور، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- ١٧- توثيق الأوقاف حماية للوقف والتاريخ (وثائق الأوقاف السنوية بمملكة البحرين)، حبيب غلام نامليتي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م.
- ١٨- توثيق الأوقاف ونماذج لحجج وافية ومقارنتها، أ. أحمد مبارك سالم، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م [الطبعة الثانية، منقحة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م].
- ١٩- إسهام نظام الوقف في تحقيق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، أ. د. نور الدين مختار الخادمي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م [الطبعة الثانية، منقحة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م].
- ٢٠- دور الوقف في تفعيل مقاصد الشريعة، د. حميد قهوي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- ٢١- استرداد الأوقاف المغتصبة: المعوقات والآليات (حالة جمهورية مصر العربية)، د. رضا محمد عبد السلام عيسى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٢٢- دور الوقف في دعم الأسرة، أ. د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- ٢٣- الوظيفة الاجتماعية للوقف الإسلامي في حل المشكلات الراهنة، د. عبد السلام رياح، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.
- ٢٤- حوكمة الوقف وعلاقتها بتطوير المؤسسات الوقفية (دراسة تطبيقية وفق منهج النظم الخبيرة)، د. إسماعيل مومني ود. أمين عويسي، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م.
- ٢٥- دور الوقف في رعاية الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية، رامي عيد مكى بجبح، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م.
- ٢٦- الوقف ودوره في حفظ الاستثمارات للأجيال القادمة، د. رجب أحمد عبد الرحيم حسن، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م.
- ٢٧- دور المؤسسات الوقفية (الحكومية والأهلية) في العمل الإغاثي، د. عبد القادر بن عزوز، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.
- ٢٨- الوقف ودوره في حفظ الاستثمارات للأجيال القادمة، د. أحمد مبارك سالم، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.
- ٢٩- وقف الكتب في الحضارة الإسلامية (من الخطوط الورقية إلى المطبوعة الرقمية)، د. الحسين أكروم، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٢م.

ثالثاً: سلسلة الكتب:

- ١- الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف، د. عبد الستار أبو غدة ود. حسين حسين شحاته، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢- نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات)، تحرير: محمود أحمد مهدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، بالتعاون مع المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة.

- ٣- استطلاع آراء المواطنين حول الإنفاق الخيري في دولة الكويت، إعداد: الأمانة العامة للأوقاف، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٤- LE WAQF EN ALGÉRIE À L'ÉPOQUE OTTOMANE XVII è - XIX è - د. ناصر الدين سعيدوني، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م [الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م].
- ٥- التعديلات الصهيونية على الأوقاف والمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين (١٩٤٨-٢٠١١م)، إبراهيم عبد الكريم، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- ٦- الأربعون الوقفية، د. عيسى صوفان القدومي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- ٧- القطاع الثالث والمسؤولية الاجتماعية (الآفاق- التحديات)/ الكويت أنموذجًا، لبنى عبد العزيز صالحين، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- ٨- مشروع قانون الوقف الكويتي (في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية)، د. إقبال عبد العزيز المطوع، الطبعة الثانية، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.
- ٩- دور الوقف في مواجهة الغلو والتطرف، د. حازم علي ماهر، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- ١٠- المرأة والوقف.. العلاقة التبادلية (المرأة الكويتية أنموذجًا)، أ. إيهان محمد الحميدان، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- ١١- مدونة الأوقاف المغربية (دراسة منهجية في الأسس والأبعاد في ضوء القانون الاسترشادي للوقف)، د. مجيدة الزباني، ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م.
- ١٢- ما تخفيه الصدقة الجارية (مقالات وأبحاث في الوقف)، د. طارق عبد الله، ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م.
- ١٣- سبل حماية الأصول الوقفية (الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت أنموذجًا)، د. عيسى صوفان القدومي، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م.

رابعًا: سلسلة الندوات:

- ١- ندوة: نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية، بالتعاون مع الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، وعُقدت في بيروت بين ٨ و ١١ أكتوبر ٢٠٠١م، شارك فيها لفييف من الباحثين والأكاديميين)، الطبعة الأولى، مايو ٢٠٠٣م، والطبعة الثانية، سبتمبر ٢٠١٠م.
- ٢- Les Fondations Pieuses(Waqf) En Méditerranée:Enjeux De Société,Enjeux De Pouvoir، مجموعة من المفكرين، ٢٠٠٤م [الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م].
- ٣- أعمال ندوة «الوقف والعولمة» (بحوث ومناقشات الندوة الدولية الأولى لمجلة أوقاف التي نظمتها الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة وجامعة زايد بدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من ١٣ إلى ١٥ أبريل ٢٠٠٨م، تحت شعار «الوقف والعولمة.. استشراف مستقبل الأوقاف في القرن الحادي والعشرين»)، ٢٠١٠م.

- ٤- الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف، د. عبد الستار أبو غدة ود. حسين حسين شحاته، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ٥- نظام الوقف في التطبيق المعاصر (نماذج مختارة من تجارب الدول والمجتمعات)، تحرير: محمود أحمد مهدي [الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م].
- ٦- تأصيل ريع الوقف (الموضوع الثالث في متدى قضايا الوقف الفقهية السابع المنعقد بالعاصمة البوسنية «سرايفو»، في الفترة من ٩ إلى ١١ شعبان ١٤٣٦هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ مايو ٢٠١٥م)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

خامسًا: سلسلة الكتيبات:

- ١- موجز أحكام الوقف، د. عيسى زكي، الطبعة الأولى، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، والطبعة الثانية، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ/ نوفمبر ١٩٩٥م.
- ٢- نظام الوقف الإسلامي: تطوير أساليب العمل وتحليل نتائج بعض الدراسات الحديثة، د. أحمد أبو زيد، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» بالرباط بالمملكة المغربية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ٣- الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده، د. أحمد الريسوني، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الإيسيسكو» بالرباط بالمملكة المغربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

سادسًا: سلسلة الترجمات:

- ١- من قسات التجربة البريطانية في العمل الخيري والتطوعي، جمع وإعداد وترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- ٢- وقفيات المجتمع: قوة جديدة في العمل الخيري البريطاني، تأليف: كالبانا جوشي، ترجمة: بدر ناصر المطيري، صفر ١٤١٧هـ/ يونيو ١٩٩٦م.
- ٣- المؤسسات الخيرية في الولايات المتحدة الأمريكية، تأليف: اليزابيث بوريس، ترجمة: المكتب الفني بالأمانة العامة للأوقاف، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ نوفمبر ١٩٩٦م.
- ٤- جمع الأموال للمنظمات غير الربحية «دليل تقييم عملية جمع الأموال»، تأليف: آن ل. نيو، وبمساعدة وللسون سي ليفيس، ترجمة: مطيع الحلاق، ١٩٩٧/ ٧م.
- ٥- الجمعيات الخيرية للمعونات الخارجية (التجربة البريطانية)، تأليف: مارك روبنسون، تقديم وترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ٦- المحاسبة في المؤسسات الخيرية، مفوضية العمل الخيري لإنجلترا وويلز، يوليو ١٩٩٨م.
- ٧- العمل الخيري التطوعي والتنمية: استراتيجيات الجيل الثالث من المنظمات غير الحكومية (مدخل إلى التنمية المرتكزة على الإنسان)، تأليف: ديفيد كورتن، ترجمة: بدر ناصر المطيري، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- ٨- Islamic Waqf Endowment: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «الوقف الإسلامي: مجالاته وأبعاده»، ٢٠٠١م.
- ٩- فريق التميز: الإستراتيجية العامة للعمل التطوعي في المملكة المتحدة، مشروع وقف الوقت، ترجمة: إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية بالأمانة العامة للأوقاف، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ١٠- Kuwait Awqaf Public Foundation: An overview: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «نبذة تعريفية عن الأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت»، ٢٠٠٤م.
- ١١- A Summary Of Waqf Regulations: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «موجز أحكام الوقف»، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م [الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م].
- ١٢- A Guidebook to the Publications of Waqf Projects' Coordinating State in the Islamic-World: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «دليل إصدارات مشاريع الدولة المنسقة للوقف في العالم الإسلامي»، ٢٠٠٧م [الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، مزيدة].
- ١٣- A Guidebook to the Projects of Waqf Projects' Coordinating State in the Islamic-World: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «دليل مشاريع الدولة المنسقة في العالم الإسلامي»، ٢٠٠٧م.
- ١٤- Women And Waqf, Iman Mohammad Al Humaidan: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتيب «المرأة والوقف»، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ١٥- The Contribution of Waqf to non-Governmental Work and Social Development , Dr.Fuad Abdullah Al Omar: نسخة مترجمة إلى اللغة الانجليزية عن كتاب «إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية»، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م.
- ١٦- الأوقاف في مقدونيا خلال الحكم العثماني، تأليف وترجمة: د. أحمد شريف، مراجعة وتحرير علمي: إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.
- ١٧- Assetizing the Waqf Proceeds: هو ترجمة عن كتاب «تأصيل ريع الوقف»، الذي هو الموضوع الثالث في منتدى قضايا الوقف الفقهية السابع المنعقد بدولة البوسنة والهرسك، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

سابعاً: مجلة أوقاف (مجلة نصف سنوية تُعنى بشؤون الوقف والعمل الخيري):

صدر منها ٤٢ عددًا حتى مايو ٢٠٢٢م.

ثامناً: إصدارات منتدى قضايا الوقف الفقهية:

- ١- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الأول (أبحاث ومناقشات المنتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ١٥ إلى ١٧ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ١١ إلى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٣م)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- ٢- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الثاني (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٢ ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ الموافق ٨ إلى ١٠ مايو ٢٠٠٥ م)، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ٣- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الثالث (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بدولة الكويت في الفترة من ١١ إلى ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٨ إلى ٣٠ أبريل ٢٠٠٧ م)، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- ٤- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الرابع (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، والبنك الإسلامي للتنمية بالمملكة العربية السعودية، والمنعقد بالعاصمة المغربية «الرباط» في الفترة من ٣ إلى ٥ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ٣٠ / ٣ إلى ١ / ٤ / ٢٠٠٩ م)، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ٥- أعمال منتدى قضايا الوقف الفقهية الخامس (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع رئاسة الشؤون الدينية والمديرية العامة للأوقاف بالجمهورية التركية والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بإسطنبول في الفترة من ١٠ إلى ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ الموافق ١٣ إلى ١٥ مايو ٢٠١١ م)، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٦- منتدى قضايا الوقف الفقهية السادس (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بالعاصمة القطرية «الدوحة» في الفترة من ٣ إلى ٤ رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ١٣ إلى ١٤ مايو ٢٠١٣ م)، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٣ م.
- ٧- منتدى قضايا الوقف الفقهية السابع (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع المشيخة الإسلامية بدولة البوسنة والهرسك والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بالعاصمة البوسنية «سرايفو» في الفترة من ٩ إلى ١١ شعبان ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ مايو ٢٠١٥ م)، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.
- ٨- قرارات وتوصيات مندييات قضايا الوقف الفقهية (من الأول إلى السابع)، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥ م.
- ٩- منتدى قضايا الوقف الفقهية الثامن (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بالمملكة المتحدة والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بمدينة أكسفورد في الفترة من ١ إلى ٣ شعبان ١٤٣٨ هـ الموافق ٢٧ إلى ٢٩ أبريل ٢٠١٧ م)، ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م.
- ١٠- مدونة أحكام الوقف الفقهية (النسخة التجريبية)، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٧ م [الطبعة الثانية، مراجعة ومنقحة، ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م].
- ١١- منتدى قضايا الوقف الفقهية التاسع (أبحاث ومناقشات المتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقد بالعاصمة الأردنية «عمّان» في الفترة من ٩ إلى ١١ شعبان ١٤٤٠ هـ الموافق ١٥ إلى ١٧ أبريل ٢٠١٩ م)، ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩ م.

- ١٢- منتدى قضايا الوقف الفقهية العاشر (أبحاث ومناقشات المنتدى الذي نظّمته الأمانة العامة للأوقاف، بالتعاون مع معهد البنك الإسلامي للتنمية، والمنعقد بدولة الكويت عن بُعد في الفترة من ١٩ إلى ٢٠ شعبان ١٤٤٣هـ الموافق ٢٢ إلى ٢٣ مارس ٢٠٢٢م)، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.
- ١٣- قرارات وتوصيات منتديات قضايا الوقف الفقهية (من الأول إلى العاشر)، ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.

تاسعاً: المراجع ومصادر المعلومات في مجال الوقف:

- ١- كشاف أدبيات الأوقاف في دولة الكويت، ١٩٩٩م.
- ٢- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية إيران الإسلامية، ١٩٩٩م.
- ٣- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين، ١٩٩٩م.
- ٤- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م.
- ٥- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٠م.
- ٦- كشاف أدبيات الأوقاف في المملكة المغربية، ٢٠٠١م.
- ٧- كشاف أدبيات الأوقاف في الجمهورية التركية، ٢٠٠٢م.
- ٨- كشاف أدبيات الأوقاف في جمهورية الهند، ٢٠٠٣م.
- ٩- الكشاف الجامع لأدبيات الأوقاف، ٢٠٠٨م.
- ١٠- مكتنز علوم الوقف، ٢٠٠٤م.
- ١١- أطلس الأوقاف، دولة الكويت، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ١٢- معجم تراجم أعلام الوقف، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- ١٣- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الأول: حرف الألف)، نسخة تجريبية، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.
- ١٤- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الثاني: حرف الباء والتاء والثاء)، نسخة تجريبية، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- ١٥- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الثالث: حروف ج حتى ز)، نسخة تجريبية، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.
- ١٦- قاموس مصطلحات الوقف (الجزء الرابع: حروف س حتى ل)، نسخة تجريبية، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م.

عاشراً: تحقيق المخطوطات الوقفية:

- ١- الجمع بين وقفى هلال والخصاف لقاضي القضاة أبي محمد عبد الله بن الحسين الناصحي الحنفي، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.
- ٢- رسائل في الوقف للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م.





**مشروعات علمية
تحت إشراف
إدارة الدراسات
والعلاقات الخارجية**



مشروعات علمية تحت إشراف إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية

مشروع دعم طلبة الدراسات العليا في مجال الوقف

يقوم المشروع على أساس تقديم الدعم العلمي والمالي لعدد من طلبة (الماجستير والدكتوراه) الذين يُعدّون رسائلهم في مسائل ذات أهمية وألوية ضمن الخريطة العلمية المعاصرة لأبحاث ودراسات الأوقاف، وفقاً للشروط والقواعد التي وضعتها الأمانة العامة للأوقاف في لائحة خاصة للحصول على هذا الدعم (المادي والعلمي).

ولمزيد من المعلومات حول المشروع يمكن التواصل عبر:

البريد الإلكتروني: hscommittee@awqaf.org

هاتف: 22065391 (00965)

www.awqaf.org.kw

مشروع «مداد» لنشر وتوزيع وترجمة الكتب في مجال الوقف

يسعى المشروع إلى إحياء حركة البحث العلمي في كل ما يتعلق بالوقف، بهدف تكوين نخبة من الباحثين والخبراء في مجال الوقف، وتشجيع الاجتهاد في مجالات الوقف المتعددة. ولاستقبال الأبحاث يرجى إرسالها على عناوين التواصل الآتية:

البريد الإلكتروني: publishing14-15@awqaf.org

هاتف: 22065391 (00965)

www.awqaf.org.kw

مشروع إصدار «دورية أوقاف»

مجلة علمية محكمة نصف سنوية متخصصة في مجال الوقف والعمل الخيري، وتنشر بثلاث لغات (العربية، والإنجليزية، والفرنسية). وتهدف إلى إحياء ثقافة الوقف، والتعريف بمنجزاته، والربط بين الفكر والتطبيق العملي لسنة الوقف وموضوعات العمل التطوعي، وربط الوقف بمساحات العمل الاجتماعي، وإثراء المكتبة العربية. ولاستقبال الأبحاث يرجى إرسالها على عناوين التواصل الآتية:

البريد الإلكتروني: awqafjournal@awqaf.org

هاتف: 22065752 (00965)

(00965) 22065914

www.awqaf.org.kw

مشروع مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

يهدف المشروع إلى تشجيع عملية البحث العلمي من خلال إذكاء روح المنافسة العلمية، وتسليط الضوء على نظام الوقف، وجعله من أولويات الباحثين أفراداً ومؤسسات، إضافة إلى إبراز الجانب التنموي في الإسلام، وبالذات الصيغة الوقفية. ولاستقبال الأبحاث يرجى إرسالها على عناوين التواصل الآتية:

البريد الإلكتروني: serd@awqaf.org

هاتف: (00965) 22065391

(00965) 22065456

www.awqaf.org.kw

منتدى قضايا الوقف الفقهية

منتدى دولي دوري يعقد كل سنتين، لتدارس القضايا الفقهية المعاصرة للأوقاف، بغرض تقديم الحلول للمشكلات المعاصرة في مجال الوقف.

ويمكن التواصل مع اللجنة العلمية لمنتدى قضايا الوقف الفقهية عبر الآتي:

البريد الإلكتروني: wjif@awqaf.org

هاتف: (00965) 22065452

www.awqaf.org.kw

الأمانة العامة للأوقاف

هي هيئة حكومية مستقلة بدولة الكويت، معنية بإدارة الأوقاف الكويتية واستثمارها، وصرف ريعها في المصارف الشرعية طبقاً لشروط الواقفين وفي إطار أحكام القانون.

أسست الأمانة بموجب المرسوم الأميري رقم ٢٥٧ الصادر بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٣ م. وتتمثل رؤيتها في «التميز والريادة في النهوض بالوقف واستثماره وصرف ريعه وتعزيز ثقافته بشراكة مجتمعية فاعلة». وتتلخص رسالتها في «تعزيز مكانة الأوقاف وتطوير أصولها وتنمية عوائدها وتنويع مصارفها بما يحقق التنمية المجتمعية والمقاصد الشرعية».

مشروع «مداد» الوقف

هو أحد المشروعات العلمية الذي تنفذه الأمانة العامة للأوقاف ممثلة لدولة الكويت بصفتها «الدولة المنسقة لجهود الدول الإسلامية في مجال الوقف»، طبقاً لقرار المؤتمر السادس لوزراء أوقاف الدول الإسلامية الذي انعقد بالعاصمة الاندونيسية «جاكرتا» في أكتوبر سنة ١٩٩٧ م. ويضم السلاسل الآتية: سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف، سلسلة الرسائل الجامعية، سلسلة الكتب، سلسلة الندوات، سلسلة الكتيبات، سلسلة الترجمات.

سلسلة الرسائل الجامعية

تهدف هذه السلسلة إلى نشر الرسائل الجامعية (ماجستير أو دكتوراه) في مجال الوقف والعمل الخيري التطوعي، لتعريف عموم القراء بالمسائل المتعلقة بقضايا الوقف والعمل الخيري التطوعي.

هذه الرسالة

تهدف إلى تناول العمائر التي شُيّدت في مدينة إستانبول برعاية نساء القصر العثماني من أمهات وزوجات وبنات السلاطين خلال القرنين (١٠-١١هـ/١٦-١٧م) اللذين شهدا تأثير المرأة العثمانية في الحياة السياسية والاجتماعية، وذلك بإسهام الوقف في إنشاء هذه العمائر وإيجادها ابتداءً، والمحافظة عليها واستدامة وجودها ونفعها انتهاءً، وقد قام الباحث بدراسة هذه العمائر ووصفها وتسجيلها مع تحليل أنماط هذه العمائر الوقفية وطرزها، من حيث التخطيط المعماري، والعناصر المعمارية، والوحدات الزخرفية، والكتابات التاريخية والدينية، وإبراز دور الوقف في نشأة المدن، والعمائر الخدمية والدينية وغيرها مما يأتي في ثنايا الدراسة.

وقد حصل أصل هذه الرسالة على درجة (الدكتوراه) في الآثار الإسلامية، من قسم الآثار الإسلامية بكلية الآثار بجامعة القاهرة سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.



مشروع مدار الوقف

انطلاقاً من تكليف دولة الكويت بدور "الدولة المنسقة لجهود الدول الإسلامية في مجال الوقف"، من قبل المؤتمر السادس لوزراء أوقاف الدول الإسلامية، الذي انعقد بالعاصمة الإندونيسية "جاكرتا" في أكتوبر من سنة ١٩٩٧م، فقد أولت الأمانة العامة للأوقاف اهتمامًا بالغًا بإثراء المكتبة الوقفية بأحدث العناوين في مجال الوقف، متبنيّة إحياء حركة البحث العلمي في كل ما يتعلق بالوقف، إلى أن تطور العمل في مشروع نشر وترجمة وتوزيع الكتب الوقفية ليصبح "مشروع مدار الوقف". ويضم المشروع عددًا من السلاسل العلمية، وهذه السلاسل هي:

أولاً: سلسلة الرسائل الجامعية.

ثانياً: سلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف.

ثالثاً: سلسلة الكتب.

رابعاً: سلسلة الندوات.

خامساً: سلسلة الكتيبات.

سادساً: سلسلة الترجمات.



الأمانة العامة للأوقاف

الأمانة العامة للأوقاف – دولة الكويت

www.awqaf.org.kw

رسالة الأمانة العامة للأوقاف هي نشر الثقافة الوقفية:

لذا فكل إصداراتها غير مخصصة للبيع.